1931

تاريخ
الولايات المتحدة

منذ اكتشافها الى الزمن الحاضر

﴿ ويليه ﴾

ــ« تاريخ المهاجرة السورية وما يتعلق بها »ــ

للخوري باسيليوس خرباوي

كاهن كنيسة القديس نيقولاوس السورية الارثوذكسية في بروكلن نيويورك

HISTORY OF THE UNITED STATES

BY

BASIL M. KHERBAWI

Dean of St. Nicolas Syrian-Greek Orthodox Cathedral
of Brooklyn N. Y.

سنة ١٩١٣

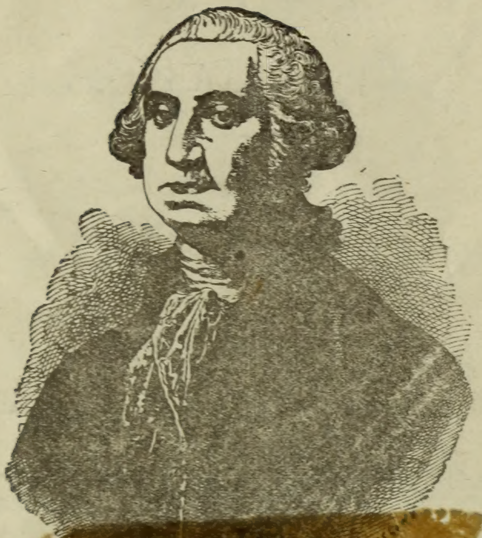


طبع في مطبعة جريدة الدليل في نيويورك لصاحبها نجيب جرجي بدران

PRINTED BY THE "PRINTING & PUBLISHING HOUSE"

N. G. BADRAN PROP.

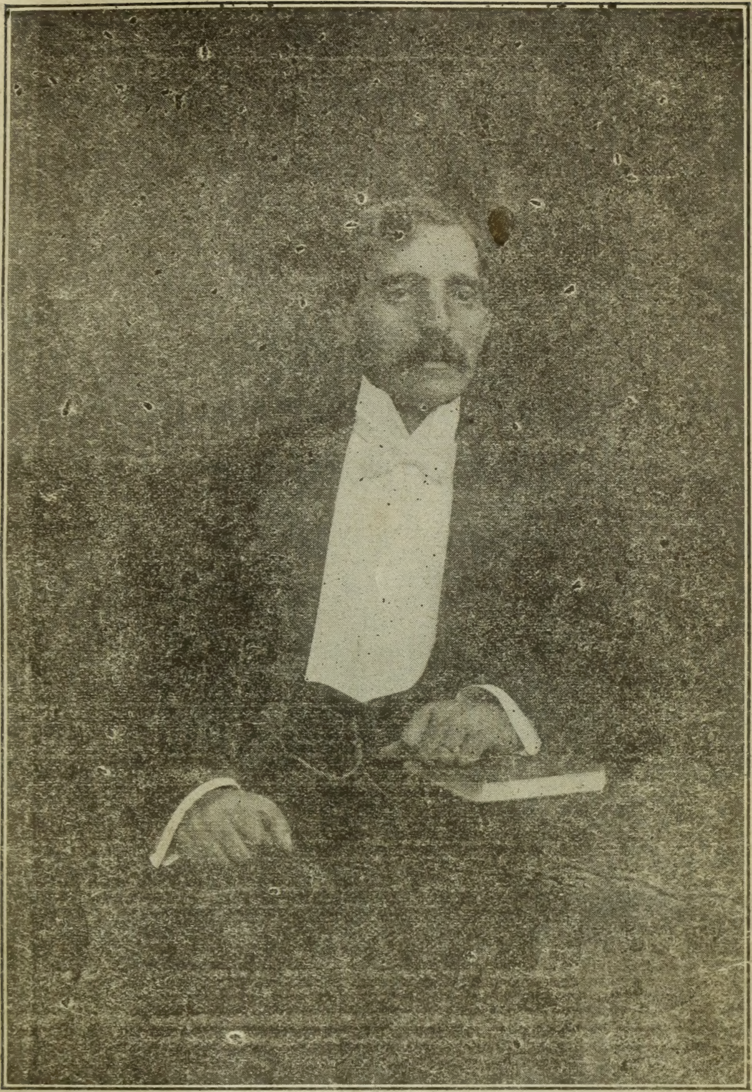
[c1913]



جورج واشنطون

محرر الولايات المتحدة واول روءسائها

P



رسمكم يا ذا المعالي ناطقٌ   بسنا ما قد حويتم من شيم
كتب الدهر لكم آي الثنا   اذ غدوتم نبع فضلٍ وكرم
ردّد الاحسان شكراً قائلاً   نعمةٌ انتَ وما احلى النعم

اهداء الكتاب

الى حضرة الشهم الكريم والتاجر المستقيم والمحسن العميم

نعمه افندي تادرس

من فاح عبير احسانه في الامصار وتضوعت بمسك فضائله الاقطار وشهد بمآثره الغراء ومفاخره الحسناء القاصي والداني · فما من مشروع خيري او اثر ادبي في الوطن او المهجر الاّ ولهذا الجواد فيه يد بيضاء · ولا من فقير او مريض او يتيم الاّ وله من سابغ احسانه ما يسد به الرمق ويدفع نازلة الدهر

فتقبل يا رعاك الله هذه الهدية من عارف فضلك ومقدرك حق قدرك لتكون بحميد فعالك ناطقة ولذكر مجيد اعمالك مخلدة ولتحفظ لاهل الاجيال الآتية ما ثرك وجليل افعالك وكريم سجاياك فيرددون ذكر جميلك ويكررون آيات حمدك ان شكر المحسن فرضٌ متحتم والثناء على الكريم واجب لازب

الداعي لك باخلاص
الخوري
باسيليوس خرباوي

مقدمة الكتاب

بعد حمد الله علة العلل · ومغير الازمان والدول · وهو لا يعتريه تغيير ولا في افعاله خلل له الشكر والحمد في البدء والختام — اقول

التاريخ لغة تعريف الوقت واصطلاحاً هو علم يبحث في احوال الامم ومكان سكناهم وعاداتهم وانسابهم وعشائرهم وحروبهم واحكامهم وغير ذلك · ولا يخفى ما في درس هذه الامور من الفوائد الكثيرة واللذة الفائقة اذ يتخذ العاقل المطلع على حوادث الامم وتقلبات الشعوب والدول عبرة لاتقاء الضار والسعي في طلب المفيد · ولقد قيل ان من عرف اخبار اسلافه اضاف اعماراً الى عمره · وقيل ايضاً ان افضل ما يبحث عنه الانسان هو الانسان فلا مشاحة اذاً في ان علم التاريخ اسمى العلوم قدراً واغزرها فائدة ولذة كما يشهد أولو الاطلاع وواسعو الخبرة ومعرفته ضرورية لكل انسان مهما اختلفت رتبته وتفاوتت منزلته والامر الاكثر اهمية هو ان يعي الانسان في صدره على الاقل تاريخ البلاد التي يقطنها والشعب الذي يساكنه

ولما كان تيار المهاجرة السورية الى الديار الاميركية جارفاً وعدد ابناء سوريا يزداد يومياً في الولايات المتحدة وملحقاتها وكان كثيرون منهم لا يمكنهم الاطلاع على تاريخ البلاد بلغتها وكانت لغتنا العربية لم تزل حتى الان محرومة من تاريخ شامل للعالم الجديد عنّ لي ان ادون تاريخ الولايات المتحدة من قبل ان اكتشفها خريستفورس كولمبس الى الوقت الحاضر في لغتنا المحبوبة خدمة لابناء وطني الاعزاء الذين أؤمل ان تقع عندهم هذه الخدمة موقع الرضى والاستحسان

ولقد اعتمدت في تدوين الحقائق التاريخيـــة اشهر موءلفي الاميركان الثقات واقتطفت من موءلفاتهم الكثيرة كل شاردة وواردة محاذرا التطويل الممل او التقصير المخل • وقد قسمته الى خمسة اقسام كما ترى تسهيلاً لتعليق الامور التاريخيـــة في الاذهان • واردفته بقسمين آخرين اولهما يحتوي على شرائع البلاد الاساسية وغيرها والثاني يشتمل على تاريخ المهاجرة السورية واسبابها ونتائجها واحوال المهاجرين ونحو ذلك فغدت اقسام الكتاب سبعة و كل قسم منها وافي الشرح تام الفائدة كما لو كان مجلداً مستقلاً • فجاء بحوله تعالى كتاباً فريداً في بابه حاوياً شتات الفوائد وجامعاً تاريخ هذه البلاد وشرائعها و كل ما يتعلق بها على طريقة تضاهي اكبر المطولات بل هو حاوٍ لما لا تحويه عدة كتب مجموعة والعيان افضل شاهد

واما لغة الكتاب فقد جعلتها سهلة الفهم قريبة التناول حتى على البسطاء اذ لا يسوغ في التاريخ استعمال غير مثل هذه اللغة لان الغاية منه تدوين الحقائق التاريخية على طريقة مفهومة ليس الاّ

ولقد صار اهداء الموءلفات الى ذوات فضلاء ذوي سجايا كريمة وفعال حميدة عادة مرعية وذلك تخليداً لذكر اولئك الكرام وتشجيعاً لسواهم لينسجوا على منوالهم ويحذوا حذوهم • ولما كان جناب التاجر الكبير والمحسن الشهير المعروف بالاستقامة والنزاهة وسلامة الطوية وحسن النية ونداءَ اليد وعمل المعروف واغاثة الملهوف الذي لااخال احداً في الوطن والمهاجر يجهل اسمه الكريم الذي ما ذكر الاّ وفاحت منه اطايب الاحسان اعني به رجل المروءة والوفاء والشهامة والسخاء نعمه افندي تادرس قد شهد له بالفضل والنبل في سائر الامصار وتحدث بغرر افعاله وجميل اعماله في كل الاقطار وكان الكرم فيه سجية كما شهد لنا بذلك من عرفه بالبذل والكرم منذ حداثته وحب عمل الرحمة والاحسان غريزة اوجدتها فيه يد العناية كما تحققنا ذلك بالعيان

رأينا ان نهدي اليه هذا الكتاب تقديراً لفضله وشكراً لاحسانه وتشجيعاً على المثابرة في ذلك المسلك السوي ٠ وما نقوله في هذا الكريم ليس على سبيل الزلفى بل لاعتقادنا الثابت بفضائلـــه وخلوص نيته وحسن سيرته وسريرتـــه فمن يزرع الاحسان يحصد الشكران ٠ وما يجب ذكره عن هذا المحسن المجيد انه يفعل الخير حباً بالخير ويغض الطرف عن جنس او دين او وطن المحسن اليـــه ٠ ومساعداته الادبيـــة لا تقل عن مساعداته الخيرية وله على الادب والمشتغلين به فضل لا ينكر

وكلمتي في الختام لمن يطالع هذا الكتاب فان راق له ما فيه فذلك منه فضل وافر وان وجد ما ينتقد عليه فالمرجو سبل ذيل المعذرة لان العصمة والكمال لله وحده صاحب العزة والجلال سبحانه في كل حال

المؤلف



القسم الاول

جغرافية البلاد — سكانها الاصليون

الفصل الاول

— « جغرافية الولايات المتحدة · وما يتعلق بها » —

معلوم ان علماء الجغرافية قد قسموا الكرة الارضية الى قسمين · شرقي وغربي · اما الشرقي فيحتوي على قارات اسيا واوروبا وافريقيا وأوستراليا · واما الغربي فيحتوي على قارتي اميركا الشمالية واميركا الجنوبية اللتين يوصل بينهما برزخ داريان ويفصل بينهما خليج المكسيك الواقع الى شرقيه · وكل من القسمين يقسم الى اقسام مختلفة واكثر هذه الاقسام اهمية في اميركا الشمالية الولايات المتحدة التي ترى تاريخها في ما يأتي

اما مساحة الولايات المتحدة مع الاسكا فهي ٣٦٣٤٧٩٧ ميلا مربعاً وعدد سكانها بحسب الاحصاء الاخير سنة ١٩١٠ فهو ٩١٩٧٢٢٦٦ نفساً · وحدودها من الشمال كندا وبضع بحيرات ونهر سانت لورنس · ومن الشرق الاوقيانوس الاتلانتيكي وخليج المكسيك · ومن الجنوب بلاد المكسيك وخليجها ايضاً وخليج كاليفورنيا · ومن الغرب بلاد المكسيك ايضاً والاوقيانس المحيط او الباسيفيكي

وفيها سلسلتان من الجبال احداهما ممتدة اليها من كندا بقرب مصب نهر سانت لورنس وتختلف اسماؤها باختلاف مواقعها · ففي ولاية نيوهمشر اسمها الجبال البيضاء وفي ولاية فرمونت الجبال الخضراء وفي ولاية نيويورك جبال كاتسكل وفي ولايتي بنسلفانيا وفرجينيا يسمونها جبال اليكاني وفي ولاية تناسي جبال كمبرلاند وارتفاع

اعلاها يبلغ ٦٤٧٦ قدماً · والسلسلة الثانية هي الجبال الصخرية التي تخرق اميركا من الشمال الى الجنوب وتمتد اليها من الاملاك الانكليزيـة وتجتاز منها الى بلاد المكسيك وهذه السلاسل تتشعب كثيراً شرقاً وغرباً والانهـار الكثيرة بين هاتين السلسلتين تجري الى نهر مسسبي العظيم والى خليج المكسيك

اما انهارها فكثيرة ولا يسمون نهراً الاّ ما امكن جري السفن فيه والاّ فهو جدول اوغدير · ومن هذه الانهار نهر كنكتكت يخرج من الجبال شمالي نيوهمشير وفرمونت ويجري على الحد الفاصل بين هاتين الولايتين ويمر في ولاية ماستشوستس وكنكتكت ويصب في خليج لون ايلند قرب مدينة نيوهافن وطوله نحو ٤٠٠ ميل · ونهر هدسن مخرجه في شمالي ولاية نيويورك وطوله نحو ٣٥٠ ميلا وتصعد فيه السفن الكبار الى مسافة ١٢٠ ميلا · ونهر دلاوير مخرجه في جنوبي ولاية نيويورك ويجري على الحد الفاصل بين ولايتي نيوجرزي وبنسلفانيا ويصب في خليج دلاوير وطوله نحو ٣٠٠ ميل · ونهر سسكواهانا يخرج من جنوبي ولاية نيويورك ويجري في ولاية بنسلفانيا مارّا على مدينة فيلادلفيـا ويصب في خليج تشاسبيك وطوله نحو ٥٠٠ ميل· ويصب في ذلك الخليج ايضاً نهر بتوماك وهو الفاصل بين ولايتي ماريلاند وفرجينيا ويمر على مدينة واشنطون العاصمة · وطوله ٥٠٠ ميل ويصب في الاوقيانس انهر كثيرة مثل نهر جيمس ورونوك وبيدي وسوانا وغيرها · ومن انهارها العظيمة ايضاً نهر اوهايو وهو يتألف من نهرين ملتقاهما عند مدينة بتسبرغ الواقعة في غربي ولاية بنسلفانيا ويجري جنوباً وله ولايات اوهايو وانديانا والنويز من الشمال وولايتا فرجينيا وكنتاكي من الجنوب ويصب في نهر مسسبي وطوله من مدينة بتسبرغ الى مصبه ٩٥٠ ميلا · ويصب فيـه من الشمال نهر وباش وطوله ٥٠٠ ميل وغيره من الانهر الصغيرة · وفي الجنوب نهر تناسي وطولـه ١٢٠٠ ميل ومنها نهر مزوري وطوله ٣١٠٠ ميل وهو يخرج من الجبال الصخرية في

شمالي ولاية نبراسكا ويجري الى الجنوب الشرقي ويصب في نهر مسسبي قرب مدينة سانت لويس · ويصب فيه ايضاً نهر بلات وطوله ١٥٠٠ ميل · ونهر يلوستون وطوله ١١٠٠ ميل وغيرهما كثير · ومنها نهر اركنساس يخرج من الجبال الصخرية ويجري الى الجنوب الشرقي ويصب في نهر مسسبي وطوله ٢٠٠٠ ميل والنهر الاحمر مخرجه ايضاً من الجبال الصخرية فيجري الى الجنوب الشرقي ويصب في نهر مسسبي وطوله ١٥٠٠ ميل واما نهر مسسبي فيخرج من شمالي مينامسوتا ويجري الى الجنوب ويصب في خليج المكسيك وطوله ٣١٠٠ ميل ومن مصبه الى مخرج نهر مزوري ١٩٤٤ ميلاً · ونهر ريودلنوت يخرج من الجبال الصخرية ويجري الى الجنوب الشرقي على الحد الفاصل بين ولاية تكساس وبلاد المكسيك ويصب في خليج المكسيك وطوله ٢٠٠٠ ميل ويمر في ولاية تكساس نهر برازوس طوله ٦٠٠ ميل · ونهر كولورادو وطوله ٦٠٠ ميل ايضاً وغيرهما كثير وكلها تصب في خليج المكسيك · ومن الانهر التي تجري الى الغرب نهر كلومبيا فيخرج من الجبال الصخرية ويجري الى الشمال الغربي ويصب في البحر المحيط وطوله نحو الف ميل · وفي ولاية كاليفورنيا نهر سكرامنتو ونهر يواكين وغيرهما مما لا يسعنا تعداده وكل هذه الانهر ذات فوائد مهمة للبلاد · وفيها ايضاً بحيرات عظيمة توصل بينها ترع كثيرة وهي على جانب عظيم من الاهمية · ولا نرى حاجة في اسهاب الكلام عليها ولا على السكك الحديدية التي فاقت بها هذه البلاد العالم بأسره

اما هواء الولايات المتحدة فالجهات الشمالية فيها باردة والجنوبية معتدلة · ويشتد الحر في الجهات الواقعة بقرب خليج المكسيك كتكساس وفلوريدا وغيرهما وعلى الاجمال يقال ان هواءها جيد · اما حاصلاتها فكثيرة ومتنوعة وتربتها صالحة لكل ما يزرع فيها ما خلا بعض النباتات التي لا تنمو الا في الاقاليم الاستوائية · وفيها جميع انواع الحبوب واكثر انواع الفواكه والاثمار · والتفاح الموجود فيها ليس له نظير في بلاد اخرى · اما

صادراتها فأخصها الارز الابيض والقطن والتبغ والسكر الذي تصدر منه كميات وافرة وزيت البترول وتمتاز بتصدير الآلات الميكانيكية والزراعية الى كل جهات العالم . وفيها كثير من معادن الذهب ولا سيما في ولاية كاليفورنيا والفضة والنحاس والحديد والقصدير والرصاص والزئبق والفحم الحجري والرخام والجص وغير ذلك وتوجد فيها بحيرات مالحة يستخرج منها ملح الطعام . وفيها من الحيوانات الاليفة ما يوجد في غيرها من البلاد وفيها الخيول البرية والجاموس البري والوعل والذئب والسنور البري وغيره وأنواع من الطيور تقارب الاربع مئة عداً منها النسر الاميركي المشهور . وفيها بعض الحيات السامة التي قد لا ينجو ملسوعها من تجرع كأس المنون

واما حكمها فهو من النوع الجمهوري وهي اكبر جمهورية في العالم وينتخب الرئيس فيها لمدة اربع سنوات وكذلك الحكام ينتخبون من قبل الشعب الى مدة معينة لهم الا القضاة فانهم يعينون لمدة حياتهم ما لم تثبت عليهم جريمة توجب خلعهم . ولكل ولاية حكم خاص بها غير ان الجميع يشتركون في انتخاب الحكام العموميين ويرسلون وكلاء الى المجلسين في واشنطون العاصمـــة ولما كانت الاحكام وما يتعلق بها مما تهم القارىء معرفته فقد افردنا لها قسماً خاصاً من هذا الكتاب

اما العلوم والمعارف فيها فقد بلغت الشأو البعيد والتعليم فيها اجباري والمدارس العمومية والخصوصيـــة مالئة البلاد للذكور وللاناث وتعد بالالوف ووسائل تحصيل العلوم واكتساب المعارف موفورة للجميع . والصنائع فيها على تعداد انواعها كثيرة جداً وقلما تفوقها اية بلاد أخرى ولهذا غصت البلاد بالمعامل والمصانع من كل نوع والعملة فيها يعدون بعشرات الالوف . والاختراعات فيها كثيرة جداً حتى انك تكاد تسمع بخبر اختراع او اكتشاف في كل يوم . والجرائد من يومية وغيرها والمجلات مما لا يسعنا تعدادها فهي وفيرة جداً . وليس لحكومة البلاد دين او مذهب رسمي بل الحرية الدينية

مطلقة لكل الاديان والمذاهب · اما معيشة الاهلين فلا اظن تضاهيها عيشة اي شعب آخر بالرغد والرفاه ورخاء العيش والترف · ولا اراني قادراً على وصف كل ما يجب وصفه في هذه البلاد الراقية التي دعيت بحق بلاد العجائب ومصدر الغرائب

الفصل الثاني

— « سكان اميركا الاصليون · اوصافهم · عاداتهم · معبوداتهم ونحو ذلك » —

سكان العالم القديم الاصليون هم الاقوام ذوو البشرة الحمراء الملقبون بالهنود ولقبوا بذلك لا لمشابهتهم في اللون لسكان الهند الشرقيـة بل لان الضرورة قضت به فان كولمبس ورفقاءه عندما اكتشفوا اميركا ظنوها الهند فدعوا سكانها هنوداً · ولو ان المشابهة بين الشعبين مبنية على مجرد التشابه باللون فربما كان لها بعض الوجوه لتشبيه والواقع هو انه لا يوجد شعبان متباينان في الهيئات والعادات والاخلاق والصفات ونحو ذلك اكثر من سكان اميركا الاصليين وسكان الهند والصين واليابان

اما اصل هوءلاء الشعوب فهو احجية لم يتمكن علماء التاريخ من حلها الى هذا اليوم اما كونهم احد الشعوب القديمة فامر متفق عليه ولكن في اي وقت او بأية طريق دخلوا القسم الغربي من الكرة الارضية فمسألة أغمضت عن الباحثين · وقد تضاربت الآراء وكثرت التخمينات والظنون وكلها ليست من الحقيقة الراهنة على شيء · والزعم بأن هنود اميركا متسلسلون من بني اسرائيل باطل ايضاً اذ لم تقم ادلة على اثباته · وكذلك القول بان قبائل على شيء من التمدن نزحت من عابر نهر الفرات ووصلت الى اميركا الشمالية واستوطنتها لا يسلم به العقل السليم · او ان شعوب اوروبا او افريقيا منذ زمن قصي عبروا الاوقيانوس الاتلانتيكي بسفرهم من جزيرة الى أخرى الى ان وصلوا الى

العالم الجديد ففرض لا يحتمل التصديق · او هل يحتمل بان سكان كمشتكا جاءوا عن طريق بوغاز بيرين ووصلوا الى القسم الشمالي الغربي المتجمد واستوطنوا في العالم الجديد والهنود هم نسلهم فالبراهين على صحة ذلك ليست اقوى من البراهين على نقضه فاذا لم تقم ادلة على تفرق العائلة البشرية اكثر وضوحاً واشد جلاء من التي لدى علماء التاريخ اليوم فمعرفة كيف ومن اين جاء سكان اميركا الاصليون تبقى سراً غامضاً · ولربما ان زيادة البحث والتدقيق في معرفة اصل لغات شعوب اميركا الشمالية الاصليين تجلو بعض الغموض عن معرفة تاريخ الشعوب الذين يتكلمونها

وهنود اميركا يعدون في مصاف شعوب (القوس والنشاب) فمنهم من كان يعمل في الارض ومنهم رعاة مواشٍ ومنهم اهل حضر ابتنوا سفناً وخاضوا غمار اليم · وجل اعتمادهم في معيشتهم على الصيد والقنص ولولا براعتهم الفائقة فيهما لانقرضوا عن آخرهم فليس ألذ لقلب الهندي من تصويب سهامه في كبد الايل والدب وغيره من الحيوانات لاقتناصها وشعب هذه امياله لا تطيب له الاقامة الاّ في البراري والاحراج والادغال الكثيفة حيث يكثر وجود الحيوانات التي يفاخرون بصيدها وحيث كثرت تلك الحيوانات فهناك جنة الهندي التي يريد ان يقيم فيها خالداً

وينقسم سكان اميركا الاصليون الى اصناف او قبائل متعددة · ففي المنطقة الواقعة فوق الدرجة الستين من العرض الشمالي بين لابرادور والاسكا سكنت قبيلة الاسكيمو (ومعناه اكلة اللحوم النيئة) وهم قصار القامة ذوو نشاط واستطاعة فائقة على تحمل البرد والجوع والتعب المفرط ويرتدون قمصاناً من جلود الطيور بريشها وفوقها اردية من جلد حيوان يعرف بالرنه او عجل البحر فيصنعون من جلده احذية وجوارب واحياناً يصنعونها من امعاء الحيتان او الدلافين · وفي الشتاء الطويل يسكنون بيوتاً صغيرة من الحجارة يسدّون خلالها بالطين ويسقفونها بأصول الاعشاب النابتة في الاراضي السباخ

البالوعية · وبعض تلك البيوت يكون تحت مساواة سطح الارض ويدخل اليها من دهليز معوج تحت الارض لا يدخل اليه الا زحفاً · وطعامهم من لحوم عجل البحر الذي يصيدونه ويخزنونه طعاماً لهم في ليلهم الطويل · اما القوارب التي يتخذونها للصيد فمصنوعة من جلود عجل البحر وبسبب خفتها لا يخشى عليها من هيجان البحر وانوائه · ويضربون الصيد بحربة لها مرس طويل يشدون الى طرفه جسماً خفيفاً يطفو على وجه الماء · ويستخدمون الكلاب لجر العربات على الجليد

والى الجنوب من الاسكيمو في القسم الاكبر من بلاد كندا وفي كل القسم الواقع في شرقي نهر مسسبي من الولايات المتحدة وشمالي الدرجة ٣٧ من العرض الشمالي انتشرت قبائل الالجونكيين ويستدل ان موطنهم الاصلي كان على ضفاف نهر اطوا · وفي اوائل الجيل السابع ناهز عددهم الربع مليون · وشعب هذه القبيلة يشبهون عرب البادية في كثير من عاداتهم فينتقلون من مكان الى آخر في طلب الصيد والقنص وقلما لهم رغبة في الزراعة · ثم انقسموا بعدئذٍ الى عشائر متعددة ولكل عشيرة عادات وتقاليد تختلف عن غيرها ولما دخل الاوروبيون اميركا كانت قبيلة الالجونكيين آخذة بالتناقص في العدد والقوى والسطوة وقد تفشت بينهم امراض وبيلة ابادت منها عشائر برمتها · ولم تضرر قبيلة من كل قبائل هنود اميركا من الجنس الابيض كما تضررت قبائل الالجونكيين الذين لم يستطيعوا امام عدوهم الجديد ثباتاً فسقطوا قتلى بالعشرات حتى لم يبق منهم سوى شرذمة صغيرة تردد اخبار اسلافها وما حل بهم من العدو الابيض

وفي قسم من المنطقة الكبيرة التي كان يحتلها الالجونكيون سكنت قبيلة أخرى على جانب من القوة تعرف بقبيلة هيورن او وياندوتوس واماكن سكناها تمتد من مضيق جيورجيا وبحيرة هيورن الى بحيرتي ايري واونتاريو ومن جنوبيها الى وادي اوهايو وشرقاً الى نهر سورال وسكنت معها قبائل اخرى واتحد الجميع معاً للذود عن حياضهم

ضد كل من اراد بهم سوءًا • وكان مجموعها في معظم قوتها لا يقل عن تسع عشائر فقبيلة هيورن الاصليـة قطنت شمالي بحيرة ايري وعشيرتا ايريس وانداستس سكنتا جنوبيها وعشيرة تسكاروراس سكنت في كارولينـا وبعد ذلك انضموا الى انسبائهم في الشمال اما عشائر سينكاس وكايوغاس وانواغاس واونيداس وموهكس فهي التي توءلف قبائل نيويورك الخمسة ويطلق على مجموعها اسم ايروكويس وهذه القبائل اتحدت معاً ومثلت امـة الهنود احسن تمثيل فكانوا شجعاناً وذوي محبة صادقة لوطنهم وفصاحـة مذكورة ولم يستنكفوا من الاعمال المفيدة بل قطنوا في قرى معتبرة واشتغلوا بالفلاحة والزراعة بكل رغبة ونشاط وكانوا ودودين كاصدقاء وشديدي الفتك كأعداء

والى الجنوب من قبيلة الالجونكيين سكنت قبيلة التشيروكيز وقبيلـة الموبيليان فالاولى استوطنت في تناسي والاخرى في الاماكن الواقعـة بين اسفل نهر مسسبي والاوقيانوس الاتلانتيكي • وبلغت قبيلة التشيروكيز درجة عليا في التمدن كأمة قديمة وقد زادهم اختلاطهم بالشعب الابيض تقدمـاً وارتقاءً • واهم عشيرة بين قبائل الموبيليان كانت عشيرة الياماسيس التي استوطنت ضفاف جداول جيورجيـا وعشيرة السيمينوليس القاطنة في فلوردا وقبيلتا تشوكتوا وتشيكاسوا اللتان قطنتا في مسسبي

والى الغرب من نهر المسسبي استوطنت قبائل داكوتا او سيوك التي انتشرت من نهر اركنساس الى بلاد الأسكيمو ومن الغرب الى البلاد الصخرية • وعادات شعب هذه العشائر ولغتهم تختلف كثيرا بين بطون وافخاذ العشيرة الواحدة والمعروف عنهم اقل من المعروف عن غيرهم من القبائل • والى الجنوب من هنود داكوتا في الاراضي المحاذية لولاية تكساس استوطنت قبيلـة كومانشيس الشرسة التي اصبح مجرد اسمهـا انموذج الهمجية والخشونة • ووراء الجبال الصخرية قطنت قبائل الهنود السهلية كقبيلة الشوشونيس والسيليش والكلاماث والكلفورنيين • وفي احادير الباسيفكي غربـاً استوطنت ايضاً

قبيلتا الازتكس والتولتكس الشهيرتان · وشعب هاتين القبيلتين كانوا اكثر بمدناً من سائر سكان اميركا الاصليين ولكنهم اشد الجميع ضعفاً وكانوا ذوي حذق في البناء بالاخشاب والحجارة واقل الكل ميلا للحرب والغزو · ونقتصر على ذكر ما تقدم من القبائل التي كانت تقطن العالم الجديد قبل اكتشافه خشية الملل

لباسهم — قد كانوا يرتدون بقميص قصير يلفون فوقه منطقة من جلد ويزينون روءوسهم بريش الطيور الملونه ويحتذون بسيور يلفونها حول اقدامهم ويلبسون جوارب من اديم او نسيج يحيطونها حول ارجلهم ولا ينزعونها قط · ولهم كساء للزينة يلبسونه في اعياد واحتفالات معينة فقط وهو مصنوع من جلد الجاموس او الايل وله على اطرافه حواشٍ من شعور البشر الذين قتلوهم في حروبهم وينقشون اجسامهم بالالوان والصور الغريبة

ويعبد هنود اميركا الهاً يسمونه الروح العظيم ويدعونه اباً ايضاً · ويعتقدون بوجود روح شرير تمكنه الغلبة على الروح الصالح فيرهبون ويتقون بأسه خشية اصابتهم بالاضرار والاسواء · ومتى مرض احدهم وشعر بدنو الاجل بعث يستدعي « رجل العلاج » او الطبيب (وهو بلا شك دجال مشعوذ) فيصف له علاجات صنعها من اعشاب الغابات وذلك العلاج اما انه يفيد المريض او يضره ولكن لا مندوحة له من تجرعه · ويدعي الطبيب السلطة على الروح الشرير ولذلك يستدعونه ساعة احتضار المريض فيأتي مرتدياً جلد وحش كاسر حتى يخيل للناظر انه هو ذلك الوحش بعينه داخلا · فيشرع يصوت اصواتاً قبيحة مزعجة ونهز رمحه ويرقص ويقضقض العظام ويهر وينبح والهنود واقفون موقف الرهبة والاحتشام لاعتقادهم بأن لتلك الهيئة والاصوات خاصة طرد الروح الشرير فاذا قضى العليل وسط ذلك الضجيج وتلك الجلبة قال الطبيب هذه هي مشيئة الروح العظيم فيرزم ادواته ويمضي (لكي يقبض روح غيره)

وتحمل المرأة الهندية طفلها في شبه سرير خشبي مستطيل مكشوف له اطار خشبي ضيق لضبط الطفل منتصباً بحيث لا يستطيع الحراك · فتربطـه بسير وتعلقه برأسها وتذهب اين شاءت · وللهندية محبة عظيمة لطفلها فاذا مات حزنت عليه حزناً يقصر عن وصفه اليراع وتملأ سريره الفارغ ريشاً وتحمله على ظهرها اشهرا ومتى جلست تضعه بقربها الى جوار كوخها وتنوح وترثي طفلها رثاءً شجياً يدمي الفؤاد

ومتى كبر الطفل تخرجه والدته من السرير وتسمح له بالزحف على الاعشاب وتطلق له الحرية ليفعل ما يشاء · وعندما يستطيع المشي والجولان يطلق له ابواه العنان فيذهب للاستحمام في الانهار او المجاري والطراد مع ابيه في البراري لقنص الوحوش وسماع نوادر الشيوخ عن المعارك التي خاضوا غمارها ونحو ذلك

بيد ان الغلام لا يكون قد بلغ حينئذ السن الذي يؤهله للانتظام في سلك رجال البأس والحرب فيتحتم عليه التربص الى ان يبلغ الربيع السادس عشر من عمره فينتهي حينذاك طور الصبوة ويغادر اللعب مع الاولاد ويحاول الانضمام الى مصاف رجال الحرب وهؤلاء ينكرون عليه ذلك الحق الى ان يأتي «بجراب العلاج» · اما كيفية الحصول عليه فمن غرائب الامور وعلى جانب من الفكاهة

على الفتى الذي يريد ان يصنع جراب العلاج ان يذهب الى غار بعيد عن عشيرته ويجلس على الارض صائماً مدة اربعة ايام متوالية لا يذوق فيها طعاماً ولا يشرب ماءً فتأخذ قوته بالانحطاط وهمته بالفتور وعضلاته بالارتخاء فيضطجع على الثرى مغمض العينين وفي نهاية الوقت المعين يخال ان الروح العظيم انبأه عن سر صنع جراب العلاج فيكون اذا رأى في نومه جاموساً او فرساً او كلباً او جرذاً او غير ذلك على يقين بأن الروح اوحى اليه بصنع الجراب من جلد الحيوان الذي رآه في غيبوبته من فعل الجوع فيه

وعلى ذلك يصنع الهنود جربهم من جميع المواد الموجودة تحت الشمس فينهض ذلك المسكين منحط القوى ويخرج من الغار مترنحاً مرتجفاً ومتى بلغ المضرب يطلب طعاماً فتأتي له امه به حالاً فيلتهم منه كفاية ثم يتأهب لصيد الجاموس فيمتطي جواداً ويعدو نحو البادية فيصادف الجاموس ويلتقيه بقلب لا يهاب الموت ولا يزال يصادمه وينشب فيه سهامه القتالة واحدا بعد آخر حتى يرديه حتفه · ثم يصنع جرابه من جلده ومتى اتمه حق له الانتظام في سلك رجال قومه · ويعتقد الهندي ان ذلك الجراب يقيه من اضرار الروح الشرير فلا يرضى به بديلا مهما كان

ومتى شاخ الهندي ولم يعد يرجى منه نفع يصبح وقراً ثقيلا على ذويه فيتخلصون منه بالطريقة الآتية وهي انهم يأخذونه الى البادية وينصبون له مظلة ويضعون عنده قليلا من الزاد والشراب ثم يودعونه وينصرفون فيقضي ذلك المنكود الحظ حتفه اما جوعاً او افتراساً بانياب الوحوش الضواري ولا يهولهم ذلك لانه صار عندهم عادةمألوفة

وللهنود اعياد نظير غيرهم من الامم منها عيد الذرة الخضراء الذي يتأهبون له بالانقطاع عن سائر الاعمال والقتال بل وعن مناولة الطعام لكي تصيرلهم شهية عظيمة له ومتى حان الوقت المعين وانبأت النسوة بان الحبوب صارت صالحة للاكل يحتشد اهل القرية معاً الى الساحة العمومية ويضرمون النار ويضعون فوقها مرجلا كبيراً يملاءونه بالذرة ثم يشرعون بالرقص والغناء ويدورون حولها ويرقص ضمن تلك الحلقة اربعة اطباء حاملين بأيديهم سنابل الذرة واجراساً يجلجون بها ويطوف الحلقة زعماء القوم ورجال الحرب حاملين سنابل الذرة ايضاً فيرقصون وينشدون نشائد الشكر للروح العظيم ويقدمون له مرجل الذرة الاول ثم يضرمون ناراً غيرها. ويضعون المراجل فوقها ومتى نجز الطبخ يبادر الزعماء اولا للاكل بملاعق مصنوعة من قرون الجواميس ومتى فرغوا يحيط سائر رجال العشيرة واولادها بتلك القصاع ويأكلون كفايتهم بينما رفقاءهم

يرقصون ويغنون ويطربون ويدوم ذلك العيد الى ان تفرغ الذرة الخضراء

ولهم عيد آخر يسمونه عيد الشراب يدوم يومين او ثلاثة ينقطعون في خلالها عن مناولـة الطعام والعمل ولا يشتغلون بشيء سوى ارتشاف الشراب وهو مسكر قوي تصنعه النساء من اصول نبات اسمه «بلغتهم مانيوق» فمتى تم استحضار الشراب يأتي رجال القرية الى البيت بالرقص والغناء فتدور النساء عليهم بطاسات الشراب المصنوعة من نبات اليقطين فيظلون ينهلون ويرقصون ويعربدون حتى يأتوا على آخر نقطة من ذلك الشراب ومتى فرغت آنية البيت الواحد ينطلقون الى غيره وهكذا الى ان ينفذ الشراب من جميع البيوت

وخلاصة ما يليق ذكره عن بعض هنود اميركا في العصر الحاضر انهم يميلون الى مطالعة الانباء ويكرمون الضيف ويساعدون النزيل · والفعل عندهم يتغير بتغير وضع المفعول واسم الاشارة لا يمكن ان يكون عندهم موضوعاً الا مع المشار اليه فلا يجوز أن يقال في لغتهم مثلا ذلك الرجل على ان اسم الاشارة عندهم مبتدأ والرجل خبر بل لا يتم هذا كلاماً ما لم يضم اليه كلمـة ثالثةتكون هي الخبر مثل ذلك الرجل جالس · والضمائر عندهم ثلاثة ضمير العقلاء وضمير الاحيـاء غير العقلاء وضمير الجماد · ويسمون قراهم باسماء مواضعها من المخلوقات والمواد الطبيعية كشجرة الدردار لكثرة ذلك النبت عندهم · ويشيرون الى اهل القرية باضافتهم الى موضعها كأهل شجرة الدردار مثلا واهل التلال وهلم جرًّا · ولا يجوز للرجل عندهم ان يتزوج امرأة من قريته فاذا اراد الزواج وجب عليه ان يخطب امرأة من قرية اخرى والاولاد يحسبون من قرية الوالد ·وقد حذروا على انفسهم ان يذكروا على مسامع اولادهم الهر الوحشي وفأرة الحقل وحيوانات اخرى لاعتقادهم ان ذكرهـا يمرض الاولاد ويميتهم · ويعتقدون ان في عدد الخمسة شيئاً من الاسرار ويعتبرون الطراف الذي من

جلود الذئاب طاهرا وكذا ما يفرشونه من جلودها في قبابهم وخيامهم ويعتبرون بعض الاصداف مقدساً الى حد لا يجوز عندهم ان يلقى على الارض · ولهم غير ذلك كثير من الغرائب اقتصرنا على ذكر ما تقدم تفكهة للقارىء ودلالة على اخلاق القوم ومقدار مداركهم

القسم الثاني

الاسفار والاكتشافات

الفصل الثالث

—« الايسلنديون والنروجيون في اميركا »—

نظرت عين الاوربيين العالم الجديد لاول مرة سنة ٩٨٦ · فان رباناً اسكندنافياً اسمه هيرجولفسن كان سائرا من ايسلندا الى كرينلندا فحدث نوء عظيم في البحر قذف بسفينته غرباً الى نيوفوندلاند اولابرادور فرأى اليابسة غيرمرة ولكنه لم تطأها قدماه· وكان الشاطىء الجديد الذي رآه مختلفاً عما اعتاد رؤيته من شواطىء كرينلندا مما لا يدع مجالا للشك في ان تلك الاصقاع جديدة لم تدسها اقدامهم بعد · فلما وصل هيرجولفسن المذكور الى كرينلندا مع نوتيته طفقوا يخبرون قصصاً متنوعة عن الاراضي الجديدة التي رأوها في الغرب

وبعد ذلك باربع عشرة سنة جرى اكتشاف اميركا حقيقـة بسعي الامير ليف اير كسون فهذا الربان الاسلندي تاق الى معرفة البلاد التي شاهدها هيرجولفسن فأقلع بمركبه من كرينلندا وسار غرباً يصحبـه ٣٥ رجلا واحد منهم جرماني الجنس · فلما

وصلوا الى بلاد غريبة ضل ذلك الجرماني عن ارفاقه حتى خشوا فقدانه ولكن بعد قليل وافاهم واخبرهم عما حدث له وما اكتشفه من الكروم المزينة بالاثمار الشهية فقال له الامير ليف ألعلك تمزح بما تقول فاجابه كيف ذلك وقد عدت الان من اراضي العنب ثم رقدوا تلك الليلة وفي الصباح التالي اوصى ليف قومه باغتنام الفرصة لاجتناء العنب واحتطاب الدوالي وغيرها من الاشجار شحناً لسفينتهم ويقال انهم انفذوا امره وشحنوا مركبهم عنباً وحطباً ورجعوا الى حيث جاءوا ودعوا تلك الارض فينلندا اي ارض العنب وفي ربيع سنة ١٠٠١ بلغ الى لابرادور فنزل فيها مع رجاله وعرض حياته للخطر حباً بالاكتشاف ولاحظ ان تلك البلادُ اجمل منظراً واكثر اعتدالاً من بلاده فطابت له الاقامة فيها فلم يسرع بالعودة الى وطنه · ثم سار جنوباً حتى دخل ماستشوستس فأطال المكث في تلك الاماكن نحو سنة وزار رود ايلند ويظن انه وصل الى ميناء نيويورك ايضاً

وما يحدث للواحد سواءٌ كان اتفاقاً ام قصداً قد يحدث لغيره ايضاً · ففي السنة التالية لاكتشاف ليف اركسون الاراضي المذكورة جاءها غيره ايضاً من ربابنة السفن من جهات مختلفة من اسكندنافيا وفي جملة من جاءها اخوه ثور ولد اركسون · فهذا عزم على السفر الى الارض الجديدة التي اكتشفها اخوه طمعاً باكتشاف جديد · فجاء سنة ١٠٠٢ مع جماعة اولاً الى بقعة كان اخوه قد ابتنى فيها عدة اكواخ وشتوا هناك ثم في الربيع التالي شرعوا في التجول في الجهات الغربيـــة فوصلوا الى ماين وماستشوستس وعثروا على ثلاثـــة قوارب من الجلد في كل منها ثلاثـــة رجال فأوقع بهم ثورولد وصحبه وقتلوهم جميعاً الاّ واحداً وما فتئوا حتى هاجمهم عدد غفير من هذه القوارب فجرت بينهم وبين الهنود الذين فيها معركة دموية انجلت عن انهزام الهنود وتشتيت شملهم · اما ثورولد فمات متأثراً من جرحٍ أصيب به في تلك المعركة وقيل انه دفن في فوق رفر ماستشوستس وكان موته سبباً لرجوع رفاقه الى كرنيلند في الربيع التالي

واخو ليف الاخر واسمه ثورستن جاء الى اميركا مع رفاقٍ له سنة ١٠٠٥ وسنة ١٠٠٧ وكذلك ثورفين كارلسفين وهو من اشهر ملاحي زمانه جاء الى العالم الجديد وبرفقته ١٥٠ نوتياً ونزلوا في شواطئ ماستشوستس ٠ وتبعه على الاثر جماعات من الايسلنديين والنروجيين واحتلوا رود ايلند ولعلهم تقدموا في اكتشافاتهم جنوباً الى فرجينيا ٠ ومنهم من تقدم شمالا وانشأ مستعمرة في هللولاند (نيوفولاند) ومار كلاند (نوفاسكوشيا) ولم يدرك اولئك البحارة الساذجين مقدار اتساع الجهة التي اكتشفوها فظنوها قسماً من غربي كرينلندا ٠ اما الذين قطنوا تلك المستعمرات فلم تطب لهم الاقامة فيها فنكصوا راجعين الى بلادهم لانهم وجدوا ان التجارة مع سكان تلك البلاد المتوحشين مستحيلة فلم تكن عندهم دراهم لمشترى السلع الاوروبية ولا شيء يبيعونه من المهاجرين ويذكر المؤرخون الاسكندنافيون ان تلك البلاد تفضل بلادهم طيبة وجمالاً وخصباً

ويقال انه في مدة القرن الثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر توالى مجيء ربابنة ونوتية من بلاد مختلفة الى العالم الجديد ٠ وانه في سنة ١٣٤٧ جاء مركب نروجي الى لابرادور والى جهات الشمال الشرقي من الولايات المتحدة وتوجد آثار في مدينة نيويورك تدل على شعوب الشمال المذكورين

ان اهمية الحادث تتوقف على اهمية نتائجه فاكتشافات الاسكندنافين (او النورسيين) اميركا لم تأت العالم بفائدة على الاطلاق حتى انهم هم انفسهم نسوا ما اكتشفوا من الاراضي الجديدة فلم يستفيدوا منها شيئاً ٠ ولم تدرِ اوروبا بخبر ذلك الاكتشاف ولا بالاماكن الجديدة فعاد العالم الجديد الى الاختفاء عن ابصار سكان العالم القديم

ومما لا يخلو ذكره من فائدة هو انه قد يكون للعرب فضل في اكتشاف اميركا

وهاك ما ورد في احدى الجرائد الاميركية بهذا الصدد (١) — المرجح اننا مديونون باكتشاف اميركا للعرب الذين علموا الاسبانيين والدانمركيين التمدن · فان العرب كانوا ولاة البحر من القرن التاسع الى القرن الثاني عشر للميلاد وهم منشأ التجارة الاوروبية · وصف الادريسي المؤرخ العربي مواني الميرا في اسبانيا بانها تغص بسفن المشرق واشبونة (لسبون) بانها مركز التجارة والثروة · وذهب اثنان من المسلمين في القرن التاسع الى الصين فوجدوا في موانيها كثيرا من سفن بلادها التي كانت تمخر حول شواطىء الهند · ووصف الادريسي ايضاً ما جهله اليونان من ابحر الصين وقال ان سفن الصين كانت احسن سفن تلك الايام · وكان ملاحو العرب يخاطرون في الاسفار ويقصدون البحار المختلفة ويشاهدون في كل بحر · ومنهم تعلم الاسبانيون والبرتوغاليون صناعة السفن · وكان الاسبانيون سنة ١٤٦٦ في كل مكان يلبسون مثل الثياب العربية ويتمثلون بالعرب بالاخلاق والعادات وركب الجياد العربية والحرس والصنائع · وكانت مسكوكات النقود العربية رائجة في عصر كولمبس وفي اشبونة (لسبون) اوضح كولمبس اسلوب سفره في المحيط الغربي لكنه قال العلامة الادريسي قبل ذلك بزمان طويل يوم كانت لسبون مدينة عربية زاهية ان جماعة من العرب ارسلوا من مينائها للبحث عما في بحر الظلمة المجهول وكان قواد تلك الجماعة اخوة سموا المغرورين · ولا بد انهم اقلعوا من لسبون قبل سنة ١١٥٠ فقطعوا الاتلانتيك وبلغوا جزائر مجهولة واكتشفوا براً جديدة وبعد مقاساة مشقات السفر شهورا كثيرة زحفوا الى اشبونة سالمين ولم يزل في تلك المدينة شارع يعرف بشارع المغرورين · ولا بد من ان بعض العرب في تلك المدينة عادوا الى مثل ذلك السفر وبلغوا كوبا او هسبنيولا ·

---

(١) (النشرة)

ولعل كولمبس وقف على نبأ المغرورين وغيرهم فانتبه لذلك الاكتشاف العظيم ،، اه

الفصل الرابع

ــــ« خريستوفورس كولمبس واكتشافاته »ــــ

ان كل تلك الاكتشافات المار ذكرها وغيرها مما لا حاجة لتفصيله فضلا عن انها لم تأت العالم بفائدة كما مر لم تسلم من الاعتراضات المختلفة · والموءرخون متضاربو الآراء ومختلفو المذاهب بشأنها · وشرف اكتشاف اميركا لم تنله امة من امم الشمال المذكورة بل حفظه التاريخ بين دفتيه ذكراً مجيداً لامة الاسبانيول · بيد ان المكتشف العظيم لم يكن اسبانياً بل هو ايطالي سلبه الدهر ثمرة اتعابه ولم يعرف العالم له قدراً حتى الازمنة التأخرة · ولما كان اسم هذا المكتشف العظيم اضحى مذكوراً بكل شفة ولسان رأينا ان نفرد له هذا الفصل ونقتصر على ذكر ما يلذ ويفيد من ترجمة حياته

ولد خريستوفورس كولمبس او خريستبول كولون كما كان هو يوقع اسمه بعد ان دخل في خدمة اسبانيا في جنوا وهي فرضة بحرية في الشمال الشرقي من ايطاليا نحو سنة ١٤٣٥ م وقيل بل سنة ١٤٥٦ وقلما يعرف عن زمان صبوته · وكان ابوه عاملاً في مشاقة الصوف وكان له خمسة اولاد ذكور وانثى واحدة وكان خريستوفورس اكبرهم عقلاً واشدهم ذكاءً ونباهةً · ولم يتح له الحظ بالحصول على نصيب وافر من التعليم خلا بضعة اشهر صرفها في كلية بافيار وما كاد يحرز شيئاً من العلوم حتى انشغف لبه

يتعاطاها متحملاً مشاقها بصبر غريب وثبات عجيب مقتفياً بذلك خطوات كثيرين من عائلته · وسار مرة في حملة لحرب فأصيب بجراح خطرة ذاق منها اشد العذاب وما كاد يبرأ منها حتى سار في بعثة بحرية للتفتيش عن بعض المراكب البندقية بالقرب من لسبون في اسبانيا فاشتعلت نار الحرب بين الفريقين واحترقت بعض المراكب ولحقت النار بمركب خريستوفورس فالتهمته وكان لحسن حظه يحسن السباحة فطرح نفسه في البحر وصار يصارع الامواج وظل على ذلك حتى قطع مسافة ثمانية فراسخ وبلغ الى البر سالماً فنظر واذا هو بر البرتوغال · ومشهور ان البرتوغاليين كانوا في ذلك الحين اكثر الناس مهارة في الفنون البحرية والاكتشافات الجيوغرافية · والتقى هناك باخيه برثلماوس كولمبس وكان عمر خريستوفورس آنئذٍ ثلاثين سنة · وبقي في البرتوغال من سنة ١٤٧٠ ــ ١٤٨٤ وفي غضون تلك المدة تعرف الى مارتن بيهام مخترع الكرة المشهورة التي فرغ من صنعها سنة ١٤٩٢ فرسم اوروبا واسيا على النصف الشرقي منها · وكان البرنس هنري البرتوغالي شديد الشغف وكثير المساعدة لكل ما يأول الى الاكتشاف · وتزوج خريستوفورس من ابنة احد قباطنته واسمه برسترالو واسم ابنته فيليبيا فسكن معها في بورتو سانتو من اعمال ماديرا وهناك تعرف الى عديله كوريو وهو رحالة مشهور فاستفاد كولمبس منه كثيراً ومن غيره من ذوي الاسفار ممن كان يعاشرهم ويجالسهم واضاف كل ذلك الى ما طالعه في المؤلفات المتعددة فأضحى من ابرع اهل زمانه في فن الجغرافيا وارتأى انه اذا كانت الارض مستديرة فلا بد من وجود يبس في القسم الغربي منها يوازي اليبس في قسمها الشرقي وجزم بانه يقدر ان يصل الى الهند اذا سار غرباً · وبدأ هذا الفكر يتقوى فيه حتى شغل باله واقلق افكاره فعول على خوض عباب المحيط لاستطلاع ما وراءه · وصار يستحث مواطنيه في جنوا وفينسيا على مناصرته فلم يعره احد انتباهاً او يعبأ بكلامه فقفل راجعاً الى البرتوغال

وكان على عرشها آنئذٍ الملك يوحنا الثاني وكانت له محبة خاصة لرجال الملاحة ورغبة عظيمة في توسيع نطاق علم سلك البحار فرفع كولمبس اليه تقريرا عن مشروعه سنة ١٤٨٤ فعرضه الملك على رجال البحرية عنده فأبوا تصديقه لانه كان ثابتاً في اعتقادهم بان عبور بحر الظلمات ضرب من المستحيلات · غير ان واحداً منهم حدثته نفسه والنفس امارة بالسوء ان يسابق كولمبس لنيل شرف الاكتشاف فاطلع الحكومة على قصده خاسة واستأذنها في ارسال سفينة الى الارض المنوي اكتشافها فكان نصيبه الفشل وحبوط المسعى اما الغلط الذي ارتكبه كولمبس ومشايعوه فليس هو من جهة هيئة الارض بل لجهة حجمها فكان يظن ان محيط الارض لم يكن اكثر من عشرة الى اثني عشر الف ميل واعتقد بانه اذا سار مسافة ثلاثة الاف ميل الى جهة الغرب فانه يصل الى الهند الشرقية وهذا غاية ما يرمي اليه

لا يغرب عن ذهن القارئ انه قبل زمان كولمبس كان ذوو العلم وواسعو الاطلاع يعتقدون بكون الارض كروية وان اوربا ليست سوى جزء منها · وفي سنة ١٢٦٠ سافر الاخوان نيكولا ومافيو بولو من فينسيا الى الصين وهما اول من قطع مسافة بعيدة كهذه من غربي اوروبا · ورجعا سنة ١٢٦٩ وبعد ذلك بسنتين اي سنة ١٢٧١ سافرا ثانية يصحبهما ابن نيكولو وعمره ١٧ سنة وهو ماركو بولو الشهير الذي وضع موءلفاً نفيساً عنوانه « عجائب العالم » وصف به رحلته الى الصين والشرق الاقصى والجنوب الشرقي من اسيا وعودته الى بلاده بحراً سنة ١٢٦٠ وصفاً علمياً شائقاً ويعد ذلك الموءلف من انفس موءلفات العالم من نوعه · ثم ان الرحالة السير جون ماندفل وضع موءلفه المشهور سنة ١٣٥٦ وهو اول موءلف انكليزي اوضح به موءلفه كروية الارض داعماً زعمه بحجج راهنة ولم يكن قد جاهر بذلك المبدأ حتى ذلك التاريخ

وكانت سعة الارض مجهولة ويظن الناس ان الاوقيانوس لا يمكن عبوره ولا معرفة ما وراءه ولذلك دعوه « بحر الظلمات » • غير ان كولمبس كان قد اطلع على الكتابات المار ذكرها واقتنع بكروية الارض وشاقه روءية ما قرأه في كتاب باولو عن البلاد الشرقية الجميلة وغناها وحاصلاتها وغير ذلك وكان على اتم يقين لجهة ما قرأه عن اوصافها فحنّ الى روءيتها رجاء الربح والغنيمة والشهرة

وسار كولمبس في سنة ١٤٨٥ او ١٤٨٦ الى اسبانيا وكان جالساً على عرشها آنئذٍ الملكة ايزابلا الشهيرة والملك فرديناند • بيد ان اسبانيا كانت آنئذٍ مشتبكة بحرب ضروس مع المغاربة في غرناطة فشغلتها تلك الحرب مدة عدة سنوات عن النظر في مشروع كولمبس • وفي طريقه الى اسبانيا مرّ بدير للرهبان الفرنسيسكانيين قرب مدينة بالوس اسمه دير ايدا وطلب من الرهبان ما يسد به الرمق مع ولده فاستقبله الرهبان ببشاشة ولما انس منهم ميلا اليه شرع يبث آراءه ويعرض مبادئه بين المتنورين منهم فلم يمض وقت طويل حتى اقتنع اهل الدير بكروية الارض وبوجود جزيرة مجهولة يمكن اكتشافها وزوده رئيس الدير واسمه مارشينا بكتاب توصية للملك الاسباني الذي كان آنئذٍ في كردوفا • وصرف كولمبس ست سنوات كان كل يوم منها في نظره جيلاً وهو يتحين فرصة لتقديم مشروعه للملك • ويظن انه في اثناء تلك السنين اوفد اخاه برثلماوس الى بلاد الانكليز مع عريضة للملك هنري السابع • ونجح كولمبس باستمالة العلامة اسكندر جيرالونيوس ورئيس اساقفة توليدو اليه فاعتصبا له وحاميا عن مشروعه واخيراً تمكن من تقديم مشروعه للملك يوحنا وكان آنئذٍ مع الملكة ورجال مجلسه في كردوفا كما تقدم فعمل ملك اسبانيا نفس ما عمله ملك البرتوغال اي انه جمع اشهر علماء مملكته في مدينة سلامانكا وفوض اليهم النظر في مشروع كولمبس فأجمع رأيهم على رفضه وتسفيه رأي كولمبس وكانوا لا يعتقدون بكروية الارض وزعموا انه

بموجب الكتب المقدسة يجب ان تكون الارض منبسطة لا مستديرة

وبعد انتهاء حرب غرناطــة توسط الموسيو سانتانجيل وغيره من الذين اعتقدوا بصحة راي كولمبس لدى الملكة ايزابلا فسمحت له ان يدخل الى ديوانهــا ويعرض مشروعه فدخل كولمبس الى حضرة الملكة وبــسط امامها اراءه التي بدت للملكة كانها ضرب من الجنون فصرفته فارغا من حضرتها فاستاء كولمبس من ذلك كثيراً ويئس من مساعدة اسبانيا له · ولكنــه لم يخر عزمه ولا فترت همته بل عزم على الشخوص الى فرنسا ليعرض على حكومتها نفس ما عرضه على البرتوغال واسبانيا وبينما هو يتأهب للسفر اذا برسول الملكة يدعوه بالذهاب اليها والمثول لديها ثانية فسري عنه واستبشر خيرا فلما صار بحضرة الملكة بسط امامها جليا اراءه فاقتنعت بصحتها وعقدت النية على مساعدته بكل ما في وسعها ولو اضطرها الامر الى بيع مصاغها وحليها في ذلك السبيل فكتب عهد انفاق بين الملكة ايزابلا وبين خريستوفورس كولمبس موءداه ان الاخير يتعهد بدفع الثمن من نفقات السفر وخزينة كاستيل تدفع البــاقي · وبلغ مجموع النفقات كلها ٥٠ الف ريال · واذا كلل مشروعه بالنجاح واكتشف الارض التي يسعى الى اكتشافها فانه يعين حاكماً عليها واميرالاً اعظم على البحر المحيط ومليكاً على الهند ويستولي على عشر مداخيل البلاد التي يكتشفها فاستدان من البانزون قيمة ما ناله من اكلاف تلك البعثــة · وتم الاتفاق المذكور بينه وبين الملكــة في شهر نيسان اوايار سنة ١٤٩٢

وسار خريستوفورس الى فرضة بالوس ليسافر منها · فلما شاع خبر تلك البــعثة خاف الناس واحجموا عن معاضدة المشروع فتمارض النجارون واقفل باعة الاخشاب حوانيتهم واختبأ الملاحون حتى خشي كولمبس حبوط مسعاه · غير ان الاب يوحنا بيرس وغيره ممن كانوا يستصوبون اراءه هبوا لــنصرته واخذوا يحثون الناس على معاضدته واقنعوا

النوتية بالسفر معه • وبعد تكبد اعظم المشقات تمكن من وجود ١٢٠ بحرياً للسير معــه في« بحر الظلمات » وتجهزت لديــه ثلاث سفن وهي « سانتــا ماريا » و«بنيتا» و«بينا» فجهزها بما يلزم من الموءن والعدة ثم اجتمع البحارة وصلوا وتناولوا القربان المقدس وودعوا ذويهم كأنهم مسافرون سفرا لا امل باللقاء بعده ونزلوا في السفن

وفي صباح يوم الجمعة ثالث شهر آب سنة ١٤٩٢ نشرت تلك السفن اشرعتها وسارت وباسم الله مجراها من ميناء بالوس واتجهت اولا جنوباً فوافقتها الريح مدة ثلاثة ايام ثم تعطلت السفينــة « نينا » فعرجوا على جزائر كناري لاجل ترميمها • واتفق ان بركان جزيرة تناريف كان هائجاً فتشاءم البحــارة من مرآه وندموا اشد الندم على تجشم ذلك الخطر فشرع كولمبس يزيل عنهم الخوف ويقرب لاذهانهم مااستطاع ان ذلك من الامور العادية في الطبيــعة وضرب لهم مثلا بركان يزوف في ايطاليا وبعد العناء الجزيل تمكن من استرضائهم فاقلعوا من جزائر كناري في سادس شهر ايلول وجعلوا مسيرهم الى جهة الغرب الصريح فدخلوا الاوقيــانوس الاتلانتيكي وهم جاهلون في اية جهة يسيرون وكان كولمبس يظن بانه سائر الى سيبــانغو والواقع انه كان سائراً الى جهات شمالي فلوردا وهو لا يدري ذلك

وفي تاسع شهر ايلول عاودت السفن مسيرها ووافقتها الريح فنظر كولمبس واذا هو في جهات يجهلها تماماً فأحس البحارة بعظم الخطر المحيق بهم وانقطع كل رجاء لهم بالعود الى اوطانهم فصار كولمبس يخفف عنهم تارة بالوعد واخرى بالوعيد • وفي ثالث عشر شهر ايلول لاحظ كولمبس بان ابرة الحك انحرفت عن نجم القطب خمس اوست درجات في نصف الليل بدلا من اتجاهــا نحوه وصار ذلك الانحراف يزيد تدريجا

وفي صباح الرابع عشر شاهدوا طيرين من الطيور التي قلما تبعد كثيراً عن البر

فانتعشت امالهم وحيي فيهم ميت الرجاء · غير انهم شاهدوا ليلاشهباً ساقطة فارهبتهم فعاودهم الخوف وساورهم الجزع وخيل لهم ان اجلهم قد دنا · وفي اليوم التالي اطمأنت قلوبهم اذ رأوا البحر مخضراً كأن على سطحه فراشاً من العشب الاخضر فتجددت آمالهم بالنجاة وما لبثوا ان عادوا الى التذمر والخوف وثاروا على كولمبس طالبين اليه ان يعود بهم والاّ قتلوه · فجعل يلطف حدتهم ويصرف غضبهم ويعدهم وعوداً مختلفةً حتى سكن روعهم · وما زال الحال كذلك بين هياجٍ وسكون ووعد ووعيد حتى يوم الجمعة ثاني عشر تشرين الاول سنة ١٤٩٢ اذ شاهد اليابسة رودريفو تريانا الذي كان كشافاً في مقدم السفينة «نينا» فصرخ البر البر فرددوا كلهم تلك الكلمة هاتفين البر البر والسرور يطفح على محياهم ودموع الفرح تتساقط من عيونهم واطلقوا طلقاً نارياً علامة لابتهاجهم · فلما دنوا من الشاطىء ارتدى كولمبس حلته القرمزية وحمل العلم الملوكي باحدى يديه والسيف مسلولاً بالاخرى ونزل مع رجاله الى البر والفرح مالىء افئدتهم وشرعوا يطربون ويعزفون على آلاتهم الموسيقية وحالما وطئت ارجلهم اليابسة اضحى كولمبس اميرالاً وحاكماً ومليكاً بموجب الاتفاق المار ذكره بينه وبين الملكة ايزابلا وعلم ان ذلك المكان هو جزيرة · فاخذ علم كاستيل الملوكي ونصبه هناك ودعا الجزيرة سان سلفادور على اسم المخلص وكان اسمها الاول جواناهاني · اما السكان الاصليون الذين كانوا عراة كالوحوش فلما شاهدوا أولئك الغرباء بألبستهم الحمراء ذعروا وفروا من امامهم فصار كولمبس ورجاله يسترضونهم فأقبل منهم جماعة ومعهم بعض الاعشاب العطرية فقدموها لكولمبس وهم مندهشون بهؤلاء الغرباء الزي وظنوهم قد سقطوا عليهم من عالم المجرة

وبعد قليل سكن روع اهل الجزيرة وافهموا الاسبانيين بالاشارات والرموز ان الجزيرة غاية في الخصب · وانه توجد عدة جزر غيرها فطاف كولمبس تلك الجزائر

الواحدة بعد الاخرى واذ رأى واحدة منها اكثر خصباً وجمالاً واتساعاً من الجميع سماها على اسم الملكةايزابلا . وسمى اخرى فردناندين وغيرها سانت ماري وغيرها غير ذلك وشاهد الاسبان اهل الجزيرة يلفون ورق نوع من النبات لفاً ثم يحرقونه ويدخنونه بافواههم فسموه تباغوس وهو التبغ المعروف وهذا كان اول عهدهم به واكتشفوا ايضاً القطن فانتفعوا منه كثيراً

وبمدة الثلاثة الاشهر التي اقامها كولمبس في العالم الجديد في سفرته الاولى اكتشف جزائر كونسبشن وكوبا وهايتي (هسبنيولا) التي اقاموا فيها للاستراحة ظانين انهم اكتشفوا الارض المطلوبة . واتفق ان احدى سفنهم سانتا ماريا بينما كانت سائرة من شاطىء الى آخر غمرتها الرمال فتعطلت فبنوا من اخشابها حصناً صغيراً وهو اول بناية شادتها يد اوروبية في العالم الجديد واقاموا فيه وسماه كولمبس حصن ناتفتي (الميلاد) وكان قد حدث تفاهم وأتلاف بينهم وبين الاهلين فصاروا يبادلونهم بعض الاشارات وبعض الالفاظ

وفي يوم الجمعة حادي عشر كانون الثاني سنة ١٤٩٣ اقلع كولمبس عائداً الى اسبانيا فأخذ معه بعض رجاله وترك البعض الآخر في الحصن . واخذ معه نفرا من سكان الجزيرة . وكانت تحف بعودتهم هذه المخاطر العظيمة لان النوء اشتد عليهم وتعاظمت الامواج التي كانت تصادم السفينة بعنف شديد وعصفت الزوابع حتى ايقنوا بالهلاك لا محالة . فكتب كولمبس تقريرا بما توقع له على رقٍ ولفه وطلاه بالقير وجعله في برميل والقاه في البحر . وكتب رقاً آخر وطلاه كالاول ووضعه في برميل وعلقه بالسفينة حتى اذا غرقت يعوم البرميل ويدل على مكانها ويشرح حكايتها وبينما هم في وسط ذلك الخطر شاهدوا براً فاقتربوا منه واذا هو جزيرة سانتا ماريا . وكان حاكمها برتوغالياً فهم بالقاء القبض عليهم ظلماً وعدواناً وحسداً من الاسبانيين لانهم فازوا بمشروعهم

ولولا حزم كولمبس واقدامه وفطنته لنالهم من ظلم البرتوغاليين اعظم مما قاسوه في الاوقيانس · وما زالوا في مسيرهم حتى بلغوا سواحل البرتوغال ومنها ساروا الى بالوس فوصلوها يوم الجمعة خامس عشر اذار سنة ١٤٩٣ وسكان بالوس لم يسمعوا شيئاً عن تلك البعثة منذ ترك كولمبس ميناءهم في ٣ آب سنة ١٤٩٢ وكانوا قد يئسوا من عودته مع بحارته فبكاهم اهلهم وذووهم ولبسوا عليهم اثواب الحداد غير انه لما وصلت السفينة طاروا فرحاً ولم يصدقوا انهم يرون اهلهم وذويهم فغصت الطرق والشرفات والسطوح بالناس الذين تألبوا ليشاهدوا المكتشفين الاشداء العائدين اليهم ولينثروا عليهم الازهار والرياحين · وبعد وصول كولمبس بقليل عزم على مقابلة الملك والملكة فسار الى برشلونه مع رجاله وبعض اهل الجزائر التي اكتشفها باحتفال عظيم وكان الناس يتقاطرون من القرى والبلاد المجاورة ويقفون على الطرق لمشاهدة كولمبس وتهنئته بما ناله من الفخر فلما وصل الى البلاط الملوكي لاقاه الملك فرديناند بترحاب جزيل وخلع عليه خلعة اعيان اسبانيا واجلسه في مجلسهم فتكلم كولمبس كلاماً كان له اشد تأثير في قلوب الملكين ورجال الدولة فخروا جميعهم وشكروا الله على انعاماته وآلائه

فاقتنع العامة والخاصة بصحة آراء كولمبس ولم يبق من ثمة اعتراض على مشروعه وصارت للجميع رغبة في الاستعمار فاعدوا ارسالية جديدة موءلفة من اربع عشرة سفينة شحنوها بالموءن والماشية وسائر اصناف الحبوب والحيوان وما يلزم من الرجال فأقلعت من فرضة بالوس في ٢٥ ايلول سنة ١٤٩٣ تحت امرة كولمبس ووجهتها العالم الجديد فوصلت الى هسبنيولا (هايتي) يوم الجمعة ثاني وعشرين تشرين الثاني وكان كولمبس ورجاله يوءملون بأنهم سيلاقون عند الشاطئ الجماعة الذين تركوهم فيها فنظروا واذا الارض بلقع ولا اثر فيها للسكان وما وجدوا سوى قطع بعض الجثث متبعثرة على الرمال فامعنوا فيها النظر واذا هي جثث بعض البحارة

الاسبانيين فذهلوا من ذلك كثيرا وشرعوا بالتأهب للدفاع عن نفوسهم وعلم كولمبس بعد ذلك ان سبب مقتل اولئك البحارة هو طمعهم بعد سفره بالمسير الى معادن الذهب واستغلالها لانفسهم فعلم بهم كبير الجزيرة وايقن انهم بالنظر لقلة عددهم لا يستطيعون عن انفسهم دفاعـاً فجاءهم ليلا على حين غرة مع رجاله فدخلوا الحصن وذبحوهم عن اخرهم واحرقوا مسكنهم

وشرع كولمبس من ذلك الحين في بناء البيوت والتحصن جيداً فبنى بلدة سماها ايزابلا وهي اول بلدة بنيت في العالم الجديد وارسل الى اسبانيا يستزيدهم موءناً وذخائر وجند عصبة من رجاله على هيئة عسكرية بطبول وزمور لارهاب الاهلين وتوغل بهم في الجزيرة مستكشفاً فبلغوا وادياً خصباً بالقرب من معادن سيبار فدعوه الوادي الملوكي فبنى كولمبس هناك حصناً سماه حصن القديس توما اودع فيه حاشيته وعاد يشق عباب اليم فاكتشف جاميكا وبورتوريكو وبعد قليل وصلهم من اسبانيا المدد كذلك جاء برتلماوس اخو كولمبس يحمل اليه كتاباً من الملكة وهو اول كتـاب نقل الى العـالم الجديد

اما الذين تركهم كولمبس في حصن القديس توما فانغمسوا في ملذات انفسهم وجعلوا يسيمون الاهلين خسفاً ويذيقونهم العذاب الواناً فتجمهروا الوفاً تحت زعامة رئيسهم وحاصروا الحصن وقتلوا عددا من رجال الحامية فعلم كولمبس بالامر واسرع الى نجدتهم فلما بلغ الحصن كان عدد الوطنيين ناهز المئة الف واما الاسبانيون فكانوا ٢٢٠ نفساً فسلم كولمبس قيادة رجاله الى اخيه برتلماوس واعتزل هو يصلي لله طالباً اليه النصرة والمعونة · فحمي وطيس القتال بين الطرفين وبعد برهة انتصر الاسبانيون انتصارا لم يكونوا يتوقعونه فعدوه معجزة سموها معجزة السهام والمكان الذي ركع فيه كولمبس للصلاة سموه الاكمة المقدسة

اما قائد حامية ذلك الحصن ففر الى اسبانيا وشرع يشي بكولمبس متهماً اياه بالظلم والاستبداد فلم يثق الملك بصحة كلامه بل اوفد من قبله مندوباً يتحرّى حقيقة الامر اسمه اوجيدا وكان مديوناً لكولمبس بامور كثيرة واحسان وافر ولكنه انكر الجميل شان الكثيرين الذين تخدرت ضمائرهم وماتت فيهم العواطف الانسانية وتواطأ هو والمدعي المذكور ومن والاهما من الاسبان والوطنيين على تثبيت الدعوى على كولمبس البريء

وفي عاشر شهر اذار سنة ١٤٩٦ ابحر كولمبس واوجيدا ومن معهما الى اسبانيا ولكن الريح كانت معاكسة فلم يصلوا الى منتصف الطريق قبل عشرين شهر ايار فقل زادهم وباتوا يتقلبون على فراش الطوى فثار البحارة وهموا بالقاء من كان معهم من سكان اميركا في البحر اما كولمبس فتحركت فيه محبة الانسانية فزجرهم وقال انه لايسمح بارتكاب تلك الجريمة فاما انهم يموتون جميعا او انهم ينجون كلهم فاذعنوا له . وفي حادي عشر شهر حزيران بلغت السفينتان ساحل اسبانيا

وما وقع نظر الملكة ايزابلا على كولمبس حتى نظرت آيات البساطة والنزاهة والاستقامة مرسومة على محياه فابت سماع وشاية به اوشكوى عليه واثبتت براءته وعرضت عليه لقب ماركيز او دوق ووهبته بقعة كبيرة من اراضي جزيرة هسبنيولا يختارها هو لنفسه . على ان اعداءه ما فتئوا ينمون به ويختلقون الوشايات ضده

وفي ٣٠ ايار سنة ١٤٩٨ ابتدأ كولمبس رحلته الثالثة الى اميركا وهو يقصد هذه المرة ليس اكتشاف الجزر فقط بل القارة برمتها . وفي ٣١ ايار بدا له جبل عال مثلث الشكل فدعاه باسم الثالوث تيمناً وتبركا . وفي خـــامس اب وصل مع من معه الى قارة اميركا عندمصب نهر الاورينوك واسم اول من وطأتها قدماه من الاسبانيين بييردي ترورُوس لان كولمبس عهد اليه بالقيادة موقتاً بسبب مرض اعتراه هو

وبعدقليل عاد كولمبس الى هسبنيولا فوجد الثورة قد حمي وطيسها بزعامة رولدان وكان برثلماوس كولمبس نائباً عن اخيه فسكن الامور وايد سلطة الاسبان غير انه لم يقوَ على اخماد تلك الثورة فأصر كولمبس على العودة الى اسبانيا لدفع التهم والوشايات عنه وبينما هو يهم بالمسير ادا باوجيدا وافاه مرسلا من قبل مجلس اسبانيا لمحاكمته فشق عليه ذلك كثيرا غير انه فوّض امره لله الذي لا تخفى عليه خفية · ثم انه نمي اليه ان رولدان الذي كان ثائرا ضده قد اخذ جانبه وهوسائر لرد اوجيدا على الاعقاب وما كاد يبلغه ذلك حتى طرق مسامعه ان بوديلا قد حضر وهو مفوض تفويضاً مطلقاً بمحاكمته ومقاصته فكان اول ما فعله بوديـــلا هو انه قبض على كولمبس وبرثلماوس واغلهما وسجن كلا منهما على حدة

فشق ذلك العمل المغاير ليس على كولمبس فقط بل ان الوطنيين الاصليين امتعضوا من ذلك وشعروا بان تلك المعاملة جائرة ومحض ظلم وعدوان اما كولمبس فاحتمل كل ذلك بالصبر الجميل والتسليم التام للعناية المدبرة الكل ولم يبد اقل تذمر · ثم ارسل مغلولاً الى اسبانيا فلما وصلها وعلم الملك والملكة بقدومه وبما انتــابه من العسف والجــور والقسوة امرا بحل قيوده و كتبا اليه يقولان «ان اثقال قيودك كانت عبأً ثقيلا على قلبينا» واحتفلا بالاعتذار اليه احتفالا عمومياً ثم دعته الملكة لمقابلة خصوصية استطاعته فيها كنه المسألة فاطلعها على الامر وما كاد ينتهي من حديثه حتى تسـاقطت الدموع من عينيهــا فكانت بلسم الجراح قلبه حتى انه نسي او تناسى كل ما انتابه من القسوة والجور

وعينت اسبانيا حاكما عاماً على هسبنيولا وسائر ما اكتشف من الاراضي رجلا اسمه اوفاندو اما كولمبس فعول على رحلة رابعة يدور بها حول الكرة الارضية بحيث يعود الى اسبــانيــا من حيث ابتدأ مسيره فابحر في ٢٥ ايار سنة ١٥٠٠ واصطحب معه اخويه فرديناند وادلنتادو فقصدوا اولا جهات هسبنيولا فوصلوها في ٢٥حزيران فاحب كولمبس

ان يستبدل سفينته باخف منها فارسل الى الحاكم اوفاندو يلتمس منه ذلك وان يأذن له بالاقامة هناك بضعة ايام ريثما تمر ايام نوء شعر بقرب حلولها فرفض طلبه بصورة غير لائقة فتلقى كولمبس ذلك الرفض ببشاشة وانطلق هو بنفسه الى اوفاندو اللئيم وافهمه بانه انما يبغي الاقامة هناك تربصاً الى ان ينقضي النوء القريب الحدوث فلم يعبأ بكلامه لان الطقس كان آنئذ صحواً فأمر كولمبس بمسير السفن فسارت وكان عددها ٣٤ سفينة فلم يطلع الصباح الا على ثمانية منها لان البقية غاصت الى اعماق الاوقيانوس وكان ذلك اوضح دليل على معرفة كولمبس ومهارته في فن الملاحة اذ كان قد سبق وانبأ بحدوث ما قد حدث

وتابع كولمبس سفره واكتشف اماكن كثيرة منها جزيرة ترينيداد وفي ١٧ اب سنة ١٥٠٢ بلغ الى ما بين قسمين القارة الاميركية الشمالي والجنوبي وهو لايدري ذلك وما زال ينتقل من شاطىء الى آخر ومن مينا الى غيرها حتى وصل الى بناما وكان يظن انه بمسيره غربا يصل الى البحر المحيط غير انه لم يجد طريقاً بحرياً اليه ٠ وقد مر بشاطىء البرزخ وهو لا يعلم ذلك ايضاً وكان النوء يتعاظم والسيول تنسكب حتى كاد ييأس من النجاة ٠ ولما هدأ النوء جاء بعض سكان ذلك المكان وهددوه ومن معه بالقتل وتجمهروا مئات والوفاً حتى لم يعد لكولمبس ورفقائه امل بالبقاء فنزل كولمبس الى البر وخاطبهم بقلب ثابت وجأش رابط بانه مرسل من الالهة ليقيم هناك الى ان يشاء وقال لهم ان الله اخبره بان القمر سيبدو احمر في تلك الليلة بعد شروقه ثم يظلم فتأثروا من اقواله ولكنهم لم يجزموا بصدقها حتى شاهدوا القمر يظلم بعد شروقه وهو الخسوف وكان كولمبس قد علم بزمن حدوثه من قبل فظن الاهلون ان كولمبس من اشباه الالهة لصدق نبوءته فقدموا له ما يحتاجه من المؤن ووعدوه بكل مساعدة ممكنة

ثم نمي الى كولمبس بان الملكة ايزابلا مصابة بمرض شديد فاحب مشاهدتها قبل

تصرم حبل حياتها ولا سيما ان آماله كلها كانت مرتبطة بوعودها • وفي ايابه صادفته مصاعب كثيرة في الطريق مثل تكسير معظم سفنه وانحراف صحته وغير ذلك • فواصل المسير على رغم كل ذلك غير انه من نكد طالعه قضت الملكة قبل وصوله • فشمله لذلك حزن شديد وبالاكثر لضياع اماله واتعابه على ان الملك فرديناند اكرمه واثنى على غيرته واجتهاده ولكنه لم يعده بشيء على سبيل المكافأة

فلما تحقق كولمبس حبوط اماله وضياع اتعابه وحقوقه فضلا عما لحق به من الاهانة وسوء المعاملة زهد في الحياة الدنيا وزاد ضعفاً ونحولا فلازم الفراش الى ان قضى نحبه في ١٩ ايار سنة ١٥٠٩ حزينا كئيباً كاسف البال في مدينة سيغوفيا • وقيل انهم نقلوا عظامه سنة ١٥١٤ الى سانتو دومينكو ودفنوها في كنيستها الكاثذرائية

هذا هو الرجل الذي خدم العالم خدمة لا تضاهى باكتشافه بلادا غدت ينبوع خير وفلاح • لكل امم الارض • وقد كان كولمبس تقياً ورعاً حسن العقيدة مقداما حازما وصبوراً على الشدة • رقيق الاحساس حاد الحواس عفيفاً معتدلا وانه ولئن مات وتوارى في الرمس الا ان ذكره لايموت بل سيدوم مخلدا دوام الارضين التي اكتشفها

والضرر الذي قد يكون اكبر ما لحق بكولمبس هو حرمانه من تسمية القارة التي اكتشفها باسمه كولمبيا فذلك الشرف انيط بمن هو اقل المكتشفين استحقاقاً اعني به اميركيوس فاسبوكسي الفلورنسي • ولد في ايطاليا في ٩ اذار سنة ١٤٥١ وكانت اكثر اقامته في اسبانيا والبرتوغال • وفي سنة ١٤٩٠ خاض عباب اليم مع رفقة له واكتشف اميركا الجنوبية عند جنوبي الاكوادور ولكن اكتشافه لم يكن على شيء من الاهمية • وقد سافر اميركيوس ثلاث مرات • وفي السفرة الثانية سنة ١٥٠١ وصل الى شواطيء البرازيل وتقدم جنوباً اكثر من كل من سبقه ويرجح انه وصل الى الجزيرة الواقعة في جنوبي فلوردا الى الدرجة ٥٤ عرضاً فنشر خبر رحلته هذه مطبوعاً سنة ١٥٠٤ في

اوغسبرغ من اعمال جرمانيا وكان هو اول من نشر شيئـا عن اكتشاف العالم الجديد فتداولت الايدي تلك المطبوعات وكلهـا كانت تحوي خبر اكتشـاف اميركا على يد اميركيوس فسموا العالم الجديد بـاسمه «اميركا» وحرم كولمبس من تلك الشهرة الى الابد

الفصل الخامس

اكتشافات الاسبانيين في اميركا

ان خبر اكتشاف اميركا الذي ذاع بسرعة فائقة قد حرك كل غربي اوربا لا سيما اسبـانيـا الى محبة التوسع في الاكتشـاف · واتقدت نار الغيرة على تجهيز الحملات وارسالها الواحدة تلو الاخرى الى القارة الاميركية· فلم تمر عشر سنين على موت كولمبس حتى استعمرت اهم جزر الهند الغربية· وفي سنة ١٥١٠ شاد الاسبانيون على برزخ داريان اول مستعمرة لهم · وبعد ذلك بثلاث سنوات اخبر الاهلون بالبوا الحاكم الاسباني بانه على بعد قليل منهم الى جهة الغرب يوجد اوقيـانوس اخر · فعبر البرزخ المذكور وصعد على مرتفع ونظر الاوقيانوس المحيط ولم يقف عند ذلك الحد بل سار فيه قليلا ثم شهر سيفه بكل اعتزاز وافتخار وعجب امتاز به الاسبانيون وامتلك الاوقيانوس الباسيفيكي باسم ملك اسبانيا

وفي غضون ذلك قام جوان بونس دي ليـون وهو احد الذين رافقـوا كولمبس بسفرته الثانية وجهز سفناً خاصة قصد الاستطلاع والاكتشاف وكان حصل على ثروة مدة وجوده حاكما على بورتوريكو وكانت قد فارقته قوة الشباب وحل به الوهن بسبب الشيخوخة · وكان اعتقاد شائعاً بين الاسبان بانه يوجد نبع في ضواحي باهاماس كل من يستحم فيه يعود اليـه شبابه · ففي سنة ١٥١٢ اقلع جوان دي ليون مع رفقة له من

بورتوريكو ومروا في طريقهم على سان سلفادور والجزر المجاورة . وفي ٢٧ اذار الواقع فيه عيد الفصح المجيد راوا برا مجهولا فظنوا انهم اكتشفوا جزيرة اجمل واخصب من كل ما اكتشف حتى الان وكانوا ينظرون احراجا تتماوج فيها الاشجار الخضراء الباسقة والاطيار الجميلة تغرد في اغصانها وازهاراً جميلة ونباتات عطرية الى غير ذلك مما يروق الناظر ويشرح الخاطر فدعوا ذلك البر الجديد فلوردا اي ارض الازهار اولا اكراماً للعيد الذي يطلقون عليه كنائسياً ذلك الاسم Pascua Florida وثانيا مناسبة لذلك المنظر الرائق الذي بدالهم

وبعد بضعة ايام نزلوا الى البر في الجهة التي بعد ذلك بنحو خمسين سنة بنيت فيها مدينة سانت اوغسطين وامتلكوا تلك الارض باسم ملك اسبانيا . وشرعوا بالتفتيش بكل اجتهاد على الينبوع الذي يعيد الشباب . فداروا جنوبا وتقدموا في تلك السواحل عدة فراسخ واطلقوا على كل ما رأوه اسم فلوردا واقلعوا عائدين الى بورتوريكو غير ان جان دي ليون لم يكن اصغر مما كان لما سافر منها

فكافأ ملك اسبانيا بونيس بتعيينه حاكما على ارض الازهار وفوض اليه انشاء مستعمرة هناك ايضا . غير ان بونيس لم يصل الى ولايته الجديدة الا سنة ١٥٢١ فوجد الهنود متألبين فيها وهم في اشد سورة الغضب وما وطأت اقدام الاسبانيين اراضي فلوردا حتى هجم عليهم الهنود واشتبك الفريقان بمعركة هائلة قتل فيها نفر من الاسبان والباقون التجأوا الى السفن . واصيب بونيس بجرح خطير من سهام احد الهنود فاحتملوه الى كوبا حيث قضى نحبه متأثرا من جرحه

وفي سنة ١٥١٧ اكتشف فرناندز كوردوفا يوكاتان ومضيق كابتسيتي . وبينما كان يجول مع رجاله على الشواطئ الشمالية هاجمهم الاهلون ونشبت بينهم موقعة جرح فيها جروحاً ذات بال . وفي السنة التالية اكتشف كريجالفا سواحل المكسيك . وسنة

١٥١٩ القى فرناندو كورتز مرساة اسطوله في مينا تاباسكو وباشر اكتشافاته المشهورة في بلاد المكسيك

ولما بلغ الوطنيين خبر مجيء الاسبان استولى عليهم الذعر فتألبوا مئات والوفاً وحملوا عليهم ليصدوهم عن التقدم في بلادهم ولكن الاسبان استظهروا عليهم وشتتوا شملهم فبعد ان اضحى مينا تاباسكو امينا من كل خطر سار كورتز غرباً الى فيرا كروز وهي فرضة تبعد عن عاصمة المكسيك ١٨٠ ميلا الى الجنوب الشرقي وهناك التقى بسفراء مونتزوما امبراطور البلاد فهددوه بالفتك به اذا كان يبغي التقدم الى الداخلية فاجابهم ان ذلك جل ما يبتغي وان له في البلاد شغلا مهما ويريد مقابلة الامبراطور نفسه

وكل محاولات سفراء مونتزوما ليثبطوا عزم كورتز عن التقدم الى الداخلية ذهبت ادراج الرياح فقدموا له هدايا ثمينة ورجعوا الى مولاهم المضطرب خوفاً واخبروه بما كان فارجعهم مونتزوما بهدايا انفس واثمن من الاولى لكي يرجوا كورتز الا يتقدم اكثر · فلما سمع كورتز مقالهم ثار ثائره وبلغ منه النزق اشده فامر باحراق سفنه خلفه وبالزحف على العاصمة فاوفد مونتزوما رسلا يحذرونه شر المغبة اذا هو اصر على دخول المدينة اما الاسبان فلم يحفلو بكلامهم بل تابعوا مسيرهم نحوها وانتقض الاهلون الذين يدفعون الجزية الى مونتزوما عليه وعاهدوا الاسبان وساعدوهم ما استطاعوا وما زالوا يتقدمون حتى بلغوا المدينة ولم يدر مونتزوما ماذا يفعل وضاقت دونه سبل النجاة وعزم على الاحتفاء بالفاتحين الاعداء على رغمه وفي صباح ثامن تشرين الثاني سنة ١٥١٩ دخل الفاتحون العاصمة ونزلوا في المحلة القائم عليها هيكل ازتك اله الحرب

وكان الفصل شتاء فتربص كورتز في المدينة مدة شهر دون ان يفعل شيئاً فكان يجول مع رجاله في كل المدينة وبلا معارض او مقاوم بل سمح له بان يفحص المذابح المقدسة

التي كانت تصعد عليها في كل يوم القرابين البشرية لآلهة المكسيك فتعرف في اثناء ذلك بجميع مواقع الدفاع عن المدينة وحصونها وطرق الحرب هجوما ودفاعاً المتبعة عند سكان البلاد · ووجد في كل جانب من جوانب البلد مستودعات كبيرة للذخيرة وكنوزا من الذهب والفضة · ومما وجه اليه اهتماما خاصاً دور الاسلحة المملوءة بالاقواس والمزاريق غير انه بعد قليل اضحى موقفه حرجاً جداً رغما عما كان يحف به من الجلال والهيبة ووفرة المعدات وذلك لان الاهلين المحيطين به تعرفوا الى رجاله وادركوا حقيقة امرهم وتيقنوا انهم ليسوا بازليين كما توهموهم قبلا وصاروا يدمدمون بينهم كانهم يريدون الانقضاض على الاسبان واهلاكهم باقل من لمح البصر بيد ان الجنرال الاسباني اظهر شجاعة فائقة ورباطة جأش فقبض على مونتزوما واعتقله كرهن لا يفك الا بفدية معينة وله في ذلك عذر مقبول لان حاكم المقاطعة المجاورة لفيراكروزا هاجم برجاله الاسبان فيها وان مونتزوما نفسه اظهر عداوة وخيانة للاسبانيين بينما كانوا زاحفين على المدينة فلما صار الامبراطور في قبضة كورتز اجبره بان يعترف بكونه تحت سلطة ملك اسبانيا وبان يدفع له غرامة قدرها ستة ملايين و ٣٠٠ الف ريال وجزية سنوية معينة بعد ذلك

وفي تلك الاثناء رعت ديدان الحسد قلب فيلاسكويز حاكم كوبا من كورتز وشهرته ونجاحه فاوفد حملة بقيادة بمفيلو دي نارفيز الذي عين بعدئذ حاكما على فلوردا ليحرمه ثمار اتعابه وكان عدد رجال تلك الحملة الفاً ومئتين من خيرة الجنود المدربة ومعهم الف هندي بين خدام وادلاء · ولما نمي الى كورتز خبر ذلك عقد النية انه سيدافع عن حوزته حتى النفس الاخير فابقى احد قواده المسمى الفارادو في المدينة على ١٤٠ رجلا وانسحب هو منها مع بقية الجنود الذين لم يتجاوز عددهم المئتين وذهب لمناجزة خصومه في الميناء الذي سيصله مع رجاله · وفي ليل ٢٦ ايار سنة ١٥٢٠ بينما كانت جنود بمفيلا نائمة في مضاربها قرب فيراكروز اندفع عليهم كورتز برجاله

وهاجمهم بغتة وقبل ان ينتبهوا او يعلموا شيئاً من امر تلك المباغتة اجبرهم كلهم على التسليم له والدخول في طاعته فازدادت بذلك قوته ستة اضعاف وسار بكل تلك القوة الى العاصمة ٠

وفي غضون غياب كورتز تحفز الوطنيون للقتال وبدت عليهم علائم الغدر للاسبان اما الفارادو اما خوفاً من ثورة الاهلين واما لمجرد قسوة وغلاظة هاجم الوطنيين بينما كانوا يحتفلون بعيد عظيم عندهم وذبح خمس مئة من الزعماء والكهنة ٠ فثار ثائر الاهلين على الاسبان وهبوا كرجل واحد وحصروا القصر الذي كان يقيم به الفارادو مع رجاله وضايقوهم واذا بكورتز مع جيشه الجديد دخلوا المدينة دون اقل مقاومة وانضموا الى الفارادو ٠ اما المكسيكان فكان قد نفذ صبرهم واشتعلت فيهم نار المحبة والانتقام ولم يعودوا يرهبون سطوة الاجانب فاشتبك الاثنان بحرب طاحنة وقتل عشرات الالوف من الوطنيين وسقط عدد من الاسبان قتلى ايضاً واستمرت المناوشات في المدينة وما جاورها عدة اشهر واضحى مركز الاسبانيين حرجاً للغاية

ولكي يتخلص كورتز من تلك الورطة اقترف جريمة ضد الانسانية والمدنية اشد هولا واكثر قسوة من الاولى ٠ فانه اجبر مونتزوما ان يصعد الى سطح القصر وينادي بقومه ان يخلدوا الى السكينة ويطيعوا الاسبان ففعل وحدث على اثر ذلك سكوت كامل حينا قصيرا عقبه ضجيج السخط والحنق ثم رمى الاهلون ملكهم بالسهام فجرحوه وبعد ايام مات بصورة محزنة وشن الوطنيون الغارة على الاسبان حتى اضطر كورتز الى مغادرة المدينة وبعد زمن قليل نشبت بين الفريقين معركة هائلة كان النصر فيها للاسبان وغنموا علم المكسيكيين المقدس ولعبت ايدي التفريق بالاهليين فنزحوا الى جهات مختلفة ٠ وفي كانون الاول سنة ١٥٢٠ عاد كورتز وزحف الى العاصمة وحاصرها حتى شهر اب من السنة الثانية فسلمت له ٠ وهكذا بادت مملكة منتزوما واصبحت

المكسيك تابعة لاسبانيا

واعظم عمل دال على شجاعة واقدام جرى في بداية الجيل السادس عشر وهو حري بالفكر والانتباه ما فعله القبطان فرديناند مجلان البرتوغالي الاصل فانه عقد النية على اكتشاف طريق يؤدي الى اسيا ليس من الشمال الغربي بل من الجنوب الغربي الامر الذي لم يقدم عليه احد قبله فطلب الى ملك البرتوغال ان يمده بسفن ورجال لتحقيق امنيته فقابل الملك طلبه ببرودة ولم يبد منه ما يزيد ذلك الشجاع اقداما على العمل فتأثر مجلان من ذلك وترك رعويته البرتوغالية والتجأ الى اسبانيا التي اصبحت ملجأ يقصده الربابنة ملوك الامواج وعرض مشروعه على شارل الخامس الذي اغتنم تلك الفرصة السانحة وامر بتجهيز اسطول مؤلف من خمس سفن وما يريد من البحارة على نفقة الشعب العمومية

فاقلع مجلان من مينا سيفل في شهر آب سنة ١٥١٩ وسار جنوبا قاطعاً خط الاعتدال حتى وصل الى شواطيء اميركا الجنوبية وصرف فصل الخريف بالتفتيش رجاء ان يهتدي الى بوغاز او مضيق يوصله غرباً الى الاوقيانوس الذي اكتشفه بالوبا منذ ست سنوات خلت . فلم يفز اولا بما كان يرتجي وصرف فصل الشتاء الذي كان صيفاً على ذلك الجانب من خط الاستواء في بعض شواطيء البرازيل وبعد ذلك استأنف سيره جنوبا الى ان اكتشف المضيق المدعو باسمه حتى اليوم فلما عبره وجد نفسه في مياه الاوقيانوس وتلك هي ضالته المنشودة فكان الجو رائقا والطقس معتدلا والبحر هادئاً فدعيت تلك المياه المكتشفة حديثاً الاوقيانوس الباسيفيك

وداوم مجلان سيره نحو اربعة اشهر تضايق في اثنائها من قلة اوعدم الطعام والشراب وفي شهر آذار سنة ١٥٢٠ مر بجموع جزائر دعيت لادرونز وهي واقعة في منتصف الطريق بين اوستراليا واليابان وتابع مسيره غربا فاكتشف جزائر الفلبين وفيها قتل

بمعركة مع الاهلين ٠وكان اسطوله يبعد عن الصين اقل من ٤٠٠ ميل يسهل السير فيها فانتخب البحارة لهم قبطاناً بدلا من مجلان وواصلوا الابحار عن طريق ملقا حيث شحنوا سفنهم بالبهارات ليبيعوها في غربي اوربا ٠ ثم لم يعد صالحاً للسير من كل سفنهم سوى واحدة اسمها فكتوريا نزل فيها جميع البحارة وعادوا الى اوطانهم عن طريق الرجا الصالح فوصلوا الى اسبانيا في ١٧ ايلول سنة ١٥٢٢ ٠والطوفان حول الارض الذي كان يظن ممكنا صار الآن حقيقة ثابتة لا يشوبها ارتياب فاستغرقت تلك السفرة ثلاث سنوات و٢٨ يوما ٠ والسفينة فكتوريا اول سفينة دارت حول العالم الى شواطيء اميركا

والرحلة الاخرى الحرية بالذكر هي رحلة لوكاس فاسكوبز دي ايلون الذي كان قاضيا في سان دومنيكو وحصل على ثروة وافرة ٠ فعقد لوكاس شركة بينه وبين ستة من كبار الاغنياء للنخاسة فيختطفون العبيد ويبيعونهم بالمزاد العمومي في اوروبا واعدوا لذلك سفينتين وتولى لوكاس الزعامة فابحرت السفينتان تمخران في عباب اليم ولما قاربتا الوصول الى المكان المقصود حدث نوء قذفهما نحو ١٥٠ فرسخا الى الشمال فصارتا مقابل شواطيء كارولينا الجنوبية ودخلتا مضيق سانتا هلينا ورمتا مرساتيهما في مصب نهر كامباهي فاطلقوا على تلك الارض اسم خيكورا وسموا النهر نهر الاردن فلما رآهم الاهلون ذعروا ونفروا منهم ولكنهم ما لبثوا ان استأنسوا اليهم وصاروا ينفحونهم بالهدايا ويعاملونهم بكل بشاشة ويدخلون السفينتين ويتفرجون على مافيهما ٠ وحدث مرة انه لما كانت السفينتان مملوءتين بالمتفرجين من الوطنيين اغتنم لوكاس الفرصة واقلع بهم وما ساروا بضعة ايام حتى هبت ريح زعزع اغرقت احدى السفينتين فكان الموت رحمة لاولئك الارقاء لشدة ماكانوا يقاسون من غلاظة آسريهم ٠ ثم وصلت السفينة الى اسبانيا فذهب لوكاس توا الى الملك شارل الخامس وقص عليه خبر اكتشافه الجديد

فكافأه الملك بان جعله حاكما على خيكوا آذناً له في الافتتاح · فسار الى ولايته الجديدة سنة ١٥٢٥ ولكنه وجد سعير العداوة والبغضاء مضطرماً بين الاهلين فغرقت احسن سفنه في مدخل نهر الاردن وانقض عليه الهنود طالبين الانتقام فقتلوا عددا من رجاله وفر الباقون لايلوون على شيء فرحين بخلاصهم من الموت واما لوكاس فنجا بنفسه وعاد الى سان دومنيكو بعد ان ذاق امر العذاب والتحقير وهكذا انتهت محاولة استرقاق الهنود الاولى

وفي سنة ١٥٢٦ عين الملك شارل الخاص بمفيلودي نارفاد الناقص الادراك حاكما على فلوردا مع الترخيص له بالتوسع والاكتشاف فوصل الى مضيق تامبا في شهر نيسان سنة ١٥٢٨ يصحبه ٢٦٠ جندياًواربعون فارساً · اما الاهلون فكانوا على حذر دائم منهم ورغبوا في التخلص من سلطتهم فصاروا يجمعون متاعهم وحليهم ويهاجرون شمالا · اما الاسبانيون فكانوا متعطشين الى الغنيمة وتائقين الى ملء جيوبهم من الذهب والمعادن الثمينة فانتشروا في تلك البقاع آملين ان يجدوا مدناً زاهرة وبيوتاً عامرة ولكنهم لم يجدوا سوى الاحراج المملوءة بالاشواك والمستنقعات الفائضة بالجراثيم المرضية فوصلوا الى نهر وذلاكوشي وعبروه سابحين فافضوالى قرية صغيرة فيها اربعون كوخاً صغيرا فكانت هي تلك المدينة العظمى التي قادهم اليها روادهم فعضهم الجوع بنابه واخذ منهم التعب والاعياء كل مأخذ فهاموا ثانية في الاحراج فلم يجدوا غير الهشيم والاشواك ولم يسمعوا سوى صياح المتوحشين حتى بلغوا الى شاطيء البحر الى مينا سانت مارك وكانوا يتوقعون ان يجدوا سفنهم هناك ولكنهم لم يجدوا شيئا فقطعوا اخشابا وصنعوا منها ارماثا وسيروها في المياه آملين ان يهتدوا الى المستعمرة الاسبانية في المكسيك على انهم ضلوا سبيلهم فقذفتهم الامواج وغاصوا في اعماق اليم ثم قذفتهم الى الشاطيء ثانية فمنهم من مات غرقا ومنهم من قتل بايدي الهنود ومنهم من تاه في الاحراج فمات جوعاً ويأساً

حتى لم يبق منهم سوى اربعـة نقلوا الى مدينة المكسيك والسنتهم قـاصرة عن وصف الاهوال والمخاطر التي داهمتهم ٠

ومع كل ذلك لم يخر عزم الاسبانيين بل ظلوا جادين وراء الاكتشافات الجديدة ففي سنة ١٥٣٧ شرعوا باكتشاف جديد يمتاز عن كل ما سبقه بحسن بدايته وشؤم نهايته وبطل تلك الحادثة فرديناند دي سوتو من مدينة كسيرس كان فضلا عن شريف محتده اقرب المقربين وخير الاصدقاء لبيزارو وفي هذه الاثنـاء رجع بيرو بثروة طـائلة وكان واسع الشهرة في اسبانيا ورفيع المقام حتى ان الملك كان يتمنى قضاء حاجة له فطلب اليه ان يعينه حـاكما على كوبا وفلوردا مع الترخيص له ان يتوسع بالاستعمار في الاخيرة فاجاب ملتمسه بطيبة خاطر فانضم اليه جمهور كبير من شبان اسبانيا وجلهم من ابناء النبلاء فانتخب ستة الاف من اوفرهم غنى واكثرهم شجاعة وكانت ملابسهم افخر اللباس العسكري على زي الفرسان وقامت الاستعدادات لتلك السفرة مما لم يسبق له نظير فاعدوا كميـات وافرة من السلاح والذخيرة والسلاسل والقيود لوثاق العبيد واوراق لعب وغيرها لاجل التلهي واثني عشر كاهنا للخدم الدينية وفوق ذلك قطيعاً من الخنازير ليعلفوها ويسمنوها في مراعي العالم الجديد الخصبة

وبعد سنة اكتملت المعدات وصار كل شيء جاهزا للسفر فكان عدد السفن عشرا تامة المعدات فاقلعت من مينا سان لوكار وسارت بمن فيها وكلهم ذاهبون لافتتاح ممالك في العالم الجديد فوصل ذلك الاسطول الى هـافانا وكانت الحماسة ضاربة في رؤوس القوم اضعاف ما كانت عليه وهم في اسبانيـا فترك دي سوتو امرأته تتولى الاحكام في كوبا مدة غيابه وواصل الاسطول السير مدة اسبوعين الى ان رسا في خليج تامبا ٠ وكان ذلك في اوائل شهر حزيران سنة ١٥٣٩ وكان قد انضم الى الاسبانيين عدد من اهـالي كوبا فلما نظروا قحل تلك الاراضي والاحراج العقيمة في تلك الانحاء اعتراهم اليأس

والقنوط فعادوا الى وطنهم · اما دي سوتو وفرسانه فاحتقروا تلك الجبانة وتوغلوا في الداخلية وساروا شمالاً مدة ثلاثة اشهر اي تموز وآب وايلول مارين بغمقات وجداول وكانوا يتحاربون الهنود · وفي تشرين الاول بلغوا ارض الاباشيان الواقعة الى الضفة اليسرى من نهر فلت وعزموا على تمضية فصل الشتاء فيها وصرفوا اربعة اشهر كانوا في اثنائها يرسلون نفرا الى جهات مختلفة للاستكشاف فالبعض من اولئك الرواد وصل الى خليج بنساكولا وارتأوا ان نرسل المؤن اليه من كوبا في غضون الصيف المقبل

وفي اوائل فصل الربيع ترك الاسبانيون مشتاهم وواصلوا سيرهم شمالاً وشرقاً وقد اعلمهم دليلهم الهندي انه يوجد في تلك الارجاء مملكة مكتظة بالسكان تحكمها امرأة وان تلك الارض ملأى بالذهب وكان هنالك اسباني من رجال نارفيز وقع اسيرا بيد الهنود فأنكر صحة الخبر بيد ان دي سوتو قال اما انه يغنم الكنوز الذهبية او يرى الفقر بام عينه وسار مع رجاله متوغلين في تلك الاجام وفي نيسان سنة ١٥٤٠ وصلوا الى نهر اوغشي حيثما تربصوا ردحاً من الزمن وهناك جن الهندي دليلهم · ولما حاول الكهنة اخراج الروح النجس منه كافأ احسانهم بان اتاهم وسائر من معهم في تلك الغياض المجهولة · وفي اول ايار بلغوا كارولينا الجنوبية وصاروا على بعد نحو يومين عن المكان الذي خسر دي ايلون فيه سفنه ورجاله اي مصب نهر الاردن ثم اتجهوا نحو الغرب اما ان دي سوتو ومن معه قطعوا الجبال ودخلوا كارولينا الشمالية وتناسي فلم يقم عليه دليل والارجح انهم ساروا في شمالي جيورجيا الى ان بلغوا اسفل الاباما وعند مصب نهري الاباما وتومبكبي وجدوا مدينة حصينة للهنود تدعى موفل او موبيل وهناك اشتبكوا مع الهنود بموقعة هائلة فاحترقت المدينة وهلك من الهنود ٢٥٠٠ قتلا وحرقاً وقتل من رجال دي سوتو ١٨ وجرح ١٥٠ وخسر الاسبانيون

٨٠ جواداً وكل امتعتهم

وفي تلك الاثناء كانت قد وصلت سفن الاسبان التي تنقل الزاد والذخيرة الى بنساكولا غير ان دي سوتو ورجاله انفوا من طلب النجدة مع انهم كانوا في مسيس الحاجة اليها بل انهم اخفوا محل وجودهم عن رفقائهم في السفن · وساروا شمالاً وكانت الاراضي قاحلة جرداء فصارت حالتهم تنتقل من سيء الى اسوأ · وفي منتصف شهر كانون الاول وصلوا اراضي تشيكاساس في شمالي مسيسبي فعبروا نهر يازون وكان الطقس بارداً جداً وتراكمت الثلوج تلالاً فبات الاسبان بين ويلين عظيمين البرد القارص والجوع المهلك · ثم قادهم حسن الطالع الى بعض حقول مزروعة ذرة لم تحصد بعد فوجدوا ما يسدون به الرمق ثم بلغوا قرية مهجورة للهنود فوعدوهم بان يعطوهم ملجأ فيها مدة ذلك الشتاء فاقاموا هنــاك حتى شهر شباط سنة ١٥٤١ وبينما كانوا نــائمين في احدى الليالي عند منتصف الليل قام ضجيج الهنود فهاجموا الاسبان واحرقوا القريــة واحاطوا بها عازمين ان لا يدعوا احداً من اولئك الغرباء يفر من ايديهم غير ان سلاح الاسبانيين الحاد ودربتهم الحربية دفعا عنهم ذلك الكارث ونجا دي سوتو ورجاله من الهلاك ايضاً

وبعد ان جمع الاسبانيون ما قدروا على جمعه من القوت والكساء واصلوا السير في اوائل الربيع واتجهوا غرباً تهديهم الادلاء فجــاءوا الى مسيسبي واول مــا وقعت عيون الجنس الابيض على نهرها العظيم كان من على جرف تشيكاسو الواقع على بعد قليل من الشمال من درجة ٣٤ فجاء الهنود بقواربهم وطلبوا ان ينقلوا الاسبان الى الجهة الاخرى من النهر غير انه تعذر عليهم نقل الخيول فاضطروا الى بناء قوارب خصوصية لنقلها فلم يعبروا النهر حتى اواخر شهر ايار

فاصبح دي سوتو ورجاله في اراضي داكوتا وساروا في جهة الشمال الشرقي وجــاءوا

الى اراضي ملأى بالفواكه البرية مما يجعل المعيشة فيها سهلة وكان اهلوها ليني العريكة ومتدينين وفي بعض الاماكن اوشكوا ان يقدموا العبادة لفرسان الاسبان لظنهم انهم ابناء الآلهة ولكن دي سوتو كان تقياً فمنعهم من ذلك · وواصل الاسبان سيرهم حتى وصلوا الى نهر سانت فرنسيس فعبروه وامتلكوا حدود مزوري الجنوبيـــة في ضواحي مدريد الجديدة · ثم عاودوا سيرهم غرباً مسافة ٢٠٠ ميل وداروا جنوباً الى الينابيع الحارة في ضواحي نهر وشيتا وعلى ضفاف ذلك النهر في بلدة اتيامكو صرفوا شتآء سنـــة ١٥٤١ — ٤٢ وكان الهنود في تلك الاصقاع اقل توحشاً من هنود مسيسبي ولكن مدينتهم لم تدفع عنهم فتك الاسبان بهم وتجرد الاسبانيون عن كل عدل ورأفة وماتت في قلوبهم عواطف الرحمة والحنان فكانوا يحرقون قرى الهنود المساكين ويبتروا اعضاء اولئك المنكودي الحظ لمجرد التسلية وكم احرقوا منهم عشرات ومئات احياء وقد حفظ التاريخ بين دفتيه لاولئك الاسبان ذكرا سيئا لايمحوه كرور الايام وتوالي الاعوام

واخيرا تولى الضجر رجـــال دي سوتو فجعلـــوا وجهتهم البحر وعبروا في ملتقى نهر وشيتا بالنهر الاحمر الى مسيسبي في نواحي ناتشيز واصبح دي سوتو خائر القوى منقبض الصدر وحزين الروح لان فرســـانه شمخوا بـــانوفهم عليه ومرروا عيشه اذ اصيبوا كلهم بالماليخوليا فاصابته حمى خبيثة قضت عليه فوضع في نعش حقير وصلى عليه الكهنة وعند منتصف الليل انزلوه بقارب واغرقوه في قعر نهر مسيسبي · وهكذا انتهت حياة فرديناند دي سوتو بدفنه في ذلك النهر العظيم الذي سيرافق اسمه الى ما شاء الله

وقبل ان تدرك الوفاة دي سوتو عين الموسيو موسكوسو خلفا له وتحت قيادة هذا الحاكم الجديد سار بقية رجال دي سوتو جياعاً عراة تعـــابى يفتشون عن طريق تؤدي الى المكسيك وجعلوا وجهتهم الغرب ايضا فاجتازوا الى ضواحي النهر الاحمر على حدود تكساس ثم داروا شمالا الى مقاطعتي بونيز وكومانشيز وتحملوا مشقـــات كثيرة من

متوحشي تلك النواحي وبعد تيههم ومقاساتهم اشد الاهوال عادوا الى مسيسبي ثانية في شهر كانون الاول سنة ١٥٤٢ ٠ فابتنوا قوارب وساروا في النهر الى الخليج ٠ فشرعوا بابتناء قوارب كبيرة فكسروا اصفاد الاسرى لاجل الحصول على حديد وقطعوا اخشاباً من الغابات فتم لهم اخيراً ابتناء سبع سفن من نوع البرليجانتين و كرسوها واقتضى ذلك العمل من كانون الثاني سنة ١٥٤٣ الى تموز من السنة عينها ٠ ونهبوا الهنود القاطنين في تلك الاماكن للحصول على زاد لسفرهم ٠ وفي ثاني تموز دخل الاسبانيون سفنهم الجديدة وساروا نحو البحر وكانوا بعيدين عنه نحو ٥٠٠ ميل ويقتضي لقطع تلك المسافة ١٧ يوما فلما وصلوا الى خليج المكسيك ساروا الى الجنوب الغربي وبقوا قريبين من الشاطىء قدر الاستطاعة وبعد ٥٥ يوما ذاقوا فيها من الاخطار والاهوال مالا يوصف بلغوا مستعمرة نهر بامز وهم على آخر رمق من الاعياء والجوع والضنك وتلك كانت نهاية اغرب اكتشاف جرى في اوائل تاريخ العالم الجديد

ومحاولة الاسبان استعمار فلوردا ثانية جرت سنة ١٥٦٥ وفوض ذلك الى بادرو ملنديز وكان جنديا كثير المغازي ووحشي الطباع ٠ ولما القى اليه الملك فيليب الثاني مقاليد زعامة البعثة كان محكوما عليه بدفع غرامة باهظة جزاء ذنب اقترفه ٠ وتضمنت شروط المقاولة بين الملك وملنديز ان الثاني يعهد بانه بمدة ثلاث سنوات يرود شواطيء فلوريدا ويفتتح البلاد ويجعل منها قسما صالحا للاستعمار ويسكن فيه لا اقل من ٥٠٠ شخص بينهم مئة رجل متزوجون ويأخذ هو مقابل اتعابه مساحة ٢٢٥ ميلا مربعاً من الاراضي المجاورة لتلك المستعمرة ويتناول الفا ريال مرتبا سنويا ٠ فاجتمع لديه ٢٥٠٠ نسمة و كلهم على اتم استعداد لمرافقته الى المستعمرة الجديدة ٠ فاقلعت السفن التي تقلهم من مياه اسبانيا في تموز وبلغت بورتوريكو في اوائل شهر آب وفي ٢٨ منه وصلوا الى فلوريدا ٠ ومما يذكر ان ملنديز كان قصده الاول من تلك السفرة مهاجمة المستعمرة

الافرنسية وابادة البروتستانت «١» الذين فيها من شيعة الهوغنوتس وهي واقعة على بعد ٣٥ ميلا فوق مصب نهر سانت جان وتلك الاماكن كانت اسبانيا تدعي السلطة عليها . ولاح لفالنديز انه اذا هاجم اولئك المساكين باسم الوطن والدين ونكل فيهم تنكيلا يبيض ما سود من صفحات ماضيه ويرضى عنه الراي العام في بلاده وجعل دم اولئك الابرياء كفارة عن شروره وكبائره . وكان حزب الكاثوليك في بلاط فرنسا سبق وسأل حكومة اسبانيا عن مقر اتباع شيعة الهوغنوتس وبذلك اهتدى فالنديز الى مقرهم وعمل على اهلاكهم

ولما وقعت عيون الاسبان على برفلويدا كانوا فقاعندهم يوم عيد القديس اوغسطينوس ولكنهم لم ينزلوا الى البر حتى ثاني ايلول فدعوا ذلك المرفأ الواسع والجدول الذي يصب فيه من جهة الجنوب باسم القديس اوغسطينوس . وفي ثاني شهر ايلول سنة ١٥٦٥ نادوا بفيليب الثاني ملكا على كل اميركا الشمالية واقام القسوس احتفالا دينيا باهرا بمناسبة ذلك وهناك على مرای من الاحراج والجلد والاوقيانوس وضع حجر اساس اقدم مدينة في الولايات المتحدة اي مدينة سانت اوغسطين وذلك قبل ان يؤسس انطونيو دي اسبايغو مدينة سانتا فه بسبع عشرة سنة وقبل استعمار جيمس تون باثنتين واربعين سنة

ولما صارت المدينة على شيء من المنعة وجه فالنديز التفاته نحو الهوغنوتس الذين علموا بانهم سيهاجمون ولكنهم ظنوا ان سفن الاسبان تسير في نهر سانت جان ويجري الهجوم من تلك الجهة وعلموا انه سيترتب عليهم اما الكفاح والذود واما تجرع كأس المنون . فاقلعت كل السفن الافرنسية عدا اثنتين تقل عددا وافرا من الافرنسيس وسارت في

«١» كان البروتستانت مضطهدين في فرنسا فهاجر قوم منهم سنة ١٥٩٢ الى العالم الجديد حيث كونوا مستعمرة ثانية فيه

البحر تكتشف حركة الاسبان فحدث نوء عظيم حطمها ولكن اكثر من فيها نجوا الى اليابسة فوق مصب نهر سان جان · وكان مالنديز في تلك الاثناء قد جمع قواته في مدينة سانت اوغسطين وتوغلوا في الاحراج وهاجموا الافرنسيين على حين غرة واعملوا السيف في رقابهم رجالا ونساء واولادا فقتلوا منهم مئتين وهرب الباقون الى الغابات وفي جملتهم زعيمهم لودنير ثم بلغوا شاطيء البحر ودخلوا سفينتين من سفنهم كانتا قد نجتا من الانكسار

وبعد ذلك هم مالنديز بطلب من كان في السفن الافرنسية التي تحطمت فلما عرف مقرهم اغراهم بالوعود الكثيرة فسلموا له فارسلهم بالقوارب الى عبر النهر ثم اوثقوهم ازواجا وارسلوهم الى سانت اوغسطين حيث او دوهم حتفهم فاضيف ٧٠٠ شهيد الى ضحايا الهمجية والاستبدادوالتعصب الذميم ولم يستبقوا منهم سوى نفر قليل من مهرة الصناع وبعض الخدم الكاثوليك · وهكذا بين سفك الدم والمجازر البشرية انشئت اول مستعمرة اوربية ثابتة في الولايات المتحدة · واما كيف انتقم الهوغنوتس من اعدائهم فسيأتي ذكره في ما يلي

اضحت كل الشواطيء من برزخ داريان الى بورت رويال في كارولينا الجنوبية في حوزة الاسبان وكانت لهم معرفة باراضي مسيسبي حتى مكسكو الجديدة ومزوري شمالا ومن شرقي النهر الى تناسي و كارولينا الشمالية وتنتهي سفرات الاسبانيين واكتشافاتهم في العالم الجديد عند وضعهم اساس اول مستعمرة دائمة في شواطيء فلوريدا

وقبل ختام هذا الفصل نذكر باختصار اهم بعثة برتوغالية الى العالم الجديد · لما اكتشف كولمبس اميركا كان جالساً على عرش البرتوغال الملك يوحنا الثاني ولم يكن طموحا الى اكتساب المجد والشهرة فلم يعبأ كثيرا بالاكتشاف اوغيره · وفي سنة ١٤٩٥ خلفه على العرش ابن عمه مانوئيل وكان يختلف عن يوحنا اختلافا ظاهرا فكان شديد

الاسف لان اسبانيا نزعت شرف اكتشاف العالم الجديد عن بلاده واذ ظن ان ما لا يدرك كله لايترك اقله اعد سفينتين سنة ١٥٠١ ليرسلهما الى العالم الجديد فتنال بلاده نصيبا من تلك المكاسب والاستعمارات وسند الزعامة الى كوسبار كورتريل فوصل بسفينته الى اميركا في تموز من تلك السنة الى شواطيء ولاية ماين وسار شمالا واكتشف شواطيء مساحتها ٧٠٠ ميل ولم يستطع التقدم اكثر ٠ فلم يعبأ بالاشجار الباسقة التي رآها على تلك السواحل ولا بالاحراج الملتفة التي سيبتني من اخشاب اشجارها مدنا وسفنا في المستقبل القريب ولا حدثته نفسه بالاستيلاء على تلك الاصقاع بل اكتفى باختطاف خمسين من الهنود وعاد بهم الى البرتوغال وباعهم في اسواقها ٠

وبعد مدة اعادالكرة بطلب عبيد آخرين يبيعهم في اسواق اوربا ولكن مرت سنة كاملة ولم يسمع عن تلك البعثة شيء ٠ فاعد اخو كاسبار سفنا وسار في اثر اخيه متفتشا عنه فلم يقف له على خبر وهلك هو ايضا ولايزال العالم حتى اليوم يجهل كيف هلك ذانك الاخوان ورجال بعثتهما

الفصل السادس

(الافرنسيون في اميركا)

ان فرنسا لم تكن قليلة الاهتمام بالانتفاع من اكتشافات كولمبس فمنذ سنة ١٥٠٤ كان الصيادون النورمانديون والبريتانيون «١» يطرحون شباكهم في شواطيء نيوفوندلاند

(١) مقاطعة فرنسوية اسمها بريتان او بريطانيا

ورسم احد الفرنسويين خارطة سانت لورنس سنة ١٥٠٦ وبعد ذلك بسنتين بيع بعض الهنود في اسواق فرنسا ٠ وسنة ١٥١٨ وجه الملك فرنسيس الاول عنايته الى استعمار العالم الجديد ٠ وبعد ذلك بخمس سنوات ارسل فرنسيس الاول بعثة اكتشافية بزعامة جان فيرارانو الفلورنتيني وكان القصد من تلك البعثة ايجاد طريق من جهة الشمال الغربي الى اسيا

وفي كانون الثاني سنة ١٥٢٤ اقلع فيرازانو من مياه اوربا ٠ وكان معه في بداية السفر اربع سفن تعطلت ثلاث منها بسبب النوء فاضطر ان يتم سفره بسفينة واحدة اسمها دولفين ٠ واستمر في سيره مدة ٥٠ يوما صادف في اثنائها مخاطر عظيمة وشدائد جسيمة ولكنه كان رابط الجأش ثابت العزم الى انه في سابع اذار اكتشف اليابسة في عرض ولمنتن فسار اولا جنوبا نحو ١٥٠ ميلا مفتشا عن مرفأ ترسو فيه سفينة فلم يجد فدار شمالا واخيرا القى مرساته في مكان بين نهر كايب فير ومضيق بامليكو وشرع يتعاطى التجارة مع الاهلين ٠ وكان الهنود في تلك الجهات ذوي الفة ولطف غير سيئي الظن ٠ وحدث ان احد البحارة قذفته عن ظهر السفينة الامواج المتلاطمة وكاد يغرق فانتشله الهنود وعاملوه بكل لطف وحنان ٠ ولما صار قادرا على المشي اطلقوا سراحه لينضم الى رفاقه في السفينة

وبعد بضعة ايام داوموا مسيرهم شمالا فاكتشفوا كل شواطىء نيوجرسي وزعموا ان اكامها تحتوي على معادن ثم دخلوا ميناء نيويرك فدهشوا من هدوئه وجماله والقى فيرازانو مرساة سفينته في نيوبرت رود ايلند مدة ١٥ يوما واخذ يتاجر مع اللهنود وقبل ان يغادر الافرنسيون تلك الشواطىء كافأوا الهنود على حسن ضيافتهم واحتفائهم بهم باختطافهم ولدا منهم ومحاولتهم اختطاف ابنه ايضا

فاقلع فيرازانو من نيوبورت وواصل اكتشافه شمالا وصار يلاحظ بكل تدقيق

شواطئ نيوانكلند الطويلة المتقطعة وكان هنود الشمال شديدي الميل الى الحرب وسيئي الظن فلم يشتروا حلى ولا لعبا ولكنهم اشتروا قواطع واسلحة . وداوم المسير الى ان اجتاز شرقي نوفا سكوشيا ووصل الى نيوفوندلاند في اواخر شهر ايار وفي تموز عاد الى فرنسا ونشر خبر اكتشافاته واطلقوا على الاماكن التي اكتشفها ربان وبحارة السفينة دلفين اسم «فرنسا الجديد»

ولم ترسل فرنسا بعثة اخرى الا بعد مرور عشر سنين على الاولى اي سنة ١٥٣٤ اذ اختار اميرال المملكة شابوت جيمس كارتير من مدينة سانت مالو وهونوتي خبير ليقوما بتلك المهمة. فسافر بسفينتين وكان الجو رائقا وبعد ٢٠ يوما وصل في عاشر ايار الى نيوفوندلاند ثم طاف حول الجزيرة شمالا وعبر خليج سانت لورنس الى جنوبي انتيكوستي ودخل مضيق كانورس واذ لم يجد من ذلك المضيق مخرجا الى الغرب كما كان يؤمل غير وجهته وسار شمالا ايضا واجتاز الشواطئ حتى مضيق كابسي وهناك خرج الى البر ونصب صليبا ورفع العلم الافرنسي ونادى بسلطة فرنسا على تلك النواحي . ثم سار شمالا فغربا الى ان دخل نهر سانت لورنس . واذ لم يشأ ان يشتي في تلك الاصقاع ققفل راجعا الى فرنسا وبمدة ثلاثين يوما القى مرساة سفينته في فرضة سانت مالو

فاحدثت سفرته ضجة استحسان عام في فرنسا حتى انهم اعدوا بعثة اخرى على الفور فجهزت السفن وانضم عدد من شبان النبلاء الى المسافرين

وكان القصد من تلك البعثة انشاء مهاجر اكثر من الاكتشاف وسافرت السفن في ١٩ ايار وكان الطقس في هذه الرحلة مضطربا فلم يصلوا الى نيوفوندلاند حتى عاشر آب الواقع فيه عيد الشهيد لورنس فسموا ذلك المضيق باسمه وبعد ذلك سموا النهر الذي يصب فيه من جهة الغرب بالاسم نفسه . ثم ساروا شمالا حول انتيكوستي في النهر الى جزيرة اورلينس حيث رست السفن في مرفاء امين . وكان كارتير قد استصحب في رجوعه الى

فرنسا اثنين من الهنود رجعا معه في هذه السفرة واخبراه ان في اعلى النهر مدينة ذات اهمية قائمة على جزيرة هوتشيلاغا فسار كارتير بنفرمن رجاله في النهر فوجدوا كما قال الهنديان بلدة جميلة واقعة في اسفل اكمة عالية في وسط الجزيرة فصعدوا الى قمة الأكمة فبدت لهم مناظر بهجة تشرح القلب وتسر الخاطر فدعا كارتير الجزيرة والبلدة باسم مونت رويال وبما انها بحق الاكتشاف تخص حكومة فرنسا نادى باسم ملك فرنسا عليها فعادت الزوارق في النهر الى المراكب · وفي غضون ذلك الشتاء مات من رجال كارتير ٢٥ بداء الاسكربوط (فساد الدم) وهو داء تجهله فرنسا في ذلك العصر

وفي اوائل فصل الربيع شرعوا يستعدون للرجوع الى فرنسا وقبل ان تبحر السفن من مرساها انزلوا في احداها ملك هيورن الذي عاملهم بكل لطف وسخاء واخذوه الى بلادهم ليلاقي حتفه · وفي سادس تموز وصلت السفن الى فرضة سانت مالو سالمة · فنشر كارتير تقريرا عن رحلته واصفا ما لاقوا من زمهرير البرد وفتك الداء ففترت الهمم من جهة الاستعمار ولاسيما انهم لم يجدوا على شواطئ نهر سانت لورنس ذهبا ولا فضة كما كانوا يؤملون

والبعثة الاخرى التي سافرت الى العالم الجديد لاستعمار البلاد التي اكتشفتها فرنسا قام بها اللورد روبرتال · فبعد رجوع كارتير من سفرته الثانية باربع سنين فوضته حكومة فرنسا ليدبر امر انشاء مستعمرة في سانت لورنس ومنحته لقب نائب ملك وحاكم عام على فرنسا الجديدة واقيمت له ليالي انس جمة بمناسبة وداعه · على ان الرجل الذي كانت فيه الصلاحية لتلك المهمة هو جيمس كارتير وعليه اضيف اسمه الى قائمة المسافرين واعطوه وظيفة رئيس الربابنة وقبطان عام للاكتشاف والاستعمار

وما ترتب عليهم عمله بعد ذلك ايجاد سكان للمستعمرة الجديدة وهو امر من اشد الصعاب فان الفلاحين وذوي الحرف من الافرنسيين لم يكونوا راغبين في المهاجرة الى

بلاد ليس فيها سوى الهمجية والثلوج المتراكمة ٠ وتقرير كارتير عن تلك البـلاد وقف عقبة كؤودا في سبيل الرغبة في المهاجرة وعليه فقد كان عدد المتطوعين للمهاجرة الى فرنسا الجديدة دون النزر اليسير ٠ فعمدت الحكومة الى رأي مناسب فيه يكثر عدد الراغبين في المهاجرة وذلك انها فتحت ابواب السجون وسمحت لكل من يشاء المهاجرة ان يخرج من السجن ويهاجر فاجتمع جمهور من المسجونين بين قتلة ولصـوص وغيرهم فسمحت الحكومة لكل المسجونين بالسفر عدا الذين ارتكبوا جريمة خيانة الوطن والتزوير

وفي اواخر ايار سنة ١٥٤١ سافرت من فرنسا خمسة مراكب بزعامة روبرتال وبعد زمن قليل بلغت سانت لورنس وتقدمت السفن في النهر الى حيث قائمة مدينة كوباك الان فبنوا هناك قلعة سموها شارلسبرغ وصرفوا فيها فصل الشتـاء ٠ وكان كارتير شديد الغيظ لانه مرؤوس وليس رئيسا ولذلك لم يهتم كثيرا باكتشافات جديدة لان الفخر في ذلك يعود الى اللورد روبرتال رئيس البعثة وكان كارتير يخالفه في كل امر ٠ فلمـا وصل روبرتال في حزيران من السنة التالية الى حيث كان كارتير ومعه مهاجرون ومؤن وذخائر سافر كارتير على الاثر من ترسرا بما خصه من السفن وعاد الى اوربا ٠ وبقي روبرتال في فرنسا الجديدة مع ركاب ثلاثة مراكب من ذوي الجرائم والكبائر الذين اخرجوا من السجن وهم لا يفهمون غير لغة الجلد والمشنقة ٠ وفي الخريف حاولوا اكتشاف اراضي جديدة ولكنهم لم ينجوا كثيرا وبعد قليل هاجمهم الشتاء بزمهريره وبرده القارس فذاقوا الامرين في ذلك الفصل الطويل ٠ ولما ابتدأ فصل الربيع كان سرورهم عظيما لانهم تمكنـوا من العود الى بلادهم واسفرت تلك البعثة التي ابتدأت بفخر وفخفخة عن لاشيء ٠ وفي سنة ١٥٤٩ سـافر روبرتال ثانية الى العـالم الجديد مع جمهور من المهاجرين ولكن سفنه لم يعرف عنها شيء ولعلها ابتلعها اليم بمن فيها

ومرت خمسون سنة لم يبد في اثنائها من حكومة فرنسا ميل الى استعمار اميركا ٠ وفي

منتصف الجيل السادس عشر اشتد اضطهاد الكاثوليك للبروتستانت في فرنسا وغيرها وكان هناك اميرال افرنسي بروتستانتي المذهب اسمه كوليجني فارتأى ان يجد ملجأ في اميركا للبروتستانت (هوغنوتس) الافرنسيين المضطهدين في وطنهم · فنال في سنة ١٥٦٢ رخصة من الملك شارل التاسع بتأسيس مستعمرة من البروتستانت في العالم الجديد واختير يوحنا ريبولت ليصير موسى الهوغنوتس ويقودهم الى ارض الميعاد فاقلعوا في شباط ووصلوا الى شواطىء فلوريدا حيث بنيت مدينة سانت اوغسطين بعد ذلك بثلاث سنوات ونهر سانت جان الذي سماه الاسبانيون نهر سانت ميشو دعاه الافرنسيس نهر مايو (ايار) · ثم واصلت السفن سيرها شمالاً في تلك الشواطىء حتى بلغت مدخل بورت رويال وقرروا ان يجعلوا مركزهم فيها · فنزل المهاجرون الى جزيرة هناك وحفروا على حجر صورة سلاح بلادهم وجعلوا نصباً في ذلك المكان · وشادوا قلعة اكراما للملك شارل التاسع ودعوها كارولينا ـ وهذا الاسم اتخذه الانكليز بعد ذلك بنحو قرن واطلقوه على كل الاراضي الممتدة من نهر سافانا الى حدود فرجينيا الجنوبية · فترك ريبولت ٢٦ من رجاله في تلك القلعة وقفل راجعا الى فرنسا لجلب مهاجرين اخرين ومؤن غيران الحرب الاهلية كانت على قدم وساق في المملكة وكان يستحيل الحصول على مؤن او مهاجرين · وبات الرجال الذين تركوا في القلعة ينتظرون بفارغ الصبر ورود المدد من فرنسا ولما طال امد انتظارهم ولم يفد اليهم شيء تولاهم الضجر واكثروا من التذمر ثم قاموا على رئيسهم وقتلوه اذ حاول تهدئتهم ثم ابتنوا رمثا وركبوه وصاروا يصارعون الامواج في الاوقيانوس فتقذفهم الى جهات مختلفة الى ان لقيتهم اخيرا احدى السفن الانكليزية فانتشلهم بحارتها وهم على آخر رمق من الحياة واتوا بهم الى فرنسا

على ان الاميرال كوليجن لم ييأس من النجاح في مشروعه بل انه بعد ذلك بسنتين ارسل بعثة اخرى بزعامة لودوفير الا ان المهاجرين في هذه المرة لم يكونوا على شيء من

الصفات الحسنة والاجتهاد في امر من الامور النافعة فنزلوا على بعد خمسة عشر ميلاً من المكان القائمة فيه مدينة سانت اوغسطين فبنوا هناك قلعة وسارت الامور على احسن حال غير ان بعضهم ادعوا بانهم يريدون الهرب من الجوع والعودة الى فرنسا فاستلموا سفينتين ووعدوا بانهم يعودون الى فرنسا ولكنهم نكثوا بوعدهم وصاروا يسافرون من جهة الى اخرى حتى قبضت حكومة فرنسا عليهم واعدمتهم شنقا وكان ذلك عدلا لانهم ارتكبوا خيانة عظمى ٠ومن بقي من المهاجرين كانوا شديدي التذمر وعلى اهبة اللحاق بمن سبقهم ودا بريبولت وصل بسفنه ملأى بالمؤونة والذخيرة وكل الحاجات اللازمة فلاذوا بالسكينة ورضوا بالبقاء في مستعمرتهم الجديدة الى ان جاءهم الاسبانيون بزعامة ملنديز وقتلوهم كما سبق ذكره

واشتعلت نار حب الانتقام في قلب جندي افرنسي اسمه دومنيك دي غورغيس من كاسكوني عقد النية على الذهاب الى سانت اوغسطين ومصادمة الاسبان فيها فجهز ثلاث سفن ودفع اكثر النفقة من جيبه الخاص وسافر مع خمسين رجلافقط من الاشداء المتادين مصادمة الامواج وخوض غمار المعارك فوصل الى شواطئ فلوريدا في منتصف الشتاء فهاجم الاسبانيين بهؤلاء الخمسين رجلا فكان النصر حليفهم واستولوا على ثلاث قلاع قائمة على نهر سانت جان واسروا حاميتها ولما لم يعودوا قادرين على الثبات طويلا في مراكزهم شنقوا اسراهم في اغصان الاشجار وكتب القائد عنوانا واقام نصباً هناك للاخبار عما فعل وكتب عليه ما معناه « ليس اسبانا بل قتلة»

وفي سنة ١٥٩٨ استانفت الحكومة الافرنسية ثانية المطالبة بحق امتلاك ما اكتشف على نفقتها في اميركا ٠ فعينت المركيز لاروش مفوضاً من قبلها ليوسس مملكة افرنسية جديدة في العالم الجديد ٠ففتحت ابواب السجون ثانية واخرج المسجونون وارسلوا الى المستعمرة الجديدة فاقلعت السفن تخوض عباب الاتلنتيكي في الطريق الاعتيادية الى ان

بلغت شواطئ نوفا سكو شيا ورست في ميناء جزيرة سايل ومع انها جزيرة قاحلة واوحش مكان بين لابرادور ومكسكو فقد ابقى لاروش فيها اربعين رجلا لتأسيس مستعمرة فيها • وعاد هو الى فرنسا لاحضار مهاجرين اكثر ومؤونة وغير ذلك وما كاد يبلغ وطنه حتى عاجلته المنية ومر على المملكة الافرنسية الجديدة سبع سنين لم يكن فيها سوى اولئك الاربعين مهاجرا من حلفاء السجون فمرت بهم بعض السفن الراجعة الى فرنسا فاشفق عليهم ربابنتها وارجعوهم الى بلادهم فاعتبرت الحكومة الافرنسية وجودهم في تلك الجزيرة القاحلة الموحشة سبع سنين كافية للتكفير عن جرائمهم فاطلقت سبيلهم

غير انه كان قد حان الوقت الذي فيه يجب ان يكون لفرنسا مستعمرة في اميركا ففي سنة ١٦٠٣ اعطت للموسيو دي مونت الولاية على الاراضي الواقعة من فيلادلفيا الى شمالي مونتريال • واجل ما يليق ذكره بشأن السلطة التي فوضها ملك فرنسا الى دي مونت هو الاهتمام بتجارة الفرو بنوع اخص ومنح حرية دينية مطلقة لمهاجري البروتستانت فاقلع دي مونت من فرنسا بسفينتين مملوءتين بالمهاجرين في اوائل شهر اذار سنة ١٦٠٤ وكان الطقس معتدلا فبلغ في وقت قصير مضيق فندي • وصرف فصل الصيف بالاستكشاف والمتاجرة مع الهنود • ولم يستقر رأي دي مونت على المكان الذي يؤسس فيه مستعمرته وبينما هو يتردد في الامر كان الموسيو بوترنيكورت ربان احدى السفينتين قد راقه جمال ميناء اكتشفه في الشمال الغربي من نوفا سكوشيا فطلب الى دي مونت ان يسمح له بالنزول فيه فسمح له واعطاه علاوة على ذلك اراضي جميلة مجاورة للمينا الذي فيه بحارته • اما دي مونت فعبر مع بقية المهاجرين الى الجانب الغربي من المضيق وشرعوا بتشييد قلعة على جزيرة واقعة عند مصب نهر كروا غير انهم في الربيع التالي اخلوا ذلك المكان وعادوا الى الفرضة التي اعطيت لبوترينكورت وهناك في رابع عشر تشرين الثاني سنة ١٦٠٥ وضعوا اساس اول مستعمرة افرنسية ثابتة في

اميركا واطلقوا اسم بورت رويال على الفرضة والقلعة وكل تلك الاراضي بما فيه نوفاسكوشيا والجزر المجاورة واما الاراضي الاخرى حتى نهر سانت كروا الى الجنوب فدعوها اكاديا

وقبل انشاء مستعمرة بورت رويال بسنتين سافر المسيو تشامبلين وهو من اشهر رجال عصره نفوذا وحنكة عسكريـة مع جماعة من تجار الرين لاكتشاف اراضي سانت لورنس وتأسيس فرضة تجارية · ورأى اولئك التجار ان مبادلة الهنود بالفرو طريق اقصر الى احراز الثروة من التنقل الى هنا وهناك وراء الذهب والالماس فاقلعوا من فرنسا وتلك الغايةمطمح ابصارهم وقطعوا الاوقيانوس ثم دخلوا الخليج وساروا في النهر ثم وقع اختيارهم على الجهة حيث مدينة كباك قائمة الان فبنوا فيها قلعة · وفي خريف سنة ١٦٠٣ عاد تشامبلين الى فرنسا ونشر تقريرا صادقاً مفيدا عن رحلته كان له وقع حسن

وفي سنة ١٦٠٩ زار تشامبلين اميركا ثانية وفي ثالث تموز من تلك السنة وضع اساس مدينة كباك وفي السنة التالية انضم واثنين آخرين افرنسيين الى فرقة هيورن والجونكوين الهنديين اللذين كانا مشتبكين بحرب ضروس مع الايروكوس اي هنود نيويورك وبينما كان سائرا في جملة اولئك المحاربين على موازاة نهر سوريل وصلوا الى البحيرة الطويلة الضيقة وهو اول رجل ابيض وقع نظره عليها فاطلق عليها اسمه ولا تزال حتى الان تدعى بحيرة تشامبلين

وكان تشامبلين متعصباً في دينه الكاثوليكي فحال ذلك دون نمو مستعمرته غير انه في سنـة ١٦١٢ فويت شوكة البروتستانت في فرنسا وعين المسيو كوندي حامي البروتستانت نائب ملك فرنسا في مستعمراتها في اميركا فوفر عدد المهاجرين اليها · وزار تشامبلين اميركا مرة ثالثة وثبتت دعائم المستعمرة الافرنسية في كباك ورسخت

قدم الافرنسيين فيها فهاجر اليها رهبان الفرنسيسكان وشرعوا ينشرون الديانة المسيحية بين الهنود فقامت المناقشات والخصومات بين الرهبان والبروتستانت على قدم وساق وساد الشغب بين المهاجرين مدة طويلة · وانضم تشامبلين ثانية الى عداد المحاربين ضد الايروكوس فغلبت فرقته في هذه المرة واصيب هو نفسه بجراح بليغة اضطرته الى تمضية كل فصل الشتاء بين قبيلة هيورن وفي صيف سنة ١٦٠٧ عاد الى المستعمرة وسنة ١٦٢٠ شرع بالبناء وبعد اربع سنوات اتم بناء قلعة سانت لويس الحصينة التي كانت خير دعامة لثبات المستعمرة الافرنسية في وادي سانت لورنس · ويرجع الفضل في استعمارات فرنسا باميركا الشمالية الى صموئيل تشامبلين اكثر مما الى الحكومة الفرنسوية نفسها ومات تشامبلين في مدينة كباك سنة ١٦٣٥

الفصل السابع

—« اكتشافات الانكليز واستعمارهم »—

لا يوجد يوم له شهرة في تاريخ العالم الجديد اكثر من خامس شهر ايار سنة ١٤٩٦ ففيه وقع الملك هنري السابع الانكليزي التفويض للمستر جان كابوت من فينيسيا بان يخوض غمار اليم في الاوقيانوس الاتلانتيكي والاوقيانوس الهندي قصد الاكتشاف والتفتيش عن بلاد جديدة وان ينشر فوق سفنه الراية الانكليزية ويمتلك كل ما يكتشفه من البلاد · وكان كابوت رجلا حازما جسورا تعود خوض البحار منذ صغره · وكان عند استلامه تفويض الملك تاجرا في بريستول فمر فصلا الخريف والشتاء بالاستعداد للسفر وجهزت خمسة مراكب من احسن ما يمكن صنعه في ذلك العصر وعين لها عدد

كافٍ من البحارة وملئت بالموءونة والذخيرة وفي اوائل الربيع كان كل شيء معدًّا وفي شهر نيسان اقلع الاسطول من ميناء بريستول وفي صباح ٢٤ حزيران سنة ١٤٩٤ رأوا البر في ضواحي لابرادور وكان ذلك اكتشافاً حقيقيا للقارة اميركا وذلك قبل وصول كولومبوس الى شواطىء اميركا الجنوبية بنحو اربعة عشر شهراً

وسار كابوت على شواطىء البلاد التي اكتشفها مسافة مئات من الاميال وهو يظنها قسماً من مملكة التتار في اسيا ولكنه لم يجد سكاناً فخرج الى الشاطىء وحسب منطوق الامر الملوكي رفع العلم الانكليزي وامتلك تلك النواحي باسم ملك الانكليز · ولما كان الانسان مفطورا على حب وطنه اندفع كابوت بتلك العاطفة الشريفة ونصب بجانب علم وطنه الجديد علم وطنه القديم اي جمهورية فينيسيا وكان ذلك رمزا سعيدا الى علم اخر سيخفق يوماً ما من بحر الى بحر اعني علم الولايات المتحدة

ولما عرف كابوت كل ما تهم معرفته عن الاراضي التي اكتشفها قفل راجعاً الى بلاد الانكليز وفي رجوعه رأى مرتين من الجهة اليمنى شواطىء نيوفونلاند ولكنه لم يعنَ باكتشاف آخر ولم تطل مدة غيابه عن بريستول ثلاثة اشهر حتى عاد اليها فاستقبله الاهلون بكل حفاوة واكرام وعملوا يوم وصوله عيدا عمومياً في المدينة وكلهم يرقصون طرباً لاكتشاف اميرالهم المحبوب بل ان السرور شمل المملكة الانكليزية باسرها · والحكومة اثنت عليه وامدته بالدراهم فبنيت سفن جديدة ودخل عدد عديد من البحارة في خدمته واعطي تفويضاً ملوكياً اعم من الاول وذلك في شباط سنة ١٤٩٨ · ومن الغريب انه في نفس تاريخ البراءة حذف اسم جان كابوت من تاريخ العالم · واين صرف باقي حياته او كيف · كل ذلك بات سرا من الاسرار المكتومة عن التاريخ حتى اليوم

وورث شهرة جان كابوت وثقة الناس به ابنه الثاني واسمه سباستيان واضاف الى

حذق وفطنة ابيه حذقه وفطنته هو وقد كان مرافقاً لابيه في سفره الى العالم الجديد واذ لاحت له فرصة لخوض اليم مرة اخرى اغتنمها بكل طيبة خاطر · والارجح ان السفن التي كانت اعدت لوالده جعلت تحت امرته مع بحارتها وما فيها · وجعل قصده الاول في ذلك السفر ضالة تلك الايام المنشودة اي اكتشاف طريق جديد الى الهند من جهة الشمال الغربي

وكان كل شيء على اتم ما يرام في تلك السفرة الى ان وصلت السفن في الاوقيانوس الى غربي كرينلاند فتكاثر هناك الجليد المنتشر على وجه المياه فاضطر سبستيان الى تغيير وجهة سفره وكان ذلك في شهر تموز والشمس لا تكاد تغيب في منتصف الليل وما زال الاسطول سائرا حتى بلغ الشواطىء التي اكتشفها جان كابوت اولاً ثم اتجه جنوباً ولا يعرف تماماً ما اذا كان عبر خليج سانت لورنس او اذا كان سار شرقي نيوفوندلاند ومن ثم تم اكتشاف نيوبرونزويك ونوفاسكوشيا وماين ومنذ زمن النورسيين حتى هذا الوقت لم تقع عين اوربي على شواطىء ولاية نيوانكلند والولايات المتوسطة ولم ينكف كابوت عن الاستطلاع والاستكشاف باسم الملك الانكليزي حتى اجتاز تشاسبيك · ويرجح انه عاد الى بلاده عن طريق راس هاتيراس

ومع ان هنري السابع سرّ باكتشافات كابوت وقدرها حق قدرها لم يكافىء المكتشف المقدام على اتعابه وقد كان كل امراء تدورس (١) مظلمي الافكار ومحبي الذات · ومات الملك هنري السابع فخلفه هنري الثامن وكان كاثوليكياً فأغرى كابوت على الخروج من بلاد الانكليز والدخول في خدمة اسبانيا وجعله فيها مديرا للموانىء البحرية فاضحى رفيع المقام نافذ الكلمة في بلاط اسبانيا وذا سلطة في امور البحر فارسل عدة بعثات اكتشافية جاءت بفوائد جمة وعاش عمرا طويلا غير ان خبر

(١) اسم اسرة قام منها ملوك في انكلترا

موته ومكان دفنه مجهولان

وكانت السنة ١٤٩٨ ممتازة في كل تاريخ الاسفار والاكتشافات كلها · ففي شهر ايار كتشف فاسكودي كاما البرتوغالي راس الرجاء الصالح وفازبالوصول الى هندستان وفي غضون فصل الصيف تتبع كابوت الاصغر اثار السواحل الشرقية من اميركا الشمالية مسافة كثر من ٢٠ درجة من العرض واودع اثمن قسم من تلك القارة تحت سلطة الانكليز وفي اب من تلك السنة سافر كولومبس نفسه الى العالم الجديد للمرة الثالثة ووصل الى مصب نهر ورينكو ومن تلك الاكتشافات الثلاثة كان اكتشاف كابوت اكثرها اهمية واغزرها نفعا

وقامت هناك عراقيل جمة عاقت سير الاكتشافات الانكليزية في مدة الجيل السادس عشر · ففي السنة الثالثة لاكتشاف اميركا فرض البابا اسكندر السادس خطا ممتدا شمالا وجنوبا على بعد ٣٠٠ ميل الى الغرب من ازورس واصدر مرسوما بابويا به يمنح اسبانيا حق التملك لكل تلك الجزر والاراضي الواقعة في تلك المنطقة · وكان هنري السابع ملك الانكليز كاثوليكيا فلم يسعه الا الاذعان لمرسوم البابا وتخلى عما كان لدولته من الحق الصريح بامتلاكه واقتفى خطواته ابنه وخليفته هنري الثامن في اوائل ملكه ولكن لما دخل الاصلاح الديني الى بلاد الانكليز رفضوا العمل بمرسوم البابا وعادوا الى المطالبة بحقوقهم

وفي اثناء حكم ادورد السادس القصير الامد عادت الى الامة الانكليزية الرغبة في الاكتشافات البحرية · وفي سنة ١٥٤٨ عين مجلس الملك مبلغ مئة ليرة انكليزية ليحمل سبستيان كابوت الشيخ على العود من اسبانيا ويشغل نفس الوظيفة في بلاده فقبل وكانت اليصابات كثيرة الاهتمام بها مما عاد على بلادها بالكسب الجزيل

وعاد روح محبة الاكتشاف وخوض غمار اليم فدب في قلب الشيخ الجسور مارتن

فورتشير فكانت له بذلك همة قعساء تقصر عنها همة الشبان في مقتبل العمر على الرغم من تقدمه في السن وخلو يديه من الدراهم • فامده بما يلزم من النفقات ددلي ارل وورويك فجهز له ثلاث سفن ليسير بها مفتشا عن طريق جديد الى الهند من جهة الشمال الغربي • ولم تكن الثلاثة ارباع القرن التي مرت كافية لتزيل من عقول الناس الاعتقاد بامكان وصولهم الى الهند بسيرهم حول امريكا شمالا • وقد غرقت احدى سفن فورتر وفي الثالثة صار ذلك الربان الجسور متقدما شمالا وغربا حتى وصل الى ما لم يصله احد قبله والثانية عادت الى بلاد الانكليز لاسباب لا تهم معرفتها

وفوق الدرجة الستين اكتشف الارخبيل في مضيق هدسن وازداد تقدما الى الشمال فعثر على جزيرة ظنها بر اسيا فدعاها مينا انكو كنيتا ثم اكتشف البوغاز الذي لا يزال يعرف باسمه وعاد الى انكلترا مصطحبا واحدا من الاسكيمو وحجرا قرر علماء الانكليز

وعند رجوعه تحمس سكان لندن اي تحمس حتى ان الملكة اليصابات نفسها اضافت سفينة الى الاسطول الجديد الذي اقلع في شهر ايار سنة ١٥٧٧ من بلاد الانكليز يقصد مينا انكو كنيتا لشحن المعادن الثمينة منها • فصادفت السفن مخاطر كثيرة واشرفت على الغرق مرارا ولم تتمكن من الوصول الى المكان الذي بلغه فروبشير في السفرة السابقة واستولى القنوط على البحارة وصاروا يتوقعون فرصة للعودة الى اوطانهم

فلم يقلل ذلك الفشل عزيمة الانكليز — رواد الذهب — بل عادوا فجهزوا خمسة عشر مركبا دفعت الملكة قسما من نفقاتها • وفي اوائل ربيع سنة ١٥٧٨ ابتدات الرحلة الثالثة وكان في العزم هذه المرة استعمار الاماكن الشمالية التي فيها معادن الذهب وثلاثة من تلك المراكب ملئت بالركاب المهاجرين لاستبقائهم في «ارض الموعد» • واما الاثنا عشر مركبا الاخرى فستشحن ذهبا «كذا» وتعود الى لندن • ولما بلغت السفن مضيق هدسن صادفت ركاما من الجليد المنتشر على وجه الماء تعذر معه المرور فيه وبعد عناء

جزيل ومشقات عظيمة وصل الاسطول الى المكان المقصود اي مينا انكوكنيتيا وشحن اقذارا واما السفن التي كانت تقل الذخيرة والزاد فانسلت ورجعت الى انكلترا · ولما لم يجد المهاجرون والبحارة ما كانوا يتوقعون الحصول عليه من الاصفر الوهاج نسوا امر الاستعمار والاكتشاف وعادوا الى بلادهم يتعثرون باذيال الخجل

بيد ان الاميرال الانكليزي فرنسيس دريل حصل على ثروة بطريق اخرى وهي انه لم يعتد بشرائع ومعاهدات الامم بل شرع يسطو على سفن اسبانيا التجارية ويغتصب كل ما كان ذا قيمة حتى جمع ثروة وافرة · وبعد ذلك بخمس سنوات سار حول الاوقيانوس الباسيفيكي في الطريق التي اكتشفها مجلان وضايق سفن اسبانيا كثيرا وبعد ان صار ذا ثروة عظيمة جدا شرع يستعد لرحلة يستقري فيها كل شطوط اميركا الشمالية الى ان يبلغ المدخل الشمالي الغربي من الباسيفيكي ثم يسير شرقاً حول القارة فسار شمالا وهذا قصده الى ان بلغ اوريغن فتضايقت بحارته من شدة البرد واضطر الى النكوص والعدول عما كان ينزع اليه · فرجع الى الجنوب وصرف فصل الشتاء من سنة ١٥٧٩ ــ ٨٠ في جون في شواطىء مكسيكو ودعا الشطوط الغربية التي اكتشها باسم البيون · بيد ان اكتشافات الاسبانيين السابقة لتلك الامصار حرم الانكليز آنئذ وضع سيطرتها عليها فلم ينشاء مهجر الانكليزي في العالم الجديد حتى هذا الزمان

وربما كان السير همفري كلبرت اول من ابدى رايا صوابيا في امر الاستعمار في اميركا فكان رأيه ان ينشأ في احدى جهات القارة مهجر يعنى فيه بالفلاحة والتجارة وعرض رايه هذا على الملكة فنال استحسانها ومنحته رخصة تخوله حق امتلاك اي ٦٠٠ ميل مربع يمكنه احتلالها في اميركا الشمالية وان ينشىء فيها مهجرا يكون هو رئيسه وحاكمه فشرع كلبرت بمساعدة ابن امرأة ابيه واسمه ولتر رالي باعداد اسطول مؤلف من خمس سفن ولما كمل كل ما يلزمه اقلع باسطوله ورجاله في حزيران من سنة ١٥٨٣ وسار

غرباً · وبعد يومين من سفره خان ربان اكبر السفن وامتنها ونكص راجعاً الى ميناء يلموث · وفي اوائل شهر آب وصل كلبرت الى نيوفوندلاند وخرج الى البر وامتلك الجزيرة باسم ملكته · وحدث لسوء الحظ ان بعض البحارة عثروا على قشور من معدن الميكا فحتم من يدعون معرفة المعادن (و كان كلبرت قد اصطحب عددا منهم) انه معدن فضة فتمردوا وشقوا عصا الطاعة وشرع نفر منهم يحفرون المعدن المزعوم ويحملونه الى السفن بينما آخرون اخذوا يهاجمون قوارب الصيد الاسبانية والبرتوغالية التي كانت في الموانىء المجاورة

وتعطلت في غضون ذلك احدى سفنه الاربع ولم تعد صالحة لشيء فسار بالثلاث الباقية جنوباً · ولما وصلوا الى شطوط ماستشوستس انكسر اكبر المراكب الثلاثة وغرق مئة من رجاله مع معدن الفضة الذي كان يملأ السفينة فاستعظم كلبرت الرزايا التي توالت وصمم على العودة الى بلاده · وكان النوء عظيماً والعاصف شديدا والسفينتان الباقيتان لم تكونا صالحتين لمصادمة الامواج العنيفة فسلم ذاته للعناية وابتدا سفره والرجاء ملء قلبه وركب ذلك القبطان الشجاع السفينةالاضعف واسمها سكورال وكانت متكسرة ومشرفة على الغرق وفي منتصف الليل بينما كانت السفينتان سائرتين على بعد قليل الواحدة عن الاخرى غاصت سكورال في اللجة ولم ينج احد من رجالها الاشداء ووصلت السفينة الاخرى الى بلموث بسلام

ولكن رالي تمشى على راي كلبرت وتابع خطة الاستعمار ونال من الملكة رخصة نظير التي منحتها لكلبرت · وتحاشوا عن الذهاب الى الاماكن الشمالية المتجمدة ووجهوا انظارهم الى حيث كان الهنوغنتوس مقيمين فاعدوا سفينتين للسفر وجعلوا فيليب اميداس قبطان الواحدة وارثر بارلو قبطان الاخرى

وفي شهر تموز وصلت السفينتان الى كارولينا وكان الجو صافياً والبحر هادئاً والارض

مكتسية ثوباً من الجمال قشيباً والاهلون كرماء ذوي بشاشة وراءوا البلاد من جهات مختلفة ونزلوا اخيرا في جزيرة رونوك حيث اكرمت ملكة الهنود مثواهم ونفحتهم بعطايا مختلفة ولكن لم يكن احد القبطانين فيه الاهلية لذلك المشروع المهم اي الاستعمار فبعد مكوثهما هناك مدة شهرين عادا الى انكلترا مع رجالهما وبالغا في وصف محاسن وجمال الارض الجديدة فسر بتلك الاخبار الانكليز عموما والملكة خصوصاً فاطلقت على بلادها الجميلة في العالم الجديد اسم فرجينيا وتجددت عزائم الاهلين على المهاجرة والاستعمار ودبروا ما يلزم لرحلة اخرى وعين رالف لاين حاكما للمستعمرة الجديدة · وقام على قيادة الاسطول في هذه السفرة السير رتشرد غرينفل وانخرط في سلك البحارة كثيرون من ابناء الاشراف وكان الاسطول مؤلفاً من سبع سفن فاقلعت من مينا بلموث وبلغت شاطىء اميركا في ٢٠ حزيران سنة ١٥٨٥ وتعرضت لخطر الانكسار في راس فير ولكنها فازت اخيرا بالنجاة · وبعد ستة ايام القت مراسيها في رونوك سالمة فنزل هناك لاين مع مائة وعشرة من المهاجرين ليؤسسوا المهجر · واما غرينفيل فبعد ان اكتشف بضعة اكتشافات غير ذات اهمية رجع الى انكلترا بالذخيرة واسر في طريقه سفينة اسبانية ملأى بالذخيرة والنفائس وجاء بها مع سفنه

وسرق هنود قرية مجاورة لرونوك بعض امتعة للمهاجرين الانكليز فنقموا منهم باحراق قريتهم كلها واشتعلت بين الفريقين نار الحسد والبغضاء وسوء الظن بدلا من المحبة السابقة· واغرى الهنود لاين وبعض رجاله ان يتوغلوا في داخلية البلاد حيث كنوز الذهب والمعادن الكريمة وكانوا قد دبروا حيلة لاغتيالهم ولولا اسراعهم بالرجوع الى رونوك لاباد هم الهنود عن اخرهم · وكذلك الانكليز بدورهم احتالوا على ونجينا ملك الهنود وبعض رؤساء القبائل وذبحوهم ذبح النعاج فثار ثائر الهنود على الاوربيين وصاروا يهاجمونهم بطرق مختلفة حتى حرموهم الراحة فلما مر السير فرنسيس دريك

باسطوله من تلك الجهة توسل اليه المهاجرون ان يعيدهم الى بلادهم فعل

ولم يخل اولئك المهاجرين من التسرع فلو تربصوا بضعة ايام لكانت وصلتهم النجدة والزاد والذخيرة التي انفذها اليهم رالي فلما وصلت السفينة التي تنقل ذلك اليهم ولم تجدهم عادت على الاثر . وبعد ذلك بثلاثة اسابيع رجع السير غرينفيل نفسه الى رونوك بثلاث سفن ملأى من كل ما يحتاج اليه ولكنه لم يقف للمهاجرين على اثر فلكي لا يخسر ملكية البلاد ترك في الجزيرة ١٥ رجلا وقفل راجعا الى بلاده

ثم فترت رغبة الانكليز في الاستعمار غير ان صدى وصف محاسن وجمال وخصب البلاد الجديدة كان لم يزل يرن في آذانهم . ولم يمض وقت طويل حتى قام جمهور يبغي المهاجرة ومعظمهم من العائلات واختير جان هويت حاكما للمستعمرة الجديدة وفي شهر تموز وصل اولئك المهاجرون الى كارولينا فرونوك وفتشوا عن الخمسة عشر رجلا الذين تركوا هناك مندسنة فلم يجدوهم واخيرا استدلوا من الآثار ان الهنود قتلوهم جميعهم . وفي ٢٣ تموز وضعوا اساس مدينة رالي في القسم الشمالي من جزيرة رونوك

وبعد قليل دارت رحى الحرب بين المهاجرين والهنود ولم تطل مدتها حتى ساد السلم بين الفريقين وبمساعي السير ولتر جعل احد روءساء قبائل الهنود اميراً انكليزياً بلقب لورد رونوك فساء ذلك المهاجرين ولم تسرهم كثيرا روءية ذلك اللورد الهندي وفي اواخر شهر اب تظاهروا بانهم يخشون من الموت جوعا وتقريبا جبروا الحاكم هويت ان يرجع الى بلاد الانكليز لياتيهم بكمية كبيرة من الزاد والذخيرة وكانت تلك غلطة فاضحة فلو انهم عملوا الارض وابتنوا البيوت لاستغنوا عن كل مساعدة خارجية . ويحفظ التاريخ ثامن عشر اب تذكار ميلاد اول شخص انكليزي في العالم الجديد . ولما برح هويت المستعمرة الجديدة كان عدد المهاجرين فيها مئة وثمانية اشخاص . وشاع انهم توغلوا في الداخلية واختلطوا مع الهنود ولكن ذلك امر يحتاج الى اثبات ولم تقم ادلة

على صدقه

وفي تلك الاثناء حاصرت « الارمادة التي لا تُغلب » شواطىء انكلترا فطلبت حكومتها جميع قواتها من كل نوع للذود عن الوطن وصد العدو المهاجم · على ان رالي اعد سفينتين وملأهما بالزاد ليرسلهما الى مستعمرته ولكنهما طاردتا سفناً اسبانية تجارية ثم فاجأتهما بارجة اسبانية تجارية فاسرتهما ولم تستطع الحكومة الانكليزية العود الى البحث عن اولئك المهاجرين حتى سنة ١٥٩٠ فأوفدت سفناً لتلك الغايـة ولكنها لم تجد منهم احدا حياً ليخبر كيف انقرضوا عن بكرة ابيهم ولم تعاود انكلترا فكرة الاستعمار حتى سنة ١٦٠٢ فعاد العلم الانكليزي يخفق فوق ربوع العالم الجديد والفضل في اكتشاف شواطىء اميركا بعد ذلك عائد الى برثلماوس غوسنولد

وكانت الطريق القديمة بين اوروبا واميركا كثيرة العطفات فالمراكب التي تقلع من موانىء اسبانيا وفرنسا او انكلترا الى العالم الجديد ينبغي لها ان تسير اولا جنوباً الى جزائر كناري ثم الى جزائر الهند الغربية ومن ثم تدور شمالا الى خط القارة الساحلي فخالف غوسنولد تلك الطريق وخاض غمار الاتلانتيكي بسفينة واحدة صغيرة رأساً الى اميركا وبمدة سبعة اسابيع وصل الى شطوط ماين فوفر بذلك مسافة الفي ميل · وكان قصد غوسنولد انشاء مهجر وعليه فقد صحبه جم من المهاجرين · وشرع من راس اليصابات يرود الاراضي سائرا جنوباً فدخل الى راس كود ونزل مع اربعة من رجاله الى البر وهي اول مرة وطئت بها اقدام الانكليز ارض نيو انكلند وجاءت السفن بعد ذلك الى مضيق بزرد ونزل المهاجرون في احدى جزر اليصابات الغربية وكان ذلك اول ابتداء استعمار نيو انكلند

وبعد قليل شرعوا يتبادلون التجارة مع الهنود وبوقت قصير ملأوا السفينة من نبات السافراس الثمين نظرا الى طيب رائحته وفائدته في العقاقير الطبية وبقي المهاجرون

ردحاً من الزمان مسرورين بوطنهم الجديد ولكن لما ازمعت السفن الرجوع الى بلاد الانكليز كبر الامر عليهم وتجسمت امامهم متاعب واخطار جمة محيقة بتلك المستعمرة فصاروا يلحون بطلب العودة الى اوطانهم فاصغى غوسنولد الى توسلاتهم وخلت المستعمرة الجديدة من السكان وبعد سفر خمسة اسابيع كان الطقس فيها رائقاً وصلوا الى بلادهم

فنشر غوسنولد ورفاقه اخبارا بهجة عن البلاد التي زاروها ولم يمض وقت طويل حتى تألفت بعثة انكليزية اخرى الى اميركا وأعد مركبان لنقلها راسهما مارتن برن وملئا بالبضائع التي يتعشقها الهنود · وفي شهر نيسان سنة ١٦٠٣ بعد موت الملكة اليصابات اقلعت السفينتان من مياه انكلترا تقصدان العالم الجديد فوصلتا بامان الى مضيق بونبسكوت وصرف مارتن ومن معه ردحاً من الزمان بارتياد موانىء وشطوط ماين ثم داروا جنوباً حتى وصلوا الى حيث يكثر شجر السامارس وشحنوا السفينتين منه ثم عادوا الى اوطانهم فبلغوا بريستول في تشرين الاول بعد غياب ستة اشهر

وبعد ذلك بسنتين سافر جورج ويموث الى اميركا تحت رعاية ارل سوث هامبتون والقى مرسانه في شواطىء جزر ارخبيل سانت جورج في ولاية ماين وتبادلوا التجارة مع الهنود الذين صار بعضهم يتكلم الانكليزية فكانوا يعطونهم خرزا ونحوه من الاشياء الرخيصة ويأخذون منهم مواد ومعادن ثمينة بدلها ثم عادوا الى بلادهم · وهذه كانت خاتمة سفرات الانكليز التي كانت كتمهيد لرحلاتهم التي اسفرت عن استعمارهم العالم الجديد وانتفاعهم منه

الفصل الثامن

ـ« تتمة اسفار الانكليز الى العالم الجديد واستعمارهم فيه »ـ

في اليوم العاشر من نيسان سنة ١٦٠٦ اصدر الملك جيمس الاول الانكليزي رخصتين لرجال من مملكته تخولانهم حق امتلاك واستعمار كل الاراضي في اميركا الشمالية الواقعة بين الدرجة ٣٤ والدقيقة ٤٥ من العرض اي من مصب نهر راس فير الى مضيق باسامكودي وغرباً الى الاوقيانوس الباسيفيكي

فالرخصة الاولى أُعطيت جماعة من الاشراف والاعيان والتجار المقيمين في لندن ويعرفون باسم « شركة لندن » والاخرى مُنحت لرجال من طبقة الاولين قاطنين في بلموث والجنوب الغربي من انكلترا ويعرفون باسم « شركة بلموث » فأُعطيت للشركة الاولى كل الاراضي الواقعة بين الدرجة ٣٤ـ٣٨ من العرض الشمالي وللاخرى البقعة الممتدة من الدرجه ٤١ الى الدرجة ٤٥ · واما الاراضي الضيقة الواقعة بين درجة ٣٨ و٤١ من الطول فجعلت مشاعاً لمهاجري كلتا الشركتين على انه لا يحق لمهاجري إحدى الشركتين ان تقيم مهجرا الا على بعد مئة ميل مربع من مهجر الشركة الاخرى وذلك تمكن معرفته بالنظر الى الخارتة المرسومة لكل من الشركتين · على ان الفوز في الاستعمار كان بالاكثر لشركة لندن

والرجل الذي وضع حجر اساس شركة لندن هو برثلماوس غوسنولد واما رفقاؤه فكانوا ادوارد ونفيلد وهو تاجر غني والقس ربرت هنط وجان سمث رجل ذو حذق عظيم وفطنة نادرة . ومن الذين ساعدوا في ذلك السير جان بيهام رئيس العدلية في انكلترا والمؤرخ رتشرد هاكليت والسير فردينـاند جورجس من زعماء الاشراف وبحسب منطوق البراءة الملوكية كان يشرف على اعمال الشركة مجلس اعلى مركزه في لندن ومجلس ادنى مركزه في المستعمرة واعضاء المجلس الاول يعينهم الملك نفسه وله حق عزلهم وابقائهم واعضاء المجلس الاخر ينتخبون بمعرفة الملك وله حق عزلهم . وكل حقوق القضاء محفوظة للتاج . ولما تأسست الشركتان المذكورتان لم يسمح لهما ولا بشبه حكم ذاتي بل كانتا مقيدتين تقييدا تاماً بامر الملك . واجهل ما حوته براءة الملك من جهة الاستعمار هو تخويل المهاجرين حق امتلاك الاراضي لمدة خمس سنوات فقط واحكم ما فيها تخويلهم نفس الحقوق التي لسكان بمملكة الانكليز انفسهم

وفي شهر آب سنة ١٦٠٦ ارسلت شركة باموث اول سفينة الى اميركا ولم تتم تلك السفينة نصف مهمتها حتى اسرتها بارجة اسبانية . فأرسلت سفينة اخرى في خريف السنة عينها فعادت ورجالها يحملون اخبارا سارة عن البلادالتي زاروها فتشجعت الشركة بتلك الاخبار الحسنة وفي صيف سنة ١٦٠٧ انفذت مئة مهاجر إلى العالم الجديد فوصلوا الى مصب نهر كنباك واسسوا مستعمرة وكان كل شيء على ما يحبون وابتنوا هناك بعض مخازن واكواخ وغيرها وسموا المكان سانت جورج وعادت السفن الى انكلترا تاركة في المهجر الجديد ٤٥ نفساً . غير ان فصل الشتاء من سنة ١٦٠٧ ـــ ٨ كان شديد البرد لدرجة لا تحتمل فقاسى بعض المهاجرين ألم الجوع وبعضهم ألم البرد والمخازن المحتوية القوت ولوازم المعيشة احترقت والذين نجوا من الموت عادوا في الصيف الى اوطانهم

اما شركة لندن فكانت اسعد حظا من شركة باموث . فجهزت ثلاث سفن وسيرتها

بقيادة القبطان خريستوفور نيوبورت · وفي تاسع ايلول سنة ١٦٠٦ اقلعت تقل ١٠٥ مهاجرين بينهم ونفيلد وسمث الى العالم الجديد ·وسار نيوبورت في الطريق القديمة اي جزائر كناري وجزائر الهند الغربية ولم يصل الى شطوط اميركا حتى شهر نيسان من السنة التالية ورسم لهم ان ينزلوا في نواحي جزيرة رونوك ولكن النوء الشديد حال دون ذلك وقذف بالسفن شمالاً الى خليج تشيسبيك فدخلته وسارت على الشواطئ الجنوبية الى ان عثرت على مصب نهر جميل فدعوه نهر جيمس اكراماً لملك انكلترا وساروا فيه مسافة ٥٠ ميلا فلاحظ نيوبورت على الشاطئ الشمالي شبه جزيرة ممتازة بجمالها عن البقية فنزل الى البر وهناك وضع في ١٣ يار سنة ١٦٠٧ اساس مدينة جيمس تون وهي اقدم مهجر انكليزي في العالم الجديد · وذلك بعد ١١٠ سنين من اكتشاف كابوت اميركا وبحو ٤٢ سنة بعد تأسيس مدينة سانت اوغسطين

واما شركة بلموث فبعد فشلها في اقامة مستعمرة عند مصب نهر كنباك لم تفعل شيئاً يستحق الذكر بمدة عدة سنين غير ان عزمها على انشاء مستعمرات لم يمت بالكلية وفي اثناء تلك المدة كان المستر جان سمث وهو على جانب عظيم من علو الهمة والنشاط كثير الاهتمام بشمالي فرجينيا ولكن عرضت له امورا اضطرته ان يعود الى انكلترا سنة ١٦٠٩ منها جروح خطيرة اصابته بقضاء وقدر فلما عاودته عافيته عقد شركة مع اربعة رجال اغنياء من مدينة لندن غايتها المتاجرة بالفرو وتاسيس مستعمرات ضمن المنطقة المعطاة لشركة بلموث فجهزت الشركة الجديدة مركبين وملأتهما بما يلزم من الزاد والبضائع وتراسهما سمث نفسه فسارت السفينتان وبلغتا الشطوط الاميركية سالمتين وصرف سمث ورجاله صيف سنة ١٦١٤ على شواطئ ماين السفلى حيث تعاطوا تجارة رابحة مع الهنود وكان رجال سمث مسرورين بمعيشتهم وارباحهم لما كانوا يصطادونه من تلك الشواطئ غير ان سمث وجد عملاً أشرف وأكثر فائدة اذ شرع يجول

ويستطلع احوال البلاد ورسم خارطة فيها من نهر بنوبسكوت الى راس كود وما برحت تلك الخارطة محفوظة في معرض الآثار في لندن حتى الآن ودعيت الارض التي اخذ رسمها نيوانكلند (انكلترا الجديدة) وفي شهر تشرين الثاني عادت السفن الى بلموث تقل اشياء عديدة تدل على فوز تلك الرحلة

وطاف سمث ينهض الهمم ويشجع على المهاجرة بكل ما له من القوة وبكل رغبة وساعده في ذلك كثيرون من اعضاء شركة بلموث وفي سنة ١٦١٥ ارسلوا سفينة تقل ١٦ مهاجرا فلما كادت تصل الى اميركا حدث نوء عظيم قذفها الى جهات عديدة وبعد جهاد ثلاثة اسابيع عادت الى انكلترا وبالرغم من المعاكسات نجح ذلك المقدام العظيم سمث في تدبير مهاجرين آخرين سار بهم الى اميركا ولكن بعضاً من بحارته خانوه وتركوه في وسط الاوقيانوس واسر سفينته فرصان فرنسيون في اسكلة روشيل ولكنه افلت من سجنه في اواخر تلك السنة وركب زورقا وعاد الى لندن ٠ وشرع بمثابرة غريبة وثبات عجيب يصف محاسن نيوانكلند ويرغب الناس في المهاجرة اليها وحمل شركة بلموث على العمل بكل قوتها وما كانت المقاومات والمعاكسات الجمة في مشروعه الا لتزيده ثباتاً واقداماً وكانت شركة لندن اعظم المقاومين اذ داخلها الحسد من مزاحمتها شركة بلموث فقامت في سبيلها كل ما امكنها من العقبات والمصاعب ٠ وانقضت سنة ١٦١٧ ـ ١٨ في رسم طرق للمهاجرة الى ان انحلت اخيرا شركة بلموث برضى اكثر واهم اعضائها وحل محلها جمعية اخرى دعيت باسم «مجلس بلموث» وعدد اعضائه اربعون من الاكثر وجاهة والاوفر ثروة من رجال المملكة ومنحه الملك رخصة جديدة تجعله مطلق السلطة تقريبا وذا امتيازات غير محدودة وكل تلك البقعة الواقعة بين الدرجة ٤٠ و٤٨ دقيقة من العرض الشمالي والممتدة من الاوقيانوس الى الاوقيانوس اعطيت لمجلس بلموث ٠ فاضحى اكثر من مئة مليون ميل مربع ملك اربعين رجلا ولا يزال التاريخ حتى اليوم

قاصرا عن معرفة الاسباب التي حملت الملك جيمس على اعطاء تلك البراءة

فبنى مشروع الاستعمار عندئذ على اساس متين · وعين جان سمث اميرالا على نيوانكلند مدى الحياة · واصدر الملك جيمس منشورا بالرغم من معارضة مجلس العموم ثبت فيه ما تضمنته الرخصة المذكورة وكانت كل الامور تبشر باستعمار اميركا في المستقبل القريب وقد رأى القارئ تدابير الرجال الذين سيملكون ويستعمرون القارة الغربية · وفي الوقت نفسه كانت قوة فوق كل قوى البشر تعمل في المشروع عينه وكان قد حان الوقت الذي فيه ستعمر تلك الاصقاع بدون معرفة او مصادقة الملك جيمس الاول وبدون معرفة ومصادقة مجلس بلموث وذلك ان جماعة البيورتان «١» الذين كانوا في اواخر الجيل السادس عشر منتشرين في جهات مختلفة في شمالي بلاد الانكليز ولا سيما في مقاطعات نطهام ولنكان ويورك شرعوا ينضمون بعضهم الى بعض ويتشاورون في كيف يمكنهم الحصول على حرية العبادة · فمن الوجهة السياسية كانوا من اخلص رعية الملك الانكليزي واما دينياً فكانوا مقاومين لسلطة كنيسة انكترا وزاعمين ان كل انسان حر ان يفهم الكتب المقدسة حسبما يوحي اليه ضميره ولا يحق لرئيس او كنيسة ان تحكم عليه من جهة معتقده الديني وتعاليم كهذه كانت مخالفة ومضادة لكنيسة انكترا حتى ان الملكة اليصابات نفسها حسبت ان تلك التعاليم هادمة لسلطة القائم عليها عرشها والملك جيمس كان يعتقد كذلك فكانت تثور على اولئك «الطاهرين» اضطهادات عنيفة من وقت الى آخر ويسامون خسفا من اخوانهم في بلادهم الوطنية والمسيحية · ·

فقطع البيورتانيون الرجاء من نيل الراحة في بلادهم ووطنوا نفوسهم على الذهاب للمنفى علهم يحصلون على الحرية الدينية التي لم ينالوها في اوطانهم فوجهوا ابصارهم الى

(١) اسم شيعة دينية نشأت في سنة ١٥٦٨ تدعي الطهارة في التعليم والسلوك ولها شهرة في تاريخ العالمين الجديد والقديم

هولندا وحاولوا الفرار اليها ولكنهم قبض عليهم وارجعوا الى بلادهم وزجوا في ظلمات السجون ولما افرج عنهم عادوا فاجتمعوا في لنكلنشير وفي ربيع سنة ١٦٠٨ اقلعوا خفية في سفينة مخرت بهم بسلام الى امستردام حيث اعتنى بهم احد قسوسهم الابطال واسمه جان روبنصن فصرفوا هناك فصل الشتاء ثم رحلوا الى ليدن وهكذا ابتدأ تيههم من مكان الى آخر فاطلق عليهم اسم بلغرمز (حجاج) وكانوا قنوعين بحالتهم وهم غرباء لا وطن لهم ولا مكان راحة على ان مرارة الحرمان والمنفى تحليها لذة الحرية

بيد ان محبة الوطن سجية في الانسان لا يقوى على نزعها لو حاول ذلك . فاولئك البيورتانيون وهم في هولندا لم ينسوا — بل لم يقدروا ان ينسوا انهم انكليز . ولم يفتأوا مدة العشر سنوات التي اقاموها في ليدن يظهرون شوقهم الى العودة لبلادهم التي اخرجوا منها بفضل التعصب الذميم

وكانوا يلتمسون عمل شيء يدل على اخلاصهم لدولتهم ومحبتهم لوطنهم ليظهروا حتى للملك نفسه انهم وطنيون صادقون

هذه كانت حالتهم واميالهم عندما اظهروا سنة ١٦١٧ رغبتهم في المهاجرة الى آجام واحراج العالم الجديد وكانوا راغبين قلباً وقالباً في تأييد السلطة الانكليزية في تلك الاراضي الشاسعة فينسون الماضي ويقضون عهد الاهانات التي لحقت بهم ويرفعون راية وطنهم العزيز في ديار هجرتهم وعلى هذا اوفدوا جان كارفر وروبرت كشمان الى بلاد الانكليز لكي يطلبا رخصة لاعضاء كنيسة ليدن بالمهاجرة الى اميركا فارادت شركة لندن ومجلس بلموث الاصغاء الى ذلك الطلب غير ان الملك واكليروس كنيسة انكلترا ولا سيما اللورد باكون قاوموه بكل قوتهم وكل ما استطاع الملك ان يعد به هو انه يتركهم وشأنهم اذا هم هاجروا الى اميركا

اما البيورتيون فلم يخر عزمهم بل كانوا مصرين على المهاجرة بحماية او بدون حماية

باذن او بغيره وجل ما يقصدون الحصول على وطن امين لسكناهم تطلق لهم فيه الحرية الدينية فجمعوا ما امكن من النقود للقيام بنفقات السفر وساعدهم بعض ذوي الغيرة وهكذا تمكنوا من ابتياع سفينة صغيرة في امستردام اسمها سبيدول محمولها ستون طناً واستأجروا سفينة اخرى اكبر واقوى من الاولى اسمها مايفلور فالاولى لنقل المهاجرين من لندن الى سوث هامبتن وهناك تلتقي بالسفينة الاخرى التي كانت تقل رفقاءهم من لندن · فاجتمعوا في مينا دلفت على نهر ميوس وهي على بعد ١٥ ميلا من ليدن فدخل في السفينة سبيدول منهم قدر ما وسعت ورافقهم كل جمهورهم الى الشاطىء وهناك وقف القس روبنصن ولفظ خطاب الوداع وسافرت السفينة بهم تتبعها صلاة من بقي على الشاطىء لحفظها وسلامة من فيها

فوصلت كلتا السفينتين الى سوث هامبتن سالمتين وبعد اسبوعين كان كل المهاجرين على استعداد للسفر · وفي خامس آب سنة ١٦٢٠ اقلعت السفينتان من ذلك المينا وبعد مرور بضعة ايام على سفرهما تعطلت السفينة سبيدول ولم تعد صالحة للمسير فرست السفينتان في مينا دارت موط مدة ثمانية ايام لاصلاح ما يقتضي اصلاحه في السفينة ثم تابعتا المسير ولم تكادا تبعدان عن البر حتى اعلن قبطان سبيدول ان سفينته غير صالحة لقطع الاوقيانوس فارغمت على الرجوع الى بلموث وكان حزن ركابها اعظم من ان يوصف واضطرت السفينة الاخرى الى مرافقتها ايضا · وقابل الاهلون اولئك البلغرمز (الحجاج) بالترحاب واقاموا لهم مأدبة شائقة والذين كانوا بينهم اكثر رغبة في المهاجرة ركبوا متن السفينة مايفلور والحوا على ربانها بالمسير وفي سادس ايلول اقلعت بهم وقد صادفت نوءا عظيما كابدت منه اشد الاخطار مدة ٦٠ يوما · وكان المهاجرون يتوقعون ان يروا مستعمرتهم الجميلة على الهدسن غير ان العواصف قذفتهم الى حيث عز عليهم ادراك امنيتهم فكان اول ما وقعت عليه عيونهم من اليابسة جهات راس كود القاحلة ·

وفي تاسع تشرين الثاني القت السفينة مرساتها في المضيق • فعقد المهاجرون اجتماعاً على متن السفينة وقرروا انهم يكونون امناء للعرش الانكليزي وتعاهدوا انهم يعيشون بسلام واتفاق ومساواة في الحقوق والخضوع للشرائع المسنونة للخير العام هذادستور بسيط بيد انه سام ومجيد الذي وضعه المهاجرون لسلوك بموجبه في ديار هجرتهم وليس ما يفوقه في كل نظامات العالم الجديد حتى اليوم وقد وقع ذلك الدستور روءساء العائلات وعددهم ٤٢ رجلا ثم اجروا انتخابا كان لكل منهم صوت فيه فانتخب جان كارفر واليا على المستعمرة

وبعد يومين انزلوا السفينة ثانية فوجدوها نصف بالية وعديمة النفع فصرفوا اسبوعين من وقتهم الثمين باصلاحها • ومضى في اثناء ذلك ستاندس برادفورد يرافقه نفر من الرجال الى استكشاف تلك الاصقاع فلم يجدوا سوى ركم من الذرة خاصة الهنود وهي مغمورة بالثلوج• وفي ٦ كانون الاول فرغوا من الترميم فصارت السفينة صالحة للخدمة ونزل الوالي يصحبه ١٥ رجلا الى اليابسة وكان الطقس باردا والريح تهب بشدة والثلج يتساقط بغزارة فتبللت ثيابهم وصاروا يرتجفون من شدة البرد فجالوا كل النهار في تلك الاقطار وفي العشية عادوا الى الشاطىء • وفي الصباح هاجمهم الهنود فالتجأوا الى السفينة شاكرين الله على نجاتهم من مخالب الموت فاقلعت بهم السفينة جنوبا فغرباً مسافة ٤٥ ميلا حول الشاطىء الذي هو الان مقاطعة (كونتي) برانتسبل وفي مساء يوم سبت عصفت ريح زعزع كادت تغرق السفينة لو لا مساعدة القدر وحذق القبطان فجروها الى مكان امين في الجانب الغربي من المضيق وصرفوا اليوم التالي وهو الاحد في العبادة والخدم الروحية ويوم الاثنين الواقع في ١١ كانون الاول سنة ١٦٢٠ نزل الاجداد البلفرمز على صخرة بلموث

وكان الشتاء هائلا واولئك المساكين الذين لا مأوى لهم كادوا يذهبون ضحايا

الجوع والبرد وبعد ان صرفوا بضعة ايام في ارتياد الاراضي حول تلك الشطوط اختاروا مكانا قرب المكان الذي نزلوا فيه للمرة الاولى وفي تاسع كانون الثاني سنة ١٦٢١ اتموا ما امكن اعداده من ادوات البناء وشرعوا بتشييد مدينة بلموث الجديدة· وفرض على كل من الرجال ان يبتني بيتا له ولعائلته غير ان الامراض المختلفة تفشت بينهم حتى لم تنجُ عائلة منها · وفي احد الاوقات لم يكن قادراً على العمل سوى سبعة رجال فعملوا ملاجىء تقيهم الهواء النافخ والثلج الناسف ولو لا دخول فصل الربيع عاجلا وتوقف سير الامراض لبادوا عن آخرهم · وهكذا تحت تلك الاحوال الصعبة ابتدا استعمار نيوانكلند فتأمل ·

الفصل التاسع

—(رحلات الهولانديين الى اميركا واستعمارهم)—

اول مهجر هولاندي في اميركا الشمالية انشىء في جزيرة مانهاتان او نيويورك · وذلك كان نتيجة رحلات السير هنري هدسن ·فهذا البحري الماهر كان سنة ١٦٠٧ في خدمة شركة تجارية في لندن ففوضت اليه امر اكتشاف طريق جديد الى الهند شرقا اوغربا فسافر بسفينة واحدة ومر بشاطىء كرينلاند الشرقي وبلغ درجة من العرض لم يبلغها احد قبله ثم دار الى جزيرة سبتز برغن فطافها ثم ارغم بسبب تراكم الجليد على وجه الغمر ان يعود الى انكلترا · وفي السنة التالية جدد رحلته آملاً ان يجد بين سبتزبرغن ونوفا زميلا طريقاً مفتوحاً الى الشرق وبذلك تقصر الطريق الى الصين لا اقل من ٨٠٠٠ ميل غير ان تلك الرحلة اسفرت عن

فشل في المقصود ايضا لان بحارته استولى عليهم اليأس والقنوط فالحوا بالرجوع الى اوطانهم وما كان ذلك الا ليزيده اقداما ورغبة في العمل · اما اعضاء الشركة المذكورة فداخلهم الحذر من الفشل فامتنعوا عن مساعدته اما هو فهجر بلاد الانكليز وسافر الى امستردام · وكانت هولاندا آنئذٍ في مقدمة دول العالم في سلك البحور وخوض غمار اليم · فلم يعد لذلك النوتي العظيم من حاجة الى استعطاف الناس للاخذ بناصره وشد ازره على الاسفار والاكتشاف اذ وجد في امستردام من يقدر قدر مشروعه ويناصره فيه بكل طيبة خاطر · ففي اليوم الثامن من كانون الثاني سنة ١٦٠٩ اتفق هدسن مع مديري شركة الهند الغربية الهولاندية في امستردام على ان يبنوا له مركبا محموله ٣٠ طنا ليسافر به وتقدم له الشركة ايضا مبلغ ٣٤٠ ريالا وتعهد بتقديم معاش لاسرته اذا هو لم يرجع من سفره · وهكذا اقلع هدسن بذلك اليخت المسمى هافامون (نصف هلال) في اوائل نيسان من السنة المذكورة وهي رحلته الثالثة في اكتشاف طريق الهند · ولدواعٍ لا يهمنا ذكرها غير هدسن وجهته الشمالية ودار غربا وما زال سائرا حتى بلغ مضيق نيويورك صباح يوم احد في شهر ايلول من تلك السنة والقى مرساة مركبه في ساندي هوك وبعد يوم نزل مع رجاله الى البر فتألب حوله الهنود متعجبين مذهولين واتوه بهدايا من الذرة والثمار البرية والتراق · وكانوا ينظرون الى المركب مستغربين وخالوه قلعة حربية وقالوا انه لم يمر بنا بعد سفينة كهذه ولا رجال كهؤلاء فابتاع هدسن من الهنود جزيرة منهاتان بمبلغ ٢٤ ريالا وبعد عشرة ايام من وصوله الى مضيق نيويورك نظر من ظهر مركبه النهر الذي لم يزل يدعى باسمه ولما كان شديد الرغبة في اتمام ما يجول في خاطره من ايجاد طريق جديدة الى الشرق الاقصى سار في النهر صعدا متجهاً نحو الشمال مدة ثمانية ايام · وفي ٢٢ ايلول اوفد زورقا مع بعض الرجال للكشف عن مقدار امتداد النهر فساروا حتى وصلوا

الى حيث البني اليوم ثم رجعوا اليه بالخبر « هذا آخر ما يمكنك ان تتقدم » فصفق صفقة الخاسر وادار مركبه جنوبا وكاد يتميز غيظا لانه فشل في ما كان ينوي ولم تصح احلامه · وفي ٤ تشرين الاول قفل راجعا الى اوربا وعرج في طريقه على ميناء دارتموث الانكليزية وقد يكون حب الوطن دفعه الى ذلك فحجزت الحكومة الانكليزية على مركبه بحجة ان البحارة انكليز · وكل ما قدر هدسن على عمله هو انه عاد الى الشركة التي سافر على نفقتها بخبر اكتشافه ووصف لها جمال تلك البقاع التي رآها والنهر الجميل وما حوله من الاراضي الخصبة التي اكتشفها تحت العلم الهولاندي

فصارت للتجار الانكليز رغبة شديدة في بذل كميات وافرة من الدراهم في سبيل معرفة الطريق الجديدة التي افتتحها هدسن فجهزوا له مركباً دعوه «ذي دسكفري» (الاكتشاف) فسافر فيه سفرته الرابعة والاخيرة على نفقة شركة «مسكوفي» الانكليزية وكان قد تحقق انه لا يوجد منفذ بين فلوردا وماين الى الاوقيانوس الباسيفيكي فعمد الى ايجاد ذلك الممر بين خليج سانت لورنس وجنوبي كرينلاند

وفي ثاني آب وصل بسفينته الى المضيق المسمى باسمه اي مضيق هدسن وهي اول سفينة خاضت تلك المياه وفي سيره غرباً مر على جزائر عديدة ولما تقدم قليلا رأى ان المضيق امامه منفرج والاوقيانوس يتسع تدريجاً فخال انه وجد ضالته المنشودة واكتشف طريق الشرق الاقصى ولكنه لما توغل قليلا في الغرب وجد ان البحر والشواطىء ابتدأن ان تضيق وانه صار في الخليج الشمالي وقد ادركه فصل الشتاء واشتد زمهرير البرد فصبر على الشدة صبر الكريم ولم يخر عزمه وييأس من النجاة واخيرا نفد كل ما كان معه ومع رجاله من الزاد والمؤونة ولكن فصل الربيع ابتدأ وباب الفرج فتح امامهم بيد ان قسما من بحارته لدغتهم افعى الخيانة فثاروا عليه وصاروا يتحينون الفرص للفتك

به. وفي صباح يوم احد بينما كان هدسن خارجا من حجرته امسكه المضمرون له الشر وشدوا وثاقه ووضعوه مع ابنه الوحيد وثمانية من الرجال المخلصين في قارب صغير وتركوهم يتغالبون الامواج وعادوا هم الى بلادهم

وفي سنة ١٦١٣ بلغ خبر ما فعله اولئك القساة الى بلاد الانكليز فقبضت الحكومة عليهم وزجتهم في ظلمات السجون قائلة لا تخرجون من هنا حتى يحضر قبطانكم هدسن بالسلامة غير ان هدسن لم يعد وكان ذلك آخر العهد به فلم يعرف زمن هلاكه كما ان وقت ولادته كان مجهولا

وفي سنة ١٦١٠ اطلق الانكليز سراح السفينة «هاف مون» فعادت الى امستردام. وفي تلك السنة نفسها سافرت عدة سفن خاصة تجار هولانديين الى شواطئ نهر الهدسن وتاجر الهولانديون بالفرو فكانت تجارتهم رابحة جداً وفي السنتين التاليتين سافرت ايضاً عدة سفن قصد الاتجار والربح. وفي سنة ١٦١٤ حصر مجلس حكومة هولاندا حق المتاجرة في العالم الجديد بعدد معين من التجار وبانشاء مهاجر في الاماكن التي اكتشفها هدسن. فارسل اولئك التجار في صيف تلك السنة اسطولا مؤلفاً من خمس سفن صغيرة تجارية الى جزيرة مانهتان. وكان بعض التجار قد انشأوا اكواخاً فيها اما الان فشرعوا بتشييد حصن للدفاع عن حياضها ودعوا تلك المستعمرة امستردام الجديدة. وفي خريف تلك السنة سار القومندان ادريان بلوك باحدى السفن في النهر الشرقي الى مضيق لونغ آيلند مكتشفا الشواطئ حتى وصل الى كنكتكيت ثم سار الى جون ناراغنست فراس كود. وفي نحو ذلك الوقت سار كريستنون وهو قبطان هولندي في الاسطول نفسه بسفينة من مانهتان الى كاسل آيلند وهي على بعد قليل من موقع مدينة البني وبنى بيتاً من الخشب دعاه حصن ناسو. كما ان كرنيليوس ماي وهو قبطان سفينة صغيرة سار من امستردام الجديدة واكتشف شطوط نيوجرسي وسار جنوباً حتى مضيق دلاوير.

وبناءً على هاتين الرحلتين الواحدة شمالا والاخرى جنوبا من جزيرة مانهاتـان حيث انشىء المهجر الهولاندي الاول ادعت هولاندا ملكيتها لها ودعتها نيونيزرلاند وهي تمتد من راس هنلوبن الى راس كود ولكن فرنسا وانكلترا رفضتا الاعتراف لهولاندا بذلك التملك —

القسم الثالث

ـــ« تاريخ الاستعمار من سنة ١٦٠٧ ـــ ١٧٧٥ »ـــ

الفصل العاشر

فرجينيا ـــ الرخصة الاولى

ان اسباباً كثيرة حالت دون نجاح مستعمرة فرجينيا القديمة ٠ فالمهاجرون الاولون الى جيمس تون كانوا كسالى وعديمي الاهتمام بامور الرقي والعمران ٠ والمئة وخمسة رجال الدين جاءوا مع نيوبورت سنة ١٦٠٧ لم يكن منهم من يصلح للعمل سوى اثني عشر وهوءلاء ايضاً لم يأتوا عملا الا مضطرين واكثر اولئك المهاجرين رجال تركوا عيالهم في انكلترا وهاجروا وحدهم مما يدل على انهم لم يوطنوا نفوسهم على الاقامة في ديار الهجرة

على ان الشروع في تلك المستعمرة لم يراع فيه جانب الحكمة ٠ فالملك جيمس سن الشرائع التي ينبغي ان يسير المهاجرون بحسبها غير انه ببلادته المشهورة وضع الرق

المندرجة فيه تلك السنن ضمن صندوق وحتم بالاّ يفتح ذلك الصندوق الاّ بعد وصول المهاجرين الى اميركا · فكانت اسماء الحاكم واعضاء المجلس مجهولة اثناء السفر وعليه فلم تكن لاحد سلطة شرعية على السفن فسادت الفوضى وعم الاضطراب · وكانوا كلهم يسيئون الظن بالقبطان سمث مع انه اكبرهم عقلا واكثرهم فضلا فاتهموه بانه كان يدبر مكيدة لاهلاك اعضاء المجلس واحتسبوه من اعضائه · وبانه يبغي اشهار نفسه ملكا على فرجينيا فامسكوه واوثقوه · ولما بلغوا ارض مهجرهم فضوا ختوم الصندوق واخرجوا منه الرق الحاوي اوامر الملك وقراءوا اسماء اعضاء المجلس الادنى فعقد هولاً جلسة وانتخبوا ادورد ونفيلد حاكما على فرجينيا اما سمث الذي اضحى آنئذ طليقا فاتهموه بالثورة والشغب واسقطوه من عضوية المجلس · فطلب اليهم ان يحاكموه · فلما برز خصومه الى المحاكمة لم يكن عندهم ما يثبت صحة دعاويهم عليه سوى سوء ظنهم فيه فانتصر له روبرت هانت وبعد جدال عنيف اعيد الى مركزه في عضوية المجلس

فلما هدات الاحوال وساد السلام سار القبطان سمث يصحبه نيوبورت وعشرون رجلا غيره في نهر سانت جيمس مستطلعاً حالة تلك النواحي الى مسافة ٤٥ ميلا وكانت تلك فاتحة الاكتشافات العديدة المهمة التي قام بها بعد ذلك · وعند مصب النهر المذكور في المكان القائمة فيه الان مدينة رتشمند عثر سمث على عاصمة بوهاتان ملك الهنود ولم يكن فيها ما يسترعي الانظار اويأخذ بمجامع القلوب فاستقبلهم الملك بكل ترحاب وبشاشة وسكن ثائر شعبه الذين امتعضوا من روٴية اولئك الاجانب · وفي اواخر ايار رجع سمث ورفقته الى جيمس تون وبعد رجوعهم بخمسة عشر يوما عاد نيوبورت الى انكلترا

وابتدأ المهاجرون لاول مرة في التفكير في حقيقة مركزهم فكانوا فريدين في وسط وحشة العالم الجديد · نعم ان جمال فرجينيا الطبيعي كان محيطابهم غير ان رهبة قرس برد

الشتآء كانت دائما نصب عيونهم · وفي اواخر شهر اب تفشت بينهم الامراض الوبيلة فاصبحوا على شفير الهلاك والانقراض · وتحول الحصن الذي شادوه للدفاع عن مستعمرتهم الى مستشفى غاص بالمرضى والمحتضرين حتى انه في وقت ما لم يبق قادرا على العمل سوى خمسة رجال فقط ومات في تلك الاثناء برثلماوس غوسنولد موجد المستعمرة وافضل اعضاء المجلس · وقبل نصف شهر ايلول هلك نحو نصف الرجال بالحمى الخبيثة ولو لم تقطع شدة البرد دابر الداء لما بقى من كل المهاجرين من يخبر بما تم لهم

ومما زاد في الطين بلة الشقاق السياسي · فان الحاكم ونفيلد وهو رجل عديم النزاهة وحليفه جورج كندول احد اعضاء المجلس اتفقا على سلب ما وصلت اليه ايديهما من خزينة المستعمرة وحاولا الفرار في سفن الشركة غير انه قبض عليهما وجردا من وظفيتهما فلم يبق من رجال المجلس سوى ثلاثة وهم راتكلف ومارتن وسمث · فانتخب الاول رئيسا ولكنه لم يكن على شيء من الكفائة او الشجاعة فازدادت حالة المهاجرين سوأ وما لبث راتكلف حتى حذا حذو سلفه فعلم امره وثبتت عليه الخيانة فأقيل من وظفيته فلم يبق سوى مارتن وسمث فانتخب الاول الثاني حاكما على فرجينيا فكان نعم الحاكم فعمل بما خصه الله به من المواهب كل ما في امكانه لسعادة المهاجرين وراحتهم

ومع ان الحاكم الجديد لم يبلغ الثلاثين ربيعاً من العمر فقد كان ضليعاً في كل الامور وهو انكليزي المولد · تمرن في الجندية جيدا في هولاندا وساح في فرنسا وايطاليا ومصر ثم انخرط في الجندية هنغاريا فاسره الاتراك وباعوه رقيقاً فارسل من القسطنطينيه الى القرم وسجن فيها وهناك قتل الحارس لسبب ضربه اياه وهرب متوغلا في احراج روسيا ومن ثم نجا الى غربي اوروبا وانتظم في سلك الجيش الزاحف على مراكش ثم عاد الى انكلترا ودخل في خدمة شركة لندن · واضحى الذين كانوا من الد اعدائه واشد مضطهديه يتوسلون اليه لكي ينتشلهم ومستعمرتهم من وهدة الاضمحلال والفناء وعلى الاجمال ان

جان سمث يشغل قسماً كبيرا من تاريخ اميركا القديم

وبدت طلائع التحسين والنجاح تظهر في مستعمرة جيمس تون بفضل اجتهاد الحاكم الجديد واول ما حول اليه ابصاره بعد ان عاودت المهاجرين صحتهم تحسين الابنية في المستعمرة وزاد في تصين الحصول واصلاح بيوت السكن وشاد مخازن واخذ الحيطة اللازمة للوقاية من الشتاء القادم والامر الاخر الذي وجه اليه اهتمامه الحصول على قوت كاف من الاماكن المجاورة يكفي الجميع كل مدة الشتاء . وكان الموسم في تلك السنة عند الهنود مقبلا جدا على ان الحصول على الذرة من الهنود ليس بالامر اليسير غير ان سمث اخذ على عاتقه امر الحصول عليها مع انه يجهل لغة القوم فسار في زورق في نهر جيمس حتى بلغ الى هامبتن رودفنزل الى البر يصحبه خمسة رجال وتقدم بكل جسارة الى ان بلغ محلة الهنود وعرض ان يبادلهم فوؤساً ونقودا نحاسية بذرة . اما الهنود فضحكوا منه واستهزؤا بذلك الثمن وقالوا لسمث انه يعطونه كسرة خبز بدلا من سيفه وبندقيته . فلما راى سمث ان تلك المعاملة اللطيفة لا تجدي نفعا عقد النية على محاربة الهنود فاطلق هو ورجاله عياراتهم عليهم فذعروا وولوا الادبار متغلغين في الاحراج وهم يولولون فتقدم الرجال الى اكواخهم ووجدوا كميات وافرة من الذرة اما سمث فلم يدعهم يمسون حبة واحدة حتى يعود الهنود الى محاربتهم . وبعد هنيهة برز ستون او سبعون من الاكاسرة الحمر يتقدمهم كاهن رافع بيديه صنماً وهجموا على خصومهم البيض الذين ليس انهم ثبتوا في مراكزهم فقط بل انهم هجموا على الهنود وجرحوا عددا منهم وغنموا اصنمهم فنتج عن ذلك كسر هياج الهنود واذلالهم فجاء كاهنهم مذعورا لفقد الهه وصار يتضرع بكل تواضع وانكسار قلب الى سمث ليرده اليه . اما سمث فوقف بثبات وصوب بندقيته نحو الصنم ورفض الاصغاء لتوسلات الكاهن قبل ان يأتي ستة هنود ويملأوا زورقه ذرة فلما فعلوا ذلك ارجع اليهم الههم ووزع

عليهم كثيرا من الفؤوس والخرز فسروا بذلك ورقصوا مع سمث علامة لشكرهم وابتهاجهم فعاد سمث ورجاله الى قومهم وزورقهم ملآن زادا

وصار الهنود المجاورين لجيمس تون يأتون الى الحصن ويقدمون للانكليز مما عندهم مختارين فانتفى من قلوب المهاجرين كل اثر للخوف من الجوع · وكانت الاحراج ملآنة بالادياك الهندية وغيرها من الطيور فاصطادوا منها مقدارا كبيرا يكفي لحاجتهم ويزيد · وكان السلام والوئام سائدين بين افراد الجالية وبينهم وبين عدة قبائل من الهنود المجاورين فانتعشت امال المهاجرين وحيي فيهم ميت الامال

ولما تصرم حبل الشتآء وانقضى زمان الزمهرير شرع الحاكم سمث يرود تلك الاصقاع فاصطحب ستة رجال انكليز ودالولين هنديين وسار بهم صعدا في نهر تشكاهومني وكان مهاجرو جيمس تون يخالون بان ذلك النهر متصل بالاوقيانوس الباسيفكي اما سمث فكان يعلم بان ذلك ضرب من المحال ولكنه طمعاً بارتياد ارض جديدة سار في ذلك النهر وبينما كان الاخرون يحلمون بالعثور على الذهب والوصول للاوقيانوس الباسيفيكي كان هو دائباً على ملاحظة تربة الاراضي ورسم خارطة مجرى النهر

وداوموا المسير حتى لم تعد المياه كافية لحمل زورقهم فجروه الى اليابسة ووضعوه في مكان امين واقام سمث اربعة من رجاله على حراسته وسار مع الباقين بطواف في الجدول الى انه لم يعد يمكنهم المسير فجروه الى اليابسة ايضا واقام الانكليزيين الباقين على حراسته وسار مع الهنديين مترجلا مسافة ٢٠ ميلا على ضفاف ذلك الجدول الذي صار يتناقص الى ان صار قناة تخترق تلك الغابات والاجام · اما الاربعة الذين تركوا لحراسة الزورق فلم يفعلوا بحسب ارشاد حاكمهم سمث بل تركوه وتوغلوا في الداخلية فهاجمهم ثلاثماية من الهنود بقيادة ملكهم اوبتشانكانوغ اخي بوهاتان فهرب ثلاثة منهم الى حيث

كان الزورق واما الرابع واسمه جورج كاسان فوقع اسيرا فتهددوه بالقتل اذا هو لم يخبرهم عن مكان وجود سمث . ثم هاجموا الرجلين اللذين كانا يحرسان الطواف وقتلوهما ثم وجدوا سمث نفسه فهاجموه وجرحوه وطاردوه في الادغال وكانت نبالهم تنسكب عليه كالمطر اما هو فاقام احد الهنديين اللذين صحباه هدفاً بينه وبين مهاجميه وشرع يطلق عليهم بندقيته فكان كل طلق يردي هنديا حتفه فحارب ببسالة كأسد جبار ثم شد واحد من الهنديين رفيقيه الى ساعده الايسر كترس وسار راكضاً وهو يطلق عيار بندقيته الى ان سقط في مستنقع تعذر عليه الخروج منه غير ان الهنود كانوا بعد خائفين منه فلم يقتربوا اليه حتى طرح بندقيته ورفع يديه علامة التسليم فتقدموا منه وانتشلوه من تلك الحمأة

ولم يبد سمث اقل امارة للخوف بل طلب بكل جسارة مقابلة رئيس الهنود فاخذوه اليه فلما رآه اخرج من جيبه حكا وساعة واراه اياهما فوقعا عنده موقع الدهشة والروع وشرع سمث يرسم ارقاماً على الارض ويعلم آسريه بعض مبادي الجغرافية والفلك فوقف الهنود مبهوتين واصغوا اليه نحو ساعة وما لبثوا حتى اظهروا الملل من ذلك ثم اندفعوا عليه وشدوا وثاقه الى شجرة وهموا بقتله . اما هو فقذف بحكه في الهواء كمن يقيم شعارا دينياً فتوقفوا عن نشب السهام في قلبه فانقذ نفسه من مخالب الموت بحذقه وشجاعته وتوهم الهنود بانه من سكان عالم اخر ويخشى عليهم من الخطر اذا مسوه بضرر

واخذوه اولا الى بلدة اورابيس وهي على بعد بضعة اميال من موقع رتشمند شمالا فاكتشف هناك على مكيدة هائلة دبرها الهنود لهلاك مستعمرة جيمس تون وطلبوا اليه ان يتولى زعامتهم بذلك فابى وارعبهم بوصفه لهم مدافع الانكليز وغيرها من الآلات الدمار وارسل كتاباً الى قومه في جيمس تون يخبرهم فيه بوقوعه اسيرا بيد الهنود وما توقع له معهم ويحذرهم من الخطر المحيق بهم ويطلب اليهم ان يرسلوا اليه بضع ادوات

واوصاهم ان يلقوا الرعب ما امكنهم في قلوب الذين ينقلون اليهم كتابه · وتوهم الهنود ان في ذلك الكتاب قوة خارقة العادة لانه ينقل اخبارا الى ابعاد شاسعة فاحتفظوا به ورهبوا جانب كاتبه اكثر من الاول · فلما وصل الى جيمس تون ووجدوا كل شيءٍ على ما وصفه لهم سمث دهشوا واستولى عليهم الرعب والاندهاش ولما عادوا الى قومهم واخبروهم بما راوا انتفى من عقولهم كل فكر بمهاجمة جيمس تون

وطاف الهنود باسيرهم من قرية الى اخرى الى ان بلغوا بلدة مانكي عاصمة الملك اتيشا نكانوغ فسلموه للكهنة الذين تألبوا في دار القضاء وصاروا يرقصون حوله مدة ثلاثة ايام وهم يصيتون ويغنون حسب طقوسهم و كل ذلك لاجل معرفة ماذا عسى ان يكون نصيب اسيرهم ولسوء حظه كان تقريرهم ضده فحكم عليه بالموت

وبحسب اصطلاح الهنود كان حكم الاعدام يجب ان يوقع عليه من الملك نفسه فاستاقوا سمث مسافة ٢٥ ميلا الى حيث الملك وهو في الستين من عمره فقابل الملك سمث بكل خشونة اشتهرت بها قبيلته ثم ذهب الى دار القضاء وهو مرتد حلة من الفرو وجلس على عرشه في صدر المكان وجلست ابنتاه عن جانبيه واصطفت رؤساء القبيلة ونساء الشرف كل بحسب رتبته · ثم ان الملك بحث عن سبب ذلك الحكم واذ رآه عدلا ثبته · واتوا بحجرين كبيرين ووضعوهما في وسط المكان المجتمعين فيه وجروا سمث موثقاً اليهما ووضعوا راسه على احدهما بحيث ان ضربة واحدة تكسره تكسيرا وصدر الامر لاحد الهنود المريعي الهيئة ليستعد للفتك بذلك المنكود الحظ ولما اعطيت الاشارة بذلك نهض الجلاد وقبض على آلة الهلاك وتقدم من سمث المسكين ولحظة واحدة · كانت كافية للقضاء عليه وعلى مستعمرته غير ان العناية دبرت طريقا لنجاته · فان كبرى بنتي الملك بوهاتان واسمها ماتوكا تقدمت ووقفت بين آلة الموت المرتفعة والاسير المسكين المضجع على الارض وطوقت راسه بيديها وما برحت تطلب الرحمة والعفو حتى

سمع ابوها لتضرعاتها واستبقى سمث فامر بحل قيوده وانهاضه فنجا ثانية من مخالب المنون وتلك نادرة قد لا يكون اغرب منها في تاريخ العالم فمن ذا يشك بعد هذا الحادث يكون المرأة (الصالحة) جبلت من طين اللطف بماء الحنو الجاري من معين الرحمة والحنان

واذ عزم الملك على استحياء اسيره عامله باللطف واكرمه وعينه في حاشيته ليصنع فؤوساً لرجاله ولعباً لاولاده ومنحت له الحرية تدريجاً واخيراسمح له بالعودة الى جماعته في جيمس تون · ووضعوا شرطاً لاطلاق سراحه بانه يرسل الى اورابكس مدفعين وحجرا للشحذ وارسلوا معه نفرا منهم لحملها وان تلك العطايا تعد بمثابة ختم لعهد الصلح بين الاوروبيين والهنود · فعاد سمث الى جيمس تون يصحبه ١٢ هنديا فاستقبله قومه بكل فرح وترحاب مهنئين اياه بخلاصه وسلامته

واول مارغب سمث في عمله هو ان يجعل لقومه تأثيرا في نفوس اولئك الهنود وكان تعلم لغتهم اثناء وجوده بينهم وخبرهم فعرف مواطن الضعف منهم · فامر باحضار المدفعين وان يحشيا بالحجارة ثم تظاهر بتعليم الهنود كيفية اطلاقهما فاطلقهما على رؤوس الاشجار فانتفشت وتدلت اغصانها فحدث من ذلك رعشة ارتجفت لها قلوب الهنود وجلا فامتنعوا عن لمس تلك الآلات الشيطانية وعادوا الى مولاهم بدون مدفعين او حجر شحذ

وتناقص عدد المهاجرين فلم يبق منهم احياء سوى ٣٨ نفساً اعياهم الجوع والبرد وغاب عنهم زعيمهم في شتاء لم يحدث اشد من برده فعادوا الى التذمر والشكوى من سوء حالهم فلما عاد سمث اليهم وجدهم على اهبة الرجوع الى اوطانهم حالمايعتدل الطقس فانتهرهم وتهددهم بطرق متنوعة لكي يقلعوا عن قصدهم فنقموا عليه وصمموا على قتله في اية فرصة تلوح لهم

وفي خلال ذلك التشويش والاضطراب عاد القبطان نيوبورت من انكلترا ومعه كمية وافرة من الزاد والعدة و١٢٠ مهاجرا جديدا فانشرح المهاجرون القدماء صدرا وطابوا نفسا واما الحاكم سمث فكان كدره موازياً لفرحه لانه لم يتوسم في القادمين جديدا علامات النشاط والاجتهاد

ففي اول لائحة اسماء اولئك المهاجرين ٣٤ اسماً من الاسياد ثم اسماء طلاب الذهب فالصاغة فالحفارين فالسياح والبطالين ممن كانوا عالة على البلاد وكان الاولى ايداعهم السجون من ارسالهم الى مستعمرة جيمس تون ومما زاد فى غضب سمث ان تلك الزمرة هاجرت على رغم احتجاجه ورفضه فهو كان رغب الى القبطان سمث ليأتيه بعدد من الميكانكيين والعملة غير ان محبة شركة لندن للذهب فاقت على كل شيء اخر فاوفدت الى فرجينيا زمرة لا تصلح للعمل

فضعف رجاء سمث في الاستعمار الذي كان يرغبه · ولما حل فصل الربيع انتشر المهاجرون الجدد ومعهم عدد من القدماء ايضا في الادغال للتفتيش على معادن الذهب وحدث انهم راوا موادا لامعة على شاطيء نهر جيمس فثار ثائر الجالية كلها واندفعوا على ذلك الشاطىء اندفاع الجياع على القصاع حتى ان مارتز ونيوبورت وهما عضوان في المجلس اخذا باحبولة العامة وانضما اليهم · فالاول توهم انه صار ذا ثروة وافرة فشمخ بانفه وركب غارب الطياشة والاخر ملأ سفينة بما توهمه تبرا وارسلها الى انكلترا وسار هو في نهر جيمس لكي يكشف طريقا الى الباسيفكي ·وهكذا مر ١٤ اسبوعا من ايام الربيع الزاهرة التي كان يجب صرفها بالحراثة والزراعة لا باعمال الطياشة والجهالة مما لاطائل تحته حتى ان الهنود البرابرة سخروا من جهلهم وغباوتهم واندفاعهم الى حفر الذهب الموهوم بدلا من الاستفادة بعمل الارض

وفي ضوضاء تلك الاعمال الصبيانية نسوا سمث الحكيم واعماله المفيدة وهو كان

يرى بعين حكمته بان خيرا عظيما سينتج عن ذلك الجهل المنتشر فكظم غيظه واعتصم بحبل الصبر الجميل وباشر بعمل شريف لا يقل اهمية عن اكتشاف مضيق تشاسبيك وضواحيه فقادر جيمس تون في ٢ حزيران يصحبه الدكتور رسل و١٣ رجلا بقوا امناء له · ولم يكن لديه سوى قارب محموله ثلاثة طنات فسار بكل رباطة جأش مع رفاقه المذكورين عن طريق هامبتون وراس هنري حتى بلغوا جزيرة سمث ثم داروا حول شبه الجزيرة التي تنتهي عند راس شارل · وداروا شمالا حتى بلغوا نهر ويكوميكو في ولاية ماريلاند ومن هناك قطعوا الى نهر باتوكنت وساروا شمالا على الجانب الغربي الى باتابسكو وهناك تذمر بعض رفقته والحوا عليه بالعودة الى المستعمرة فاجابهم الى طلبهم وفي سيرهم جنوباً اسعدهم الحظ بالدخول في نهر بوتوماك · فسر رفقاء سمث كثيرا بذلك ووطنوا نفوسهم بان يرودوا ذلك النهر قبل عودتهم الى المستعمرة فساروا فيه حتى وصلوا الى الشلال الواقع في اعلى مدينة جورج تون فراق لهم منظر تلك البقاع جدا ثم عادوا الى جيمس تون في ٢١ تموز

وبعد استراحة ثلاثة ايام ابتدأ سمث برحلة اخرى فسار الى الخليج ثم صعد في نهر سسكواهانا حتى لم تعد المياه كافية لتعويم القارب وتعرف هناك بقبيلة من الهنود هي اكثر شرا وضرا من سواها · وفي عودته الى جيمس تون مر في الخليج وراد كل تلك الاراضي حتى الى مصب نهر راباهنوك ورجع الى جيمس تون في ١٧ ايلول وكان مجموع مساحة ماراده من الاراضي بمدة ثلاثة اشهر ما ينيف عن الثلاثة الاف ميل · وكابد من المشقات والمتاعب والمخاطر في ذلك السبيل ما يستغرق ذكره مجلدا كبيرا · ورسم خارطة جميلة بكل ما اكتشفه وارسلها الى انكلترا مع القبطان نيوبورت وهي لم تزل حتى الان محفوظة في متحف لندن مع الاثار النفيسة

وبعد رجوع سمث بثلاثة ايام انتخبوه رئيساً وحاكماً فقام خير قيام بمهام وظيفته

واصلح ما كان معتلا ونفذ منطوف الشريعة فحل السلام والنظام بدلا من الخصام والفوضى وتبدلت الاحوال السيئة بحسنة وعدل طلاب الذهب عن تضييع الوقت سدى وعمل كل بما فيه النفع له وللمستعمرة · وفي الخريف عاد القبطان نيوبورت ومعه ٧٠ مهاجرا فزاد مجموع عدد المهاجرين في جيمس تون على المايتين · وفرض سمث على كل واحد ان يعمل ست ساعات متوالية في اليوم ·وابتنت بيوت جديدة ووضعت سياجات للحقول ودام العمل كل مدة الشتاء بلاتوقف وصدح صوت العمل بالتقدم والفلاح في تلك المستعمرة هكذا كانت حالة مستعمرة جيمس تون من ولاية فرجينيا سنة ١٦٠٩

الفصل الحادي عشر

ـ «فرجينيا ايضاً ـ البراءة الثانية والثالثة »ـ

في ثالث وعشرين ايار سنة ١٦٠٩ الغى الملك جيمس الاول شريعة مستعمرة جيمس تون بدون معرفة سكانها ومنح شركة لندن براءة جديدة تغير بموجبها كل نوع الحكم في تلك المستعمرة وامتدت سيطرة الشركة المذكورة من راس فير الى ساندي هوك ومن الغرب الى الاوقيانوس الباسيفكي · وصار اعضاء المجلس ينتخبون من المساهمين في تلك الشركة وهولاء ينتخبون حاكما منهم وتالف المجلس الجديد على حسب الشريعة الجديدة وانتخب اللورد دلاوير حاكما مدى الحياة واشترك معه في السلطة السير توماس كيتس برتبة ملازم اول والسير جورج سومرس اميرال وخريستوفوس نيوبورت نائب اميرال والسير توماس دايل مشيرا اعظم وغيرهم في وظائف مختلفة وكان لخبر تعيين هوءلاء صدى استحسان عظيم في لندن واجتمع ما ينيف عن الخمسمئة نفس في لندن

يطلبون المهاجرة فاقلتهم تسع سفن الى اميركا • بيد ان اللورد دلاوير لم يحضر بنفسه الى المستعمرة لاستلام وظيفته بل عهد بها الى ثلاثة من اعوانه وبينما كانت السفن سائرة تشق عباب اليم وصارت بالقرب من جزائر الهند الغربية صادفها نوء عظيم قذف بها الى جهات مختلفة فغرقت احداها وهي التي كانت تحمل وكلاء اللورد دلاوير قذفتها الريح الى شاطئ جزيرة برمودا وكان ذلك في ذلك شهر تموز سنة ١٦٠٩ وبقي نوتيتها في الجزيرة حتى شهر نيسان من السنة التالية واما السفن الاخرى فوصلت اخيرا بسلام الى جيمس تون

فمن ترى يتولى الحكم الان في المستعمرة • فالحاكم سمث كفت يده عن العمل والمستعمرة برمتها كانت سير القهقرى والفوضى ضاربة اطنابها فيها فقام المهاجرون القدماء وعقلاء المهاجرين حديثاً يرجون سمث ان يعود الى تولي الاحكام فاجاب ملتمسهم على شرط ان تبقى الاحكام بموجب الدستور القديم ريثما يأتي من انكلترا من بيده سلطان تغييره وتابع وظيفته تحت خطر الموت في كل لحظة ثم قبض على زعماء الفتنة والمشاغبين وزجهم في السجن • ولكي يحول افكار الاخرين عن القلاقل والمشاغب انشأ مستعمرتين جديدتين الواحدة في ناسيموند اسكن فيها ١٢٠ نفساً وسلط مارتز عليهم والاخرى عند شلال جيمس واسكن فيها مثل ذلك العدد وسلط عليهم الربان وست • غير ان سكان كلتيهما اساءوا التصرف فلم تمر بضعة ايام على وصولهم الى اماكنهم حتى بدا النزاع والشجار بين الهنود وبين رجال وست فارسلوا الى سمث يتوسلون اليه لكي يحضر اليهم ويصلح ذات البين فحضر ولما لم يذعنوا لارائه قفل راجعاً الى جيمس تون وبينما كان الزورق يسير فيه وهو نائم انفجر كيس بارود كان في القارب فتضرر سمث اضرارا بليغة ونقل الى الحصن وهو في حالة يرثى لها وبات يتقلب على فراش الالم وزاد لهيب الحمى آلامه آلاماً واذ لم يوجد هناك من يقوم بمعالجته كما ينبغي عوّل على الذهاب

الى انكلترا وفوض السلطة مكانه الى جورج بارسي اخي ارل نورثمبرلاند وفي منتصف شهر ايلول سنة ١٦٠٩ غادر ارض جهاده واتعابه الى الابد عائدا الى بلاده

وكان عدد الجالية الانكليزية وقتئذ في جيمس تون ٤٩٠ نفساً ولديهم من الميرة والذخيرة ما يزيد عن حاجتهم ولكنهم كانوا بحاجة ماسة الى مدبر حكيم يهتم بهم ويدبر امورهم نظير سمث الهمام وكان الشتاء ببرده يدنو منهم تدريجاً واقواتهم تتناقص والجوع يتهددهم وفوق كل ذلك ازدياد بغض الهنود فصاروا يهاجمونهم الى ان ضايقوهم واحرقوا بيوتهم واهلكوا منهم كثيرين وتفشت بينهم الامراض الوبيلة فزادت في عذابهم وهكذا وقعوا بين ثلاثة اعداء الداء في وقت واحد اعني ذلك الهنود والامراض الوبيلة والجوع الشديد ولما جاء شهر اذار لم يكن باقيا من مجموعهم سوى [illegible] نفساً و[illegible] هلكوا عن اخرهم لو تأخرت النجدة عنهم مدة اسبوعين

ووصل الى فرجينيا السير توماس كيت ورفيقاه الذين شططت بهم السفينة الى جزيرة برمودا كما تقدم وكانوا يتوقعون ان الجالية تستقبلهم بالترحاب وان الفرح بقدومهم سيكون شاملاً غير انهم لسوء الحظ وجدوا بني جلدتهم بثياب رثة وقوى خائرة واجسام ضئيلة وليس عندهم ما يسدون به الرمق فوزع عليهم توماس ما بقي في سفينته من الزاد وتولى ادارة شؤونهم

غير ان المهاجرين كانوا مصرين على الجلاء عن وطن لم يصادفوا فيه سوى السقم والكآبة والاضطراب وكل محاولات كيث ورفيقيه لاقناعهم بالبقاء ذهبت ادراج الرياح اخيرا تم الرأي بانهم يسافرون الى نيوفوندلاند ويتفرقون بين الصيادين ريثما تمر من هناك سفن بلادهم فتحملهم اليها

وفي ثامن حزيران اخلوا جيمس تون على غير امل العودة اليها ولهذا فقدعزموا على احراق البيوت والمخازن وكل ما ينتفع به قبل مغادرتها فقاومهم كيث وحال دون اتمام

مرادهم وكان هو آخر من دخل السفينة التي اقلتهم فأضحى مشروع والي غنولد أثرا بعد عين

وحدث ان اللورد دلاوير كان في تلك الآونة باحراً الى اميركا وقبل ان تقطع سفينة المهاجرين الفشلين النهر ظهرت فيه سفن اللورد تقل مهاجرين جددا وموءن وذخائر وغيرها مما يجعل الاقامة في المهجر احسن حالا من الاول · اما النازحون فعقدوا مجلس مشورة في ما ذا يجب عليهم عمله في الظروف الحاضرة فقر راي الاكثرين على العودة الى جيمس تون وقبل غروب الشمس كانوا في اكواخهم وكرسوا اليوم التالي للعبادة الدينية ثم امر اللورد دلاوير ان يتلى الفرمان الذي بيده من حكومة انكلترا واستلم مهام مأموريته فكان نعم الحاكم وكل ايام حكمه كانت خيرا واسعادا للمهجر والمهاجرين

وفي الخريف اعترى اللورد مرض اقعده عن العمل فاضطر على رغمه واستياء المهاجرين الى العودة الى وطنه واقام نائباً عنه المستر بارسي وهو مستشار الحاكم سمث الشهير ولحسن حظ المهاجرين قبل ان يعرف في انكلترا خبر عزم اللورد دلاوير على الرجوع كان المجلس الاعلى في لندن سير مركبا مشحونا بالزاد والميرة والذخيرة الى فرجينيا برئاسة السير توماس دايل فوصل ذلك المركب الى جيمس تون في عاشر ايار وتولى دايل الاحكام بموجب امر من المجلس الاعلى وكان دايل المذكور قائدا في حرب الانكليز مع النورثلانديين وهو ذو خبرة وحنكة فاقام في المستعمرة محكمة عرفية وعرف بحزمه واستقامته فلم يحدث اقل تذمر او شكوى من احكامه

وافتتح الحاكم دايل اعماله بارسال كتاب الى المجلس الاعلى في انكلترا يطلب اليه ان يرسل مهاجرين قدر ما يستطيع وباسرع ما يمكن من الوقت وكمية وافرة من الحاجيات فلبى المجلس طلبه فوراً واوفد اليه السير توماس كيث باسطول موءلف من ستة مراكب تقل ثلاثمئة مهاجر وكميات كبيرة من القوت والكساء والذخيرة ونحو

ذلك فوقع ذلك موقع الاستحسان عند جالية جيمس تون فاخلدوا الى السكينة واقلعوا عن التذمر والشكوى

وكان المهاجرون حتى ذلك الوقت مشتركين معاً في الاعمال الزراعية وغيرها فاذا حان اوان الحصاد جمعوا الاغلال الى اهراء وجعلوها تحت امرة الحاكم والمجلس ٠ اما الآن فاعلنت الحكومة بانه يحق لكل واحد ان يجني ثمار غرسه لنفسه وقسم كيث الارضين بين المهاجرين بحيث اصاب كلاً منهم ثلاثة فدادين ٠ ومنح لكل عائلة حق جنينة ونصب اغراس لا يجوز اجتناء ثمارها الا لمالكها فزادت بذلك بينهم الرغبة في العمل وصاروا يتسابقون الى ازدياد موارد رزقهم وغلاتهم وبلغ مجموع عدد الجالية آنئذ سبعماية فتوسعوا في الاستعمار الى ضواحي جيمس تون وانشأوا مستعمرات اخرى في جوارها على ضفتي النهر فثبتت المستعمرة على اسس متينة تكفل ثبوتها

وفي اوائل سنة ١٦١٢ حصلت شركة لندن على براءة جديدة من ملك الانكليز ناسخة لما قبلها فنتج عنها تغيير تام في ادارة الاحكام في مستعمرات العالم الجديد٠ فالغي المجلس الاعلى والسلطة التي كانت له تحولت الى ايدي مساهمي الشركة فصار لهم الحق في عقد اجتماعات لانتخاب موظفين للوظائف المختلفة ولسن شرائع ولاجراء الاحكام على مسؤولية انفسهم ٠ والسبب في ذلك التغيير كثرة تذمر المهاجرين من عدم الانتفاع ماديا في ديار هجرتهم فتذمرت الشركة بدورها من المجلس الذي فوض اليه ادارة شؤونهم ٠ونتج عن براءة الملك الجديدة نوع من الحكم الديموقراطي في فرجينيا ولو كان ذلك من الملك رمية من غير رام

ويروي التاريخ خبر حادثين حريين بالذكر في سنة ١٦١٢ وكلاهما حدثا من سوء تصرف القبطان ارغول وعدم تقيده بمنطوق الشريعة ٠ فبينما كان سائرا في بوتوماك للاستكشاف نمي اليه بان بوكاهونتاس التي حدث شجار بينه وبين قبيلة ابيها تقطن في

تلك النواحي فاستدل على محل وجودها بواسطة بعض خونة الهنود وقبض عليها ووضعها في سفينة واستاقها الى جيمس تون اسيرة اما شعب جيمس تون فبدلاً من ان يقتصوا من ارغول لاجل قباحته زادوا عليها بان طلبوا الى ابيها بوهاتان ان يؤدي عنها فدية عظيمة فرفض الملك الشيخ ذلك ونادى بشعبه ان يتأهبوا للقتال · اما الاسيرة فلم تبدو عليها امارات الغيظ بسبب اسرها بل اعتنقت الدين المسيحي وانضمت الى كنيسة الاسقفيين (الابسكبول) وفعلت ذلك باغراء والحاح جان رولف عليها وهو شاب مهذب جميل الطلعة

وبعد ذلك بسنتين ذهب رولف المذكور وامرأته الهندية لزيارة بلاد الانكليز فجرى الاقتران في ربيع السنة التالية فامتنعت الحرب التي كانت ادنى من قاب قوسين وغدا ذلك القران ضمانة للائتلاف بين الحمر والبيض

وبعد ذلك بسنتين دهب رولف المذكور وامرأته الهندية لزيارة بلاد الانكليز فجرى لها استقبال حافل واجل شرفاء الانكليز واكابرهم وفادتهما واعطاهما القبطان سمث كتاب توصية للملكة حنة فنالت الهندية حظوى عظيمة عندها والتفاتاً خاصاً وشاع ذكرها في سائر اقطار المملكة ·وفي السنة التالية شرع رولف يستعد للرجوع الي اميركا وبينما هو على اهبة السفر مرضت امرأته بوكاهونتاس وماتت تاركة ابناً جاء بعد ذلك الى اميركا وصار له شأن يذكر في تاريخ مستعمرة جيمس تون ولم تزل عدة من خيرة العائلات في فرجينيا تنتسب اليه

ولما عاد القبطان ارغول من رحلته سار بسفينة مسلحة الى شاطىء ماين بحجة حماية الصيادين الانكليز الذين كانوا يختلفون في غالب الاحيان الى المياه الواقعة بين مضيق فندي وراس كود ولكن القصد الحقيقي في ارسالها كان نزع مستعمرة فرنسا من المنطقة التي تدعي انكلترا ملكيتها فلما وصل الى مكان قصده وجد المجال متسعاً امامه لاظهار قوته · وقد كانت حكومة اكاديا المحلية آنئذ شارعة بناء قرية في جزيرة مونت دزرت

فكانت هي اول مكان حلت به نقمة ارغول فاحتلها ونهبها ثم احرقها واما سكانها فاودع قسماً منهم سفناً كانت ماخرة الى فرنسا والقسم الاخر جلاهم الى تشاسيك · وبعد ذلك استلفت انظاره المهجر الافرنسي على نهر سانت كروا فسار نحوها واطلق مدافعه على حصنها فاخربه كما انه اخرب كل بناية في المستعمرة · ثم عبر المضيق الى بورت رويال واحرق القرية الصغيرة التي كان ابتناها بوترني كورت ورفقاؤه قبل ذلك بثماني سنوات وفي رجوعه الى فرجينيا هاجم المهجر الهولاندي في مانهاتن فدمر عدداً من اكواخه وارغم السكان على الاعتراف بسلطة بريطانيا · فكانت نتائج تلك الحملة حصر نفوذ الفرنساويين في ضواحي نهر سانت لورنس وابقاء كل الاراضي من نوفاسكوتشيا الى فلوردا تحت النفوذ الانكليزي فيخفق فوقها علم بريطانيا بلا منازع او مزاحم

وفي شهر ايار سنة ١٦١٤ عاد توماس كيف الى انكلترا واستناب عنه المستر دايل مدة سنتين تحسنت فيهما شريعة المهجر كثيرا وزاد اجتهاد الاهلين في العمل وبنوع اخص بغرس الكرمة وعمل القلي والصابون والزجاج والقير · واخيرا وجد مديرو شركة لندن بان تلك الاشياء يمكن اصطناعها في اوروبا ارخص مما في اميركا وبانه توجد محصولات خصوصية في العالم الجديد تصدر الى اوروبا بربح وافر واهمها نبات الدخان الذي كان عم استعماله اسبانيا وبريطانيا وفرنسا فغدا ذلك النبات اروج شيء في سوق المستعمرة الاميركية حتى انهم استعملوه نظير النقود · ولم يتركوا مكاناً صالحاً للزرع الا زرعوا فيه ذلك النبات حتى ان شوارع جيمس تون نفسها فلحت وزرعت دخاناً

وبعد ذلك تعين ارغول نائب اميرال فحسب الاهلون ان نازلت حلت بهم بان ارغول لم تكن له حسنة تذكر فتشكر سوى شجاعته النادرة وفي ما سوى ذلك كان شريرا بكل معاني الكلمة وجرى ذلك التعيين سنة ١٦١٧ ولم تقتصر وظيفته على النيابة فقط بل بسعي خلص اصدقائه تعين ايضا اميرالا في البحرية الانكليزية · وتمتاز مدة حكمه بالغبن

والغدر والجور والاعتساف والقسوة فلم تسلم من طغيانه النفوس او الاملاك ولم يلبث طويلا حتى رن صدى اعماله المغايرة في بلاد الانكليز فاستنكف الناس من المهاجرة واضحت المستعمرة عرضة للسقوط والاضمحلال فتدارك اللورد دلاوير الامر وسافر بنفسه الى فرجينيا غير ان ذلك الشريف قضى نحبه اثناء السفر فلج ارغول في طغيانه وقسوته الى ان خلع من وظيفته سنة ١٦١٩ وتعين مكانه السير جورج ييردلي وهو ذو فضل ونبل

فأبطلت الاحكام العرفية وزال معها الحكم القاضي بان كل مهاجر يجب ان يقدم قسماً من نتاج عمله لاجل المنفعة العمومية وانعتق القوم مما كانوا يحسبونه «نير عبودية» وحدث امر آخر اكثر اهمية وهو ان الحاكم ييردلي عملا باشارة الشركة قسم المستعمرة الى احد عشر قسماً وسمى كلا منها ناحية وارسل منشورا الى كل ناحية يطلب منها ارسال مندوبين للاشتراك في ادارة الاحكام في المستعمرة فتم ذلك في ٣٠ آب سنة ١٦١٩ وحضر النواب الى جيمس تون وهناك تأسس مايسمونه مجلس النواحي او مجلس ارباب الشريعة وهو اول مجلس التام في العالم الجديد

وكانت لاولئك النواب امتيازات عديدة بيد ان سلطتهم كانت محدودة فكان يجوز لهم البحث في احوال المستعمرة ولكنهم لا يتولون فيها حكما · ويمكنهم سن شرائع لاسلطة لهم على تنفيذها ويظهرون الحقوق ولا قوة لهم على تحصيلها · وكل القرارات التي يجيزها المجلس المذكور لا تصير شريعة ما لم تصادق عليها الشركة في لندن

وتمتاز سنة ١٦١٩ بظهور الاستعباد فيها في فرجينيا · فكان خدام الكبراء في جيمس تون انئذ من سلالة الانكليز او الجرمانيين وكانت مدة خدمتهم تتراوح ذيل بضعة اشهر وعدة سنوات ولم تكن عادة الاستعباد معروفة عند المهاجرين وربما انها كانت دامت كذلك لولا وصول باخرة هولاندية الى جيمس تون باع ربانها عشرين زنجياً افريقياً

بالمزاد العمومي فاشتراهم ذووااليسار وصاروا لهم ارقاء مدى الحيـــاة وكان ذلك قبل ان عم الاسترقاق في المستعمرات الانكليزية بنحو نصف قرن ومر على استعمار جيمس تون حتى هذاالوقت ١٢ سنة وانفقت الشركة في سبيل ذلك الاستعمار حتى ذلك التاريخ ثمانين الف ليره انكليزية • ولم يتجاوز عدد سكانها آنئذ الستماية واكثرهم لم تطب لهم الاقامة فيها فكانوا ابدا يلهجون بـــالعودة الى اوطـــانهم وبسبب سوء تصرف السير توماس سمث (امين صندوق الشركة) لم يهاجر الى اميركا سوى بضع عـــائلات ثم خلع سمث من وظيفته فخلفه فيها ادون سانديس وكان على جانب عظيم من الفطنة والحزم والاستقامة فشرع يصلح ما اعتل من امور المستعمرة وسكانها وتمكن بحكمتـــه وحنكته من حمل ١٢٦١ نفسا على مهاجرة الى المستعمرة الاميركية قبل صيف سنة ١٦٤٠ واعظم من ذلك انه تمكن من حمل تسعين آنسة من خيرة العائلات على المهاجرة ايضاً الى جيمس تون• وفي سنة التـــالية هاجرت ستون آنـــة اخرى لم يكن دون السابقات علماً وادباً وكلهن استقبلن بفرط الترحاب والاكرام

والخبر الشائع بان مهاجري فرجينيا الاولين ابتاعوا نساءهم عار عن الصحة والواقع هو انه لما ارسل المستر سانديس التسعين آنسة جعل المهاجرين يدفعون نفقة سفرهن وانما فعل ذلك بحكم الضرورة لان الشركة كانت على شفير الافلاس فبلغت نفقة سفر كل منهن ١٢٠ ليره دفعها المهاجرون بطيبة خاطر فاعطوا الشركة دخاناً يساوي ثمنه المبلغ الذي صرفته على سفرهن اما التزاوج فجرى على الطريقة المألوفة آنئذ • ولما هاجرت الفتيات الاخريات بلغت نفقة سفر كل منهن ١٥٠ ليرة فدفع المهاجرون كل ذلك المبلغ بدون ادنى كلمة تذمر

وفي تموز سنة ١٦٢١ اعطت شركة لندن (وكانت على شفير السقوط) لمهاجري فرجينيا شريعة مكتوبة واقامت لها حكومة منتظمة على مبدا الدستور الاساسي في انكلترا فكانت

الشركة تنتخب الحاكم واعضاء المجلس واما اعضاء مجلس النواحي فينتخبهم الاهلون وفي تنظيم الشرائع كان يجتمع اعضاء المجلس ومندوبو الشعب معاً · فاذا وضعوا لائحة واتفقوا عليها رفعوها الى الحاكم فيوقع هذا عليها ويرسلها الى الشركة في لندن فاذا صادقت عليها غدت شريعة والا الغيت · وكانت المحاكمة تجري امام مجلس قضائي (جوري) واعضاء مجلس النواحي كان يحق لهم الاعتراض على ما تجريه الشركة او تقرره اذا كان مجحفاً بحقوقهم

وانتهت مدة الحاكم ييرادلي في تشرين الاول سنة ١٦٢١ وفي تلك الاونة حضر السير فرنسيس ويت الحاكم الجديد ومعه الشريعة المكتتبة الجديدة لمستعمرة فرجينيافوجد الاهلين بحالة من النجاح باهرة · وكانت المستعمرة ممتدة الى مسافة ١٤٠ ميلا على ضفتي نهر جيمس والى مسافة بعيدة في الداخلية ولم يبق هنالك من اسباب الخوف سوى واحد وهو ان الهنود لما رؤا نجاح البيض وسرعة نموهم وتكاثرهم ايقنوا انهم الى البوار والدمار سائرون فجزموا على ان يزحفوا على اعداءهم بخيلهم ورجلهم فيبيدونهم دفعة واحدة قبل فوات الفرصة وكانوا يعلمون ان مقابلتهم اياهم في ميدان القتال يعد ضربا من الجنون كأن الدائرة تدور عليهم لامحالة فصمموا النية على الخيانة اذهي الامر الوحيد الذي يكفل لهم النجاح · وكان بوهاتان وبوكاهنتاس وغيرهما من عقلاء رؤساء الهنود قد ماتوا واتصلت الزعامة باوبتشانكوغ اخي بوهاتان الذي ما انفك منذ استلامه الزعامة يدبر المكايد لاهلاك خصومه مهاجري الانكليز وظن ان الوقت لاتمام مقاصده الشريرة قد حان

وكتم الهنود مكيدتهم بكل حرص وما انفكوا يظهرون الصداقة للانكليز حتى يوم المجزرة التي ضربوا ميعادا لها ثاني وعشرين اذار سنة ١٦١٨ ففيه هجم البرابرةعلى مزارع الانكليز وفتكوا بهم فتكا ذريعاً فما رحموا شيخاً ولا عطفوا على رضيع فوقع ثلاثماية

واربعون نفسا قتلى بيد اولئك الطغام بين رجال ونساء واولاد

اما سكان جيمس تون فنجوا من التهلكة بفضل امـانة هندي مسيحي فهذا لما علم بمكيدة قومه جاء الى جيمس تون واخبر صديقا انكليزياً له بذلك وهذا اشـاع الخبر بين قومه فلاذوا بالفرار ونجوامن غدر اعدائهم · اما بقية الاماكن فهوجمت كلها ونكل باهليها تنكيلا· اما الذين نجوامن مخالب الموت من الانكليز فاجتمعوا في المزارع الكبرى في جوار جيمس تون ولم يبق من الثمانين مزرعة التي انشأها الانكليز سوى ثمانية فقط. واما الرجال الذين بقوا احياء فعددهم الف وستماية ومع انهم كانوا منهوكي القوى فقد كانوا اشداء وذوي عزم ثابت وما لبثت غمامة الحزن والكآبة حتى انقشعت من جو مستعمرتهم ودبت فيهم روح الشجاعة والنخوة فعزموا على الانتقام من اعدائهم · فاجتمعوا وساروا كتائب وهاجموا الهنود اين وجودهم واحرقوا اكواخهم ومزارعهم وقتلوا كل من صادفوه في طريقهم فانهزم الهنود امامهم وتاهوا في البوادي والقفار فرارا من تجرع كاس الحمام وعاد الانكليز غانمين وفرحين باخذ الثار وعاودوا اشغالهم الزراعية بكل نشاط

وقام النزاع في بلاد الانكليز بين رجـال شركة لندن والملك وذلك لان معظمهم كانوا اعضاء في الجمعية الوطنية التي كانت تتناول مباحثها الامور السياسية بكل حرية فلم يرق ذلك للملك · وكان اعضاء الشركة المذكورة يعقدون اجتماعاً عامـاً مرة في كل ثلاثة اشهر ويتابحثون بامور كانت تزيد خرق الاختلاف اتساعاً وكان الملك يتحين الفرص اما للاستيلاء على الشركة واما الى الغائها فعين لجنة للبحث في امورها واحوالهـا ورفع تقرير له عما يكون من نتيجة ذلك البحث فاتمت اللجنة مهمتها ورفعت تقريرا اليه جاء فيه ان الشركة فضلا عن كونها تحولت الى جمعية سياسية كانت كل امورها متضعضعة وهي على شفير الافلاس وبان الاحكام في فرجينيا مختلة معتلة ولا يمكن اصلاحها الا بتغيير شرائعها · فوضع ذلك التقرير في المحاكم القضائية وحكم القضاة بوجوب الغاء

البراءة التي منحها الملك لشركة لندن فألغيت وفي حزيران سنة ١٦٢٤ انحلت الشركة ايضا على انهـا ابقت بزور الحرية مبذورة في عقول المهاجرين الذين في المستقبل طالبوا بحقوقهم ولم يرضوا باية شريعة تخالف ما نملوه سنة ١٦٢١ بل انهم زعموا بأن حريتهم المقبلة يجب ان تكون اعظم من السالفة



—(خريستفورس كولمبس)—

الفصل الثاني عشر

—(فرجينيا تحت الحكم الملوكي)—

بعد انحلال شركة لندن كما تقدم اضحت الاحكام في فرجينيا ملوكية. اما المهاجرون فلم يؤثر فيهم ذلك التغيير شيئاً . وكان يتولى الحكم والٍ ومجلس عدد اعضائه اثنا عشر ويعينون مع الوالي من قبل الملك. اما مجلس النواحي وحقوق الاهلين فبقيت على ما كانت عليه قبلا لان نقمة الملك لم تحل على مستعمرة فرجينيا بل على شركة لندن . وقد بقي المستر ويت يدير دفة الاحكام واظهر الملك حكمة باختيار الوالي واعضاء المجلس الاثني عشر من اصدقاء المهاجرين وليس من المقربين اليه والغاية من ذلك تحبيب المهاجرين اليه

وقضى جيمس ملك الانكليز نحبه سنة ١٦٢٥ فخلفه ابنه شارلس الاول وكان شاباً عنيدا ارعن فلم يعر لمستعمرته الاميركية انتباها حتى لفتت انظاره وحركت انتباهه تجارتها في الدخان فسولت له نفسه الربح الجزيل اذا وضع ضريبة على الدخان . غير ان اولياء الامر في فرجينيا كانوا احذق منه فانتبهوا للامر وافسدوا على الملك قصده . ومما يجب ذكره هو ان الملك في مخاطبته ذوي السلطة في ذلك الموضوع اعترف بهم كحكام مستقلين في ادارة شؤون حكومتهم وليس لانكلترا سوى السلطة الاسمية عليهم ولما ارسلوا جوابهم للملك لم ينفرد الوالي واعضاء المجلس بتوقيعه بل وقعه ثلاثون من مجلس نواب الشعب ايضا

وسنة ١٦٢٦ استقال الحاكم ويت من وظيفته فخلفه فيها صديق المهاجرين ياردلي. وهو كان قد تولى الحكم في فرجينيا قبلا وبلغت في زمان حكمه درجة سامية في الارتقاء والفلاح غير انه مات في تشرين الثاني من السنة التالية ٠ وسنة١٦٢٨ هاجر من انكلترا الى فرجينيا نيف والف نسمة فازداد عدد السكان واتسع نطاق المستعمرة

وكان يحق لمجلس فرجينيا انتخاب حاكم لدى الضرورة فلما راوا الفرصة سانحة انتخب المستر فرنسيس وست حاكما ٠ ولكن لما شاع في بلاد الانكليز خبر موت الحاكم ييردلي عين الملك شارلس جان هارفي حاكما فوصل الى مقر وظيفته في خريف سنة ١٦٢٩ وطال حكمه الى سنة ١٦٣٥ وكانت كل ايام حكمه انحطاطاً واضرارا في المستعمرة كلها ٠ ولم يكن المهاجرون يحبونه ليس لسبب عدم لياقته للحكم فقط بل ولاهتضامه حقوقهم وانتزاعه منهم اراضي كانوا امتلكوها بموجب صكوك شرعية واستعرت بين الفريقين نار المشاحنات والمخاصمات واخيرا اجتمع مجلس النواب سنة ١٦٣٥ وقرر خلعه وارجاع وست الى الحكم وانضم الى مجلس النواب عدد من اعضاء المجلس الذي يعين الملك اعضاءه فاضطر هارفي الى اخلاء مركزه وارسل الى لندن قيد المحاكمة

اما الملك شارلس فقابل عمل نواب فرجينيا بالازدراء والاحتقار ٠ ورفض سماع شكاوي الذين اوفدهم المجلس لابلاغ ظلامتهم الى جلالته واعاد هارفي الى وظيفته على رغم شعب فرجينيا

وبعد ذلك ببضع سنوات انفجر مرجل الثورة الانكليزية لان مظالم ومغارم الملك شارلس الاول فاقت حد الاحتمال فثار عليه رعاياه ونشروا راية العصيان والتمرد ٠ وفي كانون الثاني سنة ١٦٤٢ غادر الملك واعوانه لندن ومضوا الى نوطنهام حيث جندوا فرقا من الملكيين ٠ اما العاصمة والقسم الجنوبي من البلاد فكانت تحت سلطة البارلمانت

اما حزب كنيسة انكلترا مع الحزب المحافظ فاخذا جانب الملك بينما الحزب الجمهوري والحزب الحر انضما الى اخصامه ونشبت حرب اهلية في البلاد وبعد صدام وكفاح عدة سنوات غلب الجيش المناصر الملك على امره فهرب الملك الى اسكوتلاندا وتفرق اعواونه في البلاد الاجنبية ٠وما لبث الملك ان اذعن لمطاليب البارلمانت وجاء الى لندن فحاكموه وظهرت لدى المحكمة ارتكاباته فحكمت عليه بالاعدام وفي ٣٠ كانون الاول سنة ١٦٤٩ قطع راسه

فأبطلت الملكية وانتخب اولفر كرومل جنرال جيش البارلمانت لورداً ورئيساً محاميا عن حكومة انكلترا الحرة٠فلم شعث الامة ورتق فتق الانشقاق الاهلي وخدم قومه بامانة واخلاص حتى قضى نحبه سنة ١٦٥٨ فخلفه ابنه رتشرد غير انه لم تكن له مقدرة وشجاعة ابيه فهاله حرج الموقف واستعفى مركزه فانتشرت الفـوضى في البلاد ردحا من الزمن حتى جاء الى لندن من اسكوتلندا الجنرال مونك قائد جيوش الانكليز الشمالية واعاد الملكية ٠ فاستدعى ابن الملك شارلس الاول من منفاه الى العاصمة ونودي به ملكا في ١٨ ايارسنة ١٦٦٠ باسم شارلس الثاني واجلس على عرش انكلترا

اما تأثير تلك القلاقل والاضطرابات في بلاد الانكليز على مستعمرة فرجينيا فكانت قليلة جدا ٠ وفي السنة الاولى من الحرب الاهلية تولى الحكم في فرجينيا السير وليم باركلي ودام في كرسي الحكم مدة عشرين سنة متوالية كانت كلها نجاحا وفلاحا ونموا ينطق بفضله وحزمه وحكمته فالشرائع في ايامه حورت وطبقت على مقتضى الحال والغي ما كان منها جابرا او غير نافع فاضحت فرجينيا كولاية مستقلة باحكامها وشرائعها ونمت بسرعة حتى بلغ عدد سكانها سنة ١٦٤٦ العشرين الفاً

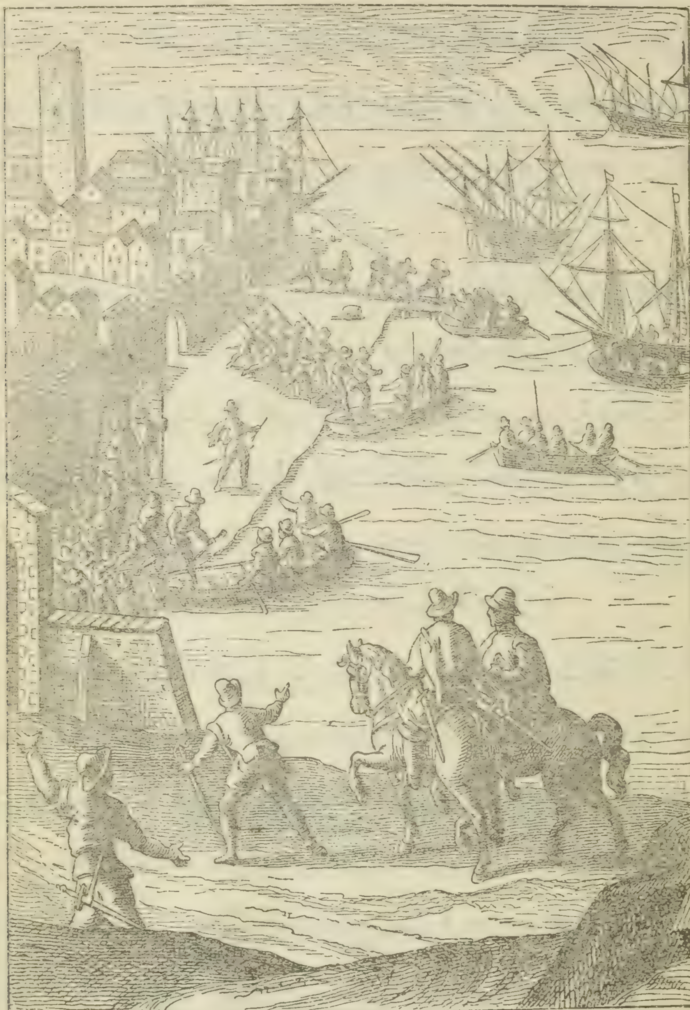
وحدث لسوء الحظ رد فعل لذلك النجاح وتقدم مسبب عن الاختلافات المذهبية آفة العمران ومسببت الشقاق والاضطراب في كل زمان ومكان ٠فالحكومة كانت



—(الملكة ايزابلا الاسبانية)—

اتخذت مذهب كنيسة انكلترا المذهب الرسمي لها وعدت ما سواه بدعة بل جريمة · اما البيورتيون السالف ذكرهم فاتهموا بانهم مقلقوا راحة انكلترا · وسنة ١٦٤٣ سنت حكومة فرجينيا شريعة تحذر الوعظ والتعليم الديني على غير الذين من مذهب كنيسة انكلترا لا سرا ولا جهرا داخل حدود فرجينيا · فطرد البيورتيون المساكين من اماكنهم وكان في مقدمة الثائرين عليهم الحاكم باركلي نفسه الذي كان شديد التعصب للمذهب الانكليكاني ونتج عن ذلك قطع العلاقات الودية بين فرجينيا ونيوانكلند مدة عدة سنين

وحلت بجالية فرجينيا رزيئة اخرى اشد هولا وهي حربهم الثانية مع الهنود · ففي اوائل سنة ١٦٤٤ نسي الهنود العقاب الشديد الذي حل بهم جزاء خيانتهم للانكليز وخالوا ان ارتباك بلادهم بحرب اهلية يحول دون انجادها مستعمراتها وزين لهم الوهم انهم قادرون على ابادة المستعمرة كلها فصمموا على القيام بمذبحة عامة · وفي ١٨ نيسان بينما كان الموظفون غائبين عن مراكزهم هجم البرابرة على الانكليز المقيمين على الحدود



—«سفر كولمبس من ميناء بالوس »—

وذبحوا منهم ثلاثماية نفس قبل ان توافيهم النجدة وفروا هاربين فتعقبهم الانكليز بعد وصول النجدة واعملوا السيف في رقابهم ومـازالوا ملاحقينهم حتى تغلغلوا في الاحراج والاجام ووقع زعيمهم اوتبشهانكنوغ اسيرا ومات في الاسر وقد انتقم الانكليز منهم بلا رأفة واخيرا جاء الهنود صاغرين وابتاعوا الصلح ببقع واسعة من الارض تخلوا للانكليز عنها

ولما ثار الشعب في انكلترا على الملك شارل الاول بقي شعب فرجينيا مواليا له ولما قضي عليه نادوا بابنه شارل الثاني مليكا واعترفوا بسلطته على ايالتهم ٠ فاغاظ ذلك اللورد كورمول ٠ واعضاء البارلمانت فارادوا الانتقام منها فوضعوا ضريبة باهظـة على واردات فرجينيا اذا ابت الاعتراف بسلطة البارلمانت ورئيس الحكومـة الحرة ٠ ومنعوا السفن الاجنبية لاسيما الهولاندية من الرسو في مواني فرجينيا ولم يسوغوا نقل محصولاتها الكثيرة لسوى السفن الانكليزية وحذروا نقلها لغير المواني الانكليزية

فلم يرع فرجينيا ذلك التهويل بل ثابرت على الاعتراف بسلطة الملك ٠ فشق ذلك على اللورد والبارلمانت وعمدوا الى استعمال العنف والقسوة ٠ فاوفدوا بـارجـة الى تشاسبيك لارغام شعب فرجينيا على الخضوع لهم وفي جملة ركاب تلك البـارجة كان مندوبون ليتوسطوا بالصلح فقبل الفرجينيون وساطتهم وخضعوا لسلطة البارلمانت ٠ وكانت شروط ذلك الصلح على اتم الموافقة لمصالح شعب فرجينيـا فصاروا يديرون شـؤون انفسهم ويتولون احكامهم كولاية حرة

ولما نودي بشارل الثاني ملكا كما سبق القول وبلغ الخبر الى فرجينيا نسي الحاكم باركلي اوتناسى السلطة التي خوله اياها الشعب فوزع مناشير باسم الملك الجديد يدعو الجالية الى انتخاب مندوبين الى مجلس الامة ٠ فسر بذلك من كان من الحزب الملوكي والمناوئون للبارلمانت طردوا من مناصبهم وخلفهم ممن هم من الحزب الملوكي ٠ فسر

ذلك الابدال معظم سكان المستعمرة ونفاءلوا خيرا • ولكن حزنهم بالفشل كان اعظم جدا من فرحهم بتوقع الفوز والفلاح • ومالبثوا حتى راوا انهم ابدلوا الاحكام الجمهورية ومباديها النافعةبالاحكام الملوكية المضرة الاستبدادية • فشارل الثاني كان ارداء من ابيه والملك جيمس الثاني وفاق في المساوىء كل ملوك عصره وسبب لفرجينيا خصوصا اضرارا جمة • فالضغط الذي باشرته حكومة البارلمانت زاد اضعافا في ايام ملكه • والشريعة القاضية بان الصادرات والواردات يجب ان تكون من والى الاساكل الانكليزية ولا يجوز نقلها بسوى مراكب انكليزية ايضاً وضعت موضع الاجراء • ووضعت على تجارة المستعمرات ضريبة باهظة تعود بالنفع على خزينة انكلترا والدخان وهو اهم محصولات فرجينيا منع بيعه الا في بلاد الانكليز • فحصر ذلك المنع المشين تجارة المستعمرات بتجار انكلترا فقط الذين منازعاتهم في المسواق سلبت شعب فرجينيا ثمار اتعابهم • فرفعوا عرائض عديدة للملك مستعطفينه لكي يحور تلك الشريعة المجحفة فما كان جواب تلك العرائض سوى السخرية منهم والاستهزاء بهم

وكأن الملك حسب الدولة الانكليزية ملكه الخاص و كل مداخيلها يجب ان تنفق عليه وعلى اعوانه فلكي يسر المقربين اليه شرع يهبهم بقعاً واسعة في فرجينيا والانكى انه لم يهبهم الاراضي السباخ بل المزارع التي بذل اصحابها اتعاباً جزيلة في سبيل غرسها واستثمارها فشق ذلك على المهاجرين الذين خسروا اتعابهم نيف وربع قرن في استثمار المزارع التي سلبت منهم واعطيت غنيمة باردة للذين لم يتعبوا فيها قط بل اغتنموها لمجرد كونهم من المقربين الى الملك والحائزين على رضاه بدهائهم وتمليقاتهم الفارغة • ودام الحال على ذلك المنوال الى سنة ١٦٧٣ اذ ختم الملك تلك الهبات المشينة باقطاعه ولاية فرجينيا برمتها الى لورد كليبر وارل ارلنتن واعطاهما حجة شرعية بتوقيعه الرسمي مولياً اياهما على كل ولاية فرجينيا باراضيها ومياهها ومحصولاتها لمدة ٣١ سنة

ولنكد الطالع كان ارباب الشريعة في فرجينيا آنئذ محبي الذات وعميان البصيرة كما ان سياسة الملك كانت خرقاء وما نيه منكرة • فاعضاء مجلس النواحي كانوا من رتبة الاشراف وشرائعهم التي سنوها لا تقل بفسادها وسقمها عن شرائع انكلترا • فاعادوا مذهب الاسقفيين (الابوسكبل) الى اعتباره مذهب الايالة الرسمي وسنوا شريعة ضد شيعة البابتست (المعمدانيين) وضد شيعة الكويكر (الاصحاب) المشهورة بحب السلام والسكينة فغرموا اتباعها واضطهدوهم وسجنوهم • ووضعت ضرائب باهظة على الاملاك المنقولة والنفوس المعدودة فاصحاب الاملاك الواسعة أعفوا من الضرائب واما الفقراء والمعوزين فأرغموا على دفعها • اما اجور الموظفين فكانوا يتقاضونها من رسوم الدخان • والطامية الكبرى هي ان عادة تجديد انتخاب اعضاء المجلس في كل سنتين ألغيت فاستبد الاعضاء اي استبداد شان كل ثابت في وظيفته وغير معرض للتغيير او الخلع حتى ان مظالم باركلي واعضاء مجلسه فاقت احيانا ظلم الملك واعوانه في بريطانيا

فضاق الاهلون ذرعا من تلك الحالة السيئة وصمموا على نيل حقوقهم ولو بتضحية نفوسهم وهدر دمائهم في ذلك السبيل • وصارت الحرب مع هنود سسكويهانا سبباً في تمردهم وعصيانهم وهبوبهم للمطالبة بما اهتضم من حقوقهم • فقد هاجمت قبائل سينكاس قبائل الهنود المنتشرة في ضواحي خليج شاسبيك وضفاف نهر سسكويهانا وطردوهم من اوطانهم وهؤلاء بدورهم هاجموا الانكليز نزلاء ماريلاند وضفاف نهر بوتوماك ثم اتحد هولاء مع جالية فرجينيا على مقاومة الهنود وحاربوهم بقيادة جان واشنطون وهو جد جورج واشنطون محرر الولايات المتحدة وسيأتي ذكره فاصلوهم نارا حامية حتى الزموهم ان يطلبوا الصلح صاغرين • فاوفدوا ستة رجال من متقدميهم الى فرجينيا كسفراء صلح ولكن ياللخجل فان الانكليز قتلوهم فوضعوا بذلك نقطة سوداء في صفيحة تاريخهم في العالم الجديد • فهاجت تلك الكبيرة غضب الهنود

فعادوا الى شن الغارة وجرت بين الفريقين مواقع هائلة

اما الحاكم باركلي فانحاز الى الهنود وحجته انه يريد مسالمتهم غير ان الجالية ابت الا الاخذ بالثار · وكان اعضاء المجلس وكبار الموظفين يناصرون الحاكم · اما البقية فصمموا على قتل الحاكم ومناصريه والهنود بوقت واحد · فتولى قيادتهم نثانيل باكون وهو على جانب من الشجاعة والحماسة والغيرة الوطنيـــة ومحبـــوب من الجميع وكان الهنود قد اخربوا مزرعته وقتلوا بعضا من ذويه فرغب الجمهور اليه ان يتولى القيـــادة ففعل

واجتمع خمسماية متطوع بعددهم وطلبوا ان يقادوا لمحاربة الهنود · وانضم اليهم غيرهم وكلهم تتقد فيهم نار الغيرة ومحبة الاخذ بالثار · ولم يعبأوا بالحاكم ولا اصاخوا سمعاً الى اوامره بل ساروا صفوفا لمنازلة عدوهم الاحمر · اما باركلي واعوانه فاتهموا باكون بالخيانة والفوا فرقة من الجند وارسلوها في اثر جماعته لصدهم عن مهاجمة الهنود وما كاد هؤلاء يبارحون جيمس تون حتى تجند فريق من الاماكن المجاورة وارجعوهم على الاعقاب فساد الاضطراب واستولت الفوضى والتشويش · امـــا باكون فعـــاد منصورا ظافرا · وما استقر به المقام حتى طرد اعضاء المجلس فانتخب عوضهم بطريقـــة التصويت العمومي وكان هو احد المنتخبين وبعد قليل انتخبوه الى رتبة القائد العـــام لجيش فرجينيا فابى الحاكم المصادقة على ذلك الانتخاب فهب الجيش لمناصرة باكون وارغموا باركلي على المصادقة ونظمت عريضة شكوى على باركلي وقع عليها اعضاء مجلس النواحي وارسلت الى البارلمانت في لندن

فخضدت شوكة الهنود وخيم السلام في ربوع المستعمرة الانكليزية واقيمت انفار الجند حراسا على الحدود فبات سكان المستعمرة ناعمي البال مطمئنين · وقد كان باركلي شرس الاخلاق متعجرفا حقودا محبا للانتقام وكان يخشى ان تعود بمكائده

نـار الفتنـة الى الضرام · ولما راى الفرصة سـانحة غـادر جيمس تـون وذهب كلوسستر الواقعة شمالي نهر يورك وهناك التف حوله من والاه من المماذقين والمدلسين وعقدوا مجلسا حكموا فيه ثانية على باكون بالخيانة الوطنية

واصبحت الحرب بين الحزبين ادنى من قاب قوسين · فبارح باركلي واعوانـه كلوسستر وعبروا مضيق شاسبيك واحتلوا شرقيه في مقاطعة اكوماك · وجمع قوانه هناك · وقد انضم اليه نفر من بحارة السفن الانكليزية · ثم مخرت سفن اسطوله تنقل تلك القوة الى جيمس تون فاحتلوها بسهولة غير انه لما بدا باكون ورجاله انقلب كثيرون من اتباع باركلي عليه وانضموا الى باكون واضطر باركلي الى الفرار ثانية من العاصمة التي اضحت ثانية تحت سلطة حزب الشعب وعولوا على ادارة زمام الاحكام بدون حاكم شرعي واذا بخبر بلغهم بان اسطولا انكليزيا على اهبة الوصول الى جيمس تون لاخضاع المستعمرة · فعقد زعماء حزب الشعب اجتماعا قرروا فيه احراق جيمس تـون · وفي المساء ابرزوا قولهم الى حيز الفعل فتحولت المدينة الوحيدة في فرجينيا الى رماد · وكان الحاكم باركلي وانصاره في الاسطول على بعد عشرين ميلا من جيمس تون فبلغهم خبر احتراق المدينة وانها لم تعد صالحة لنزولهم فيها

واعترى باكون مرض ادى بحياته فكان الحزن عليه عظيما وشاملا · واستـولى اليأس على الحزب الذي كان يرأسه فتبدد شمله · اما الحزب الملكي فوجد قـائدا مدربا يتولى زعامته وهو روبرت بيفرلي فخدم الحكومة خدمات جليلة واعاد سطوتها ورهبتها على معظم المستعمرات وقضى على الحزب الوطني والغاه

فسنحت آنئذ للحاكم باركلي فرصة للانتقـام من مقاوميـه فقبض على اثني وعشرين رجلا من حزب الشعب وماتهم شنقا · وقضى على غيرهم بعذابات متنوعة واجرى من المظالم ما يقصر عن وصفه اليراع فلما بلغ خبر اقتراف باركلي تلك الكبائر

الى الملك شارلس الثاني قال عنه لقد امات ذلك الاحمق في تلك البلاد الجرداء اكثر مما قتلت انا انتقاما لدم ابي وقد كان ذلك القول صدقاً فقد ضايق باركلي الاهلين مضايقة شديدة فكان يجازي على اقل هفوة بالغرامة والسجن · ولم يجر امرا فيه خير للبلاد او فلاح للعباد وفرض ضرائب اثقلت كاهل الاهلين على اختلاف نحلهم

وسنة ١٦٧٥ تعين لورد كليبر الذي منحت له وللمستر ارلنتن تلك النواحي على ما سبق ذكره حاكما مدى الحياة · فتقلصت بذلك سلطة الملك عن البلاد التي اضحت تحت سلطة صاحب الملك فوصل الحاكم او الملاك الجديد الى مركزه سنة ١٦٨٠ واستلم مهام وظيفته وكانت كل ايام حكمه مظالم ومغارم ولما كان يعتبر فرجينيا ملكا خاصا له كان يعامل الاهلين معاملة الارقاء حتى ملوا تلك المعاملة الجائرة ونزعوا الى الثورة ثانية وسنة ١٦٨٣ وهب ارلنتن كل ما خصه من الاملاك في فرجينيا الى كليبر المذكور فاذداد غطرسة وخيلا · ولقد حدث له مـا غل يديه واوقفه عن فواحشه وذلك ان الملك شارلس الثاني ندم على تسرعه بتلك الهبة المار ذكرها فاتخذ مظالم كليبر حجة لاستردادها فطرده من وظيفته واعاد فرجينا الى حكمه وعين اللورد هورد حـاكما عليها · وخلفه بعد ذلك فرنسيس نيكولسن حاكم نيويورك السابق · وفي ايامه شيدت كلية وليم وماوي التي سميت بذلك اكراما للملكي انكلترا الجديدين ·وخاف نيكولسن السير ادمون اندروس الذي طرد من ولاية مساتشوستس · وبمدة الخمسين سنة التالية لم يحدث في تاريخ فرجينيا ماهو جدير بالذكر سوى انه لما انشبت الحرب بين الافرنسيس والهنود ظهر للعالم بان اعمال سمث وغسنولد وباكون لم تذهب ضياعا بل نتج عنها فوائد هامة

الفصل الثالث عشر

ـــ(مساتشوستس ــ استعمارها)ـــ

في ربيع عام ١٦٢١ تبلج صبح الرجاء لمهاجري (بلغرمز) نيوبلموث بعد ان اهلك البرد القارص نحو نصفهم و كان في جملة الهلكى ابن المحسن كارفر وامرأته · فلما جاء اوان ذلك الربيع برونقه البهج وطقسه الجميل ونسيمه العليل زالت الامراض التي تفشت بينهم اثناء الشتاء القائم الغابر فانتعشت امالهم ونشطوا من عقالهم وتفاءلوا خيرا في المستقبل

وكان يساورهم الخوف من الهنود ويخشون انهم يشنون الغارة عليهم على حين غرة ففي شهر شباط كان قد اصطحب القبطان ميلز ستة رجال اشدا وتوغل بهم في الداخلية لاستطلاع عدد الهنود وقوتهم · فوجدوهم منتشرين هنا وهناك و كانوا اذا وقع بصرهم على ميلز او احد رجاله يفرون هاربين من امامهم ثم عاد ميلز برجاله الى بلموث

وبعد ذلك بنحو شهر وقف المهاجرون مبهوتين عند رؤيتهم على غير انتظار احد رؤساء الهنود واسمه ساموست منتصبا في وسط مستعمرتهم ومادا يده مصافحا وطالبا المسالمة واهلا باولئك الغرباء وبش لهم واعطاهم تقريرا عن عدد وقوة القبائل المجاورة واخبرهم بانه منذ مضي بضع سنوات انتاب البلاد وبأ جارف اباد معظم سكانها وان الضعف والخراب الباديين في الاهلين هما نتيجة تلك الرزيئة ·وان هنديا اسمه سكوانتو كان قد قبض عليه جماعة من الانكليز وهم في الصيد فاخذوه معهم وتعلم لغتهم قد جاء الى بلموث وايد حقيقة ما اخبر به ساموست المذكور

وبسعي هذين الهنديين الحسن حصلت علاقات ودية بين الهنود والمهاجرين . ودعا المهاجرون الزعيم ساموست لزيارتهم فجاء يحف به عدد من كماة رجاله فاحتفت الجالية الانكليزية به احتفاء شائقا وادخله القبطان ميلز الى مضربه ثم امر رجاله بالخروج الى الخارج واقام سكوانتو المذكور ترجمانا بينه وبين الزعيم وهناك دونت بنود اول معاهدة ابرمت في نيو انكلند (انكلترا الجديدة) وكانت شروط تلك المعاهدة مختصرة بسيطة ومضمونها المحافظة على السلام بين الجنس الابيض والجنس الاحمر وتجنب الواحد الاضرار بالاخر وكل من يعكر جو السلام يقتص منه . واذا اشتبك الانكليز بحرب فماسوت يناصرهم واذا هاجم مهاجم الهنود فالانكليز ينصرونهم . وقد دامت تلك المعاهدة مرعية الاجراء مدة خمسين سنة وحذا حذو ماسوت غيره من روءساء القبائل فارتبطوا بمعاهدات سلمية مع المهاجرين . وقد اعترفت بسلطة ملك الانكليز تسع من القبائل الاكثر اهمية . هذا وان زعيم قبيلة نارغناست ارسل للحاكم الانكليزي رزمة من السهام ملفوفة بجلد افعى خبيثة . اما الحاكم فحشى الجلد المذكور بالبارود والكرات وارجعه للزعيم المذكور فلم يجرأ على مسه لزعمه انه يحتوي على قذائف الهلاك وشرعوا ينقلونه من قبيلة الى اخرى الى ان انه ارجع اخيرا الى بلموث

وكانت سنة ١٦٢١ قاحلة فبات انبلغرمز يتقلبون على مهاد الطوى . وزاد الطين بلة وصول مهاجرين جدد لا يصحبون معهم زادا فقاسمهم المهاجرون الطعام النذر الذي عندهم ودام الجميع مدة ستة اشهر يتناول كل منهم نصف المعين له من القوت الذي كان يتناقص يوميا الى ان قارب النفاد بالكلية . وجاءت بعض سفن صيد انكليزية الى بلموث فصار بحارتها يبيعون المهاجرين القوت باثمان باهظة

اما المهاجرون السالف ذكرهم فارسلهم الى اميركا المستر طوماس وستن وهو احد الساعين في المهاجرة اولا . فظلوا مع مهاجري بلموث الى صيف عام ١٦٢٢ ثم ارتحلوا

الى الجانب الجنوبي من مرفأ بوستن واسسوا مستعمرة جديدة دعيت ويموث ٠ وبدلا من ان يصرفوا فصل الخريف بالاجتهاد في اذخار موءنة للشتاء شرعوا في مضايقة الهنود فاغتاظ هولا منهم وعملوا على ابادة مستعمرتهم برمتها بيد ان الزعيم ماسوت عملا بمنطوق المعاهدة ذهب الى بلموث واخبر الانكليز بمكيدة الهنود٠ فسار القبطان ستاندش في مقدمة فرقته الى ويموث وهاجم القبيلة الثائرة على المهاجرين وفتك بعدد من رجالها واحتمل راس سيد تلك القبيلة الى بلموث على راس عصا فكتب اليه المستر جان ربنصن وهو رجل طيب القلب كريم الصفات من ليدن يقول ليتك هديت بعضهم الى الايمان قبل ان قتلت احدا منهم ٠

وفي ربيع السنة التالية اخلى معظم جالية ويموث مستعمرتهم وعادوا الى انكلترا وكانت سنة ١٦٢٣ ذات خصب عظيم فجنى مهاجرو بلموث محصولات وافرة من مزروعاتهم ولم يعد ثمة موجب للخوف من الهلاك جوعاً ٠ وكان القسم الاكبر من المهاجرين لم يزل في ليدن وربنصن يبذل قصارى جهده في تسفيرهم الى اميركا ولكن مدراء الشركة في لندن ابوا امدادهم بنفقات السفر ولا بسفن تقلهم الى ديار هجرتهم ٠ فمرت اربع سنوات على وصول البلغرمز الى نيوانكلند ولم يزد عددهم عن المايـة وثمانين نفسا ٠ وكان مديرو الشركة يتوقعون منهم ارباحا طائلة ولكنهم استاءوا لان الامور سارت على عكس ما كانوا يتوقعون ٠ وقد بلغ مجموع ما صرفته الشركة في سبيل اولئك المهاجرين نيف واربعة وثلاثين الف ريال ولم ينلهم اقل ربح ولا بدت دلائل الربح في المستقبل ولذلك رغب اعضاء الشركة والمساهمون في بيع اسهمهم من المهاجرين فاشتراها ثمانية من متقدميهم بمبلغ تسعة الاف ريال

وقبل ان يتم عقد البيع المذكور كان مهاجرو بلموث مغتاظين جدا لان المدراء ادخلوا بينهم قسيساً من كنيسة انكلترا وهذا زادهم نفورا واستياء لانهم انما غادروا

اوطانهم واخوانهم وهربوا الى اميركا تخلصاً من نفوذ وسلطة اولئك القسس أفتتبعهم مظالمهم واطماعهم الى عابر الاوقيانوس والى الغابات والادغال . زد على ذلك ان مدراء الشركة حجبوا عنهم المدد وما كان في مستودعات الشركة في بلموث من المؤن باعوها من المهاجرين باضعاف اثمانها حتى اضطر هولا الى اقتراض دراهم بفائدة ستين بالمئة لدفع الثمن وما كانت كل تلك المصاعب لتثبط عزم البلغرمز وقد انتهت بابتياعهم من ملاكي لندن ما خصهم في تلك المستعمرة

ويمتاز عام ١٦٢٤ بحفظه تاريخ انشاء مستعمرة جديدة على راس آن فقد كان في مدينة دورشستر من اعمال بريطانيا قسيس من جماعة البيورتان اسمه جان هويت فجمع نفراً من رعيته وارسلهم الى اميركا فاحتلوا الراس المذكور مدة سنتين ثم هجروه بحجة انه غير صالح للسكن وساروا جنوباً الى نالكيج التي دعيت بعد ذلك سالم وانشأوا مستعمرة هناك وقد توطدت اركانها بوصول مهاجرين جدد اليها سنة ١٦٢٨ يتقدمهم جان انديكوت الذي انتخب حاكماً . وفي شهر اذار من تلك السنة حصلوا على براءة من مجلس بلموث . وعام ١٦٢٩ اصدر شارل الاول براءة انضم بموجبها اصحاب الاملاك معاً تحت اسم حكومة وشركة مضيق مساتشوستس في نيوانكلند . وفي شهر تموز بلغ الى اميركا مايتا مهاجر نزل نصفهم في بلموث والنصف الاخر في شبه جزيرة واقعة في القسم الشمالي من مرفإ بوستن ووضعوا اساس مدينة شارلستون

وتقرر اولاً أن براءة المستعمرة تبقى في انكلترا والحاكم وحاشيته يسكنون فيها ايضاً ولكن ذلك القرار الغي وتحتم وجوب نقل الجميع الى اميركا . وان البراءة وهي عربون الحرية يجب ان تكون في حوزة المهاجرين انفسهم . فلما ذاع خبر ذلك في انكلترا اندفع تيار المهاجرة الى اميركا اندفاعاً عظيماً . ففي عام ١٦٣٠ هاجر نحو ثلاثماية عائلة من خيرة شيعة البيورتان الى نيوانكلند وكانوا على جانب من العلم

والشجاعة والسجايا الحسنة وقد هجروا اوطانهم تخلصا من ربقة الاستبداد والجور والاضطهاد تاركين بيوتهم الجميلة ورياشهم وكل مايملكون على غير امل العودة واختاروا لهم قائدا حكيما ومديرا فاضلا وحاكما عادلا

واذا وجد رجل حري بان تتعطر بذكر فضائله ومبراته الانديه وان يثنى على شهامته ومروءته فذلك الرجل هو جان ونثروب حاكم مساتشوستس وهو من النسل الملوكي غير انه كان على المبادي الجمهورية وعلى رغم كونه اسقفي المذهب فقد كان يناصر البيورتان . ومع ان سائر وسائل الترف والتنعم والسلطة كانت موفورة لديه فقد تخلى عنها حباً بمشاطرة اولئك المضطهدين بلاياهم فكان شبيهاً بموسى الكليم الذي ترك امجاد فرعون ليشقى مع شعب اسرائيل في البرية

ونزل شطر من اولئك المهاجرين في سالم واخر في كامبردج ووترتون على نهر شارل . بينما قسم اخر سارجنوبا واسس روكسبري ودروشستر . اما الحاكم وبضع عائلات من وجهاء القوم فبعد ان اقاموا مدة في شارلستون عبروا المضيق الى شبه جزيرة شاومت ووضعوا اساس مدينة بوستن التي اضحت منذ ذلك الحين عاصمة المستعمرة واعظم مدن نيوانكلند . ولما حل فصل الشتاء انتشرت الامراض الخبيثة فشمل الذعر الجميع . وكثيرون من القادمين لم يستطيعوا احتمال قرصات البرد . وزاد في ويلات المرض ندور المأكولات ورداءة الموجود منها . فما عبر نصف الشتاء حتى هلك نيف ومائتي نسمة وعادت فئة ممن تبقوا احياء الى انكلترا وهم في اشد حالات الضعف . ومما يجدر ذكره في هذا المقام ان المهاجرين لم يفوهوا بكلمة شكوى او تذمر بل ان الحاكم كتب الى امرأته المتخلفة في بريطانيا يقول . انني راغب في الاقامة هنا ولست نادما على حضوري

وعام ١٦٣١ عقدت المحكمة العمومية جلسة سنت فيها شريعة تحصر حق الانتخاب

الاستعماري باعضاء الكنيسة٠ وكذلك حق انتخاب الحاكم ومعاونه وبقية الموظفين وبذلك قضي على نحو ثلاثة ارباع المهاجرين بالحرمان من الحقوق العمومية التي لكل رجل حر حق التمتع بها وفرضت ضرائب للقيام بنفقات التبشير بالانجيل٠ وفرض على كل القسم بالطاعة للحاكم وذوي السلطة الزمنية كما انهم جعلوا حضور الاجتماعات الدينية الزامياً ومن الغريب ان اولئك الذين هاجروا اوطانهم وعافوا مقتنياتهم تخلصاً من الضغط الديني قد مثلوا المأساة نفسها في ديار هجرتهم ووضعوا على رقاب غيرهم نفس النير الذي رغبوا في تكسيره

وقد ارتفع صوت جريء بالاحتجاج على تلك الشرائع المشينة وهو قسيس كنيسة بلدة سالم الشاب المشهود له بالتقى والمحافظة على التعاليم المسيحية في اوروبا واميركا واسمه روجر وليمز وقد جاهر بين قومه بانه من الغبن ان يتقيد ضمير الانسان ويضغط عليه بقوة الحاكم ٠ وان الحكام عليهم ان يهتموا بالامور السياسية فقط كتحصيل الضرائب وقصاص المجرمين والمحافظة على الراحة العمومية ونحو ذلك وانه يجب ان يتمتع الجميع بحقوق متساوية٠ وتأييداً لاحتجاجه العادل استقال من خدمة كنيسته ورجع الى بلموث ثم انه عام ١٦٤٣ وزع منشوراً دوى تأثيره في سائر انحاء المستعمرات ومما جاء فيه ان هبة الاراضي لا تكون ثابتة وان تكن صادرة عن ملك انكلترا الا اذا كان الاهلون نائلين انصبتهم منها فكأنه يعني بذلك ان براءة الملك لغو وان الانكليز ساكنون في اراضي الهنود فاحدث ذلك المنشور تأثيراً عظيماً حتى ان روجر اضطر الى احراقه حباً بالسلام ولكنه لم ينفك عن المجاهرة بمباديه الاخرى التي منها ان الاجبار على حضور الاجتماعات الدينية ونقاضي الشعب ضريبة للقيام بمرتبات خدمة الدين امر ان مضادان لتعاليم الانجيل الصحيحة الى غير ذلك من الآراء التي اغاظت اولياء الامر فاستاقوه الى المحاكمة وحكموا عليه بانه مبتدع واراتيكي ونفوه من المستعمرة الا ان تعاليمه لم

تنف من قلوب كثيرين بل اتت بعد ذلك بثمار يانعة ونتائج حسنة اهمها اقامة حكام في نيوانكلند من المهاجرين انفسهم وتمتعهم بالحرية التامة · ولما شاع في بلاد الانكليز خبر ما هم عليه سكان نيوانكلند من الحرية والراحة رغب كثيرون في المهاجرة · فهاجر في غضون السنة التالية ما ينيف عن الثلاثة الاف نسمة بزعامة هوز بيترزوالسير هنري فاين فالاول احد قسس البيورتان اللاجئين الى هولاندا والاخر شاب متحدر من اسرة عريقة بالشرف وقد اشغل قسما مهما في تاريخ انكلترا ونظرا لماله من الشهرة والاهمية اختاره شعب مساتشوستس سنة وصوله اليهم حاكما عليهم

وفي تلك الاونة وفر عدد المهاجرين الى ضواحي خليج مساتشوستس حتى ضاقت بهم تلك الانحاء فمست الحاجة الى توسيع نطاق حدود المستعمرة · فاجتمع اعضاء اثني عشرة عائلة بزعامة سيمون ولرد وبيتر بالكاي وتوغلوا في الغياض والاحراج وما زالوا يتنقلون حتى بلغوا الى منفرج يبعد ستة عشر ميلا عن بوستن

وهناك وضعوا اساس مدينة كنكرد · وفي نفس تلك السنة غادر ستون نفسا من المستعمرة القديمة وساروا غربا حتى بلغوا الى نهر كنكتكيت وقد تجشموا من الصعاب والمشقات في سفرهم ما يتعذر وصفه وزاد ويلهم وشقاؤهم باشتداد زمهرير البرد ولم تكن لديهم موؤنة كافية ولا كساء فهلك بعضهم والذين نجوا من مخالب المنون هاموا في البراري المقفرة وبعد تجشم اخطار ومشقات كثيرة رجع بعضهم الى بلموث وبعضهم الى بوسطن واما الباقون فثبتوا في المعترك الى ان افتر ثغر الربيع فانتعشت قلوبهم وانشرحت صدورهم وهم الذين وضعوا اسس وندسور وهارتفورد ووترسفيلد اقدم مدن وادي كنكتكيت

اما نفي روجر ولمز القس الشجاع فبدلا من ان يحدث سلاما وسكونا كما كانوا يتوقعون فقد كان مجلبة للشقاق والنزاع · فقد حدث بين القوم مشاحنات ومخاصمات

بسبب الامور المذهبية يطول شرحها وقد احدثت تاثيرا سيئاً بين اولئك المهاجرين الذين هم احوج الى التضام والاتحاد منهم الى الشقاق والنزاع على امور لا طائل تحتها

وجرى سنة ١٦٢٦ امر خطير في تاريخ مساتشوستس وذلك ان محكمتها العمومية قضت بان يجمع من الشعب مبلغ الف الى الفى ريال لاجل تشييد مدرسة كلية فوقع ذلك الامر عند استحسان العموم وكان معظم البيورتان من الطبقة المتهذبة فكانوا اكثر الجميع ابتهاجا بذلك . وقد اختاروا مدينة جديدة لتشاد فيها الكلية المذكورة وقد اقبلت نزالات بلموث وسالم ووادي كنكتكيت وغيرها للعطاء بمزيد الارتياح . وعام ١٦٢٨ قضى القس جان هارفرد من شارلستن نحبه واوصى بمكتبته ومبلغ خمسة الاف ريال لتلك المدرسة فاراد القائمون بذلك المشروع ان يعترفوا بفضل ذلك المحسن النبيل فدعوا المدرسة باسمه كلية هارفرد واكراما للمكان الذي تلقى فيه اشهر رجال مساتشوستس علومهم غيروا الاسم من نيوتن الى كامبردج

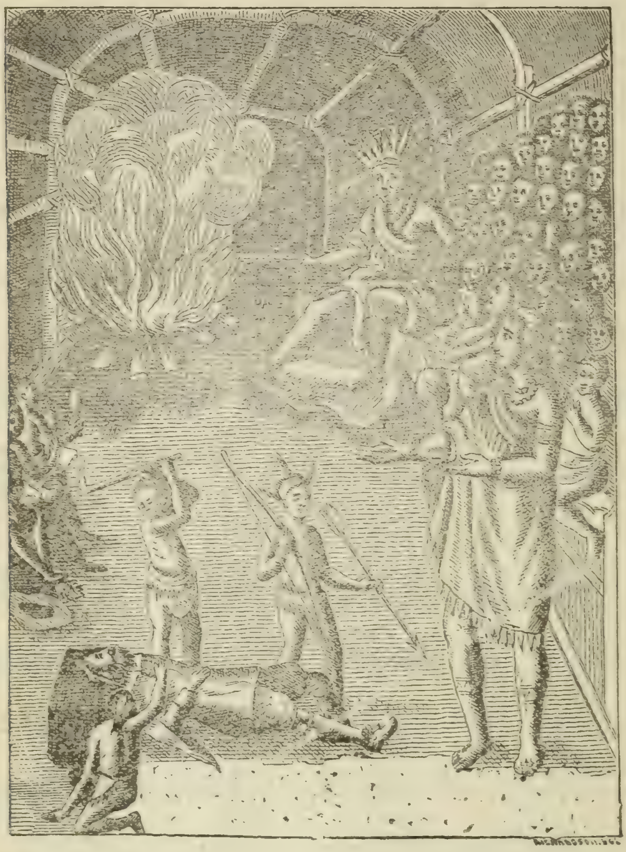
وبعد ذلك بقليل ظهر في العالم الجديد فن الطباعة . ففي عام ١٦٣٨ حضر الى بوسطن استفات راي الانكليز وهو طباع ماهر واحضر معه ما يلزم من الآت الطباعة وانشاء مطبعة في كامبردج واول ما طبعه فيها التقويم السنوي (روزنامة) لسنة ١٦٣٩ وفي غضون السنة التالية ترجم بعض القسس سفر المزامير من العبرانية الى الانكليزية وطبعوه بثلاثماية صفحة وهو اول كتاب طبع في العالم الجديد

ولقد احدث نمو مساتشوستس السريع قلقا في دوائر حكومة لندن فالمبادي الديموقراطية والحرية المطلقة للسياسة والديانة ليس مما يروق لشارل الاول ووزرائه . ولم يكن رئيس اساقفة كنتربري اقل منهم استياء وامتعاضا فصاروا يفكرون في الحؤول دون تقدم مستعمرات البيورتان واول ماخطر لهم فعله هو ايقاف تيار المهاجرة فصدرت بذلك ارادة ملوكية سنة ١٦٣٤ ولكنها كانت عديمة الجدوى بعدذلك



—(دفن دي سوتو في نهر مسسبي ليلا)—

باربع سنوات تذرعوا بوسائل أكثر خطارة من الاولى فبينما كان اسطول مؤلف من ثمانية سفن على اهبة السفر من لندن اوقف بـامر ملوكي وكان على ظهر تلك السفن اهم عائلات البيوريتان في انكلترا · على ان ذلك التوقيف دل بالاحرى على قصر مدارك الملك وسوء سياسته فكان الاولى به ان يدع سائر افراد تلك الشيعة ان يهـاجروا من بلاده باسرع ما يمكن ذلك خير له واسلم عاقبة لان توقيفهم على تلك الصورة اسرع في انفجار بركان الثورة التي اسفرت عن اسقاط عرشه الى الحضيض



ـــ(بوكانتاس تنقذ سمث من الموت)ـــ

الفصل الرابع عشر

ـــ«مساتشوستس ـــ الاتحاد »ـــ

ان مستعمرة نيوانكلند قد نمت بسرعة مدهشة فلم يتقض زمن طويل على تأسيسها حتى بلغ مجموع مدنها وقراها الخمسين أنفق على بنائها ما يناهز المليون ريال· وانشئت فيها المصانع والبيوتات التجارية وراج سوق التجارة رواجا عظيما·وابتنى وليم ستيفانس (وهو بناء سفن ماهر كان قد حضر الى بوسطن مع الحاكم ونثروب) سفينةاميركية محمولها اربعماية طن · وبلغ عدد السفن التي كانت ترسو في مياه مضيق مساتشوستس وتنقل ركابا سنة ١٦٤٠ مايتين وثمانية وتسعين سفينة وعدد المهاجرين القاطنين في بلموشارك ووادي كنكتكيت بلغ واحد وعشرين الفا ومايتين معظمهم فروا من انكلترا اما لاسباب سياسيةاودينية و كلهم كانوا يرغبون في ايجاد حكومة نزيهة عادلة مستقلة

اما الاسباب الحاملة اولئك المهاجرين على الاتحاد فجمة · اولها رغبتهم القلبية في الحصول على حكومة قانونية ثابتة الاركان راسخة القدم · سيما وان انكلترا كانت منقسمة ومشتبكة بحروب اهلية فلا تستطيع مناوأتهم · ولو فرض انها كانت راغبة في مساعدتهم فانى لها ذلك وهي على ما كانت عليه من الارتباك والتضعضع فتحتم على المهاجرين ان يعتنواهم بامر انفسهم ·وقد كانت الحدود الغربية ممتدة الى تخوم الهولانديين ولم تكن لمستعمرة كنكتكيت قوة على حماية نفسها و كان الفرنساويون من جهة الشمال يزعجون سكانها ويقلقون راحتهم · ونزالة بسكاتكو من الانكليز كانت ضعيفة لا تستطيع حمى ذمارها وهي خطر دائم من مهاجمة الهنود اياها فهذه الامور

وغيرها مما لم يذكر جعلت الاتحاد امرا لامناص منه

غير ان المحاولة الاولى لجميع كلمة المهجرين كانت عقيمة وعديمة الجدوى· وتجدد ذلك السعي عام ١٦٤٣ فكلل بالنجاح ووضع اساس الاتحاد الذي انضمت اليه مساتشوستس وبلموث ونيوهيفن تحت اسم المستعمرة المتحدة في نيوانكلند · وجعلت السلطة العليا بيد مجلس نواب موءلف من عضوين نائبين عن كل مستعمرة او مهجر ينتخبهما بالتصويت الرجال الاحرار ولم يكن للمجلس رئيس بل اقتصر على وجود خطيب له وكانت سلطته مساوية لسائر الاعضاء وبقيت كل مستعمرة محافظة على شرائعها ومجالسها الخاصة · وكان مجلس النواب ينظر في الامور العمومية كمسائل الهنود والجندية ووضع الضرائب واعلان الحرب وعقد الصلح وما شاكل ذلك

وجعلوا باب الانضمام الى ذلك الاتحاد مفتوحا لكل المستعمرات بيد انه لم تنضم اليه ولا واحدة منها اما المهاجرون الانكليز في بسكاتكوا فمنعوا من الانتظام في سلك ذلك الاتحاد لمخالفة معتقداتهم الدينية معتقدات سكان المستعمرات المذكورة وقد رفضوا قبول غيرهم ايضاً للاسباب عينها ومن جملة من رفضوا سكان مستعمرة رودايلند وجلهم من اليهود

ولم تكن في مساتشوستس شرائع منظمة حتى سنة ١٦٤١ اذ وضع نتائيل وارد في شهر كانون الاول من تلك السنة لائحة شرائع مكتوبة قرئت في اجتماع عمومي وصودق عليها بالاجماع كدستور لتلك الولاية ولعله افضل واعظم نظام وضع حتى هذا اليوم

وقد جرت سنة ١٦٤٤ تغييرات في هيأة الحكومة · فقد كان نواب الشعب حتى ذلك التاريخ يعقدون جلساتهم ويتممون اعمالهم في نفس الغرفة التي كان يجلس فيها الحاكم واعضاء مجلسه فقر الراي على فصل مجلس النواب عن مجلس الولاية وعلى جعل

كلا منهما مستقلا عن الاخر في اعماله واجرا آته فاضحى بذلك نواب الامة ومشترعوها احرارا ومستقلين ومساوين للحاكم واعوانه في السلطة والقوة وهكذا رويدا رويدا نال الشعب الحرية المطلقة ووضعت اسس الاحكام الجمهورية

ان الثورة التي حدثت في بلاد الانكليز وانتصر فيها البارلمانت على الملك شارل كانت نتيجتها راحة ونفعا لشعب مساتشوستس فسروا بذلك سرورا عظيما بيد انه لما حلت النقمة بالملك شارل عدو وخصوم الحرية سيما في المهجر ابدى شعب نيوانكلند حزنا عميقا لما حل به ورثوا لمصابه مع ان اباه نفى اباءهم من اوطانهم واذاقهم من العذاب

وفي اثناء حكم البارلمانت الطويل سنت شرائع عديدة مجحفة بحقوق مساتشوستس ولولا وقوف بعض ذوي الحمية في ذلك المجلس مدافعين عن حقوقها لديست شرائعها وقضي على استقلالها · واخص المحامين عنها كان السير هنري فاين فانه وقف في وجه كل من يبغي العبث في تلك المستعمرة · وقد اوفدت مساتشوستس غير مرة سفراء من شيوخ ومتقدمي الشعب الى لندن لاجل الاحتجاج والدفاع عن حقوقها · وبعد سقوط الملكية في بلاد الانكليز صدمت مساتشوستس صدمة كادت تقوض اركان استقلالها وذلك ان البارلمانت اصدر امرا اليها ان تسلم اليه دستورها المار ذكره وان تخضع للشرائع التي سيرسلها لها وان تجري الاحكام كلها باسم البارلمانت الذي كانت تمس سلطته قد قاربت الزوال لم يستعمل القوة لارغام شعب مساتشوستس على انفاذ اوامره فدامت مساتشوستس محافظة على شرائعها وما كانت تلك الصدمة الا لتزيد شعبها ثباتا وتشبثاً بحقوقهم و كانوا مساوين في الحقوق والامتيازات لسكيان لندن نفسها

وعام ١٦٥٢ قررت محكمة بوسطن العليا بان حدود مقاطعتها تمتد الى مسافة ثلاثة اميال عابر نهر ماريماك الى الشمال بحسب البراءة الملوكية التي لمساتشوستس والقصد

الحقيقي بذلك التمديد الحاق ماين بمساتشوستس وكانت حدود ماين ممتدة بحسب قرار المحكمة المذكورة الى مضيق كاسكو · وكانت تلك النواحي مستعمرة منذ سنة ١٦٢٦ غير ان سكانها كانوا قليلين · وسنة ١٦٣٩ تعين السير فرديناند جورجيس احد اعضاء مجلس بلموث حاكما عليها · وسنت لها شرائع ونظامات تصلح لان تكون شرائع لامبراطورية عظمى فضلا عن مستعمرة صغيرة وجعلت بلدة جورجينا التي تحول اسمها بعد ذلك الى يورك عاصمة للمستعمرة · وفي نحو ذلك الوقت اقطع مجلس بلموث لشركة اخرى مساحة الف وستماية ميل مربع من الاراضي في جوار كاسكو باي فابتاع تلك القطعة من الشركة المذكورة المستر ركبي احد اعضاء مجلس البارلمانت وهو من الحزب الجمهوري فقامت المشاحنات والمنازعات بين وكلائه ووكلا جورجيس اما نزلا ماين فلم ينحازوا الى احد الحزبين غير انهم لما راوا نجاح ما جاورهم من المستعمرات اجتمعوا ورفعوا عريضة الى محكمة بوسطن مسامين امرهم اليها فنتج عن ذلك انضمامهم الى مساتشوستس كما تقدم

وفي تموز سنة ١٦٥٦ ابتدأت مهاجرة اتباع شيعة الكويكر الى بوسطن واول من وصلها منهم امرأتان هما آن اوستن وماري فشر التان اتهمتا بانهما ساحرتان ففتشتا وامتعتهما بكل تدقيق ثم احرقت كتبهما وزجتا في السجن مدة عدة اسابيع ثم نفيتا من المستعمرة كلها · وقبل نهاية تلك السنة قبض على ثمانية اخرين من اعضاء تلك الشيعة وارجعوا الى بلاد الانكليز · ثم عقد مجلس حضره نواب عن المستعمرات المتحدة وسنوا نظاما يمنع مهاجري تلك الشيعة من الدخول الى مستعمراتهم ومن يخالف ذلك النظام يقاص للمرة الاولى بالجلد وقطع احدى اذنيه والنفي وفي المرة الثانية تقطع اذنه الاخرى وينفى وفي المرة الثالثة يسحب لسانه ويكوى بميسم حام

وسنة ١٦٥٧ حضرت آن برون من لندن للاحتجاج على ذلك الاضطهاد والشريعة

انظالمة فقبضوا عليها وجدوها عشرين جلدة. وجاء غيرها ايضا للغاية نفسها فجلدوا ونفوا وبعد ذلك جعلوا شريعة المهاجرة اشد صرامة على الكويكر. فتطوع نفر منهم ودخلوا الاماكن المحذور عليهم دخولها فحلت بهم العقوبة الشديدة. واخيرا اقترح سكان المستعمرات الاربع على اعضاء مجلس النواب بان يجعلوا الاعدام جزاء من يكدر الراحة العمومية فلما طرح ذلك الاقتراح على بساط البحث انتصب المستر ونثروب نائب مستعمرة كنكتكيت واحتج بكل جسارة ضد ذلك الحكم الجائر بيد ان الاكثرية كانت موءيدة لحكم الاعدام فغدا شريعة مرعية الاجراء. وفي ايلول سنة ١٦٥٩ قبض على اربعة وسيقوا الى المحاكمة بموجب الشريعة الجديدة. وبعد المحاكمة خيروا بين الاعدام او النفي فاختار اثنان منهم الامر الثاني واما الاخران فوقفا بكل شجاعة وقبحا بذلك الحكم الجائر غير ان احتجاجها ذهب ادراج الرياح فاثرة شجاعتهما بماري بر المار ذكرها فعادت هي ايضا الى المستعمرة وحكم عليها بالاعدام مع الاثنين المذكورين. وفي ٢٧ تشرين الاول سيق الثلاثة معا الى حيث لاقوا حتفهم. اما الرجلان فشنقوهما بلا رافة واما المرأة فبعد ان طوقوا عنقها بالحبل نزعوه ونفوها ثانية مخرجين اياها الى خارج المستعمرة اما هي فما لبثت حتى عادت اليها فاعدموها. وبعد مدة يسيرة اتبعوا بها رجلا كانوا خيروه بين الاعدام والنفي فاختار الاول واسمه وليم لدار

وقبل ان تنتهي محاكمة وليم المذكور جاء الى المستعمرة رجل اسمه ونلك كرستشن وهو ايضا من شيعة الكويكر فدخل دار المحكمة وطفق يزجر القضاة ويبكتهم على هدرهم دم الابرياء. فقبضوا عليه وجعلوه قيد المحاكمة فدافع عن نفسه بكل مقدرته غير ان المحكمين (الجوري) حكموا عليه بالاعدام فكان دم اولئك الشهداء كنفير صارخ في جمهور الكويكر ليبادروا للاستشهاد فتقاطروا من انحاء مختلفة وشرعوا

يلقونهم في السجون حتى غصت بهم · على انه قبل ان يعين وقت اعدام وتلك المذكور استفاق اولياء الامر من غفلتهم فبكتتهم ضمائرهم ورأوا فظاعة اعمالهم غير انه كان قد سبق السيف العذل ودفعوا ثمن تلك الغلطة دم اربعة شهداء ولا عجب فان التعصب الاعمى مازال ملازما البشر في كل دور من ادوارهم ولم تسلم منه حتى ولا اميركا منبت الحرية ومصدر العدل والمساواة

وفي تلك الاثناء اضرمت نيران الثورة في بلاد الانكليز وقضى المستر كرمول نحبه واسترجع شارل الثاني عرش اسلافه · فبلغ خبر ذلك الى بوسطن سنة ١٦٦٠ وجاء اليها في الوقت نفسه كل من ادورد والي ووليم كوف وهما من جملة القضاة الذين اصدروا على الملك شارل الاول حكم الاعدام ففرا من انكلترا خشية العقاب فاستقبلهما الحاكم انديكوت بكل ترحاب ·وما كادت اقدامهما تطأ اليابسة حتى حضر وفد من بلاد الانكليز يحمل اوامر من حكومتها للقبض عليهما فسهل الاهلون لهما طريق الهرب فهربا الى نيوهيفن وتواريا عن العيان فكتم الجميع خبرهما حتى ان الهنود رفضوا قبول المكافأة العظيمة التي وضعها الانكليز لمن يدل على مكان وجودهما · واخيرا عبرا وادي كنكتكيت واختباءا في قرية هادلي حيث صرفا باقي حياتهما · وفي تشرين الاول من تلك السنة شنقوا في لندن المستر هوغ بيترس وهو نصير قديم للمستعمرات الاميركية وحمو المستر ونثروب · وكذلك الشريف هنري فايم قبض عليه في هولاندا وسلم للحكومة الانكليزية فحوكم وقطع راسه

وبالنظر لتغرض كرمول في تحديد وحصر التجارة في المهاجر لم تكن مساتشوستس تشعر بشيء من مثل الاعباء الثقيلة التي كانت تنو تحتها مستعمرة فرجينيا · فلما اعيدت الملكية الى البلاد الانكليزية سنت فوزا شرائع تجارية اكثر صرامة من الاولى · فكل السفن التي لا يخفق فوقها العلم الانكليزي منعت من

الدخول الى مواني نيوانكلند · وسنت شريعة اخرى تحذر على المهاجر تصدير شيء من محصولاتها التي يحتاجونها اليها في بلاد الانكليز الى سواها من البلدان · واما المحصولات الاخرى التي لا حاجة للانكليز اليها فيمكن بيعها اين شاؤا · وكذلك من جهة الواردات الى اميركا فما يحتاج اليه فيها من الآلات ونحوها مما يصنع في بلاد الانكليز يجب ان يبتاع منها فقط حتى ان الانكليز حذروا عمل تلك الاشياء في اميركا نفسها · وألغيت حرية التجارة بين بلاد الانكليز والمستعمرات كما انه وضعت ضريبة خمسة بالمئة على صادرات وواردات المستعمرات وتلك الاموال تسربت الى جيب الملك فكانت هذه المذكورات وغيرها مما لم يذكر سببا للثورة وشق عصا الطاعة للانكليز كما سيجيء

وعام ١٦٦٤ دارت رحى الحرب بين انكلترا وهولاندا فحاولت الاولى انقاص عدد المهاجرين الهولانديين الى ضفاف الهدسن · فاوفدت اسطولها الى اميركا وكانت تبطن شيئاً اخرا وهو ان الملك شارل الثاني كان شديد الرغبة في الاستيلاء على مستعمرات نيوانكلند ليحكمها بموجب مشتهيات نفسه · وكان اهم ما يعترضه في ذلك السبيل براءة مساتشوستس الممهورة بختم الحكومة الرسمي وليس الغاؤها بالامر السهل فاستقر رايه اخيرا على ارسال اربعة قضاة من انكلترا الى اميركا ليتولوا الحكم في حل كل المشاكل والدعاوى التي تحدث في نيوانكلند ويبذلوا كل ما في وسعهم لبسط نفوذ الملك فيها · فركب القضاة المذكورون الاسطول المار ذكره وحضروا الى العالم الجديد فبلغوا الى بوسطن في شهر تموز

اما شعب مساتشوستس فلم تنطلي عليهم تلك الحيلة بل انتبهوا الى كون الملك يقصد ان ينزع الحكم الذاتي من يدهم فصمموا على مقاومة القضاة الملكيين فاعلنت حكومة بوسطن الشعب بالا يعيروا قول القضاة المذكورين انتباها وارسلوا الى

الملك احتجاجا عنيفا وقعه مئات من وجهاء ومعتبري نيوانكلند اما القضاة فاستاءوا جدا من مقابلة الشعب لهم بالاستخفاف والازدراء وذهبوا الى ماين ونيوهمشير فاكرم شعبهما وفادتهم واعتبروا حكمهم كانه حكم الملك نفسه فلما بلغ الملك خبر الاحتقار الذي صادفه قضاته استرجعهم اليه وعلى رغم كل المقاومات والمشاكسات حافظت مساتشوستس على حريتها واستقلالها سائرة في معارج النجاح والفلاح

الفصل الخامس عشر

ـ«مساتشوستس ـ حرب الزعيم فيليب ـ الحاكم ادموند اندروز وغير ذلك»ـ

عام ١٦٦٢ قضي نحبه مساسيت شيخ قبيلة ومبانوغس وكان قد راعى عهد الولاء وحفظ العهد مع نزلاء باموث الاولين مدة احدى واربعين سنة وخلفه في الزعامة ابنه اسكندر ولكنه مات في السنة الاولى من زعامته فانتقلت الزعامة الى اخيه الاصغر فيليب فزينت له نفسه ان ينازل البيض الغرباء ويضع حدا لسلطتهم وكانت المشاحنات والمخاصمات بين الهنود والبيض قائمة على قدم وساق منذ زمن وكان وقت اشتباك الفريقين في حرب طاحنة قد اقترب

وكان هنود اميركا بجهلهم قد باعوا املاكهم للانكليز ووقع مشائخهم وزعماؤهم صكوك المبيع الشرعي وقبضوا الاثمان فاخذت املاك الهنود بالتناقص سنة بعد اخرى وكذلك عددهم بينما عدد الانكليز كان يتزايد حتى بلغ ضعف عدد الهنود . وقام من

الهنود جيل جديد لا يفقه معنى صكوك المبيع او يدرك كون اسلافهم قد باعوا اراضيهم من اناس غرباء فوطنوا نفوسهم على استعادة املاكهم واماكن الصيد والقنص من ايدي مغتصبيها لدعى زعمهم · وكانوا يمتعضون عند روءيتهم تكاثر الانكليز وانتشار مزارعهم واستيلائهم على اوطانهم وموارد رزقهم حتى انه لم يبقَ في حوزة قبيلة ومبانوغس سوى شبه جزيرة بريستول وشبه جزيرة نيفرتون الضيقتين الواقعتين الى جهة الشرق من مضيق نارغنست · زد على ذلك امورا شخصية سيئة فان اسكندر المذكور قبض عليه بامر الانكليز وحوكم وسجن في بوسطن فاعترته وهو في السجن حمى خبيثة قضى بها نحبه · وجرى لغيره من زعماء الهنود ما جرى له وقضوا نحبهم بطرق محزنة · وحدث ان هندياً دخل دار الحكومة لتأدية شهادة فاماتوه · بيد ان الحكومـــة اقتصت من المعتدين واماتتهم شنقا · وما زال النفور بين الفريقين يتعاظم الى ان اصبح النزال بينهما امر لا مفر منه فارسل الهنود نساءهم واولادهم الى عابر المضيق وجعلوهم تحت حماية كانكوينت ملك نارغنست وفي ٢٤ حزيران سنة ١٦٧٥ هاجموا قرية سوانزري وقتلوا من الانكليز ثمانية · فانتشر خبر شبوب نار القتال في كل المستعمرات

ولم يمضِ اسبوع على ذلك الهجوم · حتى دخل رجال حامية بلمـــوث ومعهم نفر من المتطوعين من بوسطن ارض الاعداء وقتلوا عددا من الهنود · ثم تقدموا الى شبه جزيرة بريستول وبلغوا الى مونت هوب وارغموا فيليب وستماية رجل معـــه على الهرب فاختباوءا في تيفرستون الواقعة الى الجهة الشرقية من المضيق · فتتبعهم الانكليز وقتلوا منهم عددا كبيرا والباقون توغلوا في الادغـــال والاحراج · وحاصر الانكليز تلك الشقة مدة اسبوعين فامسى الهنود على الطوى فلما رأى فيليب ان المقاومة مجلبة للدمار فر هاربا تحت جنح الظلام مع من فتح له باب النجاة من رجاله وذهبـــوا الى مقاطعة نبمكس في منتصف ولاية مساتشوستس امـــا الانكليز فمن بعد هرب فيليب

الى اراضي نارغنست فأمنوا النساء والاولاد وآووهم واطعموهم · اما كانكونيت فخير بين الصلح والقتال فاختار الاول ووقع معاهدة صلح من شروطها ان قبيلته تلازم جانب الحياد وتسلم للانكليز كل تشرد من القبائل المعادية على ان الهنود باقوا يتوقعون سنوح فرصة للانتقاض على الانكليز والاخذ بناصر فيليب

وانتقلت الحرب من هناك الى وادي كنكتكيت · فقد كان المأمول ان قبيلة النيمكس تظل محافظة على ولاء الانكليز غير انهم انقلبوا عليهم باغراء الزعماء المنفيين وكان قد ذهب القائدان هويلر وهتشنسن مع عشرين رجلا الى بروكفيلد لحضور اجتماع مع روساء تلك القبيلة · فاقام الهنود كمينا في مكان الاجتماع فلما وصل الانكليز الى حيث اراد الهنود قتلوهم كلهم تقريبا ومن قدرت له النجاة فر الى المستعمرة وقص خبر ما اجراه الهنود فهرب الانكليز واختبأوا في حصنهم الخشبي ولولا اسراعهم في الهرب لا فنوهم عن اخرهم

ومر يومان والهنود يدمرون ويخربون واخيرا اندلعت السن اللهيب في مكان مختبأ الانكليز ولم يعد من ريب في هلاكهم ولكن ما ابتدأ السقف في الاشتعال حتى أمطرتهم السماء وابلا مدرارا قطع السنة اللهيب واطفأ النار · وما عتموا حتى وافتهم نجدة من سبرنفيلد ففر الهنود هاربين عند رؤيتهم النجدة · امـــا سكان بروكفيلد فهجروا مساكنهم والتمسوا لانفسهم ملاجيء في القرى التي على جانبي النهر · وجرت معركة في ٢٦ آب في ضواحي ديرفيلد كان الفوز فيها للبيض · بيد ان الهنود تمكنوا بعد بضعة ايام من حرق القرية فاصبح غالبها رمادا غير انه لحسن الحظ قد سلم مستودع الحبوب التي جمعوها منذ زمن وجيز وتولى القائد لاثروب مع ثمانين جنديا نقلها الى قرية هادلي فملئت مئات المركبات من القمح والذرة وسارت من ديرفيلد الى هادلي يحرسها القائد المذكور ورجاله · فماقطعوا مسافة خمسة اميال حتى هاجمهم الهنود الذين

كانوا كامنين لهم في الطريق فدافع لاشروب ورجاله خير دفاع ولكن الهنود كانوا يفوقونهم كثيرا في العدد ففتكوابهم فتكا ذريعا و كادوا يبيدونهم عن اخرهم واذابالقائد موسلي اقبل ومعه سبعون رجلا · واستمر القتال بين الفريقين سحابة ذلك النهار ثم بدا الانكليز بالتقهقر الى ان وافتهم نجدة اخرى قوامها ١٦٠ رجلا فتقووا وهاجموا الهنود بعنف فشتتوا شملهم وارغموهم على الفرار تاركين اشلاء قتلاهم على قارعة الطريق · والنهر الذي جرت على ضفافه تلك الموقعة سموه النهر الدموي

وفي نفس اليوم الذي احرقت فيه ديرفيلد هوجمت ايضا قرية هادلي بينما كان الناس في الكنيسة فذعروا لما سمعوا خبر ذلك الهجوم الفجائي وشرع البرابرة بالقتل والنهب واذا بالجنرال كوف الشيخ قد برز من مخباه فسكن روع القوم ولم شعثهم وقادهم الى مصادمة الهنود فهاجموهم وهزموهم ولما توغل الهنود في الاحراج توارى الجنرال كوف عن العيان · وجرت في الخريف التالي معركة اخرى في سبرنفليد فاحترق عدد كبير من بيوتها وهوجمت هادلي ايضا مرة اخرى واصابها ما اصاب سبرنفيلد ·وهاجم الهنود ايضا بلدة هانفيلد غير ان سكانها كانوا على اتم استعداد فارجعوا الهنود على الاعقاب وقتلوا منهم كثيرين · وكان الناس لفرط ذعرهم قد هاجروا المزارع والتجاوا الى البلدان القوية على ضفاف النهر

ولما راى فيليب انه لا يستطيع ان يزيد على ما اجراه من الاضرار في النواحي الشمالية جمع اعوانه ورجال حربه وسار بهم الى نارغنست فقبلهم الزعيم كننست بالترحاب وجاهر بنقضه المعاهدة مع الانكليز ولو انه رفض فيليب وقومه لخالف بذلك العادات المألوفة عند الهنود فاختار خيانة العهد على ابطال العادات القديمة المرعية والتي تمشى عليها اسلافه اجيالا واحقابا · فاعلن انكليز مساتشوستس حربا على قبيلة النارغنست فهاجموا رودايلند بالف مقاتل بقيادة الكولونيل يوشيا ونسلو وراموا سحق تلك القبيلة

وعشيرة النومبانوغز دفعة واحدة • اما الهنود فجمعوا قوتهم ومعدات حربهم في غابة كثيفة واقعة الى الجنوب الغربي من كنستون في مقاطعة واشنطن و كان عدد رجال الحرب بينهم ثلاثة الاف • فجمعوا نفائس وذخائر كلتا القبيلتين المذكورتين ووضعوها في بلدة وغوامز التي تشغل مساحة عدة فدن من الارض وبنوا حصنا في الجزيرة وحصنوه بما تيسر لديهم زاعمين انهم صاروا بمأمن من الهجوم • فصار الانكليز على مقربة من محلة الهنود في تاسع عشر كانون الاول وتوغلوا في تلك الاحراج حتى بلغوا الحصن المذكور عند الظهر فهاجموه فورا ولم يكن الوصول الى معسكر الهنود ممكنا الا بواسطة شجرة ساقطة ومكونة جسرا من الجانب الواحد الى الجانب الاخر فعبر بعض اشداء الانكليز على ذلك الممر ولكنهم لاقوا حتفهم بنيران الهنود التي انصبت عليهم فتفرقوا هنا وهناك فعثر بعضهم على معبر لم يقم الهنود على حراسته فدخلوه ومن ثم تلاحم الفريقان واشتبكوا بقتال يقصر القلم عن هوله ولم تنقضي بضع ساعات حتى شبت النار في كل جوانب قرية وغوامز واندلعت السنة اللهيب في كل جهة فبدا هنالك منظر هائل غير ان شجاعة الانكليز وثباتهم خولاهم النصر التام في ذلك الموقف الحرج فولى الهنود الادبار والانكليز يطلقون عليهم عياراتهم فيردونهم حتفهم وقد قتلوا منهم الفا واسروا مئات و كل الذين وقعوا جرحى التهمتهم النار كما التهمت عددا وافرا من الشيوخ والنساء والاطفال ففقدت بذلك قبيلة النارغنست مجدها وباد عزها • بيد ان ذلك الانتصار كلف الانكليز ثمناً باهظا فان ثمانين جنديا وستة ضباط خروا صرعى في ذلك العراك وجرح ماية وخمسون

والذين فازوا بالنجاة من الهنود اجتمعوا معا تحت قيادة فيليب وانضموا الى عشيرة النبمكس • وفي الربيع التالي دارت رحى الحرب بين الحمر والبيض باشد هولا من الاول وحارب الهنود بيأس لاستسلامهم الى اليأس وتحققهم ان املاكهم ستضحى اذا

غلبوا غنيمة باردة لخصومهم • وقامت المجازر على مسافة ثلاثماية ميل وهي المسافةبين مين و كنكتكيت وتحولت بلدة لانكستر ومدفيلد وغروتون وغيرها الى رماد وسادت الاضطرابات والقلاقل في كل الاماكن

واخيرا اقتربت نهاية تلك المشاغب فاخذت قوة الهنود بالتلاشي وعددهم بالتناقص وفي شهر نيسان القي القبض على الزعيم كاننستت فامنوه على حياته اذا كان يوقع معاهدة سلم فابى ذلك بكل خشونة وغلاظة فاضطروا الى قتله • اما فيليب فكان لم يزل رافعا راية العصيان بيد ان اتباعه تناقص عددهم جدا حتى اصبحوا شرذمة صغيرة وفي اوائل فصل الصيف وقعت امرأته وابنه اسيرين بيد الانكليز وبيع ابنه كرقيق ومات وهو يعمل في بيت سيده فلماسمع والده خبر ذلك استولى عليه اليأس والقنوط ولم تعد تحلو له الحياة • فهرب خفية الى بيته القديم في مونت هوب • فدرى به الانكليز وارسلوا فرقة من الجند للاحاطة به ودلهم هندي خائن على المكان المذكور وهذا الهندي هو الذي نشب سهماً في صدر زعيمه فارداه قتيلا

فتضررت نيوانكلند كثيرا من تلك الحرب وقدرت خسارتها بماينيف على الخمسماية الف دولار وتحولت ثلاث عشرة بلدة وستماية بيت الى رماد • ولم تسلم عائلة من فقد شاب او اكثر منها فقد صرع في تلك الحرب ماينوف عن الستماية شاب هم زهرة المستعمرة وخيرة رجالها ناهيك عن العيال التي تجرعت كأس المنون برمتها بيد اولئك المتوحشين الذين لم يرحموا شيخا ولا حنوا لرضيع • امالالان فقد انقضى عهد تلك المجازر وخيم السلام ثانية في تلك الربوع وانقرضت الهنود من تلك المستعمرة والذين تبقى منهم في جهات كنكتكيت استولى عليهم الذعر والرعب فجاؤا يطلبون الرحمة والامان فعاد الفلاحون الى مزارعهم واهل البلدان الى بيوتهم التي اكلتها النيران ليجددوا بناء ماتهدم

ولم تكد حرب الزعيم فيليب تنتهي حتى منيت البلاد باضطرابات جمة متنوعة فقد كان يرجى ان انكلترا تمديد المساعدة الى المستعمرات الاميركية وتعيضها بعض ما نابها من الخسائر والاضرار غير ان الامر جاء على عكس ذلك فان حكومة انكلترا اوفدت المستر ادورد راندلوف معتمدا ملوكيا يتقاضى المهاجرين ضرائب متعددة فاستقبله الحاكم لافرت ببرودة كلية وافهمه صريحا بانه يعسر حتى على ملك بريطانيا نفسه ان يحصر او يحدد حرية رعاياه في اميركا لان المهاجرين انفسهم تكبدوا المشقات والنفقات في حربهم مع الهنود ولم يكلفوا الخزينة الانكليزية بارة الفرد وانهم يستحقون اجتناء ثمار الحرية والراحة لقاء اتعابهم وخسائرهم · فصرف راندلوف مدة ست اسابيع في بوسطن ثم قفل راجعا الى لندن واشاع الاخبار مجسمة عن غطرسة المهاجرين وتمردهم على حكومتهم الانكليزية وكان الملك الانكليزي يفكر منذ زمن بالغاء الرخصات الانكليزية الجديدة فجاءت اخبار راندولف عن المهاجرين خير حجة له يتذرع بها للوصول الى ضالته المنشودة · اما الاضطراب الاخر فحدث بسبب ادارة ماين فصاحب الاملاك فيها كان السير فرديناند غورجس فهذا قضى نحبه تاركا الاملاك لورثته الذين لم يعلنوا تنحيهم او تخليهم عن تلك الاملاك · وشعب ماين كانوا قد الحقوا انفسهم بحكومة مساتشوستس فرفع ممثلو ورثة غورجس الامر الى مجلس الدولة الانكليزية فحكم لهم بالاملاك سنة ١٦٧٧ فرغبت حكومة بوسطن في مشترى الاملاك المذكورة من ورثة غورجس فتم المبيع في ١٦ ايار بمبلغ ١٢٥٠ ليرة انكليزية فاصبحت ادارة تلك الاماكن منوطة بحكومة مساتشوستس

وحدث ما يضارع ذلك في نيوهمشير · ففي سنة ١٦٢٢ كان مجلس بلموث قد اقطع تلك الاصقاع الى اثنين من اعضائه وهما غورجس المارذكره والقبطان جان ماسون · وبعد سبع سنين من ذلك التاريخ وهب الاول ما خصه للثاني فاضحى ماسون

المالك الـوحيد · غير ان تلك الارضين كانت ضمن الحدود المبينة في رخصـة مساتشوستس وبعد موت ماسون جاء ابنه ربرت سنة ١٦٧٩ يطالب بارث ابيه فرفع الامر ايضا الى المجلس التشريعي في لندن فحكم بصحة دعوى ربرت المذكور فانقسمت حكومة تينك الناحيتين الى حكومتين على رغم سكانهما فظهرت اذ ذاك جليا نوايـا الملك الانكليزي ومقاصده · فاقيمت في نيوهمشير فورا اول حكومة ملكية في نيوانكلند ورشح ربرت ماسون ادورد كرانفيلد حاكما وقد تثبت من الملك رسميا وجعل خمس واردات الضمان للملك الانكليزي

على ان الاهلين اجتهدوا في جعل الضمان رخيصا بحيث لا يكون الايراد منه وافرا ورفضوا الاقرار بسلطة كرانفيلد وقاوموه جهدهم فضاق بذلك ذرعا وارسل يرجو الملك اقالته من الحكم وانه خير له ان يترك شعب نيوهمشير وشانه · فنسب ملك الانكليز كل تلك الاضطرابات لحكومة مساتشوستس وزاد حنقه عليها وعلى شعب نيوانكلند · فلكي يجري نواياه لجهة الغاء حكومة الاستعمار وكل الى القضاة البحث في ما اذا كانت مساتشوستس تجاوزت الحدود المفروضة لها في البراءة الملوكية · فاصدر اولئك القضاة حكما عام ١٦٨٤ بحسب مشتهى الملك · وبناء على ذلك الحكم جاز للحكومة الانكليزية الغاء حكومة مساتشوستس والحاقها راسا بحكومة الملك · ولكنه قبل انفاذ مبتغاه عاجله القضاء المحتوم في سادس شهر شباط سنة ١٦٨٥ بعد ان ملك ٢٥ سنة كانت كلها استبدادا وعسفاً وظلماً

وملك عوضه اخوه جيمس الثاني وتمشى على سياسة اخيه في ما يخص المستعمرات وبعد تبوء العرش بسنة واحدة اتم كل ما كان ينوي اخوه فعله · فـالغيت رخصـة مساتشوستس وضمت المستعمرات الواقعة بين نوفاسكوشيا ومضيق نارغنست معا وتعين جوزف ضدلي رئيسا عليها · اما مساتشوستس فلم تكن لها قوة للمقاومة ولهذا فقد انحل

مجلسها من نفسه·وفي الشتاء التالي خلف ضدلي في الرئاسة السير ادموند اندروز الذي تعين حاكما ملوكيا على نيوانكلند · وكان الاحرى ان يكتب عنوان وظيفته هكذا «ملاشاة الحرية في ديار الهجرة» ولم يوجد رجل في كل المملكة الانكليزية اكثر صلاحية لتنفيذ مآرب الملك من ادموند المذكور · فوصل الى بوسطن في ٢٠ ايلول وشرع من فوره بهدم اركان كل مايشتم منه رائحة التآلف والانضمام وتقويض اركان تكافل القوم واتحادهم · وتسيطر على المطبوعات وضغط على حملة الاقلام وذوي الافكار الحرة فلم يعد ينشر اويطبع شيء بدون امره · وابطل النيابة الشعبية كما انه ألغى التصويت بالاقتراع · وحذر على شعب المدينة الاجتماع للمفاوضة في شؤون مدينتهم او غيرها · وجاهر بتأييد سلطة كنيسة انكلترا واهمل امر المدارس حتى صارت تعد لغوا · وابطلت المعاملات القانونية لجهة من يراد القبض عليهم فاذا سجنوا وضويق عليهم واحتجوا على تلك المعاملة الجائرة بالامتيازات الممنوحة لهم بموجب الرخصة الملوكية التي كانت مرعية الاجراء مدة طويلة اجيبوا بان الرخصة لم تعط لشعب اميركا المتمردين الفجرة وكان يصدر الحكم على من عد مجرما بحسب ارادة الملك الانكليزي

وامتدت سلطة اندروز من مضيق كايب كود الى بسكاتكوا · وبعد زمن قصير ألغيت امتيازات نيوهمشير ودخلت تحت سلطته ايضا ومثلها رود ايلند التي ألغيت رخصتها في سادس ايار سنة ١٦٨٦ بامر ملوكي وقضي على قوانينها وشرائعها · وقد انكروا على الملاكين حق التملك على رغم صكوك المبيع التي بيدهم من الهنود ومصادقة حكومة مساتشوستس عليها بحجة ان تلك الحكومة ملغاة فلا عبرة بمصادقتها · وسار اندروز بكتيبة من الجند الى كنكتيكت فدخل مدينة هارتفرد في تشرين الاول عام ١٦٨٧ فوجد مجلس النواب ملتئما فدخل عليهم فجأة وامرهم ان يسلموه البراءة الملوكية فاتوا بها ووضعوها على الطاولة · وقامت هناك مجادلات ومحاورات دامت

حتى ارخى الليل سدوله واخيرا انتهى الجدال بوجوب تسليم البرآءة عندئذ أُطفئت القناديل فخيم الظلام في الصاعة ولما اتوا بقناديل منيرة وجدوا ان البرآءة مفقودة اذ كان قدانتشلها يوسف ودسورت وانسل من القاعة تحت ستر الظلام فذهب وخبأها في جذع شجرة دعيت بعد ذلك (بسنديانة البراءة) ولكن ذلك لم يغنِ فتيلا في الغاء حكومة كنكتكيت وجعلها تحت سيطرة اندروز الذي لقبه الاهلون بطاغية نيوانكلند بيد ان حكمه كان قصير الامد فبعد ثورة عام ١٦٨٨ في بلاد الانكليز وارتقاء الملك وليم والملكة ماري العرش ثار شعب بوسطن وشعب شارلستون فقبضوا على اندروز واشياعه الذين كانوا يحاولون الهرب وذر قرن الفتنة في سائر المستعمرات فلم يأتِ عاشر شهر ايار حتى استعادت كلها حريتها السابقة

الفصل السادس عشر

—« مساتشوستس والعرافة · حروب حنه وجورج وغير ذلك »—

انه في عام ١٦٨٩ دارت رحى الحرب بين فرنسا وانكلترا وتلك الحرب هي التي يشير اليها مؤرخو الامير كان بحرب «وليم» · ولما انزل جيمس الثاني عن عرشه احتمى بلويس الرابع عشر ملك فرنسا · وكانا كلاهما كاثوليكيين ومتفقي الاراء لجهة اجراء الاحكام على الطريقة الاستبدادية المطلقة · وبناء على ذلك وعلى اسباب اخرى غيرها عقدت بينهما محالفة من شروطها ان لويس يعضد جيمس ليعود الى عرشه الذي اجلس عليه البارلمانت الانكليزي وليم الاورنجي الذي لم يكن مكروها من جيمس

الانكليزي فقط بل ومن حليفه لويس الافرنسي • ولم تنحصر تلك الحرب في اوروبا بل اتصل ضرامها الى العالم الجديد واشتبك فيها سكان مستعمرات كلتا الدولتين المتحاربتين فحاربت «انكترا الجديدة» «فرنسا الجديدة»

وابتدأ العراك اولا على الحد الشرقي من نيوهمشير فهجمت في ٢٧ حزيران شرذمة من الهنود الموالين لفرنسا على دوفر وقتلوا فضلا عن حاكمها رتشرد ولدرن وهو شيخ تجاوز الثمانين من العمر ثلاثاً وعشرين رجلا على طريقة هائلة واستاقوا الى القفار تسعة وعشرين اسيرا

وفي ٣٠ آب سار مئة رجل من قبيلة الابنكس في زوارق في النهر حتى بلغوا الى شاطئ بلدة بمكبوليد المدعوة الان بريمن وهاجموا الاهلين على حين غرة • واحتاطوا بجماعة من الفلاحين كانوا يحصدون مزروعاتهم فقتلوهم ثم حاصروا حصن المدينة وبعد يومين افتتحوه عنوة وقتلوا معظم الاهلين واستاقوا من تبقى منهم احياء اسرى على ان بعضهم قدرت لهم النجاة ففروا الى الاحراج واختبأوا فيها • وبعد ذلك بنحو شهر عقدت معاهدة بين الانكليز وهنود موهوكس الاشداء القاطنين في غربي نهر الهدسن • على ان الهنود ابوا مقاتلة بني جنسهم في مقاطعة ماين • اما الهولانديون نزلاء نيونذرلاند فانضموا الى الانكليز وثاروا على فرنسا

وفي كانون الثاني عام ١٦٩٠ خرج لفيف من الجنود من فرنساويين وهنود من مونتريال وساروا جنوبا الى ان عبروا نهر موهوك وبلغوا في ثامن شباط الى بلدة سكنكتدي فكمنوا فيها الى منتصف الليل ومن ثم اعملوا سيوفهم في رقاب الاهلين وبعد هنيهة اندلعت السن اللهيب في انحاء البلدة فهلك ستون نفسا والباقون هربوا تحت ستر الظلام وهاموا في ذلك البرد القارس مسافة ١٦ ميلا الى البني • وبعدذلك هوجمت بلدة سالمون فولز فقتل عدد غفير من سكانها وكان المهاجمون يقاتلون بقيادة

الموسيو هرتل الفرنساوي · وانضمت الى فرقة اخرى من كباك بقيادة الموسيو بورتنوف ثم هاجموا مستعمرة خليج كاسكو واستولوا على الحصن الانكليزي وشتتوا شمل الاهلين وما زال النصر حتى ذلك الوقت اليف الفرنساويين وحلفائهم

ثم ان نيوانكلند اتحدت كلها وهبت للمقاومة · وعقد مجلس في نيويورك للاهتمام في تدبير واستجلاب معدات القتال · واستقر الراي على شن الغارة على كندا وتسيير جيش في بحيرة شابلين لمهاجمة مونتريال·وفي الوقت نفسه ترسل مساتشوستس اسطولا عن طريق سانت لورنس لغزو كباك وهكذا سيرت ٣٤ سفينة تقل الفي مقاتل بقيادة السير وليم فبس فهاجموا اولا بورت رويال واجبروها على التسليم فسلمت على الاثر كل نوفاسكوشيا بدون ادنى مقاومة · ولو بقي فبس زاحفا على كبك لكان اضطرها الى التسليم ايضا غير انه ابطأ في مهاجمتها حتى تشرين الاول · وفي خلال تلك المدة كان احد الهنود قد حمل الى حاكم كندا خبر قدوم السفن الانكليزية فحصن قلعة سانت لويس تحصينا عز على الانكليز اختراقه فعاد فبس باسطوله بصفقة المغبون الى بوسطن اما خزينة مساتشوستس فكان قد كتب عليها «وعش خاليا» فاضطرت الحكومة الى اصطناع اوراق مالية لدفع نفقات تلك الحرب العديمة الجدوى و كان ذلك اول عهد العملة الورقية في العالم الجديد

اما الجنود البرية فكانت قد بدأت بالزحف من البني وتقدمت حتى بحيرة شامبلين وهناك قامت المنازعات بين القواد لاسباب لا حاجة بنا لتفصيلها و كان ذلك مدعاة لتفرق كلمتهم وانفصام عرى ائتلافهم فنكصوا راجعين يجرون وراءهم ذيول الخجل والهوان

كان السير وليم فبس قد احرز بعض الشهرة في قيادة الاسطول المار ذكره · فاوفد رسولا الى انكلترا يطلب الى حكومتها المساعدة لمواصلة القتال مع

الأمل بالحصول على نسخة جديدة من البراءة • اما على الامر الاول فاجاب وزراء الانكليز بانهم لا يستغنون عن اسطولهم وجيشهم فير سلونهما للاشتراك في مناوشات طفيفة مع هنود اميركا • وقابلوا الامر الثاني ببرودة ومن ثم رفضوه بتاتا • وكان الملك وليم مستاء من منطوق البراءة الاولى فلم يرق له تجديدها • ويظن ان فبس نفسه لم يكن راغبا في الحصول على البراءة كما كان يرغب في جر مغنم لنفسه بدليل انه لما عاد الى بوسطن سنة ١٦٩٢ كان مقلدا وظيفة حاكم على تلك الايالة بامر من الملك نفسه • ثم انه بموجب الدستور الاساسي الجديد اتحدت بلموث وماين ونوفاسكوشيا مع مساتشوستس • واما نيوهمشير فعلى رغم كل احتجاجات شعبها ومقاومتهم قد تم انفصالها عنها

وبقيت نار الحرب مشتعلة ولم يشتبك الفريقان بموقعة فاصلة • وفي عام ١٦٩٤ هجمت شرذمة من الهنود بقيادة رجل افرنسي اسمه فيليوعلى بلدة اويستر رفر واسمها الآن درهام واخربوها وقتلوا معظم سكانها واسروا البقية • وبعد ذلك بسنتين افتتح الفرنساويون للمرة الثانية قلعة بيماكود الانكليزية • وفي شهر اذار التالي هاجم الهنود ايضا بلدة هافرهل الواقعة على نهر مريماك وقتلوا من اهلها نحو اربعين نفسا واسروا الباقين وفي جملتهم امراة تدعى مدام دستن وعلى ذراعيها طفل لا يتجاوز الاسبوع من العمر فاختطفه الهنود من يدها وضربوا به جذع الشجرة فاماتوه • ثم استاقوا تلك الام التاعسة ووصيفتها وغلاما اخر الى جزيرة في نهر مريماك على بعد قليل من كنكرد وبينما كان اولئك البرابرة وعددهم اثنا عشر مستغرقين في النوم نهض الاسرى الثلاثة وبكل سكينة تسلحوا باسلحة الهنود واعملوا فيهم ضرباً على رؤوسهم فاماتوا منهم عشرة ثم لاذوا بالفرار وطرحوا انفسهم في المياه فنجوا وبلغوا المستعمرة الانكليزية بسلام

واوشكت الحرب ان تضع اوزارها· فاجتمع مندوبون انكليز وافرنسيين في بلدة رسوك في هولاندا للمداولة في امر الصلح ومن ثم ابرموا معاهدة سلم في عاشر ايلول واعترفت فرنسا بوليم ملكا على بريطانيا ·وعادت تخوم مستعمرات كلتا الدولتين في اميركا الى ما كانت عليه قبل الحرب

غير ان ذلك السلم لم يكن طويل الامد · فان فرنسا وانكلترا اشتبكتابعد اربع سنوات بحرب طاحنة عبر شرارها المحيط فاضرم في المستعمرات الاميركية نار الحرب والطعان ·وتفصيل ذلك هو انه عام ١٧٠٠ قضى شارل الثاني ملك اسبانيا نحبهواوصى بالخلافة بعده لفيليب من انجو وهو حفيد لويس الرابع عشر فكان ذلك انصع دليل على امكان حصول تحالف وتقارب بين مملكتي فرنسا واسبانيا · فساء ذلك الامر اوروبا كلها فابرمت على الاثر محالفة بين انكلترا والنمسا وهولاندا ورشحت الدول المذكورة لخلافة عرش اسبانيا الارشديوق النمساوي وشهرت الحرب على لويس الربع عشر الافرنسي لمناصرته حفيد فيليب في لبس تاج اسبانيا

وكانت انكلترا ناقمة على فرنسا لسبب اخر وهو · في عام ١٧٠١ توفي في بلاط لويس الافرنسي جيمس ملك انكلترا المنفي · فجاهرت فرنسا بانه يجب ان يخلفه ابنه في الملك · وكان ذلك مخالفاً لمعاهدة رسوك · فاحتسبت انكلترا ذلك اهانة لهـا وتداخلا في شؤونها الخصوصية فعبأ الملك الانكليزي جيشاً لجباً وقاده الى ساحة الوغى لكبح مطامع فرنسا ولانقاذ عرشه من السقوط غير انه لم يفسح في اجله لكي ينجز ما شرع به فما كادت الحرب تبدىء حتى سقط عن جواده فـاعترته على اثر ذلك حمى خبيثة اودت بحياته فقضى نحبه في ٦ ايار عام ١٧٠٢ فاجلس البارلمانت على العرش حنه ابنة الملك جيمس الثاني حمي الملك وليم فتمشت هذه على سياسة سلفها وخاضت مع فرنسا غمار حرب طاحنة دارت رحاها مدة ثلاث عشرة سنة ·وهي المعروفة

بالتاريخ «بحرب حنه» اوحرب خلافة اسبانيا

اما في العالم الجديد فكانت الحرب محصورة بين نيوانكلند وسوث كارولينا. واما المستعمرات المتوسطة فقلما شعرت بها. على ان تلك الحرب لم تتجاوز حدود مناوشات ليست بذات اهمية وقد لازم الهنود فيها جانب الحياد وفي شهر آب سنة ١٧٠١ اقامت الدول الخمس التي كانت مستعمراتها جنوبي بحيرة اونتاريو ونهر سانت لورنس تخما بين كندا ونيويورك وقطع سكانها عهد حياد بينهم وبين فرنسا وانكلترا وحذا حذوهم قبيلة ابنكيس المنتشرة في ايالة ماين · غير ان الجزويت الفرنساويين أغروهم على النكث بالعهد والاخذ بناصر فرنسا · واول نذير لانكلترا على انتقاض اولئك الهنود عليها ونكثهم بالعهد كان مذبحة مريعة قاموا بها فاستباحوا كل الاماكن الواقعة بين بلدة ولس ومضيق كاسكو واعملوا فيها قتلا وحرقا

وفي منتصف فصل الشتاء من سنة ١٧٠٣ —٤ سار ثلاثماية من افرنسيين وهنود من كندا زحفا على الثلوج ودخلوا بلدة ديرفيلد فاخربوها واحرقوها وقتلوا عددا من اهلها واستاقوا البقية اسرى وكان بينهم عدد من النساء والاولاد ارغموا على المشي في زمهرير البرد القارس الى كندا وكان الثلج على علو اربعة اقدام فمن شدة البرد والخوف والجوع والعياء غاص معظم اولئك المنكودي الحظ في الثلوج وماتوا الذين أتيح لهم الوصول الى كندا أفتدوا بعد ذلك وعادوا الى بلدتهم الخربة

وجرى مثل ذلك في نيوهمشير وماين · فاحرقت المزارع والقرى وقتل عدد وافر من الاهلين وسيق غيرهم اسرى الى كندا · وكانت عصابات من الهنود بقيادة رجال افرنسيين تهاجر مساتشوستس وتحدث اضرارا فادحة ولم تكن هنالك معدات للدفاع او ما يصد هجمات اولئك الغزاة

وعزمت مساتشوستس عام ١٧٠٧ على اخضاع مدينة بورت رويال فسيرت اليها اسطولا على متنه الف محارب غير ان البارون كاستين قائد الحامية الافرنسية اظهر براعة فائقة في الدفاع وارجع الانكليز على اعقابهم خاسرين فلم تستفد مساتشوستس من تلك الحملة سوى الفشل وتراكم الديون على خزينتها · وبعد ذلك بسنتين اعادت الكرة على بورت رويال · فسار اسطول مؤلف من ثلاثين سفينة انكليزية واميركية يقل اربع كتائب من الجنود ورسا في مينائها · وكانت الحامية الافرنسية حينذاك ضعيفة وقليلة المعدات وقائدها كان عديم الخبرة وقليل الشجاعة · فبات الافرنسيون على الطوى لقلة الزاد لديهم وبعد دفاع احد عشر يوما سلموا للانكليز فاضحت بذلك كل نوفا سكوشيا تحت سلطة الانكليز · ورفع العلم الانكليزي فوق حصن بورت رويال وتغير اسم المدينة الى انابوليس اكراما للملكة حنه الانكليزية

وبوشر بالاستعداد لغزو كندا · وتعين ان تسير قوة بقيادة الجنرال نيكولسن لافتتاح مونتريال بينما الاسطول الانكليزي يهاجم كباك وهي مفتاح الاملاك الافرنسية في العالم الجديد · وكان ذلك الاسطول مؤلفا من عشر مدرعات واربعين سفينة نقالة ومعقود اللواء على السير هوفندن ووكر · واختيرت من جيش اوروبا سبع كتائب من خيرة الجنود المدربة وارسلت للانضمام الى الجيش الزاحف على كندا اما حامية كباك فكانت ضعيفة ولاقبل لها على الثبات امام قوات الانكليز ساعة واحدة ولو لا عدم كفاءة الاميرال ووكر وقلة حنكته لكان النجاح مكفولا

وقد بقي ذلك الاسطول الضخم مدة ستة اسابيع من فصل الصيف راسيا في مياه بوسطن لا يأتي بحركة · وبعد ذلك شرع يستعد للسير · وكان الهنود قد ابلغوا الفرنساويين خبر استعداد الانكليز لمهاجمتهم فشرعوا يتأهبون ويتحصنون وكلما ابطأ الانكليز في الهجوم ازداد الافرنسيون تحصينا · واخيرا في غاية تموز عندما فرغت

جعبة الأميرال من الاعذار الفارغة سار باسطوله يقصد مياه سانت لورنس • ولما وصل الى مضيق كاسبي ارتآى وجوب التربص فيه للنظر في ما يقي اسطوله من الجليد في الشتاء القادم • ثم تابع السير الهويناء في نهر سانت لورنس الى انه في ٢٢ شهر آب احاط به ضباب كثيف وهبت ريح عاصفة شرقية • اما الاميرال ـالباسلـ فبدلا من بقائه على ظهر بارجته للنظر في ما يجب عمله في ذلك الموقف الحرج ذهب الى فراشه واستغرق في النوم ولم يستيقظ حتى ايقظه احـدهم لكي ينهض ويشاهد ثمانية من افضل سفن اسطوله متحطمة تحطيما لارتطامها بالصخور • وقـد جرفت دوامة البحر ثمانماية واربعة وثمانين من نخبة بحارته • فعقد ووكر على ظهر باخرته مجلسا حربيا تقرر فيه ان التقدم مستحيل تحت تلك الظروف ومما يدل على رقاعة وبلادة الاميرال ووكر قوله في رسالته الى حكومته بان فرحه عظيم بهلاك الف نفس من رجاله لانه صار مدعاة الى انقاذ البقية من انياب المنية دنقا في كباك اه• واقلع اسطول ووكرعائدا الى انكلترا يجر وراءه ذيول الفشل والعاروجيش المستعمرات عاد الى بوسطن بصفقة المغبون

وبعد ذلك استعاد شعب مساتشوستس قسما كبيرا من حقوقهم وادارو شؤون حكومتهم بانفسهم وعينوا المرتبات للموظفين بحسب راي الشعب واختياره واصبح الحاكم الانكليزي يأتمر بامر الشعب اكثر مما بامر حكومة انكلترا

وفي اثناء ذلك زحف الجنرال نيكولسن بجيشه على مونتريال ولكن بلغه خبر انخذال الاسطول فنكص راجعا هو ايضا والحقت جبانة الاميرال ووكر عارا شائنا بجندية انكلترا وبحريتها وكانت فرنسا قد اعلنت ميلها للصلح فدارت المفاوضات بشانه في اوائل سنة ١٧١٢ وفي ١١ نيسان من السنة التالية ابرمت معاهدة السلم في مدينة يوترتش من هولاندا وبموجب تلك المعاهدة نالت انكلترا حق الصيد في

شواطئ نيوفوندلاند وضمت لابرادور ومضيق هدسن وكل اكاديا اونوفا سكوشيا الى املاكها . وفي ١٣ تموز اجتمع نواب نيوانكلند بزعماء الهنود المحاربين في بورتسموث وابرمت هناك معاهدة اخرى سلمية فساد السلام في سائر مستعمرات العالم الجديد

ولما مات شارل السادس ملك النمسا عام ١٧٤٠ قام هنالك مطالبان بالعرش النمساوي احدهما ماريا تيريسا ابنته والاخر شارل البرت من بافاريا . وكان لكل منهما انصار واعوان واضرمت بسبب ذلك نار حرب ضروس اشتبكت بها معظم دول اوروبا . وكانت فرنسا وانكلترا على طرفي نقيض في ذلك الامر وهذه الحرب هي المعروفة بحرب ـ خلافة النمسا ـ ولكن في تاريخ اميركا تعرف بحرب الملك جورج لان جورج الثاني كان ملك انكلترا آنئذ

اما في العالم الجديد فما يستحق الذكر من نتائج الحرب المذكورة هو امتلاك بلدة لوزبرغ الواقعة في جزيرة كايب برتن . وقد كان الافرنسيون محصنينها تحصيناً وهي مفتاح مضيق ونهر سانت لورنس بل ان حصنها كان يحسب مفتاحاً لكل كندا . وكان شعب مساتشوستس يقولون انه ما دام العلم الافرنسي يخفق فوق لوزبرغ فنيوفوندلاند ونوفا سكوشيا معرضتان للخطر . فقرر مجلس مساتشوستس وجوب امتلاك لوزبرغ المذكورة

ودعت مساتشوستس بقية المستعمرات للاشتراك معها في العمل فلبت الطلب وارسلت كنكتكيت نيف وخمساية جندي وكل من نيوهمشير ورودايلند ارسلت ثلاثماية جندي وبنسلفانيا ونيويورك ارسلتا قوتا وميرة . اما عدد جيش مساتشوستس وحدها فبلغ ثلاثة الاف . واكتملت سائر المعدات ولم يبق سوى وصول الاسطول الانكليزي الذي كان مرابطاً في وست انديز . فارسلوا يطلبون الاميرال ورن ليسرع

باسطوله لمساعدتهم فابى بحجة انه ليس لديه اوامر من حكومته بذلك الشان · فترتب على جيش واسطول المستعمرات ان يقوما بتلك المهمة وحدهما اي بدون مساعدة انكلترا فتعين وليم ببرل من ماين قائد عاما · وفي ١٤ نيسان سنة ١٧٤٥ اقلع الاسطول الى راس بريتن ·

وتوقفت السفن عن المسير في كانسو الواقعة على الراس الشرقي من نوفاسكوشيا مدة ١٦ يوما لان قطع الجليد الضخمة كانت مالئة سطح البحر · و كان ذلك التوقف خيرا لهم لان الاميرال ورن تلقى امرا من حكومة انكلترا بان يقلع حالا باسطوله الى مساتشوستس ويساعد الحاكم شارلي في الاستيلاء على كايب برتن · فبلغ الاسطول الانكليزي الى مياه كانسو في ٢٣ نيسان فصار عدد سفن الاسطول كله السائر للمحاربة مئة سفينة دخلت في ٣٠ نيسان مضيق كاباروس المشرف على لوزبرغ ونزلت الجنود على بعد اربعة اميال منها وفي اليوم التالي سار اربعماية متطوع بقيادة وليم فوكهان وقطعوا شبه الجزيرة وهاجموا استحكامات الفرنساويين المقامة على الشاطئ على بعد ميلين من المدينة · فذعر الفرنساويون من تلك المباغتة الفجائية وحملوا مدافعهم وولوا الادبار · فاركز الانكليز مدافعهم مكانها وصوبوها نحو المدينة · غير ان سور لوزبرغ من جهة البحر كان متينا جدا فلم تحدث المدافع الانكليزية فيه اضرارا تذكر وكان يصعب مهاجمة المدينة من الجهة الاخرى لكثرة المستنقعات وتعسر اجتيازها بيد ان المهاجمين كانوا مصممين على افتتاح المدينة في اية حالة كانت · فوضع الجنود مدافعهم على زحافات وجروها الى مكان صالح لاركازها لا يبعد عن استحكامات العدو اكثر من مئتي يرد وحاصروا المدينة

وفي ١٨ ايار اسر الاسطول الانكليزي سفينة افرنسية ذات ٦٤ مدفعا كانت تنقل ميرة وذخيرة لحامية لوزبرغ · فخار عزم الافرنسيين لما نمي اليهم خبر ذلك وضعفت

قوتهم في الدفاع فتشدد بذلك الانكليز واستبشروا بالفوز · وفي ٢٦ ايار حاول الانكليز الاستيلاء على البطاريات الافرنسية التي في المرفأ · فتطوعت فئة من الجند لتلك الغاية وساروا تحت جنح الظلام بسفن اوصلتهم الى حيث كانت المدافع مركوزة غير ان الافرنسيين شعروا بوجودهم فاصلوهم نارا حامية واعادوهم على الاعقاب بخسارة ١٧٦ رجلا · اخيرا عول الانكليز على مهاجمة المدينة دفعة واحدة وعينوا لذلك اليوم الثامن عشر من حزيران · الا انه في اليوم الذي قبله رفع الفرنساويون راية الهدنة · ثم عرض عليهم الانكليز شروط التسليم فقبلوها وارتفعت الراية الانكليزية فوق حصن المدينة بعد ان انزلت الراية الافرنسية

وبمقتضى شروط التسليم أصحت ليس لوزبرغ فقط في حوزة الانكليز بل كل كايب برتن · فكان السرور في بوسطن وسائر المستعمرات عظيما وشاملا بمقدار ما كان دعر واضطراب فرنسا عظيما · وقد صرح وزراؤها بانه لا بد من استعادة لوزبرغ مهما كلفهم ذلك · وجهز والتلك الغاية اسطولا ضخما عقد لواؤه على الــدوق دانفيل وسيره في السنة التالية · وقبل ان يبلغ الى اميركا قضى دانفيل نحبه والذي خلفه اعتراه جنون فانتحر ولعبت بالاسطول ايدي الدمار والفناء وعام ١٧٤٧ ارسلت فرنسا اسطولا اخر لغاية عينها فلم يكن طالعه اسعد من سابقه · فقد التقاه الاميرال ورن والاميرال انسن بسفنهما وقويا عليه واضطرا اميراله الى الخضوع والتسليم لهما

وسنة ١٧٤٨ ابرمت معاهدة سلم في بلدة ايكس لاشابل من اعمال جرمانيــا بين الدولتين المتحاربتين · وتلك الحرب التي دامت ثماني سنوات لم تجد احداهما نفعا بل عادت عليهما بالخسائر الفادحة · وبموجب تلك المعاهدة عادت كايب برتن الى مليكة فرنسا · فاستاء من ذلك صيادو وفلاحو نيوانكلند لان ما اشتري بدم رجالهم عاد الى حوزة اعدائهم · واما حدود مستعمرات كل من الدولتين في العالم الجديد

فلم يرد ذكرها في المعاهدة المذكورة وعليه فكان الحرب بين الدولتين بسببها امراً لا بد منه · وقد خاضتا غمارها بعد المعاهدة بست سنوات

الفصل السابع عشر

نيويورك

— استعمارها وحكم بطرس ستيفسانت وغير ذلك —

بعد تأسيس امستردام الجديدة بعشر سنوات صار يحكم تلك المستعمرة رجال تعينهم شركة الهند الشرقية الهولاندية · ولم تكن جزيرة مانهاتن في هذا الوقت سوى قرية صغيرة فيها سوق صغيرة للاتجار · ولم يحضر مهاجرون الى امستردام الجديدة حتى سنة ١٦٢٣ اذ هاجر نفر من الهولانديين الى نذرلاند الجديدة · وكانت شركة الهند الشرقية المذكورة قد نالت حقاً من الحكومة قبل ذلك بسنتين في ارسال مهاجرين الى العالم الجديد · وكانت البراءة الممنوحة لتلك الشركة تخولها ذلك الحق لمدة ٢٤ سنة مع امكان تمديد تلك المدة · اما الاماكن التي يحق لها استعمارها فممتدة من مضيق مجلان الى خليج هدسن · وجزيرة مانهاتن واقعة في منطقة تلك الشركة

وفي نيسان سنة ١٦٢٣ وصلت السفينة نيونذرلاند الى مرفأ امستردام الجديدة تقل ثلاثين عائلة مهاجرة وهم هولانديون على المذهب الابروتستنتي هاربون من وطنهم بلجيوم ومهاجرون طلبا للحرية المذهبية · وكان متقدم اولئك المهاجرين كرنيليوس ماي واكثرهم استوطنوا مع اصحابهم في جزيرة مانهاتن · اما القبطان مع خمسين آخرين فعبروا شواطئ نيوجرزي واكتشفوا خليج دلاوير ثم ساروا فيه وفي

النهر صعداً وشططوا عبى الجانب الشرقي · وهناك على بعد اميال قليلة من كامدن بنوا حصنا خشبيا دعوه قلعة ناصو · واستمالوا الهنود اليهم بملاطفتهم اياهم · ولما اكتمل بناء الحصن وعزم الهولانديون على القفول رجوعا ودعهم الهنود آسفين على فراقهم · وفي تلك السنة عينها خاض هولاندي اسمه جوريس نهر الهدسن حتى جزيرة كاسل الى حيث كان خرستنسون قبل ذلك بتسع سنوات قد شاهد حصن ناصو الذي جرفه طوفان حدث في النهر · فلم يفكر جوريس في تجديد بناء الحصن بل تقدم قليلا في نهير هناك وشاد حصنا حيث مدينة البني الآن ودعاه حصن اورانج وانزل في تلك البقعة ثماني عشرة عائلة مهاجرة

وابتدأ الحكم السياسي في نذرلاند الجديدة عام ١٦٢٤ واول من تولى الحكم فيها كرينيليوس ماي وفي السنة التالية تعين وليم فرهلست مدبـرا للمستعمرة · واستجلبوا عددا من الحيوانات الداجنة من هولاندا ووزعوها على المهاجرين · وسنة ١٦٢٦ عينت شركة الهند الشرقية الهولاندية بطرس منيوت حاكما رسميا على نذرلاند الجديدة · وكانت جزيرة مانهاتن حتى ذلك العهد ملكا للوطنيين · فلما حضر الحاكم الجديد عرض ان يشتريها منهم فرفضوا وباعوا من الهولانديين الجزيرة كلها اي ما تزيد مساحته عن العشرين الف فدان ارض بمبلغ ٢٤ دولارا · وقد اختار الهولانديون القسم الجنوبي منها للاستعمار · وفي السنة الاولى من ولاية منيوت شرعوا باستعمار بروكلن وغيرها من لون ايلند

وكان هولانديو امستردام الجديدة ومهاجرو بلموث الجديدة شديدي الصداقة والمحبة لبعضهم ولم ينس الاخيرون ما ابداه الاولون نحوهم من اللطف والحنان ابان كانوا في هولاندا · وكلا الفريقين هارب من الاضطهاد والضغط · وقد تبادلوا عبارات الولاء فارسل كل من الجاليتين وفدا يحمل امائر المحبة وشعائر الاخاء · وفي تلك

الاونة أنذر الهولانديون بان انكلترا تدعي ملكية نهر هدسن فانتبهوا للامر وصاروا يأخذون صكوكاً من مجلس بلموث بما يشترون من الاملاك · وازداد حذرهم عندما انذر الانكليز الهولانديين سوء المغبة اذاهم ارسلوا سفنهم للصيد في خليج نارغنست

وعام ١٦٢٨ بلغ عدد سكان مانهاتن ٢٧٠ نفساً وكان معظم تجارتهم بالفراء فتفرقت سفنهم في طلبه في كل الاماكن بين رود ايلند ودلاوير · وكانت ارباحهم منها باهظة جدا · وقد ابتدا تيار المهاجرة بالتدفق

وابتدعت شركة الهند الشرقية الهولاندية طريقاجديدا للاستعمار · ففي عام ١٦٢٩ عملت براءة جديدة دعتها « براءة الامتياز» · وبموجبها كان يحق لاشخاص معلومين (يعرف كل منهم بالباترون) ان يمتلكوا المستعمرة · فكل منهم كان يحق له ان يختار لنفسه في اي مكان شاء في نذرلاند الجديدة قطعة من الارض لا تتجاوز مساحتها الستة عشر ميلا طولا اما على ضفاف الانهر فثمانية اميال فقط ويدفع لقاء ذلك سنوياً مبلغاً معيناً لصندوق الشركة ويستعمر تلك البقعة وتكون له عليها وعلى ساكنيها سلطة تعادل سلطة اللوردات في اوروبا ويشترط ان تكون تلك الارض تابعة لهولاندا · وعلى من يريد التملك ان يشتري الارض من الهنود اولا ثم بعد استلامه صك المبيع باربع سنوات يلتزم ان يقيم مستعمرة في تلك الارض لا يقل عدد نفوسها عن الخمسين · والبراءة تشمل التعليم والديانة غير انه لم يفرض شيء معين لنفقة احدهما

فنشأت على اثر هذا النظام الجديد خمس مزارع · منها ثلاث في وادي هدسن والرابعة في لون ايلند والخامسة وهي اهمها تشمل نصف ولاية دلاوير حالاً واليها ارسلت جماعة من هولاندا لاستعمارها وذلك في ربيع سنة ١٦٣١ وسلمت ادارتها الى داود باترسن الذي دخل خليج دلاوير بثلاثين مهاجراً ورسى في راس هنلوبن



—« بيتر ستيفسنت »—

وكانت اربع من دول اوروبا قد انشأت في العالم الجديد مستعمرات ثابتة ثم اختاروا بقعة صالحة للبناء ووضعوا هناك اساس لويستون وهي اقدم مهجر في دلاوير

وتولى داود المذكور ادارة شوؤن المهجر مدة سنة اظهر في خلالها من باهر الأعمال ما استوجب عليه الشكر · ثم عاد الى هولاندا وترك مكانه اخر لم يحسن الادارة فلعبت بالمستعمرة يد الاضمحلال · فحدث انه استاء من احدزعماء الهنود فامسكه وقتله · فثار شعب قبيلته الذين كانوا حتى ذلك الوقت يعاملون المهاجرين بالتوءدة وهبوا للانتقام فلم يبقوا على رجل بل اماتوهم عن اخرهم واحرقوا منازلهم فلم يبق من ينبىء بما جرى لهم سوى الرماد والعظام الرميمة ·ولما عاد داود المذكور عام ١٦٣٢ وجد المستعمرة خرابا صفصفاً ·فسار اولا الى فرجينيا وشحن موءنة وعاد الى امستردام الجديدة · وقبل ان يحصل على وقت لتجديد المستعمرة كانت الحكومة الانكليزية قد جعلت كل دلاوير في ملكية اللورد بلطيمور فاضطر الهولاندي وهو الاقدم ان يسلم للانكليزي بحكم القوة

وسنة ١٦٣٣ خلف الحاكم منيوت في الحكم على نيوندرلاند ووتر فانتيلر وذلك قبل ان اشترى الهولانديون من الهنود الاراضي المتاخمة لهارتفورد بثلاثة اشهر وبنوا هناك حصنا خشبيا وهو اول حصن بني على نهر كنكتكيت · غير ان البيورتان مع انهم اصدقاء الهولانديين قد ابوا ان يتخلوا لهم عن ذلك المكان · وفي تشرين الاول من تلك السنة اقلعت بارجة حربية من بلموث ومخرت في النهر · وقد اهان ربانها الحاكم الهولاندي في هارتفرد وتقدم الانكليز الى مصب نهر فارمنتن ونزلوا الى البر وشادوا حصن وندسور · وبعد ذلك بسنتين بنوا حصن سايبسروك على نهر كنكتكيت فاضحت بذلك مراكز الهولانديين في قبضة الانكليز وما لبث الهولانديون حتى سلموا مركزهم الشرقي للانكليز بحكم القوة

اما الدولة الخامسة التي شرعت بانشاء مستعمرة لها فيه فهي دولة اسوج وذلك في عهد ملكها البروتستانتي غسطاف ادلفس . فتألفت شركة تجارية ذات راس مال كبير وأمدها الملك نفسه باربعة الاف ريال وغاية تلك الشركة ايجاد ملجاء للبروتستانت المضطهدين وتوسيع نطاق تجارة المملكة . ولكن قبل ان تتحقق امنية الملك المذكور اشتبك بحرب الثلاثين سنة المشهورة التي كان اوارها متسعرا في بلاد جرمانيا فانحلت الشركة وتبدد راس مالها . وسنة ١٦٣٢ قتل الملك ادلفس في معركة التزن وتنوسي امر الاستعمار في العالم الجديد غير ان الوزير او كسنسترن اخذ على عاتقه اتمام رغائب مولاه الملك غسطاف من هذا القبيل فاعاد تجديد الشركة واعطيت لها رخصة جديدة وبعد اربع سنوات بوشر بالعمل الذي كلل بالنجاح

وفي تلك الآونة ترك الحاكم منيوت خدمة هولاندا ودخل في خدمة اسوج ففوضت اليه امر تدبير شؤون مستعمرتها الجديدة في اميركا. وفي اواخر سنة ١٦٣٧ سافر لفيف من اسوجين وفنلنديين من مرفأ استكهولم فوصلوا في شباط من السنة التالية الى خليج دلاوير فراقهم منظره جدا . ولم يكونـوا قد ابصروا اجمل من الاماكن التي رأوها في العالم الجديد فدعوا راس هنلوبن «مدخل الجنة» وابتاعوا من الهنود كل الاراضي الممتدة من طرف الخليج الغربي الى اعلى النهر الى شلالات ترنتون وسموها «اسوج الجديدة» . واختاروا لهم بقعة صالحة للبناء على بعد ستة اميال من الخليج وشادوا فيها حصنا وبيوتا . واطلقوا على الحصن والنهر الذي بقربه اسم كرستيانا اكراما لملكة اسوج

وعرجت تلك الجالية في مراقي الفلاح والازدياد . فكانت كل سفينة تعود الى استكهولم تحمل رسائل المهاجرين وفيها وصف شائق للعالم الجديد فازدادت رغبة الاسوجيين في المهاجرة حتى لم تعد السفن كافية لنقل المهاجرين . يدلك على ذلك ان

احدى شركات النقل اضطرت مرة الى رفض سفرماية عائلة لسبب الازدحام في السفن وقد كثرت الصناعة والاعمال المفيدة في مستعمرة اسوج وزهت وارتقت حتى انها فاقت سائر المستعمرات في العالم الجديد

ولقد غلت مراجل الحسد في قلوب مستعمرة امستردام الجديدة من جالية دلاوير الاسوجية · فارسل الحاكم كيفت الى كرستيانا رسالة عتاب ممزوج بالتنديد والوعيد لنزول الاسوجيين في اراضي داخلة في منطقة هولاندا · اما الاسوجيون فلم يرعهم ذلك ولا عباوا بالتهديد بل ثابروا على الاجتهاد في توسيع نطاق مستعمرتهم وتقوية حصونهم فاستاء من ذلك الحاكم الهولاندي وارسل جماعة ليعيدوا بناء حصن ناسو القديم في اسفل كمدن فقاومهم الاسوجيون زاعمين ان ذلك يضر بمستعمرتهم وشاد الاسوجيون حصناً في جزيرة تانيكم · وسنة ١٦٣٣ شاد الحاكم برنتز فيها مسكناً له ايضاً وعلى الاجمال ان الفضل في ايجاد اول مستعمرة في دلاوير وبنسلفانيا عائد الى اسوج

وعام ١٦٤٠ اشتبكت جالية نذرلاند الجديدة بالحرب مع هنود لون ايلند ونيوجرزي ولم يكن الهنود سكان الهدسن الادنى كثيري الجنوح الى الحرب فلو عوملوا بالتؤدة لاخلدوا الى السكينة ولكنهم استاؤا من المعاملة الجائرة وبخس الحقوق وتعدي الهولانديين عليهم · فهبوا للدفاع عن حياضهم · فعبر هنود سواحل نيوجرزي الى ستيتن ايلند فدمروا الحقول واتلفوا المزروعات وذبحوا الاهلين ذبح النعاج وتهددوا امستردام الجديدة وكادوا يبطشون بسكانها لولا اسراعهم الى الدفاع والمقاومة · وحمي وطيس القتال بين الجانبين الى ان توسط في الامر روجر وليمز من رود ايلند وهو مشهور بمحبته للسلام فتهادنوا مدة قصيرة ثم عادوا الى النزال · وذلك ان الهولانديين اسكروا هندياً وسلبوه متاعه فذهب هـذا الى اقرب مكان

ما أهول بالهولانديين وقتل اول هولاندي صادفه واختبأ · فطلب الحاكم الهولاندي الى الهنود تسليم القاتل فأبوا وعرضوا ان يدفعوا دية كبيرة لاهل المقتول فأبى الحاكم الهولاندي الا اعدام المجرم

ولما كانت المخابرة بعد جارية في ذلك اذا بزمرة من قبيلة موهوكس الهندية برزت وادعت السيادة على هنود السواحل الذين ارتعبوا خوفا وتوسلوا الى الهولانديين لكي ينصروهم على تلك الزمرة · فرأى الحاكم كيفت ان الفرصة قد سنحت للانتقام · فارسل فرقة من الجند سارت خلسة من مانهاتن وعبرت النهر واكتشفت كمين الهنود · فاحاطه الهولانديون ليلا واعملوا السيف برقاب الهنود المساكين فما انبثق الفجر حتى كان مئة منهم جثثا لا حراك فيها وما استثنوا النســاء اللواتي كن يستغثن ويطلبن الرحمة ولا الاولاد الذين طرحوهم في النهر بدون رحمة ولا حنان

فلما سمع بقية الهنود خبر ما حل باخوانهم استشاطوا غيظا واضرموا نار حرب عوان على الهولانديين · فانقسموا الى شراذم صغيرة وتفرقوا في الادغال والاحراج ولما كان يخيم الغسق كانوا يهجمون على المزارع فيتلفون ما استطاعوا اتلافه ويقتلون من يجدونه من السكان · وكانت مدام هتشنسن الشهيرة ساكنة مع صهرها واحفادها في وادي هوستانيك فاحتاط الهنود بيتها واحرقوه وقتلوا سائر افراد عائلتها ما عدا ولدا صغيرا واما هي فاحرقوها حية

وسنة ١٦٤٣ تعين جان اندرهل من مساتشوستس قائدا للجيش الهولاندي فزحف بفرقة على نيوجرزي واخضع دلاوير · وخاض مع جيشه غمار معركة فاصلة في لون ايلند وفي كرينوش غلب الهنود فيها واضمحلت قوتهم فاوفدوا سفارة للسلم الذي تمت شروطه ووقع على معاهدته في حصن امستردام في ٣٠ آب سنة ١٦٤٥ واما تبعة تلك الحرب والدماء المطلولة فتلقى على عاتق الحاكم كيفت فانه كان رجلا

قاسيا ومحبا للانتقام وقد اضحت الشكوى من ما تيه عمومية · فلما ابرمت معاهدة انصلح رفعوا عريضة عمومية يلحون بخلعه · وبعد مرور سنتين على توقيع معاهدة السلم خلعته شركة الهند الغربية الهولاندية وعينت مكانه بطرس ستيفسانت · اما كيفت فسار راجعا الى اوروبا فغرقت فيه السفينة واضحى الاوقيانوس مدفنا له

ان بطرس ستيفسانت كان رجلا نشيطا امينا وجنديا مدربا وهو اخر حاكم على نيونذرلاند · استلم مهام وظيفته في ١١ ايار سنة ١٦٤٧ وبقي حاكما مدة تنوف عن السبع عشرة سنة · واول ما وجه اليه اهتمامه تحسين الصلات بين الهولانديين والهنود وازالة الاحقاد من قلوب الفريقين فنجح · وقد تضامن الشعبان وعاشوا بسلام ووئام وخشي الانكليز من ذلك الاتحاد على مصالحهم حتى ان مساتشوستس راءت تحالف الفريقين غير ان مقاصد ستيفسانت كانت اشرف و اسمى من ذلك

وكانت شركة الهند الغربية الهولاندية حتى ذلك العهد محتكرة تجارة نيوبدرلاند فالغي دلك الاحتكار في السنة الاولى من حكم ستيفسانت · ووضعت تعريفة جمركية على الواردات فلم تمضي مدة طويلة حتى بدت فائدة ذلك للعيان وتحسنت احوال المستعمرة الهولاندية المادية غير ان نمو امستردام الجديدة (نيويورك) كان بطيئا · وعام ١٦٥٠ وضعت حدود فاصلة بين املاك نيوانكلند ونيونذرلاند · وكان الهولانديون يخشون سيطرة الانكليزعلى نهر هدسن وحيلولتهم دون تجارةالفرو بين حصن اورانج وامستردام الجديدة · فاجتمع الحاكم ستيفسانت بمعتمدي المستعمرات الشرقية في هارتفرد وبعد محاورات طويلة وضع الحد الشرقي الفاصل بين تلك الولايات واملاك هولاندا ووقع على صك الاتفاق نواب المستعمرات وشركة الهند الغربية الهولاندية ووزير خارجية هولاندا · غير ان انكلترا قابلت ذلك بالتهكم والازدراء

ولم يعد ستيفسانت يخشى سوأ من مستعمرة اسوج الجديدة لان الهولانديين فاقوا الاسوجيين عددا بنسبة واحـد الى عشرة . ولم يقم من معترض على تملك هولاندا دلاوير وعام ١٦٥١ اقلعت بارجة هولاندية من امستردام الجديدة ومخرت في الخليج والقت مرساتها في الشاطئ الغربي على بعد خمسة اميال من براندوين حيث مدينة نيو كاسل الآن وشادوا هناك قلعة دعوها كاسمير وجعلوا فيها حرسا من الجند الهولاندي فعد ذلك بمثابة اعلان حرب . وظهر الاسوجيون على مقربة من قلعة اعدائهم وكادت نار الصدام ان تضرم غير ان الحاكم الاسوجي كظم غيظه وحال دون ذلك الى ان اكتمل بناء قلعة كاسمير عندئذ هجم على الهولانديين وغلبهم ورفع راية اسوج فوق قلعتهم

غير ان ذلك الانتصار لم يكن طويل الأمد . ولقد سرت به شركة الهند الغربية الهولاندية لانها بذلك وجدت سببا للمقاومة . فاوحت للحاكم ستيفسانت ان يكيل للاسوجيين بكيلهم ويضطرهم الى اخلاء دلاوير فاتم ذلك في شهر ايلول سنة ١٦٥٥ اذ سار بستماية جندي (وهذا العدد يساوي سكان مستعمرة اسوج الجديدة) ومخر بهم في خليج دلاوير ونزلوا في بلدة نيو كاسل . اما الاسوجيون فلم يكن في امكانهم المقاومة فسلموا حصونهم ومعاقلهم قبل ٢٥ ايلول ووقع الحاكم ريزن اسيرا . غير ان الهولانديين عاملوه بالحسنى وحفظوا مقامه واعطوا الاسوجيين مهلة للارتحـال من اماكنهم التي اضحت كلها في حوزة الهولانديين فانمحت المستعمرة الاسوجية من سفر الوجود وكان قد مرّ على تأسيسها ثماني عشرة سنة

ولما كان الحاكم ستيفسانت زاحفا على الاسوجيين نشرت قبائل الالجونكيين الهندية راية العصيان . وظهروا امام نيوامستردام يرشقون اليها سهامهم التي لم تحدث تأثيرا يذكر . ومن ثم انثنى الهنود حسب عادتهم يحرقون وينهبون ويقتلون . ولما

عادت الجنود الهولاندية الى المدينة استولى على الهنود الرعب فطلبوا السلام صاغرين فرفق بهم ستيفسانت وعاملهم بالرقة والحنان

وخيم السلام في ربوع نيوندرلاند بعد سقوط اسوج الجديدة مدة ثماني سنوات الى انه في سنة ١٦٦٣ تجرد هنود مقاطعة يولستر للقتال فهاجموا بلدة اليسوبس واسمها الآن كنغستون واخربوها · فخرجت فرقة من نيوامستردام لتأديبهم وقمع ثورتهم ففروا من امامهم متوغلين في الاحراج فتعقبهم الهولانديون الى اكواخهم فاحرقوها وقتلوا كل رجل صادفوه في طريقهم ولما دنى فصل الشتاء شرع الهنود يتوسلون ويطلبون الرحمة بكل تذلل فمنحوا هدنة في شهر كانون الاول وفي ايار ابرمت معاهدة الصلح

وقد وجد الحاكم ستيفسانت صعوبات جمة في حماية ولايته خارج دلاوير · وما زالت حكومة اسوج ووزراؤها يحنون الى مستعمرتهم الصغيرة في العالم الجديد ويعلقون الآمال على استرجاعها من ايدي مغتصبيها · وكان هنالك عدو آخر اشد مراسا من الاسوجيين وهو اللورد بلطيمور من ماريلاند الذي كانت ولايته بحسب المأذونية الممنوحة له من حكومة انكلترا تعم كل الاماكن الواقعة بين شاسبيك وخليج دلاوير وتمتد شمالا الى فيلادلفيا · وكذلك المستر بريكلي من فرجينيا ادعى بان اسوج الجديدة جزءٌ من املاكه وكنكتكيت وسعت تخمها الغربي في لونايلند وابتاعت من الهنود كل ما كان باقيا لهم من الاملاك بين حدودها الغربية ونهر هدسن وكذلك مساتشوستس اعلنت عزمها على تمديد تخومها الى فورت اورانج · فكل هذه الامور جعلت مركز ستيفسانت حرجاً جداً فسأل نواب كنكتكيت بلهجة جدية عن حدود نيوندرلاند فاجابوه بكل برودة — لانعلم

وكانت المستعمرات الانكليزية تزهو وتتقدم وانتشرت فيها وسائط التعليم

والتهذيب وكانت الضرائب على سكانها خفيفة جدا بينما مطامع الشركة الهولاندية الاشعبية اثقلت كاهل الاهلين الذين رآوا الفرق كالصبح واضح بين انحطاط مستعمرتهم وارتقاء جيرانهم فمالوا الى الانكليز ورغبوا في الانضمام اليهم · وكانت انكلترا وهولاندا متسالمتين ولم يكن لاحداهما من سبب للانتقاض على الاخرى وحدث في ثاني عشر شهر ايلول عام ١٦٦٤ ان الملك شارلس الثاني منح اخاه الدوق اوف يورك مقاطعتين في العالم الجديد · اولاهما تمتد من كنباك الى سانت كروا والاخرى تشمل كل الاراضي الواقعتين كنكتكيت ودلاوير·ولم يراع في ذلك خاطر شركة هولاندا التي اليها يرجع الفضل في استعمار وادي كنكتكيت ولا شواعر مملكة هولاندا المصافية له حتى انه لم يستشر البارلمانت الانكليزي بذلك بل فعله من تلقاء نفسه عتواً واستبداداً

فاسرع الدوق لاستلام املاكه دون ان يدع لاحد فرصة للاحتجاج · فابحرت عمارة انكليزية فورا بقيادة الاميرال نيكولس الى اميركا فوصلت الى بوسطن في شهر تموز ومن ثم تقدمت لمباغتة نيوامستردام · وفي ٢٨ آب عبرت السفن المضائق ورست في خليج كرافسند وعسكر الانكليز في بروكلن فري · وقبل ان ينتبه الهولانديون من اندهالهم كان الانكليز قد احتلوا كل لونايلند · فجاءهم وفد من نيوامستردام يستفسر بلسان الحاكم ستيفسانت الذي كان امينا في خدمته عن معنى تلك المباغتة التي لا يعرف لها مسوغا او مسبباً · فاجاب الاميرال الانكليزي بكل هدوء وسكينة اننا قد جئنا لاستلام المدينة فمن استسلم لحكومة انكلترا عد انكليزيا ونال جميع حقوق الانكليزي ومن سولت نفسه له المقاومة نسمعه نغمات كرات مدافعنا فالتأم فورامجلس مدينة نيوامستردام ودارت فيه المناقشات في ما يجب عمله · فقال بعضهم ان الشركة الهولاندية لا تستحق المدافعة عنها لانها لم تعاملنا بالحسنى اما

الحاكم ستيفسانت فكان يحثهم على الثبات والمقاومة • ثم تناول جواب الاميرال الانكليزي ومزقه تمزيقاً بحضور اعضاء المجلس ولكنه كان كمن يضرب في حديد بارد فلم يجد من يناصره في امر المقاومة • واخيرا أرغم ذلك الشيخ الشجاع على توقيع صك التسليم • وفي ثامن شهر ايلول سنة ١٦٦٤ حذفت نيوامستردام من خارطة العالم الجديد وخفق العلم الانكليزي فوق القلعة والمدينة التي تحول اسمها من امستردام الى نيويورك • وعقب ذلك تسليم حصن اورانج وهو يدعى الان البني وتم ذلك في ٢٤ ايلول وفي غرة تشرين اول سلم سكان دلاوير من اسوجيين وهولانديين للانكليز الذين اضحوا ذوي السطوة والقوة والحول والطول في العالم الجديد وصار علمهم يخفق من شمال شرقي ماين الى حدود جيورجيا الجنوبية

الفصل الثامن عشر

— (نيويورك تحت حكم الانكليز) —

ان الاميرال رتشرد نيكولس الذي قاد الاسطول الانكليزي لاحتلال نيوامستردام تعين حاكما على نيويورك • واول عمل باشره تسوية حدود ولايته وكان ذلك عملا شاقا تحف به متاعب جمة وكانت كل لون ايلند قد منحت منذ عام ١٦٢٣ لارل ستارلن وكنكتكيت كانت تدعي ملكية القسم المعروف الان بمقاطعة صفلك • وعلى رغم كل ذلك كان لا بد من تنفيذ مآل براءة دوق اوف يورك بواسطة معتمده نيكولس المذكور • اما ماخص ارل ستالن فابتاعته منه الحكومة بثمن اتفق عليه • واما ادعاء

كنكتكيت فلم تعره أصغاء . فنتج عن ذلك بعض قلاقل انتهت بتغيير حدود كنكتكيت من جهة الجنوب الشرقي

وقبل أن يستولي الأنكليز على نيوندرلاند بنحو شهرين كانت قد منحت الاراضي الواقعة بين نهري هدسن ودلاوير للورد باركلي والسير جورج كاترت فهذه لم يصر ضمها الى نيويورك بل جعلت ناحية مستقلة واقام صاحباها كما عليها من قبلها . اما الاراضي التي كانت تدعى اسوج الجديدة فاتبعت بنيويورك . ومن ثم امتدت ولاية الحاكم نيكولس حتى شملت كل نيوندرلاند

وخدع الانكليز الاهلين في بداية تملكهم عليهم بمواعيد جمة لجهة حريتهم السياسية جاعلين تسليمهم التام اليهم شرطا لنيلها فسلموا لهم تسليما تاما على رغم نصائح ستيفسانت لهم بالا ينخدعوا بمواعيد الانكليز العرقوبية . وهيهات ان يحصلوا على حرية من وكلاء الملك الانكليزي . وليس ان الانكليز لم يفوا بوعودهم وعهودهم للهولانديين بل انهم ضغطوا عليهم وبخسوهم حقوقهم . حتى ان ذوي الأملاك منهم أرغموا على اخذ صكوك مبيع جديدة من الحاكم الانكليزي ودفع رسومها كما شاءت وشاءت المطامع الانكليزية . وتلك كانت اخف بما لا يقاس من غيرها من الضرائب المتنوعة التي ستوضع عليهم في المستقبل

وعام ١٦٨٧ خلف الحاكم نيكولس المستر لوفلس وكان اقل خبرة من سالفه غير انه كان اكثر منه عسفا وجورا والمبادي الفاسدة التي القى بذارها دوق اوف يورك نمت وافرعت فساد على الاهلين القنوط وعمت الشكوى فرفعوا عرائضهم الاحتجاجية الى المراجع الايجابية فقوبلت بالاعراض والرفض . وقد تذمر الاهلون من كثرة الضرائب التي فرضت عليهم . فكان جواب الحاكم الانكليزي على احتجاجات الشعب قوله «اذا كانت الضرائب الحاضرة غير كافية فاننا نضع غيرها اثقل منها حتى

لا يعود للشعب مجال في ان يفتكر بغير كيف يدفعون ما عليهم لصندوق الحكومة
اما مهاجرو انكلترا وهولاندا فعاشوا معا بوئام واتفاق ٠ولم يسمع قط بان احدا منهم شهر حسامه في وجه الاخر ٠ حتى انه لما اشتبكت دولتاهما بالحرب كما في سنة ١٦٥٢ ــ٥٤ كان الشعبان في اميركا متآخيين ومربوطين باواصر الوداد وربط السلام ٠ وتحاربتا ايضا عام ١٦٦٤ بسبب اعلان دوق اوف يورك ملكيته مستعمرة نيونذرلاند ولم يحدث بين الشعبين في اميركا ما يكدر جو الصفاء ٠ غير ان الحرب الثالثة التي نشبت بين الدولتين سنة ١٦٧٢ وهي الحرب التي اغرى ملك فرنسا شارلس الثاني ملك الانكليز على تسعير اوارها قد اتصلت الى العالم الجديد ٠ وذلك ان هولاندا سيرت اسطولا صغيرا الى اميركا وصل الى مانهاتن في ٣٠ تموز وحدث ان حاكم نيويورك كان غائبا ونائبه كان رجلا جبانا وحصون المدينة لم تكن منيعة والاهلون ابوا تقويتها ٠ فلم تمر على وصول الاسطول الهولاندي اربع ساعات حتى سلمت له قلعة المدينة وبعد قليل سلمت المدينة ايضا بدون مقاومة ٠ وتبعتها على الاثر نيوجرزي ودلاوير ٠ فانبعث اسم نيونذرلاند وعادت سلطة هولاندا فامتدت من كنكتكيت الى ماريلاند

غير ان ذلك التملك لم يكن اكثر من احتلال عسكري قصير الامد ٠ فانه سنة ١٦٧٤ أرغم البارلمانت الانكليزي الملك شارلس الثاني على ابرام معاهدة الصلح التي كان من شروطها حسب العادة ارجاع كل دولة للاخرى ما احتلته من املاكها ابان الحرب وعليه رجعت نيويورك الى انكلترا وعادت حقوق دوق اوف يورك الى ما كانت عليه ٠ ولكي يوطد حقوقه على اسس ثابتة حصل من اخيه على براءة جديدة مثبتة لما ورد في البراءة الاولى ٠ وفي تشرين الاول انسحب الهولانديون من العالم الجديد وعاد اندروس الى تولي الاحكام في نيويورك وعادت المظالم والمغارم الى

اكثر ما كانت عليه في اواخر حكم لوفيلاس وزادت الضرائب حتى اثقلت كاهل الاهلين · فرفعوا اصواتهم بالاحتجاج والشكوى وهاجوا هياجا اخاف الحاكم فارسل كتابا الى دوق اوف يورك يخبره بحراجة الموقف وبان يسمح للاهلين بانتخاب مجلس نواب لهم فاجابه الدوق بان مجلسا كهذا باعث على كثرة القلاقل وايجاد الشقاق ومورث للخراب والدمار · ولا يقصد من شكوى الاهلين سوى ازعاج الحكومة وبالتالي فانه لا يرى موجبا لمنح الشعب شيئاً من مطالبهم وهكذا بقي الاهلون ينوءون تحت اثقال حكم ظالم ولم يكن لهم اقل دليل على امكان نيلهم الحرية ضالتهم المنشودة

وما فتأ الحاكم اندروس عاملا على توسيع سلطة دوق اوف يورك ما استطاع الى ذلك سبيلا · وكان يصادف مقاومات ومناهضات يطول شرحها الى انه في سنة ١٦٨٢ وهب دوق اوف يورك الاراضي الواقعة في نهر دلاوير الى وليم بن وهي نفس الاراضي التي احتلها الاسوجيون قبلا ثم اغتصبهم اياها الهولانديون · ولما غلب هولاء على امرهم كما مر دخلت في حـوزة الانكليز · فانفصلت عن نيويورك واتبعت ببنسلفانيا التي كان حكامها متسلطين على مقاطعات دلاوير الثلاث حتى الثـورة الاهلية

وانتهت مدة حكم اندروس سنة ١٦٨٣ فخلفه في الحكم طوماس دونجان وكان كاثوليكي المذهب وما انفك الاهلون يلحون في طلب مجلس نواب مـدة ثلاثين سنة وفي الآونة الاخيرة زاد الحاحهم في ذلك كثيرا فلما عاد انـدروس اقنع دوق اوف يورك ان يعير صراخ الشعب التفاتا والا فالعقبى سيئة · وبعد التردد الطويل سمح لهم بذلك ليس حبا منه بالعدالة بل طمعا بزيادة الضرائب اذا تحسنت حالة البلاد · ولما تعين دونجان المذكور حاكما فوض اليه ان يسعى بتأليف مجلس

نواب الشعب في نيويورك • وهكذا بعد مرور سبعين سنة على احتلال مانهاتن فاز شعبها بامنيتهم التي هي انتخاب نواب عنهم في مجلس الحكومة ومشاركتهم في ادارة الاحكام

واول امر قرره المجلس هو ان الحكم الاعلى في الولاية يتولاه الوالي ومجلس نواب الشعب • وان كل ذي ملك له حق التصويت في الانتخابات • وان المجرمين تجري محاكمتهم امام مجالس محكمين (جوري) وان الضرائب لا تفرض الا بمعرفة ومصادقة المجلس والا يشهر الحكم العرفي الا في ظروف خصوصية • وان يمتنع الاضطهاد الديني بتاتا الى غير ذلك من الامور العائدة على الشعب بالراحة والرفاه

وفي تموز عام ١٦٨٤ ابرمت معاهدة في البني على جانب من الاهمية • فعقد فيها مؤتمر حضره حاكما نيويورك وفرجينيا وزعماء قبيلة الايروكويس الهندية ووقعوا معاهدة سلم ثابت

وكانت فرنسا مشتبكة بالحرب الطويلة الشهيرة مع خمس دول • فصار رهبان الجزويت من كندا يسعون جهدهم في اغراء الهنود على نقض تلك المعاهدة والانتقاض على الانكليز ولكن كل تلك المساعي ذهبت ضياعا وثبتت المعاهدة المذكورة على اسس وطيدة • وفي سنتي ١٦٨٤ —١٦٨٧ شن الفرنساويون الغارة على املاك قبيلة الايروكويس ولكنهم دحروا وفشلوا

وقد ارتقى دوق اوف يورك عرش انكلترا سنة ١٦٨٥ وبرهن على كون حتى الملوك قد ينكثون بعهودهم ويخلفون بوعودهم • فما اعتلى اريكة الملك حتى حل مجلس النواب من مستعمرته الاميركية وفرض على الاهلين ضرائب باهظة ومنع المطبوعات واتى بامور تهون عندها كل المظالم السالفة التي انتابت المستعمرات وسكانها

وسنة ١٦٨٦ تعين ادموند اندروس حاكما على كل نيوانكلند • وكان من اقصى

امانيه ان تدخل نيويورك ونيوجرزي تحت حكمه · وكان قد توالى على نيويورك حكام متعددون وجرت هناك امور لا نرى من حاجة الى تفصيلها لانها غير ذات اهمية في التاريخ· اخصها انتقاض الهنود على الانكليز ثم تجديد المعاهدة مع خمس قبائل ومحاولة الانكليكان اهتضام حقوق الكنائس الاخرى وجعل كنيستهم الرسمية وحبوط مسعاهم في ذلك ونحو ذلك مما يطول شرحه ولا اهمية له

وقد غار الفرنساويون سنة ١٦٩٦ على نيويورك بقيادة فرونتناك حاكم كندا · فانحاز الهنود للانكليز حسب منطوق المعاهدة المار ذكرها وقاوموا الفرنساويين ·ولم تطل مدة تلك الحرب المعروفة بحرب الملك وليم بل وضعت اوزارها حالاً وابرمت معاهدة ريزوك وفي السنة التالية تعين بلمونت حاكما على نيويورك · وهو ايرلاندي شريف وذو خصال حميدة وكانت مدة حكمه قصيرة الامد غير انها كانت افضل واكمل مادون في تاريخ تلك المستعمرة وكانت حدود ولايته مثل اسلافه ممتدة الى قسم من نيوانكلند· وكانت مساتشوسنس ونيوهمشير خاضعتين لحكم ايضا ·واما كنكتكيت ورود ايلند فكانتا مستقلتين في احكامهما · وخلف بلموث في الحكم اللورد كورنبري فوصل الى نيويورك سنة ١٧٠٢ وقبل وصوله بشهر واحد كان ملاكو نيوجرزي قد سلموا كل حقوقهم في المستعمرة للتاج الانكليزي فزالت من امام الحاكم الجديد كل العقبات واضحت نيويورك ونيوجرزي تحت حكمه بلا منازع وبقيتا كذلك مدة ٣٦ سنة · على انه كان لكل واحدة مجلس مستقل عن الاخر تحت رئاسته

وقام الشجار بين اللورد كورنبري ومجلس نيويورك الذي كان جمع مبلغا وافرا من المال وسلمه اليه لاجل صرفه في اصلاحات تقتضيها المستعمرة · فتسرب المال الى حيث لا يعلمون ولم يبدُ للاصلاح من اثر · فسأله المجلس عن الدراهم فاجاب بانه لا يحق له ان يسأله عن ذلك حتى تأذن الملكة · وازداد النزاع بين الحاكم واعضاء

المجلس وانقسم الشعب الى حزبين • اما الحاكم فناصر اعداء المجلس • فتفاقم الخطب وازداد الشجار • فاوفدت الملكة حنه معتمدا للتحري والبحث في ماهية الخلاف واسبابه • فثبت لديه ارتكاب اللورد كورنبري فخلعه من وظيفته وسامه الشعب فاقاموا عليه دعاوى ماليه وزجوه في السجن ولم يخرجوه منه حتى ورده نعي والده فارسلوه الى انكلترا حيث سقط من حقوقه المدينة ونبذ نبذ النواة

ولما دارت رحى الحرب المعروفة بحرب الملكة حنه انضم جيش نيويورك الى جندية وبحرية نيوانكلند • وانضم انف وثمانماية متطوع الى الجيش الزاحف على مونتريال في شتاء سنة ١٧٠٩ــ ١٠ • ولما وصل الجيش الى شرقي ليك جورج وافته الاخبار بان الاسطول الانكليزي الذي كانوا يتوقعون وصوله الى كباك للاشتراك في الهجوم ارسل الى البرتوغال • واسطول نيوانكلند لاقبل له بمهاجمة الحصون الكندية • فعادت فرق نيويورك ونيوجرزي على الاعقاب مرغمة • وقدمت نيويورك ايضا سنة ١٧١١ جيشا لغزو كندا برا وذلك عندما تظاهر السير روكر بانه ماخر باسطوله الى نهر لورنس للهجوم برا والواقع انه كان يبغي الفرار طمعا بالنجاة و كادت خزينة نيويورك تفرغ لكثرة ما دفعته لخزينة انكلترا اثناء حرب الملكة حنه • ووضعت الحرب اوزارها عام ١٧١٣ فعاد السلام الى ربوع المستعمرات الاميركية وفي تلك السنة طرد المهاجرون الهنود من اوطانهم الى الجنوب فانضمت القبائل الهندية معا وسارت شمالا وانضمت الى قبائل سانت لورنس وصار المجموع ست قبائل وبعد ذلك بتسع سنوات التأم موتمر في البني حضره حكام نيويورك وبنسلفانية وفرجينيا ورؤساء الست قبائل المذكورة وابرمت هناك معاهدة تجارية خطيرة تحولت بموجبها تجارة الفرو من ايدي الفرنساويين الى ايدي الانكليز • وبنى حاكم نيويورك فرضة تجارية في اوسواغو على الشاطئ الجنوبي من بحرية اونتاريولكي

يحصر التجارة بقومه . وبعد ذلك بخمس سنوات بني حصن في المكان نفسه قام على حراسته نفر من الجند الانكليزي وبقي ذلك الحصن حتى اوائل سنة ١٧٥٠ الوحيد للانكليز في كل الاراضي المجاورة نهر سانت لورنس. بينما الافرنسيون شادوا قلعة حصينة في نيا غرا واخرى في كرون بوينت على الشاطئ الغربي من بحرية شامبرلن وكانت المنافسة على السيادة في العالم الجديد قد ابتدات بين دولة انكلترا ودولة فرنسا

ــــ

وخلف الحاكم برنت المستر كوسبي سنة ١٧٣٢ وكانت مدة حكمه اضطراب وتشويش . وستحكم الخلاف بين الشعب والحكام المكيين . وقام النزاع بين الفريقين بنوع اخص على حرية المطبوعات. فالشعب رغب في ان الجرائد تكون حرة في انتقاد الحكام واعمالهم اذا كانت مغايرة للنظام . واما الحكام ومن ناصرهم فكانوا يقاومون ذلك بحجة ان حرية كتلك تقوض اركان السلطة . وحدث ان صحافيا من فيلادلفيا انتقد في جريدته اعمال الوالي فقبض عليه وجعل قيد المحاكمة فاحدث ذلك ضجة استياء عظيمة بين الشعب وحضر اندرو هاملتون من فيلادلفيا وهو محام شهير للدفاع عنه فجرت محاكمته في تموز سنة ١٧٣٥ وبعد مجادلات عنيفة حكم الجوري ببراءة ساحته . فسر الشعب بذلك سرورا عظيما حاسبين ذلك انتصارا باهرا لهم . واظهارا لارتاحهم وشكرهم للمحامي المذكور اهدوه صندوقا ذهبيا

وتكاثر في نيويورك عدد العبيد حتى تضايق البيض منهم واتهموهم تهما ما انزل الله بها من سلطان فاماتوا كثيرين منهم وباعوا عددا كبيرا في البلاد الاجنبية ومثلوا بالباقين تمثيلا فظيعاً

وفي غضون حرب الملك جورج حمل الفرنساويون والهنود عدة حملات عنيفة على نيويورك ولكنهم دحروا وارجعوا خاسرين بفضل اتحاد الانكليز مع قبائـــل

موهوكس . ولما عقدت محالفة اكس لاشابل عام ١٧٤٨ عاد السلام الى نصابه ورتع الأهلون في بحبوحة الرفاه والامن

اما تقدم نيويورك وازديادها في العدد فكان بطيئًا فقد كانت السادسة بين المستعمرات في عدد السكان وفاقتها كنكتكيت وبنسلفانيا وماريلاند في الاتساع وفي عدد السكان غير ان امائر التقدم والازدياد كانت بادية في نيويورك اكثر من سواها فان مرفاها الطبيعي الامين لرسو السفن ونهرها المحيط باماكن غاية في الخصب واستعداد اهليها وتيقظهم وغير ذلك من البواعث والاسباب جعلت ذلك امرا اكيدا هذا خلاصة تاريخ مستعمرة مانهاتن وقد مر على احتلالها ٢٤٩ سنة فالناظر اليها



— (كولمبس يبسط اراءه امام ملك وملكة اسبانيا) —

اليوم وقد اصبحت اعظم مدن العالم بناء وتجارة وحضارة وصناعة وغنى يندهش من فرط تقدمها وغريب نجاحها وسبقها ليس غيرها من المستعمرات فقط بل مدن العالم باسره

تابع

تاريخ الاستعمار

— المستعمرات الشرقية —

الفصل التاسع عشر

(كنكتكيت)

يبتدىء تاريخ كنكتكيت سنة ١٦٣٠ و كنكتكيت هي البقعة التي وهبها مجلس بلموث لارل وروك . وفي السنة التالية وهبها هذا لاصحابه اللورد ساي اندسيل واللورد بروك والمستر جان همبدن وغيرهم . وقبل ان يشرع هولاء بتأسيس مستعمرة كان الهولانديون من ندرلاند قد بلغوا الى نهر كنكتكيت وشادوا حصنا دعوه بيت الرجاء الصالح . فاحتج عليهم مهاجرو نيو بلموث وارسلوا قوة لصدهم مدعين بان حدودهم مترامية ليس الى كنكتكيت فقط بل الى ندرلاند نفسها ومنها غربا . وكان يعز عليهم ان يروا الهولانديين مستولين على اخصب بقعة في تلك الناحية

فوصلت الحملة الانكليزية الى نهر كنكتكيت وسارت فيه ولما وصلت سفنهم الى قرب قلعة بيت الرجاء الصالح امر رئيس حاميتها الربان الانكليزي ان يتوقف عن المسير والا اصلاه نارا حامية غير ان الانكليز لم يعباوا بذلك الوعيد بل واصلوا السير والهولانديون ينظرون اليهم ولا يبدون حراكا . ونزل الانكليز على بعد نحو سبعة اميال من موقع مدينة هارتفرد الان وشادوا بيتا خشبيا في ونزر

وفي خلال سنة ١٦٣٥ نزح ستون نفرا من مهاجري بوسطن واحتلوا هارتفرد وونزر ووذر سفيلد . وفي تلك السنة جاء من انكلترا المستر ونثروب ابن حاكم مساتشوستس وهو رجل حاذق كريم الى نيوانكلند مصحوب بتفويض من اصحاب المستعمرة الغربية لبناء قلعة عند مخرج نهر كنكتكيت وان يمنع تقدم الهولانديين . فاكتمل بناء الحصن بما يلزم من المدافع ونحوها في الوقت المناسب لمنع مرور سفن هولاندا التجارية التي ظهرت عند مدخل النهر . وهكذا حرم الهولانديون منافع احسن نهر في نيوانكلندا وغنمها الانكليز وحدهم

وترجع اخبار حرب الابيكودس الى تاريخ كنكتكيت القديم . فالاراضي الواقعة الى غربي ثيمس كانت مزدحمة بالهنود اكثر من كل مكان اخر في نيوانكلند . وكان لديهم ما ينيف على سبع ماية رجل شاكي السلاح . اما عدد الرجال الذين يصلحون للحرب من المهاجرين فلم يبلغ المايتين غير ان اسلحتهم كانت افضل من اسلحة الهنود وذلك يعيضهم عن قلة عددهم ويضمن لهم النجاح

واول نزال بين الفريقين جرى سنة ١٦٣٣ . فقبض الهنود على بحارة سفينة انكليزية تجارية وقتلوهم . ثم ارسلوا وفدا الى بوسطن ليعتذر امام حكومتها عن ذلك الجرم الفظيع فقوبلوا باللطف واغضي عن جرمهم . ثم عقدت معاهدة صلح بين الفريقين واعترف الهنود بسلطة الانكليز . وكان هنود نارغنست وهم الد اعداء

الأيكودس قد دخلوا في طاعة مساتشوستس فباتفاق هولاً مع الانكليز زال العداء من بين القبيلتين وتصافنا وتصالحتا غير ان قبيلة الايكودس لما امنت شر قبيلة نارغنست شرعت تخالف معاهدتها مع الانكليز • فقتلوا الربان اولدهام وهو قبطان سفينة تجارية قرب جزيرة بلك • فتعقبت القتلة شرذمة من جيش الانكليز واردوهم حتفهم • فانفجر اد ذاك مرجل غضب الهنود واشتعلت نار القتال اي اشتعال

وارتأى الايكودس رأيا لو اتموه فلربما انهم كانوا لاشوا المستعمرة برمتها • وذلك انهم اغروا قبيلة النارغنست وقبيلة موهيغانس على الاتحاد معهم في محاربة الانكليز • وكاد ذلك يتم فعلا لولم يتدارك الامر روجر وليمس البطل المغوار والوطني الغيور ويرسل كتابا الى السير هنري فاين حاكم مساتشوستس يحذره من الخطر المقبل • وتطوع هو للسعي في ابطال ذلك التحالف والاتحاد • فاجابه الحاكم يرجوه ان يبذل قصارى جهده في احباط مساعي الهنود • فغادر بروفيدنس التي وضع اساساتها منذ مضي شهر وسار الى خليج نارغنست • وقد كاد اليم يبتلع زورقه ولكنه بحذقه وشجاعته وصل سالما الى الشاطئ وسار توا الى بيت كانونيكوس ملك هنود نارغنست فرأى ان رسل الأيكودس قد سبقوه اليه • وما زال مدة ثلاثة ايام مواصلا السعي في ابطال مؤامرة الهنود على شعبه معرضا حياته لخطر الموت بيد خصومه المتوحشين واخيرا فاز بالمرغوب بحكمته وبسالته • فوعد هنود نارغنست بدوام المحافظة على السلام مع الانكليز وصرفوا رسل الايكودس الى زعمائهم خائبين

اما زعيم قبيلة الموهيغانز فليس انه بقي امينا على صداقة البيض فقط بل انه جهز فئة من اشد رجاله بأسا بما يلزم من المعدات واوفدها لنصرتهم على الايكودس واخيرا التحم الانكليز مع الهنود بموقعة هائلة كادت تدور الدائرة فيها على الانكليز لوفرة عدد الهنود • فصاح في الانكليز قائدهم ماسون قائلا «احرقوهم احرقوهم»

فردد الرجال جميعهم تلك الكلمة فلم تمر دقائق معدودة حتى ارتفع اللهيب في كل محلة الهنود • ووقف الانكليز تجاههم وقتلوهم وقتلوا كل من سلم من الحريق حتى افنوهم واخربوا ديارهم • فلم ينج منهم سوى سبعة فقط وسبعة اخرون استاقوهم اسرى • اما عدد الذين هلكوا فكان نيف وستماية شخص من رجال ونساء واولاد • اما زعيم الايكودس واسمه ساساكوس ففر هاربا الى قبيلة الموهوكس محتميا فامسكوه وقتلوه • اما الانكليز فكانت خسارتهم طفيفة •

وفي الصباح التالي ليوم الموقعة اسرع ثلاثماية هندي من القبيلة نفسها كانوا في حصن اخر الى محلة اصحابهم ظانين ان النصر كان بجانبهم فلما رآوا جثثهم مبعثرة وركاما محترقة نتفوا شعور روؤسهم ونادوا بالويل والثبور واطلقوا ساقاتهم للريح متغلغلين في الاحراج • اما الانكليز فعادوا الى سايبروك عن طريق نولندن ومنها الى هارتفرد التي كان قد وصلها خبر جديد من مساتشوستس فتفرقوا الى فئات عديدة في الاحراج والادغال غربي سايبروك مفتشين على من تبقى من قبيلة الايكودس فعثروا على نحو مايتين منهم • فقتلوا عددا منهم واستاقوا البقية اسرى واعطوهم عبيدا لهنود نارغنست والموهوكس • فكانت نتيجة اول حرب بين الوطنيين والنزلاء اهلاك اقوى واكثر قبيلة هندية في نيوانكلند • فكان بذلك عبرة للقبائل الاخرى فاخلدت الى السكينة

اما الاجهاز على من تبقى من تلك القبيلة التاعسة فتم في فيرفيلد في مضيق لون ايلند وصار ذلك سببا لتعرف الانكليز بالشاطىء الغربي من مصب نهر كنكتكيت فراق لرجال بوسطن منظر البقعة الواقعة بين ولنسفورد والنهر الغربي فشتوا هناك وابتنوا عدة اكواخ واستكشفوا الارضي المجاورة فكان ذلك بداية بناء مدينة نيوهيفن • وبعد ذلك بقليل وصلت من انكلترا الى بوسطن فرقة كبيرة من مهاجري البيورتان

برئاسة ثيوفيلوس ايستون وجان دافنبورت· فطرق مسامعهم جمال وخصب تلك الناحية فواصلوا سيرهم الى ان بلغوا الى نيوهيفن في شهر نيسان سنة ١٦٣٨ · وفي الاحد الاول بعد وصولهم اجتمعوا كلهم للعبادة الدينية تحت شجرة سنديان كبيرة وهناك فاه قسيسهم دافنبورت بعظة موثرة جدا موضوعها «التجربة في البرية» ·ثم صرفوا اهتمامهم الى مشترى الارض من الهنود اصحابها بطريقة شرعية · ولم تقم بينهم هيئة حكومة في السنة الاولى لان الجميع آلوا على انفسهم ان يطيعوا شريعة الكتاب المقدس الذي هو الشريعة الاساسية لولايتهم · وكل امورهم نظموها على اسس· دينية واطلقوا على دار الحكومة اسم «بيت الحكمة» ولم يدخلوا في جنسية الولاية الا من كان عضوا في الكنيسة · وكل الموظفين كانوا ينتخبون بالاقتراع · وانتخب جان ايتون حاكما مدة عشرين سنة وصار عدد المهاجرين يزداد وبنيت قرى ومزارع على جانبي مضيق لون يلند

اما الحكم السياسي في كنكتكيت فابتدأ سنة ١٦٤٩· وكانت المستعمرات الغربية حتى ذلك التاريخ تابعة لمساتشوستس وقلما خطر لها الاستقلال ببال · ولكن لما عادت جنود هارتفرد ظافرة من حرب الابيكودس دبت في الشعب روح النزوع الى الاستقلال زاعمين انهم اذا كانوا قادرين على خوض غمار المعارك واجتناء الظفر فلماذا لا يقدرون على سن شرائعهم · واجتمع في هارتفرد نواب عن المدن الثلاث ونظموا في ١٤ كانون الثاني شرائعهم الاساسية وهي من ابسط واكمل ما سن من الشرائع وكل ما اشترطوه للتجنس كان القسم بالطاعة لحكومة الولاية ولم يشترطوا الطاعة للملك الانكليزي او غيره من حكام اوروبا · وجميع المذاهب الدينية كانت معتبرة على التساوي · وكان نيل الوظائف مباحا لكل من يحرز اكثرية الاصوات في الانتخاب السنوي · اما المشترعون فكانوا ينتخبون من المدن على نسبة عدد السكان·

فاجمع كل سكان وادي كَنكتكيت على قبول ذلك الدستور خلا مدينتي نيوهيفن وسايبروك

ودخلت كَنكتكيت في الاتحاد اي اتحاد انكلترا الجديدة سنة ١٦٤٣ ودخلت ايضا معها نيوهيفن وفي السنة التالية أُبتيعت مدينة سايبروك من جورج فنوك احيد ممتنكيها واتبعت بكَنكتكيت · وتوقع الشجار بين الانكليز والهولانديين جعل المستعمرات الغربية اكثر رغبة في الاتحاد مع مساتشوستس · ولم يزل الخوف من قلوب الاهلين حتى التقى الحاكم ستيفسانت الهولاندي بمدير كنكتكيت في هارتفرد سنة ١٦٥٠ وقررا الحدود الغربية بين املاك الجهتين فكان ذلك ضمانة للسلام بين الشعبين · غير انه في سنة ١٦٥١ دارت رحى الحرب بين انكلترا وهولاندا وكاد يضطرم سعيرها بين مستعمراتها في اميركا ايضاً لولا اسراع الدولتين في عقد الصلح

وعندما عادت الملكية الى انكلترا اعترفت بالملك شارلس انه الملك الشرعي وانما فعلت ذلك تحببا وتزلفا لانها كانت شديدة الرغبة في الحصول على براءة ملوكية · وذهب نفر من خيرة رجالها الى انكلترا يحمل صورة براءة مكتوبة وجاهزة ولا ينقصها سوى توقيع الملك وفي مقدمتهم المستر ونثروب الشاب الذي كان له اصدقاء كثيرون من مقربي الملك وكان لابسا خاتما اهداه الملك شارلس الاول الى جده · وبوسائط متعددة فاز ونثروب في استمالة الملك اليه وجعله يوقع البراءة بدون تغيير حرف واحد فيها فعاد بها الوفد الى كَنكتكيت ولا تسل عن مقدار فرح الشعب وسروره بها سيما وانه لم تنل مستعمرة قط مثلها وهي تخول الشعب حق الحكم الذاتي بدون شرط ولا تقييد فتجري الاحكام كما يريد الشعب · وليس لانكلترا سوى السيادة الاسمية ١٠ ما مساحة كنكتكيت بموجب تلك البراءة فكانت تمتد من خليج ونهر نارغنست غربا الى الاوقيانوس الباسيفيكي

وتقديرا لخدمات وتروب قد انتخبه الشعب حاكما لكنكتكيت مدة اربع عشرة سنة متوالية · وكانت تزداد استعمارا وغنى سنة فسنة · وكانت الحرية السياسية والدينية في كنكتكيت اكثر واعم منها في اي مكان اخر في نيوانكلند · وكان السلام العام مرفوع اللواء في كل مكان حتى انه في ايام حرب الزعيم فيليب كان السلام والسكينة سائدين في ربوع كنكتكيت

وعام ١٦٧٠ رسى ادموند اندروس حاكم نيويورك بسفينة شراعية في نهر كنكتكيت واوسل الى القائد بول القائم على حماية حصن سايبروك يأمره بالتسليم له فاجاب القائد وهو يلوح راية انكلترا بيده وقال لرسل اندروس خير لمولاكم ان يعود الى حيث اتى · اما اندروس فتقدم نحو الحصن مع رجاله ولما صار على مقربة من الحامية شرع يقرا ورقة تتضمن الغاية من حضوره · فاجابه القائد من داخل الحصن ان توقف عن اتمام القراءة واعترف بان حدود املاك دوق اوف يورك تمتد من كنكتكيت الى دلاوير بموجب البراءة الخاصة الموقعة من جلالة الملك الانكليزي شارلس الثاني فاما ان تتوقف عن القراءة او تحمل تبعة عملك · فتميز اندروس غيظا من عدم فوزه بما يريد · ثم تقدم نفر من حامية الحصن وامسكوه واحتملوه الى سفينته على رغم احتجاجه ومقاومته

وتعين اندروس المذكور حاكما ملوكيا على نيوانكلند سنة ١٦٨٦ وكانت كنكتكيت تحت حكمه ايضا · واول ما حول اليه اهتمامه في السنة الاولى من حكمه بسط سلطته على مساتشوستس ورود ايلند ونيوهمشير · وزار هاتفرد في شهر تشرين الاول من السنة التالية زيارته المشهورة فدخل على المجلس وهو ملتثم رسميا وطلب ان يسلم اليه البراءة الاستعمارية على ما سلف ذكره · وبعد مرور سنتين من حكمه استرجعت كنكتكيت حريتها

وسنة ١٧٠٠ عقد عشرة قسوس اجتماعا في قرية برانفور التي تبعد بضعة اميال عن نيوهيفن شرقا قرروا فيه وجوب تشييد مدرسة كلية وردد كل منهم هذه العبارة «انني اعطي هذه الكتب لاجل تأسيس كلية في المستعمرة» بينما وضع عددا من الكتب على طاولة كانوا مجتمعين حولها وعلى تلك الصورة تم تأسيس جامعة يال الشهيرة التي فتحت ابوابها سنة ١٧٠٢ في سايبروك اولا وبعد ١٥ سنة نقلت الى نيوهيفن ولم تزل فيها ٠واهم ركن لتلك الجامعة كان اليود يال الذي دعيت باسمه وكذلك المدارس الابتدائية انتشرت في كل الاماكن في المستعمرة

وكانت ايام النصف جيل التي مرت قبل شبوب حرب الافرنسيين والهنود التي سيجيء ذكرها نجاحا وفلاحا لكل الشقة الغربية من نيوانكلند وبنوع اخص لكنكتكيت وكان السلام مخيما في ربوعها والجميع راتعون في بحبوحة الامن ورغد العيش

الفصل العشرون

ـ(رود ايلند)ـ

سنة ١٦٣٦ غادر روجر وليمز المنفى الى بلاد الومباغس وجاء الى نهر نارغنست ينشد محلا مناسبا للاستعمار خارجا عن حدود مستعمرة بلموث ٠ فنزل هو ورفقاؤه الخمسة في مكان يدعى موشساك وابتاعوا من زعيم قبيلة نارغنست ارضا ووضعوا اساسات مدينة بروفيدنس٠ومن ثم انضم اليهم غيرهم من المحكوم عليهم بالنفي فازدادت المزارع والحقول والبيوت بازدياد عدد القادمين الى تلك المستعمرة ٠ وجاءها ايضا رجل من ويلس على جانب عظيم من سعة الاطلاع وهو حر ابي النفس كبيرها ٠

وكان يجاهر بوجوب اطلاق الحرية الدينية والسياسية والشخصية وغير ذلك من الامور التي اهاجت محبي الساطة عليه فنفي من بلاده الى مساتشوستس ومنها الى نارغنست حيث وجد مكانا فسيحا لنشر مباديه الحرة وافكاره الناضجة

وقدم وليم روجر من شيعة الانابتست اي معيدي المعمودية الذين ينكرون صحة معمودية الاطفال مع ان وليم نفسه عمد وهو طفل · ولكنه انضم الى الشيعة المذكورة عندما كان قسيسا في بلدة سالم واذ رأى ذاته طليقا من القيود الكنسية والمدنية رغب في ان يعاد عماده واذ لم يوجد من يقوم بتلك المهمة من جماعة القسوس عهد بها الى احد العوام واسمه حزقيال هوليمان · وقد عمده وليم ايضا وعمد عددا من المنفيين وكان ذلك اول عهد شيعة المعمدانيين او البابتست في اميركا

وقد كان الحكم السياسي في بداية استعمار رود ايلندبسيطا وديموقراطيا · وكان روجر بالطبع حاكمها الاول ولكنه لم يتطلب سلطة ولا حشد مالا بل ان الارض التي كانت ملكه بموجب صك مبيع من زعماء الهنود قسمها بين المهاجرين على التساوي ولم يبق لنفسه سوى حقلين كان يزرعهما بيديه مخالفا بذلك كل الحكام الاخرين الذين كانوا يجدون في طلب الاثرة والساطة وحشد الثروة مدة ولايتهم وقد جعل كل السلطة السياسية بيد الشعب وكانت الشرائع وجيزة وبسيطة · واطلقت الحرية لكل المذاهب فعاش اتباع الشيع المختلفة معا بوئام وسلام وكل ذلك بفضل وحكمة ودراية روجر وليمز الذي احبه زعيم الهنود كأخ وبواسطته اكتشف المكيدة التي دبرها الهنود لشعب مساتشوستس كما سبق بيانه فلما ذاع صيت روجر الحميد وفاح عبير افعاله النبيلةفي المستعمرات الاخرى تنبه لذلك شعب سالم وبلموث وادركوا مقدار خسارتهم برحيل ذلك الرجل الفاضل الهمام عنهم وارسلوا يتوسلون اليه ان ان يعود اليهم مع سائر المنفيين فابى

وقد قام هنود نارغست على حماية رود ايلند اثناء حرب الايكودس سنة ١٦٣٧ كما تقدم · وفي السنة التالية وصلت مدام هتشنسن ورفقتها الى جزيرة رود ايلند برئاسة جان كلارك ووليم كورنتون وكان في عزمهما ان يقتاداهم الى لون ايلند او دلاوير غير ان روجر رحب بهم وزين لهم السكنى في مستعمرته حيث يكون لهم مطلق الحرية الدينية والسياسية · اما فين حاكم مساتشوستس فرثى لحالة اولئك المهاجرين وسعى لدى الزعيم مانيتونومو لكي يهبهم رود ايلند · وفي ربيع عام ١٦٢٨ انشئت المستعمرة اولا في برتسموث في الجانب الشمالي من الجزيرة · ولحق باولئك المنفيين غيرهم من اصحابهم فكثر عديدهم ومست الحاجة الى حكم سياسي فـام بتنسيقه اليود واختير وليم كودنتون قاضيا وانتخبوا له معاونين من متقدميهم ·وفي السنة التالية حولوا لقب قاضي الى لقب حاكم·وارتحل قسم من اولئك المنفيين الذين وفر عددهم في برتسموث الى القسم الجنوبي الغربي من الجزيرة واسسوا مدينـة نيوبورت الذي لم يزل قائماً فيهـا البرج الحجري الذي ابتنـاه النورسيون في اميركا منذ مضي اكثر من ستماية سنة

وزادت الجزيرة استعمارا فاشتدت الحاجة الى حكم سياسي · ولم يكن الحاكم كودنتون ذا صلاحية لادارة الاحكام في المستعمرة · فعقد المهاجرون اجتماعا عاما في شهر اذار سنة ١٦٤١ واستقر رايهم على وجوب وضع دستور اساسي لمستعمرتهم · وبعد ثلاثة ايام كملت بنوده وصودق عليها ودعوا نوع الحكم «ديموقراطيا» اي حكم بواسطة الشعب · اما السلطة العليا فجعلت بيد الرجال من سائر انحاء المستعمرة وكل الامور كانت تجري بالتصويت العمومي واطلقت الحرية الدينية لجميع المذاهب على السواء واصطنعوا ختما خصوصيا لمهر الاوراق الرسمية · وقد دعيت تلك الجمهورية الصغيرة في خليج نارغنست مستعمرة رود ايلند

وقد تم اتحاد نيوانكلند سنة ١٦٤٣ فالتمست بروفيدنس وروود ايلند ان تضما الى ذلك الاتحاد فرفض طلبهما بحجة انهما تحت حكم بلموث • وخشي مهاجروهما ان يعودوا الى تحت سلطة مضطهديهم • واستقر رايهم على ان يطلبوا من حكومة انكلترا براءة خاصة بمستعمرتيهما وارسلوا وليم روجر الى لندن لتلك الغاية • فقابله فيها بالترحاب صديقه الحميم هنري فين وكان يومئذ عضوا في البارلمانت • فسعى له في الحصول على براءة وكلل مسعاه بالنجاح • وفي ١٤ اذار سنة ١٦٤٤ صدرت البراءة الملوكية على مايروم ونيم روجر وموكلوه فعاد الى رود ايلند واستقبله المهاجرون بجذل وابتهاج • فتم بذلك لرود ايلند الاستقلال • وتألفت اذ ذاك هيئة حكومة جديدة وسنت شرائع موافقة لمنطوق البراءة وانتخب رئيس ومجلس نواب عن الشعب ورتع الجميع في بحبوحة الامن والرفاه

ولقد كادت عرى الاتحاد في رود ايلند ان تنفصم سنة ١٦٥١ وسبب ذلك هو ان وليم كودنتون لم يرق له سقوط النفوذ اليهودي الذي كان سائدا اولا في المستعمرة فمضى الى لندن وحصل من حكومتها على امر يقضي بفصل جزيرة رود ايلند عن الحكومة الجديدة •غير ان احتجاجات جان كلارك ووليم روجر اللذين ارسلا الى لندن لاخفاق مساعي كودنتون اثرت في حكومة انكلترا فالغت الامر المذكور وعاد الاتحاد وثيق العرى • فاراد الشعب ان يكافيء روجر لقاء اعماله المفيدة والآيلة لخير المستعمرة فقدموا عريضة الى حكومة لندن يطلبون تعيينه حاكما عليهم اما هو فابى ذلك بتاتا • اما كلارك فبقي في لندن للدفاع عن حقوق مستعمرته غير انه لم يمر زمان طويل حتى احتاجوه فيها • فان الملكية كانت قد عادت الى انكلترا سنة ١٦٦٠ وعاد شارلس الثاني الى العرش بعد نفيه زمانا ليس باليسير ورود ايلند حصلت على الرخصة من البارلمانت الذي خلع شارلس الاول عن عرشه وبعد ذلك حاربه

وتغلب عليه في معركة هائلة وسجنه وقطع راسه فهل يعقل بان ابن ذلك الملك اذا تولى العرش يدع ما فعله البارلمانت ان يثبت — كلا — اما نزلاء رود ايلند فلم يجسروا على طلب تثبيت براءتهم من الملك بل بكل خضوع واحترام رفعوا الى اعتابه عريضة يتوسلون اليه ان يمنحهم براءة جديدة فاجاب ملتمسهم واصدر لهم براءة في ٨ تموز سنة ١٦٦٣

وسارت رود ايلند في معارج الفلاح مدة قرن فنسي شعبها ويلات حرب الزعيم فيليب ٠واما روجر فاعتراه الهرم وقضى نحبه مأسوفا عليه من الجميع ٠واخيرا جاء السير ادموند اندروس عدو نيوانكلند اللدود ٠ وبعد ان نزع منها حريتها وجه التفاته الى رود ايلند وطلب منها تسليم براءتها٠فقوبل بالرفض فقام عليها واجبرها على التسليم وحل حكومتها واقام نظارا من قبله يديرون دفة الاحكام تحت مشارفته

غير ان اجل ذلك الاستبداد كان قصيرا ففي ربيع سنة ١٦٨٩ بلغت الى رود ايلند اخبار تنازل شارلس الثاني عن العرش وان اندروس واعوانه زجوا في ظلمات السجون في بوسطن ٠ فعاد شعب رود ايلند وانتخبوا لهم حاكما كما يريدون وتمتعوا بحريتهم السابقة وانقضى عهد الاستعباد والخنوع ٠وقد امتازت رود ايلند ليس بسرعة استعمارها ولا بعمظة مدنها ولا بقوة جيشها بل بمحافظتها كل المحافظة على الحق والعدل والحرية والمساواة

الفصل الحادي والعشرون

—(نيوهمشير)—

ان البقعة الواقعة بين نهري مريماك وكنباك والممتدة من البحر الى نهر سانت لورنس قد وهبها مجلس بلموث سنة ١٦٢٢ للسير فرديناند جورج والمستر جان ماسن اما تاريخ نيوهمشير فيبتدىء من السنة التالية عندما شرع صاحباها المذكوران باستعمارها واول مهاجرين اليها وصلوها في الربيع من سنة ١٦٢٣ واول رجل وطئت قدمه ارض نيوهمشير كان مارتن بارن وذلك سنة ١٦٠٣ ٠وبعد ذلك باحدى عشرة سنة اكتشف القبطان سميث مرفا نيوهمشير الواسع ووصفه وصفا جميلا

وجاء نفر من المهاجرين جديدا ونزلوا في الميناء الصغيرة الواقعة على بعد ميلين الى الجنوب من مدينة بورتسموث وباشروا بناء قرية ٠بينما فريق اخر تقدموا الى ضواحي نهر كوشيكو ووضعوا اساس بلدة دوفر وهي مع بورتسموث اقدم مدن نيوانكلند خلا بلموث وويموث ٠ غير ان نجاح اولئك المهاجرين كان بطيئاً ٠ وفي سنة ١٦٢٩ اقتسم جورج وماسن املاكهما فكان نصيب الاول شمالي نهر بسكاتكوا ٠ونصيب الاخر الشقة الواقعة بين النهر المذكور ونهر مريماك ٠ وفي شهر ايار من تلك السنة زار القس جان هويلر (الذي صار بعد ذلك زعيم رفقاء مدام هتشنسن)زعماء قبيلة ايناكي الهندية وابتاع منهم ماخصهم من الاملاك وهي في حوزة ماسن الذي اصدر له مجلس بلموث صك مبيع جديد فتثبتت ملكيته لتلك الشقة ٠ وقد تغير اسم تلك

المستعمرة من لاكونيا الى نيوهمشير ٠ وبعد قليل ادعت مساتشوستس ملكية المقاطعة التي الى شمالي نهر مريماك ٠ وقد كانت الدعاوى في ملكية تلك المستعمرة كثيرة ومتضاربة

وادركت المنية ماسن في شهر تشرين الثاني سنة ١٦٣٥ فتولت الاحكام عوضه امرأته ٠ وقد كانت مصارفات المستعمرة تزيد على ايراداتها فتراكمت عليها الديون فافضى الامر الى تسليم المستعمرة كلها الى عبيد اصحابها الاولين واتباعهم

وكان شعب نيوهمشير وشعب مساتشوستس شديدي الرغبة في اتحاد البلادين معا ٠ فوضع مندوبو الشعبين الشروط اللازمة لذلك ٠ وفي ١٤ نيسان ١٦٤١ تم الاتحاد بين البلادين فكان ذلك مدعاة لسرور سكان كلتيهما ٠ ومما يليق ذكره هو ان الشريعة المرعية في مساتشوستس بحصر الرعوية باعضاء الكنيسة فقط لم تقبل في نيوهمشير التي كانت الرعوية فيها مباحة للجميع على التساوي ٠ ونيوهمشير هي المستعمرة الوحيدة شرقي نهر هدسن التي لم يؤسسها البيورتان

ونقد دام ذلك الاتحاد الى عام ١٦٥٩ ٠وفي غضون هذه المدة قام ورثة الحاكم ماسن يطالبون بملكية نيوهمشير ٠ واقاموا الدعاوى في محاكم انكلترا ٠ وبعد البحث الدقيق صدر الحكم بان ورثة ماسن لاحق لهم بالتسلط على المستعمرة ولكن اراضيها ملكهم بحق الارث اي انهم هم اصحاب الاملاك وليسوا اصحاب السيـادة وكان الملك شارلس من وراء ذلك الحكم لتوطيد سلطته على المستعمرة ٠ وفي ٢٤ تموز سنة ١٦٧٩ صدرت الارادة الملوكية بسلخ نيوهمشير عن مساتشوستس وجعلها ولاية ملوكية وحجة الملك في ذلك هي ان الدعاوى المذكورة ينظر فيها في محـاكم المستعمرة والمستعمرة لا يجوز لها انشاء محاكم اهلية الا اذا كانت مستقلة ولذلك وجب سلخها عن مساتشوستس ٠٠وواضح بانه لو سمعت تلك الدعاوى في محاكم مساتشوستس لخسرها ورثة ماسون ومما يوضح انحراف الملك مع الورثة المذكورين تفويضه ربرت ماسن

وهو في مقدمة الورثة ان ينتخب حاكما لنيوهمشير فانتخب ادورد كرانفيلد حاكما لها

اما شعب نيوهمشير فكانوا كثيري التأثر من الضغط على حريتهم • فقبل وصول الحاكم الجديد اليهم عقد نواب الشعب مجلسا دارت فيه المباحثات عما يجب عمله فاسفر اجتماعهم عن تقرير هذا الامر وهو بان لاقرار ولاضريبة ولا شريعة ولا قانون يعمل به ويكون مرعي الاجراء الا اذا صادق عليه نواب الشعب برضى الشعب نفسه فلما بلغ ذلك مسمع الملك قال ان ذلك القرار خطأ ولغو وليست تلك المرة الاولى التي قام الخلاف فيها بين الشعب والملك

وبعد ذلك حضر الحاكم الجديد وباشر مهام وظيفته وحل مجلس الامة في تشرين الثاني سنة ١٦٨٢ فعز ذلك على الشعب واغتاظوا جدا فقاوموا الحاكم جهارا وابوا تأدية ما فرض عليهم من المكوس والرسوم • وقامت قيامة الشعب على الجباة وموظفي الحكومة في كل مكان حتى ان النساء كن يشتركن في المقاومة ويرشقن الماء الحار عليهم والرجال قاوموا بمنتهى الشدة فكانوا يخرجون موظفي الحكومة من القرى مطوقين اعناقهم بالحبال ومشيعهم صفعا وشتيمة ونادى الوالي بالجند فلم يعره احد انتباها فلما راى حراجة موقفه كتب الى لندن يرجو حكومتها ان تسمح له بالعودة الى وطنه • فتخلص الشعب من حكمه واستبشروا خيرا بارتحاله

وعادوا الى النظر في اعادة الاتحاد بين نيوهمشير ومساتشوستس • ولكن قبل ان يتم ذلك انتزعت البراءة من مسانشوستس وتعين ادموند ماسن حاكما على كل نيوانكلند كما ذكر فلما رات المستعمرات في شمالي نهر ماريماك بان مساتشوستس وهي اقوى المستعمرات واشدها قد اخضعت لم تبدي اقل مقاومة لسلطة ماسن • اما نيوهمشير فبقيت حتى زمن الثورة الانكليزية سنة ١٦٨٨ وسقوط ماسن تحت حكم الحاكم الذي كان يعينه الملك الانكليزي نفسه • ولما قبض شعب بوسطن على ماسن

وزجوه في السجن نهض كل سكان مدن الشمال واستعادوا حريتهم · وسنة ١٦٩٠ عقد موءتمر في بورتسموث تقرر فيه اعادة الاتحادين مساتشوستس ونيوهمشير على ان الحكومة الانكليزية بادرت الى فسخ ذلك الاتحاد واعادت نيوهمشير الى تحت سلطتها على رغم استياء شعبها واحتجاجهم · وعام ١٦٩٨ عينت حكومة لندن ارل بلمونت حاكما عاما على نيويورك وجعلت نيوهمشير ومساتشوستس تابعتين لحكمه ايضاً · ودامتا كذلك مدة ٤٢ سنة · وكان لكل منهما مجلس نواب مستقل عن الاخر الى انه في سنة ١٧٤١ تم سلخ المستعمرات في شمالي وجنوبي نهر مريماك عن بعضها

اما ورثة ماسن فاعيتهم كثرة المجادلات والمحاكمات فباعوا حقوقهم في نيوهمشير من صموئيل الن من مدينة لندن وذلك سنة ١٦٩١ ·فعين هذا صهره المقيم في بوسطن واسمه اشر نائب حاكم فبذل كل ما في وسعه لاثبات حق حميه في امتلاك الاراضي فلم يجد سوى المقاومة في كل مكان فاقام الدعاوى في محاكم المستعمرات فلم يلق سوى الفشل والحرمان · ولم تكن هناك قوة تستطيع ارغام الفلاح على دفع ضمانة عن حقوله او على طرده من مزرعته · ولا يوجد في تاريخ نيوهمشير في هذه الفترة — وكلها خصام ونزاع — ما هو جدير بالذكر · اما الن المدعي الملكية فادركته المنية سنة ١٧١٥ · ولقد جاهد ورثته مدة ربع قرن في سبيل الحصول على ما يزعمونه حقا لهم فذهب جهادهم ضياعا وسقطت مدعياتهم الى الحضيض · وبعد ذلك ببضع سنوات اكتشف احد احفاد ماسن بان صك المبيع الذي اعطاه جده للمستر الن لم يكن شرعيا فقام هو يطالب بملكية نيوهمشير فلم يفلح سعيا

ولقد لحقت بنيوهمشير اضرار جسيمة بسبب حرب الهنود والفرنساويين اكثر من غيرها من المستعمرات · وذلك بسبب موقعها وضعف سكانها ·وكذلك خسائرها في السنة الاخيرة من حرب الزعيم فيليب كانت فادحة ايضا · ولم تقل خسائرها عن مثل

تلك في حرب حنه ووليم وجورج ·ولما وضعت الحرب اوزارها عاد اهلوها الى البلاد

وقد اتينا على ذكر مايهم من تاريخ مستعمرات نيوانكلند · وقد راينا ان الذين هاجروا اليها هم من الطبقة العاقلة الناشدة الحرية· حرية الفكر والدين وغيرهما ؛ وقد احتملوا قرصات البردولفحات الحر وهجران الوطن والصحب والاخدان في سبيل نيل الحرية ·وهم الذين نشروا ايات التمدن في تلكم الاصقاع فحق للتاريخ ان يسطر ايات شكرهم بمداد الافتخار

الفصل الثاني والعشرون

—(نيوجرزي)—

ان تاريخ نيوجرزي الاستعماري يرجع الى زمان تأسيس مدينة اليصابات في سنة ١٦٦٤ ففي سنة ١٦١٨ انشىء مركز تجاري صغير في برغن الواقعة الى غربي نهر هدسن ·ولكن لم تنشأ هناك بيوت سكن الا بعد مرور اربعين سنة من ذلك التاريخ·وسنة١٦٢٣ بني البيت الخشبي الذي سمي صرح ناسوفي تمبر كرك على نهر دلاوير ·وبعد ان اقام فيه ماي ورفقته بضعة اشهر غادروه وعادوا الى نيوامستردام وبعد ذلك بست سنوات وهب القسم الجنوبي من ولاية نيوجرزي الحالية الى غودن وبلومرت الهولانديين غير انه لم يهاجر اليه احد · ولم يقطن اوربي بين خليج دلاوير والدرجة الخامسة عشرة طولا حتى سنة ١٦٣٤ ·وعام ١٦٥١ ابتاع اوغسطين هرمان

قسما كبيرا من الأرض من ضمنه موقع مدينة اليصابات وتلك الاراضي لم يهاجر اليها احد وسنة ١٦٦٣ طابت جماعة من البيورتان القاطنين في لون ايلند من الحاكم ستيفسانت ان يرخص لهم باستيطان ضفاف نهر رارتيان غير انه لم يسكن هنالك احد حتى بعد غلبة الانكليز على الهولانديين

وكانت نيوجرزي قسما من الاملاك التي وهبها الملك شارلس لاخيه دوق اوف يورك وقبل استيلاء الانكليز على نذرلاند بمدة شهرين كان الدوق المذكور وهب القسم الواقع من املاكه بين نهري هدسن ودلاوير الممتد حتى الدرجة ٤١ والدقيقة ٤٠ شمالا الى اللورد باركلي والسير جورج كارتريت اللذين كانا يملكان كارولينا ايضا . ولما ناصرا الملك في اعماله منحهما ايضا ارضا جديدة في اميركا . وعلى اثر استيلاء الانكليز على نيونذرلاند التمست جماعة من البيورتان من الحاكم نيكولس قبولهم في ولايته فرحب بهم ومنحهم مزارع في ضواحي خليج نيوارك . وابتاعوا من الهنود ما خصهم من الارض وابتنوا قرية سموها اليصابات اكراما لاليصابات عقيلة السير كارتريت

وسنة ١٦٦٥ تعين فيليب بن السير جورج كارتريت حاكما على تلك المستعمرة فقاومه شديدا في اول الامر نيكولس حاكم نيويورك زاعما بان الدوق اوف يورك لا يرضى عن قسمة املاكه . غير ان فيليب المذكور كان مزودا باوامر ملوكية لم يسع نيكولس انكارها فسكت . وباشر فيليب مهام وظيفته وجعلت بلدة اليصابات عاصمة الايالة . وهاجر كثيرون من لون ايلند الى نيوجرزي ثم وضعت اسس مدينة نيوارك وبوشر بتشييد البيوت والحوانيت فيها . وامتدت المزارع من ضواحي الخليج الجنوبية الى ساندي هوك واطلقوا على المستعمرة الجديدة اسم نيوجرزي اكراما للسير جورج كارتريت الذي كان حاكما لجزر جرزي الانكليزية

وقد علم الاختبار اصحاب الاملاك بان اللين خير من الشدة والحرية افضل من الاستعباد وان نجاح المستعمرات يتوقف على مقدار ما لسكانها من الحرية السياسية والدينية وعليه فقد سن باركلي وكارتريت دستورا لتلك المستعمرة في غاية التساهل والتؤدة حالة كونهما ارستوقراطيان بكليتهما · فوكل الى الشريعة حماية الاعناق والارزاق · وشارك الحاكم في ادارة الاحكام مجلس نواب ومجلس مشترعين · فلم تفرض ضريبة على الشعب الا بمصادقة نوابه · وابيحت حرية القول والكتابة والمذهب لجميع · ولم يبق الملاكان المذكوران لنفسيهما سوى حق الغاء ما لا يوافق من قرارات المجلس وتعيين الحاكم والقضاة وسمحا للمهاجرين باستعمال الارض ولم يتقاضياهم سوى نصف بني ضمان كل فدان ولا يدفعون ذلك الضمان حتى سنة ١٦٧٠ · وقد تم التأم مجلس النواب لاول مرة في بلدة اليصابات سنة ١٦٦٨ · وكان غالب اعضائه من البيورتان الذين الفوا شرائع وعادات نيوانكلند فكانوا ذوي تأثير في المستعمرة الجديدة ودامت الحالة على ما يرام حتى سنة ١٦٧٠ عندما حان اوان دفع ضمان الارض وكان المهاجرون قد ابتاعوا املاكا من الهنود ومن الحاكم نيكولس الذي ما زال يدعي السلطة على نيوجرزي وادعوا بان الصكوك التي بيدهم صحيحة واذا كان الامر كذلك فالارض ملكهم واذا كانت ملكهم فلماذا يؤدون ضمانة عنها وعلى هذا ابوا الدفع فنتج عن ذلك اضطرابات تولدت عنها ثورة هائلة · وسنة ١٦٧٢ التأم مجلس النواب وخلعوا الحاكم فيليب فعاد الى انكلترا وتعين اخوه جيمس مكانه

وكان الهولانديون قد فازوا عام ١٦٧٣ باسترجاع نيويورك من الانكليز غير انها لم تدم في حوزتهم سوى اشهر معدودة فاستردها الانكليز ونشروا رايتهم فوق كل تلك الربوع · وفي تلك الاونة حصل دوق اوف يورك على براءة جديدة من اخيه الملك يثبت فيها هبته اياه الاراضي الواقعة بين نهري دلاوير وكنكتكيت وبالوقت نفسه ثبت

ايضا هبته نيوجرزي لباركلي وكارتريت كما انه عين اندروس حاكما عاما لكل تلك الاقاليم بدون التفات لرضى صاحبي نيوجرزي اللذين استاءا من ذلك جدا ٠ فكارترت وطن نفسه على الاعتراض والمقاومة واما باركلي فباع قسمه في نيوجرزي لغيظه وحنقه من غطرسة الدوق وخيلائه

وعادفيليب كارترت الى تولي الحكم في نيوجرزي بعد طرده منها فقاومه اندروس مدعيا بان نيوجرزي قسم من ولايته ٠ فحصلت بسبب ذلك قلاقل جمة ٠ وقد الزم اندروس السفن الآتية الى نيوجرزي للتجارة ان تدفع رسما في ميناء نيويورك ٠ وبعد ذلك قبض على كارترت واساقه الى عاصمته قيد المحاكمة

اما الذي ابتاع قسم باركلي في نيوجرزي واسمه ادورد بيان فلم يحصل على نتيجة من تلك الاملاك وتراكمت عليه الديون الكثيرة حتى اضطر الى تحويل املاكه الى ثلاثة اشخاص تعينوا لتلك الغاية في جملتهم وليم بن ليفوا المداينين مما يحصلونه من املاك بيلن

وكان اولئك الوكلاء من شيعة الكويكر فراوا ان الفرصة سنحت لهم لانشاء ملجا جديد لبني شيعتهم المضطهدين ٠ فارسلوا الى كارترت يطلبون قسمة المستعمرة وقد كان هو شديد الرغبة في ذلك وبان تقسم على طريقة تكون فيها املاكه مفروزة عن املاك الكويكر ٠ وبعد مشاحنات طويلة تمت القسمة سنة ١٦٧٦ ٠ فرسم خط يبتدي من مينا لتل اوك ويمتد شمالا الى دلاوير الى حيث العرض ٤١ درجة والدقيقة ٤٠ فالقسم الواقع الى شرقي هذا الخط بقي في ملكية جورج كارترت وسمي شرقي نيوجرزي والقسم الاخر دعي غربي نيوجرزي تولى السيادة فيه بن ورفقته فسنوا شرائع موافقة لشيعتهم وسعوا في استجلابهم الى ذلك المهجر الجديد من بلاد الانكليز وغيرها ٠ فلم تنتهي تلك السنة حتى هاجر الى وست نيوجرزي اكثر من

اربعماية نفس عاشوا معا بوئام واتفاق ولم يعكر جو صفائهم سوى قيام موظفي حاكم نيويورك في نيو كاسل في الضفة الغربية من مدخل نهر دلاوير والزامهم سفن الكويكر بدفع ضريبة عند مرورها من هناك فارسل الكويكر الى انكلترا احتجاجا عنيفا على ذلك فاصغت الحكومة اليهم ورفعت عنهم ذلك الحيف . فلما رأى ذلك ورثة السير جورج كارترت املوا انهم هم ايضا يستطيعون تخليص شرقي نيوجرزي من سلطة اندروس فسعوا بذلك و كلل سيعهم بالنجاح . فاضحت كل الاراضي الواقعة بين نهري دلاوير وهدسن حرة من سلطة الاجانب

وعام ١٦٨٢ ابتاع وليم بن مع احد عشر رجلا اخرين من الكويكر ايست نيوجرزي وانتخبوا ربرت باركلي الاسكوتلندي حاكما لها مدى الحياة .وهو من المتقدين غيرة على شيعة الكويكر ومن ذوي الصفات النادرة والمواهب الفائقة . واضحت كل نيوجرزي تحت سلطة الكويكر . وقضى باركلي نحبه سنة ١٦٩٠ وتمتاز مدة حكمه بوفور عدد المهاجرين من الكويكر الى نيوجرزي .و كذلك البرزباتيريان(المشيخيون) المضطهدون في اسكوتلندا هاجروا اليها زرفات ووحدانا حتى انهم فاقوا الكويكرعددا

وعند تبوأ جيمس الثاني عرش الملك سنة ١٦٨٥ وحد المستعمرات من ماين الى دلاوير وعين ادموند اندروس حاكما عليها . فصرف السنة الاولى في مد سلطته على بوسطن وبروفيدنس وهارتفورد اما نيويورك وقسما نيوجرزي فلم تدخل في حكمه حتى سنة ١٦٨٨ .وقبل ان تصير له فرصة لتأييد سلطته عليها تداعى عرش الملك جيمس الى السقوط ففر هاربا فلما بلغ خبر ذلك الى نيوانكلند فبضوا على اندروس الذي كان قد لج كثيرا في الطغيان وتمادى في الغرور وزجوه في ظلمات السجن فعاد الشعب الى حكم نفسه

غير ان احوال نيوجرزي كانت مرتبكة ملتبسة فلم يكن يعلم حق الحكم فيها لمن

ففي القسم الشرقي ادعى نسل كارترت وحاكم نيويورك وبن ورفقته حق السلطة. اما في القسم الغربي فادعى حق السيادة فيه نسل بيلن وبن وحاكم نيويورك وفوق كل تلك الادعاءات كان ادعاء ملك انكلترا ذلك الحق ولم تكن هناك هسه حكومة منظمة من سنة ١٦٨٩ — ١٦٩٢ .

وفي العشر سنين التالية قام فيها عدد من الحكام اكثر مما قام في غيرها فساد فيها الاضطراب والتشويش واخيرا تخلى الجميع عن المطالبة بالحكم فيها وسلموها لعرش الانكليزي فصارت كل الاراضي بين نهري دلاوير وهدسن ايالة ملوكية

والحقت نيوجرزي بنيويورك وحكمها اللورد كورنبري . غير ان كل ولاية كان لها مجلس نواب خصوصي ودامت الحال كذلك مدة ستين سنة . وعام ١٧٢٨ رفع نواب نيوجرزي عريضة للملك جورج الثاني يتوسلون اليه ان يفصل مقاطعتهم عن نيويورك فلم يعرهم انتباها . وبعد عشر سنين كرروا ذلك فحازت عريضتهم قبولا بسعي المستر لويس موريس ففصلت عن نيويورك وتعين موريس المذكور حاكما عليها

اما حرب الهنود التي نشبت بعد ذلك فلم تتضرر منها نيوجرزي كثيرا لان الهنود المنتشرين فيها كانوا ضعفاء جبناء

الفصل الثالث والعشرون

—(بنسلفانيا)—

لقد طرب الكويكر في انكلترا جدا عند سماعهم خبر نجاح اخوانهم في وست نيوجرزي · وكانت نفس وليم بن تحن منذ زمن الى انشاء مستعمرة حرة على ضفاف نهر دلاوير تكون مبنية على قواعد الاخاء والحرية والمساواة في الحقوق والواجبات · وكان الكويكر مدة ربع قرن يسامون خسفا ويذوقون امر العذابات فضلا عن السجون والنفي والاضطهادات المتنوعة · ولكن رجاءهم في الراحة في المستقبل وانفجار صبح الانعتاق من تلك الحالة التعسة كان وطيدا · وكان شوق وليم بن لايجاد ملجاء لاتباع شيعته يزداد يوما فيوما · وفي شهر حزيران سنة ١٦٨٠ تقدم بجسارة فائقة الى الملك شارلس وطلب اليه ان يمنحه مقاطعة ورخصة لانشاء مستعمرة للكويكر في العالم الجديد وعضده في طلبه اصحاب له اعضاء في البارلمانت وكان دوق اوف يورك وعد ابا وليم بالمساعدة فابر الان بوعده · وفي اذار عام ١٦٨١ صدرت البراءة ممهورة بختم الحكومة الرسمي وموقعة من الملك شارلس الثاني فاصبحت بنسلفانيا بموجبها ملكا لوليم بن · وكانت حدودها من الشرق نهر دلاوير وشمالا وجنوبا الى الدرجة الثالثة من العرض الشمالي وغربا الى الدرجة الخامسة من الطول · ولم يبق من كل تلك الاراضي في حوزة دوق اوف يورك سوى بقعة صغيرة

ومقابلة لتلك الهبة تخلى وليم بن للدولة الانكليزية عن مبلغ ستة عشر الف ليرة انكليزية كانت مديونة بها لوالده ٠واعلن ان قصده بامتلاك بنسلفانيا هو انشاء حكومة حرة بصرف النظر عن جنس ونوع وديانة الاهلين٠وانه سوف لا يضع في يد الشعب سلاحا سوى المحبة والعدالة ٠ وانه يبغي ايجاد «مدن ملجأ» لبني مذهبه وتوسيع نطاق المملكة الانكليزية

واول عمل باشره هو انه ارسل منشورا الى الاسوجيين النازلين في مقاطعته به يلاطفهم ويطمنهم ويعدهم بالمحافظة عليهم وعلى بيوتهم ومقتنياتهم وبانهم سوف يعيشون تحت شرائع يسنونها هم انفسهم ولا يخشون ضغطا او جورا

وبعد مرور شهر على البراءة المذكورة وزع وليم بن منشورا في بلاد الانكليز يصف فيه جمال وحسن مناخ وطنه الجديد وعدالة الشريعة وحسن المعاملة والتمتع بالحرية الدينية والسياسية وبالتالي يحبب الجميع بالمهاجرة الى مستعمرته ٠ فلبى كثيرون دعوته وهاجروا بالعشرات والمئات بزعامة وليم ماركهام وكيل بن ونائب الحكم في المهجر وقد اوصاه بن بان يجري الاحكام بحسب منطوق الشريعة ٠وان يقيم القسط والعدل ويكتسب صداقة الهنود وبعد ذلك ارسل بن نفسه منشورا الى الهنود يخبرهم بنواياه الحسنة نحوهم وانه سيعاملهم معاملة الاخوة

والامر الاخر الذي وجه اليه بن اهتمامه هو ايجاد هيئة حكومة لمهجره وكان ذلك الامر محفوفا بمصاعب متنوعة ٠ فهو ضحى املاك ابيه في سبيل راحة اتباع مذهبه وكان له كل الحق في وضع ضرائب ورسوم معينة لنفقات حكومته٠وبموجب البراءة الممنوحة له يجب ان تكون كلمته في المستعمرة فوق كل كلمة ٠ وكان موقفه يستدعي بان يكون اما مسيحيا بسيطا نزيها امينا عاملا لخير الاخرين او متسلطا غنيا ذا صولة واقتدار ٠ولكنه جعل «الرحمة تفتخر على الحكم» فالف شريعة تكاد تكون

مجحفة بحقوق نفسه وهي غاية في العدل والنزاهة والاستقامة ووكل الى الشعب امر تحويرها او قبولها او رفضها

وتخلى دوق اوف يورك عما تبقى له من الاملاك في تلك الجهات فأضيفت الى ايالة بن واضحت كل البقعة التي الى الجهة الغربية من النهر والخليج من الاوقيانوس قرب راس هنلوبن الى الدرجة ٤٣ من العرض الشمالي تابعة لولاية بن· وصرف بن فصل الصيف من سنة ١٦٣٢ بالتأهب للسفر ونشر كتابا مفتوحا يودع فيه اصحابه في بلاد الانكليز وكان ذلك الكتاب مؤثرا للغاية ومن ثم سافر الى الديار الاميركية برفق جمهور من المهاجرين فوصلوها في ٢٧ تشرين الاول ونزلوا في نيوكاسل حيث كان جمهور كبير بانتظارهم ·ولكون هذا الرجل الفاضل يعز نظيره بين الرجال احببنا سرد ترجمة حياته مختصرة حبا بالفائدة

ولد وليم بن مؤسس مدينة فيلادلفيا وموجد بنسلفانيا في ١٤ تشرين الاول سنة ١٦٤٤ وهو اكبر انجال ابيه السير وليم بن فيس اميرال في البحرية الانكليزية وقد ادخله ابوه جامعة اوكسفورد وهو في الثانية عشرة من عمره فبدت عليه امائر النجابة الفائقة والذكاء النادر ولكنه طرد منها بسبب معتقداته الدينية ·فطاف في انحاء اوروبا ثم عاد الى لندن وانصب على درس الشريعة ·ثم مضى الى ايرلاندا ودخل في الجندية وهناك سمع مبشرا من شيعة الكويكر يعظ فاعتنق مذهبه ·فساء ذلك ابوه حتى انه طرده من بيته فمازاده ذلك الا تمسكا بمذهبه الجديد ومجاهرة به فقبض عليه وسجن في برج لندن مدة تسعة شهور ولما أخلي سبيله عاد الى المجاهرة بمذهبه فقبض عليه ثانية وزج في سجن مظلم في بلدة نيوكيث مدة ستة اشهر · ولما يئس من النجاح والراحة في البلاد الانكليزية وجه ابصاره الى ما وراء الاوقيانوس فلم ترق له وست نيوجرزي نظرا لضيق مساحتها· فرغب في مكان اكثر اتساعا واوفر

خصبا وجمالا منها الى ان بلغ المنى اخيرا ونال من الملك البراءة الآنفة الذكر · فهذا الكبير باعماله ومقاصده جاء الى الديار الاميركية قصد تأسيس حكومة على قواعد السلام والعدل والصدق والحق والاستقامة

وعندما وطأت قدماه اليابسة انتصب في القوم خطيبا وكانوا لفيفا من اسوجيين وهولانديين وانكليز تألبوا للاحتفاء بقدومه · فكرر لهم وعوده في انشاء حكومة عادلة فكان لكلامه موقع استحسان عظيم في قلوبهم جميعا · وسار بن في نهر دلاوير من نيوكاسل الى تشستر مارا بموقع فيلادلفيا حالا وزارجالية غربي نيوجرزي وجاء من هناك الى نيويورك مارا بشرقي نيوجرزي ولون ايلند التي بعد ان اقام فيها ردحا من الزمان وزار الكويكر نزلاء بروكلن وشددهم وطيب خواطرهم عاد الى مستعمرته وباشر مهام وظيفته فيها كحاكم لها

وكان باركهام نائب بن قد اتم ما اوصاه به فعقد المحالفات الودية مع الهنود وابتاع منهم اراضي واسعة · فلما وصل بن عقد مؤتمر دعى اليه زعماء القبائل الهندية وقد جرى ذلك الاجتماع في مكان خلاء على ضفة النهر ولم يكن بن او احد اتباعه ينقل سلاحا قط وكذلك الهنود ايضا جاؤا عزلا وجلس الجميع على الارض · ولم يكن قصد بن في ذلك الاجتماع مشترى ارض من الهنود او عقد محالفات تجارية او نحوها بل كان جل قصده افهامهم نواياه الصالحة لنحوهم وانه يعتبرهم بمثابة اخوة له لان جميع بني البشر مصنوعون من طينة واحدة ودم واحد · وانه اذا قامت بينهم مشاكل فتفض بالاجتماع والتحكيم وليس بشفار السيوف اوصقال الحراب وانه سوف لا يكون بين الشعبين سوى المحبة الى غير ذلك من الكلام الطويل الشاف عن خلوص نية وحسن طوية فاجابه الهنود بما معناه «ما دام النهر يجري والشمس تضيء فسنعيش بسلام ووئام مع اولاد وليم بن» وقد بروا بوعدهم · ففي مدة السبعين سنة التي بقيت

فيها بنسلفانيا بيد الكويكر لم يحدث ما يخدش وجه السلام بينهم وبين الهنود

وفي ٤ كانون الاول سنة ١٦٨٢ عقد بن اجتماعا في تشستر للنظر في تسوية الحدود استغرق مدة ثلاثة ايام· وفي ختام الاجتماع لفظ بن خطابا مفيدا وسافر الى شاسبيك لمفاوضة مع اللورد بلطيمور بشأن الحدود ·وبعد شهر عاد الى تشستر وشرع يرسم خارتة عاصمته المقبلة التي اختارلها بقعة جميلة واقعة بين سكيكل ودلاوير وابتاعها من الاسوجيين · وفي شهر شباط سنة ١٦٨٣ وضع اساس مدينة فيلالفيا — وبعد شهر واحد من تأسيسها اجتمع فيها الشعب مع رئيسهم وشرعوا في تدوين الشرائع اللازمة وبتنظيم هيئة حكومة ديموقراطية محضة ·واختاروا حاكما وانشاوا مجلس ادارة عدد اعضائه محدود ينتخبون لمدة ثلاث سنوات ·وانشاوا مجلسا اخر عدد اعضائه اكثر من المجلس الاول ويعاد انتخابهم كل سنة اما بن فترك كل شيء لاختيار الشعب حافظا لنفسه حق المشارفة على اعمال المجلس وابطال مالا يوافق من قراراته

ونمت فيلادلفيا بسرعة مدهشة · ففي سنة ١٦٨٣ لم يكن عدد بيوتها يتجاوز الاربعة وكانت شوارعها مسرحا للايل ·وغيره من الحيوانات واما في سنة ١٦٨٥ تجاوز عدد بيوتها الستماية واصلحت شوارعها ومهدت طرقها فصارت مدينة جميلة شيدت فيها المدارس والكنائس والمطابع والحوانيت ونحو ذلك · وفي السنة التالية فاقت فيلادلفيا نيويورك · وبعد ان وطد بن تلك المستعمرة على اسس ثابتة ونشر راية الحرية والاخاء والمساواة فوق ربوعها ودعها في شهر اب سنة ١٦٨٤ وعاد الى انكلترا وتعين طوماس لويد رئيسا مدة غيابه يعاونه خمسة من اعضاء مجلس الادارة

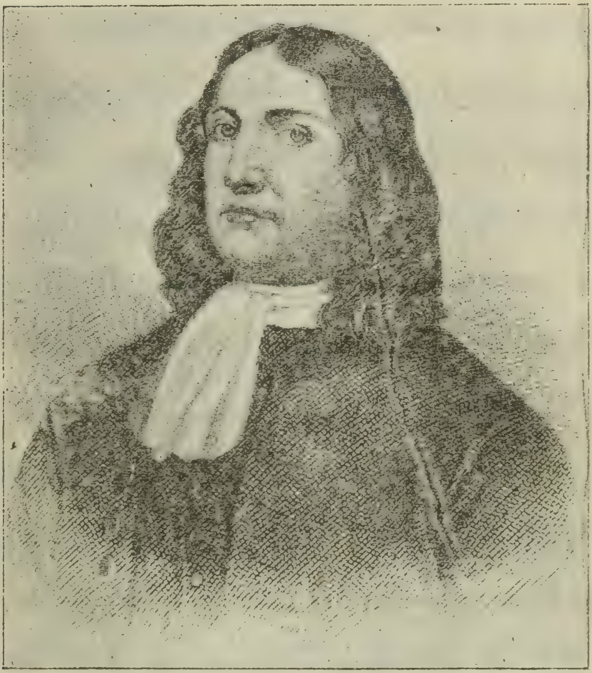
ولم يحدث لحسن الحظ ما يكدر جوالسلام في بنسلفانيا الى ان انفصلت دلاوير عنها عام ١٦٩١ فان المقاطعات الثلاث التي كانت لدوق اوف يورك وخلت تحت سلطة بن منذ قدومه الى العالم الجديد قد ابدى سكانها اشمئزازا من حكومة بنسلفانيا فطلبوا

الانسلاخ عنها فتم لهم ذلك ونعين عليهم نائب حاكم مستقل عن حاكم بنسلفانيا وجرى ذلك بعد خلع الملك جيمس الثاني

وكان وليم بن صديقاً لملوك عائلة ستوارت · وفي زمان الملك شارلس الثاني نال البراءة لاستعمار بنسلفانيا · فلما نزع الملك من العائلة المذكورة اظهر بن استياء من ذلك ومحبة لتلك العائلة واقرارا بالجميل وكان ينظر الى الملك وليم المتولي العرش والى امرأته الملكة ماري ببرودة فأتهم بالميل الى جيمس الثاني المخلوع والمنفي وقبضوا عليه غير مرة وسجنوه وفي سنة ١٦٩٢ انكروا عليه ملكيته لبنسلفانيا ونقل مركز حكومتها بامر من الملك الى بلدة فلتشر من ولاية نيويورك · وحل بدلاوير في السنة الثانية ما حل بها · فاضحت كل المقاطعات بين كنكتكيت وماريلاند تابعة في احكامها لفلتشر · وفي تلك الاونة ظهرت براءة بن مما اتهم به فأعيدت اليه حقوقه وجعل حاكماً على بنسلفانيا

وزار بن مستعمرته الاميركية ثانية عام ١٦٩٩ وكانت قد تحولت الى ولاية فوجد الانقسام ضاربا اطنابه والاضطرابات سائدة والشكوى من التواء الاحكام عامة فازال كل ذلك بحكمته ثم حور الدستور القديم والف اخر جعل فيه للشعب قوة اعظم من التي كانت له سابقا · غير ان دلاوير ابت قبول ذلك الدستور ودارت مشاحنات طويلة انتهت بانفصالها عن بنسلفانيا وذلك عام ١٧٠٢ ولكن حق ملكية بن كلتا المقاطعتين دام محفوظا وكان حاكما واحدا لكلتيهما

وفي شتاء سنة ١٧٠١ ودع وليم بن اصدقاءه الوداع الاخير وعاد الى انكلترا تاركا بنسلفانيا راتعة في بحبوحة النجاح والفلاح والسلام مخيم فوق ربوعها وقد بر بوعده الاول الذي فاه به عند اول عزمه على انشاء مستعمرة وهو قوله «سأنشئ مستعمرة حرة لكل بني البشر»



— (وليم بن) —

الفصل الرابع والعشرون

—(المستعمرات الجنوبية الصغرى)—

— (ماريلاند) —

كان الربان جان سمث اول من اكتشف بقاع خليج شاسبيك ٠وبعده ارسلت شركة لندن وليم كليبورن سنة ١٦٢١ لكي يرسم خريطة تلك الاماكن ٠وبموجب البراءة الثانية المعطاة لفرجينيا امتد حدها الشمالي الى الدرجة الحادية والاربعين فكان من ضمنها كل ولاية ماريلاند ودلاوير وقسم كبير من ولايتي بنسلفانيا ونيوجرزي فعظمت فرجينيا واتسع نطاق املاكها التي عانت مشقات عظيمة في سبيل السيادة عليها

وكان كليبورن المذكور عضوا من مجلس فرجينيا وناظر خارجية المستعمرة٠ وقد تناول امرا مؤكيا سنة ١٦٣١ يخوله حق اكتشاف مصدر خليج شاسبيك ومسح الاراضي حتى الى الدرجة ٤١ من العرض الشمالي وتسهيل طرق المعاملة والاتجار مع الهنود وان يكون هو المتسلط بين رفقته في تلك المهمة ٠وقد ثبت ذلك الامر هارفي حاكم فرجينيا فباشر كليبورن ما وكل اليه في السنة التالية وكلل عمله بالنجاح فاقام فرضة تجارية في كنت ايلند واخرى في راس الخليج وتبادل التجارة مع الوطنيين ٠ وكادت حدود فرجينيا تمتد الى نيوندرلاند غير انه حدث في انكلترا

ما اوجب تغيير حدود عدة ايالات في اميركا والحامل على ذلك الاضطهاد الديني الذي نتج عنه قيام ولاية جديدة في الفيافي المقفرة وقدرلجورج كالفرت من يوركشير ان يكون هو الموجد لها · ولد جورج المذكور سنة ١٥٨٠ وتخرج في جامعة اوكسفورد وهو جوالة كثير الاختبار وكاثوليكي غيور وظهير للانسانية قليل النظير وقد نال رتبة شرف وثم رتبة امير ايرلاندي ولقب لورد بلطيمور · ولكنه في سن الكهولة اعرض عن الالقاب والوظائف وتجرد لخدمة الانسانية ونصرة المضطهدين ابان كان سعير الاختلافات الدينية والاضطهادات العنيفة بين الكاثوليك والبروتستانت باشد الاتقاد في بلاد الانكليز

وكانت باكورة اعمال لورد بلطيمورفي اميركا انشاء مستعمرة كاثوليكية في نيوندرلاند فمنحه الملك جيمس الذي كان محبا للكاثوليك رخصة باستعمار القسم الجنوبي من تلك الجزيرة · فانشأ هناك ملجأ للكاثوليك المضطهدين وكان ذلك سنة ١٦٢٣ · غير ان ذلك المكان القاحل لم يكن صالحا لانشأ مستعمرة او مصانع او غيرها · وكانت السفن الافرنسية تسطو على سفن الصيد الانكليزية هناك ولاسباب جمة كان من الضروري جلأ المهاجرين عن الجزيرة · فوجه لورد بلطيمور نظره الى بقاع شاسيك الخصيبة النضرة

وقد زار فرجينيا عام ١٦٢٩ فرغب اليه مهاجروها ان يتجنس بجنسيتهم على شرط القسم بالطاعة والامانة لحكومتهم · فابى ذلك لان القسم مما لا يجوز للكاثوليكي الحقيقي تأديته وطلب اليهم تحوير منطوق القسم فأبوا · وقد كانوا على جانب وافر من الغباوة وعدم الدراية فكان الاولى بهم ان يحوروا القسم ويربحوا رجلا فاضلا كلورد بلطيمور الذي جعل ديدنه العمل بما فيه فلاح وسعادة بني جنسه سيما وان شركة لندن كانت قد انحلت وصار في وسع الملك ان يرخص لمن شاء ان يستعمر مستعمرة الارضي

السباخ في العالم الجديد . فلما راى بلطيمور ان لافائدة ترجى من وجوده بين اولئك الاقوام قفل راجعا الى لندن واستحصل رخصة موقعة من الملك شارلس الاول تخوله حق انشاء مهجر جديد في ضواحي خليج شاسبيك . ففرجينيا بعدم تساهلها مع لورد بلطيمور حافظت على ديانتها ولكنها خسرت ايالة من ايالاتها . وكانت حدود البقعة الممنوحة للورد بلطيمور ممتدة من الاوقيانوس والدرجة الاربعين من العرض الشمالي وخط مفروض من جنوبي تلك الدرجة الى الغرب الاقصى من مخرج نهر بوتوماك الى الخليج وخط اخر مفروض من مصب ذلك النهر الى الاوقيانوس الاتلانتيكي وذلك يتضمن كل ولاية ماريلاند ودلاوير حالا وقسما كبيرا من بنسلفانيا ونيوجرزي . ففي هذه الاماكن اراد لورد بلطيمور ان ينشئ « مدن ملجا » لبني ايمانه تكون ابوابها دوما مفتوحة لقبول ابناء المذاهب الاخرى حيث يتمتعون بالحرية الدينية والسياسية . والبراءة الممنوحة له كانت اكثر تساهلا من كل البراءات التي منحتها حكومة انكلترا حتى ذلك التاريخ . ومن مضمونها ان الديانة المسيحية تكون ديانة الولاية بدون تمييز بين مذهب واخر او تفضيل احد المذاهب على غيره وتكفل للسكان صيانة ارواحهم واملاكهم وتباح حرية التجارة للجميع وتمنع الضرائب الجائرة بتاتا ولم يبق لصاحب الملك اي لورد بلطيمور سوى امر تعيين الحكام لولايته واماسن الشرائع فوكل الى الرجال الاحرار في المستعمرة او نوابهم

وحدثت رزيئة مادت لها اركان تلك الامال وهي انه قبل ان تمهر البراءة بختم الحكومة الرسمي داهمت المنية السير جورج كالفرت اولورد بلطيمور فتحولت القابه واملاكه الى ابنه سسل وصدرت البراءة باسمه بدلا من صدورها باسم ابيه وذلك في ٢٢ حزيران سنة ١٦٣٢ واطلق على الايالة اسم ماريلاند اكراما لهنرياتا ماريا ابنة هنري الخامس ملك فرنسا وزوجة شارلس الاول ملك الانكليز . غير ان سسل المذكور لم

يتوفق الى ايجاد مهاجرين لمستعمرته الجديدة في البداية ولم يتم له ذلك حتى اواخر سنة ١٦٣٣ فهاجر اليها مئتا نفس اما هو فغير عزمه عن مرافقتهم وارسل معهم اخاه لنرد وعينه نائب حاكم على الايالة

فوصل اولئك المهاجرون الى مرفأ اولد بوينت كمفرت في شهر اذار · وكان كلفرت يحمل كتابا من الملك شارلس الى هارفي حاكم فرجينيا وبه يوصيه ان يرحب بالمهاجرين جديدا ففعل · غير ان المهاجرين القدماء كانوا ينظرون اليهم شزرا لتوهمهم انهم سيسلبونهم تجارة الفرو في وطنهم الجديد ثم سار لنرد بمن معه في الخليج ومخروا في نهر بتوماك وشططوا عند خور بسكاتوي تجاه مونت فرنن ونصبوا صليبا على جزيرة هناك · وكانت حيث قائمة قلعة واشنطن الان جزيرة للهنود فخرج سكانها لاستقبال القادمين حديثا الى ربوعهم وعقد الفريقان موتمرا هناك دار البحث فيه حول امور عديدة ·ومن جملة ماقاله رئيس الهنود للمستر لنرد بلهجة ملتبسة « لكم الخيار في الارتحال او النزول » اما لنرد فلم ترق له الاقامة هناك فارتحل بمن معه الى مكان آخر يبعد ١٥ ميلا عن الخليج · واجتازوا في تلك المسالك الضيقة مسافة نحو عشرة اميال فبلغوا الى بلدة للهنود كان اهلوها قد غلبوا بموقعة جرت بينهم وبين هنود سسكواهانا وكانوا على اهبة الرحيل من ذلك المكان وكان نصف البلدة خربا فالح الهنود على الانكليز ان يحتلوا اكواخهم الباقية ورحبوا بهم ترحيبا واعدين انهم في الربيع القادم يسلمون كل البلدة لهم ويرتحلون عنها فنزل المهاجرون هناك واطلقوا على اول مستعمرة في ماريلاند اسم سانت ماري وعلى النهر اسم سانت جورج

ولقد احسن كلفرت معاملة الهنود فنال محبتهم واتقى شرهم وضرهم بل انهم ساعدوه في اشياء كثيرة وبات الانكليز ناعمي البال ·وقد تحققت اماني جورج كلفرت وانشئت المستعمرة التي تاق الى ايجادها · وعرجت جالية سانت ماري في

مراقي العمران والفلاح وبلغت درجة لم تدركها جالية جيمس تون بمدة سنين عديدة وفاقتها في اطلاق الحرية الدينية والسياسية للجميع

وكان كليبورن قد سبق وانشأ مهجرافي كانت ايلندفانكر على كلفرت حق التملك وحدثت بين نزلاء المهجرين حرب طلت فيها الدماء وزهقت الارواح وانتهت بفوز كلفرت ورسوخ قدمه في الايالة ٠ اما كليبورن ففر الى فرجينيا فطلبته منها حكومة سانت ماري فابت تسليمه وارسلته الى لندن اما حكومة سانت ماري فاجرت محاكمته واصدرت عليه حكما غيابيا بانه مجرم بالقتل وغيره من الكبائر وصادرت املاكه ٠ فاحتج هو في لندن عن نفسه مبررا ذاته مما نسب اليه فحاكموه امام البـارلمانت فظهرت ارتكاباته وحكم عليه ٠ ولكن بما ان مهمته كانت متعلقة بشركة لندن وكانت هذه قد انحلت فلهذا لم تعد له علاقة بالمهجر ٠ وقد ثبت البارلمانت براءة لورد بلطيمور واقيمت في سانت ماري حكومة ديموقراطية اشترك في ادارتها نواب عن الشعب

واشتعلت في قلوب هنود ماريلاند وهنود فرجينيا نار الحسد والبغضاء للاجانب وبلغهم اخبار نشوب الثورة في بلاد الانكليز فنشطوا هم للعمل معا على طرد الغرباء من ديارهم فشهروا عليهم حربا سنة ١٦٤٢ دامت سنتين وثاب بعد ذلك الى الهنود رشدهم فطلبوا تجديد العهد مع البيض الذين ما كادوا يستريحون من العدو الاحمر حتى وافاهم عدوه م الالد وليم كليبورن طالبا الانتقام ٠ وكان الملك الانكليزي وقتئذ مشتبكا بحرب اهلية مع رعاياه فلم يستطع اغاثة احد من ذوي الاملاك في اميركا ٠ فانتهز كليبورن تلك الفرصة وجاء الى اميركا رافعا علم الثورة ٠ وشرع ينفث بين المهاجرين سموم التذمر من الحكومة والشكوى من الحكام ونحو ذلك من مسببات الاضطراب والخصام ٠ ولما كان الشر لا يعدم ظهيرا في كل زمان ومكان فقد وجد كليبورن من ينضم تحت رايته ويجيب دعوته فاجتمع لديه نفر من الثوار تولى هو

قيادتهم وشرعوا يعيثون ويخربون فقلبوا لحكومة كالفرت ظهر المجن واضطروا احاكم الى الفرار والهزيمة تخلصا من تجرع كاس الحمام فاحتمى عند السير وليم بار كلي في فرجينيا فلج كليبورن وزمرته في طغيانهم وعاثوا في المستعمرة فسادا ٠ فاخربوا كل ما قدروا على خرابه وضربوا بالنظام عرض الحائط فسادت الفوضى وعم البلا مده تزيد عن السنة ٠وفي غضون تلك المدة استجمع كالفرت قوته وعاد الى ايالته فخضد شوكة الثائرين واستعاد سلطته وكان ذلك سنة ١٦٤٦ ومما يذكر له بالشكر اصداره عفوا عاما عن الذين اشتركوا بتلك الثورة

وسن مجلس الايالة سنه ١٦٤٩ شريعة تنهى عن اضطهاد احد بسبب مذهبه داخل حدودها تحت طائلة العقاب الشديد ٠ واكثر من ذلك انهم منعوا بتاتا نعت احد بمذهبه كأن يقال جان الكاثوليكي او جيمس البروتستاني هذا بينما كانت مساتشوستس مواصلة السعي لجعل مذهب البيورتان الرسمي فيها وجيمس تون في جعل المذهب الانكليكاني الرسمي في فرجينيا ٠ واما ماريلاند فاتحدت مع رود ايلند وكنكتكيت واطلقت كلها الحرية المذهبية ٠ واذ كان الابروتستانت يضطهدون بعضهم بعضا في بعض الاماكن كان المضطهدون يفرون الى مستعمرة شاسبيك الكاثوليكية فيجدون امنا وملجا ووطنا

وجرت في ماريلاند حرب اهلية واضطرابات متنوعة لاحاجة بنالاستيفائها ٠ اخصها تكاثر البروتستانت ومحاولتهم اهتضام حقوق الكاثوليك وتعاقب عدة حكام على المستعمرة الى غير ذلك مما يطول شرحه وليس له كبيراهمية

وادركت المنية سسل كلفرت سنة ١٦٧٥ فورث القابه واملاكه ابنه شارلس ٠ وتولى رئاسةالاحكام في ماريلاند كصاحب الملك مدة ست عشرة سنة ٠ولم يحدث في زمان حكمه ما يكدر صفاء السلام حتى وردت من انكلترا اخبار تنازل الملك

جيمس الثاني فاشاع اعداء لورد بلطيمور عنه بانه ابى الاعترا فبسلطة الملكين الجديدين وليم وماري وبان الهنود متفقون مع الكاثوليك على ابادة البروتستانت من ماريلاند بمجزرة عامة يقوم بها الفريقان وان تلك الاخبار الا اراجيف ملفقة ولكنها وجدت قلوبا واعية صدقتها كحقائق راهنة فتألف على الاثر حزب قوي ضد الكاثوليك حتى اضطروهم سنة١٦٨٩ الى الانسحاب من ادارة الاحكام وانفرد البروتستانت في الحكم مدة سنتين

وسنة ١٦٩١ الغى الملك وليم براءة لورد بالطيمور وارسل من قبله حاكما الى ماريلاند فدرست شرائعها القديمة النزيهة والعادلة وتبدلت بغيرها كان من مقتضياتها جعل كنيسة الانكليكان الرسمية في ماريلاند يقوم بنفقاتها الاهلون بضرائب خاصة تفرض عليهم . وعاد الاضطهاد الديني الى ماريلاند بعد امحاق غسقه بشمس عدالة شرائعها ودام الحال كذلك الى سنة ١٧١٥ اذاعادت الملكة حنه حقوق لورد بالطيمور الى ورثته فعادت ماريلاند الى ما كانت عليه قبلا وساد العدل والمساواة في ارجائها الى زمان الثورة

الفصل الخامس والعشرون

ـ(نورث كارولينا)ـ

اول من حاول استعمار نورث كارولينا السير وليم رولي · ففي عام ١٦٣٠ وهب الملك شارلس للسير روبرت هيث كل البقعة الواقعة بين الدرجة ٣٠ و٣٦ من العرض الجنوبي غير ان هيث المذكور وخلفه لورد ملترافرس اخفقا سعيا في محاولتهما انشاء مستعمرة فيها · وتقضت ثلاث وثلاثون سنة على تلك الهبة بدون ان تعمر تلك الارض فاسترد الملك الانكليزي هبته ولم ينل اللورد روبرت منها سوى اطلاق اسم كارولينا على تلك الاصقاع وهذا الاسم اطلقه عليها جان ريبولت سنة ١٥٦٢

ان المستربوري ناظر فرجينيا كان قد راد تلك البقعة سنة ١٦٢٢ وتقدم جنوباً حتى الى نهر شوان · وبعد ذلك بعشرين سنة طلبت جماعة من رجال فرجينيا من حكومتها اذنا باستكشاف الاراضي في اسفل رونوك قصد الاتجار مع الوطنيين فتم انشاء اول مهجر بقرب مصدر نهر شوان عام ١٦٥١ وجاء الى تلك الاصقاع بعد ذلك كليبورن من ماريلاند · وسنة ١٦٦١ جاءت جماعة من البيورتان من نيوانكلند وعبرت نهر كايب فير وابتاعت ارضا من الهنود وانشأت مستعمرة في اولد تون كرك التي تبعد نحو مايتين ميل جنوبا عن سائر المستعمرات الانكليزية · وسنة ١٦٦٣ منح شارلس الثاني الى لورد كلاريندن وللجنرال مونك ولستة اشراف اخرين كل البقعة الواقعة بين الدرجة ٣٦ من العرض الجنوبي ونهر سانت جان في فلوردا · ومنذ ذلك الزمن

يبتدئ تاريخ نورث كارولينا الرسمي ٠وفي السنة عينها انشأت جالية نهر شوان حكومة وتعين وليم درموند حاكما ٠وسنة ١٦٦٥ علم بان ذلك المهجر شمالي الدرجة السادسة والثلثين اي خارج حدود الايالة فلسد ذلك الخلل وسع نطاق الهبة الى الدرجة ٣٦والدقيقة ٣٠ اي الى حدود فرجينيا حالا ٠ وغربا الى الاوقيانوس الباسيفيكي ٠ وفي تلك السنة ايضا فرق شمل الجالية في نهر كايب فير ٠وما كاد ذلك يتم حتى ابتاعت جماعة من بربادوس ذلك المهجر نفسه ومساحة ٣٢ ميلا حوله وانشاوا مستعمرة هناك واقيم السير جان يمانز حاكما عليها ٠ وسهلوا طريق المهاجرة الى مستعمرتهم فما انقضت السنة الاولى على تأسيسها حتى ناف عدد مهاجريها عن الثمانماية ٠

ووكل ذوو الاملاك في انكلترا امر تنظيم شرائع ايالتهم للسير اشلي كوبر ارل شافتسبري وكانوا على يقين بان عدد المهاجرين سيزداد يوما فيوما ٠وقد شارك كوبر في ذلك العمل الفيلسوف جان لوك ٠ وبعد عناء جزيل اتما العمل ٠فكان الدستور الجديد يحتوي على ماية وعشرين بندا وموقعا رسميا وكان بمثابة قاعدة يبنى عليه ما يقتضي من الشرائع بموجب ظروف الحال ٠ بيد انه لم يكن مناسبا لحالة اولئك المهاجرين المساكين الذين كانوا عائشين في غاية البساطة ٠ولم يكن مايدعو الى وجود القاب لورد وماركيز وارل الخ حسب منطوق ذلك الدستور ٠ واذ كانت مساحة كارولينا كبيرة جدا قسمت الى قسمين مساحة كل منهما اربعماية وثمانون الف فدان

اما المهاجرون فلم يرق لهم ذلك النظام الارستوقراطي وما عتموا ان تعلموا كيف يحكمون انفسهم نظير بقية اخوتهم في المهاجر الاخرى ٠ فازدروا بالالقاب واحتقروا المستمسكين باهداب الشرف الموروث ٠ وشعروا بان البشر كلهم مخلوقون من طينة واحدة فلا تفوق ولا تفاضل الا بالعلم الراسخ والادب الصحيح ٠ وبعد مرور

عشرين سنة على ذلك الدستور وجده الملاكون عديم الجدوى وان تأسيس امبراطورية في كارولينا امر عسير للغاية

والقسم الذي احتله المهاجرون اولا من مقاطعة كارولينا واطلقوا عليه اسم مقاطعة كلارندن كان قاحلا وكانت تجارة الفرو فيه رابحة الى حين · فلما قلت مواردها شرعوا يرتحلون من هناك الى مهاجر اخرى ·وسنة ١٦٧١ نقل الحاكم سيما نزسيمانز الى المستعمرة التي انشئت في السنة الغابرة على نهر اشلي ·ولم تجيء سنة ١٧٩٠ حتى عاد المهجر الاول اي مقاطعة كلارندن الى الهنود لخلوه من البيض · وكان مهاجرو البرمارل اكثر نجاحا من الاولين غير ان سوء الادارة في الاحكام اوقف سير نجاحهم

وكان الملاكون يرغبون في اقامة صهوة مجدهم وفخفختهم في تلك الايالة الضعيفة فوضعوا على تجارتها القليلة ضرائب باهظة · وكان عدد كل سكان كارولينا لا يتجاوز الاربعة الاف ومع هذا فقد بلغ الداخل من تجارتهم مع نيوانكلند وحدها الى صندوق الحكومة (الملاكين)اثني عشر الف دولار كل سنة· وقد هاجر كثيرون من فرجينيا الى مستعمرة نهر شوان فالقوا بين الاهلين بذار حب الاستقلال والحكم الذاتي · فلم تأتي سنة ١٦٧٦ حتى هب الاهلون ثائرين على الحكومة والملاكين وطالبين التمتع بحقوقهم المهضومة

ورست في المرفأ سفينة تجارية ابى ربانها دفع التعريفة المفروضة فاحتسبت الحكومة وسقها مهربا فاهاج ذلك الاهلين · فقبضوا على الحاكم وستة من اعوانه ونادوا بسقوط الحكومة السابقة واقاموا هم حكومة لذواتهم وانتخبوا جان كليبر زعيم الثورة حاكما ·كما انهم انتخبوا غيره لوظائف مختلفة ·وقد تنظمت الحكومة الجديدة بمدة اسابيع قليلة وتنوسي امر الحكومة السابقة كانها لم توجد قط · على انه في سنة

١٦٧٩ تمكن ملر ورفقاؤه من الهرب من سجنهم فابحروا الى لندن وقصوا فيها خبر ما جرى لهم · فاستاء من ذلك كبار رجال الانكليز وقالوا ان نورث كارولينا تستحق اشد العقاب

ولقد كان الاهلون ساهرين على مصلحتهم · فذهب الحاكم كليبر بكل عزم ثابت الى لندن ليدافع عن حياضه ويبرر ذاته ورفقته في الثورة مما عزي اليهم · فلما بلغ الى لندن قبض عليه بدعوى الخيانة الوطنية من الدرجة الاولى ولكن في المحاكمة برئت ساحته واطلق سبيله ·ومما يليق ذكره هو ان ارل شافتسبري نهض ابان المحاكمة ودافع عن السجين · بخلاف لورد كلارندن فانه تميز غيظا من الافراج عنه ولشدة حنقه باع املاكه نسث سوثل الذميم · وهذا بمساعي اصدقاء له على شاكلته ارسل سنة ١٦٨٠ حاكما لكارولينا · وبينما هو ماخر في الاوقيانوس قبض القرصان عليه فنجت الايالة من شر وجوده فيها مدة ثلاث سنوات ·وفي سنة ١٦٨٣ وصل اليها وباشر مهام وظيفته صارفا اهتمامه الى الضغط على الاهلين وتأييد سلطة السادة ذوي الاملاك وهو شر حاكم قذفت به انكلترا الى العالم الجديد · ولما تفاقمت شروره وعظمت مساوءه ولم يعد يمكنه الاستتار خشي سوء العقبى اذا حوكم في انكلترا فطلب ان تجري محاكمته في كارولينا فحوكم وحكم عليه بالاسقاط من حقوقه المدنية وبالنفي من نورث كارولينا مدة ١٢ سنة

وخلفه في الولاية المستر لدول فوصل الى مقر وظيفته سنة ١٦٨٩ ودام حكمه مدة ست سنوات كانت كلها ايام سلام وفلاح · فاصلح ما استطاع اصلاحه مما اخربه سلفه ·وقد خلفه حكام اخرون عديدون اضربنا عن ذكرهم حبا بالاختصار ·غير ان احدهم المدعو روبرت دانيال حاول سنة ١٧٠٤ ان يؤيد سلطة كنيسة انكلترا في الايالة التي شرعت تزداد اتساعا وعمرانا وامها كثيرون من فرجينيا وماريلاند وجماعة

من كويكر نيوانكلند ودلاوير وسنة ١٧٠٧ جاءت ايضا جماعة من شيعة الهوغنوتس الافرنسيين ومائة عائلة جرمانية ايضا كانت سئمت الحروب والاضطهادات في وطنها فغادرت ضفاف الرين وهاجر اليها غيرهم من سويسرا وغيرها · واخذ الهنود ينزحون عنها والاروبيون يحلون محلهم ويأخذون املاكهم اما شراء او اغتصابا · وكان الهنود يرغبون في الانتقام ولكنهم كانوا ضعفاء ولا قبل لهم على ذلك · واخيرا اشتبكوا مع البيض بحرب سنة ١٧١١ كانت نتيجتها وبالا عليهم

وتفصيل الخبر هو انه في شهر ايلول من تلك السنة سار المستر لوسن المهندس العام في نورث كارولينا في نهر نيوس لكي يرود الاراضي على ضفافه ويرسم خريطة بها · فلما رآه الهنود ذعروا لظنهم انه آتٍ لاغتصاب املاكهم فقبضوا عليه كاسير واوقفوه امام مجلسهم فحكم عليه بالاعدام ومن ثم احرقوه وتفرقوا عصابات وهاجموا البيض هنا وهناك على حين غرة فقتلوا منهم ١٣٠ نفسا · فهاج لذلك الاروبيون وهاجموا الهنود فقتلوا منهم عشرات ومئات · واخيرا التأم الهنود بمجلس شورى فاختلفت اراؤهم وتباينت منازعهم ثم انقسموا الى قسمين · حزب يطلب السلام واخر مداومة القتال وانتهى الامر بافتراق الجانبين · فاتباع الحزب الاول سمح لهم بالاقامة في مقاطعة (كونتي) هيد اما اشياع الحزب المضاد فلما يئسوا من الفوز بما يريدون هاجروا الى اماكن اخرى · وهكذا بقيت كارولينا تحت سلطة حاكم واحد الى سنة ١٧٢٩ اذ قسمت الى نورث وسوث كارولينا وتعين على كل قسم حاكما ملوكيا · فكان نجاح الاولى اكثر من نجاح الثانية على رغم ما اعترض تقدمها من المثبطات وقام في سبيلها من العقبات اخصها مهاجمة الاسبانيين اياها سنة ١٧٤٤ · ولم يتقدم اهلوها ادبيا على نفس القياس الذي تقدموا فيه ماديا واستعماريا · اما مسألة المذاهب فلم يكن لها نفس الشأن كما في المستعمرات الاخرى فلم يوجد قسيس في نورث كارولينا حتى سنة

١٧٠٣ واول كنيسة فيها سنة ١٧٢٢ ٠واول مطبعة وجدت فيها سنة ١٧٥٤ ٠ وكان الاهلون اشداء محبين لوطنهم وشديدي الاعجاب ببلادهم التي دعوها « ارض الصيف » وكانت الحرية منتشرة في ربوعها اي انتشار حتى صار يضرب بها المثل ومما يروى عن شعب نورث كارولينا قولهم في زمن الحاكم سوثل «لا نعطي جزية حتى ولا لقيصر»

الفصل السادس والعشرون

— (سوث كارولينا) —

في سنة ١٦٧٠ ارسل اصحاب كارولينا اليها عددا من المهاجرين بزعامة جوزف وست ووليم سايل ٠ولم تكن حتى ذلك التاريخ مستعمرة اوربية في كل الاراضي الواقعة بين نهري كايب وسانت فير وسانت جان في فلوردا ومساحتها تزيد عن الاربعماية ميل وكلها خصيبة ٠ فوصلت السفن التي تقل المهاجرين المذكورين اولا الى مرفا بورت رويال وكان ذلك بعد مرور ١٨٠ سنة على مجيء جان ريبولت الى ذلك المرفا واقامته حجرا نقش عليه شعار دولة فرنسا

ورست السفن المذكورة قرب موقع بيوفريت حالا ٠فلم يرق للمهاجرين منظر تلك الارض فأبوا النزول الى اليابسة فاقلعت بهم السفن وسارت شمالا مسافة اربعين ميلا على محاذاة الشاطىء ودخلت نهر اشلي فنزل من فيها في الارض المرتفعة على ضفته

الجنوبية ووضعوا هناك اساس مدينة شارلستون ودعوها كذلك اكراما لملكهم شارلس الثاني ٠ولم يبق حتى الان من اثار تلك المدينة وهي اقدم مدن سوث كارولينا سوى خط الخنادق التي حفروها حول الحصن ٠ اما المكان الذي احتله المهاجرون الاولون فيزرع فيه الان نبات القطن

وتعين المستر سايل حاكما والمستر وست معتمدا تجاريا للمستعمرة ٠ ونقل المهاجرون معهم نسخة من الدستور الذي سنه لوك كما مر ولكنهم لم يكونوا بحاجة اليه فاقاموا حكومة تناسب حالتهم وظروفهم ٠ وكان عدد اعضاء المجلس الذي يعاون الحاكم في الادارة عشرة ينتخب الشعب خمسة منهم والخمسة الاخرون ينتخبهم الملاكون ٠ولم تمر سنتان حتى صارت عندهم حكومة منظمة ولم يحدث ما يكدر صفاء عيشهم سوى بعض الامراض التي يكثر انتشارها في الاقاليم الجنوبية

وادركت المنية الحاكم سيل سنة ١٦٧١ فانتخب بالاجماع وست مكانه فتولى الحكم الى ان تعين السير جان يمانز حاكم نورث كارولينا سابقا حاكما لسوث كارولينا وقد كان آنئذ حاكما في احدى مقاطعات افريقيا فلما حضر جلب معه سفينة ملآى من زنوجها ٠ وعمل المهاجرون بالفلاحة والزراعة غير ان حرارة ذلك الاقليم التي لم يعتدها الانكليز حالت دون مثابرتهم على العمل بخلاف الزنوج المعتادين على الحرارة والذي كان صيف كارولينا الحار لهم كالربيع لسكان الاقاليم المعتدلة فاستخدمهم البيض للعمل ابان اشتداد الحر ٠وبعد مضي سنتين على تأسيس شارلستون اصبح الاسترقاق عادة مألوفة في كارولينا فوفر عدد الزنوج فيها حتى فاقوا البيض بنسبة اثنين الى واحد

وكثرت مهاجرة الانكليز ايضا لان الملاكين سهلوا الطريق لذلك بترخيصهم ضمان الارض وجعلهم مساحة ١٥٠ فدانا جائزة من يهاجر او يحضر زنجيا الى كارولينا

فوفر بذلك عدد المهاجرين وزادت المستعمرة فلاحا ونموا ٠وفي نحو ذلك الوقت سلبت انكلترا هولاندا مستعمرة نيوندرلاند وسكانها لم يستطيعوا احتمال احكام دوق اوف يورك الجائرة فهموا بالرحيل عنها ٠ فاغتنم اصحاب كارولينا الفرصة وارسلوا سفنهم الى نيويورك لنقلهم وامتعتهم الى كارولينا فربحوا بذلك عددا من الرجال ذوي الصنائع المفيدة ٠ وقسموا بين من هاجر من الهولانديين الاراضي الواقعة في غربي نهر اشلي وكانت خالية من السكان واطلقوا على مكان احتلالهم اسم جيمس تون ٠ وسمعت في هولاندا الاخبار عن خصب الارض في كارولينا وعن راحة وفلاح اخوانهم فيها فامها كثيرون وانضموا الى جالية جيمس تـون ٠وكان شارلس الثاني راغبا في انماء المستعمرة فجمع عددا وافرا من البروتستانت المضطهدين في جنوبي اوروبا وارسلهم الى كارولينا للاعتناء بتربية دود الحرير وغرس الكرمة فيها

———

وسنة ١٦٨٠ اسست المدينة الكبرى في سوث كارولينا٠ فان موقع شارلستون كان قد انتقي بتسرع وبدون روية ٠اما الان وقد استتبت الراحة فاختاروا شبه الجزيرة المدعوة اويستر بوينت وهو مكان جميل للغاية واقع بين نهري اشلي وكوبر لبناء المدينة فيه ودعوا المدينة الجديدة شارلستون ايضا وجعلوها عاصمة الايالة واخذت تنمو بسرعة فائقة ورست السفن في مرفأها تنقل منها واليها اشياء مختلفة

وهب الهنود للقتال بسبب بغي وجور الاوربيين عليهم فحدث ان بعض الهنود اجتازوا بين مزروعات الاوربيين فاغتاظ هولاء منهم ورموهم برصاص بنـادقهم فاردوهم حتفهم فرفع ذووهم الامر الى الحكومة وقد اظهر اصحاب كارولينا رغبة في مجازاة القتلة غير ان الاهلين (البيض) ابوا ذلك واظهروا استعدادهم للحرب ٠ ولم يكن الهنود اقل منهم رغبة فيها انتقاما واخذا بثار اخوتهم ٠ فنشب القتال بين الفريقين

واتى البيض عملاً في تلك الحرب سود تاريخ مهجرهم وذلك انهم لم يعمدوا قتل الهنود وابادتهم بل امسكوهم احياء واسروهم وجعلوا جائزة معينة لمن يمسك هنديا وبحال امساكهم كانوا يبيعونهم ارقاء الى وست انديز · ودامت تلك الحالة المحزنة مدة سنة · وبعد ذلك ابرمت بين الفريقين معاهدة سلم · وتعينت لجنة للفحص عن الاختلافات بين الجانبين والحكم فيها وتسويتها

وامتازت مستعمرة سوث كارولينا بوفرة عدد المهاجرين اليها وهم ذوو لياقة لتأسيس ولاية عظيمة ومنحت لهم الاراضي الواقعة بين نهري كايب وسافانا ·

وداومت انكلترا ارسال مهاجرين منها الى تلك الاصقاع · وسنة ١٦٨٣ اوقف المستر جوزف بليك اخو الاميرال بليك الشهير كل ثروته وما تبقى من حياته على الاهتمام بنقل عدد كبير من البروتستانت من سومر ستشير الى شارلستن · وفي تلك السنة عينها نزل على ضفاف نهر اشلي مهاجرون ايرلانديون بزعامة فرغسن فقوبلوا بالترحاب وفي السنة التالية جاء الى بورت رويال مهاجرون من شيعة البرزياتير يسان من اسكوتلندا برئاسة لورد كاردروس فنزلوا هم ايضا على الرحب والسعة وادعت حكومة شارلستن السيادة على بورت رويال فقابل المهاجرون مدعاها بالخضوع التام وبعد ذلك بسنتين جاءت ثلة من الجنود الاسبانية من سانت اوغسطين وطردت اولئك الاسكوتلنديين المساكين من بيوتهم وقد تخلت فرنسا عن رعاياها اكثر من كل مملكة اخرى اوربية

فان هنري الرابع ملك فرنسا كان قد اصدر سنة ١٥٨٩ المنشور الشهير المعروف بفرمان نانتس الذي فيه يمنح حرية الاعتقاد والعبادة لشعبه الهوغنوتس · وبعد مضي مضي ٧٨ سنة على ذلك المنشور جلس على عرش فرنسا لويس الرابع عشر المشهور بتعصبه المذهبي وبرغبته في تعميم المذهب البابوي · فنقض ذلك المنشور القاضي

يمنح الحرية للابروتستانت في مملكته وسامهم فريسة لا عدائهم الذين طالما حنوا الى الفتك بهم ·ولكي ينفذ امره المذكور وزع الجنود كتائب في المدن والقرى القاطن فيها الابروتستانت ومنع مهاجرتهم بتاتا واغلق سائر المرافىء في وجوههم وقام خفرا على الحدود لصدهم عن الهرب اذا تجراوا عليه ولكن على رغم كل تلك الاحتياطات والحواجز قد هاجر من فرنسا الى البلاد الاجنبية خمساية الف نسمة من نخبة سكانها ·وانتشر الهوغنوتس في اوربا من بحر البلطيك الى راس الرجاء الصالح وفي القارة الغربية من ماين الى فلوردا ·واستقر من الابروتستانت الفرنساويين في سوث كارولينا اكثر مما في غيرها من كل المهاجر الاوربية فتلقاهم شعبها بالترحاب وضمنوا لهم الحماية وحق الجنسية غير انهم لم يتموا احد العهدين فورا لان شريعة التجنس لم تكن قد سنت بعد وكان الملاكون على خلاف مع المجلس من جهتها لان كلا ادعى الحق بسنها ·وقد بقي الهوغنوتس حتى وضع تلك الشريعة يسامون خسفا حينا بعد اخر من مجاوريهم الانكليز وليس لذلك من سبب سوى الحسد الذميم ودام الحال كذلك الى سنة ١٦٩٧ اذ تمتعوا بنفس الحقوق التي للانكليز

وعام ١٦٨٦ جاء جيمس كولتن حاكما · واول عمل باشره محاولته جعل الدستور العقيم الذي سنه لوك وشافتسبري كما مر شريعة البلاد · فنفر الاهلون منه ومن حكمه وناهضوه ·ولما حان اوان دفع الرسوم الدولية ابوا تأديتها واصبحت الايالة في حالة الفوضى فخشي كولتن سوء العقبى واراد تحويل افكار الشعب عنه ·فوزع منشورا في الايالة مضمونه تنبيه شعبها الى الخطر المحدق بهم وهو مهاجمة الهنود والاسبان لهم · فنتج عن ذلك الانذار حشد الجنود واشهار الحكم العرفي ·غير ان ذلك التمويه لم تطل مدته فانتبه القوم للحيلة وعادوا الى مناهضة الحاكم · وفي تلك الاونة بلغهم خبر خلع الملك جيمس الثاني عن عرش انكلترا واعادة وليم

وماري اليه وسنة ١٦٩٠ عزل الحاكم كولتن من منصبه وتولى بعده سث سوثال حاكم نورث كارولينا السابق ولم تطل مـدة حكمـه حتى نزع الشعب الى طلب الاستقلال والتملص من الشرائع الملوكية التي لا تصلح نظاما لشعب اشبع روح الديموقراطية وجرى في عروقه دم الحرية · وجرت اضطرابات كثيرة بين الشعب والملاكين انتهت بفوز الاولين والغاء الشرائع القديمة وسن اخرى اكثر موافقـة لاحوالهم · وتوالى على سوث كارولينا حكام عديدون لم يجرِ في ايامهم ما هو خليق بالذكر وقد اطلقت حرية المذاهب وساد السلام والامن في انحاء الايالة

وتولى الحكم بعد ذلك جيمس مور الذي كانت باكورة اعماله شهر الحروب على الجالية الاسبانية في سانت اوغسطين ابان كان حرب الملكة حنه قد اتقد سعيرها وكانت فرنسا ضد انكلترا التي بسبب خلافها مع اسبانيا دارت رحى الحرب بين نزالة سوث كارولينا ونزالة فلوردا · على ان مجلس شارلستن لم يكن راغبا في تلك الحرب وانما اكره على خوض غمارها فهجموا على الاسبانيين براوبحرا ولكنهم لم ينالوا منهم مأربا وتكبدت حكومة سوث كارولينا مصارفات جمة في تلك الحملة ففرغت خزينتها من النقود واضطرت الى اصدار قراطيس مالية بمبلغ ستة الاف ليرة انكليزية

وزينت الكبرياء للحاكم مور ان يستعيض عن فشله في تلك الحملـة بشيء اخر فعمد الى غزو قبائل الهنود في الجنوب الشرقي من سفانا فبارح ايالتـه في كانون الاول سنة ١٧٠٥ يصحبه خمسون متطوعا من الهنود المخلصين له ولم تطأ قدم احد من البيض تلك الاحراج منذ عهد دي سوتو · وبلغ اولئك الغزاة في رابع عشر ذلك الشهر الى بلدة يافالا فهاجموها واحرقوا الكنيسة فخرج احد رهابين الفرنسكان وطلب من الغزاة الرافة فصموا اذانهم وداوموا الهجوم واخيرا اسروا ما ينيف عن المائتي

شخص واخذوهم ارقاء وفي اليوم التالي التقى مور ورجاله شرذمة من الهنود والاسبان فنازلوهم وكان النصر حليف الانكليز الذين استولوا على خمس مدن مهمة ورفعوا راية الانكليز بكل افتخار فوق خليج المكسيك · وانقطعت كل مخابرة بين الجالية الاسبانية في فلوردا وبين النزالة الافرنسية في لوزيانا

وفي تلك الاثناء جعلت كنيسة انكلترا الرسمية في سوث كارولينا بموجب شريعة صريحة بذلك لان غالب اعضاء المجلس آنئذ كانوا من اعضاء تلك الكنيسة فسنوا تلك الشريعة · فاعترض الذين ليسوا من اعضائها على ذلك ورفعوا احتجاجهم الى الملاكين في انكلترا فلم يعيروهم اصغاء فرفعوه الى البارلمانت فنظر فيه وقرر ان شريعة كتلك مخالفة لنظام انكلترا وان الملاكين تجاوزوا حدودهم المعينة وعلى قرار البارلمانت هذا الغيت تلك الشريعة التي لا مسوغ لها سوى التعصب الوخيم الذي ينسبونه للشرقيين وهو معشش وبائض في كل مملكة من ممالك اوروبا كما يشهد التاريخ الصحيح

وكانت سنة ١٧٠٦ سنة اضطراب في تاريخ سوث كارولينا · وذلك لان اسطولا فرنساويا واخر اسبانيا ارسلا من هافانا لاحتلال شارلستن والاستيلاء على الايالة · فلما سمع شعب شارلستن ذلك تسلحوا وتأهبوا للدفاع · وكان الحاكم جونسون والكولونيل وليم يضرمان فيهم نار الحماسة والنخوة · فما وصلت سفن العدو حتى كانت المدينة على اتم استعداد وقد حاول الغزاة مرارا انزال جيش الى المدينة فلم يفلحوا · واخيرا تم لاحدى السفن الافرنسية انزال ثمانماية جندي الى اليابسة فهجم عليهم الانكليز بكل بسالة واضطروهم الى العودة الى السفينة بعد ان خسروهم ثلاثماية رجل بين قتيل واسير فارغمت سفن الاعداء على رفع الحصار والعودة بالخيبة الى حيث اتت · وقد تفردت سوث كارولينا بذلك الدفاع الشريف بدون مساعدة اصحابها

في انكترا

وسنة ١٧١٥ ثارت قبيلة ياما سيز على نزلاء سوث كارولينا وقتلوا منهم كثيرين فانتقم منهم الحاكم كارفن شر انتقام حتى اضطرهم الى اخلاء اراضيهم والهرب منها الى جهات فلوردا . حيث انضموا الى الاسبانيين وحالفوهم

وعام ١٧١٩ حدثت ثورة اهلية كانت نتيجتها حصر سلطة اصحاب الاملاك ضمن منطقة ضيقة فقد كان الملاكون متصلفين ولا هم لهم سوى استيفاء الضرائب من الاهلين وقد احجموا عن مساعدتهم في نفقات الحرب التي جرت دفاعا عن المستعمرة . وكان كل ماقرر المجلس شيئا فيه فائدة للاهلين الغاه الملاكون الى ان فرغ صبر الشعب وابوا ان يبيتوا على الضيم فنهضوا معا وقلبوا للملاكين ظهر المجن وانتخبوا لهم حاكما وسلموه الحكم باسم الملك جورج الاول ورفعوا شكواهم للبارلمانت فحكم لهم وايد مطالبهم . فالغيت بذلك براءة ذوي الاملاك الذين كان عددهم وقتئذ ثمانية . فباع سبعة منهم املاكهم في كارولينا من الملك جورج واما الثامن وهو لورد كارتريت فتخلى عن حقه في ادارة الاحكام وسن الشرائع ولكنه حافظ على املاكه . فعين الملك من قبله حاكما وتوطدت شرائع المستعمرة على اسس متينة والذين استعمروا كارولينا كانوا ذوي شجاعة واقدام ومحبة للعمل وهم من خيرة شعوب اوروبا

الفصل الرابع والعشرون

— (جيورجيا) —

ان جيورجيا هي المستعمرة الثالثة عشرة من مستعمرات اميركا الشمالية وقد انشئت على اسس الاحسان ومحبة عمل الخير · فقد كانت شريعة انكلترا تقضي بسجن المديون · وكان كثيرون من العملة المساكين ومن الفقراء الذين اخنى الدهر عليهم مديونين للاغنياء · فكان يقبض عليهم بالعشرات والمئات ويزجون في ظلمات السجون فتمسي عيالهم بحالة يرثى لها ويبكى عليها · فعلت الاصوات بالشكوى من تلك الحالة المحزنة حتى بلغت مسامع البارلمانت فاهتم لها · واذا احد الاشراف طلب ان يعين مفوضا لزيارة السجون في المملكة والنظر في امر اطلاق سراح المسجونين الذين لم يرتكبوا جرائم كبيرة فقام بتلك المهمة خير قيام ففتحت ابواب السجون واطلق سراح كثيرين

غير ان ذلك الشريف لم يقف عند ذلك الحد · بل انه لما راى ان اولئك المسجونين التعساء قد اضحوا هزءا وسخرية ليجيرانهم وبني وطنهم وفقدوا مقامهم الادبي فساد عليهم اليأس وشملهم القنوط شرع يفكر في ايجاد وطن لهم وللابروتستانت المضطهدين ايضا حيث لا يحسب الدين جريمة ولا يمتهن الفقير بسبب ضيق ذات اليد · فالتمس من الملك جورج الثاني ان يأذن له بانشاء مهجر

في امير كا فاجابه الملك الى سوءله واصدر له في تاسع حزيران سنة ١٧٣٢ براءة ملوكية تصرح بموقع المكان الذي ينبغي ان ينشأ فيه المهجر المنوي انشاوءه · وهو الاراضي الوقعة بين نهري سفانا والتاماها · وغربا من ذانك النهرين الى الباسيفكي وجعلت «ملجأ مجانيا للفقراء» لمدة احدى وعشرين سنة · وتعينت لجنة فوض اليها النظر في ذلك المهجر والاهتمام بالمهاجرين · واكراما للملك جورج اطلق على تلك المستعمرة اسم جيورجيا · اما ذلك الشريف الذي خدم الانسانية بكل مقدرته فاسمه جيمس او كليتروب · ولد في مهد الامانة والاخلاص وتخرج في جامعة او كسفورد وكان عضوا في كنيسة انكلترا العليا · وهو فارس وجندي وعضو في البارلمانت ذي اليد جواد وعطوف بعيد النظر في الامور صائب الراي نشيط حازم وشجاع يعز نظيره وقد كرس ذاته بجملته لخدمة الانسانيـة ونصرة الضعيف وايجاد ملاجىء للمضطهدين فهذا النبيل كان زعيم وحاكم الجالية التي احتلت جيورجيا وعددها مائة وعشرون نفسا بلغوا الى ديار هجرتهم في اواخر عام ١٧٣٣ ونزلوا اولا في المكان القائمة فيه الان مدينة سفانا · وهناك في غرة شهر شباط سنة ١٧٣٤ وضعت اسس اول مدينة انكليزية جنوبي نهر سفانا

وفي غضون ذلك وافى طوموشيشي زعيم قبيلة ياماكوز لمشاهدة «اخيه» او كليتروب فلما التقى به حياه ببشاشة وقدم له هدية نفيسة في عرفه وهي حلة من جلد الجاموس الاميركي «بفلو» وداخلها منقوش بصورة راس نسر بريشه نقدمها له الهندي قائلا «هذه هدية لك · ان الريش ناعم ويرمز الى المحبة واما جلد الجاموس فيرمز الى الحماية اذن احبنا واحمنا» فراى او كليتروب ان الفرصة سانحة لاقامة السلام على دعائم ثابتة فاوفد يدعو زعماء بقيـة القبائـل الى اجتمـاع خصوصي في «عاصمته» فلبوا طلبه · وعقد ذلك الاجتماع في ٢٩ ايار · فنهض احد الهنود ورحب

بالانكليز الذين قابلوهم بالمثل واهدوهم مماجهز لديهم ورددوا صدى كلام المجاملة والصداقة فذاع صيت اوكليتروب بين الهنود بسرعة البرق وتوافد الزعماء من كل النواحي لمشاهدته والترحيب به وقطع محالفة الولاء معه · حتى ان زعيم قبيلة الشيروكسي جاء من جبال تناسي يخطب وده

اما الذين انيط بهم الاهتمام في ذلك المهجر في بلاد الانكليز فصاروا يحببون الى الناس السفر اليه ويغرونهم بوعود مختلفة · فتهافت المهاجرون من كل حدب وصوب ليس من انكلترا فقط بل ومن سويسرا وجرمانيا والنمسا وغيرها من الممالك الاوربية وكان اوكليتروب يستقبلهم على الرحب والسعة ويمهد امامهم طرق الراحة والفلاح

وفي نيسان سنة ١٧٣٤ ذهب الحاكم اوكليتروب لزيارة بلاد الانكليز وذهب معه الزعيم طومو شيشي وحظي بمقابلة الملك جورج · ولم ينشأ مهجر نظير جورجيا من حيث استقامة المبادي ومراعاة ظروف الحال فلم يكن توريد المشروبات الروحية اليها مباحا ومنع الاسترقاق بوجه قطعي الى غير ذلك من الامور النافعة· وقبل ان يعود الحاكم الى جيورجيا بلغ الى سفانا اول مهاجرين من مورافيا وعددهم تسعة يتقدمهم القس سبانغنبرغ

وفي شباط سنة ١٦٣٦ عاد اوكليتروب مصحوبا بثلاثماية مهاجر قسم منهم مورافيون ومعظمهم ذوو تقى وصلاح وكان بينهم رجل ممتاز بفضله وعلمه وهو جان وسلي مؤسس شيعة المتودست · وقد صرف الحاكم كل اهتمامه وقوى عقله في الاهتمام بايالته التي كانت تزداد عمرانا واتساعا · وخشي الاشتباك بالحرب مع الاسبان فشرع يتحصن ويستعد ليوم عصيب · وكان الاسبانيون محتلين فلوردا وادعوا ملكية كل الاراضي شمالا الى مضيق القديسة هيلانة وبموجب ذلك تكون جيورجيا واقعة في منطقتهم بيد ان اوكليتروب كانت بيده براءة ملوكية بما احتله من الاراضي

الواقعة بين نهر التاما ونهر سانت ماري٠ وسنة ١٧٣٦ شاد حصنا في اوغسطا واخر على ضفة نهر التاما على بعد ١٢ ميلا عن مصبه ودعي حصن وارين وبنى آخر في جزيرة كمبرلاند قرب مصب نهر سانت ماري ودعي حصن وليم ٠ وسار بعصبة من رجاله الاشداء على ضفتي ذلك النهر الى ان وصلوا الى نهر سانت جان وشادوا حصنا اخر في جزيرة اميليا دعوه حصن القديس جاورجيوس وادعى او كليتروب ان نهر سانت جان هو حد جيورجيا الجنوبي ٠ ولكي يجعل ذلك الحاكم النشيط استعداداته تامة عاد الى انكلترا وحصل على رتبة امير لواء وقائد عام لجيش جيورجيا وسوث كارولينا وقد عاد الى جيورجيا سنة ١٧٣٧ ومعه فرقة من الجند عدد رجالها ستماية ٠هذ ما فعله الحاكم او كليتروب استعدادا للحرب مع الاسبان

واخيرا اشتعلت نار القتال وتلك الحرب هي التي يعرفها موأرخو الامير كان بحرب الملك جورج ٠ فان انكلترا اعلنت الحرب على اسبانيا في اواخر تشرين الاول سنة ١٧٣٩ ٠وفي اوائل كانون الثاني من السنة التالية زحف الحاكم او كليتروب بجيشه على فلوردا واحتل مدينتين حصينتين من مدن الاسبان ٠ ومن ثم سار لحصار سانت اوغسطين ٠ وهناك راجت سوق المنايا واشتد الكفاح ٠ غير ان الاسبان ثبتوا ثبات الابطال ودحروا الانكليز الذين تفشت بين رجالهم الحمى الخبيثة وكادت تودي بحياة القائد نفسه فلما راى جيش سوث كارولينا ان لا امل لهم بالغلبة تركوا او كليتروب وعادوا الى اوطانهم

اما الاسبان فعولوا على مداومة الحرب في الجهة الشمالية وطرد الانكليز الى ما وراء سفانا وحصرهم في دائرة ضيقة ٠ فقامت الاستعدادات لذلك على قدم وساق ووافاهم اسطول قوي من كوبا موألف من ٣٦ سفينة حربية مختلفة الطراز وعلى متنها ما يزيد على الثلاثة الاف مقاتل ورسى في ميناء سانت اوغسطين ٠ وفي

حزيران سنة ١٧٤٢ مخر الاسطول المذكور مارا في جزيرة كمبرلاند وحاول نسف قلعة وليم · غير ان اوكليتروب كان سبق فزاد عدد حاميتها ورجع الى فردريكا · فتتبع اثاره الاسطول الاسباني ورسى في ميناء سانت سيمون المؤدية الى فردريكا من جهة الجنوب اما اوكليتروب ففتح طريقا في مستنقعات واجام لم يسلكها احد قبله ·ولم يكن للاسبان سواها لو ارادوا مهاجمة الانكليز ولم يكن لدى القائد الانكليزي سوى ثمانماية مقاتل ونفر من متطوعي الهنود · فلكي يقابل ·، قوات الاسبان الخارجة لمحاربته وهي تفوق قوته كثيرا عمد الى الحيلة التي قد لا تكون سلاح العاجز في بعض الاحيان وقد قيل ان الحرب خدعة

وحدث ان رجلا افرنسيا كان في خدمة الانكليز فتركهم وانحاز الى الاسبان فكتب اليه الجنرال الانكليزي امورا يطلب اليه ان يجريها بصفة كونه جاسوسا انكليزيا · وكان اسباني اسيرا في محلة الانكليز فاطلقوا سراحه لكي ينقل تلك الرسالة الى «الجاسوس» المذكور ومن محتويات تلك الرسالة قول الانكليزي للافرنسي ان «اسطولين انكليزيين قويين مـا خران الى اميركا · احـدهما لنجـدة اوكليتروب والاخر لمهاجمة سانت اوغسطين واذا بقي الاسبان ثلاثة ايام في الجزيرة فهم هالكون لا محالة واذا لم يهاجموا فردريكا فورا فسيقعون كلهم اسرى في ايدينا» وكان اوكليتروب واثقا ان ذلك الاسباني لا يدفع تلك الرسالة الى الفرنساوي المذكور بل للقائد الاسباني الذي يشكل عليه امر تلك الكتابة اذا كانت حقيقة ام لا وكان كذلك · فالقي القبض على الفرنساوي المسكين كجاسوس ولما استجوبـوه انكر بتاتا ·غير ان الاسبان رابهم الامر فلم يعلموا اذا كان صادقـا ام كاذبـا · فالفوا مجلسا عسكريا وتفاوضوا مليا في الامر فارتابوا في حيلة اوكليتروب غير انه لم يكن عندهم دليل على كونها خدعة فقط ·. وحدث انهم ابصروا عن بعد في عرض البحر

ثلاث سفن حربية انكليزية فظنوها طليعة الاسطولين المذكورين فصمموا على العمل بموجب «مشورة» اوكليتروب اي مهاجمة فردريكا

وتحقق الجنرال الانكليزي ان ما قدر حدوثه سيكون ولذلك نقل من معه من رجال الحرب من المدينة الى الطريق الذي افتتحه في المستنقعات كما ذكر وكمنوا هناك للاسبان الذين بلغوا الى ذلك المكان في سابع تموز فهجم الانكليز عليهم على حين غرة وفرقوا شملهم فعادوا الى فلوردا يتعثرون باذيال الفشل والخسران

فزال من جيورجيا كل ما يكدر صفاء العيش وخيم السلام في ربوعها · وبعد ان نظم اوكليتروب كل امورها وعمل كل ما في وسعه لاسعادها ودع سكانها وداعا اخيرا وبارحهم يحيط به الجلال والشرف وعزة النفس وهو الذي كرس نفسه ونفيسه لخدمة قومه ولم يمتلك قيد شبر من كل تلك الاراضي الواسعة · فلو كان ذا طمع لاستولى عليها برمتها حتى انه لم يمتلك بيتا لسكناه ولا طمع بربح ما من اي نوع كان· وعاد الى انكلترا تاركا للتاريخ ان يدون اسمه بمداد الافتخار والاعجاب والثناء الجزيل

بيد ان شرائع جيورجيا لم تكن كلها على ما يوافق ظروف واحوال المهاجرين فلم يكن يسمح لهم بامتلاك الاراضي ودفع ضمان عنها كما هي الحال في الايالات الاخرى · والتجارة كانت بعد جنينا والزراعة طفلا · وكانت الشريعة تقضي بحق ارث الاملاك للابن الاكبر · والاهلون كانوا فقراء ونسبوا فقرهم لعدم السماح لهم بالاسترقاق فكانوا يلحون بطلبه ·اما الشريعة الاساسية فلم يعملوابها بل خالفوها عمدا وشرعوا يستأجرون الزنوج اولا لمدة قصيرة وبعد ذلك لمدة اطول ثم لمدة ماية سنة وذلك بمثابة استخدامهم مدى الحياة · ومن ثم صارت تردهم السفن ملآنة من زنوج افريقيا · والغيت من جيورجيا «حريـة العمل »وامتدت المزارع الى عـابر نهر

سفانا وبوشر زرعها كما في سوث كارولينا ٠ غير ان الاهلين لم يكونوا شديدي العدو في ميدان الارتقاء نظير غيرهم من الجوالي ٠ وقد اضطروا سنة ١٧٥٢ اي بعد تأسيس المستعمرة بعشرين سنة الى ارجاع برآتهم للملك الانكليزي الذي ارسل اليهم حاكما ملوكيا ومنحهم نفس الحقوق التي لرعاياه ٠ فاحسن الحاكم معاملتهم وعمل على رفع شانهم وسعادتهم وفلاحهم فزاد عدد السكان في ايامه حتى بلغ الستة الاف نسمة ٠ وبقي حد جيورجيا الجنوبي غير معين الى ما بعد الحرب مع الفرنساويين والهنود

قد ذكرنا اهم ما يتعلق بتاريخ الثلاث عشرة ايالة من جهة اكتشافها واستعمارها وتدرجها في الارتقاء ونحو ذلك ٠ وقد رأينا ان الذين وضعوا حجر زاوية التمدن في العالم الجديد كان معظمهم من المنفيين والمضطهدين وما شاكل ذلك ممن هجروا اوطانهم وسعوا في طلب وطن جديد يقيهم استبداد الحكام والاشراف واضطهاد الروءساء واستبداد وغطرسة الاغنياء ٠ فضحوا الوطن والاهل والاخدان على مذبح التمتع بالحرية الشخصية والدينية والسياسية ٠ فنشأ من نسل اولئك الاجرياء امة هي اعظم امم الارض حضارة وارتقاء وعلما وغنى وقوة وتجارة وصناعة وزراعة وغير ذلك وقد تحولت تلك الفيافي والبراري الموحشة الى جنات زاهرة وروضات غناء ودعيت بحق بلاد العجائب والغرائب فسبحان الخالق القدير

تابع

تاريخ الاستعمار

— (الحرب مع الفرنساويين والهنود)—

الفصل الثامن والعشرون

— (مسببات تلك الحرب) —

أن التباغض والتنافر والحسد وما اشبه ذلك من مسببات الشقاق ودواعي الانقسام قد زالت من بين المهاجرين على تمادي الايام · فمات الجيل الاول وقام جيل جديد كان رجاله ادعى الى الوئام والتكافل من ابائهم · فاجتمعت كلمتهم وعملوا معا على ما فيه خيرهم وفلاحهم وكانت هنالك اسباب ودواع عديدة تحملهم على ذلك اهمها الخطر الذي كان يتهدد مجموعهم فاتحدوا على المقاومة · وكانت انكلترا على ذلك وشك الاشتباك بحرب طاحنة مع فرنسا لاجل تقرير سيادة احداهما في اميركا فكانت الضرورة تقضي على المستعمرات الانكليزية بالاتحاد معاضد خصومها · وهذه الحرب هي التي يعبر عنها «بحرب الفرنساويين والهنود» وقد نشبت سنة ١٧٥٤ غير ان الاسباب الحاملة حدثت قبل ذلك بسنين عديدة

واهم تلك الاسباب الاختلاف على حدود المقاطعات التي تدعيها كل من الدولتين فانكلترا استعمرت سواحل القارة الاميركية بينما فرنسا استعمرت داخليتها واحتلت الاولى سواحل الاتلانتيكي من ماين الى فلوردا ولم تكن لها مهاجر تذكر في داخلية البلاد واهم مدن مستعمراتها كانت على الشواطىء ايضا . على ان انكلترا ادعت السيادة على كثير من الاملاك التي لم تستعمرها وما ادعت امتلاكه يمتد غربا الى شواطىء الباسيفيكي . واذ كان ملوك الانكليز يقطعون ويهبون الاراضي على ما اسلفنا ذكره كانوا يستندون بذلك على كون تلك الاملاك تابعة لانكلترا بحق الاكتشافات التي اجراها سبستيان وكابوت وغيرهما . اما مدعى فرنسا فكان بخلاف ذلك . فهي اول من استعمر بطاح سانت لورنس . غير انمونتريال وهي اهم مدن مستعمراتها تبعد عن الاوقيانوس مسافة ٥٠٠ ميل ولو اقتصرت مستعمرات فرنسا على جهات سانت لورنس وضواحيها لما كان من باعث على الاختلاف بسبب الحدود ولا خوض غمرات الحروب وسفك الدماء . وقد شرعت فرنسا في القسم الاخير من الجيل السابع عشر في التوسع في الاستعمار جنوبا وغربا اولا في ضواحي البحيرات الكبيرة ومن ثم حول ضفاف الانهر الكبيرة كنهر النيويز وسانت كروا وبعد ذلك نحو نهر مسسبي وخليج مكسكو وكان غرض فرنسا بذلك قسمة القارة والاستيلاء على القسم الافضل منها لتأييد سلطتها ونشر الكثلكة فيها طبقا لرغائب مرسلي الجزويت . وبما ان حركات واعمال فرنسا في بطاح المسسبي على جانب من الاهمية رأينا ان نأتي على ذكر اكتشافاتها واعمالها في تلك الاصقاع على حدة

ان الجزويت الذين تخذوا على انفسهم نشر الديانة الكاثوليكية بين سائر الشعوب في جميع الممالك ساروا من مستعمرة سانت لورنس لاكتشاف الاراضي المجهولة

غرباً وللتبشير بين البرابرة . وفي سنة ١٦٤١ سار شارلس رايمبورت (وهو اول رائد من المبشرين الافرنسيين) في القسم الشمالي من بحيرة هيورن ودخل بحيرة سبرير وقد داوم الجزويت الاستطلاع والاستكشاف مدة ثلاثين سنة بكل همة ونشاط وانشأوا مراكز تبشيرية في اماكن مختلفة في شمالي البحيرتين المذكورتين وفي اماكن متعددة من مشغن ووسكنسن والنويز . وسنة ١٦٧٣ اجتاز الراهبان جوليات ومار كات تلك النواحي وعبروا الى نهر مسسبي قاطعين كل تلك المسافة بمدة سبعة ايام ومن هناك اقلعا بزورقهما مدة ثلاثين يوما نحو الاوقيانوس فمرا بنهر اركنساس وانتهت سفرتهما عند الدرجة ٣٣ من العرض الشمالي . ثم دارا زورقهما صعدا في نهير هناك ودخلا نهر النيوز وجاءا الى حيث قائمة مدينة شيكاغو الان ودخلا بحيرة مشغن وانحدرا الى دترويت . ولم يكن مصب نهر مسسبي معروفا حتى ذلك الوقت هل انه يصب في الخليج الجنوبي او في الاوقيانوس فذلك امر تركت معرفته لروبرت دي لاسال المكتشف الافرنسي الشهير . فهذا المقدام كان يقطن في جوار مخرج بحيرة اونتاريو عندما بلغه خبر سفرة ماركات ورفيقه . فاستفزه حب الاكتشاف الى ابتناء اول سفينة مخرت في مياه نياغرا فولز . فسار غربا في بحيرة ايري ومن ثم في بحيرة هيورن ورمى مرساته في كرين باي وعبر بحيرة مشغن الى نهر سانت جوزف ومخر فيه مع رفقة له وراد كل الاراضي على ضفتيه ومن ثم عاد الى النيوز وقد التزم ان يعود من هناك الى فرنتناك مشيا على الاقدام مسافة نحو الف ميل . وفي مدة غيابه راد الاب هنبين كل ضفاف نهر النيوز ونهر مسسبي الى سانت انطوني فولز —

وعاد لاسال الى محطته على نهر النيوز سنة ١٦٨١ مصطحبا رجالا ومؤونة وابتنى هناك قاربا واقلع مع رجاله الى ان بلغوا نهر مسسبي ومخر فيه حتى اكتشف خليج

مكسكو وعاد الى كبك يزين راسه اكليل الظفر وسافر منها توا الى فرنسا حيث اذاع اخبار اكتشافاته وافاض في وصف محاسن وخصب تلك الاصقاع فاهاج كلامه الافرنسيين اي هياج وحملهم على الاهتمام باستعمار مسسبي وفي تموز سنة ١٦٨٤ اقلعت من فرنسا اربع سفن تقل مايتين وثمانين مهاجرا. فترأس الاسطول الموسيو بيجو واما لاسال فتولى الادارة والحكم ورسم لاسال بان السفن ترسو في خليج المكسيك ومن هناك ينتقل المهاجرون الى ضفاف نهر مسسبي ولكن بيجو كان صعب المراس قاسي الطبع فلم يرق له رأي لاسال فغير جهة جري السفن على رغمه فقذفت الى خليج متاغوردا فتحطمت السفن التي تحمل المؤونة والذخيرة وسائر الحاجيات بسبب عاصف حدث هناك . ومع كل هذه الصعوبات قد انشئ مهجر هناك وعدت تكساس قسما من لوزيانا

وحاول لاسال مرارا اعادة اكتشاف نهر مسسبي ولكنه لم يفلح غير ان ذلك الفشل لم يثبط عزمه او يصرفه عن رغبته تلك واخيرا رحل يصحبه ١٦ رجلا لكي يقطع القارة الى كندا . وابتدات تلك الرحلة في كانون الثاني سنة ١٦٨٧ وبعد مسير ستين يوما وجدوا ذواتهم في ضواحي كولورادو حيث كمن له اثنان من رفقته الذين ملوا حياة الاسفار والاستطلاع فاطلقا عليه عياراتهما فاردياه قتيلا ولم يبلغ من رفقائه الى المهجر الافرنسي على نهر مسسبي سوى سبعة فقط

امافرنسا فلم تدع الفرصة التي سنحت لها لوضع سلطتها على الاراضي التي سهل لها مرسلو الجزويت طريق امتلاكها ان تفوتها بل انهااقامت مخافر عسكرية سنة ١٦٨٨ في فرونتناك ونياغرا ومضيق ماكنو وضفتي نهر النيوز

وبعد ذلك صار لها مستعمرات ايضا على شاطئ نهر مومي وفي دترويت وضفتي نهر سانت جوزف و كرين باي وفي اماكن اخرى عديدة حتى ان مستعمرات فرنسا

امتدت الى خليج مكسكو وخليج بيلوكسي ٠ولم يكن للانكليز وقتئذ سوى حصن صغير عند بحيرة اونتاريو ٠ وبعض اكواخ متفرقة في وست فرجينيا ٠ولم يبق لفرنسا لكي تصبح ذات السيادة في كل تلك النواحي المذكورة سوى امتلاك اهايو فكانت فرنسا صارفة اهتمامها في امتلاكها وانكلترا تجتهد في الحؤول دون ذلك

ويوجد سبب اخر لتلك العداوة القديمة بين دولتي فرنسا وانكلترا التين تعذر عليهما الاتفاق وكل منهما تختلف عن الاخرى شعبا ولغة وشرائع وديانة ٠ ففرنسا كانت مدة مائتي سنة زعيمة دول الكاثوليك في اوروبا بينما انكلترا كانت زعيمة الدول الابروتستانية ٠ وكل منهما تناظر الاخرى وتقف لها بالمرصاد ٠ فلما رأت فرنسا في اواخر الجيل السابع عشر ان عدد سكان مستعمرات انكلترا في اميركا زاد على عدد سكان مستعمراتها هي في كندا بنسبة واحد الى عشرين غلت في صدرها مراجل الحسد ٠ولما شرعت فرنسا بسعي مرسلي الجزويت تستعمر بطاح نهر مسسبي وتغنم تجارة الفرو مع الهنود لم تستطيع انكلترا كظم غيظها ٠ وكان بركان العداوة يتسعر في قلوب الشعبين وكان لابد من مجيء يوم فيه ينفجر ذلك البركان

والسبب الاخر في اضرام نار القتال هو المناوشات بين حامية كلتا الدولتين على حدود اهايو وكل منهما تبغي استعمارها وابتدا الشجار بين الفريقين سنة ١٧٤٩ وكان تجار فرجينيا وبنسلفانيا المتجولون لمشترى الفرو كثيري التردد الى قرى الهنود في القسم الاعلى من اوهايو ومثلهم تجار كندا الافرنسيون فوقعت المنافسة والمزاحمة بين الفريقين فادعت فرجينيا بناء على برآتها ان كل الاراضي الواقعة بين حدودها الغربية والشاطىء الجنوبي من بحيرة ايري هي ملكها وعليه فلا يحق للتجار الافرنسيين ارتياد الاماكن الواقعة في منطقتها وحسما للخلاف تألفت في فرجينيا شركة باسم شركة اوهايو غايتها الاسراع في احتلال الاراضي المختلف عليها وانخرط عدد من كبار

الرجال في سلك اعضاء تلك الجمعية •وفي اذار سنة ١٧٤٩ منح الملك جورج الثاني الانكليزي لتلك الشركة ارضا مساحتها خمسماية الف فدان (ايكر) تحت شروط معينة • وموقعها بين نهري كنوا وضفة نهر اوهايو الشمالية • واخص شروط تلك الهبة ان الشركة تستثمر تلك الاراضي لمدة عشر سنوات بدون ان تؤدي رسما وانها تتعهد باسكان لاقل من مائة عائلة فيها خلال سبع سنوات

ولم تكن فرنسا اقل نشاطا من انكلترا فقبل ان تتمكن الشركة المذكورة من ارسال مهاجرين الى تلك البقعة اوفد حاكم كندا القائد بيفل مع ثلاثماية رجل لاستكشاف واحتلال وهاد وبطاح اوهايو فكان الفوز حليفهم وظفروا بما ارادوا • ودفنوا على ضفة النهر صفائح رصاصية محفور عليها شعار دولة فرنسا • وامتدوا في استكشافهم غربا الى مدينة مياميس وطردوا التجار الانكليز من تلك الاصقاع وارسلوا كتابا الى حاكم بنسلفانيا يحذرونه شر العقبى اذا داوم رجال ايالته الاختلاف الى اراضي ملك فرنسا • وكذلك الانكليز بدورهم ارسلوا وفدا للاستكشاف فاتم مهمته وعاد الى فرجينيا

ولم يقف الافرنسيون عند ذلك الحد بل تقدموا من مركزهم في بريسكو (واسمها الان ايري) الى ان اجتازوا بحيرة ايري وبنوا على نهير بقربها قلعة سموها لابوف وفي اسفله بنوا اخرى دعوها فينانغو ومن ثم هاجموا المستعمرة الانكليزية في مومي فاخربوها واستاقوا الحامية اسرى الى كندا •وملك مومي الذي كان مواليا للانكليز ذبحه الهنود المصافون لفرنسا • ونحو ذلك الوقت كان الانكليز قد انشأوا مهجرا في جنوبي اوهايو فاصبح اشتباك سكان المهاجر الافرنسية والمهاجر الانكليزية في القتال امرا لامناص منه

واقلقت تلك الاضطرابات خواطر الهنود فعقدوا موءتمرا حضره زعماء القبائل لاجل

المداولة في ما يعود بالنفع عليهم وعلى قبائلهم ٠ وكان الهنود من البدايــة مماثلين الانكليز غير انهم كانوا متقلبين في ارائهم مترددين في اية دولة يعاهدون واما بعد مقتل ملك مومي بسبب الافرنسيين فنفروا منهم وابغضوهم وصمموا على مقاومتهم ولما سمعوا في ربيع سنة ١٧٥٣ ان حاكم كندا ارسل الفا ومائتي مهاجر لاحتلال ضواحي اليكاني هاجوا وثاروا للحوول دون ذلك ٠وفي تلك الاونة اجتمع بنيامين فرنكلين في بدة كارليل من ولاية بنسلفانيا بعدد من روساء قبائل الهنود وابرم محالفة بينهم وبين انكلترا

وثار ثائر شعب فرجنيا على الافرنسيين وهاجوا للقتال ولكن قبل اضرام نار المعارك ارسل حاكمها منشورا للافرنسيين به يحدد ويبين املاك انكلترا ومن ضمنها وادي اوهايو ويحذر الافرنسيين من ارتياض تلك الاماكن في المستقبل ٠ فالذي ينقل ذلك المنشور الى الجنرال لافرنسي سانت بيري الذي كان مقيمامع جيشهفي ايرييقتضيان يكون شجاعا لما يحف به من الخطر سيما وان تلك هي المرة الاولى من نوعها في اميركا فمن يتقدم لتلك المهمة ويعرض نفسه للخطر ٠ فالحماسة دفعت شابا مهندســا للاقدام على ذلك وكان عليه ان يقطع مسافة طويلة ليوصل ذلك الاخطار للقــائد الافرنسي واسم ذلك الشجاع الذي سخر بالاخطار جورج واشنطن فسار في تشرين اول سنة ١٧٥٣ لاتمام ما فوض اليه يرافقه في سفره الطويل اربعة رجالخلا الترجمان والدليل ٠وبعد تجشم مشقات وصعوبات جمة وصل الى لوغستن حيث اجتمع بزعماء الهنود وجدد عهود المحالفة معهم ٠وكان واشنطن يدرس وهو سائر جغرافية الاماكن التي فيها درسا مدققا ٠وكان الافرنسيون يبذلون ما في وسعهم لاكتساب ولاء الهنود فلم يفلحوا واخيرا وصل واشنطن الى قلعة لابوف حيث كان القائد الافرنسي فدخل عليه واشنطن فقابله القائد بالترحاب غير انه ابى ان يخوض معه في بحث

يتعلق بالحقوق الدولية ونحوها وافهمه انه هو ليس سوى قائد مأمور باتمام واجبات مفروضة من قبل حاكم «فرنسا الجديدة» واهم ما يتعلق بواجباته منوع دخول اي كان من الانكليز الى وادي اوهايو مهما كلف الامر وهو على اتم الاستعداد للقيام باعباء ما طلب منه • ثم دفع الى واشنطن جوابا مضمونه ان كل الاراضي على ضفتي نهر اوهايو هي ملك حلال لفرنسا بحق الاكتشاف والاحتلال ولا يسلب منها ذلك الحق الا بالقوة القاهرة وصرفه بسلام •وقد لاحظ واشنطن بكل انتباه الاستعدادات التي كان يجريها الافرنسيون في لابوف وعاد الى فرجينيا بعد ان كابد اشد المشقات والمتاعب بسبب وعورة المسالك وقرص البرد ونحو ذلك مما يطول شرحه ودفع الى الحاكم جواب القائد الافرنسي •وكانت تلك المهمة اول عمل عمومي باشره جورج واشنطن رئيس الولايات المتحدة المقبل •ولو اردنا تفصيل تلك الرحلة وما تكبده واشنطن من العناء والخطر لشغلت كتابا برمته

وفي غضون ذلك كانت شركة اوهايو اوفدت في منتصف الشتاء عصبة مؤلفة من ٢٣ رجلا بقيادة المستر ترنت ليسيروا الى مصدر نهر اوهايو ويشيدوا هناك حصنا وبينما كان واشنطن عايدا الى فرجينيا كان اولئك الرجال سائرين لاتمام مهمتهم • وبذلك اضحى مفتاح وادي اوهايو بيد الانكليز • وتلك باكورة فوزهم على الافرنسين

ولكن ذلك الفوز كان قصير الامد • فلما بدا الجليد يذوب في اوائل الربيع مخر الاسطول الافرنسي في النهر الى ان بلغ الى ذلك الحصن • وهيهات لحاميته القليلة العدد ان تثبت امام هجوم الافرنسيين •وكان جورج واشنطن قد ارتقى وقتئذ الى رتبة نائب اميرلاي وجعل مركزه في الكسندريا وشرع يجمع جيشا لخوض غمرات المعارك في اوهايو • فاجتمع لديه ماية وعشرون رجلا •غير ان ارسال نجدة الى

ترنت في الوقت المناسب كان ضربا من المستحيل ولهذا فقد ارغم ترنت في ١٧ نيسان على التسليم للخصوم والانسحاب من تلك الديار · فاستلم الافرنسيون المكان وشادوا فيه حصنا منيعا دعوه دي كيسين وتجرد واشنطن في شهر ايار سنة ١٧٥٤ لاستعادة ذلك المكان ولكنه اخفق سعيا ·ولم يعد من حكم بين الانكليز والافرنسيس في الاراضي المختلف عليها سوى الصارم البتار

الفصل التاسع والعشرون

(حملات واشنطن وبرادوك ·خراب اكاديا· تجريدات شيرلي وجونسون وغير ذلك)

تولى جورج واشنطن قيادة جيش فرجينيا القليل العدد · وترتب عليه ان يشيد حصنا على نهر اوهايو ويزيل كل حاجز يعترض تقدم الانكليز وبسط سيادتهم في تلك الاماكن وفي شهر نيسان زحف برجاله من ولز كرك ولكن المسير غربا كان مكتنفا بالمصاعب والاهوال · فكان على الرجال ان يجروا المدافع في تلك المسالك الوعرة ·وكان المطر ينسكب بغزارة وليس لديهم ما يقيهم البلل ·ولم تكن جسور على الانهار فتعذر قطعها والمؤونة لديهم لم تكن وفيرة ·وكانت التوسلات ترد تترى على واشنطن من رؤساء قبائل الهنود لكي يسرع لنجدة بني جلدتهم

وفي ٢٦ ايار وصلت الجنود الانكليزية الى مكان يعرف بالمرجات العظيمة ·وهناك نمي الى واشنطن بان فرقة من الجنود الافرنسية قادمة لمهاجمته وهي على مقربة منه

فباشر حالا بابتناء حصن على قدرما سمحت له الظروف ودعاه حصن نسستي (الضرورة) وبعد ان تحادث مليا مع روساء فيية منيغو صمم على الهجوم ومباغتة خصومه · فارسل هنديين تجسسا محلة الافرنسيين واعلما واشنطن بما شاهدا · فتقدم الانكليز بكل سكون لكي يباغتوا الافرنسيين ويأسروهم غير ان الافرنسيين شعروا بقدوم الانكليز فتقلدوا اسلحتهم وتحفزوا للدفاع · وما لبث الفريقان ان اشتبكا في قتال لم تطل مدته وقد انجلى عن قتل القائد الافرنسي مع عشرة من رجاله واسر خمسة وعشرين رجلا.

ومضى شهر من الوقت الثمين على غير جدوى · فبينما كان واشنطن متربصا في حصن نسستي يتوقع وصول النجدة اليه كان الافرنسيون يتألبون في حصن دي كاسين بالعشرات · وبلغت الى المعسكر الانكليزي فئة من متطوعي سوث كارولينا غير ان قائدها كان متغطرسا احمق وكان مزودا بامر ملوكي فاراد ان يعزل واشنطن الذي كان دائبا مع رجاله على فتح طريق في وسط تلك الآجام الوعرة تؤدي الى حصن دي كاسين وقد اتموا منها مساحة عشرين ميلا · اما الهنود الذين كانوا على اتم الاستعداد للانضمام الى الانكليز والمحاربة معهم فلما رأوا تلك الحالة احجموا عن ذلك ولم ينضم الى جيش واشنطن واحد منهم · وكل الجنود الذين كانوا مع واشنطن لم يزد عددهم عن الاربعماية وبلغ واشنطن خبر بان الجنرال الافرنسي دي فيلير قادم بجيش كبير خلا من انضم اليه من الهنود فكبر عليه الامر اذ راى ذاته مرغما على ان يعود القهقرى الى حصن نسستي · واما قائد فرقة كارولينا فلم يفده شيئا مع ان الحاجة للمساعدة كانت شديدة جدا

وكان حصن نسستي الصغير قائما في مكان متوسط بين اكمتين مكللتين بالاشجار الباسقة الغضة · وما كاد رجال واشنطن يدخلون ذلك الحصن في ثالث شهر تموز

حتى ادركهم الجنرال دي فيلير بست مأية مقاتل فضلا عن الهنود المتطوعين في خدمة فرنسا واحاطوا بالسور • واحتل الفرنسايون احدى الاكمتين التي تبعد قيد ستين ياردا عن الحصن الانكليزي وصبوا على الانكليز نارا حامية مدة تسع ساعات فقتلوا منهم ثلاثين رجلا • اما واشنطن فما انفك يضرم نار الحماسة في رجاله ويشجعهم على الثبات ومقابلة العدو بالمثل فتشددوا واطلقوا نيرانهم على الافرنسيين وقد خشي القائد الافرنسي نفاذ ذخيرته قبل ان يفوز بالغلبة ولذلك عرض على واشنطن ان يسلم اليه تحت شروط شريفة • واذ رأى واشنطن ان الغلبة مستحيلة عليه بذلك النفر القليل من الجند رضي وسلم للافرنسيين وفي رابع تموز احتمل الانكليز كل ما يخصهم وغادروا الحصن الذي دافعوا عنه بشهامة وبسالة واخلوا تلك الناحية فاصبحت كل بطاح اوهايو تحت سلطة الافرنسيين

وفي تلك الاثناء التأم مجلس نواب المستعمرات في البني ولاجتماعه غايتان احداهما تجديد المحالفة مع قبائل الايروكويس والاخرى انهاض همة حكام المستعمرات للعمل يدا واحدة ضد الفرنساويين • وكان الايروكويس منذ بداية الحرب مترددين في امر المساعدة وانقلاب انكليز الاخير زادهم ترددا بل انقلابا عليهم • وكانت الضرورة تقضي على الانكليز بالاسراع في العمل والا خسروا الاراضي الواسعة الخصيبة غربي نهر اليغانس • وبعد مرور عدة ايام على التآم المجلس المذكور ابرمت المعاهدة مع الهنود الذين لم يكونوا راضين تماما بمنطوقها فعقب توقيعها انصرفوا الى اماكنهم • وكان الانكليز يخشون ان الافرنسيين يفوزون في استمالتهم اليهم

وبعد ان فرغ المجلس من مسألة الهنود انصرف الى البحث في ضرورة اتحاد سائر المستعمرات وانضمامها الى حكومة واحدة وفي عاشر تموز وضع بنيامين فرنكلين نائب بنسلفانيا لائحة تتضمن كيفية الانضمام وكان فرنكلين المذكور على جانب عظيم

من الحذق والدراية فكان يعلم حالة البلاد وما تحتاج اليه • وكان موقف المستعمرات الحرج يقضي بوجوب وجود حكومة عامة والا فكيف تفرض المكوس وينظم الجيش ويعنى بالامور العمومية • واقترح فرنكلين بان تجعل فيلادلفيا وهي مدينة متوسطة عاصمة لتلك الحكومة • والذي يتولى الاحكام يدعى الحاكم العام ويعينه الملك الانكليزي • ويساعده في ادارة الاحكام مجلس تنتخب نوابه من الاقاليم بنسبة ما تقدمه لصندوق الحكومة وعلى كل الاحوال لا يكون لاية مقاطعة او اقليم اقل من نائبين او اكثر من سبعة ويترك للحاكم حق تعيين سائر موظفي العسكرية ورفض ما يختلف عليه من الشرائع وما سوى ذلك من المسائل كتعيين موظفي الملكية والقرعة العسكرية وفرض الضرائب وما شاكل ذلك فيتعلق بمجلس النواب الذي يلتئم مرة في السنة لانتخاب موظفيه ويداوم جلساته مدة لا تقل عن الست اسابيع

هذا خلاصة ما اقترحه فرنكلين • وبعد محاورات طويلة ومجادلات عنيفة قر الراي على قبوله • وترك للمستعمرات امر رفض او قبول ذلك ودونوا صورة الدستور الجديد وارسلوا نسخة منه الى عاصمة كل من المستعمرات فقوبلت بالاستهجان في سائرها • وكذلك حكومة انكلترا ابت الاعتراف به زاعمة ان المهاجرين في اميركا يسعون لانشاء حكومة مستقلة • هذا ما كان جارٍ في انكلترا ومستعمراتها واما الافرنسيون فكانوا يزيدون مراكزهم تحصينا في برينت ونياغرا وغيرهما وهم فرحون في فوزهم في غربي بنسلفانيا

وعولت انكلترا على ارسال جيش نظامي الى اميركا ينضم الى جيش المستعمرات لمناهضة فرنسا • على ان الحرب بين الدولتين لم تكن قد شهرت بعد • وكان وزراء كلتا الدولتين يوكدون بعضهم لبعض بان السلام وطيد الاركان ولا خوف من نشوب القتال بينما لويس الخامس عشر اوفد ثلاثة الاف جندي الى كندا وانكلترا ارسلت

فرقتين الى اميركا بقيادة الجنرال برادوك الذي لما وصل الى اميركا في ١٤ نيسان عقد موءتمرا في الكسندريا مع حكام الولايات وتباحثوا مليا في حالة المستعمرات وقرروا عدم الزحف على كندا طالما الحرب لم تعلن بعد وانما يقتصرون على رد الفرنساويين عن الحدود الشمالية · وقرروا ان لورنس حاكم نوفا سكوشيا يتم غزو المقاطعات التي تدعي انكلترا السلطة عليها · وجرنسن حاكم نيويورك يزحف بجيش متطوع وبعدد من الهنود على برتش باي ويحتل مركز الفرنساويين في كرون بوينت وشارلي حاكم مساتشوستس يهجم بفرقته على حصن نياغر · اما الامر الاهم وهو احتلال قلعة دي كاسين فالقي الى عهدة برادوك القائد العام وانه يطرد الفرنساويين من وادي اوهايو · وانضم الى جيش برادوك عدد من المتطوعين ولولا سوء تصرف الحاكم الانكليزي وتمييزه جنود انكلترا وضباطهم عن جنود وقواد المستعمرات وحرمان الاخيرين اشياء كثيرة تمتع بها الاولون فلما راى واشنطن ذلك الاجحاف وبخس الحقوق استعفى من مركزه وعاد الى فرجينيا ·غير ان الجميع كانوا يدركون شدة الحاجة اليه والى ارائه الصائبة فتوسلوا اليه ان يعود الى الخدمة ففعل

وابتدا الزحف من حصن كمبرلاند في غاية شهر ايار · وسار في الطليعة خمسماية رجل مجرب بقيادة السير بيتر هلكت وساروا في طريق حصن دي كيسين ليعدوا الطريق للجيش الزاحف بقيادة الجنرال برادوك·وامتد الجيش في تلك المسالك الضيقة الوعره مسافة اربعة اميال · وعبثا حاول واشنطن اقناع برادوك بامكان وجود كمين في الطريق وبوجوب ارسال جواسيس لاستطلاع ذلك ·وكان برادوك معجبا بنفسه شامخا بانفه فلم يعر تلك المشورة اصغاء وكبر عليه وهو من «مشاهير قواد اوروبا» الانصياع لمشورة احد عماله · وكذلك فرنكلين الحاذق اشار عليه ان يسير بتحفظ فاجابه انه يستحيل على البرابرة التغلب على جيش جلالته المدرب · ولما تجاسر واشنطن على تكرير تلك

المشورة نميز الجنرال برادوك غيظا وصار يقوم ويقعد في خيمته كمن اصيب بجنة

وفي ١٩ حزيران تولى برادوك قيادة الف ومائتي جندي مدربين وتقدم بهم بسرعة تاركا وراءه القائد دنبر مع بقية الجيش . فبلغوا في ثامن تموز الى مكان يبعد عن قلعة دي كيسين ١٢ ميلا . وتقدموا حتى الى ترتل كرك فلم يجدوا اثر للعدو وكان الكولونيل طوماس كايج متوليا قيادة ثلاثماية وخمسين جنديا . وكانت المسالك ضيقة وصخرية والتلال منتشرة هناك وعن اليسار غور عميق جدا وكان يسير في المقدمة عدد من الادلاء وفي الموءخرة سار القائد العام بجيشه ومن الوراء الموءنة والذخيرة وغير ذلك من الامتعة وما لبثوا حتى سمعوا دوي عيارات نارية في المقدمة

وما كانت فرنسا لتخسر حصن دي كيسين بدون خوض غمار معارك يراق فيها دم الابطال المدافعين . ودامت النجدات ترد الى الحصن مدة شهرين ومع ذلك لم يبلغ عدد الافرنسيين الى ما يوءهلهم لمنازلة جيش برادوك . حتى ان الهنود لاحظوا البون بين الفريقين في ذلك النزال وقد كابد الافرنسيون اشد الصعوبات في استرضائهم ليلة المعركة للكمون للانكليز

واخيرا سار ٢٣٠ افرنسيا بقيادة بيجو وديماس ومعهم ٦٣٧ هنديا من دي كيسين قصد ازعاج واقلاق الانكليز اكثر من منازلتهم في معركة رسمية . وكانوا خبيرين في مجاهل تلك النواحي . فعزموا على وضع كمين في مكان مناسب على بعد سبعة اميال من الحصن . وما كادوا يبلغون المكان المقصود حتى بانت لهم طلائع جيش الانكليز . فاطلق الفرنساويون عياراتهم وصات الهنود اصواتا مزعجة وهرولوا الى مختبآتهم فابتدات حينئذ المعركة

ولو ان القائد كايج تقدم بفرقته الى الامام فلربما كان الفوز تم للانكليز ولكنه كان متذبذبا مشوشا . وقد حشر جناح الجيش الى الامام وتركوا اسلحتهم غنيمة للاعداء

اما رجال كايج فتقدموا واختلطوا في وسط غابة كثيفة بفرقة كان اوفدها الجنرال برادوك للنجدة وزاد الحال تشوشا وارتباكا فاختلط الحابل بالنابل ·وقد اطلقوا عياراتهم تكرارا ولكنهم لم يصادفوا عدوا ·وما عتموا حتى انصبت عليهم نار العدو الكامن دفعة واحدة · اما الجنرال الطائش الشجاع فاندفع بجيشه الى الامام واضرم فيهم نار النخوة والشجاعة فاستبسلوا وحاربوا بشدة وثبات عزم ولكن جهاداتهم كلها ذهبت ضياعا وقد امتلاءت الغابات من جثث قتلاهم ·اما البرابرة فزادهم الانتصار غير المنتظر جراءة واقداما فصاروا يزدادون من الانكليز المرتبكين اقترابا · وقد قتل خمسة جياد تحت القائد برادوك في خلال الموقعة وقتل كاتم اسراره وجرح مساعداه الانكليزيان ولم يبق لاصدار الاوامر للجيش سوى جورج واشنطون وقد قتل ستة وعشرون ضابطا وجرح سبعة وثلاثون · وسبعماية من خيرة الجنود قتلوا او سقطوا مثخنين بجراح خطرة ·واخيرا اصيب الجنرال نفسه بجرح في جنبه الايمن فسقط على الارض مغشيا عليه ولما استفاق من غيبوبته سال واشنطن الذي اسرع لمساعدته قائلا «ماذا يجب ان نعمل الان ياحضرة الكولونيل» فاجابه واشنطن وكان قد تفرد في القيادة تقهقر يا سيدي تقهقر تحت كل الظروف · وصوب الاعداء سهام حتفهم نحو صدر واشنطن مدة ساعين وقتل جوادان تحته ومزقت الكرات رداءه العسكري اربع مرات ·ومن ثم ابتداء الانسحاب ولم يبق من رجال فرجينيا سوى ثلاثين خلا واشنطن وترك الانكليز في ساحة الوغى كل ما خصهم حتى اوراق الجنرال الخصوصية

اما خسارة الهنود والافرنسيين فكانت طفيفة ·فقتل ثلاثة ضباط وثلاثون جنديا وجرح مثل ذلك العدد · ولم يلحقوا بالانكليز بل اكتفوا بجمع الاسلاب التي تركت في ساحة العراك ·وقد عاد الهنود الى حصن دي كيسين مرتدين ثياب الانكليز التي غنموها ومتقلدين اسلحتهم ·وبعد اربعة ايام من الملحمة قبض الجنرال برادوك متاثرا

من جرحه فدفنوه بجانب الطريق على بعد ميل واحد من حصن نستي · واحدث انخذال برادوك ياساً وجزعاً في سائر انحاء المستعمرات الانكليزية

—(خراب اكاديا)—

انه بموجب معاهدة يوترشت المبرمة سنة ١٧١٣ تخلت فرنسا لانكلترا عن مقاطعة اكاديا اونوفا سكوشيا وبقيت تحت حكم الانكليز مدة خمسين سنة ·غير ان معظم سكانها كانوا فرنساويين و كان امتلاك انكلترا لها بمثابة احتلال عسكري ولولا خفوق الراية الانكليزية فوق ابراج قلاعها لما علم بان تلك الشقة خارجة عن حكم فرنسا وهي اقدم مستعمراتها

ولما تخلت فرنسا عن اكاديا كان عدد سكانها ثلاثة الاف نسمة ·ولما اضرمت نار الحرب مع الفرنساويين والهنود زاد عددهم عن الستة عشر الفا · وعندما عقد موءتمر انكسندريا المار ذكره اقترح المستر لورنس حاكم تلك المقاطعة وجوب النظر في الوسائل لارهاب الفرنساويين وتعزيز سلطة الانكليز في اكاديا ففوضوا الى لورنس المذكور امر اذلال الفرنسايين ومضايقتهم وارسلوا له اسطولا اقلع من بوسطن في ٢٠ ايار سنة ١٧٥٥ وعلى متنه ثلاثة الاف جندي ورسى في خليج فندي

اما فرنسا فلم يكن لها في تلك المقاطعة سوى حصنين في البرزخ الذي يفصل بين نوفاسكوشيا ونيوبرنزويك · احدهما يدعى حصن بوسيجور على نهير مساجوك والاخر يدعى كاسبار وهو جانب البرزخ الشمالي عند خليج فارتي ·ولم يكن القائد الافرنسي دي فاركور عالما بقدوم الانكليز حتى وصل اسطولهم والقى مرساته امام حصن بوسيجور ولم يكن الافرنسيون مستعدين للدفاع ·وقد حاصر الانكليز الفرنساويين مدة اربعة ايام اضطروهم في نهايتها التسليم فحتلوا الحصن وحولوا اسمه الى حصن كمبرلاند · وبعد بضعة ايام استولو على الحصن الافرنسي الاخر ودعوه حصن مونكتون ·ومن ثم

مخر القبطان روس باربع سفن لافتتاح حصن سانت جان ولكن قبل ان تبلغ السفن الى مكان قصدها اضرم الفرنساويون النار في الحصن وفي المدينة فتحولا الى رماد وتوغلوا في الداخلية ولم يمض شهر حتى استولى الانكليز على كل اراضي سانت كروا ولم يخسروا سوى عشرين رجلا

ان الحرب في اكاديا قد انتهت بفوز الانكليز . ولكن ماذا عساهم ان يفعلوا بسكانها من الافرنسيين وهم يفوقون الانكليز عددا فللمداولة بذلك عقد الحاكم لورنس مع الاميرال بوسكون وقاضي القضاة مجلس مشورة قرروا فيه وجوب طرد الفرنساويين من اكاديا وذلك بالمضايقة عليهم لكي يضطروهم الى الرحيل . واول ما باشروا عمله توصلا لغايتهم طلبهم من الافرنسيين تادية قسم الامانة والطاعة للانكليز الامر الذي يتعذر ان لم يستحل على الافرنسي ان يفعله ككاثوليكي . فارشدهم الكهنة الى ان يظهروا طاعتهم وخضوعهم ويرفضوا القسم لانه يؤدي الى هلاك نفوسهم . والامر الآخر الذي فعله الانكليز لمضايقة الافرنسيين هو اتهامهم اياهم بالخيانة واجبارهم اياهم على تسليم سفنهم واسلحتهم . فاطاع اولئك المساكين الامر وسلموا كل شيء . واخيرا طلبوا تادية الايمان ايضا غير ان الحاكم رفض طلبهم قائلا انتم رفضتم ذلك اولا وسيحل بكم عقاب العصيان . ثم جهزوا سفنا انكليزية وابتدا الاجبار على الجلاء فصاروا يرغمون من في الداخلية على الرحيل الى الاساكل ومن هناك يضعونهم افواجا في السفن رجالا ونساء واولادا وما يمكن للسفن حمله من امتعتهم وبقية الاثاث ونحوه يجعلونه ماكلا للنار . فمن ذا يستطيع التعبير عن حالة اولئك المنكودي الحظ عندما كانوا يشاهدون النار تلتهم بيوتهم وامتعتهم بالحقيقة انه لمنظر يذيب الفؤاد حزنا . وقد جلا الانكليز على تلك الصورة المحزنة عن اكاديا ما ينيف عن الثلاثة الاف نسمة من الفرنساويين بين رجال ونساء واولاد بينهم الشيخ العاجز

والطفل الرضيع والمريض المدنف وفرقوهم في اماكن مختلفةمن المستعمرات الانكليزية وحفظ التاريخ بين دفتيه ذكر خراب اكاديا شاهدا على قسوة الانسان على اخيه وخنق عاطفة الرحمة والحنان حتى بين الشعوب الراقية والمتمدنة

—(غزوات شيرلي وجونسون)—

الامر الثالث الذي قرره الجنرال برادوك في مؤتمر الكسندريا قد فوض اتمامه الى شيرلي حاكم مساتشوستس وهو ان يسير بتجريدة من البني الى اوسويكو ومن هناك بحرا الى نياغرا لامتلاك حصنها الذي كان قائما على حمايته نفر لا يستطيعون عنه دفاعا وللسيادة على النهر وقطع طرق الاتصال على الفرنساويين بين النهر والبحيرات ومما قاله برادوك لشيرلي «ان حصن دي كيسين لا يثبت امامي اكثر من ثلاثة الى اربعة ايام ومن ثم التقي بك في نياغرا

وفي اوائل شهر آب سار شيرلي يقود الف رجل فبلغوا اوسويكو في اواخر الشهر وهناك استكملوا معداتهم من سفن ونحوها واستعدوا لمتابعة الغزو ٠ واذا بعاصفة هبت فاقعدتهم ردحا من الزمن ٠ ولما هدات العاصفة نفخت ريح مخالفة لجهة سيرهم فتوقفوا عن السفر ٠ وتفشت الامراض في المعسكر فجاء ذلك ضغثا على ابالة ٠ وفي اوائل تشرين الاول صرح شيرلي بان البحيرة غير امينة للمسير فصغر اولئك «الغزاة» في عيون الهنود اذ لم يروا في قرادهم سوى تمحل الاعذار الفارغة للتقاعس عن اتمام الحملة ٠ والحقيقة هي ان شيرلي لما كان زاحفا بجيشه الى اوسويكو نمي اليه خبر فشل الجنرال برادوك فخشي ان يكون حظه هو الفشل ايضا ٠ وفي ٢٤ تشرين الاول عاد قسم كبير من رجال شيرلي الى بيوتهم وكل ما ربحوه من تلك الحملة كان تحصين قلعة اوسويكو ووضع سبعماية رجل لحمايتها بقيادة القائد مارسار

واما الحملة التي عهد الى الجنرال وليم جونسن القيام بها فهي اكثر اهمية من تلك وغايتها سلب الفرنساويين مركزهم الحصين في كرون بوينت وارغامهم على اخلاء شواطئ بحيرة شامبلين ٠و كان عدد جيش جونسن ثلاثة الاف واربعماية رجل بينهم عدد من الهنود الموالين للانكليز ٠وقد ابتدا جونسن حملته في اوائل شهر آب بينما القائد ليمان تقدم بجيش نيوانكلند الى جهات نهر هدسن قرب البني وشاد هناك حصناً في المكان الذي ينعطف النهر فيه غربا وهنالك حشد الجنرال جونسون جيشه ٠ والبقعة الفاصلة بين نهر هدسن وليك جورج لا يزيد عرضها عن الاثني عشر ميلا فقطعها جيش جونسون ونصبوا مضاربهم على شاطيء البحيرة المذكورة وشرعوا يبنون القوارب والارماث ويستجلبون معدات وذخائر ويستعدون لعبر تلك البحيرة فشغلوا بذلك عن حماية معسكرهم

وقائد الحامية الافرنسية في كرون بوينت الموسيو ديسكو رجل حازم وشجاع القلب فكان دوما يفكر في عرقلة مساعي الانكليز وافساد ارائهم ٠فسار بالف واربعماية رجل من افرنسيين وهنود من كرون بوينت ومخر بهم في بحيرة شامبلين الى سوث باي ومن هناك جنوبا عازمين على ان يمروا بجيش الانكليز دون ان يروهم ويحتلوا قلعة ادورد قبل ان يشعر الانكليز بقدومهم ٠غير ان حيلتهم اكتشفت وسمع الجنرال جونسن بخبرهم فسير القائد وليمز بالف جندي وهندريك زعيم قبيلة الموهاوك يقود مائتي هندي لحماية القلعة المذكورة ٠على ان ادلاء القائد الافرنسي اتاهوه عن الطريق المؤدي الى القلعة فالفى الافرنسيون انفسهم في صباح ثامن ايلول على بعد اربعة اميال الى الشمالي من قلعة ادورد في الطريق المؤدية من نهر هدسن الى ليك جورج واذا بالقائد وليمز قد ظهر مع رجاله سائرين نحو القلعة فاقام القائد الافرنسي من قومه كمينا واوقع الانكليز في الاحبولة بيد ان الهنود الموالين للافرنسيين ابوا اطلاق

عياراتهم على بني جنسهم الموالين للانكليز ولهذا فقد اشتبك الانكليز والافرنسيون معا في القتال وهلك القائد وليمز والزعيم هندريك فاختل النظام في صف الانكليز وبدا الاضطراب والتشويش فانبرى الضابط هويتن يشدد عزائمهم ويحرضهم على الثبات فصبوا نيرانهم على الخصوم وتقهقروا الى جهة البحيرة ٠وقد قتل في ذلك المعترك الجنرال الافرنسي سان بيره

وسمع دوي تلك المعركة الجنرال جونسن فاعد رجاله للقتال ٠ولم يكن هناك حصون و استحكامات فقطعوا الاشجار الى علو مناسب وصنعوا قواعد ار كزوا عليها مدافعهم وكان القائد الافرنسي مصمما على مهاجمة الانكليز في مضاربهم ولكن الهنود الذين معه كانوا يخشون صولة جونسن فابوا ان يهجموا معه فتحولوا الى اجمة مجاورة واختباوا بين الاشجار في مكان امين ولم يبق معه سوى نفر من الجنود النظامية وهولاء خاضوا مع الانكليز غمار موقعة لم يحدث اعظم منها في اميركا منذ اكتشفت ودامت خمس ساعات متوالية وقد حارب الافرنسيون على قلة عددهم بشجاعة نادرة ٠ومع ان قائدهم اصيب بثلاث جراح خطيرة لم يتراجع اوتبدو عليه امارات الكلل ٠وبينما هو مستند الى جذع شجرة تقدم اليه جندي افرنسي كان في خدمة الانكليز لكي يقبض عليه فمد الجنرال يده الى جيبه ليقدم له ساعته علامة التسليم فتبادر الى ذهن الجندي انه يريد اخراج مسدسه ليقتله فبادره بطلق ناري القاه طريحا يختبط بدمه ٠فكان الفوز بجانب الانكليز غير انهم دفعوا ثمنة باهظا ٠ولم يجهد الجنرال وليمز نفسه بشيء في تلك الموقعة مع ذلك انتحل لنفسه شهرة وشاد حصنا في المكان الذي اقام فيه مضاربه دعاه حصن وليم هنري ٠واضيف عدد من الرجال الى حامية قلعة ادورد هذا كان موقف الفريقين في ختام سنة ١٧٥٥

ـ سنتا رزايا وسنتا فلاح · نهاية الحرب مع الفرنسيس والهنود ـ

بعد وفاة الجنرال برادوك سلمت قيادة القوات الانكليزية في اميركا الى الحاكم شيرلي وهذا لم يؤلف جندا نظاميا فاستمرت الحرب على طريقة غير نظامية فبرادوك فرق جيشا وشيرلي بدد آخر · ولقد صادف جورج جونسن نجاحا مذكورا في ضواحي ليك جورج · وعام ١٧٥٦ تولى جورج واشنطن قيادة جيش فرجينيا وقهر الفرنساويين والهنود في ضواحي شنندوه · بينما متطوعو بنسلفانيا اختاروا فرنكلين قائدا لهم ومشوا تحت قيادته الى نهر لاهاي وشادوا هناك حصنا وقاموا بغزوات رابحة · وفي اواخر تلك السنة عقد شيرلي موءتمرا مع حكام الايالات وقرروا ما يجب عمله في السنة المقبلة · واهم ما قرروه ارسال تجريدة عن طريق كنيباك تهدد كباك وتستولي على قلاع فرونتناك وترنتو ونياغرا فينقطع بذلك المدعن قلاع دي كيسين ودترويت وماكنو فتضطر الى التسليم

اما في انكلترا فبعد مناوشات طويلة في البارلمانت تقرر بان توضع كل القوات العسكرية في كندا تحت امرة قائدعام وعينوا ارل لورن لذلك المنصب وعينوا الجنرال ابركومبي واربعين ضابطا من انكليز وجرمان لمساعدته في تنظيم الجند وتدريبهم على الفنون العسكرية · وفي شهر نيسان سنة ١٧٥٦ ابحر الجنرال ابركومبي ومعه كثيبتان من الجنود النظامية الى نيويورك وترتب ان يتبعه لورن لودن بسفن مشحونة ذخائر ومعدات حربية ونحو ذلك · وبقي مدة شهر ينتظر اعداد تلك السفن واخيرا سافر بدونها · وفي ١٥ حزيران اوفدت الحكومة الانكليزية بارجة حربية الى اميركا تحمل مائة الف ليرة انكليزية للقيام بنفقات الغزوات فوصلت الى نيويورك في نفس الوقت الذي وصلها الضباط · وفي خلال ذلك الوقت اعلنت انكلترا الحرب على فرنسا وذلك في ١٧ شهر ايار على اثر مناوشات حصلت بيد جيش كلتيهما دامت سنتين

وبلغ ابركومبي الى البني في ٢٥ حزيران وباشر مسح الارض وحفر الخنادق وانزال جيشه بين الاهلين ·وفي تموز وصل لورد لودن واستلم القيادة العامة · اما الفرنساويون فسرهم ذلك التاخير اولا وبعد ان دافعت الحامية الانكليزية النهار بطوله دفاع الابطال ارغمت على الانسحاب والهرب الى الحصن الاخر في الجهة المقابلة من النهر · فتعقبهم الافرنسيون وحاصروا ذلك الحصن ايضا ·وكان قائما على حراسته الف واربعماية رجل دافعوا عنه بكل قوتهم مدة يومين ثم اضطروا الى التسليم · فغنم الافرنسيون اسلحتهم وذخائرهم فضلا عن ست سفن حربية وثلاثماية قارب ومايه وخمسين مدفعا وثلاثة صناديق مملوءة نقودا · وبذلك الانتصار استولى الافرنسيون على كل ما للانكليز من المراكز الحربية على البحيرات وامر القائد الافرسي ان تهدم اوسيكوحتى الاساسات ارضاء لحلفائه من الهنود

وفي صيف تلك السنة اي سنة ١٧٥٦ نكثت قبائل دلاوير بعهودها فثاروا في غربي بنسلفانيا وعاثوا في الارض فسادا فكانت ضحايا هياجهم الف قتيل واسير ·فاسرع القائد الشجاع ارمسترن بثلاثماية متطوع وهجم على الهنود بغتة واستاصل شوكتهم من تلك تلك الاصقاع ولم يفقد من رجاله سوى ستة عشر وجرح هو والقائد مارسر جراحا ذات بال

واما لورد لودن فكان لم يزل في البني ·وصار عدد جيشه كافيا لامتلاك حصون ومعاقل الافرنسيين في كندا باقل من ستة اسابيع · وعوضا عن ان يسرع بالزحف شمالا توانى وصرف فصلي الصيف والخريف بما لا طائل تحته كالاستعداد لصد الافرنسيين اذا هاجموه وحفر الخنادق وما شاكل ذلك · ولما اقبل الشتاء ببرده القارس صار يضيق على جنود المستعمرات ويأوي الجند الانكليزي النظامي الى البيوت الاهلية في افضل البلدان فشاعت اخباره بين الافرنسيين فاستخفوا به · وما لبثوا حتى ملاءوا

بحيرة شامبلين بسفنهم وانموا بناء قلعة في تيكوندروغا • وقدعبرت سنة ١٧٥٦ ولم يات الانكليز عملا يذكر ماخلا حملة ارمسترن المار ذكرها

ولم يكن نجاحهم عام ١٧٥٧ افضل منه في العام الغابر واقتصرت حملات لودن التي صرف وقتا طويلا في رسم خطتها على اخضاع بلدة لويسبرغ • ومنذ ابرام معاهدة يوترشت استرجع الافرنسيون كايب برتن وحصنوا قلعة لويسبرغ حتى غدت امنع من عقاب الجو

ثم انه في ٢٠ حزيران ابحر لوردلودن من نيويورك ومعه ستة الاف جندي نظامي فبلغوا الى هاليفاكس في اول تموز ووافاه اليها الامير هولبورن باسطول منيع موءلف من ست عشرة بارجة حربية على متنها خمسة آلاف جندي من خيرة جنود انكليترا فاختار لودن ساحة موافقة واحل بها جنوده واقام الضباط على تمرينهم يوميا وكلهم مدربون على الفنون الحربية الحديثة ومعتادون خوض معامع القتال • واذا بالاخبار وافته بان السفن الفرنساوية في مينا لويسبرغ زاد عددها واحدا عن السفن الانكيزية فاعتراه من ذلك الجزع وصرف اسطوله وعاد بجيشه الى نيويورك يتعثر باذيال الخجل ولما بلغها اشار على ضباطه بان يخلوا لون ايلند ويستعدوا لمصادمة العدو المهاجم مع ان جيشه كان يفوق جيش الافرنسيين بنسبة اربعة الى واحد

اما الفرنساويون فتشددوا وهاجموا الانكليز وغنموا قلعة ادورد هنري ولم يبقوا في حوزتهم شيئاً في كل ضواحي سانت لورنس وفي وادي اوهايو واصبح ما تملكه فرنسا في اميركا سنة ١٧٥٧ اكثرمما تملكه انكلترا بعشرين ضعفا واكثر مما تملكه انكلترا واسبانيا بخمسة اضعاف ولحق بانكلترا عار عظيم من جراء ذلك الانخزال

فلما بلغت تلك الاخبار المشينة الى انكلترا شمل اليأس اولياء الامور فيها فتخلى دوق نيوكسل والوزراء رفقاوءه عن مناصبهم وتألفت وزارة جديدة برئاسة وليم بت

السياسي الشهير الملقب «بالعامي العظيم» · اما لورد لودن الابله فخلع من منصبه وخلفه فيه الجنرال ابركومبي · على ان الفوز الذي حصل بعد ذلك لم يكن بفضل القائد العام بل بفضل الضباط المساعدين الذين انتقاهم رئيس الوزارة بت وارسلهم الى العالم الجديد · وعقد لواء الاسطول المؤلف من اثنتي وعشرين سفينة وخمس عشرة بارجة على الاميرال بوسكون.

وفرضوا ثلاث حملات في تلك السنة اي سنة ١٧٥٨ فتقرران القائد امهرست بمساعدة الاسطول يستولي على لويسبرغ · واللورد هوي بمشارفة القائد العام يخضع كرون بوينت وتيكوندروغا · اماالاستيلاء على وادي اوهايو فوكل الى الجنرال فوربس وفي٢٨ ايار بلغ القائد امهرست الى هاليفاكس بعشرة الاف جندي ·وبعد ذلك بستة ايام القى الاسطول الانكليزي مرساته في خليج كاباروس ·ولما اكتملت الاستعدادات اللازمة اشتبك الانكليز والفرنساويون في عدة مناوشات ومن ثم حاصر الانكليز لويسبرغ فدافع الفرنساويون عنها بكل استطاعتهم الى ان نفدت ذخائرهم فسلموا في ٢٨ تموز وكانت خسائرهم فادحة برا وبحرا · وسلمت ايضا جزيرة برنس البرت وكايب برتن وقبض الانكليز على ستة الاف اسير افرنسي وارسلوهم الى انكلترا ·فلما تم للقائد امهرست النصر اخلى لويسبرغ واما الاسطول فرسى في مينا هاليفاكس

وفي ١٥ تموز زحف الف جندي بقيادة هوي للاستيلاء على تيكوندروغا فوصلوا الى ليك جورج واحتلوا شاطئها الغربي ولم تكن الارض التي حول معقل الفرنساويين صالحة للحركات العسكرية · فتقدم الرجال تاركين امتعتهم وراءهم وقاد لورد هوي طليعة الجيش بنفسه ·وفي صباح سادس تموز صار الانكليز على مقربة من الحصن الافرنسي فالتقوا بفرقة افرنسية عدد رجالها ثلاثمائة فاشتبكوا معهم بمناوشات عنيفة فاز فيها الانكليز ولكن الفرنساويين اوقعوا بهم اضرارا بليغة وقتلوا القائد هوي فحزن الجند جدا

لتلك الخسارة وعادوا القهقرى

وفي ثامن تموز اشاع مهندسو الانكليز بان استحكامات تيكونديوغا مما لا يعتد به فزحف الجيش لدكها واحتلال الحصن ولما صار واعلى مقربة من المدافع الافرنسية تقرر بانهم يهجمون دفعة واحدة . فاستمروا مدة اربع ساعات يهاجمونها صفا يتلو اخر ولكنهم وجدوا في خصومهم عدوا صعب المراس وفي استحكاماته قوة هيهات ان تقهر . وكان عدد الافرنسيين الذين تولو الدفاع اربعةالاف بقيادة الموسيو مونتكام الذي كان يرى في شدة حر تموز نازعا عنه رداءه وجائلا بين رجاله ينخيهم ويحمسهم . وفي الساعة السادسة صد الافرنسيون هجمات الانكليز الذين بلغت خسائرهم الفا وتسعمائة وستة عشرين بين قتل وجريح

ومع كل تلك الخسارة بقي الانكليز اكثر عددا من االافرنسيين بنسبة ثلاثة الى واحد . وكان يمكنهم لم شعثهم واعادة الكرة لافتتاح القلعة ولكن قائدهم ابر كومبي لم تكن فيه الشجاعة والمقدرة على ذلك فتقهقر الى قلعـــة جورج واقتصر على ارسال ثلاثة الاف جندي بقيادة الكولونيل برادستريت لمهاجمة حصن فرونتناك الواقع عند مخرج بحيرة اونتاريو وكان عدد حاميته قليلا . فبعد حصار يوم واحد افتتحوه وكان ذلك الحصن ذا اهمية حربية للفرنساويين وغنم الانكليز ٤٦ مدفعا وتسع سفن حربية وكمية كبيرة من المؤونة والذخيرة . فكان للانكليز بذلك الانتصار بعض التعزية عن فشلهم السابق . وصار عدد الافرنسيين يتناقص وعزائمهم ترتخي تدريجا فارسل القائد مونتكام الى وزارة دولته يلح في طلب السلام وعقد الصلح

وفي اواخر الصيف زحف القائد فوربس بتسعة الاف جندي من فيلادلفيا بقصـــد افتتاح قلعة دي كيسين . وتولى جورج واشنطن قيادة فرقة فرجينيا وارمسترن تولى قيادة فرقة بنسلفانيا وسار الجميع بانتظام . غير ان الماجور غرانت كان عجولا اكثر من

حكيما • فاسرع بفرقته حتى صار على بعد بضعة اميال من قلعة كيسين قاصدا اصطياد الفرنساويين والهنود بكمين غير انهم هم كمنوا له وافقدوه ثلث رجاله •واما بقية الجيش فتقدموا بانتظام نحو القلعة التي لم يزد عدد حاميتها عن الخمساية وفي ٢٤ تشرين الثاني صار واشنطن ورجاله على بعد عشرة اميال من دي كيسين •وفي ذلك اليوم هب الافرنسيون فاحرقوا القلعة وانهزموا فدخلها الانكليز في الصباح ونصبوا فوقها راية دولتهم ودعوا ذلك المكان بتسبرغ

وبعد ذلك تعين امهرست قائدا عاما للجيش الانكليزي في اميركا • وقرر البارلمانت ان يصرف مبلغ اثني عشر مليون ليرة انكليزية في مداومة الحرب •ولقد اجهدت المستعمرات الانكليزية نفسها فوق الطاقة • ففي بداية سنة ١٧٥٩ بلغ جيش انكلترا في اميركا مع جيش المستعمرات خمسين الفا •بينما سكان كندا كلهالم يتجاوز اتئذ الاثني وثمانين الف نفس ومجموع الجيش الافرنسي فيها سبعة الاف وما كان ليكفي مطامع رئيس الوزارة الانكليزية بت سوى الاستيلاء على كندا • ففرض القيام بثلاث غزوات في تلك السنة •وتعين ان الجنرال بريدو كس يقود الحملة على نياغرا لامتلاك قلعتها والتدرج الى مونتريال من هناك •وان القائد العام امهرست يقود الجيش الرئيسي للاستيلاء على تيكوندروغا و كرون بوينت • وان القائد ولف يسير في نهر سانت لورنس بقوة كافية للاجهاز على ما تبقى والاستيلاء على كباك • فبعد معارك ومجازر يطول شرحها تم للانكليز الظفر بما ارادوا وتكبد الفريقان خسائر فادحة •وقد اظهر الجنرال ولف الذي كان موقفه محفوفا بالاخطار والمصاعب اكثر من الجميع شجاعة وبسالة وحذاقة يدونها له التاريخ بمداد الافتخار وفي الموقعة الاخيرة بين الانكليز والفرنساويين في كباك اصابته جراح خطيرة القته طريحا على الارض فسمع وهو في تلك الحالة صوت قائل «انهم يركضون انهم يركضون » فسال من هم الراكضون

فاجابوه ان الفرنساويين يركضون وهم هاربون الى كل جهة فاجاب «اذا اموت مسرورا واسلم روحه بين دوي الرصاص وفي وسط دخان المعركة المتراكم · وكذلك القائد الافرنسي مونتام الذي اظهر شجاعة نادرة سقط جريحا من قنبلة اصابته فقد سال طبيبه قائلا «هل اعيش» فاجابه الطبيب بضع ساعات فقط فاجاب القائد الشجاع قائلا ان ذلك لافضل فانني لا احب ان يفسح باجلي لكي ارى سقوط كباك »ولم تمر سنة ١٧٥٩ حتى فاز الانكليز بما يريدون ·وفي ربيع السنة التالية ارسلت فرنسا قوة لاسترجاع ما خسرته ولكنها لم تفلح ·وفي ثامن ايلول من تلك السنة سلمت مدينة مونتريال وهي اخر ما بقي بيد الفرنسيس في بطاح سانت لورنس للجنرال امهرست فاضحت كل كندا تحت سلطة الانكليز وملكا لهم

في ربيع سنة١٧٦٠ ثارت قبائل الشيروكيس فيجهات تناسي على الانكليزفحاصروا في قلعة لودن الواقعة على الطرف الشمالي الشرقي من تلك الايالة واخيرا اضطرت حاميتها الى التسليم بشروط شريفة فلما سلموا انقض الهنود عليهم فقتلوا بعضهم واستاقوا الاخرين اسرى · فاوفد الجنرال امهرست القائدين مونتغمري وغرانت للانتقام من الهنود فانهزموا من امامهما مختبئين في الجبال وارغموا على طلب الصلح صاغرين

وبسقوط كندا بيد الانكليز تقاص ظل نفوذ فرنسا في اميركا واصبحت انكلترا ذات السلطة فيها فريدة لا ينازعها منازع ولا يقاومها مقاوم

ودامت الحرب سجالا بين اسطولي انكلترا وفرنسا بعد سقوط مونتريال مدة ثلاث سنوات وكان النصر فيها معقودا على الراية الانكليزية ·وفي عاشر شباط سنة ١٧٦٣ ابرمت معاهدة السلم بين الدولتين في باريس وبموجبها تخلت فرنسا عن كل املاكها في اميركا الشمالية الواقعة من مصدر نهر مسسبي الى نهر اليبرفل ومن هناك الى خليج مكسكو · ومثل ذلك اسبانيا التي اشتبكت ايضا بحرب مع انكلترا

تخلت لها عن املاكها في شرقي وغربي فلوردا واضطرت ان تعيضها عنها باملاكها الواسعة غربي المسسبي المعروفة بمقاطعة لوزيانا · وبذلك خسرت فرنسا اخر املاكها في في العالم الجديد انتهت الحرب مع فرنسا والهنود وهي من حروب الكون المهمة

الفصل الحادي والثلاثون

— بيان حال المستعمرات —

قبل ان نتقدم الى تفصيل الثورة الاميركية وما رافقها من الحوادث التي غيرت تاريخ البلاد وادختها في طور جديد نرى من الواجب بسط حالة المستعمرات العمومية توطئة لما سيجيء وتعميما للفائدة

ان المستعمرات الاميركية بلغ عددها ثلاث عشرة مستعمرة اربع منها في نيوانكلند اي انكلترا الجديدة وهي مساتشوستس ورد ايلند وكنكتكيت ونيوهمشير · واربع متوسطة وهي نيويورك ونيوجرزي وبنسلفانيا ودلاوير · وخمس في الجنوب وهي ماريلاند وفرجينيا ونورث كارولينا وسوث كارولينا وجيورجيا · وكلها نمت وزهت وبلغت درجة سامية في سلم الارتقاء والفلاح ونشأ في العالم الجديد شعب غيور نشيط محب للعمل · وشيدت معاهد كثيرة نافعة لا يوجد نظيرها في العالم القديم انما

الضرورة دعت اليها فرقت وعظمت

وبحسب تقويم سنة ١٧٦٠ بلغ عدد سكان المستعمرات مليونا وستة آلاف وخمسة وتسعين الف نسمة منهم ثلاثماية وعشرة الاف زنجي ٠و كانت مساتشوستس اقوى جميع المستعمرات و كان يقطنها ما ينيف على المئتي الف نسمة من الاوربيين ٠ غير ان فرجينيا كانت تفوقها بعدد السكان لان سكانها كانوا اكثر من ٢٨٤ الف نسمة ولكن منهم ١١٦ الفا من الزنوج وبنسلفانيا كانت الثالثة في عدد السكان فسكانها كانوا نحو مائتي الف نسمة وبعدها كنكتكيت وسكانها ١٣٠ الفا فماريلاندوسكانها ١٠٤ الاف نسمة فنيويورك وسكانها ٨٥ الفا فنيوجرزي فسوث كارولينا فنورث كارولينا فجيورجياالتي كانت اقل الجميع سكانا فلم يتجاوز عدد سكانها الخمسة الاف نسمة مع الزنوج

و كان لشعب المستعمرات الاميركية في منتصف الجيل الثامن عشر اخلاق وعادات ممتازة عن شعوب اوروباعلى انهم لم ينعتقوا بالكلية من العادات والخصوصيات التي صحبت اسلافهم من العالم القديم ٠ ففي ولايات نيوانكلند سيما في مساتشوستس و كنكتكيت كانت تقاليد البيورتان سائدة فيهما ٠ وعلى ضفتي نهر هدسن كانت شائعة لغة وعادات وازياء هولاندا على ما كانت عليه منذ جيل خلا ٠ وفي دلاوير كان الكويكر مبذلون جهدهم في المحافظة على كل الرسوم التي وضعها وليم بن سواء كان في الاحكام او في الديانة ٠ وعلى ضفة نهر بوتوماك الشمالية كان الشاب فردريك لورد بالطيمور السادس يجري الاحكام بين الناس على نفس الطرق التي وضعها السير جورج والسير سسل كلفر منذ مماية وخمسين سنة ٠ اما فرجينيا ام المستعمرات وموطن رجال السياسة فشعبها كان محافظا على العادات والترتيبات القديمة ٠ كما ان شعب نورث كارولينا استمروا دائبين على الصيد والقنص ٠واما في سوث كارولينا فكان النجاح باسما وثغر الهناء مفترا وتمتع شعبها بحرية ممتازة بسبب تعديهم المتواصل

على الامتيازات الممنوحة للمفوضين الملكيين · ومعظم سكانها افرنسيو الاصل فلم يفتا وا من المطالبة بامتيازاتهم وحقوقهم بكونهم نسل المهاجرين الاولين · وجيورجيا كانت اقل المستعمرات قوة وفلاحا · والشرائع التي وضعها الاقدمون لم تعد موافقة لاحوال ذلك الجيل · وصار سكان الايالات اكثر اتصالا ببعضهم واقل تعصبا من السابق

اما لجهة العلوم والمعارف فنيوانكلند سبقت الجميع · فكانت مدارسها المجانية منتشرة من نهر هدسن الى ضواحي بينوبسكوت · وكل قرية مهما كانت حقيرة انشىء فيها معهد علمي فانتشرت المعارف بين الاهلين حتى انه في زمان الثورة لم يوجد شخص مولود في نيوانكلند يجهل القراءة والكتابة · اما في المستعمرات المتوسطة فكانت المعارف اقل انتشارا ما خلا بنسلفانيا فان شعبها كان مجدا في طلب العلوم سيما في فيلادلفيا · ومن بين المستعمرات الجنوبية امتازت فرجينيا بحسب التعليم والتهذيب · وقبل الثورة الاهلية انشئت في العالم الجديد تسع كليات معتبرة وهي كلية هارفرد ووليم وماري ويال وبرنستون وكن (وهي الان جامعة كولمبيا) وبرون وكوين (دعيت بعد ذلك تجرز) ودارتموث وهمبدن وسرفي · وسنة ١٧٦٤ انشئت اول مدرسة طبية في فيلادلفيا

وكذلك المطابع وهي من اهم اركان العمران والمدنية لم يهمل امرها · بل في سنة ١٧٠٤ انشئت في بوسطن مطبعة وجريدة «النيوز لتر» وهي الاولى في العالم الجديد وسنة ١٧٢١ انشئت جريدة اخرى اسمها «انكلند كرنت» وهي صفيحة صغيرة انشئها الاخوان جيمس وبنيامين فرنكلين وخصصاها لنشر المبادي الحرة ومحاربة الرذيلة · وسنة ١٧٤٠ انشئت جريدة في كل من مستعمرات نيويورك وفرجينيا وسوث كارولينا · وفي نهاية الحرب مع الفرنساويين والهنود كان عدد الجرائد في

سائر المستعمرات عشرة والذي حال دون انشاء جرائد في العالم الجديد عدم وجود مدن كبيرة فيها وصعوبة المواصلات · فاكبر المدن آنئذ كان بوسطن وفيلادلفيا وعدد سكان كل منهما لا يزيد عن الثمانية عشر الف نسمة · ومدينة نيويورك لم يتجاوز عدد سكانها الاثني عشر الفا · ولم تكن مدينة كبيرة في كل مستعمرة فرجينيا وفي جيورجيا لم تكن هناك قرية تستحق الذكر · والكتب لم تكن كثيرة الانتشار والمفيد منها كان اقل من القليل وكل الكتب الموجودة مقتصرة على التاريخ واللاهوت والسياسة · وقد نشأ في المستعمرات رجال علم وفضل واطلاع واسع في علوم تلك الايام ونبغ بينهم كتبة مجيدون نظير طوماس جفرسن وفرنكلين ولفنستن وآدم وغيرهم

والعقبة الكؤود التي قامت في سبيل تقدم المستعمرات هي صعوبة المواصلات · فلم تكن هنالك طرق عمومية ولا بريد لنقل المراسلات ونحوها فلم تكن المستعمرة الواحدة تدري ما هو جار في المستعمرة الاخرى · حتى ان الاتصالات بين الاساكل البحرية كانت قليلة جدا · وحدث ان عربة «اكسبرس» اجتازت المسافة بين نيويورك وفيلادلفيا بمدة يومين فعد الاهلون ذلك سرعة خارقة

وقبل الثورة كان شعب المستعمرات منصرفا بالاكثر الى الفلاحة والزراعة وكل مستعمرة امتازت بزرع نوع من الحاصلات · ففرجينيا مثلا كانت كل مزروعاتها تقريبا دخانا وغيرها غير ذلك مما لا فائدة من تفصيله · اما في التجارة فامتازت مدينة نيويورك وفيلادلفيا وبوسطن بيد ان وسائل النقل كانت قليلة كما تقدم · والامر الذي اهتم له الاهلون بنوع اخص هو بناء السفن ففي سنة ١٧٣٨ ابتنوا لا اقل من ٤١ سفينة معدل محمول الواحدة منها ١٥٠ وقد صنعت في معمل السفن في بوسطن · وكل المصانع لانشاء السفن كانت في نيوانكلند غير ان مجلس التجارة في لندن كان

يعاكس نجاح تلك المصانع وكانت الوزارة الانكليزية واقفة بالمرصاد لشعب المستعمرات وعامله على ابقائهم ضمن دائرة لا يتعدونها مدفوعين بعامل الحسد وحب المنفعة الخاصة واذا وجد مصنع في العالم الجديد قبل الثورة من اي نوع كان فهو قد شيد على رغم ارادة الحكومة الانكليزية

هذا بيان حال المستعمرات قبل انفجار بركان الثورة · وقد اصبح ابناء المطرودين من اوروبا اسياد العالم الجديد وقبضوا على ناصية التجارة والزراعة والصناعة فيه · وقد احرزوا ذلك باتعابهم المتواصلة ودمائهم الزكية المطلولة في سبيل نيلهم ما نالوه · وقد كانوا من عشاق الحرية ودعاة الاصلاح فلا يحتملون ضغطا ولا يخضعون لحكم جائر مانتو فاذا ثاروا لنيل حريتهم وكسر قيود ظالميهم فليس ذلك بالامر المدهش لان الظروف والاحوال التي نشأوا فيها جعلت طلب الحرية غريزة فيهم · وقد زادهم ضغط انكلترا عليهم نشاطا وجراة في الجهاد لتتمتع بالحرية التامة وشهر السيف في وجه كل من يريد منعها عنهم او نزعها منهم او العبث بحقوقهم وامتيازاتهم

القسم الرابع

—(الثورة والتحالف والاستقلال)—

من سنة ١٧٧٥ الى سنة ١٧٨٩

الفصل الثاني والثلثون

—اسباب الثورة وحرب الاستقلال —

ان حرب الاستقلال الاميركي من اهم الحوادث التي يدونها التاريخ · فبها كبح جماح مطامع الشعوب الاوربية جمعاء وحرر المهاجرون الذين تكبدوا اشد المتاعب واعظم المخاطر في سبيل الحصول على «وطن » والانعتاق من ربقة الاسياد والروءساء والمسلطين · ونصبوا للحرية تمثالا هيهات ان يقوى الزمان على ازالته · والامر الذي تسعر اتون الكفاح لاجل تقريره هو هذا · هل تبقى المستعمرات الاميركية خاضعة لسلطة انكلترا ام لا · وهل تبقى توءدي لها الجزية وتاتمر بامرها او تملك نفسها بنفسها · فقد قرروا الامر الاخير وهو ان تلك المستعمرات يجب ان تنفصل عن حكومة انكلترا

وتستقل · وهكذا نالت استقلالها بدماء شهدائها وغدت بعد ذلك اعظم جمهورية في العالم · وفاقت سائر الممالك بالعلوم والاختراعات والصنائع والتجارة وغير ذلك حتى دعيت بعدل بلاد العجائب ومهبط الغرائب ·واول ما يهم البحث فيه من وجهة تاريخية اسباب تلك الحرب والباعث لها والحامل عليها

فاول تلك الاسباب نفوذ فرنسا التي ما فتأت تنفخ روح المقاومة في المستعمرات حتى ان ملك فرنسا لم يوقع معاهدة سنة ١٧٦٣ التي بها تخلى لانكلترا عن كندا الا على رجاء ان المستعمرات الانكليزية تزداد قوة تخولها نزع سلطة الانكليز عنها وكانت انكلترا توجس خوفاً من ذلك · وقد عرض البارلمانت على فرنسا ان تستعيد كندا املا بالحؤول دون نمو المستعمرات وازدياد قوتها فابت · وقد قال الساسة الافرنسيين عند توقيع معاهدة سنة ١٧٦٣ المذكورة «هاقد وضعنا اساسا لثورة في اميركا تكون نتيجتها خسران انكلترا امبراطوريتها في الغرب »

والسبب الاخر لتلك الحرب فطرة سكان المستعمرات والصفات المورثة فيهم · فقد كانوا في غالب الاحيان جمهوريين في سياستهم واحرارا في ديانتهم بخلاف شعب بريطانيا الذين هم ملكيون سياسة ومقيدون دينا بتقاليد كنيسة انكلترا اما المهاجرون فلم ينظروا ملكا ولا عرفوا السلطة الارستوقراطية كما في بلاد الإنكليز · وما نظروه من سوء معاملة عمال الملك لهم جعلهم يستنكفون من الاحكام الملوكية · وما زالوا يرددون ذكر الحالة التي هاجر عليها اسلافهم الاوطان والاسباب الحاملة · وقد تقضي عليهم ستة اجيال كانوا في خلالها يديرون شوءون انفسهم ويعملون بجد واجتهاد لما فيه فلاحهم واستقامة امورهم وكانت ظروف الحال تقضي بان تكون حكومتهم جمهورية اكثر منها ملكية وجاءت الحرب مع الافرنسيس والهنود دليلا ساطعا على ان لشعب المستعمرات استطاعة على الذوذ عن حياضهم وصيانة بلادهم

وكان فكر الاستقلال يخامر كل سكان المستعمرات ويتقوى من يوم الى اخر وجزم المتقدمون بينهم بان الانفصال عن انكلترا ليس هو ضروري فقط بل مستحب ومشتهى ومفيد للبلاد التي اضحت ذات قوة لا يستخف بها ·وقد كتب جان ادمس سنة ١٧٥٥ اثناء وجوده استاذا في احدى مدارس كنكتكيت قائلا «بعد انقضاء جيل اخر لا تقدر على اذلالنا كل اوروبا مجموعة » وكانت احاديث كهذه كثيرة التداول بين القوة ولكن تحت جناح الاستتار والتكتم اولا ثم شرعوا ينشرونها بكريرسات ويوزعونها ثم نشروها على صفحات الجرائد السيارة واخيرا جاهروا بها في كل مكان غير ان العامة كانوا قليلي الاكتراث بامر الاستقلال لما كانوا يتصورون فيه من المتاعب والخسائر ولم يغد ذلك الامر عموميا حتى ابتدات الحرب

ومن الاسباب الحاملة ايضا ما ورد في براءة الملك جورج الثالث الذي تسنم عرش انكلترا سنة ١٧٦٠ وهو شر ملوك عصره وكل احكامه كانت استبدادية وكان فظا غشوما وبليدا قليل الادراك ومتهضما للحقوق · وكانت مدة ملكه ستين سنة كلها ايام شوءم ونعاسة ·ولم يستخدم من الرجال الا من كان على شاكلته ·ففي ايام ملك هذه صفاته واطواره كان يستحيل على سكان المستعمرات الحصول على ما يريدون

وسبب اخر مهم لتلك الحرب هو سن البارلمانت عدة شرائع ايلة الى نزع حرية المستعمرات · فاستهجن سكانها تلك الشرائع واستعملت الحكومة العنف في تنفيذها واخص ما قاومه المهاجرون في الاثني عشرة سنة السابقة الثورة امر الضرائب ومعلوم ان مجلس العموم في بلاد الانكليز يقرر كمية المكوس وتعريفة الجمارك التي توضع للقيام بنفقات الحكومة · فطلب شعب اميركا من حكومة انكلترا ان تساويهم برعاياها وتخول نواب المستعمرات نفس الحقوق التي لمجلس العموم فانكرت عليهم ذلك · وجرت بين حكام الايالات الاميركية ووزراء انكلترا مناقشات طويلة بهذا

الشان نضرب صفحا عن سردها

وسنة ١٧٦٤ جزم البارلمانت بوضع ضرائب على المستعمرات وكان المستر كرنفيل رئيس الوزارة انئذ وفي جلسة اذار لمجلس العموم اقترح احدهم مهر كل الاوراق الرسمية في المستعمرات الاميركية بختم الحكومة الرسمي ومقاضاة رسم معين على ذلك وكانوا قبلا قد فرضوا رسوما جمركية على السكر والعسل فلما شاع خبر ذلك باميركا هاج الاهلون اي هياج وضجت صحف الاخبار ضجيجا ردد صداه في سائر المستعمرات وكتبوا احتجاجا عاما على تلك الشريعة الخرقاء وارسلوه الى انكلترا بيد رجال اختاروهم لتلك الغاية

وكان للمسالة وجه اخر وهو انه بعد انتهاء حرب الفرنساويين والهنود وتوقيع معاهدة الصلح اصبحت الحكومة الانكليزية مثقلة بالديون . فصرح الوزراء بان مصارفات تلك الحرب يجب ان تجبى من المستعمرات الاميركية . فاجاب الاميركيون على ذلك بان يجب على انكلترا حماية مستعمراتها وبان المستعمرات ساعدت انكلترا بمقدار ما هي ساعدتها وان كندا التي ربحتها بتلك الحرب تعيضها عن خسارتها وبانه اذا حدثت حرب اخرى فهم يحمون ذمارهم بذاتهم بدون ان يكلفوا انكلترا شيئاً

وكل تلك الاحتجاجات لم تجدي نفعا . ففي اذار سنة ١٧٦٥ قررت شريعة الختم السالفة ذكرها وهي انه يجب ان تكتب الكمبيالات واوراق الرهن والاجار والرخصات وما شاكل ذلك على اوراق مختومة بختم الحكومة وتلك الاوراق لا يمكن ابتياعها الا من حكومة انكلترا وثمن الصفيحة الواحدة يتراوح بين ثلاث بنسات وست ليرات انكليزية وكذلك اوجبوا طبع الجرائد والتقاويم ونحوها على اوراق مختومة وثمن الورقة من نصف بنس الى اربع بنسات . ويتقاضى مبالغ شلينين على كل اعلان عمومي ولا تعتبر

الاوراق الرسمية صحيحة الا اذا كانت مسطرة على ذلك الورق المبصوم بختم الحكومة

فوقعت اخبار تلك الشريعة في اميركا موقع الصاعقة · وتجمهرت الجموع في المدن الكبيرة وارتفعت اصوات الضوضاء من كل جانب ·وقرعوا في بوسطن وفيلادلفيا الاجراس قرعات حزن قائلين ان الحرية قد ماتت · وفي نيويورك حملوا تلك الشريعة مكتوبة ووضعوها على عصا وسمروا فوقها جمجمة وطافوا بها في الشوارع و كتبوا تحتها هذا العنوان «غباوة انكلترا وخراب اميركا اما الحكام الذين كان يعينهم الملك واعضاء المجالس الذين كانوا ممالئين لحكومة انكلترا فلم تبدو عليهم امارات التحمس او يفوهوا بكلمة يستفاد منها كون عمل انكلترا هذا هو محض ظلم · بخلاف الشبان من اعضاء المجالس الذين كانوا مملوئين حماسة وغيرة وطنية فانهم لم يترددوا في التنديد بتلك الشريعة الظالمة وتسفيه راي واضعيها · اما في مجلس فرجينيا فحدث مشهد مشهور وهو

ان باتريك هنري احد اعضاء ذلك المجلس كان اصغر الجميع سنا واقلهم علما فتربص وامسك عن الكلام املا ان زملاءه الاكبر منه سنا والاوسع معرفة يبدون اراءهم بخصوص تلك الشريعة ولما طال انتظاره ولم يفه احدهم بكلمة اغتاظ من فتورهم في ابداء عواطفهم الوطنية فانتزع بنزق الشباب ورقة من كتاب هناك و كتب عليها بعض ملاحظات منها ان سكان فرجينيا انكليز ولهم نفس الحقوق التي لسكان انكلترا الذين لهم كل الحرية بوضع ضرائبهم وهكذا يجب ان يكون للاميركيين ·ولا يجب على سكان المستعمرات الاميركية ان يذعنوا لاية شريعة تثقل كاهلهم بالضرائب والذي يقول الخلاف فهو عدو البلاد العامل على خرابها وطرح تلك الملاحظات امام المجلس للمفاوضة فدارت المناقشات فيها وانتصر باتريك على زملائه بقوة حجته ورباطة جاشه وسديد برهانه · وكان في جملة اعضاء ذلك المجلس اثنان صارا بعد ذلك

رئيسين على الولايات المتحدة وهما جورج واشنطن وطوماس جفرسن وبعد مجادلات عنيفة اقر المجلس على اثبات تلك الملاحظات واجازها

وحذت نيويورك ومساتشوستس حذو فرجينيا • واقترح احدهم في بوسطن ان يؤلف مجلس نواب عن الشعب في اميركا وان كل مستعمرة تجري احكامها بدون رخصة من الملك وترسل نوابا الى ذلك المجلس الذي سيلتئم في الخريف القادم للبحث في شؤون وحاجات الامة فصادف اقتراحه ارتياح الاكثرين •وفي الاجل المضروب ارسلت تسع مستعمرات نوابا عنها وفي اول تشرين الاول التأم «الكونغرس» أو مجلس نواب الشعب لاول مرة في اميركا وذلك في مدينة نيويورك وكان عدد النواب ثمانية وعشرين وانتخبوا تيموثاوس ركلس من مساتشوستس رئيسا له وبعد مناقشات طويلة ومباحثات جمة أصدروا منشور «المساواة في الحقوق »ومن مضمونه ان شعب المستعمرات الاميركية هم نظير شعب انكلترا فلا يرضون بوضع ضرائب عليهم الا بواسطة نوابهم ورفعوا بذلك عريضة للملك واظهروا خضوعهم واحترامهم له ورجوه ان يمنع رعاياه الاميركيين لكن شرائع حقة وعادلة

وجاء اليوم الاول من شهر تشرين الثاني وهو الاجل المسمى لانفاذ شريعة الاوراق الممهورة•وكانت حكومة انكلترا قد ارسلت منها مقادير وافرة في غضون فصل الصيف الى اميركا • فاخذ سكان نيويورك عشرة صناديق مملوءة من تلك الاوراق واتلفوها جهارا وفي كنكتكيت هددوا مامور تلك الاوراق باعدامه شنقا •وفي بوسطن أخربوا البيوت التي فيها تلك الاوراق وجعلوها ماكلا للنيران •واعادوا الى انكلترا سفنا كانت مشحونة اوراقا مختومة • واوجبوا على كل مأمور يبيع تلك الاوراق اما الاستعفاء من وظيفته او مغادرة البلاد فما جاء الوقت المعين لاستعمال تلك الاوراق حتى لم يعد منها في اميركا ما يكفي لبلدة واحدة وجعلوا غرة تشرين الثاني يوم حزن وحداد

فاقفلوا الحوانيت ورفعوا الرايات الى منتصف السواري وقرعوا الاجراس ضربات حزن وجمعوا ما تبقى من الاوراق المذكورة وبعد ان ابدوا كل استهزاء بها وبمرسيلها أحرقوها · وفي نيوهمشير حمل جمهور كبير تابوتا ضمنه عنوان الحرية ومشوا كما في جنازة ودفنوا «تابوت الحرية» وفي اماكن إخرى وزعوا صورة تشير الى ان الاتحاد هوالدواء الناجع للنجاة من تلك الويلات وايضا صورة حية مقطعة الى اقسام وعلى كل قسم الحرف الاول من كل مستعمرة وتحته هذه العبارة «اتحد او مت

وفي اول الامر توقفت الاشغال تماما واغاقت ابواب المحاكم وبطلت الاجتماعات العمومية حتى انه لم تصدر ورقة زواج شرعية · بيد انهم سكن روعهم تدريجا وعادوا الى مزاولة اشغالهم ولكنهم لم يستعملوا الاوراق المدموغة · وفي تلك الاونة تم تاليف الجمعية «المعروفة «بابناء الحرية»وغايتهامقاومة المظالم الانكليزيةحتى النهايةوالمحاماةعن حرية المستعمرات حتى الدم · وكذلك تجار نيويورك وبوسطن وفيلادلفيا إعتصبوا وقرروا بانهم لا يشترون سلعا من بلاد الانكليز حتى تلغى شريعة الاوراق الممهورة · ولما عرف الشعب ذلك جزموابعدم استعمال ما يرد من بلاد الانكليز مهما كانت حاجتهم اليه شديدة

فلما بلغت تلك الاخبار الى انكلترا تميز اولياء الامر غيظا وحنقا · على ان كثيرين من كبار التجار وذوي المصانع اخذوا جانب الاميركيين وبعض رجال السياسة ناصروهم ايضا · والوزير بت دافع عنهم دفاعا حسنا مبينا للحكومة ان لا حق لها في استيفاء تلك الضريبة · وحذا حذوه اخرون واظهروا ان تلك الشريعة ظالمة وغير جائزة فنتج عن ذلك الغاء تلك الشريعةفي ١٨ اذارسنة١٧٦٦ فشمل السرورشعب البلادين وعادت مياه السلام الى مجاريها غير انه لسوء الحظ لم يكن امد ذلك السلام طويلا · فان الوزارة التي الغيت في عهدها تلك الشريعة قد سقطت وقام عوضها اخرى برئاسة بت

نفسه الذي كان قد صار انئذ ارل تشاثم ولكن اعتراه مرض اضطره الى الانقطاع عن العمل وملازمة بيته خارج العاصمة فناب عنه المستر توسنهند وهذا بجهل وحماقة فتح باباً جديدا لجباية الاموال من مستعمرات اميركا · وذلك انه في ٢٩ حزيران سنة ١٧٦٧ وضع لائحة صادق عليها المجلس بانه يجب ان يوءخذ رسم جمرك على كل واردات اميركا وسنوا ايضا شريعة قاضية بالغاء مجلس نيويورك العمومي الى ان يفرض مالاً معين لنفقات الجنود المقيمة في تلك الايالة

فاثار ذلك غضب شعب اميركا اضعافاً وعاد التجار الى الاعتصاب والامتناع عن مشترى البضائع الانكليزية وملأت صحف الاخبار اعمدتها بالتنديد بالبارلمانت واعماله · وفي اوائل سنة ١٧٦٨ اصدر مجلس مساتشوستس منشورا وزعه على سائر المستعمرات طالبا مساعدتها في دفع ذلك الحيف او بعبارة اخرى حاثا على الثورة للتخلص من ربقة الانكليز · فاستاء من ذلك اعوان الملك وطلبوا باسمه الى المجلس ان يلغي ذلك المنشور ويعتذر عن « تلك الطياشة » فكانت النتيجة ان الشعب ازداد تمسكاً به وتصميما على العمل بموجبه · فلما راى الحاكم ذلك امر بحل المجلس ولكن الاعضاء ما بارحوا غرفتهم حتى دوّنوا عدة شكاوى عليه وقد موهـا للملك طالبين اليه عزله

وجرى حادث زاد سعير الشر اضطراما وهو ان مأموري الجمرك حجزوا سفينة شراعية بدعوى انها كانت تحاول تهريب بضائع تخلصا من دفع الرسوم الجمركية · فتجمهر مئات من الرجال وهاجموا بيوت المأمورين الذين فروا من امامهم ولاذوا بقصر وليم المشاد وفي مدخل المرفأ · فتوسل الحاكم الى القسس لكي يساعدوه في اخماد هياج الشعب · وطلب الى القائد العام ان يأتي بفرقة جيش نظامي من هاليفاكس لكبح جماح الثائرين · وفي تشرين الاول دخل عاصمة مساتشوستس سبعماية جندي باسلحتهم

وعلى اتم الاستعداد للعمل · فتلظى الاهلون غيظا من ذلك · ولما طلب الحاكم من متقدمي المدينة اماكن لنزول الجنود قابلوه بالرفض التام فانزلهم الحاكم في دار الحكومة

وخطاالبارلمانت في شباط سنة ١٧٦٩ خطوة اخرى نحو الحرب وذلك باعلانه ان شعب مساتشوستس عصاة ثائرين على الحكومة واوعز الى الحاكم بان يقبض على مسببي الفتنة كخونة ويرسلهم الى انكلترا قيد المحاكمة · فالتأم مجلس النواب في بوسطن واعترضوا على انفاذ ذلك · وحدث في خلال ذلك مثل هذا في فرجينيا ونورث كارولينا فهرب المتهمون من الايالة الاخيرة الى الجبال وابتاعوا املاكا من قبيلة الشيروكيس واسسوا ولاية تناسي

وحدث عراك في نيويورك في اوائل سنة ١٧٧٠ سببه ان العسكر كسر نصب الحرية الذي كان منصوبا منذ سنين عديدة في المنتزه العمومي فاشتبك الاهلون مع الجنود بموقعة استظهر فيها الاهلون واقاموا نصبا اخر للحرية · وفي خامس اذار من تلك السنة حدثت ايضا مناوشات في بوسطن بين الجند والاهلين فقتل ثلاثة من الاخيرين وجرح كثيرون فهذا الحادث المعروف «بمذبحة بوسطن» احدث ضجة استياء عمومي فتسلح بضعة الاف واستعدوا للقتال فانبرى الحاكم هتشنسن وسكن روعهم ووعدهم بان العدل سيأخذ مجراه في مجازاة المعتدين وكان صموئيل آدم يدافع عن الشعب بفصاحته المشهورة · وطلب سحب الجنود من المدينة فورا فما كان في وسع الحاكم الا اجابته الى ما اراد والقوا القبض على الكبتن برستون وفرقته وجعلوهم قيد المحاكمة وقد ثبت الجرم على اثنين منهم

وفي نفس اليوم الذي جرت فيه مذبحة بوسطن اصدر البارلمانت برئاسة الوزير الاعظم لورد نورث قرارا الغى فيه الرسوم الجمركية عن كل الواردات الاميركية

مخلا الذي ابقوا الرسم عليه لدلالة على ان للبارلمانت سلطة على جباية ضرائب من المستعمرات · فعاد التجار الى الاعتصاب واوقفوا تجارة الشاي وجاراهم الاهلون بان امتنعوا عن شربه · وزاد الطين بلة تقرير البارلمانت سنة ١٧٧٢ بان راتب كل من الحاكم والقضاة في مساتشوستس يجب ان يدفع من المكوس بدون معرفة او استشارة مجلس نواب الشعب · فاجتمع هولاء وقرروا بان ذلك مخالف لمنطوق الامتيازات الملوكية التي بيدهم وعليه فقرار البارلمانت يعد لغوا · وفي غضون ذلك كانت سفينة ماوكية اسمها كاسبي تختلف كثيرا الى ميناء بروفيدنس وتزعج الاهلين بطرق مختلفة فدخلها عدد من الرجال الصادقي الوطنية واحرقوها · ودام الاعتصاب ضد الشاي وكل السفن التي كانت تجيء مشحونة شايات اما منعها الاهلون من الدخول او امسكوا اكياس الشاي وطرحوها في البحر فانتقم البارلمانت من شعب بوسطن بمنع المراكب من الدخول الى مينائهم ونقل الجمرك الى بلدة سالم فرفض سكانها قبوله عندهم · وحدثت اضطرابات كثيرة اسفرت عن اتساع الخرق بين الاهلين والحكومة التي ضغطت على شعب مساتشوستس بنوع خاص

وفي ايلول سنة ١٧٧٢ اجتمع مجلس نواب الشعب العمومي في فيلادلفيا وحضره نواب عن احدى عشرة مستعمرة وقرروا وجوب الاسراع في نصرة مساتشوستس لكي تتخلص من عمالها القساة وارسلوا خطابا للملك واخر لشعب انكلترا واخر الى شعب كندا وقبل انفضاض المجلس قرر ان تمنع التجارة مع بلاد الانكليز الى ان يرتفع الحيف عن المستعمرات فاجاب البارلمانت على ذلك بان اصدر امرا الى الحاكم كايج الذي تعين جديدا حاكماً لمساتشوستس بان يخضع شعبها بالقوة القاهرة · وارسل اليه اسطولا يقل عشرة الاف جندي لمناصرته على ذلك · فامر الحاكم ان يحل مجلس نواب الامة وان يخضع الاهلون لارادته هو بدون تردد · اما الاهلون فالفوا جيشا عدده

٢٥ الفا واستعدوا للمقاومة والدفاع عن المستعمرة · فبلغ السيل الربى ولم يعد في الامكان اعادة السلام الى نصابه · وقد جزم الاهلون بانهم يدافعون عن حريتهم او يموتون وكان ذلك في ربيع سنة ١٧٧٥ وبات الفريقان على استعداد تام لخوض غمرات المعارك

الفصل الثالث والثلثون

—(بداية الحرب)—

لما شاع في بوسطن خبر ما وطن الحاكم كايج نفسه على عمله قام اهلوها ونقلوا ما امكن نقله من امتعتهم الى كنكرد التي تبعد عن بوسطن ١٦ ميلا وباشر كايج عمله التدميري فاوفد في ١٨ نيسان ثمانماية جندي لكي يخربوا المخازن والحيوانيت وكان له في ذلك قصد اخر وهو القبض على الوطنيين المخاصين جان هانكوك وصموئيل ادمس اللذين ظنهما مختبئين اما في لكزنتون او في كنكرد والواقع انهما كانا جائلين ينشطان الشعب ويقوياهم ·وقد اجرى الحاكم ذلك بطريقة مستترة غير ان الاهلين انتبهوا لذلك ولم يخف عليهم قصده

وفي منتصف الليل سارت الجنود يقودها الكولونيل سمث والماجور بتكيران الى كنكرد فاستيقظ سكان بوسطن وشارلستون وكمبردج على رنين الاجراس ودوي المدافع وانطاق ساعيان ينقلان خبر ذلك الى لكزنتون لتحذير الاهلين من الخطر المفاجيء · فنهض رجالها واخذوا الاهبة لانفسهم ولكنهم لم يروا عدوا فافترقوا

متعاهدين بانه متى جاءت ساعة الخطر يضرب الطبل فيجتمعون ٠وفي الساعة الخامسة صباحا بدت طلائع الانكليز ٠ فاجتمع سبعون رجلا من المدينة يقودهم الكابتن باركر فتقدم منهم القائد الانكليزي وانتهرهم بعنف قائلا « خسئتم ايها القرويون ٠ اطرحوا اسلحتكم ايها العصاة وتشتتوا » اما الرجال فثبتوا في مركزهم فتناول الانكليزي مسدسه واطلقه عليهم وصاح «النار النار» فاطلق الجند بنادقهم عليهم فاردوا منهم ١٦ قتيلا وكانت تلك فاتحة معارك الثورة ٠ اما الذين تبقوا احياء فاطلقوا عياراتهم على الجند وتفرقوا

فتقدم الانكليز الى كنكرد وكان اهلها قد نقلوا الميرة والذخيرة وغير ذلك الى اماكن امينة فلم يحدث فيها خراب او خسائر فادحة ٠وبينما كان الانكليز يهاجمون البلدة كان الاميركيون يجتمعون من كل الجهات ولما تكامل عددهم ارادوا الدخول الى المدينة فالتقوا بكتيبة من الجند كانت قائمة على حراسة الجسر الشمالي فوق نهر كنكرد حيث اطلق الاميركيون لاول مرة بامر قوادهم نيران بنادقهم على الانكليز فسقط منهم للمرة الاولى قتيلان وقد استولى الاميركيون على الجسر وتقهقر الانكليز اولاً الى المدينة ومنها الى لكزنتون وكانت تلك العلامة المتفق عليها لكي يطبق الاميركيون على خصومهم من كل جهة ٠ وامتدت المعركة على مسافة ستة اميال واختبأ الاميركيون في ظل الصخور والاشجار والسياجات واطلقوا نيرانهم على الانكليز المتقهقرين ولو لم يسرع اللورد بارسي بالنجدة لفني الانكليز عن اخرهم ٠ ودامت المناوشات الى ان بلغت الجنود مدينة شارلستون فتبعهم الاميركيون وضايقوهم حتى كادوا يرغمونهم على التسليم ولكن الاميركيين تراجعوا عنهم مخافة ان الاسطول حرق المدينة بكرات مدافعه ٠وبلغت خسائر الاميركيين في الموقعة الاولى من حرب الاستقلال ٤٩ قتيلا و٣٤ جريحا وخمسة مفقودين واما خسارة الانكليز فكانت ٢٧٣

بين قتيل وجريح

فهاجت موقعة لكزنتون البلاد كلها فاجتمع بمدة بضعة ايام حول بوسطن جيش عدده عشرون الفا ونصبوا صفوف بطاريات من روكسبري الى تشاسي واتفق الراي على ارغام الحاكم كايج والانكليز على الهرب الى البحر وصار عدد الجيش يزداد يوما فيوما وبعد برهة وجيزة جاء القائد جان ستارك يقود فرق نيوهمشير وارسلت رود ايلند جيشا بقيادة نثانيل كرين الشجاع بينما ابتدا ايثان الن من فرمونت القتال في جهة اخرى . وقبل ان تبتدئ معركة لكزنتون كان مجلس كنكتكيت قد قرر انفاق الف ريال نفقة حملة تسير لغزوا حصن تيكوندروغا . وكان قصد الكولونيل الن ورجاله ان يستولوا على ذلك الحصن بما فيه من الذخيرة لان موقعه جزيل الاهمية . ولم يستطيع مرافقة الن الى ذلك الحصن سوى ٨٣ رجلا بسبب قلة القوارب العبور النهر . فلما دنوا من باب الحصن صرخ الن بقائد حاميته سلم هذا الحصن حالا فاجابه الانكليزي وبأمر من اسلم فاجاب الامير كي شاهرا سيفه بامر الله يهوه العظيم وامر مجلس الامة الامير كي فلم ينبس الانكليز بينت شفة بل سلم حالا وسيق مع رجاله اسرى الى كنكتكيت . فالقلعة الحصينة التي كلفت الدولة الانكليزية ثمانية ملايين ليرة سقطت بايدي رجال ليسوا من الجند المنظم بل من ذوي الوطنية الصادقة وبذلك استولى الامير كيون على مركز حصين وعلى ١٢٠ مدفعا ومقادير عظيمة من الذخيرة وبعد ذلك بيومين اخذت كرون بوينت ايضا بدون خسارة في النفوس

وفي ٢٥ ايار وصل الى بوسطن من انكلترا القواد هوي وكلنتن وبرغوين واحضروا معهم نجدة قوية من انكليز وايرلانديين فبلغ عدد الجيش الانكليزي عشرة الاف . فتاه الحاكم كايج عجبا وزاد غطرسة فاصدر منشورا به دعا الامير كيين الهابين للدفاع عن حياضهم عصاة وان الذي يظهر خضوعه للحكومة منهم يشمله العفو عدا

صموئيل ادمس وجان هانكوك فانهما محكوم عليهما بالخيانة ويجب ان ينالهما عقاب صارم · وشاع عن مصدر ثقة ان الجيش الانكليزي سيزحف من بوسطن ويحرق القرى المجاورة ويعيث في البلاد فسادا · فصمم الامير كيون على احتلال بنكرهل وهي مفتاح شبه جزيرة شارلستون

وفي ليل سادس عشر حزيران ارسل الكولونيل برسكوت المشهور بشجاعته مع انف رجل لاحتلال بنكرهل وتحصينها فلما بلغوا اليها لم ترق في اعين المهندسين فتركوها وتسلقوا اكمة اخرى دعيت بعد ذلك بريدهل فاذا اركزت عليها المدافع تصيب بوسطن اذا اطلقت وهناك رسم المهندسون ما يقتضي من الخطوط وغيرها واشتغل الرجال بكل سكينة من نصف الليل الى انبثاق الفجر · وكانت السفن الانكليزية على مقربة من المكان المذكور حتى ان الرجال كانوا يسمعون اصوات البحارة اذ ينادون بعضهم في ساعات معينة وما كاد الامير كيون ينتهون من العمل حتى بدا العين الانكليز استحكاما جديدا ادهشتهم روءيته

اما الحاكم كايج فلما راى ذلك الاستحكام وان مدافع العدو مصوبة نحو المدينة صرخ قائلا «يقتضي ان نخرب ذلك الاستحكام عاجلا · ولما لاح ضوء النهار شرع الانكليز يطلقون مدافعهم على مركز الامير كيين واطلقت ايضا البطاريات المركوزة في كوبهل ولكن كل تلك المدافع لم تحدث في الاستحكام الجديد ضررا يذكر · وقد توقف الاميركان عن مقابلتهم بالمثل لان ذخيرتهم كانت قليلة وبعد ظهر ذلك اليوم انزل الانكليز في مورتون بوينت ثلاثة الاف جندي بقيادة الجنرال هوي والجنرال بيكوت وكانوا ينوون احتلال بريدهل التي لم يزد عدد حاميتها من الاميركان عن الالف وخمساية وكانوا منهوكي القوى من التعب والجوع ولكنهم ثبتوا لدى اعدائهم · وفي غضون اطلاق المدافع تسلق القائد بريسكوت جدار الاستحكام ومشى الهوينا حول

الجدار على مرأى قواد الانكليز • وتطوع الجنرالان بوتمان وورن ودخلا الاستحكام كأحد الانفار • وفي الساعة الثالثة بعد الظهر امر القائد هوي جيشه بالتقدم وبالوقت نفسه صوب الانكليز كل مدافعهم في السفن وفي المدينة نحو مركز الاميركان فاحترقت كل شارلستون تقريبا وشرع الانكليز يتقدمون صفوفا نحو الاستحكام

اما الاميركان فاحتفظوا بذخيرتهم الى ان صار الانكليز على بعد ١٢٠ قدما منهم عندئذ صرخ القائد بريسكوت «النار» فاطلق الاميركيون كل ما عندهم من المدافع وغيرها دفعة واحدة فابادوا مقدمة الجيش الانكليزي برمتها والباقون نكصوا متقهقرين ولكنهم ما لبثوا ان لموا شعثهم وهاجموا الاميركين ثانية فكان نصيبهم الاندحـــار ايضا

فتميز قواد الانكليز غيظا من ذلك الفشل وغيروا موقف مدرعاتهم حتى صار يمكنها اطلاق مدافعها على داخل مركز الاميركان واعادوا الهجوم للمرة الثالثة بكل ما لديهم من القوة • اما الاميركان فكانت ذخيرتهم قد قاربت النفاد • فلما اقتربت منهم صفوف الانكليز الاولى اطلقوا عليها عياراتهم اربع مرار ففرغت الذخيرة وانقطعت طلقاتهم فشرع الانكليز يتسلقون جدران الاستحكام والاميركيون يضربـــونهم على ايديهم ليمنعوهم من الدخول ولكنهم تمكنوا اخيرا من الدخول عنوة الى الحصن الذي اخلاه الاميركان على رغمهم وقد نجا القائد بريسكوت اما القائد ورن الشجاع فوقع صريعا وذهب شهيد الحرية • وبلغت خسارة الانكليز في ذلك النزل الفا واربع ماية وخمسين بين قتيل وجريح • وخسر الاميركيون ماية وخمسين قتيلا وثلاثماية وخمسة جرحى واثنين وثلاثين اسيرا • وتولى القائدان برسكوت وبوتنـــام امر التراجـــع بطريقة عقبة شارلستون الى بروسبكت هل وشادوا هناك استحكاما اخر يطـــل على بوسطن ايضا

وما كانت موقعة بنكرهل لتوهن عزم الاميركيين بل زادتهم حماسة ووطنية •

وبدالهم ان جيش الانكليز ليس هو بالجيش الذي لا يغلب كما يزعمون · فاذا حاولوا الاستيلاء على ... اكمة اخرى و كانت خسارتهم على معدل موقعة بنكرهل فانهم يخسرون كل جيشهم · و كانت نار الحماسة والغيرة الوطنية قد اضرمت في كل ناحية من البلاد والجميع صمموا على المقاومة وصاروا يكثرون من ذكر المستعمرات المتحدة الاميركية »وفي شارلوت نورث كارولينا اجتمع الاهلون فورا وعقدوا مجلس مشورة واصدروا «منشور الحرية » ·ولم يكن في حسبـان وزراء الانكليز بـان الاميركيين يهبون هكذا ويتحدون على حماية مرافقهم ومصالحهم ومقاومة كل من يريد بهم سوءا

وفي اليوم الذي استولى فيه الاميركيون على حصن تيكوندروغا التأم مجلس الامة في فيلا دلفيا وكان واشنطن هناك وبعد ذلك جاء جان وصموئيل ادمس وفرنكلين وبتريك هنري وجفرسن وغيرهم ونظموا عريضة ورفعوها للملك الانكليزي ومما جاء فيها انهم يفضلون الحرب والجـلاد على العبوديـة والقسوة · وفي ذلـك الاجتماع انتصب جان ادمس خطيبا وبين احتياجات البلاد والجندية ووجوب تعيين قائد عام لجيوش الايالات الى غير ذلك مما يطول شرحه وختم كلامه بترشيح جورج واشنطن من فرجينيا لمنصب القائد العام · اما واشنطن فلما سمع ذكر اسمه خرج من صاعـة الاجتماع لشعوره بثقل المسوءلية التي ستلقى على عاتقه وقد قال لصديقه بتريك هنري والدموع تتساقط من عينيه «اخشى ان هذا اليوم يكون يوم ضياع شهرتي» وفي ١٥ حزيران صادق المجلس على القاء مقاليد القيادة العامة الى عهدة واشنطن

ان جورج واشنطن متسلسل من عائلة Wassyngtons الشهيرة في بلاد الانكليز · ولد في مقاطعة وستمورلاند من فرجينيا في ١١ شباط سنة ١٧٣٢ · ولما بلغ الحادية عشرة من عمره توفي ابوه فقامت على تربيته امه المملوءة حكمة ولم يتعلم سوى مبـادئ

بعض الفنون ولكنه برع في الهندسة ومساحة المثلثات · واخص ما شغف بـه درس تخطيط الاراضي · وقد كان منذ حداثته ذا شغف بالمصارعة والتمرينات العسكرية ولما بلغ سن الرجولية امتاز عن اترابه بجميل طلعته ودقة نظره وصواب رأيه وحسن صفاته وصدقه واذ لم يتجاوز بعـد الربيع السادس عشر من عمره ارسله عمـه لمسح الاراضي جنوبي نهر بوتوماك فصرف مدة ثلاث سنوات في البرية · فما بلغ اشده حتى غدا اسمه مذكورا بكل شفة ولسان في سائر انحاء فرجينيا · وابتدات مواهبـه تظهر بما فعله عند توليه قيادة الفرقة الزاحفة على اوهايو وما اجراه مرافقا برادوك كما مر وصار يزداد شهرة يوما فيوما · وبعد انتهاء الحرب مع الفرنسيس والهنود انتخب عضوا في مجلس ايالة فرجينيا ومن ثم انتخب عضوا في مجلس الامة العام والان اختير لضم شتات الرجال المتطوعين للدفاع عن وطنهم وتنظيم جيش منهم يعده لخوض غمرات المنون في ساحات الوغى · وقد قبل ذلك المنصب ولكنه رفض قبول راتب يزيد عما ينفقه على حاجاته الضرورية · ومن ثم سار بحامية عن طريق نيويورك الى كمبـرج بعد موقعة بنكر هل بخمسة عشر يوما

وكانت المسوءولية الموضوعة على عاتق واشنطون عظيمة ومتعددة الفروع ويقتضي للقيام باعبائها عدة رجال من ذوي المقدرة والشجاعة وكان مجلس الامة قد قرر وجوب تجنيد وتجهيز عشرين الف جندي ولكنه لم يبحث في كيفية ذلـك · ولم تكن المستعمرات قد جاهرت بطرح سلطة الانكليز بعد ولبث المجلس مدة ستة اشهر ينتظر جواب عريضته للملك · نعم ان البلاد كانت مضطرمة بالغيرة الوطنية وممتلئة حماسة ولكن طرق العمل لم تكن على شيء من الانتظام · وكان تحت سلطة واشنطن اربعة عشر الف وخمسماية رجل ولكنهم كانوا غير مدربين وجلهم عصاة عديمو الطاعة · وكانت خزينة المستعمرات خالية الوفاض والذخيرة عديمة · فكل ما كان لدى حامية

حصن بنكرهل ۲۷ برميلا صغيرا من البارود · و كل هذه ادلة ساطعة على ما في موقف واشنطن من الصعوبات ولكنه على رغم ذلك ابتدا يعمل بعزم وحزم ثابتين فنظم ورتب كل شيء · فعين اربعة برتبة ماجور جنرال ومعاونا واحدا وثمانية قواد · وقسم الجيش الى ثلاثة اقسام · فجعل الجانح الايمن بقيادة الجنرال وارد يرابط في روكسبري والجانح الايسر بقيادة الجنرال شارلس لي في بروسكبت هل قرب عقبة شارلستون والوسط بقيادته هو ويرابط في كامبردج ومن ثم بدأ في حصار بوسطن و كان يشدد الحصار يوميا

وفي غضون صيف وخريف سنة ۱۷۷٥ قلبت جميع المستعمرات الاميركية للحكومة الانكليزية ظهر المجن · واما الحكام الانكليز فمنهم من قاوم الشعب فارغموهم على الاستعفاء واخرون طردوا من مناصبهم و كان حاكم فرجينيا قد حجز على مستودع البارود العمومي فاداج بتريك هنري الاهلين وجمع جمهورا من الرجال وسار في مقدمتهم واحتجوا على الحاكم وارغموه على دفع ثمن البارود · واذ خشي الحاكم امتداد الفتنة لجأ الى سفينة حربية كانت في المرفأ واطلق الحرية للعبيد · ثم جند فرقة ممن بقوا امناء للانكليز وحصلت مرقعة بينهم وبين جنود المستعمرة في قرية كريت بردج قرب نورفوك فغلب الحاكم وارغم على مغادرة الايالة ولكنه لنفسه باحراق نورفوك

وتوقع سكان المستعمرات مساعدة شعب كندا لهم لاعتقادهم انهم مناهضون للحكومة الانكليزية · وعليه فاعدوا تجريدة لاحتلال المدن التي على ضفتي نهر سانت لورنس سار القائدان سكيلر وموتنغمري بفرقتهما عن طريق بحيرة شامبلين ونهر سورال الى سانت جان ومونتريال فوصلوا الى حصن سانت جان في عاشر ايلول وراوا انه يصعب افتتاحه بالهجوم فعادوا القهقرى مسافة ۱۲ ميلا الى جزر اوزنابرج نهر سورال فحصنوها

ما استطاعوا وعاد الجنرال سكيلر الى تيكوندروغا ليأتي بنجدة فاعتراه مرض اقعده عن العودة فتولى القيادة الجنرال مونتغمري وحده وهو بطل مغوار فعاد الى سانت جان واحتل الحصن · واحتل بعد ذلك حصن شامبلي ايضا وهو يبعد عن الاول مسافة عشرة اميال ومن ثم هاجم مونتريال وافتتحها في ١٣ تشرين الثاني

فاقام الجنرال مونتغمري حامية في كل الاماكن التي افتتحها وسار بمن تبقى وعددهم نحو ثلاثماية رجل لافتتاح كباك التي كانت مهددة من مكان اخر ايضا · وجاء الكولونيل ارنولد بالف رجل بعد تكبد اشد المتاعب والمخاطر في الطريق وانضموا الى مونتغمري لمهاجمة كباك · وكان الجوع والبرد قد اهلكا قسما من رجال ارنولد وكان عدد جيش كل من القائدين تسعماية فقط وكانت كباك حصينة جدا وفيها حامية قوية ولديها كل ما تحتاجه في الدفاع · وقد تولى مونتغمري القيادة فحاصر المدينة مدة ثلاثة اسابيع واخيرا عزم على مهاجمتها

وفي غاية كانون الاول سنة ١٧٧٥ قبل بزوغ الفجر انقسم الجيش الاميركي الى اربعة اقسام وتولى قيادة كل قسم قائد يهجم به على قسم معين من المدينة · وكان الطقس شديد البرد والثلج ينسف في وجوه المهاجمين · وكان مونتغمري يضرم في الرجال نار الحماسة ولدى هجوم الاميركيين اطلق الانكليز بطارياتهم فوقع مونتغمري ومعاوناه قتلى وتشتت فرقته · غير ان الفرق الاخرى داومت عملها وكانت تارة تهجم واخرى تتقهقر · وبعد ذلك وافت للانكليز نجدة جديدة من انكلترا فقووا مركزهم · ولكن الاميركيين داوموا الهجوم الى ان تم لهم اخضاع كندا في شهر حزيران من السنة التالية

واعظم خسارة تكبدها الاميركيون في تلك التجريدة بحسب اعتبارهم هي مصرع الجنرال رتشرد مونتغمري الايرلندي الاصل · وهو رجل شريف المبادي صادق

الوطنية ضحى نفسه في سبيل الاستقلال الاميركي حتى ان بـلاد الانكليز اسفت لمصرعه لما كان عليه من حميد الخلال والشجاعة النادرة · وبعد زمن اقامت الامة الاميركية تمثالا له اقرارا بفضله وتقديرا لخدماته الصادقة والنافعة

الفصل الرابع والثلاثون

—تابع الاستقلال — حوادث سنة ١٧٧٦ —

بعد فروغ جعبة الصبر واتقاد نار القتال وامتشاق الصارم البتار اجاب ملك انكلترا على العريضة التي رفعها اليه مجلس نواب الشعب في اميركا وكان جوابه ملآنا من كلمات الازدراء وبخس الحقوق وبانه يجهل وجود مجلس كـذلـك المجلس في المستعمرات واول امر اصدره لسكان المستعمرات هو ان يسرحوا الجيش ويخضعـوا لاوامره الملوكية بدون شرط او تعلل · وبعد ذلك يرى هو في مطالب كل مستعمرة على حدة · فكان ذلك الجواب ممهدا الطريق للمنـاداة بالحريـة ونشر رايـات الاستقلال

وفي غضون ذلك كان الجنرال هوي قد خلف نحاكم كايج في قيادة القوات الانكليزية في بوسطن التي كانت محاصرة كل الشتاء بجيش واشنطن · وفي شباط

زاد عدد الجيش الاميركي حتى بلغ ١٤ الفا · فحدث اضطراب في البلاد وشرع مجلس النواب يلح على واشنطن لكي يشدد الحصار · واما هو فكان يزكن قلة الذخيرة لديه ويخشى عاقبة التهور فكان يتصرف بحسب مقتضى الحال بكل حكمة ويترصد سنوح الفرصة المناسبة للعمل · وفي اوائل الربيع راى ان قوته قد زادت فتجرا على المخاطرة بالهجوم ولقد ارتأى قواده الخلاف وبعد المناقشات تم الراي على امر اخر وهو

كان يشرف على بوسطن من الشمال شبه جزيرة شارلستون ومن الجنوب دور شسترهيتس · فالاول استولى عليه الانكليز منذ موقعة بنكرهل واما الآخر فكان خاليا فعمد واشنطون الى اغتنام فرصة ذهول الانكليز عن ذلك المركز ليحتله ويطردهم من بوسطن · فارسل من فوره فرقة لاقامة الاستحكامات في المكان المذكور برئاسة الجنرال توماس · وشرع الاميركيون يقذفون قنابل مدافعهم على الانكليز مدة يومين ليشغلوهم عن الانتباه الى التحصين المذكور الذي اتموه بكل سرعة واتقان · وارسل واشنطن جنودا احتلت ذلك المكان تحت جنح الظلام فلما لاح نور الصباح لم يصدق الانكليز عيونهم عند روءيتهم الاميركان في ذلك الموقع الحصين · وراى القائد الانكليزي ذاته مضطرا الى اختيار احد امرين اما ازاحة الاميركان من ذلك المركز او اخلاء المدينة فاشار الى اللورد بارسي ان يحمل على الاميركان بالفين واربعماية من خيرة الجند ويطردهم من مركزهم قبل غروب شمس ذلك النهار (كذا)

فسار بارسي برجاله الى كسل ايلند موطنا النفس على الهجوم بعد الظهر · اما واشنطن فذهب الى الاستحكام وشدد رجاله وكان ذلك اليوم يوم تذكار مذبحة بوسطن وكلهم راغبون في الانتقام من الانكليز لدم مواطنيهم وباتوا يتوقعون اشتباك القتال في كل لحظة · ولكن بارسي تأخر عن الهجوم فحدث نوء جعل السير في الميناء

مستحيلا فكان بذلك خير للاميركان فزادوا موقفهم تحصينا · اما هوي فاحتسبها صغارة ان يترك عاصمة مساتشوستس غنيمة للعصاة

وبعد بضعة ايام حصل اتفاق غير رسمي بين واشنطن والجنرال الانكليزي بان الثاني يترك بوسطن على شرط عدم احراق المدينة وهكذا اخلى الانكليز بوسطن في ١٧ اذار ودخلوا اسطولهم واقلعوا من الميناء · وكان في المدينة الف وخمسماية نسمة امناء للانكليز فلما رحلوا خشي هولاء نقمة الاميركان فتركوا كل املاكهم وهربوا مع الانكليز فتقدم الاميركان فورا واحتلوا المدينة·وفي ٢٠ اذار دخلها واشنطن رسميا راكبا جواده في مقدمة الجيش الظافر فنجت المدينة من ويل الحصار الذي دام عشرة اشهر والمنفيون عنها بتهم مختلفة عادوا اليها وشمل السرور الجميع · وقد تواردت رسائل التهنئة والشكر والتشجيع على واشنطن لانتصاراته الباهرة على خصومه «وارغامهم على الهرب لاول مرة »

وصرف واشنطن عنايته في تحصين مواطن الدفاع عن بوسطن ولما فرغ من ذلك هم بالزحف بجيشه على نيويورك ولكنه كان جاهلا الوجهة التي اتخذها هوي وخشي ان خصومه يهاجمون ضواحي لون ايلند على حين غرة · وسار القائد لي بفرقة كنكتكيت فوصل الى نيويورك في الوقت المناسب للحؤول دون نجاح مساعي السير هنري كلنتن الذي كان اسطوله قريب الوصول الى ساندي هوك ليهدد المدينة فاقلع كلنتن باسطوله وتحول جنوبا · فالتقى في ثالث ايار بالسير بيتر باركر الذي كان بامرته اسطول اخر وباللورد كور نولز ومعه الفان وخمسماية جندي فقر رايهم بان قوتهم عظيمة ويمكنهم الحمل على شارلستون

وكان الجنرال لي يراقب حركات كلنتن من جهة الجنوب ·وكان شعب كارولينا قد حملوا السلاح واحتشدوا في شارلستون وحصنوا المدينة وشادوا قلعة في سلفان ايلند

زاد عدد الجيش الاميركي حتى بلغ ١٤ الفا · فحدث اضطراب في البلاد وشرع مجلس النواب يلح على واشنطن لكي يشدد الحصار · واما هو فكان يزكن قلة الذخيرة لديه ويخشى عاقبة التهور فكان يتصرف بحسب مقتضى الحال بكل حكمة ويترصد سنوح الفرصة المناسبة للعمل · وفي اوائل الربيع راى ان قوته قد زادت فتجرا على المخاطرة بالهجوم ولقد ارتأى قواده الخلاف وبعد المناقشات تم الراي على امر اخر وهو

كان يشرف على بوسطن من الشمال شبه جزيرة شارلستون ومن الجنوب دور شسترهيتس · فالاول استولى عليه الانكليز منذ موقعة بنكرهل واما الآخر فكان خاليا فعمد واشنطون الى اغتنام فرصة ذهول الانكليز عن ذلك المركز ليحتله ويطردهم من بوسطن · فارسل من فوره فرقة لاقامة الاستحكامات في المكان المذكور برئاسة الجنرال توماس · وشرع الاميركيون يقذفون قنابل مدافعهم على الانكليز مدة يومين ليشغلوهم عن الانتباه الى التحصين المذكور الذي اتموه بكل سرعة واتقان · وارسل واشنطن جنودا احتلت ذلك المكان تحت جنح الظلام فلما لاح نور الصباح لم يصدق الانكليز عيونهم عند روءيتهم الاميركان في ذلك الموقع الحصين · وراى القائد الانكليزي ذاته مضطرا الى اختيار احد امرين اما ازاحة الاميركان من ذلك المركز او اخلاء المدينة فاشار الى اللورد بارسي ان يحمل على الاميركان بالفين واربعماية من خيرة الجند ويطردهم من مركزهم قبل غروب شمس ذلك النهار (كذا)

فسار بارسي برجاله الى كسل ايلند موطنا النفس على الهجوم بعد الظهر · اما واشنطن فذهب الى الاستحكام وشدد رجاله وكان ذلك اليوم يوم تذكار مذبحة بوسطن وكلهم راغبون في الانتقام من الانكليز لدم مواطنيهم وباتوا يتوقعون اشتباك القتال في كل لحظة · ولكن بارسي تأخر عن الهجوم فحدث نوء جعل السير في الميناء

مستحيلا فكان بذلك خير للاميركان فزادوا موقفهم تحصينا · اما هوي فاحتسبها صغارة ان يترك عاصمة مساتشوستس غنيمة للعصاة

وبعد بضعة ايام حصل اتفاق غير رسمي بين واشنطن والجنرال الانكليزي بان الثاني يترك بوسطن على شرط عدم احراق المدينة وهكذا اخلى الانكليز بوسطن في ١٧ اذار ودخلوا اسطولهم واقلعوا من الميناء · وكان في المدينة الف وخمساية نسمة امناء للانكليز فلما رحلوا خشي هولاء نقمة الاميركان فتركوا كل املاكهم وهربوا مع الانكليز فتقدم الاميركان فورا واحتلوا المدينة·وفي ٢٠ اذار دخلها واشنطن رسميا راكبا جواده في مقدمة الجيش الظافر فنجت المدينة من ويل الحصار الذي دام عشرة اشهر والمنفيون عنها بتهم مختلفة عادوا اليها وشمل السرور الجميع · وقد تواردت رسائل التهنئة والشكر والتشجيع على واشنطن لانتصاراته الباهرة على خصومه «وارغامهم على الهرب لاول مرة »

وصرف واشنطن عنايته في تحصين مواطن الدفاع عن بوسطن ولما فرغ من ذلك هم بالزحف بجيشه على نيويورك ولكنه كان جاهلا الوجهة التي اتخذها هوي وخشي ان خصومه يهاجمون ضواحي لون ايلند على حين غرة · وسار القائد لي بفرقة كنكتكيت فوصل الى نيويورك في الوقت المناسب للحؤول دون نجاح مساعي السير هنري كلنتن الذي كان اسطوله قريب الوصول الى ساندي هوك ليهدد المدينة فاقلع كلنتن باسطوله وتحول جنوبا · فالتقى في ثالث ايار بالسير بيتر باركر الذي كان بامرته اسطول اخر وباللورد كورنولز ومعه الفان وخمساية جندي فقر رايهم بان قوتهم عظيمة ويمكنهم الحمل على شارلستون

وكان الجنرال لي يراقب حركات كلنتن من جهة الجنوب · وكان شعب كارولينا قد حملوا السلاح واحتشدوا في شارلستون وحصنوا المدينة وشادوا قلعة في سلفان ايلند

التي تشرف على مدخل الميناء ٠ وفي رابع حزيران تقدم الاسطول الانكليزي وانزل فرقة من الجند في لون ايلند على بعد قليل من حصن سلفان شرقا ومكثوا هناك الى ٢٦ حزيران ومن ثم شرع الاسطول بقذف القنابل على القلعة مدة ثماني ساعات متوالية فلم يحدث فيها ضررا يذكر ٠ وكان عدد حامية القلعة من الاميركان اربعماية دافعوا دفاع الابطال وصبوا على الاسطول نارا حامية ٠ وعند المساء تقهقر الانكليز بخسارة اكثر من مائتي رجل وقتل ايضا اللورد كامبل الحاكم الملوكي في سوث كارولينا وجرح الاميرال باركر جرحا بليغا ٠ولما تمكن الانكليز من اصلاح ماتخرب في اسطولهم اقلعوا الى نيويورك واسم قائد حامية قلعة سلفان مولبير فتقديرا لشجاعته وتخليدا لذكره دعوا القلعة باسمه

وفي خلال فصل الصيف تزايد عدد جنود واشنطن حتى بلغ ٢٧ الفا ولكن الامراض التي تفشت بينهم انقصت ذلك العدد ٠ اما الانكليز فما فتاوا يستعدون ليوم عصيب ويزيدون قوتهم ما استطاعوا ٠ واستأجرت انكلترا من بعض مقاطعات جرمانية سبعة عشر الف جندي لمساعدتها في حربها في اميركا ٠ وصرف الملك جورج الثالث كل عنايته الى اذلال رعاياه الاميركيين باية واسطة ممكنة ٠ فاوفدت حكومته الى اميركا ٢٥ الف جندي نقلهم اليها اسطول قوي يساعد في تدمير المستعمرات واخضاع سكانها ٠وقرر البارلمانت صرف مليون دولار زيادة عما قرره قبلا لنفقات تلك الحرب

فما كانت تلك الاستعدادات من جانب انكلترا لتهول شعب اميركا بل انها زادتهم حماسة وحبا بالدفاع ٠ ولقد كانوا حتى ذلك الحين على شيء من الامل بعود السلم الى نصابه ولا سيما انهم ما زالوا يدعون ذواتهم رعية انكليزية لم ينتقضوا على حكومتهم او ينشروا راية العصيان والتمرد بل كانوا يطالبون بحقوق مهضومة وعدلا

وانصافا اسوة بسائر الرعايا الانكليزية اما الان فقد انقطع كل رجاء لهم بالسلام وصار الشعب يلح على مجالس الايالات وهذه تلح على مجلس نواب الامة لتقرير حكومة منهم وفيهم · فكان اسبق الجميع الى ذلك مجلس المشترعين في فرجينيا فقد صرح بوجوب الاستقـــلال · وعقب ذلك تصريح مجلس نواب الشعب وهذا القرار صدر في شهر ايار وبعد اشهر قليلة عملت سائر الايالات بموجبه

ثم انه في ٧ حزيران سنة ١٧٧٦ اقترح رتشرد هنري لي من فرجينيا على ديوان نواب الشعب ان المستعمرات المتحدة هي ذات حق بان تكون ولايات حرة مستقلـــة وبوجوب قطع كل علاقة لها مع التاج الانكليزي · فصادف ذلك الاقتراح استحسان طالبي الحرية واستهجان الامناء للدولة الانكليزية · واخيرا تأجل البحث في ذلك الى اول تموز · وفي ١١ حزيران تألفت لجنة من خمسة اشخاص منتخبين لتنظيم اشهار للحرية رسمي ·وقد اضطر المستر لي ملازمة فراشه لسبب المرض · فتولى رئاسة اللجنة توماس جفرسن اما الاعضاء فهم جان ادمس من مساتشوستس وبنيامين فرنكلين من بنسلفانيا وروجر شارمن من كنكتكيت وربرت لفنستن من نيويورك فاتموا عملهم ونظموا لائحة اعلان الاستقلال و كتبها جفرسن بخط يده

وفي حزيران التأم مجلس النواب وتناقش اعضاؤه في اقتراح رتشرد لي وطرحت امامهم اللائحة المذكورة ·وبعد مجادلات ومناقشات طويلة تم قرارهم على اجازتها في رابع تموز واعلنوا الاستقلال الاميركي

وكان شيخ مملوء وطنية وغيرة موكل على قرع الجرس في دار الحكومة لاعلام المدينة وسائر البلاد بانجاز ذلك المشروع الخطير فانتظر ساعات طويلة وهو يردد في ذاته لا ــ لا ــ انهم لا يفعلون ذلك ــ واذا بفتى ركض اليه وهتف قائلا «اقرع الجرس» فشرع ذلك الشيخ يقرع طويلا بكل همة ونشاط · فاجاب الاهلون صوت الجـــرس

باصوات الهتاف وتصفيق الابتهاج وانتشر ذلك الخبر المفرح في سائر المستعمرات فقبلوه بكل ارتياح واظهروا من الحماسة ما يطول وصفه · ففي فيلادلفيا انزلوا شعار الملك من اعلى باب دار الحكومة وسحقوه سحقا·وفي مدن اخرى ابدوا من مجالي الزينة ودلائل السرور ما يفوق الوصف وفي بوسطن اطلقوا المدافع عند تلاوة اعلان الحرية وفي نيويورك سحقوا تمثال الملك جورج الثالث وطرحوه في البحر فقابل واشنطن ذلك بكل بشاشة وامر ان يقرا اعلان الحرية على كل فرقة من فرق الجيش وبالاجمال فقد شمل الابتهاج سائر سكان البلاد ·ولا يزال الاميركيون يحفظون يوم رابع تموز من كل سنة تذكارا لذلك الحادث الشهير اي اعلان اتحاد وحرية الولايات

اما اخص الامور المنطوي عليها اعلان الحرية فهي ان كل البشر مخلوقون متساوين ولكل واحد حق طبيعي بالحرية والانشراح والحكومات أوجدت لمجرد سعادة وهناء الشعب الذي له حق طبيعي بتغييرها اذا حادت عن جادة الرشاد وهدمت حصون الحرية وان حكومة جورج الثالث قد ابلت في الحرية ومظالمه ومظالم اعوانه بادية لكل ذي عينين ومثبتة ببراهين جلية منها ان سكان المستعمرات رفعوا اليه مرارا وتكرارا عرائض الخضوع لاجل رفع الحيف عنهم وقشع ظلامتهم فكان نصيب كل تلك العرائض الاهمال وعدم الاكتراث ·وقد فاق ظلم الملك لرعاياه الاميركيين طور الاحتمال حتى صاروا يفضلون امتشاق الحسام والموت الزؤام على العبودية القاسية وبناء على ذلك فالمستعمرات المتحدة الاميركية هي — وبكل حق يجب ان تكون — ولايات حرة مستقلة وتأييدا لاعلان هذه المبادي السامية يتعهد اعضاء مجلس نواب الامة ببذل نفوسهم ونفيسهم وشرفهم· اما الجنرال هوي فلما بارح بوسطن اقلع الى هاليفاكس وبقي فيها الى نصف حزيران ومن ثم استجمع قواته واقلع الى ساندي هوك · وفي اوائل تموز انزل تسعة آلاف جندي الى ستيتن ايلند ووافاه اليها كلنتن بعد فشله في حصار شارلستون وجاء

ايضا اخوه الجنرال هوي من انكلترا • فبلغ مجموع الجيش الانكليزي المرابط في ضواحي نيويورك ثلاثين الفا نصفهم مستأجرون • واما جيش واشنطن فكان اقل من الجيش الانكليزي عددا وعددا ودربة ونظاما

ولقد تأخر القتال لان الجنرال هوي كان مأمورا بان يحاول تسوية الامور مع الاميركان بطريقة سلمية • فاوفد الى معسكرهم قائدا يحمل رسالة معنونة الى «جورج واشنطون المحترم» فرفض واشنطون قبول تلك الرسالة لان الانكليزي انكر عليه منصبه الرسمي فعاد هوي وارسل كتاباً آخر معنوناً الى جورج واشنطن الخ الخ • ونقل تلك الرسالة اليه معاون الاميرال فقال ان والخ تعني جنرال الجيش الاميركي • غير ان تلك المغالطات لم تجز على واشنطن فارجع الانكليزي الى حيث اتى • وكان معلوما ان مهمة هوي كانت محصورة بابلاغ شعب اميركا العفو الملوكي عنهم فاجاب واشنطن انه طالما الاميركيون لم يرتكبوا ذنبا فهم لا يحتاجون الى العفو وان المستعمرات حرة الآن ومستقلة وتدافع عن حياضها ضد كل معتد

فاستمر اللورد هوي لحبوط مساعيه مصمم مع اخيه على مباشرة الحرب • فانزل الانكليز عشرة الاف جندي في لون ايلند قرب قرية نيويوترشت • وكان ثمانية الاف من الجنود الاميركية بقيادة الجنرالين سلفان وسترلن نازلين في ضواحي بروكلن • وقد اظهر الانكليز براعة في تسيير جنودهم • فمن المكان الذي نزلوا فيه توجد ثلاث طرق تؤدي الى بروكلن • فقسموا الجيش الى ثلاثة اقسام وسيروا كل قسم في طريق فالقسم الاول بقيادة الجنرال كرانت مشى في طريق يوترشت ونروز • والقسم الثاني بقيادة الجنرال هيستر سار عن طريق فلاتبش ومنها الى بدفورد فبروكلن • والقسم الثالث وهو الاقوى بقيادة كلنتن وكرونوالس تعين ان يعمل دورة الى اليمين الى فلاتلاند ومنها الى جامايكا رود فيدرك جناح الجيش الاميركي الايمن عن طريق بدفورد

وابتدا الزحف من كرافسند صباح ٢٧ آب ٠ فتقدم الجنرال كرانت برجاله حتى بلغوا الاكمة المعروفة الان بمدفن كرينود فالتقوا هناك بالجنرال ستارلن ومعه الف وخمسماية رجل واشتبك الفريقان في القتال ولكن لم تتوفر الغلبة لاحدهما ٠ اما القائد هيستر فتقدم مع رجاله الى عابر فلاتبش وهاجم جيش سلفان وهناك دارت رحى الحرب واشتد وطيس القتال ٠ وما لبث سلفان حتى بوغت بصوت معركة عن شماله ومن ورائه ٠ وذلك ان رجال كلنتن اندفعوا بسرعة وانقضوا على خصومهم ولا انقضاض الضواري على فرائسها

اما الجنرال بتنام الذي تولى قيادة كل القوات الاميركية في الجزيرة فقد اهمل العمل باوامر واشنطن وقصر عن حماية المعابر من جهة جناح الجيش الاميركي الايمن ٠ فاحتل كلنتن برجاله في خلال الليل الماضي مرتفعات جاميكا رود وصار في استطاعة رجاله التقدم الى بدفورد بلامقاومة ٠ فاضحى سلفان محصورا بين جيشي كلنتن وهيستر وخط الرجعة مقطوع عليه ٠ وفي ذلك الموقف الحرج شرع يفكر في اي قسم من الجيش يمكنه ان ينجي من التهلكة ٠ ولقد قابل الاميركيون الانكليز بقلوب ثابتة وحاربوهم بكل قوتهم ولكنهم اخيراً غلبوا على امرهم ٠ فمنهم من فاز بالنجاة والباقون قتلوا او جرحوا او استبقوا اسرى

وتقدمت فرقة كورنو لتقطع على فرقة ستارلن خط الرجعة ٠ وقد تمكن ستارلن اولا من دحر الانكليز ومن التقهقر نحو بروكلن ٠ فلما بلغ الى نهر كونوس غرق قسم من رجاله ووقع قسم في الاسر والذين فازوا بالنجاة انضموا الى بقية الجيش وقبل ان تنتهي تلك المعركة وصل واشنطن الى ساحة القتال فاستاء جدا من سوء تلك الحالة وخامره الياس غير ان عزمه الذي لايفل وثباته المدهش وشجاعته النادرة بددت غيوم القنوط ونفخت في الجنود روحا جديدة وكان كل من الجنرال ستارلن وسلفان

وودهول قد وقعوا اسرى بيد الانكليز ٠وفقد من الجيش ما ينيف على الالف رجل بين قتيل وجريح واسير وكان كلنتن وهوي يحتسبان الاستيلاء على البقية الباقية من الهنات الهينات ٠ غير ان امالهم حبطت لان واشنطن تمكن ببضع ساعات من لم شعث رجاله وتنظيمهم واستعد لمهاجمة الاستحكامات الانكليزية عابر بروكلن

ولم يتحين الجنرال هوي الفرصة السانحة ويتم غلبته على خصومه بل انه لفرط نهمه وجشعه صرف كل يوم ثامن وعشرين آب باكل البودينو متوقعا اتمام الغلبة في يوم مناسب ٠وفي تاسع وعشرين الشهر المذكور حدث ضباب كثيف خيم فوق الجزيرة والجون والنهر ٠ وكان واشنطن قد راى بعين حكمته انه لا يستطيع الثبات في مركزه سيما وان جيشه كان في حالة سيئة فانسحب من هناك تحت جنح الظلام الى نيويورك وكان يدير كل عمل وكل حركة بنفسه فلما لاح الصباح وكانت بقية القوارب التي نقلت الاميركيين وامتعتهم تحل امراسها اكتشف الانكليز امر انفلات عدوهم من ايديهم فاسرعوا الى حيث كان الاميركيون فلم يجدوا سوى بضعة مدافع عديمة النفع فكان كل ما ربحه الجنرال هوي من المعركة التي انقدته اربعمائة من رجاله مركزا في لون ايلند ليس الا

فوقع خبر الانكسار في لون ايلند عند الاميركيين موقعا سيئا واستحوذ على جنودهم الياس حتى ان الذين انتهت مدة خدمتهم اسرعوا بالرجوع الى بيوتهم ولولا حذق ودربة واشنطن لانحل عقد الجيش بالكلية ٠والذي زاد الحالة سوءا رسو الاسطول الانكليزي على بعد مرمى قنبلة من نيويورك ٠ واذ راى واشنطن انه غير قادر على الدفاع عن المدينة عقد مجلسا حربيا للمداولة في ما يجب عمله في الظروف الحاضرة فاستقر الراي على ان يتراجع بجيشه الى نجاء هارلم ٠ وفي ١٥ ايلول انزل الانكليز كتيبة من الجند في الجانب الشرقي من جزيرة مانهاتن وشرعوا يوسعون دائرتهم في

عبر الجزيرة الى نهر هدسن ومن ثم احتلوا المدينة ٠وفي الموقف الدال على انتصار الانكليز ارسل الجنرال هوي معتمدا الى فيلادلفيا وهو الجنرال سلفان ليخابر مجلس نواب الشعب بمقدمات الصلح ولكن المجلس المذكور رفض الصلح بتاتا تحت اية شروط او ظروف كانت ٠ فارسل فرنكلين رقيما الى هوي بالنيابة عن سائر اعضاء المجلس صرح فيه عما تنوي المستعمرات المتحدة عمله ولم يكتمه شيئا

وفي اليوم التالي لاحتلال الانكليز نيويورك حدثت مناوشات بين طليعة كل من الجيشين في شمالي المدينة فعقد النصر للاميركيين واندحر الانكليز بخسارة مائة رجل اما الاميركان فخسروا اثنين وخمسين بينهم اثنان من خيرة قوادهم ٠ وفي ٢٠ ايلول شبت نار في نيويورك والتهمت نحو خمسماية بناية ٠وفي ١٦ تشرين الاول والاميركيون بعد في مركزهم نزل هوي بجنوده في ضواحي وستشستر للانقضاض على جناح الاميركيين الايسر وسد الطريق الموصلة بين الايالات الشرقية ٠اما واشنطن فكان بعينه الساهرة يراقب حركات الانكليز فزحف بجيشه والتقى بخصومه شرقي نهر هارلم والتحم الفريقان في ٢٨ تشرين الاول بموقعة دموية في هويت باينز فطرد الانكليز اعداءهم من موقع مهم ولكن الاميركيين احتلوا غيره ومن ثم خيم الظلام فانفصل الفريقان عن بعضهما ولبث هوي مدة ينتظر نجدة له واذ لم تأته قفل راجعا الى نيويورك وواشنطن عاد الى نجاء نيو كاسل

وعلم واشنطن ان الانكليز سيزحفون على فيلادلفيا لا محالة فعبر الجانب الغربي من نهر هدسن وعسكر مع الجنرال كراين في قلعة لي تاركا من جيشه اربعة الاف في نورث كاسل بامرة الجنرال لي واقام على حماية قلعة واشنطن القائمة في جزيرة مانهاتن على بعد خمسة اميال من شمالي المدينة ثلاثة الاف جندي يقودهم الكولونيل ماكو ٠ ومركز تلك القلعة الطبيعي حصين جدا وقد زاد الاميركيون في تحصينها حتى صارت

امنع من عقاب الجو · وقد شادها على هندسة غريبة اسكندر هاملتن الـذي اكتسب صداقة وثقة واشنطن كل حياته وكان ذا حذق فطري وفطنة نادرة ولما هندس تلك القلعة لم يكن متما الربيع العشرين من عمره

وهجم الانكليز على قلعة واشنطن في سادس عشر تشرين الثاني بقوة كبيرة جدا فردتهم حاميتها على الاعقاب بخسارة اكثر من خمسماية قتيل وجريح · ولكن لما كانت الكثرة تغلب الشجاعة كما يقولون لم يستطع ماكو الثبات في مركزه بـل ارغم على التسليم بعد ان قتل ١٥٠ من رجاله فوقع بقية حامية القلعة وعددهم الف رجل اسرى بيد الانكليز فزجوهم في ظلمات السجون في نيويورك · وبعد تسليم قلعة واشنطن بيومين عبر القائد كورنولس نهر هدسن بستة الاف جندي وزحف على قلعة لي · فراى واشنطن ان المقاومة نهايتها الفشل فاخلى الحصن وسار برجاله الى عابر هاكنساك فاستولى الانكليز على ذخيرة وامتعة الاميركان التي في القلعة وطاردوا خصومهم المتقهقرين · فتناقص جيش واشنطن حتى لم يعد يتجاوز عدده الثلاثة الاف فقطع بهم نهر باساك ودخل نيوارك غير ان الانكليز لحقوا بهم اليها فتراجع الاميركيون الى اليزاباث ومن ثم الى نيوبرنزويك ومنها الى برنستن واخيرا الى بلدة ترنتن على ضفة نهر دلاوير والانكليز يطاردونهم من مكان الى اخر وموسيقاهم تصدح امامهم كل الطريق ولـولا حـذق واشنطن وفطنته وحسن تدبيره لاجهز الانكليز على البقية الباقية من جيش الاميركان ولقد استولى بسبب ذلك اليأس على البلاد وشمل الخوف والارتعاد

وفي ثامن كانون الاول عبر واشنطن ورجاله نهر دلاوير فتبعهم الانكليز قاصدين عبور النهر ايضا ولكنهم لم يجدوا قاربا واحدا لان واشنطن احرق جميع القوارب على مسافة ٧٠ ميلا فلم يعد امام كورنولس اما ان يبتني جسرا للعبور او ان يتربص ريثما يتجمد النهر فاختار الامر الثاني وفرق جيشه في عدة قرى على ضفة النهر · واقام الفي نفر على

حماية ترنتن بامرة الكولونيل رال٠ وظهر للانكليز انهم يستطيعون الزحف على فيلادلفيا بدون معترض او مقاوم ونقل الكونغرس من فيلادلفيا الى بلطيمور وهناك عقد جلسة رسمية قرر فيها منح واشنطن السلطة المطلقة (دكتيتر) لادارة كل الحركات الحربية

وفي تلك الاونة اقلع الاسطول الانكليزي المعقود اللواء على الاميرال باركر من نيويورك ورسى في خليج نارغنست وفي نفس اليوم الذي عبر فيه واشنطن دلاوير استولى الانكليز على جزر رود ايلند وبرودنس و كونينكت وحصر اسطولهم العمارة الاميركية التي كانت بامرة الكومندور هوبنكس في نهر بلاكستون ٠ و كان واشنطن اثناء تقهقره في نيوجرزي يواصل رسائله الى الجنرال لي الذي كان متوليا قيادة حامية نورث كسل لكي ينضم الى الجيش الرئيسي باسرع مايمكن ٠غير ان لي كان متكبرا عنيدا فلم يطع اوامر واشنطن بل سار الى باسكنرودج حيث قبض عليه الانكليز وارسلوه موثقا الى نيويورك فتولى سلفان القيادة مكانه ولحق وفرقته بواشنطن ٠وتطوع من فيلادلفيا وضواحيها الف وخمساية رجل وانضموا الى واشنطن ايضا فزاد عدد جيشه عن الستة الاف جندي

واخيرا افتر ثغر الفوز للاميركان وانقشعت عن جوهم سحابة نكد الطالع ٠ فراى واشنطن ان الفرصة قد لاحت لضرب الانكليز ضربة تذهب بما بقومه من اليأس والقنوط وتعيد اليهم الرجاء والثبات

و كان بعض من قواد الانكليز قد تركوا مراكزهم لاعتقادهم ان الحرب قد انتهت او كادت ٠ والجنرال كورنول استحصل رخصة للانصراف فبارح نيوجرزي وشرع يستعد للعودة الى انكلترا ٠وكان جيش الانكليز منتشرا على ضفة النهر الشرقية بين ترنتن وبرلنتن ٠ فصمم واشنطن على عبور النهر ومهاجمتهم قبل ان يتمكنوا من توحيد قوتهم ٠ وقسم ايضا جيشه الى ثلاثة اقسام كما فعل الانكليز قبلا وجعل

انقسم الاول بامرة الجنرال كادولدر وامره ان يعبر النهر من بريستول ويهاجم الانكليز في برنتن · والقسم الاخر بامرة الجنرال يون كان عليه ان يرابط على بعد قليل من ترنتن ليقطع على الانكليز خط الرجعة ·والقسم الثالث بقيادة واشنطن نفسه ومعاونة القائدين كرين وسلفان ومعهم الفان واربعماية جندي وترتب انهم يسيرون مسافة تسعة اميال فوق ترنتن ومن ثم يمخرون في النهر ويهاجمون المدينة وفعلوا كل ذلك بغاية التكتم والاستتار وعينوا ليلة عيد الميلاد لاتمام ذلك لعلمهم ان الجنود المستأجرة من الانكليز يصرفون ذلك المساء بالسكر والدعارة

واشتد زمهرير البرد في عشرين كانون الاول اشتدادا عظيما وفي ٢٥ منه كان نهر دلاوير مجلدا ويصعب اجتيازه فما عبره الاميركان حتى الساعة الثالثة صباحا وقد انقطع رجاؤهم من الوصول الى ترنتن قبل الصباح · ولكن واشنطون علم ان مستأجري الانكليز لا يبكرون في النهوض من النوم بعد صرفهم الليل على ما سبق ذكره · فقسم رجاله الى قسمين سار القسم الاول منهما بقيادة سلفان لمهاجمة المدينة من جهة الغرب والقسم الاخر بامرة واشنطن و كرين مشوا في طريق برنستن رود فتكلل عملهم بالنجاح التام · فما كاد الاميركيون يهاجمون البلدة حتى ذعر الانكليز ووقفوا مبهوتين مدهوشين · وقد جرح قائدهم والف منهم طلبوا الرحمة ركوعا على ركبهم والباقون استيقوا اسرى وكانت خسارة الانكليز فادحة بالمال والرجال وقبل غروب شمس ذلك النهار كن واشنطن ورجاله كلهم سالمين على الضفة الاخرى من النهر

فكان لتلك النصرة رنة سرور في سائر انحاء المستعمرات وعاش فيهم ميت الرجاء وزادت ثقتهم بحكمة ودراية واشنطن واملوا الفوز عن يده · وقد بادر كثيرون للتطوع في الجندية · وكان هناك الف واربعماية جندي قد انتهت مدة خدمتهم فعادوا الى الانخراط في سلك الجندية وفي هذا الوقت برز المثري الكبير روبرت مورس من

فيلادلفيا وقدم ثروته اعانة لتحرير البلاد٠ اما الجنرال الانكليزي فلما سمع بالخبر عدل عن السفر وعاد الى نيوجرزي

وبعد ذلك الانتصار بثلاثة ايام عاد واشنطن الى ترنتن واقام فيها وامر ان تجتمع فيها كل رجال الحرب من تلك النواحي واصدر امرا الى الجنرال هيث قائد جيش نيوانكلند المرابط في بيكسفل ان ينتقل بجيشه الى نيوجرزي ٠ اما الانكليز فتراجعوا من مركزهم على نهر دلاوير وجمعوا قواتهم في برنستن ٠وتولى الجنرال كورنوالس القيادة بنفسه وعزم على مهاجمة واشنطن في ترنتن وقهره وعند هذا الموقف وعلى هذه الحال انتهت سنة ١٧٧٦ وقبل نهاية السنة بعشرة ايام كان الجنرال هوي ينتظر تجمد النهر ليعبره ويتقدم الى فيلادلفيا اما الان فقد تبدلت الحالة وصار يشك في ما اذا كان يمكنه ابقاء سلطة انكلترا على بلدة واحدة في كل نيوجرزي

الفصل الخامس والثلاثون

—(تابع حرب الاستقلال —حوادث سنة ١٧٧٧)—

في اول كانون الثاني سنة ١٧٧٧ بلغ عدد جيش واشنطن في ترنتن نحو خمسة الاف ٠وفي اليوم التالي زحف كورنوالس من برنستون بجيش يفوق جيش واشنطن كثيرا في العدد ٠ وكان الانكليز في اشد حالات الغيظ اما الاميركيون فكانوا

راسخين كالطود ٠ وبعد الظهر ابتدات المناوشات بين الفريقين في الحقول وفي طرق ترنتن شرقا وشمالا ولما اقترب الانكليز من البلدة اخلاها واشنطن واحتل مركزا لمتعين مركزه فيها وهو اسانبنك كرك فهاجمه الانكليز هناك ولكنهم دحروا خاسرين وعند المساء تراجع الانكليز على امل تجديد القتال صباحا

وكان موقف واشنطن حرجا جدا ٠ فاذا حاول عبور نهر دلاوير ثانية يعرض نفسه لخطر عظيم واذا تراجع الى اية جهة فانه يخسر كل ما غنمه في انتصاره الاخير واذا قضي عليه بالانغلاب في المعركة الاتية فمصيره ومصير جنوده الى الفناء والدمار ٠ ففي تلك الساعة الكلية الارتباك عقد مجلسا حربيا واخبر بعزمه على اخلاء موقفه تحت جنح الظلام وانه يدور الى برلنتن ٠ ولكي يخدع الانكليز ابقى النار في المعسكر موقدة وبقي خفرا يزيدونها ضراما كل الليل وسير الجيش الى برنستن واجرى كل شيء تحت طي الخفاء ٠ فلما لاح الفجر راى الانكليز ان معسكر الاميركيين فارغا واصوات مدافعهم التي دوت على بعد ١٣ ميلا انبأت الجنرال كورنوالس بالحيلة التي انطلت عليه

ولما ذر قرن الغزالة في الصباح كان واشنطن داخلا برنستن ٠ وفي الدقيقة نفسها اخلاها الانكليز وذهبوا لنجدة كورنوالس فالتقاهم الاميركيون في طرف المدينة واشتبكوا معهم في القتال وكادت تدور الدائرة على الاميركيين لولا انتصاب واشنطن بينهم ووقوفه في المقدمة يشجع ويضرم نار الحماسة في رجاله الى ان تم له النصر فولى الانكليز الادبار بخسارة ٤٣٠ رجلا بين قتيل وجريح ٠ اما خسارة الاميركان فكانت طفيفة ولكنها تحسب عظيمة بفقدهم القائد المدرب والبطل الشجاع القائد مارسر الذي كان الحزن عليه شاملا

وكان في عزم واشنطن التقدم الى نيوبرنزويك لهدم مخازن العدو غير ان رجاله كانوا منهوكي القوى ولا استطاعة لهم على تحمل مشقة ذلك السفر ٠ فبلغ خبر ذلك

النصر مسامع فرق كورنوالس فلم يعد ثمة وقت للتأجيل ٠ اما واشنطن فانسحب شمالا وفي خامس كانون الثاني احتل مركزا منيعا في مورستون٠ وقد اسرع كورنوالس الى برنزويك لحماية مخازنه ٠ وفي وقت قصير استعاد الاميركيون كل نيوجرزي الى شمالي نوزواك واليزباث تون ٠ وتساحت الجنود في كل جهة واستعدت للنزال واول ما عزموا عليه الفتك بالجنود المستأجرة التي ارسلتها انكلترا لمحاربتهم وكانوا من درجة سافلة وذوي خصال ذميمة فعاثوا في البلاد فسادا حتى سئمهم الاهلون لاعمالهم المغايرة ٠ وشعر كورنوالس بحرج الموقف وازدياد قوة اعدائه فجمع كل قواته في نيوبرنزويك وامبوي وهكذا اصبح الجيش الذي كان زاحفا على فيلادلفيا يتلمس منفرجا للعودة الى نيويورك سالما

وفي اوائل الربيع سير الجنرال هوي اسطولا في نهر هدسن لتدمير مستودعات ذخائر الاميركان في بيكسكل وقد كان الاميرال جبانا ضعيف الارادة فلم يأتِ عملا يشكر عليه سوى انه نسف المخازن وعاد الى حيث اتى ٠ وفي ١٣ نيسان ارسل كورنوالس فرقة من نيوبرنزويك لتهاجم فرقة الجنرال لنكان المحتلة بوندبروك على حين غرة ٠ غير ان لنكان تراجع من مركزه بخسارة طفيفة ٠ وفي ٢٥ الشهر المذكور انزل القائد الانكليزي تريون الفي جندي في دنبري كنكتكيت بعد ان اتلف كمية كبرى من الذخيرة ونحوها واحرق المدينة وابتدأ يتقهقر الى الاسكلة فلحق به الاميركيون بقيادة وستر الشيخ وارنولد الشجاع وطاردوه وقبل ان يصل الانكليز الى سفنهم سقط منهم مائتا قتيل وخسر الاميركيون ستين قتيلا وجريحا وسقط معهم القائد وستر الشيخ

وحمل الاميركيون حملة اخرى تكللت بالنجاح وهاك تفصيلها نمي الى الكولونيل ميكس من كنكتكيت ان الانكليز يخزنون ذخائر في ميناء سال بقرب الحد الشرقي من لون ايلند ٠ فجند مئتي رجل وقصد مباغتتهم هناك فركبوا قوارب في ليل ٢٢ ايار

وقطعوا المضيق فبلغوا الى ميناء سال قبل بزوغ الفجر وكان عدد الانكليز فيها مئة فامسكهم الامير كيون ولم ينج منهم سوى اربعة قتل منهم خمسة او ستة رجال والباقون استاقوهم اسرى واتلفوا كل ما للانكليز هناك من ميرة وذخيرة وسفن وغير ذلك وعادوا الى كونفورد يسوقون اسراهم ولم يخسروا رجلا واحدا · فكافأ الكونغرس القائد ميكس باهدائه سيفا ثمينا

وظل واشنطن في معسكره في مورستون الى اواخر شهر ايار يراقب حركات كورنوالس الذي كان لم يزل في نيوبرنزويك وكانت القوات الشمالية الوطنية قد احتلت ضفاف هدسن وعسكر عدد كبير منهم على ضفاف نهر دلاوير بقيادة ارنولد وكلا الفريقين قريب من واشنطن الذي ترك مكانه واحتل بوندبروك على بعد عشرة اميال من معسكر الانكليز · وجاء هوي من نيويورك بفرق جديدة لنجدة كورنوالس وللزحف على صفوف الامير كان · اما واشنطن فلبث في مركزه · وتقدم هوي الى سومرست كورتهوس في الطريق المؤدية الى نهر دلاوير قاصدا مباغتة واشنطن وازاحته من مركزه غير ان واشنطن لم ينخدع اصلا بل رد كيد الانكليز في نحرهم واعادهم على الاعقاب الى برنزويك فأرغموا على الانسحاب منها الى امبوي · و ما زال الامير كيون يتقدمون حتى وصلوا الى كوبلتن حيث باغتهم هوي وهجم عليهم ليلا بقوة كبيرة وعلى حين غرة ولكن واشنطن تمكن من العودة الى مركزه الاول في بوندبروك بدون تكبد خسارة تذكر وعاد الانكليز الى امبوي ومن ثم تقهقروا في ٣٠ ايار الى ستيتن ايلند وبعد قتال مدة ستة اشهر طرد الانكليز من نيوجرزي

ونمي الى الكولونيل وليم بارتن من بروفدنس ان الماجور برسكوت الانكليزي كان في بيت في احد الحقول قرب نيوبورت منفصلا عن فرقته فعزم على القبض عليه فانطلق بارتن المذكور في ليل عاشر تموز يصحبه اربعون متطوعا في طلب برسكوت

فوصلوا الى قرب البيت الذي كان نائما فيه دون ان يدري احد بقدومهم فدخلوا عليه وتهددوه بالقتل اذا هو نبس ببنت شفة · ثم قبضوا عليه وهو في الفراش واحتملوه نصف عريان الى سفينتهم وما كادوا يبلغونها حتى علم امرهم فبادرت كوكبة من الفرسان لتخليصه ولكنهم وصلوا متأخرين · فاستعاض الاميركيون بتلك الغنيمة عن خسارتهم الجنرال لي · وقد كوفيء بارتن بالارتقاء الى منصب سام وبسيف ثمين

وفي تلك الاونة عاد الكونغرس الى فيلادلفيا · و كانت الحكومة ضعيفة · ومجلس المشترعين كان شديد الرغبة في تقوية الجيش ورفع شان الامة · وما كان يزيد في حماسة الاميركان انعطاف دولة فرنسا عليهم واظهارها ميلا شديدا اليهم منذ بداية الحرب وبعد ابتداء الحرب بسنتين شرعت فرنسا تعلن ميلها الى الاميركيين وتجاهر برغبتها في فوزهم بما يبغون نعم ان دولة فرنسا لا تباشر عملا يجرها الى الحرب مع بريطانيا التي كانت تظهر لها الولاء ولكنها سرا كانت مرتاحة الى ارتباكها واشتعال نار الانقسام والثورة والقتال في مستعمراتها · ومالبث الاميركيون حتى علموا نوايا فرنسا من نحوهم وانها مستعدة لاسلافهم دراهم قدر ما يحتاجون كما انها مستعدة لامدادهم بالاقوات والاسلحة وغيرها من الحاجيات وفي غضون سنة ١٧٧٧ ادخل عمال فرنسا الى المستعمرات الاميركية ما يتيف عن العشرين الف بندقية والف برميل بارود

واخيرا سئم الحزب الجمهوري في فرنسا اعمال حكومتهم وتعريجها بين الفريقين فشرعوا يهاجرون الى اميركا وفي مقدمتهم الهمام الباسل الماركيز لافيات الشاب وكان اسمه قبلا (كلبرت موتير) وقد هاجر على رغم تردد الملك الافرنسي في اعطائه رخصة المهاجرة واعتراض سفير انكلترا والحاح اصدقائه واخذ انه عليه بالامتناع عن المهاجرة التي كان شديد الرغبة فيها لخوض غمار المعارك مع الاميركيين في سبيل الحرية ضالته المنشودة فجهز سفينة من ماله الخاص وصحبه ديكالب الشجاع ونفر قليل من الاخصاء

وسار يشق عباب اليم فوصل الى جورج تون في سوث كارولينا في شهر نيسان سنة ١٧٧٧ وانضم من فوره إلى الجيش الاميركي متطوعا ٠وفي تموز التالي ارتقى الى رتبة ماجور جنرال ولم يكن بعد بلغ الربيع العشرين من العمر والتصق بواشنطن ولا التصاق الولد بالوالد ودامت صداقتهما مدى الحياة

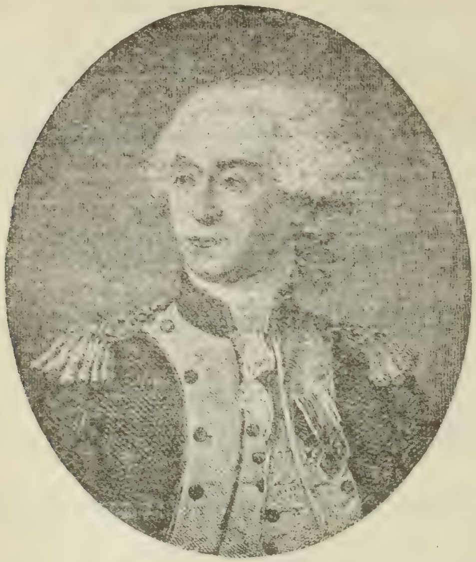
ومن حوادث حرب الاستقلال غزوة اللوتننت جنرال بركوين ٠ فهذا الانكليزي الشجاع وصل الى كباك في اذار سنة ١٧٧٧ وتولى قيادة القوات الانكليزية في كندا خلفا للسير كارلتون ٠ وصرف شهري نيسان وايار في تمرين الجيش واعداده لغزو نيويورك ٠وفي اوائل حزيران اصبح تحت امرته عشرة الاف جندي مدرب ٠ ورسم خطة الزحف الى البني اولا بطريق بحيرة شامبلين وبحيرة جورج واعلى نهر هدسن ومنها يسير في النهر المذكور الى نيويورك ويضم جيشه الى الفرق الانكليزية فيها وبذلك تفصل نيوانكلند عن المستعمرات المتوسطة والجنوبية وتصبح كل البلاد تحت رحمةهوي

وقد ابتدا بركوين سيره بحسب الخطة التي رسمها فوصل في غرة حزيران الى سنت جان في اسفل بحيرة شامباين وفي ١٦ منه تقدم الى كرون بوينت التي كان قائما على حراستها نفر من الجنود الانكليزية ٠ بينما الجيش الرئيسي زحف على تيكوندروغا التي كان محتلها الجنرال سانتكلير بثلاثة الاف جندي ٠ فاحتل الانكليز من فورهم مونت ديفانس وركز وابطارياتهم على علو سبعماية قدم فوق الاستحكامات الاميركية واحتلوا ايضا مونت هوب وقطعوا على خصومهم خط الرجعة الى بحيرة جورج ٠فراى القائد سانت كلير ان المركز حرج وان المقاومة لا تجدي نفعا فاخلى القلعة في ليل خامس تموز ونجا مع رجاله بطريق مونت اندبندس وود كرك فتبعهم الانكليز وادركوهم في هبار دتون من اعمال فرمونت وهي تبعد عن تيكوندروغا سبعة عشر ميلا واشتبك الفريقان هناك بقتال عنيف وقد حارب الاميركيون بكل نشاط الى ان اوقفوا الانكليز

عن متابعتهم وداوموا تقهقرهم الى قلعة ادورد · وفي اليوم التالي وصل الانكليز الى هويتهول وغنموا كمية كبيرة من امتعة وذخائر وموءن الاميركان

وكان القائد سكيلر متولياً قيادة جيش الاميركان الشمالي · وكانت حماسته الوطنية اعظم من حنكته في القيادة وكان مركزه الرئيسي قلعة ادورد المذكورة وبقي فيها الى ما بعد وصول سانتكلير فبلغ عدد رجال كليهما بين الاربعة والخمسة الاف ولكن هذا العدد لا يستطيع الثبات امام جيش بركوين · فاخلى سانتكلير المركز وتقهقر نزولا على ضفة نهر هدسن الى ان بلغ نهر مواك · فتقدم الانكليز واحتلوا قلعة ادورد في ٣٠ تموز · وخشي القائد الانكليزي نفاد ذخيرته قبل البلوغ الى البني · فتربص في مكانه وارسل الكولونيل بوم مع خمساية رجل ليحجزوا ذخائر الاميركان في بننتن (فرمونت) وكان الجنرال جان ستارك قد لم شتات جنود نيوهمشير وخرج بهم لمصادمة الانكليز فالتقى بهم بقرب بننتن وفي صباح اليوم التالي اشتبك الفريقان بمعركة هائلة فاز فيها الامير كيون ووافت الانكليز نجدة كان نصيبها الاندحار امام الاميركيين الذين وافتهم ايضا نجدة بامرة الكولونيل وورنر فتقووا وتشجعوا · وخسر الانكليز في ذلك النزالماية واربعين رجلا بين قتيل وجريح ونحو سبعماية اسير · فكان لذلك الانتصار ضجة استحسان عظيمة في البلاد وبادر الرجال للانخراط في الجندية من كل حدب وصوب

وما كاد خبر انكسار الانكليز يطرق مسامع بركوين حتى وافته اخبار اخرى مكدرة · وذلك ان الانكليز في بداية حملتهم اوفدوا الجنرال سانتكلير ومعه فرقة مختلفة من كنديين وطورسيين وهنود لمهاجمة قلعة سكويلر التي قام على حمايتها شرذمة من الجند الاميركي بقيادة الكولونيل نزفورت · وفي ثالث آب حاصرها لاعتقاده ان مهاجمتها امر عسير · واسرع الجنرال هاركيمر فجند كتيبة من الاماكن المجاورة وتقدم بها



ــ« المار كيز دي لافيات »ــ

نتجدة حامية القلعة ولما داروا على مقربة من الهنود اشتبكـــوا معهم في القتـــال فانهزم هركيمير وخسر ٤٦٠ من رجاله وخسر الهنود نحو ذلك العدد . وما كاد ينتهي ذلك العراك حتى اندفعت الحامية من القلعة فجرفت الكل من امامها وعادت تحمل راية الظفر وعددا من الاسرى . وفضلا عن ذلك كان القائد ارنولد تطوع بقيادة كتيبة واسرع لتخليص القلعة فلما ابصره الهنود المتجندون مع الانكليز ولوا الادبـــار فاغتـــاظ منهم سانتليكر ورفع الحصار وتقهقر فنجت قلعة سكويلر وزاد عدد حاميتها . هذه هي الاخبار التي نقلت الى بركوين وهو في قلعة ادورد

وظل القائد الانكليزي مدة شهر بانتظار وصول المؤن والذخائر من كندا واحتار في ماذا يعمل ايتقهقر ففي ذلك الدمار والفناء او يتقدم فهناك تسعة الاف جندي وطني

متقدون غيرة واقفون له بالمرصاد · والجنرال لنكلن وصل بجيش نيوانكلند وواشنطن ارسل عدة فرق من الجيش الرئيسي · وموغن ايضا حضر ومعه رجاله الاشداء المعروفون بالريفامن اي ناقلي البنادق المضلعة ·وفي تلك الاثناء خلف الجنرال كيتس الجنرال سكيار في قيادة جيش الشمال وفي ثامن ايلول نقل مركز الاميركيين الى ستلوتر وامتد معسكرهم الى نجاء ييمس على بعد قليل من ستلوتر شمالا وفي ١٤ منه عبر بركوين نهر هدسن بجيشه واحتلوا اسراتوكا·وصاروا يتقدمون ميلا في اليوم الى ثامن عشر ايلول حتى غدا الجيشان ازاء بعضهما على بعد ميلين فقط · وفي اليوم التالي هاجمت طليعة جيش الانكليز جناح الجيش الاميركي ومن ثم اشتبك الفريقان بموقعة طاحنة دامت حتى خيم الظلام وقد كانت الموقعة عظيمة ولكنها لم تكن فاصلة فرجع الاميركيون الى داخل منطقتهم واما الانكليز فصرفوا ليلهم في ساحة الوغى شاكيي السلام وقد لاح علم النصر في جانب الاميركان الذين كانت تردهم النجدات متواصلة

وكان موقف بركوين يزداد حراجة لاحاطة جنود كابتس به من كل جهة · والذخيرة لم تصله · وجنوده تفرقت الى اقسام عديدة والهنود الذين في جيشه ولوا الادبار · ومع كل ذلك بقي قوي العزم شجاع القلب ·فقوى جانب الدفاع وشدد جنوده مقويا عزائمهم واخبرهم انه واثق بان الجنرال كلنتن الذي كان آنئذ يقود الجنود الانكليزية في نيويورك سيوافي لنجدتهم · وهو كان قد انحدر في النهر حتى قلعة كلنتن ومونتغمري واحتلها بعد مقاومة عنيفة · وارسل الجنرال فوكهان بالف جندي لينضم الى جيش بركوين · ولكنهم لم يتجاوزوا بلدة كنستن حتى بدالهم عجزهم عن عمل امر نافع فاحرقوا المدينة واتلفوا ما امكنهم اتلافه·فاصبح موقف بركوين محاطا بالاخطار من كل جانب · وفي ٧ تشرين الاول اشتبك مع خصومه

بمعركة خسر فيها خيرة فواده وسبعماية رجل ونال الاميركان نصرا باهرا

وفي مساء اليوم التالي ليوم المعركة جمع بركوين من تبقى من رجاله الى مركز امنع من الاول فاحتل الاميركان مكانهم فورا ثم لحقوا بهم · وبلغ باركوين الى سراتوغا في تاسع تشرين الاول وحاول النجاة الى قلعة ادوردولكن الاميركان سدوا عليه طرق الانفلات فاسقط في ايديهم · واذ راى ان جيشه سيبيت على الطوى اضطر الى التسليم · وفي ١٧ تشرين الاول تم الاتفاق على شروط التسليم فاضحى كل جيش بركوين وعدده ٥٧٩١ رجلا اسرى حرب · وكان في جملتهم ستة من اعضاء البارلمانت الانكليزي وغنم الاميركيون اسلابا كثيرة ضربنا صفحا عن تعدادها

ولما تم للاميركان الظفر ارسلوا قسما كبيرا من جنود الشمال للانضمام الى جيش واشنطن لان نار عراك عنيف كانت مضطرمة في الجنوب والانكليز مستظهرون على الاميركيين · وفي اول تموز اخلى هوي نيوجرزي · وفي ٢٣ منه اقلع بثمانية عشر الف جندي لمهاجمة فيلادلفيا عن طريق دلاوير فاشتبه واشنطن في الامر · وما لبث ان اخلى مركزه وزحف بجيشه جنوبا ولما بلغ هوي كايب فرجينيا نمي اليه ان الاميركيين سدوا نهر دلاوير بحيث لا يستطيع اسطوله المرور فيه · فارتأى ان يدخل نهر شاسبيك ويلقي مرساة اسطوله في الخليج ويتم الهجوم برا · فلما بلغ ذلك الخبر الى واشنطن نقل من فيلادلفيا الى ولمنتن وحشد جيشه البالغ عدده بين الاحد عشر والاثني عشر الفا فيها · وكان جيش هوي يفوق جيش واشنطن عددا ولكن واشنطن كان واثقا من الظفر لانه هو اختار مكان النزال واخذ جانب الدفاع

وفي ٢٥ آب مخرت الجنود الانكليزية نهر الك في ماريلاند وبعد تسعة ايام ابتداوا الزحف على فيلادلفيا · وعقد واشنطن مجلسا حربيا تقرر فيه ان تجعل ضفة نهر برادوين اليسرى خط الدفاع · واحتل جناح جيشه الايسر شادفورد بينما الجناح

الايمن بقيادة سلفان رابط على بعد ثلاثة اميال من النهر المذكور · وبلغ الانكليز الضفة الاخرى من النهر في حادي عشر ايلول ومن ثم حمي وطيس القتال وبعد كر وفر واندحار وانتصار ظهر النصر بجانب الانكليز وتوقف القتال عند المساء

وتقهقر الاميركيون في ذلك الليل الى وتشستر·وقد نجوا من الاندثار بفضل القائد كرين وحكمة القائد العام وبلغت خسارتهم بين قتيل وجريح واسير الالف رجل وخسر الانكليز ٥٨٤ رجلا وجرح في ذلك المعترك لافيات الشجاع جرحا بليغا ·وقد خاض غمار تلك المعركة مع الاميركيين وقد جاهد ايضا جهاد الابطال في سبيل انتصارهم الكونت بولاسكي البولوني المشهور بشجاعته · فاكرمه الكونغرس بترقيته الى رتبة امير لواء وتسليمه قيادة فرقة الفرسان · وفي ثاني يوم المعركة تراجع واشنطن الى فيلادلفيا ونزل بجنوده في جرمن تون على بعد بضعة اميال من المدينة ·ولم يخر عزمه بالانكسار السابق بل شرع يستعد لمعترك اخر فزحف في ١٥ ايلول نحو المعسكر الانكليزي فالتقى بهوي في وارنتفر على بعد ٢٠ ميلا من فيلادلفيا ودارت هناك رحى الحرب ثانية وما كاد الفريقان يتلاحمان حتى هبت ريح شديدة عقبها انهمار مطر غزير جعل مداومة القتال مستحيلة · وبعد ذلك غير هوي وجهته وصار ينتقل من مكان الى اخر وواشنطن يقابله بالمثل الى ان بعد واشنطن عن فيلادلفيا فلم يعد في امكانه الدفاع عنها فادار هوي جيشه نحوها ودخلها في ٢٦ ايلول بلا مقاومة ونزل الجيش الرئيسي في جرمنتون

وعندما اقترب هوي من المدينة انتقل الكونغرس الى لانكستر ·وفي ٢٧ ايلول عقد جلسة هناك ومن ثم انتقل الى يورك وظل هناك حتى انجلاء الانكليز عن فيلادلفيا في الصيف التالي · اما واشنطن فجعل مركزه آنئذ في شبك كرك على بعد ٢٠ ميلا من فيلادلفيا · ولما استقر بهوي المقام في «عاصمة العصاة» كما كان يدعوها اوفد

قسما من جيشه لاحتلال قلعتي مفلي ومارسر على نهر دلاوير فضعفت بذلك قوته في جرمنتون فخطر لواشنطن ان يهاجمها وجرى على نفس الخطة عند هجومه على ترنتن • وفي مساء ثالث تشرين الاول قسمت الجنود الاميركية الى عدة اقسام سار كل قسم منها في طريق الى جرمنتون تحت ستر الظلام وبتمام التحفظ • وكانت الطرق تختلف في الصعوبة ولهذا فلم يكن وصول الاميركيين الى جرمنتون بوقت واحد • وفي الصباح كان الضباب فوق الغبراء كثيفا الامر الذي جعل حركة الجيشين غير منتظمة ومشوشة وفي كل الاحوال تلاحم الخصمان وكادت الدائرة تدور على الانكليز لولا اعتصابهم ببيت حجري كبير هناك وحصارهم فيه ولقد اكسبهم تصميم الامير كان على اخراجهم من ذلك الحصن وقتا لجمع شتاتهم ولم شعثهم وبقي قسم كبير من جنود الامير كان خارج دائرة العراك بجهل قوادهم •واخيرا تقوى الانكليز واستظهروا على خصومهم وقهروهم فخسر الاميركيون ١٥٢ قتيلا و٥٢٢ جريحا و٤٠٠ مفقودين وخسر الانكليز ٥٣٥ رجلا • وارغموا الاميركيين على التقهقر يقودهم كرين وبولاسكي • وتم ايضا للانكليز امتلاك قلعتي مفلن ومارسر فانتشرت بذلك سيادتهم على كل نهر دلاوير

وبعد موقعة جرمنتون المذكورة جعل واشنطن مركزه في هويتمارش وهي تبعد عن فيلادلفيا ١٢ ميلا • وحل فصل الشتاء ببرده وزمهريره وابتدا الاميركيون يشعرون بافتقارهم الى القوت والكساء • ولم تخف على هوي سوء حالة الاميركيين فصمم على مهاجمة معسكرهم • وعقد مجلسا حربيا في اليوم الثاني من كانون الاول تقرر فيه ان يهاجم واشنطن في الليل التالي •وقد عقد ذلك المجلس في بيت ليديا دارا وهذه عز عليها ان ترى اعداء بلادها فائزين في مقاصدهم • فاستحصلت في الصباح باسبورتا من هوي بحجة انها ذاهبة الى المطحنة وسارت بسرعة الى المعسكر الاميركي

واعلمت واشنطن بالمكيدة المدبرة له ولجنوده ٠ فلما جاء الانكليز الى هويتمارش في صباح رابع كانون الاول الفوا الاميركيين شاكي السلاح ومستعدين للكفاح فاحجموا عن الهجوم وتربصوا اربعة ايام ثم عادوا الى فيلادلفيا ٠ التي كان فيها كل فصل الشتاء ما ينيف على العشرين الف جندي انكليزي لديهم كل ما يحتاجون من قوت وكساء ودفء ونحو ذلك بخلاف الاميركيين الذين كانوا بافتقار الى كل ذلك

وبارح واشنطن مركزه في ١١ كانون الاول وانطلق الى مركز شتوي في وادي فورج واقتضى للوصول اليه اربعة ايام ٠ وكان مئات الجنود بدون احذية فكانت آثار اقدامهم الدامية ظاهرة على سطح الجليد الكاسي الطريق التي اجتازوها ٠ والمركز الجديد كان حصينا بموقعه الطبيعي فشادوا هناك بيوتا خشبية قضوا فيها فصل الشتاء الطويل وذاقوا من الالم والنصب والطوى ما لا يوصف ٠ وكانت اصوات انينهم كمناخس حادة في نفس قائدهم واشنطن الحنون الذي كان يشعر معهم شعور الاب العطوف مع اولاده الاعزاء وكانت تلك الايام شر ما صادف في حياته ٠ فان الكونغرس تنحى عنه وكثيرون من كبار القواد تركوه ابان حاجته اليهم حتى ان صموئيل ادمس وهو من خلص اصدقائه عدم ثقته به وعزموا على خلعه من القيادة العامة واسنادها الى القائد كايت او القائد لي على ان كل تلك المصاعب كانت كسحابة صيف انقشعت سريعا واضمحلت ٠ والجنود كانت لهم كل الثقة بواشنطن ٠ بل الامة جمعاء كانت شديدة التمسك به وامينة جانبه ٠ فعاد بعد قليل الى ما كان عليه من الصولة ونفوذ الكلمة ٠ وفي ختام سنة ١٧٧٧ كانت غيوم سوء الطالع لم تزل بادية في جو الاميركيين نشاد الحرية ورافعي لوائها

الفصل السادس والثلثون

—مبادرة فرنسا للنجدة — حوادث سنة ١٧٧٩ · نقض وخيانة وغير ذلك —

قبل شهر حرب الاستقلال باربعة اشهر تعين سيلاس دين من كنكتكيت وكيلا لدولة فرنسا في الامور السياسية والتجارية في المستعمرات المتحدة · وكانت باكورة اعماله اتفاقه سرا مع الموسيو بوماريش وهو تاجر افرنسي غني على تقديم كل ما يلزم للاميركيين لاجل مداومة للقتال · فوقع ذلك عند ارتياح ملك فرنسا ورئيس الوزراء غير ان وكلاء دولة بريطانيا امتعضوا من ذلك واذابتهم نيران الحسد وسوء الظن · وما بعثت فرنسا شيئا الى الولايات المتحدة حتى خريف سنة ١٧٧٧ · فارسلت ا نئذ سفينة تحمل ما قيمته مئتي الف ريال من اسلحة وذخيرة ونحو ذلك · وجاء في تلك السفينة ايضا البارون ستوين وهو بارع في الفنون الحربية وقد كان في عداد جيش فردريك العظيم فوصل اولا الى برتسموث وصرف ردحا من الزمن في نيوانكلند ثم مضى الى نيويورك حيث كان الكونغرس عاقدا جلسة قانونية فادخله في خدمة الجندية الاميركية والحقه بواشنطن وهو في وادي فورج · ودخوله في الجندية الاميركية يعد من الحوادث الهامة · ونعين مفتشا عموميا ومنذ يوم تعيينه ظهر تحسين في ترتيب وتدريب الجيش الاميركي ولم تعد الجنود النظامية الاميركية تفشل من ذلك الحين

عند التحامها مع الجنود الانكليزية النظامية اذا كانت متساوية في العدد

وفي تشرين الثاني سنة ١٧٧٦ اوفد الكونغرس الى فرنسا ارثر لي وبنيامين فرنكلين مفوضين لابرام معاهدة ودية وتجارية مع ملك فرنسا فبلغا باريس في الشهر التالي وباشرا اتمام مهمتهما · وقد تردد الملك لويس ومشيروه مدة في اجابة ملتمسهما مع ان فرنسا كانت شديدة القلى لبريطانيا وكانت جذلة جدا بالقلاقل الحاصلة في مستعمراتها الاميركية · وكانت توحي الى الثائرين بان يداوموا عملهم بثبات واسلفتهم النقود وارسلت اليهم الاسلحة ولكنها خشيت سوء المغبة اذا هي دخلت في معاهدة جهارية مع الاميركيين

غير ان دهاء فرنكلين الشهير بسعة اطلاعه سياسته وحسن صبره العجيب ومواظبته على العمل ونحو ذلك من الصفات النادرة حببته الى الملك واعوانه · هذا وشيوع خبر انتصار الاميركيين في فرنسا مهد العقبات وازال الحواجز الحائلة دون بلوغ فرنكلين الى غايته التي فاز بها اخيرا بعد تمضيته كل عام ١٧٧٧ في فرنسا دائبا على العمل بكل وسيلة ممكنة وابرم معاهدة في ٦ شباط سنة ١٧٧٨ وقعها الملك لويس السادس عشر وفد اعترفت فرنسا رسميا باستقلال الولايات المتحدة · وكان من شروط تلك المعاهدة بانه اذا شهرت انكلترا الحرب على فرنسا فاميركا تقف بجانبها وتناصرها ولا تعقد احداهما شروط صلح بدون معرفة وموافقة الاخرى فكان لتوقيع تلك المعاهدة رنة استحسان في اميركا وضجة غيظ شديد في انكلترا

وفي ايار سنة ١٧٧٨ اثبت الكونغرس الاميركي المعاهدة مع فرنسا · وقبل ذلك بشهر واحد اقلع الى اميركا اسطول افرنسي معقود اللواء على الاميرال دستين ووجهته نهر دلاوير لمضايقة الاسطول الانكليزي في فيلادلفيا · وكانت كلا انكلترا و فرنسا تعلمان بان الحرب بينهما ادنى من قاب قوسين فشرعتا تستعدان لها

وفي هذه الاثناء خطر للملك جورج الثالث الانكليزي ان يصغي لمطالب رعاياه في اميركا · فاوفد اليهم لورد نورث يحمل صكين ينطويان على ارادة الملك في اجابتهم الى مطالبهم وهما موقعان من البارلمانت ايضا · واوفد معتمدين اخرين لاخبار شعب اميركا بذلك واقناعهم بالعودة الى طاعة الملك · فاجاب الكونغرس ان الاميركيين لا يرضيهم شيء سوى الاعتراف باستقلالهم · وحاول رسل الملك اغراء اعضاء الكونغرس على الاذعان لهم بالرشوة اما هم فابوا ذلك ورفضوا مقابلتهم ثانية

وظلت جنود بريطانيا في فيلادلفيا من ايلول سنة ۱۷۷۷ الى حزيران من السنة التالية · وكان اسطول الاميرال هوي رابطا في نهر دلاوير · وفي الخريف خلف الاميرال هوي السير هنري كلنتن · فلما سمع بقدوم الاسطول الافرنسي اقلع فورا الى نيويورك · وفي ۱۸ حزيران بارح الجيش الانكليزي فيلادلفيا وتقهقر عن طريق نيوجرزي فاحتل واشنطن المدينة وعبر النهر الى الضفة المقابلة ولحق بخصومه فادركهم في مونموث التي تبعد ۱۸ ميلا عن نيوبرنزويك وفي صباح الثامن والعشرين من الشهر المذكور صدر الامر للقائد لي بالهجوم فهجمت اولا فرقة الفرسان بقيادة لافيات فدحرها الانكليز بقيادة كورنوالس وكلنتن · اما القائد لي الذي كان مضادا لاتخاذ خطة الهجوم فامر فرقته ان تتقهقر الى موقف احصن من موقفها السابق فساء الجنود فهم المقصود واسرعوا في التقهقر فلما رآهم الانكليز على تلك الحالة جدوا في اثرهم · غير ان واشنطن اوقفهم وهدا روعهم ووبخ القائد لي توبيخا عنيفا ثم اعاد الكرة على الانكليز ودامت الموقعة الى ان خيم الظلام فافتر ثغر الفوز للاميركيين · وكان واشنطن آملا بالفوز التام فتربص هناك الى الصباح · غير ان القائد الانكليزي انسحب بجنوده ليلا ونجا من عار الانكسار في ذلك المعترك · وفي تلك الموقعة فاقت خسارة الانكليز خسارة الاميركان

اما الجنرال لي فاحتدم غيظا من توبيخ واشنطن له ومقاومته اياه فارسل له كتابا يطلب اليه ان يعتذر له عن اهانته اياه

فاجابه واشنطن جوابا بحسب مقتضى الحال فازداد لي حنقاً وارسل الى واشنطن جوابا استعمل فيه كلمات بذيئة فحوكم امام مجلس عسكري وحكم عليه بالخلع من وظيفته مدة سنة كاملة فاستاء من ذلك جدا ومات لشدة حنقه ولم يفسح له الاجل في ان ينظر تحرير بلاده

واجتمعت اخيرا قوتا الانكليز البرية والبحرية في نيويورك · اما واشنطن فتأثر خصومه · فعبر نهر هدسن واحتل بجنوده هويتسبلين · وفي ١١ تموز ظهر الاسطول الافرنسي قرب ساندي هوك وكان في عزم اميراله مهاجمة الاسطول الانكليزي · ولكن قامت في سبيله بعض الموانع فلم يستطع التقدم · وبعد ذلك اقلع الاسطول الافرنسي الى نيوبورت ومنها الى رود ايلند التي كان فيها للانكليز قوة عظيمة تحت قيادة الجنرال بيكوت · وما بلغ الاسطول الافرنسي الى نيوبورت حتى زحفت عليها فرقة اميركية يقودها الجنرال سلفان لمساعدة الاسطول في كسح الانكليز · وتبع على الاثر القائدان لافيات وكرين بفرقتيهما لنجدة سلفان ونزل الجميع في تيفرتن · وتم الاتفاق ان يصير الهجوم في اليوم التالي · وفي الصباح ظهر الاسطول الانكليزي قاصدا مهاجمة الاسطول الافرنسي · اما الاميرال الافرنسي فبدلا من مبادرة الانكليز باطلاق القنابل اقلع الى عرض البحر لمنازلة الاسطول الانكليزي في موقعة رسمية وبينما كان الاسطولان يتأهبان للقتال اذا بعاصف هب فاحد ثنوءًا تضررت منه سفن الاسطولين فافترقا فالافرنسي اقلع الى بوسطن والانكليزي عاد الى نيويورك

فلما راى الامير كيون ان الاسطول الافرنسي بارح مياه نيوبورت تقهقروا هم ايضا من مركزهم فتبعهم الانكليز مجدين في طلبهم الى ان اشتبكوا معهم بقتال كانت

فيه خسارة الاميركيين اعظم من خسارة اعدائهم ولولا اسراعهم في الهرب لافناهم الانكليز لان قوتهم تضاعفت بمدة وجيزة

وانتقلت قيادة القوات الانكليزية البحرية في اميركا من لورد هوي الى الاميرال بيرن • واما السير هنري كلنتن فاذ لم يتح له الفوز في ميادين القتال عمد الى السلب والنهب فاحرق مراكب الاميركان في مرفأ لتل اك واعملت جنوده في القرى والمزارع تخريباً وتدميرا وسلباً واختطافاً لكل ما اتصلت اليه ايديهم واعملوا السيف في رقاب كثيرين واحرقوا جثثهم •وفي اماكن اخرى ارتكب الانكليز فظائع دونها تنكيل الاتراك بخصومهم ولا يسعنا المقام ان نفندها واهمها مجزرة ويمن من اعمال بنسلفانيا ومذبحة شاري فالي من اعمال نيويورك الشهيرتين • فبمثل تلك الفظائع والمجازر كان جورج الثالث ملك الانكليز يحاول اخضاع رعيته في اميركا

واقلع الاسطول الافرنسي من مرفأ بوسطن في ٣ ت٢ الى وست انديز • وفي كانون الاول اقلعت ايضا العمارة الانكليزية من نيويورك لمنازلة سفن الاعداء في عرض الاوقيانوس وقبل ذلك ببضعة ايام سار الكولونيل كامبل بالفي جندي لغزو جيورجيا فوصلوا في ٢٩ كانون الاول الى سفانا التي كان يحميها ٨٥٠ رجلا فتغلب الانكليز عليهم واحتلوا المدينة • فهرب الاميركيون الى سوث كارولينا واحتموا داخل شارلستون وهذا كل ما قدر الانكليز على اكتساحه خلال سنة ١٧٧٨ • وكانت خسارتهم في حروبهم مع المستعمرات اضعاف ارباحهم • فلم يكن في حوزتهم سوى نيويورك وفيها القائد كلنتن وجنوده • ونيوبورت وكان فيها خميس من الجند تحت قيادة بيكوت وعاصمة جورجيا • واما بقية الاماكن فكانت في حوزة الاميركيين

وامضى الجيش الاميركي فصل الشتاء من سنة ١٧٧٨ ـــ ٧٩ في مدلبروك نيوجرزي • وفي اوائل الربيع بدت ادلة القنوط على محياه لان الجنود لم يتناولوا

روانبهم وطعامهم كان اقل من القليل · وما منع انفجار بركان الفتنة والعصيان بينهم سوى حكمة واشنطن وحسن درايته · وجرت بين الاميركيين والانكليز مواقع متعددة كان في غالبها الانكليز اكثر عددا وعددا من الاميركيين فاستظهروا عليهم وطردوهم من عدة مراكز واحرقوا بلدانا عديدة ولكن الاميركيين عادوا فاستولوا على بعض تلك المراكز التي اهمها ستوني بوينت

وبعد ثلاثة ايام من استعادة الاميركيين ستوني بوينت هجم الماجور لي بفرقته على الانكليز في جرزي ستي فتغلب عليهم وقتل منهم مائتي رجل · وفي ٢٥ تموز جاء اسطول مساتشوستس المؤلف من ٣٥ سفينة لمهاجمة الموقع الانكليزي في بنسوسكت وادرك الاميركيون بعض النجاح ولكن الاسطول الانكليزي اسرع بالحضور فحطم السفن الاميركية تحطيما · اما الاميركيون فلم تخر عزائمهم بل ثابروا على الجهاد في سبيل نيل الحرية ونازلوا ليس الانكليز فقط بل الهنود ايضا في اماكن متعددة وقد عقد النصر على الويتهم

وبينما كانت المناوشات والمواقع قائمة على قدم وساق في الجهات الشرقية كانت نيران القتال مشتعلة ايضا في جيورجيا وسوث كارولينا · ففي اوائل سنة ١٧٧٩ لم يكن في حوزة الاميركيين في جنوبي سفانا سوى قلعة سنسبوري في مضيق سانت كاترين وقد اغتصبها الانكليز منهم في تاسع شباط بحملة هاجمتها من فلوردا بقيادة الجنرال برفوست الذي انضم برجاله الى القائد كامبل الذي كان محتلا سفانا وهو قائد القوات الانكليزية في الجنوب · وزحف كامبل المذكور بالفي جندي على اوغسطا التي التأم فيها مجلس النواب الاميركي بعد سقوط سفانا ·وفي ٢٥ كانون الثاني سقطت غنيمة في ايديهم · وقد رجفت كل جيورجيا رهبة من جنود جورج الثالث

وفي غضون ذلك نهض رجال الحزب المحافظ في غربي كارولينا وتقلدوا اسلحتهم وساروا للانضمام الى جيش كامبل في اوغسطا · وبينما هم سائرون التقاهم القائد اندرسن وانقض عليهم برجاله ففرق شملهم · فلما بلغ خبر ذلك الى كامبل اخلى اوغسطا وعاد الى سفانا

وما عتم الاميركيون حتى استولوا على القسم الغربي من جيورجيا · وكان قائد قوات الاميركان في الجنوب الجنرال لنكلن · فبينما كان الانكليز سائرين القهقرى في النهر اوفد لنكلن القائد آش بالفي جندي لاجل صدهم · وعبر الاميركيون في ٢٥ شباط نهر سفانا وتتبعوا اثر كامبل حتى بربر كرك وهو يبعد عن اوغسطا ٤٥ ميلا · وكان الانكليز قد نسفوا الجسر هناك لكي يمنعوا الاميركيين من التقدم ·

وبينما هم هناك اذا بالجنرال بريفوست قد اقبل من سفانا بقوة كبيرة فاجتاز بربر كرك فوق موقف الاميركيين واحتاط بالقائد آش ورجاله واشتبك الفريقان بموقعة غلب فيها الاميركيون وخسروا ما ينيف عن الثلاثماية رجل · والذي قدرت له النجاة من رجال آش انضم الى جيش لنكلن في بريسبرغ فقويت بذلك الانتصار شوكة المالكية في جيورجيا وعينت حكومة بريطانيا حاكما ملوكيا عليها

اما الجنرال لنكلن فاستجمع قوته في كارولينا · وبلغ عدد جيشه خمسة الاف · وكان على ثقة من استعادة جيورجيا فزحف بجيشه عن طريق اوغسطا · وفي نفس الوقت كان القائد بريفوست زاحفا ايضا بجنوده من سفانا الى شارلستون فوصلها في ١٢ ايار وطلب من القائد الاميركي القائم على حمايتها التسليم له فابى · وهم بريفوست بضرب نطاق الحصار حول المدينة ولكنه لما علم ان القائد لنكلن قادم لمنازلته قفل راجعا فلحق به لنكلن وادركه على بعد عشرة اميال من شارلستون ونازله بموقعة دحر فيها الاميركيون وعاد الانكليز الى سفانا ولم تحدث بين الجانبين مواقع حربية من حزيران

الى ايلول ·

وفي تلك الاونة عاد كونت دي ستين الافرنسي باسطوله من وست انديز الى كارولينا لمساعدة الجنرال لنكلن في افتتاح سفانا · فاضطرب لذلك القائد برينوست وتأهب للدفاع عن المدينة · وكانت ريح شديدة قريبة الهبوب · فاعلن دي ستين انه لا يمكنه البقاء في ذلك المكان طويلا لعدم صلاحيته لوقاية السفن من النوء المقبل · فانزل جنوده الى البر وعددهم ستة الاف وحاصروا المدينة · وتقضى على الحصار احد عشر يوما قبل ان وصل لنكلن برجاله · وفي ١٦ ايلول طلب دي ستين من القائد الانكليزي التسليم فطلب هذا اليه هدنة يوم للمشاورة والواقع انه كان يريد اكتساب وقت لجلب نجدة وتقوية مركزه · ولما وصل لنكلن بجيشه شددوا الحصار وداوموا اطلاق القنابل والقذائف على المدينة حتى ادرك الخراب معظمها · وعلى رغم ذلك داوم الانكليز دفاعهم بكل نشاط · فمل دي ستين الانتظار واشار الى لنكلن ان اما هاجموا المدينة واحتلوها او ارفعوا الحصار عنها فأختير الامر الاول · وعقدوا في ٨ تشرين الثاني مجلس مشورة قرروا فيه ان يبدا الهجوم عند انبثاق الفجر في صباح اليوم التالي

وعند الضحى هاجم الاميركيون والافرنسون الاستحكامات الانكليزية بطريقة غير منتظمة ولكن بكل قوتهم وكذلك الانكليز دافعوا ببسالة فائقة · ولم تطل مدة القتال حتى بدا كأن المتعاهدين نالوا ما ارادوا ورفعوا راية كارولينا وراية فرنسا في احد المرتفعات وقد سقط كثيرون ذوو فضل ونبل قتلى في ذلك النصر الاولي منهم السير جنيت جسبر بطل قلعة مولتير · غير انه لم تمر ساعة واحدة على ذلك الانتصار حتى هب الانكليز ودحروا المتحدين وارجعوهم على الاعقاب بخسارة باهظة · وقد جرح دي ستين مرتين وخر بولاسكي الشريف صريعا · فكان الاندحار والفشل تامين · والصق عار الانكسار بجيش الاتحاد · وقفل دي ستين راجعا بمن تبقى من رجاله الى

شارلستون

وهكذا انقضت سنة ١٧٧٩ ولم يدرك الاميركيون وطرهم او يفوزوا بامنيتهم اعني الحرية والاستقلال وحليفتهم فرنسا التي وعدتهم باشياء كثيرة لم تأتهم بمنفعة تذكر. والكونغرس سقطت حيثيته بالكلية والخزينة الوطنية كتب عليها «وعش خاليا» والجنود لم يكن لديهم ما يسدون به الرمق ورواتبهم لم تكن سوى مواعيد عرقوبية اما الذي صممت انكلترا على فعله في السنة التالية فيتضح مما يأتي قرر البارلمانت ان يرسل الى اميركا اسطولا ينقل ٨٥ الف جندي بحري وان يزاد على الجيش فيها ٣٥ الفا من الجنود النظامية وارصد مبلغ عشرين مليون ليرة انكليزية لنفقات الحرب فقابل بين حالة الانكليز والاميركيين وقل ماذا تستطيع المستعمرات عمله ازاء هذه القوة العظمى

ان الحركات الحربية في الشمال توقفت في الشطر الاكبر من سنة ١٧٨٠ وقد حاول الانكليز مرتين الاجتياز الى نيوجرزي ولكنهم ردوا مدحورين. وفي اوائل شهر تموز وصل الاميرال دي تيراني الافرنسي الى ميناء نيوبورت باسطول يقل على متنه ستة الاف جندي تحت قيادة الكونت روشامبو. فطرب الاميركيون جدا لوصول حلفائهم. غير ان جيش واشنطن كان متضعضعا مشتت الشمل ويعسر جره الى ميادين القتال. وفي شهر ايلول عقد القائد العام جورج واشنطن مجلس مشورة مع الكونت راشامبو ورسما طرق الهجوم وما ينبغي عمله

اما في الجنوب فكانت خسائر الاميركان فادحة. وقد استولى الانكليز على سوث كارولينا كلها. وفي ١١ شباط رست عدة سفن حربية انكليزية في ميناء شارلستون وكان على متن احداها السير هنري كلنتن وخمسة الاف جندي من جيش نيويورك وكانت الغاية من قدومهم اخضاع كل الايالات الجنوبية لسلطة بريطانيا مبتدءا من

شارلستون التي كان قائما على حمايتها الف واربعماية جندي بقيادةالجنرال لنكلن الذي كان يتأهب لاخلاء مركزه · فنزلت الجنود الانكليزية وزحفت مريدة دخول المدينة من الجهة الجنوبية · وامضى الجنرال كلنتن مدة شهر يتقرب تدريجا من استحكامات الامير كان·ووافت نجدة للقائد لنكان من فرجينيا في سابع نيسان وبعد يومين وافقت الريح اسطول الاميرال اربوفنت فرسى به على بعد مرمى قنبلة من المدينة · وعندئذ طلب الى لنكان ان يسلم فاجاب انه يدافع عن شارلستون ما استطاع الى الدفاع سبيلا

ثم حوصرت المدينة وضويق عليها بكل وسيلة ممكنة ودافع الامير كيون بكل قوتهم الى ان نفدت ذخيرتهم فارغموا على التسليم وهكذا اضحت اهم مدينة في الجنوب بيد الانكليز وكان ذلك في ١٢ ايار والذين تبقوا من حامية شارلستون احياء استيقوا اسرى حرب · وعقب سقوط شارلستون سقوط جورج تون ايضا وغيرها وبعد عدة مواقع يطول وصفها عاد الانكليز فنشروا سيادتهم على سوث كارولينا · ولما تم لهم ذلك عاد الجنرال كلنتن وغيره من القواد مع نصف الجيش الى نيويورك · وابقوا هناك القائد كورنوالس مع بقية الجيش للمحافظة على ما احتلوا من المدن · نعم ان البلاد غلبت واما الشعب فلم يغلب · ففي شدة حرج ذلك الموقف نهض وطنيان غيوران للمحاربة في سبيل استقلال وطنهما واحرزا شهرة بعيدة وهما طوماس سمتر وفرنسيس ماريون اللذان تحت زعامتهما اجتمعت الجنود من سائر اطراف الايالة وتنظمت وتسلحت واستعدت للنزول الى سوق المنايا ومصارعة المنون وانقضوا على الانكليز ولا انقضاض الكواسر على فرائسها فابلوا بهم بلاء حسنا · وفي سادس آب التقت فرقة من جنود الامير كان بقيادة سمتر بفرقة كبيرة من جنود الانكليز النظامية في هنن كرك والتحموا معا بموقعة دموية فبطشوا بهم واجبروهم على التقهقر · وفي تلك الموقعة ابتدات مواهب اندرو جاكسن بالظهور وكان اذ ذ جنديا ودام القائد ماريون

يباغت الانكليز بالهجوم عليهم في اماكن واوقات مختلفة حتى القى الرعب في قلوبهم وصرف فصلي الصيف والخريف من سنة ١٧٨٠ محيطاً بمركز كورنوالس يقطع عليه خط الاتصال من جهة ويضايقه من جهة اخرى وفعل ماريون افعالا غريبة في ازعاج الانكليز حفظها له تاريخ الاستقلال بالشكر الجزيل

وبعد سقوط شارلستون تعين القائد كايتس قائدا في الجنوب ومعه قوة كبيرة من الجند فتقدم بهم وعبر نورث كارولينا · وفي اول شهر آب بلغ الى حدها الجنوبي اما لورد رودون قائد الجنود الانكليزية في القسم الشمالي من سوث كارولينا فجمع كل قوته في كامدن وانضم اليه ايضا القائد كورنوالس بفرقة من شارلستون وجورجتون وكذلك الامير كيون تقدموا وجعلوا مركزهم في كليرمونت التي تبعد عن كامدن ١٣ ميلا وعزم كل من كورنوالس وكيتس على مباغتة احدهما الاخر تحت ستر الظلام · وعلى هذا زحف كيتس برجاله على كمدن في مساء ١٥ آب · وكورنوالس سار ايضا برجاله نحو كلير مونت · ولما لاح الصباح التقى الفريقان في منتصف الطريق عند ساندرز فوقف كلا الجنرالين موقف الدهشة وشرعا يتأهبان للموقعة · وبعد قليل دارت رحى الحرب · وكاد يفوز الامير كيون بثباتهم وبسالتهم غير ان جنود فرجينيا وكارولينا رموا اسلحتهم وولوا الادبار · فاشتد ساعد الانكليز ودحروا خصومهم وارغموهم على التقهقر وكانت خسارتهم في ذلك المعترك ما ينيف على الالف رجل من قتيل وجريح واسير · والذين تبقوا احياء فروا الى شارلوط نورث كارولينا وهي تبعد عن ساحة القتال ٨٠ ميلا فخسر القائد كيتس بذلك الانكسار شهرته الحربية واقيل من القيادة فسلمت الى الجنرال كراين وهو يعد افضل قائد في حرب الاستقلال بعد جورج واشنطن

فعاد الجنرال كورنوالس الى السيادة على كارولينا

وبعد موقعةساندرز كرك . التقى القائد تارلتن الانكليزي بساندس ورجاله في فشن كرك فاحاط بهم احاطة السوار بالمعصم وشتت شملهم تشتيتا ولم يبق لصد هجمات العدو سوى ماريون وفرقته . وعامل الانكليز الاهلين بكل قسوة وضيقوا عليهم مسالكهم وفي ثامن ايلول تقدم الانكليز من كامدن الى نورث كارولينا فبلغوا الى شارلوط في ٢٥ منه . وكان الاميركيون قد اخلوها الى سالسبوري . وفي نفس الوقت ارسل القائد فرغسن الانكليزي بالف ومائة جندي الى جهات غربي نهر كوتبوا لارهاب الاميركيين واغراء الامناء للانكليز على حمل السلاح . وبين كان فرغسن المذكور في خيامه مع جنوده في قمة جبل كنغ هاجمهم الف رجل بزعامة الكولونيل كامبل فاحاطوا بالمعسكر واعملوا السيف في رقاب الجنود فقتل فرغسن وسقط ثلاثماية من رجاله قتلى وجرحى والبقية طرحوا اسلحتهم وسلموا للاميركيين . ومدة الشهرين التاليين لم تحدث مواقع بين الفريقين علي شيء من الاهمية فظلت جيورجيا وسوث كارولينا بيد الانكليز . وكانت الغزوات تتوالى على نورث كارولينا

وفي تلك الاثناء سقطت الثقة المالية بشعب اميركا الى ادنى الدركات . ولم تكن لدى الكونغرس نقود فضية او ذهبية للقيام بنفقات الحرب فلجأ الى عملة الورق التي قبلت في اول عهدها نظير النقود الذهبية والفضية ولكن لما توالى صدورها اخذت قيمتها بالسقوط حتى انه في سنة ١٧٨١ لم يعد يساوي الدولار منها ثلاثة سنوت . ولكي تزيد حكومة انكلترا النار ضراما رفضت قبول الاوراق المذكورة التي كانت منتشرة بكثرة في البلاد فوقفت الحركة التجارية لقلة النقود وساءت الحال جدا . غير ان روبرت مورس وغيره من متمولي الاميركيين وضعوا ما لديهم من النقود بين ايدي الشعب وانقذوا البلاد من الدمار وكذلك النساء الوطنيات بذلن كل ما في وسعهن في مساعدة المحتاجين واطعامهم ونحو ذلك من الخدم المفيدة التي امتاز الجنس

الطيف بصنعها في كل عصر ومصر

وفي وسط تلك المتاعب والمشاعب جرى امر لم يكن في الحسبان فقام البلاد واقعدها الا وهو ان بندكوت ارنولد الوطني الممتاز بالبسالة والغيرة والذي سال دمه في عدة مواقع في سبيل تحرير الوطن قد اقترف جريمة خيانة الوطن نفسه . فبعد موقعة بيمس هيتس سنة ١٧٧٧ التي ابدا فيها بسالة وشجاعة كافأه عليهما الكونغرس بترقيته الى رتبة ماجور جنرال . واذ اقعدته جراحه عن القيام بمهام وظيفته تعين حاكما على فيلادلفيا بعد ان اخلاها الانكليز . بعدئذ تزوج بابنة احد الوجهاء وسكن في قصر وليم بن عائشاً بالترف والبذخ فاثقلت كاهله الديون . فلكي يظل قادرا على العيش الرخي شرع يتلاعب بادارة العسكرية بسلب ما استطاع . ولج في الظلم والطغيان حتى عمت الشكوى منه ورفعوا امره الى الكونغرس فحوكم في المحكمة العرفية سنة ١٧٧٩ وثبتت عليه دعويان ففوضت المحكمة جورج واشنطن في توبيخه وزجره كي لا يعود الى مثل تلك الافعال الشائنة

فتناسى ارنولد ذلك التوبيخ واظهر استعداده لتضحية نفسه في سبيل الوطن واجابة لطلبه سلمت اليه قيادة حرس قلعة وست بوينت القائمة على نهر هدسن . وفي تموز سنة ١٧٨٠ وصل الى مركزه الجديد ووضع يده على اعظم مستودع اسلحة وذخائر في اميركا . وكان متفقا سرا مع الانكليز على تسليم تلك القلعة بما فيها اليهم لقاء مبلغ من الدراهم ينقدونه اياه جزاء خيانته الوطنية . وقد تم الاتفاق على انه في يوم معين يمخر الاسطول الانكليزي في نهر هدسن نحو القلعة وهو يفرق الحامية الى هنا وهناك فيدرك الانكليز وطرهم دون كفاح او صدام

وفي ٢١ ايلول اوفد السير هنري كلنتن الماجور جان اندره ليتفاوض مع ارنولد المذكور بامر التسليم وكانت اواصر الصداقة بين اندره وارنولد وثيقة العرى منذ زمن

قصي • فذهب اندره اليه ليس بهيئة جاسوس بل كان مرتديا بزته الرسمية • واتفقا على ان يصير الاجتماع خارج الحدود الاميركية وعند منتصف ليل ٢١ ايلول خرج ارنولد للاجتماع باندره على بعد نحو ميلين من بلدة هافرسترو • وتجاذبا الحديث الى انبثاق الفجروقد اضطرا الى التنكر والاختباء • ولكي يفعلا ذلك ارغما على الدخول الى حدود الاميركان فاوقفهما الحرس • اما ارنولد فاعطى الكلمة المتفق عليها للمرور واما رفيقه فابرز شهادة بكونه جاسوسا

وامضى ارنولد الخائن ورفيقه سحابة ذلك النهار مختبئين في بيت رجل امين للانكليز يدعى سمث وهناك اتما كل شيء • وارتضى ارنولد ان يسلم القلعة وحاميتها وكل ما فيها من اسلحة وذخيرة لقاء عشرة الاف ليرة انكليزية ورتبة قائد في الجيش الانكليزي • ودفع الى ارنولد خريطة القلعة ورسومها واماكن حصونها ونحو ذلك مما تهم معرفته • وخبأ ارنولد كل تلك الاوراق في جواربه وفي خلال ذلك النهار اطلقت البطارية الاميركية قنابلها على السفينة التي اقلت اندره فارغمتها على الاقلاع من مرساها • فبعد ان اتم اندره مهمته جاء الى السفينة فلم يجدها فاضطر ان يعبر النهر من الجهة الاخرى وسار مشيا على الاقدام ووجهته نيويورك • فاجتاز مخافر الاميركيين بسلام الى ان بلغ تريتون التي تبعد عن المدينة ٢٥ ميلا فاستوقفه هناك ثلاثة جنود اميركيين وفتشوه فوجدوا معه الاوراق المذكورة فاخذوها منه وشدوا وثاقه وسلموه الى الكولونيل جيمس في نورث كاسل • اما ارنولد الخائن فما عتم حتى بلغه خبر القبض على صديقه الذي كان منتحلا اسم جان اندرسن ففر هاربا وركب السفينة الانكليزية التي اقلت اندره وفاز بالنجاة • واما اندره فحوكم امام مجلس عسكري وحكم عليه بالاعدام فشنق في ثاني شهر تشرين الاول

وفي ادلهمام ظلمات كانون الاول لاحت اشعة الرجاء من اوروبا • وذلك ان

هولاندا كانت منذ بضع سنوات تظهر ارتياحها الى الاميركان فقامت آنئذ تطلب جهارا عقد معاهدة تجارية مع اميركا نظير تلك المبرمة بينها وبين فرنسا · فلما سمعت ذلك انكلترا تميزت غيظا واتقدت سخطا على هولاندا · فشهرت عليها حربا في ٢٠ كانون الاول · وهكذا اضافت انكلترا الى اعدائها عدوا جديداف كان بذلك الخير لاميركا وصح قول القائل (مصائب قوم عند قوم فوائد)

الفصل السابع والثلاثون

—(نهاية الحرب)—

بدا وجه الشطر الاول من عام ١٧٨١ للاميركيين مقطبا قاتما · فجنديتهم كانت بحالة سيئة جدا فلا طعام ولا كساء ولا رواتب للجنود · حتى ان دراية وحكمة وفطنة واشنطن لم تكن كافية لنزع التذمر من الجنود · وفي غرة كانون الثاني تركت فرقة بنسلفانيا برمتها مركزها في مورستون ومشت الى فيلادلفيا ولما عجز القائدوين عن اقناعهم بوجوب البقاء سار معهم رجاء ان يقنعهم بالعودة بعد ذلك فالتقى بهم في برنستون رقيبان من قبل السير هنري كلنتن واخبراهم ان مولاهما يقدم لهم ما يحتاجون اليه من طعام وكساء وينقدهم المتأخر من رواتبهم ويعفيهم من الخدمة العسكرية اذا كانوا يبارحون الجيش الاميركي فاجابهما الاميركيون بان قبضوا

عليهما وسلموهما للقائد وين ليشنقهما كجاسوسين · فاراد الكونغرس مكافأة اولئك «المتمردين» على عملهم الدال على عزة نفس ومحبة وطنية ولكنهم رفضوا قبول المكافأة لحسبانهم انهم انما عملوا واجبا وطنيا · ولقد كان واشنطن مستاء من اهمال الكونغرس امر الجنود · ورغب في ان التمرد يستمر تاركا لاعضاء الكونغرس انفسهم تسوية الامر وهكذا كان

وفي منتصف كانون الثاني ثارت ايضا فرقة نيوجرزي الضاربة في بوبمتن · غير ان واشنطن اخمد جذوة الثورة بالقوة وقتل الاثنين اللذين سعرا اوارها فعاد الجميع فورا الى الطاعة · واستتب النظام منذ ذلك اليوم · على ان تلك الفتن قد نتج عنها امور حسنة نبهت الكونغرس من سباته وهم في استجلاب قوت وكساء ونحو ذلك من لوازم الجنود · وارسل مفوضا الى فرنسا لعقد قرض جديد لتلك الغاية · وتعين روبرت لوريس وزير للمالية وانشيء آنئذ مصرف «بنك» نورث اميركا · ومع ان ديون الولايات العمومية لم تدفع بعد · فقد اخذ رجالها الغيوريون للدهر اهبته فقدم موريس المذكور وعدد من اصحابه كل اموالهم واملاكهم ضمانة جعلت موقف الحكومة المادي حريزا

وابتدا ارنولد الخائن الحركات الحربية في الشمال · فانه لما بلغ الى نيويورك نال من الانكليز المكافأة المتفق عليها لاجل خيانته واصبح قائدا برتبة برجدير جنرال في الجيش الانكليزي · وكان واشنطن قد اتفق مع الماجور هنري لي على طريقة لاسر ارنولد الخائن · فتطوع الجاويش جان تشامب لتجشم الاخطار في ذلك السبيل فغادر فرقته وجاء الى نيويورك وتجند في فرقة ارنولد · واتفق هناك مع اثنين على القبض على ارنولد واخذه الى المعسكر الاميركي · غير ان ارنولد غير مركزه فجأة فافسد على الرجال قصدهم · وبعد ذلك بشهر واحد سلمت اليه السلطة على اسطول يقل على

متنه الفا وستماية جندي • وبارح نيويورك في ١٦ كانون الاول وسار يقصد احتلال مواني فرجينيا • وفي اوائل كانون الثاني دخل نهر جيمس وشرع يقاتل قومه ووطنييه ويعيث في البلاد فسادا ويخرب ما امكنه • وبعد ان حول تلك الاصقاع العامرة الى فيافي جرداء اتخذ له مركزا في بورتسموث على بعد بضعة اميال من هامبتن رودس فعاد واشنطن واوجد وسيلة للقبض عليه • فاوعز للاسطـول الافرنسي الراسي في نيوبورت ان يقلع الى فرجينيا لمشاركة لافيات الذي كان زاحفا على بورتسموث بالف ومائتي جندي • فعلم بالامر الجنرال الانكليزي اربثنوت واقلع باسطوله من نيويورك وارغم الاسطول الافرنسي على الالتجاء الى رود ايلند فامتنع لافيات عن الهجوم لانقطاع المساعدة المتوقعة وهكذا نجا ارنولد ثانية من الفخ المنصوب لاصطياده

وفي منتصف شهر نيسان وصل الى بورتسموث الجنرال فيلبس ومعه الفا جندي انكليزي انضموا الى جنود ارنولد واعيدت الكرة على بلدان فرجينيا واعمل السيف في رقاب اهليها واخرب مالم يخرب في حملة ارنولد الاولى • وفي ايار قضي فيلبس نحبه فتولى ارنولد قيادة كل قوات انكلترا في فرجينيا ودام مدة سبعة ايام فقط • فحضر بعدها لورد كورنوالس الى بتسبرغ وامر ارنولد ان يترك منصبه ففعل وعاد الى نيويورك واستلم قيادة فرقة اخرى من كلنتن فعبر بها المضيق واحتل نيولندن من مدن الولاية التي ولدفيها واحتل ايضا قلعة كرسولد بعد ان قهر حاميتها التي كان متوليا قيادتهـا الكولونيل لديارد الذي لما سلم سيفه لاحد ضباط الانكليز ضربه هذا به فالقـاه على الارض يختبط بدمه وكانت تلك الاشارة المتفق عليها للفتك ببقية رجال حامية القلعة المذكورة فذلك العمل البربري محا اسم ارنولد من التاريخ الاميركي

وفي تلك الاثناء حدثت امور مهيجة جدا في الجنوب • ففي السنة الغابرة تولى الجنرال كرين قيادة الجيش الاميركي في الجنوب إذا صحت تسمية شراذم من الرجال

عراة حفاة متألبين في بلدة شارلوط نورث كارولينا جيشا ولورد كورنوالس كان قد انسحب الى جهات كامدن · فداب القائد كرين على لم شعث رجاله وتنظيمهم قدر الاستطاعة ثم قسمهم الى قسمين شرقي وغربي فتولى هو قيادة القسم الاول وسلم قيادة القسم الثاني للجنرال مورغن الذي ارسله في اوائل كانون الثاني الى ضواحي سبارتنبرغ من ولاية سوث كارولينا لاخماد شغب الموالين للانكليز ولتشجيع الوطنيين وحملهم على التجند ففاز هناك فوزا باهرا حتى ان الانكليز خشوا سوءا من وجوده في تلك الاصقاع · فاصدر كورنوالس امرا الى الكولونيل ترلتون ليسرع فورا بفرقة الفرسان التي يقودها هو ويسحق فرقة مورغن ويرغمه على الخروج من الولاية · فدري مورغن بالامر واتخذ له مركزا حصينا في كونبز · ورتب رجاله حسب الاقتضاء وفي ١٧ كانون الثاني هاجمتهم فرقة الفرسان الانكليزية وعددها الف ومايـة وهم واثقون بالفوز · ولكنهم وجدوا رجال مورغن اشدمراسا واكثر ثباتا مما كانوا يتوقعون · ولما حمي وطيس القتال اذا بفرقة الفرسان الاميركية بقيادة الكولونيل وليم واشنطن انقضت على الانكليز ففرقتهم كالتبن امام العاصف · وكانت غلبة الاميركيين تامة والفوز باهرا وتبارز واشنطن المذكور مع تارلتن الانكليزي فقهره وفر الانكليزي والدم يسيل من جسده من طعنة نجلاء اصابته من سيف وليم · فخسر الانكليز في ذلك المعترك عشرة ضباط وتسعين جنديا قتلى وخمسماية وثلاثة وعشرين اسيرا ومدفعين مع ادواتهما وثمانماية بندقية وعلمين

اما كورنوالس فكان نازلا بجيشه على بعد ثلاثين ميلا من نهر كاتوبا فلما سمع بانكسار جيشه نهض حالا ومخر مع رجاله في النهر املا ان يدرك موءخرة فرقة مورغن ثم ان القائد كرين الذي سمع ايضا بالخبر اسرع برجاله وانضم الى مورغن وتولى القيادة بنفسه واسرع في التقهقر · وفي الوقت نفسه اوعز الى الجنرال هوغر الذي

كان ا ّنئذ متوليا قيادة القسم الشرقي من الجيش الاميركي ان يتراجع الى شارلوط حيث يتحد بجانحي الجيش ٠ وبلغت فرقة مورغن الى نهر كاتوبا في ٢٨ كانون الثاني وعبرت الى الضفة الشمالية مع الاسرى وكل معدات الجيش ٠ وبعد ذلك بساعتين وصلت حوائج الجيش الانكليزي الى المعبر الذي اجتازه الاميركيون وكان قد خيم انظلام فارتأى كورنوالس ان يتربص هناك حتى الصباح ثم يعبر النهر فينال الغلبة على أسهل مرام ٠ بيد انه انهمر في الليل مطر غزير جدا فلما لاح الصباح كان النهر يتدفق كطوفان جارف فلم يستطع الانكليز العبور ولما صار ذلك ممكنا عبروا الى الضفة الاخرى ولحقوا بالاميركيين الى مخاضة نهر يدكن

والمسافة بين المكانين ستون ميلا والطريق عسرة المسلك ٠ وقد اجتاز الاميركان تلك المسافة بمدة يومين ووصلوا الى النهر وما كادوا يفرغون من عبوره حتى وصل الانكليز وهاجموا موءخرتهم وسلبوهم بضع مركبات غير انهم لم يستطيعوا عبور ذلك النهر بسبب طغيان المياه المنسكبة اليه بغزارة من الآكام المجاورة فتأخروا عن اللحاق بخصومهم وظل كرين سائرا بجيشه حتى بلغوا في سابع شباط الى غلفورد كورتهوس ٠ أما الانكليز فمشوا على ضفة النهر الى ان وصلوا الى مخاضة هنسفل حيث المياه قليلة وعبروا النهر هناك ٠ فاصبح الجيشان متقابلين والمسافة بينهما ٥٥ ميلا ثم ابتدا السباق للمرة الثالثة فكان الاميركيون الرابحين ٠ وفي ١٣ شباط عبر كرين وجيشه الى فرجينيا فتولى كورنوالس الضجر من فشله المتوالي وابى اللحاق بالاميركيين وذهب بجيشه الى هلسبورو

وبينما كان القائد كرين في فرجينيا وافته نجدات فتقوى كثيرا حتى بدا له انه صار قادرا على اتخاذ خطة الهجوم ٠ فعاد في ٢٢ شباط الى نورث كارولينا ٠ وفي تلك الاونة اوفد كورنوالس تارلتون بفرقة من الجند الى ضواحي نهري هوو ديب

لتقوية وتنشيط الذين تبقوا امناء للانكليز فدرى بذلك مورغن وارسل الكولونيل لي الى تلك الجهات ايضا للغاية نفسها · وكان ثلاثماية رجل من الوطنيين الامناء للانكليز سائرين للانضمام الى فرقة تارلتون فالتقوا بطريقهم بفرقة الفرسان الاميركية فظنوهم انكليزا فحيوهم بقولهم «ليحيي الملك» فادار لي حولهم برجاله بكل سكينة وقبضوا عليهم كخونة فقتلوا فريقا منهم واسروا الاخرين حتى لم ينج منهم احد

فباضافة فرقة فرجينيا الى جيش كرين بلغ عدد جيشه اربعة الاف واربعماية رجل فصمم على دخول ساحة القتال بلا تماهل وزحف بجيشه على غلفورد كورتهوس واحتل مركزا حصينا فيها وبات ينتظر قدوم العدو الذي ما عتم ان اقبل والتحم الفريقان في المكان الذي اختاره كرين بموقعة كانت شديدة الهول ولكنها غير فاصلة · وكان جيش كرين يفوق جيش كورنوالس عددا ولكن الانكليز كانوا يفوقونهم دربة ونظاما ولو كان للاميركان دربة الانكليز لكانت غلبتهم عليهم تامة ولكن عدم انتظامهم فرق قوتهم فاستظهر الانكليز عليهم وارجعوهم الى الوراء مسافة عدة اميال غير ان خسارتهم فاقت خسارة الاميركان وكثيرون من الجنود الاميركية غادروا فرقهم وعادوا الى بيوتهم فتناقص جيش كرين الى اقل من ثلاثة الاف

فتاه كورنوالس عجبا واصدر منشورات ملؤها التبجح والخيلاء وتراجع فبلغ الى مرفأ بحري في ولمنتن واقلع منه الى فرجينيا وقد مر بنا ذكر خبر رجوعه الى بتسبرغ وطرده ارنولد الى خارج الولاية · وبقيت الجنود الانكليزية في كارولينا تحت قيادة لورد رودن الذي كان مقيما بفرقة قوية في كامدن · واما الجيش الاميركي فتقدم الى سوث كارولينا · وارسلت فرقة منه استولت على قلعة وطسن بينما كرين تقدم ببقية الجيش الى اكمة هوبكرك على مقربة من كمدن ورتب جنده في مكان مناسب وبات ينتظر حركة رودن الذي زحف بكل ما لديه من الجنود في ٢٥ نيسان

وهاجم الأمير كيين وحمي وطيس القتال وكاد يتم الفوز للامير كيين لولا سقوط عدد من ضباطهم قتلى فساءت وارتبكت الصفوف التي قتلت قوادها فتراجعت . وقد لاحظ ذلك رودن فاطبق برجاله على الامير كيين واستولى على الاكمة وتم الفوز له في ذلك اليوم على ان مهارة كرين جعلت امر انخذاله مقاربا لغلبة

واخلى لورد رودن كامدن في عاشر ايار وذهب الى ايتواسبرنز التي تبعد ٦٥ ميلا عن مخرج نهر سانتي واستولى الامير كيون على حصون كرابي واورانغبرغ وموط واوغسطا الانكليزية . وفي خامس حزيران لم يبق في حوزة الانكليز سوى حصون ايتواسبرنز وشارلستون ونينتي سكس . وبعد موقعة هوبكرك تقدم الجنرال كرين الى قلعة كرانبي فاستولى عليها . وحاصر بعد ذلك قلعة نينتي سكس مدة ٢٧ يوما وقطع عنها الماء وضايق حاميتها حتى لم تعد لهم طاقة على المقاومة اكثر من يومين واذا بلورد رودن قدم بالفي جندي لنجدتهم فلما علم الامير كيون بقدومهم رفعوا الحصار عن القلعة وتقهقروا فالحق بهم رودن ولكنهم نجوا حسب عادتهم فتراجع الانكليز عن قلعة نينتي سكس ورجعوا الى اورانغبرغ . اما الامير كان فعبروا نهر سانتي واحتلوا هضابا في المقاطعة التي كان فيها القائد سمتر حيث الهواء جيد لتمضية فصل الصيف

وافام هناك القواد سمترولي وماريون عاملين على مضرة الانكليز وقاطعين عنهم موارد الزاد وكل ما ينتفع به وضاغطين على من كان من الاهلين مواليا لهم . وفي تلك الاثناء استعفى لورد لودن من القيادة وذهب الى شارلستون فخلفه في القيادة الكولونيل ستيورت . وفي غضون اقامة رودن في شارلستون اجرى امرا شائنا لم يحدث اقبح منه في كل ذلك الحرب وهو . ان الكولونيل اسحق هايل وهو من اشد الناس غيرة على الحزب الوطني . كان يقود فرقة من جيش الفرسان الاميركي وكان سابقا قد اقسم يمين الاخلاص للملك . قد قبض عليه وارسل الى شارلستون للمحاكمة

فحاكمه الانكليزوحكموا عليه بالاعدام فثبت رودن ذلك الحكم واماتوا الكولونيل هايل شنقاً في ٣١ تموز فعد العقلاء في اوروبا فضلا عن اميركا ذلك العمل بربريا وحشيا

وفي آب ترك الجنرال كرين نجاسانتي وزحف نحو اورانغبرغ فلما بلغ الانكليز نباء ذلك عادوا الى احتلال ايتوا سبرنز على بعد ٤٠ ميلا عن اورانغبرغ فلحق بهم الامير كيون وادركوهم في ثامن ايلول . وخاض الفريقان غمارمعركة طاحنة لم يحدث اشد هولا منها في تلك الحرب وفقد كراين احراز نصر تام بسبب سوء تصرف بعض رجاله الذين قبل ان يتم لهم الفوز غادروا صفوفهم وانقطعوا للاكل والشرب في مضارب العدو . فاستجمع ستيورت قوته واعاد الكرة على الامير كيين فاستعاد مركزه الذي كانوا قد اضطروه الى اخلائه . وبعد ان خسر كرين ٥٥٠ من رجاله كف عن القتال وبلغت خسارته بين قتلى وجرحى سبعماية وخمسماية وقعوا اسرى . وفي اليوم التالي تراجع ستيورت الى مونكس كورنر فتأثره كراين بجيشه ومازال ينازله ويطارده حتى الزمه ان يهرب الى شارلستون . وفي خلال ذلك كان الجنرال سانتكلير قد ضايق الانكليز في نورث كارولينا حتى ارغمهم على اخلاء ولمنتن . ولم يبق في حوزة الانكليز من كل مقاطعات جنوبي فرجينيا سوى شارلستون وسفانا والاخيرة اخلاها الانكليز في ١١ تموز والاولى في ١٤ كانون سنة ١٧٨٢ هكذا كانت نهاية حرب الاستقلال في نورث وسوث كارولينا وفي جيورجيا

على ان الحد الفاصل لتلك الخصومات قد وضع في فرجينيا التي تولى قيادة القوات الانكليزية فيها كورنووالس في نيسان سنة ١٧٨١ وشرع بالانتقام في سائر الاماكن الواقعة على ضفتي نهر جيمس وتقدر قيمة ما اتلفه بمدة شهرين فقط باكثر من ١٥ مليون ريال . اما لافيات الذي وكل امر الدفاع عن فرجينيا اليه فلم تكن منازلة كورنوالس في استطاعته غير انه كان يراقب حركاته بعين نقادة . ولما كان الانكليز

في رتشمند زحفت فرقة بقيادة تارلتون على شارلو طسفل حيث كان ملتأماً مجلس الولاية وامتلكوها واخربوا مزارعها واستاقوا سبعة من رجال المجلس اسرى • وقد نجا الحاكم من وقوعه في الاسر بفراره الى الجبال

ولما اتم كورنوالس تدمير وتخريب تلك النواحي سار على ضفة نهر جيمس الشمالية حتى وصل الى كرينسبرن التي تبعد مسافة ثمانية اميال عن موقع مدينة جيمس نون • واوعز اليه السير هنري كلنتن ان يبقي جيشه في مكان يمكنه الذهاب منه الى نيويورك بسهولة • لان كلنتن كان يخشى مهاجمة واشنطن والافرنسيين له • اما لافيات فلحق بموءخرة الجيش الانكليزي •وشاع ان جيش الانكليز الرئيسي عبر النهر في سادس تموز ولهذا فقد هاجم لجنرال وين الذي كان يقود طليعة الجيش الاميركي الانكليز فلما اتضح له غلطه وراى انه انما هو مهاجم الجيش كله تراجع الى الوراء ولم يلحق به الانكليز الذين بعد ان عبروا نهر جايمس ساروا الى بورتسموث التي كانت مركز ارنولد في الربيع الغابر وهناك وصلت الاوامر من كلنتن الى كورنوالس ان يداوم التقدم فجاء الى الضفة الجنوبية من نهر يورك على بعد بضعة اميال من مخرجه

فتقدم لافيات برجاله واحتلوا مكاناً يبعد ثمانية اميال عن مركز الانكليز • وارسل من هناك الى واشنطن يطلب اليه ان يناصره في ضرب الخصوم الضربة القاضية •وكانوا يتوقعون في كل ساعة وصول عمارة افرنسية بقيادة الكونت دي كراسه الى نهر شاسبيك • وراى لافيات انه اذا رابط اسطول في نهر يورك وقطع على الخصوم خط الرجعة فهلاك كورنووالس وجنوده يضحي من الامور الثابتة • وكان واشنطن خلال شهري تموز وآب ينظر الى الجنوب نظرة ملؤها الحنين والشوق • وكان كلنتن ابدا مضطرب الافكار منزعج البال بسبب الرسائل التي كانت ترده تترى في ان الاميركان والافرنسيين سيهاجمون نيويورك على حين غرة وباول فرصة تسنح لهم • ولما وردته

الانباء بان واشنطن سار بكل جيشه الى فرجينيا لم يستطع التصديق بل داوم استعداده للدفاع عن نيويورك متى حوصرت . اما واشنطن فتابع سيره حتى التقى بلافيات في وليمز برغ . وفي ٢٨ آب وصل الاسطول الافرنسي وعدد سفنه ٢٨ سفينة تقل على متنها نحو اربعة الاف جندي الى شاسبيك والقى مرساته بسلام في نهر يورك فاصبح الجيش محاصرا برا وبحرا

وزادت قوة الامير كان بمجيء ثمانية سفن اخرى من العمارة الافرنسية التي كانت في نيوبورت بقيادة الكونت دي باراس وعشر سفن نقالة تحمل المدافع لاجل الحصار وفي خامس ايلول وصل الاميرال كرايفز الانكليزي بسفنه الى الخليج ونشبت معركة بحرية بين الاسطولين الانكليزي والفرنساوي فتضررت السفن الانكليزية وعادت الى نيويورك وفي ٢٨ ايلول احتاط الاتحاديون بيوركتون وكانوا اكثر من الانكليز عدداً وهم واثقون بالنجاح وحاصروا خصومهم مكررين الهجوم على استحكاماته . وبعد كر وفر وهجوم وتقهقر التزم الانكليز ان يسلموا لخصومهم . وفي تشرين الاول دونت شروط التسليم ووقعت . وفي الساعة الثانية بعد ظهر تاسع الشهر المذكور سيق الجيش الانكليزي برمته من استحكاماته الى الفلاة . والماجور جنرال اورهانور كورنوالس تمارض ولازم ايوانه وهناك بحضرة كبار الضباط من اميركيين وافرنسيين سلم سبعة الاف ومايتين وسبعة واربعين جندي انكليزي جردوا من اسلحتهم واستبقوا اسرى وسلم ايضا ثمانماية واربعين جندي بحري واستولى الاميركيون على ٧٥ مدفعا نحاسيا و٣٠ مدفعا حديديا خلا امتعة الجنود وغيرها

ونقل اخبار ذلك الانتصار الى الكونغرس رسول بارح مركز الجيش مساء ٢٣ تشرين الاول فبلغ الى فيلادلفيا الساعة العاشرة مساء . وفي الصباح عقد الكونغرس جلسة قرئت فيها رسالة واشنطن فذرفت عيون الاعضاء دموع الفرح واجتمعوا مع

الاهلين في كنيسة اللوثريين وصرفوا بعد ظهر ذلك النهار بتقديم الصلاة الشكرية لله الذي بيده النصر والذي سلطانه فوق كل سلطان · ورن صدى الابتهاج في سائر البلاد اذ غدا نزع سلطة الانكليزية عن شعب اميركا امرا مقرا

وبعد التسليم سارت الجنود الانكليزية الى ثكنات لانكستر · اما واشنطن فعاد بالجيش الظافر المختلط من اميركين وافرنسيين الى مركزه القديم في نيوجرزي على نهر هدسن ·وقد تلقت شعوب اوروبا ذلك الخبر بفرط المسرة والحبور · اما في بلاد الانكليز فالملك واعوانه تميزوا غيظا لذلك الخبر المكدر واما الشعب فمنهم من كانوا مسرورين باطنا ومنهم من اعلنوا فرحهم وارتياحهم · وفي غضون الخريف والشتاء تتابع عقد اعضاء البارلمانت الانكليزي · وفي ٢٠ اذار عام ١٧٨٢ راى لورد نورث وارفاقه انهم ليسوا قادرين بعد على ادارة الحكومة فاستعفوا · فتألفت بدلا من تلك الوزارة وزارة جديدة ميالة للاميركان ومحبة للحرية وراغبة في السلام · وفي اوائل ايار انتقلت قيادة الجيوش الانكليزية في اميركا من كلنتن الى السير كاي كارلتون الذي كان مناوئا للاميركان ·وقد تبقى بيد الانكليز شارلستون ونيويورك فحجزهما الاميركان · ولم يشاء واشنطن مطاردة او مضايقة خصومه لاعتقاده ان الحرب وضعت اوزارها او كادت

وفي صيف سنة ١٧٨٢ اوفد البارلمانت رتشرد اوصولد الى باريس للمفاوضة مع فرنكلين وجاي سفيري الولايات المتحدة فيها بشروط الصلح ·وقبل ان تنتهي المفاوضات بذلك وصل الى باريس ايضا جان دامس من امستردام وهنري لورنس من لندن واشتركا في مفاوضات الصلح ·وفي ٣٠ تشرين الثاني تم اتفاقهم على البنود الاساسية فوقعها اوصولد بالنيابة عن انكلترا وادمس وجاي وفرنكلين ولورنس بالنيابة عن اميركا وفي نيسان من السنة التالية ثبتها الكونغرس غير انه لم تبرم معاهدة رسمية بين الدول

التجارية حتى ثالث ايلول سنة ١٧٨٣ · ففي ذلك اليوم عقد سفراء هولاندا واسبانيا وبريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة موءتمرا في باريس وهناك وقعت شروط الصلح الثابت

اما اهم بنود معاهدة سنة ١٧٨٣ فهي بالايجاز الاعتراف التام باستقلال الولايات المتحدة · واعادة فلوردا الى اسبانيا وتسليم كل الاراضي الباقية الواقعة شرقي نهر المسسبي وجنوبي البحيرات العظيمة الى الولايات المتحدة ·ومنح حرية الملاحة للسفن الاميركية في نهر مسسبي والبحيرات العظيمة ·وحق الصيد في نيوفوندلاند للاميركان كما للانكليز وان كندا ونوفا سكوشيا تبقيان في حوزة انكلترا مع الملكية التامة لنهر سانت لورنس

وفي اوائل آب صدرت الاوامر للسير كاي كارلتون بان يخلي مدينة نيويورك فاقتضى له لذلك مدة ثلاثة اشهر ثم في ٢٥ تشرين الثاني ركبت الجنود الانكليزية السفن فسارت بهم تشق عباب الاوقيانوس وشتان بين ذهاب تلك السفن وايابها· وهكذا تم للاميركان ما ارادوا ورتعوا في نعيم الاستقلال والحرية بعد ان كابدوا في سبيلها من المشقات والاتعاب والخسائر مدة ثماني سنوات ما يعسر وصفه· وقد اضحت الولايات المتحدة معدودة بين امم الارض وممالك العالم

وبعد ذهاب كارلتون ورجاله بتسعة ايام حدث في المدينة مشهد موءثر للغاية · وذلك ان واشنطن جمع ضباطه ورجال حربه وودعهم وداعا موءثرا· ثم تقدم كل منهم وعانقه شارقا بدموعه · ولم يستطع احد كفكفة دموعه لشدة التأثر وقد بارحهم سائرا في مجاري الدموع التي سكبها الجنود والشعب معا حزنا على فراقه ·وانطلق الى انابوليس حيث كان الكونغرس ملتئما · وعرج في طريقه على فيلادلفيا وقدم لدائرة المالية تقريرا مسهبا عن نفقات الحرب وكتب ذلك التقرير بخط يده فكان

مجموع النفقة ٧٤٤٨٥ ريالا وكان ذلك الحساب بغاية التدقيق والضبط ٠ وفي كل بلدة مرفيها واشنطن كان يخرج اهلوها لملاقاته ويهنئونه بالفوز ويثنـــون على بسالتـــه وصدق وطنيته بينما الفتيات كن يفرشن طريقه بالازهار وينثرنها عليه ناشدات له اناشيد الشكر والثناء

وفي ٢٣ كانون الاول جاء واشنطن الى الكونغرس وفاه بخطاب ملوءه حماسة وطنية وشعور حي وحكمة فائقة وسلم وظيفته كقائد عام للجيوش الاميركية فاجابه الجنرال مفلن رئيس الكونغرس على خطابه واثنى على شجاعته وامانته ٠ وذهب بعد ذلك ذاك الرجل الحكيم والقائد العظيم والوطني الصادق الكريم الى بيته في مونت فرنن

الفصل الثامن والثلثون

— تحالف واتحاد —

كانت حكومة الولايات المتحدة خلال الثورة وحرب الاستقلال بحالة سيئة جدا والذي عجل في التآم مجلس الامة هو الخطر الوشيك الوقوع ٠ ولما التأم ذلك المجلس لم يكن له دستور يسير على حسبه ولا قوة على الاجراء والتنفيذ ٠ وكان يعوز البلاد امران ٠ اولهما الماديات لمتابعة الحرب والاخر قوة عليا لادارة الشؤون ٠ فالاول لم يمكن الحصول عليه قط والثاني سلم الى واشنطن ٠ ولم يتناقش الكونغرس في امر اقامة حكومة ثابتة لسبب الانقسام في الراي ٠ فتشتت الكلمة واختفى القصد الحسن

تحت طي حب الرئاسة والحسد ونحو ذلك

وكان اكثر الجميع اهتماما وجهادا في سبيل الحصول على حكومة افضل من البائدة بنيامين فرنكلين · فانه كان يبحث في امر استقلال المستعمرات منذ حرب الفرنساويين والهنود · وقد جاهر بذلك المبدا بلا خوف ولاوجل في غضون سني القلاقل والاضطرابات التي تقدمت الثورة· حتى انه سنة ١٧٧٥ طرح امام الكونغرس لائحة تتضمن كيفية تحالف المستعمرات · غير ان الكونغرس كان منهمكا بمشاكل اخرى عديدة فلم يعر اقتراح فرنكلين انتباها · وشرع الكونغرس يدير شوءن البلاد بدون ان تكون له سلطة حقيقية على ذلك · وكانت الولايات راضية عن اعماله غير انه كان يخشى على سلطته من الضياع لعدم قيامها على قواعد ثابتة

فلم يكن ذوو الادراك مرتاحي البال بل كانوا دائمي القلق خشية الانقسام وتفرق الكلمة ·وفي ١١ حزيران سنة ١٧٧٦ عين المجلس لجنة لوضع نظام التحالف فاتمته اللجنة وسلمته للكونغرس · فطرحه على بساط البحث وطال الجدال بشانه مدة ستة اشهر وانجلى عن لاشيء فاجلوا المناقشة بشانه للربيع القادم · وفي نيسان سنة ١٧٧٧ عادوا للمناقشة بالمسالة نفسها وطال ذلك الى الصيف · وفي تلك الاونة تقلصت سلطة انكلترا عن البلاد فاتبعت كلها الحكم الجمهوري · وصارت هنالك دواع كثيرة للاتحاد الوطني واخيرا طرحت اللائحة المار ذكرها للتصويت في الكونغرس وكان ذلك في ١٥ تشرين الثاني فنالت اكثرية الاصوات واجيزت · وغدا الامر المهم بعد بعد ذلك ارسال مواد الاتحاد الى مجلس كل ولاية على حدة للمصادقة عليها فاستغرق ذلك الى شهر حزيران من السنة التالية ثم اعيدت الى الكونغرس وفيها تغييرات وتحويرات واضافات جمة فاعيد النظر فيها كلها وسويت بحسبما يناسب عموم الولايات ·وفي تاسع تموز سنة ١٧٧٨ وقعها نواب ثماني ولايات · وفي الشهر نفسه من السنة

التالية وقعها نواب جيورجيا ونورث كارولينا · وفي تشرين الثاني وقعها نواب نيوجرزي وفي شباط من السنة التالية وقعها نواب دلاوير ولم يبق سوى ماريلاند فتردد نوابها في الامر ولم يوقعوها حتى شهر اذار عام ١٧٨١ ·وهكذا قرب انتهاء الثورة ووضع الحرب اوزارها كان دستور الحكومة الجديدة قد تنظم وتثبت

فاصبحت حكومة الولايات المتحدة بموجب بنود التحالف ديموقراطية جمهورية مستقلة · غير ان اتحادها لم يكن متين القواعد · فانها اتحدت مع بقاء حق الانسحاب محفوظا لاية ولايةشاءت ذلك و كل ولايةمع انهامرتبطةبذلك التحالففهي حرةومستقلة وقد خصت القوة التنفيذية والقوة التشريعية في الحكومة العمومية بالكونغرس اي مجلس نواب الامة الذي يمثل فيه كل ولاية لا اقل من نائبين ولا اكثر من سبعة · وسلطة الكونغرس كانت محدودة واخص سلطته متعلقة بشهر الحرب وعقد الصلح وسياسة البلاد الخارجية وحق قبول سفراء الدول الاجنبية وارسال سفراء اليها وصك النقود وتسوية الخلاف على الحدود والمحافظة على الاملاك العمومية · ولم يكن للجمهورية حتى ذلك الوقت حاكم اعلى اورئيس بيده قوه الحكم والاجراء · كما انه لم يجلس احد على دكة القضاء العليا ولكي تصير الشريعة مرعية الاجراء كان يقتضي مصادقة تسع ولايات عليها وفي الاقتراع كان لكل ولاية صوت واحد ·وبعد قليل زاد الاتحاد بين الولايات رسوخا وثباتا حتى ترجحت ديمومته وعدم انهدامه

وفي اليوم الذي تمت فيه مصادقة ولاية ماريلاند على الدستور الجديد اجل الكونغرس جلسته ثم عاد في اليوم التالي وعقد جلسة بموجب النظام الحديث · وقد ظهرت في تلك الجلسة امائر العجز في الحكومة · واول تلك الادلة المناقضة التي حدثت ابان شهر الاستقلال · ولم تكن للكونغرس اكثر من شبه سلطة · وتلك السلطة صدرت عن الولايات بدلا من صدورها عن الشعب ·واول ما ترتب على

الحكومة الجديدة عمله وفاء ديون نفقات الحرب · التي بلغت آنئذ ثمانية وثلاثين مليونا من الدولارات · وكل ما استطاع الكونغرس عمله هو انه اقترح على الولايات فرض ضريبة تكفل بوفاء ذلك الدين · فبعض الولايات فرضت ضريبة وبعضها تردد وبعضها رفض بتاتا · فجاء ذلك دليلا على ضعف الحكومة وعدم استطاعتها تنفيذ قرارات الكونغرس · زد على ذلك العجز عن دفع مرتبات الجنود فحدثت اضطرابات ومشاغب افضت الى تفرقهم وتركهم الجندية · وعبثا حاول روبرت مورس تحسين حالة الخزينة بدفعه كل ما لديه حتى غدا فقيرا · وتقضت ثلاث سنوات على تلك الحالة التاعسة حتى خشي على فصم رباط الاتحاد بين الولايات وسيادة الفوضى فيها

فتلافى الامر ذوو الغيرة الوطنية · وعقدوا الخناصر في مونت فرنن على اصلاح مااختل في الحكومة الاولى وفي سنة ١٧٨٥ اجتمع جورج واشنطن في بيته بعدد من كبار رجال السياسة واقترح عقد موءتمر في انابوليس في السنة التالية فوقع ذلك الاقتراح موقع الاستحسان · وفي شهر ايلول سنة ١٧٨٦ اجتمع نواب من خمس ولايات وتناقشوا في مسألة وضع تعريفة جمركية على الواردات الاجنبية · ثم الفتت انظار النواب الى وجوب اصلاح مواد التحالف وبما انه لم يحضر الموءتمر نواب عن سائر الولايات تأجل البحث في ذلك الى وقت اخر · وتقرر ان يوءجل عقد الموءتمر الى شهر ايار من السنة التالية · وان يزاد الالحاح على سائر الولايات لكي ترسل نوابا اليه في الاجل المضروب · وكذلك الكونغرس دعا المجلس التشريعي في كل ولاية ان يرسل مندوبين الى ذلك الموءتمر فلبت الدعوة كل الولايات ما خلا رود ايلند · وفي يوم الاثنين الثاني من شهر ايار سنة ١٧٨٧ تم اجتماع المندوبين في فيلادلفيا وكان واشنطن احد مندوبي ولاية فرجينيا فانتخب رئيسا لذلك الاجتماع · ودارت المناقشات على طريقة غير منتظمة الى تاسع وعشرين الشهر المذكور · ثم نهض ادمون راندولف

واقترح ان تلقى بنود التحالف جانبا وان يوءلف دستور جديد • فعادوا الى المباحثة مدة واسفرت النتيجة عن انتخاب لجنة فوض اليها تنقيح وتصليح النظام السابق فاتمت اللجنة عملها في اوائل ايلول وعرضت خلاصة اعمالها على النواب فقوبل بالاستحسان وما دونته تلك اللجنة هو شرائع الولايات المتحدة الاساسية المعروف بال-CONSTITUTION وقد كتبه مورس حاكم بنسلفانيا بخط يده • وفي الوقت نفسه تقرر ان ترسل صورته الى المجالس التشريعي في كل ولاية لكي اما تصادق عليه او ترفضه

وبينما كان موءتمر الدستور بعد ملتئما في فيلادلفيا كان الكونغرس الاستعماري عاقدا جلسته الاخيرة في نيويورك و كان قد بلغ ادنى دركات الانحطاط ولم يحضره سوى نواب ثماني ولايات وتداعى ذلك التحالف الذي به فازوا بالحرية الى السقوط • وقبل انحلاله تم امر جدير بالذكر وهو انشاء المقاطعات الغربية « تراتورز » التي تخلت عنها للولايات المتحدة ولايات فرجينيا ونيويورك ومساتشوستس و كنكتكيت وسن المستر جفرسن شريعة الحكم لتلك المقاطعات وصودق عليها في ١٣ تموز سنة ١٧٨٧ • وتعين الجنرال ارثر سانتكلير و كان رئيسا للكونغرس آنئذ حاكما عسكريا لها فاستلم مهام وظيفته الجديدة في صيف السنة التالية وجعل مركزه في ماريتا و كانت الشريعة تقضي بالا تتحول احدى المقاطعات الكبرى الى اقل من ثلاث ولايات ولا الى اكثر من خمس وتضم الى عدد الولايات الاخرى المتحالفة • وان النخاسة يجب ابطالها • فمن تلك المقاطعات نشأت خمس ولايات مهمة وهي اوهايو وانديانا والنيوز ومشغن ووسكنسن وانضمت الى الاتحاد الاميركي

فلما انتشرت بنود الدستور واطلع الشعب على مضمونها انقسم الى قسمين مستحسن ومستهجن ; فاطلق على الاولين اسم فادرلست « الاتحاديين » وعلى الاخرين اسم انتي فاديرلست «ضد الاتحاديين » او الريبلكان و كان من اشهر انصار

الحزب الاول واشنطن وجـ ـ ومدسن وهملتن الذي كان ضليعا في العلوم السياسية وغيرها فكرس كل قوى عقله لتأييد مبادىء حزبه وقد فند بمساعدة مادسن اعتراضات المقاومين · وربما كان معظم الفضل في انشاء حكومة دستورية حرة في اميركا عائداً الى هملتن المذكور

وبمقتضى الدستور الجديد تألفت حكومة الولايات المتحدة من ثلاث ادارات وهي التشريعية والتنفيذية والقضائية · فالاولى خصت بالكونغرس وهو يقسم الى قسمين مجلس الشورى او الشيوخ «السنت» ومجلس النواب «هـوس اوف« ربرزنتتف فاعضاء المجلس الاول تنتخبهم مجالس الولايات ويخدمون لمدة ست سنوات · ولكل ولاية عضوان في مجلس الشيوخ · واما اعضاء مجلس النواب فينتخبهم شعب الولايات ولكل ولاية نواب بالنسبة الى عدد سكانها ويخدمون لمدة سنتين فقط واخص مهام الكونغرس تنظيم الشرائع للبلاد

اما القوة التنفيذية فخولت لرئيس ينتخب لمدة اربع سنوات · اما المنتخبون فطائفة من الرجال يعرفون بمجمع المنتخبين وهؤلاء ينتخبهم شعب الولايات ولكل ولاية حق بانتخاب اعضاء لمجمع المنتخبين بقدر ما لها اعضاء في مجلسي الشورى والنواب ومن اخص واجبات الرئيس تنفيذ قرارات الكونغرس ضمن دائرة القانون وهو القائد العام لقوات الولايات المتحدة البرية والبحرية · وفي القسم السادس من هذا الكتاب ترى تفصيل واجبات الرئيس وحدود وظيفته ونحو ذلك فلا حاجة الى سردها هنا اما الادارة القضائية فاختصت بالمحكمة العليا « سبريم كورت» وبمحكمة اوطى منها تـدعى «انفيرير كورت » والمنصب القضائي الاعلى يشغله رئيس العدالة او قاضي القضاة وكل القضاة في هاتين المحكمتين يشغلون مناصبهم مدى الحياة الا اذا اقترفوا جرما يوجب خلعهم

ومن مقتضيات الدستور ايضا ان كل ولاية تعتبر سجلات وقيود الولاية الاخرى ومن يذهب من ولاية الى اخرى تكون له نفس الحقوق التي لشعب تلك الولاية · ويمكن انشاء مقاطعات جديدة وتحويلها الى ولايات تضم الى الاتحاد الاميركي · والحكم الجمهوري مكفول لكل ولاية · وبنود الدستور تبدل وتحور اذا رغب ثلثا أعضاء الكونغرس في ذلك وثبته ثلاثة ارباع مجالس الولايات وبموجب ذلك ادخلوا خمسة عشر اصلاحا على الدستور اهمها في المواد التي تكفل الحرية الدينية وتغيير طريقة انتخاب الرئيس ونائبه والغاء النخاسة وعدم مراعاة الجنس او اللون في امر الانتخاب

وهكذا بعد مجادلات ومناقشات طويلة خفق لواء الدستور في ربوع اميركا فما جاءت سنة ١٧٨٨ حتى صادقت تسع ولايات على بنود الدستور وبذلك العدد كفاية لاقامة حكومة جديدة على مقتضاه ·ومازالت ولاية فرجينيا مترددة في أمر المصادقة على الدستور الاساسي · فواشنطن ومدسن كانا من انصاره وجفرسن وهنري من مقاوميه غير انها قبلته اخيرا · وكذلك سوي الخلاف الذي حصل بسبب اختيار مدينة نيويورك مركزا للحكومة المتحدة فتقرر ذلك باكثرية الاصوات في ٢٧ تموز سنة ١٧٨٨ ولم يعارض ذلك سوى ولايتي رود ايلند ونورث كارولينا · على ان الاخيرة عادت الى القبول في ١٣ تشرين الثاني سنة ١٧٨٩ والاولى اعلنت قبولها في ٢٩ ايار من السنة التالية · فثبتت بذلك دعائم الاتحاد واستقر الدستور على قواعد راسخة ثابتة

ووفقا لمنطوق الدستور واتفاق راي المجلس تعين يوم الاربعاء من كانون الثاني سنة ١٧٨٩ لاجل انتخاب رئيس للحكومة الجديدة· وكان الشعب متفق الراي متحد الكلمة في من هو اهل لنيل ذلك الشرف الاثيل وهو موضوع ثقة ومحبة الجميع · وفي اوائل شهر نيسان عدت اصوات الانتخاب بحضور اعضاء الكونغرس فاصابت

الاكثرية جورج واشنطن لرئاسة وجان ادمس لنيابة رئاسة الولايات المتحدة. وفي رابع عشر الشهر المذكور ارسلوا الى واشنطن كتابا يخبرونه عن انتخابه لمنصب الرئاسة • فانطلق الى نيويورك وصادف في طريقه اكراما واجلالا واحتراما يفوق الوصف • فما ريلاند استقبلته بالتجلة والتوقير في جورجتون • وفي فيلادلفيا استقبلته نخبة من رجال حكومة الولاية ورؤساء المدارس وغيرهم من ذوي المناصب العليا • اما شعب ترنتن فكان فرحهم لا يوصف عند رؤيتهم البطل الذي شاهدوه منذ اثنتي عشرة سنة خائضا غمار تلك الموقعة التي عادت عليهم بالنفع والراحة فنصبوا له فوق الجسر الذي كان عتيدا ان يمر عليه قوس نصر جميل وتقدمت الفتيات مرتديات اثوابا بيضاء واستقبلنه بالاناشيد ونثرن الزهر امامه •وفي اليزاباث وغيرها من المدن لاقته الجماهير يتقدمهم ذوو المناصب العليا ومتقدمو الشعب وفي كل مكان مر به احتفت به الامة احتفاء يقصر القلم عن وصفه

وهنا يبتدى تاريخ الجمهورية التي غسلت عنها ادران الاستبداد والجور بدم ابطالها وشهدائها الزكي •واقامت على انقاض الحكومة البائدة حكومة رائدها العدل وقاعدتها الحرية والمساواة والاخاء • ونبراسها العلم والفضيلة فاضحت اعظم جمهورية في المعمور وفاقت سائر ممالك الارض قوة وسطوة وغنى وتجارة ورهبت جانبها سائر الممالك والشعوب • فسبحان مغير الاحوال

القسم الخامس

—« الدور الوطني »—

الفصل التاسع والثلثون

حكم الرئيس واشنطن من سنة ١٧٨٩ الى سنة ١٧٩٧

في اليوم الثلاثين من شهر نيسان عام ١٧٨٩ جرى الاحتفال رسميا بتنصيب اول رئيس على الولايات المتحدة وهو جورج واشنطن محرر البلاد العظيم · وكان في العزم ان الحكومة الجديدة تبتدىء عملها في رابع شهر اذار غير انه حالت دون ذلك بعض الموانع ·اما حفلة التنصيب فتمت في رواق دار الحكومة في نيويورك وهو المكان الذي كانت فيه بناية الجمرك القديمة في شارع وال · وقد حلفه القاضي لفنستن من نيويورك اليمين المفروضة ·اما عن احتشاد الجماهير في الشوارع والزينات التي قاموا بها واطلاق المدافع من البطاريات والفرح الشامل الذي بدا على محيا الجميع فحدث عنه ولا حرج ·وبعد الفراغ من حفلة التنصيب ذهب واشنطن توا الى قاعة مجلس الشورى وفاه بخطاب نفيس · وكان قد التأم قسما الكونغرس اي مجلس الشيوخ ومجلس النواب

واعترض سبيل الحكومة الجديدة عقبات جمة كان يقتضي لتمهيدها حكمة

فائقة وحسن ادارة فالمتشدقون على الدستور لم يكونوا بعد قد كموا افواههم بل شرعوا من البداية يكابرون وينتقدون٠ وكانت معاهدة سنة ١٧٨٣ ضامنة حرية الملاحة في نهر مسسبي ٠غير ان الاسبان في نيواورلينس ملأ الحسد قلوبهم فعارضوا سير السفن الاميركية فيه ٠وكان سكان القسم الغربي يرون في ذلك النهر المنفذ الطبيعي لتجارتهم وبالتالي يجب ان يحفظ حق الملاحة فيه لهم وحدهم ٠وكان الهنود على ضفتيه في نزاع دائم مع المهاجرين من البيض ٠ولم يكن بعد لحكومة الولايات المتحدة ضمانة مالية ٠ولما بدا واشنطن باتمام واجبات وظيفته التي كانت بهذا المقدار عظيمة ومهمة داهمه مرض الزمه الفراش مدة عدة اسابيع تأخرت في غضونها اعمال الحكومة

ولم يبتدىء عمل الحكومة رسميا حتى عاشر شهر ايلول ٠ فاتفق راي الكونغرس على انشاء دائرة الامور الاجنبية ووزارة المالية ووزارة الحربية فعين واشنطن وزيرا للاولى جفرسن وللثانية نوكس وللثالثة هملتن٠ وانشئت ايضا وفقا للدستور محكمة عليا وتعين اول قاضي قضاة جان جاي وتعين معه ستة قضاة اخرين ٠ وانشا واشنطن تدريجا وزارات ودوائر مختلفة فزالت الاسباب الحائلة دون قبول ولايتي نورث كارولينا ورد ايلند الدستور الاساسي ٠ فاعلنت الاولى قبوله في تشرين الثاني سنة ١٧٨٩ والاخرى في شهر ايار من السنة التالية

وفي ٢٩ ايلول سنة ١٧٨٩ والى الكونغرس جلساته حتى كانون الثاني من السنة التالية فجال واشنطن في غضون ذلك في الولايات الشرقية وركب العربة مع حاشيته وساروا من نيويورك في ١٥ ت١ فوصلوا الى بوسطن بعد تسعة ايام ٠ وفي كل مكان مر به كانت الجماهير تستقبله بالتجلة والاكرام ٠ ولما بلغ الى بوسطن استقبله باصوات الهتاف وضجيج الابتهاج جمهور المدينة يتقدمهم الحاكم هانكوك ومعتبرو المدينة ٠وبعد

ان صرف اسبوعا في بوسطن نظر في غضونه بامور متعددة تابع سيره الى بورتسموث ومن ثم عاد الى نيويورك بطريق هارتفرد ممتلئا صحة ونشاطا

وفي الاشهر الاولى من رئاسته تحير واشنطن في ماذا يفعل وكيف يتصرف من حيث كونه الحاكم الاعلى في البلاد بما يختص بالمقابلات الرسمية ونحوها مثل باية حالة يظهر امام العموم وكم مرة يظهر واية ولائم يقيم ومن يجب ان يدعو اليها وباي لقب يلقب الى غير ذلك من الامور التي ترافق الكبراء والعظماء فلم يكن قد تولى ذلك المنصب الخطير احد قبله لكي يحذو حذوه · فهو من الجهة الواحدة لا يرغب في ابهة الملوك وفخفختهم وعظمتهم ولا يشاء من الجهة الاخرى ان يكون ذلك المقام السامي خاليا بالكلية من مظاهر المجد ومجالي الفخار · فطلب الى ادمس وجفرسن وهملتن وغيرهم ان يمدوه بارائهم من هذا القبيل وماذا يجب ان يجري في بلاط الحكومة الجمهورية · فاجاب ادمس بوجوب اظهار مجالي الابهة والعظمة · واما جفرسن فانكر جواز وجود شيء منها على الاطلاق ومما قاله « انني ارجو ان القاب سمو · عظمة · جلالة · فخامة الخ حتى لقب مستر كلها تزول من بيننا عن قريب واما هملتن فارتأى حالة متوسطة بين الجهتين · فاعجب واشنطن رايه · واما الكونغرس فقرر بالا يعطى لقب للحاكم الاعلى سوى مايدل على وظيفته · اي «رئيس الولايات المتحدة» وهكذا تقرر ان جميع الاحتفالات والمآدب وما اشبه ذلك التي تجري في بلاط الجمهورية يجب ان تكون محدودة وبسيطة

واهم ما كان يشغل بال الحكومة آنئذ الدين الذي كان مثقلا كاهلها ومفرغا خزينتها ونازعا الثقة بها · غير ان حكمة هملتن ذللت الصعاب واوجدت طرقا حسنة لاستهلاك دين الحكومة الذي بلغ وقتئذ بما فيه نفقات الثورة نحو ثمانين مليون دولار · واقترح هملتن على الكونغرس عند التآمه ثانية ان الدين الذي للشعب على

الحكومة والنفقات التي تكبدتها الولايات يجب ان تلقى كلها على عاتق الحكومة العمومية وهي تكفل وفاءها · وبذلك تحسنت ضمانة الحكومة حتى قبل مباشرتها الدفع وفرضت ضرائب جمركية مما سهل عليها امر الوفاء

وزد على اشغال بال الحكومة بامر الدين الوطني انها كلها باختيار عاصمة الجمهورية فبعد مناقشات طويلة تقرر ان تجعل مدينة فيلادلفيا العاصمة لمدة عشر سنوات ·وبعد ذلك تشاد عاصمة جديدة في مكان مناسب على نهر بوتوماك · والامر الاخر الذي اهتمت الحكومة له بعد ذلك انشاء مقاطعة الى الجنوب الغربي من نهر اوهايو ·وفي سنة ١٧٩٠ دارت رحى الحرب مع هنود ميمي فشيدت فورت «قلعة» واشنطن حيث موقع مدينة سنسناتي الآن وجعلت عاصمة مقاطعة الشمال الغربي وتعين الجنرال سانتكلير حاكما على تلك المقاطعة · فتخلى هنودها عن حقوقهم فيها · غير ان قبائل اخرى هندية جاءت تدعي حقوقا لها هناك · فارسل الجنرال هارمر بفرقة من الجند من فورت واشنطن لتبديد شمل اولئك الادعياء فسار يخرب القرى ويتلف المزارع الى ان بلغ الى مومي · فقسم رجاله الى شراذم · ولما الكولونيل هاردن الذي كان يقود متطوعي كنتكي فغلب في قرية تبعد عن فورد احد عشر ميلا وكانت خسارته فادحة ·فالتزم الجنرال هارمر ان يخلي اراضي الهنود ويعود الى فورت واشنطن

وسنة ١٧٩١ قرر الكونغرس انشاء مصرف «بنك» الولايات المتحدة فاقترح ذلك وزير المالية فقاومه جفرسن وغيره من مناهضي الاتحاد · وفي تلك الاونة اتخذت فرمونت الدستور وقد كانت مقاطعة مستقلة منذ سنة ١٧٧٧ ·وفي ١٨ شباط جرى قبولها في عداد الولايات فصار عددها اربع عشرة ولاية ·وقد كانت فرمونت تابعة لنيويورك فدفع شعب فرمونت لخزينة نيويورك مبلغ ثلاثين الف دولار لقاء تخليها عنها · وتم احصاء النفوس في الولايات المتحدة للمرة الاولى سنة

١٧٩٠ فبلغ عدد سكانها آنئذ ثلاثة ملايين وتسعماية وتسعة وعشرين الف نسمة

وبعد انغلاب القائد هارمر على ما ذكر • فكرت حكومة الولايات باتخاذ الاهبة لكسر شوكة الهنود لمنع وقوع النزاع معهم في المستقبل • ففي سادس ايلول سنة ١٧٩١ سار الجنرال سانتكلير بالفي مقاتل من فورت واشنطن لسحق قوة قبائل ميمي المتحالفة • فوصل في ثالث تشرين الثاني الى مكان يبعد ماية ميل عن شمال فورت واشنطن ونزل في المكان المعروف الآن بمارسر كونتي من ولاية اوهايو • وفي صباح اليوم التالي احتاط بمعسكره فجأة ماينيف على الالف رجل من الهنود يقودهم لتل تارتل ونفر من الاميركيين كانوا قد انضموا الى الهنود • وتلاحم الفريقان بموقعة مريعة انتهت بانكسار سانتكلير ورجاله شر انكسار وخسر نصف جيشه والباقون فروا هاربين الى فورت واشنطن • فكان لخبر ذلك الانكسار اسوا وقع في سائر الولايات ولما بلغت الاخبار الى فيلادلفيا قامت لها الحكومة وقعدت • اما واشنطن فلم يستطع كظم غيظه بل انفجر بركان غضبه حتى لم يعد يمكنه السكوت فقال بلهجة المتأثر المغتاظ «هنا من هذه الغرفة شيعت الجنرال سانتكلير وتمنيت له ظفرا مجيدا وقلت له قد زودتك ووزير الحربية بالتعليمات اللازمة ولكنني راغب في ان ازيد على ذلك كلمة وهي احترس من المفاجئة انت تعلم الطريقة التي يحاربنا بها الهنود فاحترس من المفاجئة فانطلق وصدى هذا التحذير يرن في اذنيه • وعلى رغم كل ذلك التنبيه فقد رمى باولئك المنكودي الحظ اي جنوده الى التهلكة بالمباغتة التي اوصيناه ان يتقيها فماذا عساه يعطي جوابا عن ذلك لبلاده فدم اولئك الرجال الذي طل جزافا هو على راسه • ولعنات اليتامى والارامل تطوق عنقه »ونطق واشنطن بتلك الكلمات الدالة على تأثره العميق بحضور كاتم اسراره المستر لير الذي كان جالسا ولم يفه ببنت شفة • ثم توقف واشنطن عن الكلام لحظة والتفت الى لير وقال له «ما قلته

الآن يجب ان لا يسمع خارج جدران هذه الغرفة »وبعد سكوت بضع دقائق همدت شعلة غيظه فقال بنغمته الاعتيادية «انني تلقيت الاخبار بسرعة وتكلمت قبل ان اقف على التفاصيل · فيجب الا نتسرع في الحكم على الجنرال سانتكلير بل لندع العدل ياخذ مجراه · فسوف استقبله دون ان اظهر له ادنى استياء منه وسينال كل ما تنيله اياه العدالة » ووكل الى لجنة من اعضاء الكونغرس لتنظر في مسألة سانتكلير · فاسفرت ابحاثها عن اقالته من القيادة واسنادها الى الجنرال داين

وكان عدد سكان مقاطعة كنتكي انئذ ٧٣٠ الف نسمة فتحولت الى ولاية عام ١٧٩٢ · وفي خريف تلك السنة اعيد انتخاب واشنطن رئيسا للمرة الثانية وانتخب جان ادمس للنيابة · وفي خلال مدة رئاسة واشنطن الثانية كانت الولايات المتحدة مضطربة جدا في علاقاتها مع الدول الاجنبية وكانت اوروبا سابحة في بحر من القلاقل والاضطرابات ·والثورة الافرنسية التي انفجر بركانها سنة ١٧٨٩ لم تكن قد اخمدت بعد وهي الثورة التي كان من نتائجها قطع راس الملك والغاء الملكية من البلاد· وارسلت فرنسا الموسيو جنيت سفيرا لحكومتها الجديدة الجمهورية الى الولايات المتحدة فوصل الى شارلستون · وفي طريقه الى فيلادلفيا كان الاهلون يخرجون لملاقاته مرحبين ومهللين فقاده ماله من المكانة وعلو المنزلة الى تجاوز دائرة وظيفته وشرع يسير سفنا تسطو على تجارة الانكليز · ويدبر طرقا لغزو لوزيانا · ومع ان الرئيس اعلن حياد دولته فقد طلب اليه ان تعقد حكومته محالفة مع فرنسا فرفض واشنطن ورجال حكومته ذلك بتاتا · فهددهم ذلك السفير الوقح بانه يطلب ذلك من الشعب اذا رفضته الحكومة وكان الحزب المعارض لتحالف الولايات المتحدة يشد ازره · غير ان واشنطن ثبت في موقفه واخبر السفير الافرنسي انه يعد عمله هذا اهانة لحكومة بلاده وطلب من دولة فرنسا خلعه ففعلت وخلفه الموسيو فوشت

وقد انزعج واشنطن كثيرا بسبب التنافر والخصام المستحكمين بين افراد حاشيته فمنذ بداية رئاسته الاولى كانت المشاكة والمنافسة على قدم وساق بين ناظر الخارجية ووزير الداخلية · وكان كل منهما يعمل على نكاية الاخر واحباط مساعيه واسقاطه · وبعد قليل اضحى كل منهما رئيس حزب يضاد الاخر ·وانتقد احدهما اعمال خصمه وشجب سياسته وقبح اعماله جهارا · وشرعت دائرة الاختلاف تزداد اتساعا رويدا رويدا بين الوزيرين ورجال حزبيهما ولو لا ان واشنطن يتلافى الامر بحكمته لحدث شجار سيء العقبى · ولم يكن في الامكان اسقاط احدهما لان كليهما كانا متقدين غيرة وطنية وكلاهما سعيا بانتخاب واشنطن رئيسا ·وما زال ذلك التنافر بين الوزيرين الى ان استقال جفرسن من منصبه سنة ١٧٩٤ واعتزل العمل · وحذا حذوه في السنة التالية هاملتن فخلفه في الوزارة اولفر ولكت من كنكتكيت

وفي غضون فصلي الصيف والخريف من عام ١٧٩٤ قلقت البلاد جدا لما حدث في غربي بنسلفانياوهو الامر المشهور «بتمرد الهوسكي»وتفصيل الخبرهو ان الكونغرس رغبة منه في تحسين مالية الحكومة فرض منذ مضي ثلاث سنوات ضريبة باهظة على المشروبات الروحية المستخرجة في الولايات المتحدة · فاغرى السفير الافرنسي جنيت السالف ذكره ومشايعوه الاهلين في الجهة التي تستخرج فيها تلك المشروبات على التمرد وعدم دفع الرسوم المفروضة للحكومة فثار ثائرهم على الحكومة وتسلحوا واستعدوا للكفاح · فاصدر واشنطن منشورا يحثهم فيه على السكينة والطاعة للحكومة فكان جوابهم ان اطلقوا عياراتهم على موظفي الحكومة واسروهم · فامر الرئيس الجنرال هنري لي بالاسراع الى مكان منبت الفتنة بعدد كاف من الجنود لاخماد نار الفتنة واعادة السلام الى نصابه وتنفيذ منطوق الشريعة فما بلغت الجنود الى مكان الثورة حتى تفرق الثائرون · وكانت تلك الفتنة تبطن حركة سياسية قام بها المناهضون

للاتحاد الذين كانوا وافري العدد في الاماكن التي تستخرج فيها المشروبات الروحية

وفي تلك الاثناء تمكن الجنرال وين من ابطال اتحاد قبائل ميمي · ففي خريف سنة ١٧٩٣ دخل مقاطعة الهنود ومعه ثلاثة الاف جندي ·ولما بلغ الى نهر سانتكلير شاد حصنا سماه حصن ركفري · ثم تقدم الى ان بلغ الى وليمز كونتي من ولاية اهايو وشاد هناك حصن ديفانس · ومخر في نهر مومي حتى شلالاته ومن هناك اوفد رسولا يعرض على الهنود الصلح · وكانوا عاقدين موءتمرا على بعد اميال قليلة ·· فالزعيم لتل ترتل رغب في المسالمة ولكن بقية الزعماء خالفوه وطلبوا النزال · فرجع رسول القائد وين واخبره بالامر فزحف في ٢٠ آب على الهنود وكسرهم شر كسرة في المكان القائمة فيه الان مدينة ونسفيلد وكبدهم خسارة فادحة فبادر زعماءوهم الى وين وطلبوا الصلح صاغرين ودفعوا ثمنه البقعة الممتدة من حصن ركفري الى مصب نهر ميمي ·وتلك كانت اخر خدمة قام بها الجنرال وين · فركب سفينة من هناك ليذهب الى فيلادلفيا فمات في الطريق في شهر كانون الاول ودفن في جزيرة برسكو

وحدث شجار بين الولايات المتحدة وبريطانيا بسبب مضايقة الثانية تجارة الاولى وكاد يوءدي الى شهر الحرب · غير ان الولايات المتحدة اوفدت معتمدا الى انكلترا لتسوية الخلاف بالحسنى فسوي وابرمت معاهدة بين الدولتين لم ترق بنودها لشعب اميركا ولكن واشنطن سلم بها تفاديا للحرب · ومن مواد تلك المعاهدة تسليم انكلترا ما كان بعد في حوزتها من الاملاك في الغرب وكانت الجنود الانكليزية لم تزل محتلتها وتم ذلك سنة ١٧٩٥ ·وفي تشرين الاول وضعت الحدود الفاصلة بين الولايات المتحدة ولوزيانا بموجب اتفاقية مع اسبانيا التي ضمنت لاميركا حرية الملاحة في نهر مسسبي· على ان المعاهدة مع بلاد المغاربة كانت اكثر اجحافاً بحق اميركا من تلك

وتفصيل ذلك هو ان القرصان من المغاربة كانوا منذ زمن قصي مرابطين في البحر المتوسط يسطون على مراكب الدول التجارية ويسلبونها ما استطاعوا . فاتفقت الدول جمعاء على ان توءدي جزية سنوية لهم لقاء عدم تعرضهم لسفنها وتم الرضى والاتفاق بان المغاربة لا يتجاوزون البحر المتوسط ما دامت الجزية تدفع لهم . غير ان انكلترا رغبة منها في الحاق الضرر بفرنسا اوحت الى القرصان ان يدخلوا الاوقيانوس الاتلانتيكي ويسطوا على السفن التي تمخر فيه فاضر ذلك جدا بتجارة اميركا ايضا فاضطرت حكومة الولايات المتحدة ان توءدي هي ايضا جزية للمغاربة اتقاء لشرهم

وسنة ١٧٩٦ انضمت ولاية تناسي الى الاتحاد وهي الولاية الثالثة التي انضمت اليه بعد الاستقلال

وشرع اصدقاء واشنطن وغيرهم يلحون عليه في قبول الرئاسة للمرة الثالثة فابى بتاتا وكان ذلك الرجل العظيم — ابو امته — في غاية الاحتياج الى اعتزال سائر الاشغال والراحة من عناء الاعمال . ففي ايلول سنة ١٧٩٦ نشر خطابه الوداعي الذي يستحق ان ينقش بماء الذهب على صفائح البلور وكله حكم تزري بالدرر الغوالي وكان يسرنا تعريبه لولا ضيق المقام . ولما ذاع عزم واشنطن على الاعتزال شرع كل من الحزبين باعداد مرشح لمنصب الرئاسة فرشح الاتحاديون جان ادمس والحزب المعارض رشح طوماس جفرسن . ولم يعد الخلاف بين الحزبين بسبب الدستور بل نسبب اخر وهو ان حزب المعارضين كان يرتأي وجوب التقرب من جمهورية فرنسا لانها ربيبة جمهوريتهم والابتعاد عن انكلترا عدوة الجمهوريتين . واما الحزب الاخر فكان يشجب تلك السياسة زاعما ان الولايات المتحدة يجب ان تنفرد بسياستها ولا يسوغ لها ان تحالف مملكة اجنبية ايا كانت . ولقد اصابت اكثرية الاصوات جان ادمس فانتخب رئيسا وكان بعده في الاكثرية جفرسن فانتخب نائب رئيس وذلك

بمقتضى نص الدستور ان الذي يفوز بالاكثرية يشغل المركز الاسمى في الحكومة وثانيه يشغل المركز الثاني وهلم جرا

الفصل الاربعون

ـــحكم جان ادمس من سنة ١٧٩٧ الى سنة ١٨٠١ـــ

ولد جان ادمس الرئيس الثاني على الولايات المتحدة في بلدة برينتري من ولاية مساتشوستس في ١٩ تشرين الاول عام ١٧٣٥ · وهو من سلالة هنري ادمس الذي هاجر من انكلترا الى اميركا سنة ١٦٤٠ واشتهر كثيرون من عائلته بامور متعددة · وكان ابوه شماسا في كنيسة البيورتان ووجيها في قومه وفلاحا ذا سعة واسكافا ايضا وقد تخرج في كلية هارفرد واحرز شهادتها وهو في العشرين من العمر · واشتغل بالتعليم مدة ثم مال الى درس الشريعة ونبغ فيها · ثم استوطن في بوسطن ونال شهرة بعيدة وذاع صيته حتى غدا اشهر من يعول على رأيه في كل تلك الاصقاع · وتقلب في مناصب عديدة في خدمة بلاده الى انه في السنوات الاخيرة من الثورة تعين سفيرا لدولته في فرنسا وهولاندا وبريطانيا وهو اول سفير اليها بعد اعترافها باستقلال الولايات المتحدة · ولما عاد من انكلترا سنة ١٧٨٨ انتخب نائب رئيس الولايات المتحدة · فشغل ذلك المركز مدة ثماني سنوات ومن ثم انتخب لمنصب الرئاسة وجرى تنصيبه رسميا في رابع شهر اذار سنة ١٧٩٧ · ومنذ تبوءه منصة الرئاسة كانت احزاب قوية تناصبه



جان ادمس

العداء وتعاكسه في سائر الامور · وكان سفير فرنسا يثير الاهلين ويستنهض هممهم لكي يعتصبوا مع دولته ضد انكلترا · ولما راى ان الرئيس واعضاء الكونغرس مصرون على ملازمة الحياد سعى لابرام محالفة بحسب تلقين حكومته له · بينما المشايعون لفرنسا من الاميركيين طفقوا ينددون بالمعاهدة التي عقدها جاي مع انكلترا وقد مر ذكرها وينحون باللائحة على الذين قبلوها ·وفي عاشر اذار اوحى السفير الافرنسي لدولته بان تسير سفنا حربية لعرقلة التجارة الاميركية · فنتج عن ذلك ان اميركا استدعت سفيرها في فرنسا فورا

وكانت هذه الامور مقدمات حرب · فاستدعى الرئيس ادمس الكونغرس ان يلتئم في جلسة خصوصية وتقرر فيها الاحتجاج على افتراء فرنسا الذي لامسوغ له ومن ثم اوفدوا البرت كاري وجان مارشال لينضما الى المستر نبكني الذي كان في فرنسا وان يسعى الثلاثة معا لدى حكومتها لتسوية الامور بالحسنى حقنا للدماء ولكن كل مساعيهم السلمية ذهبت ادراج الرياح حتى ان ذوي العقد والحل في فرنسا ابوا مقابلتهم الا اذا كانت حكومتهم تتعهد بان تدفع لخزينة فرنسا مبلغ ربع مليون دولار فاجاب المستر نبكني على ذلك بقوله «ان اميركا لديها ملايين للدفاع عن حياضها ولكن ليس عندها سنت واحد على سبيل الجزية» فامرت حكومة اميركا مندوبيها ان يبارحوا فرنسا حالا ولكنها سمحت لكاري بالبقاء اذا شاء ذلك لانه كان من حزب المعارضين وجرى ذلك في خلال صيف وخريف عام ١٧٩٧

وفي بداية السنة التالية اصدر الكونغرس قرارا في وجوب تتمة تنظيم الجيش واستدعوا جورج واشنطن من مكان عزلته وعلى رغم شيخوخته ليتولى القيادة العامة للجيوش الاميركية · وانتخب هملتون ماجور جنرال اول · وفي جلسات اخرى قرر الكونغرس ايضا وجوب ابتناء ست دوارع فضلا عن سفن اخرى حربية وهب الشعب يشد ازر الحكوامة واعتبروا المعاهدة بين حكومتهم وبين دولة فرنسا لغواوشرعوا يتاهبون ليوم عصيب · فتم ابتناء المدرعات وانزلت الى المياه في خريف سنة ١٧٩٩ واجرت اعمالا مشكورة في معاضدة التجارة الاميركية وحمايتها · وقد قام قومندان الدارعة كونسلشن واسمه تركستن بعمل جلب لة الفخر والثناء · وذلك انه في تاسع شهر شباط بينما كان ماخرا بدارعته في مياه وست انديز هاجمته دارعة افرنسية كانت تنقل اربعين مدفعا وعدد بحارتها ينيف على الاربعماية وتغلب عليها · وفي السنة التالية ببارجة افرنسية اخرى فزاد ذلك الانتصار في سمو ومكانة وشرف العلم الاميركي

ولم يمر زمن طويل حتى اكتمل تنظيم الجيش الاميركي وتدريبه فاضحى في حالة تضاهي افضل جيوش اوروبا · وكان واشنطن قد ذهب الى فيلادلفيا وصرف فيها مدة خمس اسابيع يشارف على تنظيم الجيش يعاونه في ذلك الجنرالان هملتن ونبكني ولما ايقن واشنطن بانه اتم ما توجبه عليه الوطنية من الخدم عاد الى مونت فرنن وترك المسوءولية علي عاتق هملتن · فلم تلبث اخبار تلك الاستعدادات الحربية حتى نقات الى فرنسا وكان ناظر خارجيتها سياسيا محنكا · فعلم ان الاميركيين اعتبروا طرد مندوبيهم اهانة كبرى لهم ولحكومتهم فاوفد من يعلم سفير الولايات المتحدة لدى هولاندا واسمه فانسمري بانه اذا كان الرئيس ادمس يرسل سفيرا الى فرنسا فانه يقابل بالترحيب والاكرام · فاعلم فانسمري حالا الرئيس ادمس بذلك فلم يدع تلك الفرصة ان تفوته دفعا لحرب تجر وراءها الخراب والدمار · فبعث في ۱۸ شباط رسالة الى مجلس الشيوخ بها يرشح المستر مري لسفارة فرنسا فصادق المجلس على ذلك فسافر مري توا الي فرنسا ومن ثم اوفد المجلس اثنين اخرين لمعاونة مري في مهمته لدى حكومة الجمهورية الافرنسية

وفي غضون ذلك كان نابوليون بونابرت قد تقلد وظيفة قنصل اول في الجمهورية وراى بعين حكمته ان السلم مع الولايات المتحدة اكثر فائدة لبلاده من الحرب فسالمها خشية انها تحالف انكلترا ضد فرنسا الامر الذي يأباه نابوليون جدا فبلغ «سفراء» الولايات المتحدة الى باريس في شهر اذار سنة ۱۸۰۰ وقد ابطاوا في الطريق لاسباب حاملة · ودارت المفاوضات السلمية فورا وقد اسفرت عن عقد معاهدة سلمية في ايلول وكانت كل علاقات نابوليون مع الولايات المتحدة سلمية وحبية

وقبل ان يزول خطر الحرب وتبرم معاهدة الصلح لبست الديار الاميركية اثواب الحداد حزنا على ابيها ومحررها واول روءسائها جورج واشنطن فقد قضى نحبه في ۱٤

كانون الثاني سنة ٧٩٩ بعد ان مرض يوما واحدا فلم تبقى عين لم تسكب عبرات الحزن على ذلك الرجل العظيم والرئيس الكريم وارتدى الجميع اثواب الحداد وقد مشى في مأتمه الحافل اعضاء الكونغرس صفا الى كنيسة اللوثريين الجرمانية حيث ابنه صديقه الحميم الجنرال هنري لي تأبينا افاض الدمع من المحاجر واشترك سائر العالم المتمدن بالاسف عليه واقيمت في كنائس اوروبا الصلاة عن نفسه ايضا • وقد اثنى بونابرت على فضائل وسجايا «القائدالعظيم والمشترع الحكيم والوطني النابغة الغيور » وامر بالحداد عليه مدة ثمانية ايام

وقد انتهت مدة الرئيس ادمس بانتهاء القرن الثامن عشر • وعلى رغم كل المقاومات التي قامت في سبيل الجمهورية الاميركية كانت تزداد قوة وسطوة وقد ناف عدد سكانها سنة ١٨٠٠ عن الخمسة ملايين نفس بما فيه الزنوج وحسب احصاء سنة ١٧٩٠ كان عدد بيوت البريد فيها خمسة وسبعين • واما في سنة ١٨٠٠ فصارت تسعماية وثلاثة • وزادت تجارتها من العشرين مليونا الى الواحد وسبعين• واظهر الشعب ارتياحه الى القانون الاساسي كالشريعة العليا للبلاد وفي غضون تلك السنة تم بناء مدينة واشنطن التي شرع ببنائها منذ سنة سنة ١٧٩٢ وجعلت عاصمة البلاد •والتام الكونغرس فيها للمرة الاولى في كانون الاول سنة ١٨٠٠ و كان عدد سكان مدينة واشنطن ائئذ يتراوح بين ثمانية وتسعة الاف نسمة

ولو دام حزب الاتحاد متفق الكلمة سديد الراي لبقي يدير الاحكام ويتولى المناصب ولكن يد التفريق كانت تعمل في حاشية الرئيس ادمس • وقد سنت شرائع عديدة جائرة وحائدة عن دائرة الرشاد والعدل • منها شريعة الاجانب او المهاجرين التي بموجبها كان يحق للرئيس ان يطرد اي اجنبي توسم بوجوده ضررا للبلاد • وشريعة « الشغب او الفتنة » التي كانت تقضي بالغرامة والسجن على من ينشر في

الصحف او يتكلم جهارا ضد الحكومة · فثار الراى العام ضد تلك الشرائع وواضعيها · ولما حان وقت الترشيح للرئاسة رشح حزب الاتحاديين جان ادمس وشارلس نبكني ورشح الحزب الديموقراطي طوماس جفرسن وهارون بر ففاز الاخيران بالاكثرية واحرز كل منهما ٧٣ صوتا ونال ادمس ٦٥ صوتا ونبكني ٦٤ ولما كانت الاصوات متساوية بين جفرسن وبر رفع الامر لمجلس النواب للتسوية بينهما فاقترع الاعضاء واصابت الاكثرية جفرسن فنودي به رئيسا وهارون بر نائب رئيس وبعد ان تولى حزب الاتحاديين ادارة الاحكام مدة ١٢ سنة سقط سقطة لم يقم له بعدها قيام

الفصل الحادي والاربعون

—رئاسة جفرسن من سنة ١٨٠١ الى سنة ١٨٠٩—

ولد طوماس جفرسن في فرجينيا في ٢ نيسان عام ١٧٤٣ ولا يعرف كثيرا عن نسبه سوى ان اباه الكولونيل بيتر جفرسن كان وطنيا غيورا وذا صفات حسنة · تلقى جفرسن دروسه الابتدائية في مدرسة احد قسس الاسكوتلنديين المنفيين الى اميركا وبعد ذلك انهى دروسه في كلية وليم وماري · ومن ثم انكب على درس الشريعة واشتهر بتفننه وبراعته · ونظير سلفه قام بخدمات جليلة في وطنه الى ان انتخب نائبا عن ولايته فدخل الكونغرس سنة ١٧٧٦ ابان كان منهمكا بحل مشاكل عويصة · فكان لدخول جفرسن مجلس النواب استحسان عمومي عظيم لما له من اصالة الراي



طوماس جفرسن

وسديد المشورة واليه مرجع الفضل في منشور شهر الحرية الذي خطه قلمه السيال · ولما اشتعلت نار الثورة ودارت رحى حرب الاستقلال كان هو في مقدمة الزعماء وفعل افعالا دونت له بالفخر ·ولما وضعت الحرب اوزارها ارسل الى اوروبا مع ادمس وفرنكلين للسعي بعقد معاهدات تجارية وودية بين ممالكها والولايات المتحدة ·وبعد ذلك عين سفيراً من قبل حكومته لدى حكومة فرنسا ومن هناك استدعي لاستلام منصب وزارة الخارجية بمدة رئاسة واشنطن وسنة ١٧٩٦ انتخب نائب رئيس الولايات المتحدة وسنة ١٨٠٠ تم انتخابه لها · ومن اثاره التي يحفظها له التاريخ بالثناء طريقة

النقود العشرية الجارية حتى الان والسنة القاضية بالحرية والمساواة في الاديان والمذاهب ومنشور اعلان الحرية وجامعة فرجينيا ورئاسة الجمهورية الاميركية

وفي بداية حكمه وظف جفرسن في المناصب العليا في الحكومة اناسا من الحزب الديموقراطي وفعل ذلك جهرا بينما من تقدمه فعلاه مستترين وحجته في ذلك ان دفة السياسة تدار باكثر دراية وانفع اذا كان الرئيس والموظفون من حزب واحد ٠ واول ما عمله الكونغرس في مدة رئاسة جفرسن الغاء الضرائب الداخلية والشريعة المجحفة بحقوق الاجانب والشريعة المقيدة حرية الخطابة والصحافة ٠ واهم ما جرى في مدة رئاسة جفرسن الاولى مسألة النواحي كما يأتي بيانها

في سنة ١٨٠٠ رسم خط في المقاطعات الشمالية الغربية من مصدر نهر ميمي الى حصن ركفري ومن هناك الى كندا وبعد ذلك بسنتين تحولت الاراضي الواقعة الى شرقي ذلك الخط الى ولاية اوهايو وانضمت الى الاتحاد والاراضي الواقعة الى غربي النهر المرقوم وهي تشمل الان ولايات انديانا والنيوز ووسكنسن وقسما من ولاية مشغن انتظمت باسم انديانا ترتوري «مقاطعة» وجعلت مدينة فنسنس عاصمة لها وتعين الجنرال هنري هرسن حاكما عليها وفي نحو ذلك الوقت تنظمت ايضا مقاطعة «ترتوري مسسبي وهي تمتد من تخم جيورجيا الغربي الى النهر العظيم ٠ وهكذا غنمت اميركا من البرابرة مساحة مئة الف ايكر من الاراضي الخصيبة

واهم مما تقدم ابتياع لوزيانا ٠ ففي سنة ١٨٠٠ الزم نابوليون دولة اسبانيا ان تتخلى لفرنسا سرا عن تلك المقاطعة الكبيرة التي لها في اميركا الشمالية ٠ ولما تم ذلك لنابوليون شرع بتجهيز جيش لكي يرسله الى نيواورلينس لتأييد سلطة دولته في تلك الاصقاع ٠ ولكن حكومة الولايات المتحدة احتجت على ذلك ٠ وكانت حرب مزدوجة تهدد فرنسا في اوروبا فراى نابوليون ان صعوبات كلية تعترض سبيله اذا اراد

انشاء امبراطورية في الغرب . فاوعز الى سفير دولته في اميركا ان يطرح لوزيانا للمبيع فعين الرئيس المستر لفنستن وجيمس منرو مفوضين لاتمام الشراء . وفي ٣٠ نيسان سنة ١٨٠٣ تم الاتفاق بينهما وبين المعتمد الفرنساوي . فابتاعت الولايات المتحدة مقاطعة لوزيانا بمبلغ احد عشر مليونا ومائتين وخمسين الف دولار وهكذا اصبحت البقعة الكبيرة في غربي نهر مسسبي ومساحتها تزيد عن المليون ميل مربع ملكا للولايات المتحدة . اما كيفية دفع الثمن والاقساط والربا الذي تم الاتفاق على دفعه بين الدولتين فاغفلنا ذكره اختصارا

وابتياع لوزيانا يعد من اهم الحوادث التي رافقت رئاسة جفرسن . وما تشغله ولاية لوزيانا الان من الاراضي تنظم باسم مقاطعة اولينس وما تبقى عرف باسم لوزيانا وبذلك الامتلاك الجديد بطل التنازع على الملاحة في نهر مسسبي . وكان سرور الاميركيين عظيما بابتياع لوزيانا . فقد قال المستر لفنستن لسفير فرنسا بعد ان اتما توقيع صك المبيع «لقد عشنا طويلا ولكن هذا اشرف عمل باشرناه في حياتنا

ومازال القرصان في البحر المتوسط يسطون على السفن التجارية الاميركية وكانت ممالك البربر «هكذا يلقبون بلاد المغاربة في شمالي افريقيا» وضعت ضريبة سنوية على الشعوب الاوروبية . واخص من اخذهم العجب والخيلاء بوضع تلك الضريبة ملوك مراكش والجيريا وطرابلس وسنة ١٨٠٣ اوفدت حكومة اميركا القومندار بريبل ليبحر بعمارته الى البحر المتوسط ويقطع دابر القرصان ويكف يعديهم على السفن الاميركية ويؤدب الممالك التي اولئك اللصوص من شعوبها . فسارت تلك العمارة اولا الى مراكش غير ان الدارعة فيلادلفيا اقلعت راسا الى طرابلس الغرب برئاسة القبطان بنبيرج . فلما قاربت الدارعة الوصول ابصر القبطان عددا من سفن القرصان فطاردها فانهزمت من امامه ولجأت الى احدى المواني فلحق بها الى قرب الشاطئ

فارتطمت البارجة بصخور هناك وتعطلت فاسرها الطرابلسيون وقبضوا على الضباط والبحارة فاحسنوا معاملة الاولين نوعا والاخيرون استعبدوهم فسر الملك يوسف وشعبه البرابرة بتلك الغنيمة الباردة والنجاح غير المنتظر

وفي شباط من السنة التالية استرد القبطان دكتشر تلك البارجة بطريقة غريبة وسلبت حقوقه وقد كان آنئذ في مصر يقود قوات المماليك الذين كانوا مشتبكين فانه اقلع من سيسيليا بسفينة صغيرة فوصل الى مرفاء طرابلس حيث كانت البارجة فيلادلفيا راسية عند الغروب • وكانت السفينة التي ابحر فيها دكتشر المذكور احدى السفن التي غنمها الاميركيون من القرصان الطرابلسيين • فاما ان الاهلين لم ينظروها داخلة المرفأ او لكونها احدى سفنهم لم يسيئوا ظنهم من جهتها فدخلت الميناء بسلام • ولما حلك الظلام انسل دكتشر برجاله وعددهم اربعة وسبعون الى حيث كانت البارجة فيلادلفيا وقتلوا كل من تصدى لمقاومتهم من الوطنيين ثم دخلوا البارجة فاحرقوها وذلك جل قصدهم وعادوا الى سفينتهم • وخرجوا من المينا ومدافع الطرابلسيين تدوي وراهم فجرح اربعة منهم ولكن لم يقتل احد

وفي اواخر تموز سنة ١٨٠٤ وصل الكومندور بريبل باسطوله الى طرابلس الغرب واطلق المدافع على المدينة واغرق عددا من سفن العدو • ولكن ذلك لم يؤثر على الملك يوسف شيئا • وكان للملك المذكور اخ اكبر منه اسمه حامد خلع من الملك بحرب مع تركيا • فاوفدوا اليه وليم ايتن قنصل الاميركان في تونس ليعرض عليه مناصرة اميركا له في استعادة عرشه المغصوب • فطرب حامد عند سماعه ذلك وسير مع القنصل الاميركي فرقة من الجنود العربية وسبعين جنديا يونانيا فسار بهم ايتن من الاسكندرية في ١٥ اذار سنة ١٨٠٥ وقطعوا صحراء برقة مسافة الف ميل • وفي ٢٥ نيسان وصلوا الى اسكلة ديرين وهي احدى موانئ الملك يوسف المذكور الذي كان

قادما بجيش الى المدينة نفسها ففكر ايتن ان يهجم على المدينة قبل وصول الملك بجيشه ومن حسن حظ الاميركان وصل في ساعة الحاجة الماسة قسم من اسطولهم الى الميناء المذكور فتعاون البحارة مع الجنود العربية واليونانية تساعدهم البوارج في الميناء وهجموا على المدينة · فلما راى الملك يوسف ان قوة اعدائه عظيمة توسل في عقد الصلح · فقبل به المستر لير القنصل الاميركي العام لبلاد البربر وابرمت معاهدة في رابع حزيران سنة ١٨٠٥ فاصبح علم النجوم محترما في مياه البحر المتوسط والسفن التي كانت تنشره مخرت فيه بسلام · والذي يستحق التعجب هو ان المستر لير دفع للملك يوسف مبلغ ستين الف ريال فكاك الاسرى الاميركيين مع انه كان باستطاعته اطلاقهم بدون دفع شيء

وحدث امر مكدر استاء منه العموم وهو قتل نائب الرئيس برلاسكندر هملتن في المبارزة · وتفصيل ذلك انه لما اوشكت مدة رئاسة جفرسن ان تنتهي راى انجفرسن سيرشح ثانية لمنصب الرئاسة واما هو فلم يكن له من امل في ترشيحه وكان شديد الرغبة في ذلك المنصب وقبل ان تنتهي مدته شرع يسعى بترشيح نفسه لمركز حاكم ولاية نيويورك املا انه عند انتهاء مدة رئاسة جفرسن الثانية يتسنى له الترشيح للرئاسة ولكن اسكندر هملتن كان نافذ الكلمة بعيد الشهرة في ولاية نيويورك فوقف لبر بالمرصاد وافسد عليه قصده فحبطت مساعي بر وخابت اماله فصغرت نفسه وعول على الانتقام من هملتن الذي دك صرح امانيه · وصار يترقب الفرصة لمبارزته الى ان التقى به في بلدة ويهاكن المقابلة لمدينة نيويورك صباح الحادي عشر من تموز سنة ١٨٠٤ فطلب مبارزته فامتنع هملتن عن اجابته الى طلبه ففتك به بر وارداه قتيلا

وفي خريف سنة ١٨٠٤ اعيد انتخاب جفرسن لمنصة الرئاسة وانتخب جورج

كلنتن من نيويورك نائب رئيس بدلاً من بر المذكور الذي جاء الى العاصمة وتراس مجلس الشيوخ الى نهاية مدته كنائب رئيس ولما انتهت مدته رحل الى الولايات الغربية ومن ثم التصق برجل ايرلاندي غني كان يقطن في قصر مشاد على جزيرة في نهر اوهايو وهناك ارتكب جريمة قبيحة ضد سلام وهناء بلاده · وذلك انه سعى في تجييش عدد وافر من الرجال لكي يحمل على بلاد المكسيك ويسلبها من الاسبانيين ومن ثم يفصل بعضاً من ولايات الجنوب والغرب عن الولايات المتحدة ويقيم نفسه «دكتيتر» حاكماً عاماً على الامبراطورية الغربية الجنوبية» · وبعد ذلك يرفع عقيرته على حكومة الولايات المتحدة واستمر دائباً على ذلك العمل مدة سنتين ولكن احلامه لم تصح فقد علم امره الرئيس فامر بزحف كتيبة من الجنود الاميركية لتبديد شمل جنوده وافساد مساعيه · فقبض عليه في شباط سنة ١٨٠٧ في الاباما وارسل منها مخفوراً الى رتشمند حيث جرت محاكمته كخائن ولكن لم يحكم عليه بسبب عدم كفاية الوجه الاتهامي ومن ثم هرب من البلاد باسم مستعار وبعد اختفائه مدة عدة سنوات عاد الى نيويورك وتعاطى فن المحاماة وعمر طويلاً وقد قضى نحبه في مكان منفرد وبحالة الفقر المذقع

وفي مدة رئاسة جفرسن الثانية كانت الامة في حالة الانزعاج المتواصل بسبب مضايقة الاسطول الانكليزي السفن التجارية الاميركية · وكانت انكلترا وفرنسا مشتبكتين بحرب ضروس فلكي تحرم الاولى الثانية منافع تجارتها مع البلاد الاجنبية كانت سفنها تسطو على سفن البلاد التي تتجر مع فرنسا فقابلها نابوليون بالمثل وكال لها بكيلها فنتج عن ذلك الخصام والنزاع ضرر عظيم لتجارة اميركا التي كانت رائجة جداً في اوروبا

وسنة ١٨٠٦ قررت انكلترا ان كل مواني فرنسا في حالة الحصار · ولم تعلن

ذلك رسميا للدول الاخرى · فشرعت تحجز كل السفن الاميركية التي كانت تنقل شحنا الى مرافىء افرنسية كغنيمة حرب · على ان مواني فرنسا لم تكن محاصرة بل ان انكلترا شاءت حسبانها كذلك · وفي تشرين الثاني من تلك السنة اعلن بونابرت بدوره ان الجزر البريطانية محاصرة ايضا فغدت السفن الاميركية بذلك عرضة لاسر البوارج الافرنسية فضلا عن الانكليزية · وفي كانون الثاني من السنة التالية حتمت انكلترا بمنع التجارة مع الاساكل الافرنسية بتاتا خارقة بذلك حرمة حقوق الدول الاخرى · فلحق بسبب ذلك ضرر بالولايات المتحدة اكثر من سائر الممالك

ولم تكفي تجارة الولايات المتحدة تلك الضربة المؤلمة حتى جاءت انكلترا بنغمة جديدة زادت في الطين بلة وفي الطنبور نغمة وتفصيل الامر هو انه في بداية حرب فرنسا والهنود كان الملك جورج الثاني الانكليزي قد سن نظاما يمنع سفن الدول المتحايدة من الاتجار مع المستعمرات الافرنسية او اية بلاد اخرى مشتبكة بحرب مع بلاده · فكان ذلك النظام هادما لركن التجارة الاميركية خصوصا · وقد جرت احتجاجات عنيفة على تلك الشريعة الجائرة في خلال رئاسة جورج واشنطن غير انه في حزيران سنة ١٨٠١ لما ابرمت معاهدة بين بريطانيا وروسيا حورت انكلترا ذلك النظام المذكور فكان بذلك نفع للتجارة عموما ولتجارة اميركا خصوصا ومن سنة ١٨٠٢ الى ٦ زادت تجارة الولايات المتحدة في البلاد الاجنبية خمسة اضعاف عما كانت عليه قبلا · بينما تجارة انكلترا تقهقرت على نحو ذلك المعدل · فتميزت غيظا من ذلك الانخذال التجاري · فقامت وزارتها سنة ١٨٠٥ تطلب العمل بموجب النظام السالف ذكره كما اصدره الملك جورج ضاربة بالعدالة عرض الحائط وناكثة عهودها ووعودها وناسية او متناسية امر ذلك التحوير بكل استبداد وصلف فنتج عن ذلك حرمان الولايات المتحدة من التجارة في اسواق فرنسا واسبانيا · والحقت اذى عظيما في

صادراتها

ولم يكفها ذلك الظلم الفاضح والاستبداد المشين حتى زادت عليه اخر لعرقلة مساعي شعب الولايات المتحدة الناشط للعمل وهدم صروح امانيه التي شادها بايدي الاجتهاد المتواصل والعناء الجزيل وذلك انها صممت على حسبان الذين ولدوا في انكلترا رعوية انكليزية مدى الحياة ولا عبرة في اية الممالك يقطنون ولا باية جنسية يتجنسون وعليه نشرت سفنها في عرض البحار لفحص بحارة وركاب السفن الماخرة الى اميركا فمن اشتبهت بكونه انكليزيا قبضت عليه واستاقته الى بلادها · والقصد الاولي في ذلك منع مهاجرة الايرلنديين الى اميركا الذين لما عرفوا بوجود وطن ينيلهم حرية مطلقة ويوفر لهم اسباب الهناء والرفاه هاجروا اليه زرافات ووحدانا · فخشيت انكلترا عاقبة انجراف تيار المهاجرة فبادرت لسبر غور الامر ورتق الفتق قبل اتساعه · فعن لها سن ذلك النظام وجعلت السجن جزاء من يدخل سفينة اميركية والذين كانت نقبض عليهم السفن الانكليزية المذكورة كانوا يساقون الى الخدمة في البحرية الانكليزية ولم تهتم انكلترا بسوى املاء بوارجها من البحارة ضاربة صفحا عن الشرف الدولي ونحوه · واضافت الى كل تلك المغارم امرا اخر اقام الامة الاميركية جمعاء واقعدها وهو

في ٢٢ حزيران اقلعت بارجة اميركية اسمها شاسبيك من خليج شاسبيك وما كادت تقطعه حتى التقت بدارعة انكليزية اسمها ليوبارد فحيت البارجة الاميركية فردت لها التحية ·ثم جاء موظفو الدارعة ودخلوا البارجة الاميركية بمظهر اصدقاء وما لبثوا ان طلبوا من الكومندور بارون الاميركي ان يسمح لهم بتفتيش بارجته لعلها تنقل انكليزا آبقين · فانكر الاميركي عليهم ذلك وشرع يعد بارجته للقتال ·ولكن قبل ان تلامس ايدي البحارة الاميركيين مدافع بارجتهم اطلقت الدارعة الانكليزية

مدافعها عليها فاكره قبطانها على التسليم فقبض الانكليز على اربعة من رجالها برهن ثلاثة منهم على كونهم اميركيي التبعة والرابع كان انكليزيا فارا فحاكموه وحكموا عليه بالموت شنقا ٠وقد وعدت حكومة انكلترا باصلاح البارجة الاميركية ولكنها لم تبر بوعدها «حسب مألوف العادة»

فعلى اثر ذلك الحادث اصدر رئيس الولايات المتحدة امرا بمنع دخول السفن الانكليزية المرافيء الاميركية ومع ذلك لم تنجز انكلترا وعدها بترميم البارجة شاسبيك ٠وفي ٢١ كانون الاول اصدر النظام المعروف« بامبار كواكت »

الذي بموجبه لازمت كل السفن الاميركية موانيء بلادها ٠

والغاية من ذلك قطع المواصلات التجارية بين دولتي انكلترا وفرنسا لاجبارهما على الاعتراف بحياد الاولى ٠ ولكن ذلك النظام لم يأت بالفائدة المبتغاة فالغي بعد اربعة عشر شهراً من سنه ٠وفي غضون ذلك اصدرت انكلترا قرارا في تشرين الثاني سنة ١٨٠٨ بمنع الاتجار مع دولة فرنسا وحليفاتها ٠ وكذلك نابوليون بدوره اصدر امرا وهو المشهور «بنظام ميلان» يحذر الاتجار مع بريطانيا ومستعمراتها فبهذين النظامين والنظام الذي سنته اميركا اصبحت تجارتها على شفير الاضمحلال

وبينما كانت البلاد تمور في لجة المتاعب والاضطرابات كان ربرت فلطن يبني اول سفينة بخارية

ولد ربرت فلطن المخترع الفطن والميكانيكي الحاذق والموءلف البارع الذي سير اول سفينة تدار الاتها بالبخار في بلدة برتين من ولاية بنسلفانيا سنة ١٧٦٥ من ابوين ايرلانديين وتلقى علومه الابتدائية في مدرسة تلك البلدة ولما بلغ الثامنة عشرة من عمره ذهب الى فيلادلفيا حيث اذهل القوم بصوره اليدوية وبراعته الفائقة في ذلك الفن ثم وهو في الثامنة والعشرين من عمره سافر الى بلاد الانكليز سنة ١٧٩٤ ٠ثم مضى



ربرت فلطن

الى فرنسا فاتقن فيها اللغات الفرنساوية والايطالية والجرمانية وصارت له معرفة سامية في العلوم العالية • وسنة ١٨٠١ بنى سفينة من نوع الغواصات واخرى من نوع الترويبذو فلفت ذلك ابصار الحكومة الانكليزية اليه • غير ان اختراعه كاد ان يقضي عليه بسبب الانفجار الذي حصل في السفينة التي كان يجري امتحاناته فيها • فاشار عليه لفنستن سفير الولايات المتحدة في فرنسا آنئذ ان يجرب البخار في السفن التجارية الكبيرة • وعام ١٨٠٣ بنى فلطن بالاشتراك مع السفير المذكور مركبا وسيره في نهر السين بقوة البخار فنجح نجاحا مذكورا • وسنة ١٨٠٦ قفل راجعا الى نيويورك وبنى اول مركب بخاري سماه كلرمونت ودشنه سنة ١٨٠٧ • وقد خدم اميركا خدمات جليلة تذكرها له ابد الدهر • وقضى نحبه في ٢٤ شباط سنة ١٨١٥

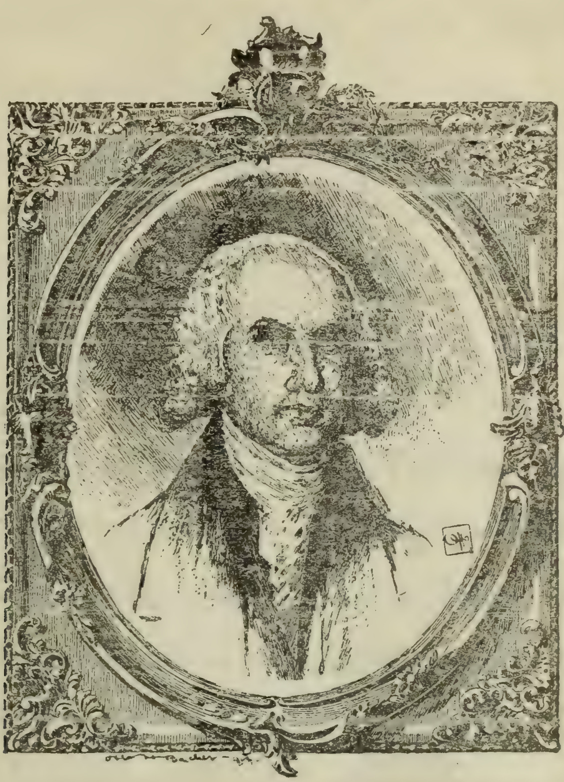
واوشكت مدة رئاسة جفرسن الانتهاء • وقد زادت مساحة الولايات المتحدة زيادة عظيمة • وكان عدد السكان اخذ بالازدياد ايضا والسفن التجارية تمخر في البحيرات والانهار فتسهل طرق النقل وتقرب الابعاد غير ان علاقات اميركا بالدول الاجنبية لم تكن على تمام الولاء • وكانت امائر الحرب تبدو بطرق متنوعة ولقد نحا جفرسن منحى واشنطن فابى ان يرشح للرئاسة للمرة الثالثة فخلفه في منصبه الخطير جيمس مادسن من فرجينيا واعيد انتخاب جورج كلنتن لنيابة الرئاسة

الفصل الثاني والاربعون

—(رئاسة مادسن وحرب سنة ۱۸۱۲)—

ولد جيمس مادسن الرئيس الرابع على الولايات المتحدة في بلدة كن جورج من ولاية فرجينيا في ١٦ اذار سنة ١٧٥١ · وتلقى علومه الابتدائية في مدرسة بلدته وانهى دروسه العالية في كلية برنستون وهو في السنة العشرين من عمره · ومن ثم درس الشريعة فيها ونبغ فيها وطارت شهرته الى انحاء مترامية · ولما نشبت الحرب الاهلية انتخب عضوا في مجلس الولاية · وبعد ذلك عضوا للكونغرس نائباً عن ولايته حيث ابدى من الآراء السديدة والمشورات الحميدة ما رفع قدره بين زملائه وغيرهم من ذوي المناصب العليا واليه مرجع الفضل في التآم نواب الولايات في انابوليس الذي نتج عنه الاتحاد والتحالف · وقد شغل منصب ناظر الخارجية مدة ثماني سنوات وفي رابع اذار سنة ١٨٠٩ احتفل بتنصيبه رئيسا للولايات المتحدة خلفا لجفرسن · وقد انتخبه حزب الديموقراط الذي كان محالفا لفرنسا على انكلترا وقبل ان يبتدي حكم مادسن بثلاثة ايام الغى الكونغرس نظام امباركو السالف ذكره واستعاض عنه باخر وهو المعروف بنظام «التجنب والحياد» وبناء عليه سمح للسفن الاميركية بالدخول الى المواني الاوروبية ماخلا مواني انكلترا فانها حذرت عليها ذلك

وفي ربيع السنة التالية اصدر امبراطور فرنسا امرا بالقاء القبض على كل السفن



—(جيمس مادسن)—

الاميركية التي تدنو من المرافىء الافرنسية او اية فرضة اخرى تحتلها جنود افرنسية · غير ان ذلك التضييق لم تطل مدته بل الغي في تشرين الثاني من تلك السنة وزالت العقبات التي كانت تعترض انتشار التجارة الاميركية · ولو ان انكلترا اباحت لاميركا حرية التجارة نظير فرنسا لما وجد الاميركيون سببا للشكوى منها · غير انها عادت الى المضايقة على التجارة الاميركية وسيرت سفنها الحربية في عرض البحار لمعارضة سير سفن اميركا التجارية حتى صار يخشى اشتعال نار الحرب بين البلادين ولم يعد لاميركا من سبيل الى كبح جماح الانكليز وصد تعديهم على تجارتها سوى الصارم البتار ·

وما زالت وزارة الملك جورج الثالث الذي شبت حرب الاستقلال في ايامه تدير دفة السياسة في المملكة الانكليزية ... ما دفة السياسة الاميركية فكانت تديرها يد الحزب الممالئ لفرنسا بينما الحزب الموالي لانكلترا كانت قوته اخذة بالتلاشي واخيرا عيل صبر الاميركيين من معاملة بريطانيا لهم . فقرر الكونغرس انه يجب ان تكون لاميركا حرية الملاحة والتجارة وانهم مستعدون لتأييد مطاليبهم بقوة السلاح . وجاءت انتخابات سنة ١٨٠٨ الى ١١ برهانا على رغبة الاميركيين في تحمل ويلات ومشقات الحرب على الصبر على غطرسة الانكليز وتشامخهم

وسنة ١٨١٠ تم الاحصاء الثالث لنفوس سكان الولايات المتحدة فبلغ عددسكانها سبعة ملايين ومائتين واربعين الف نفس . وكان عدد الولايات سبع عشرة ولاية . وكانت عدة مقاطعات (تراتورز)على اهبة التحول الى ولايات . وموارد الرزق عندهم كانت وافرة والدستور رسخ على قواعد ثابتة فتقدم الولايات هذا وسرعة انتشار المدينة في ربوعها اثار غضب الهنود فاضرموا نيران القتال في مقاطعتهم

وكانت قبيلة الشاونيس اكثر قبائل الهنود انتشارا بين نهري اوهايو ووباش واعظمها قوة . ورئيس تلك القبيلة واسمه تيكمشا شهير بشدة باسه وشجاعته وتمرنه على القتال . وانضم اليه اخوه الكواناوا المعروف بالنبي . فالاول كان بطلا مغوارا والثاني مشعوذا يدعي ان الوحي يأتيه من عالم الارواح فعمل كلاهما معا على توحيد كلمة الهنود في المقاطعة الشمالية الغربية وضم قوتهم معا لقهر البيض وسحقهم . وعليه لما اجتمع الحاكم هارسن بعدد من زعماء الهنود في فورتوين سنة ١٨٠٩ وطلب اليهم توقيع صك المبيع للاراضي التي ابتاعها منهم ومساحتها ثلاثة ملايين ايكر ابى تيكمشا التوقيع بتاتا وهدد من يوقعه من الزعماء بتجريعه كاس المنون . وفي السنة التالية دعا اليه كل زعماء القبائل حتى تخم تناسي وطلب اليهم ان يطرحوا اختلافاتهم القومية

جانبا ويختصموا معا للعمل في ارجاع املاكهم من مغتصبيها

فاستدعى هارسن اليه حاكم تلك المقاطعة الزعيم تيكمثا واخاه النبي وانذرهما بشر العقبى من اعمالها الثورية وانه يلقي عليهما تبعة كل مـا سيحدث من الشغب والاضطراب غير ان ذلك لم يجد فتيلا ٠ بل انهما اصرا على وجوب ارجاع الاراضي التي اخذت من الهنود في معاهدة فورتوين ولكن هارسن ثبت في مركزه وارسل في طلب بعض فرق عسكرية وشرع يعد جنوده للقتال ٠ اما الهنود فتفرقوا في تلك الانحاء يسرقون ويقتلون ٠ اما الحاكم فصمم على وجوب انفاذ شروط المعاهـدة واستبقـاء الاراضي فمخر بجنوده في النهر الى تريهوت وشاد حصنا اطلق عليه اسمه وتقدم الى مونتزوما حيث بنى حصنا اخر خشبياً ومن ثم زحف على بلدة « النبي » الواقعة على نهر تبيكانو فلما صار على مقربة منها لاقته رسل الهنود طالبة اليه ان يعين زمانا ومكانا لعقد مؤتمر في الغد فاجابهم الى طلبهم وبات مع جنوده في ذلك المكان ٠ وقبل بزوغ فجر النهار الواقع في ٧ ت٢ سنة ١٨١١ احتاط سبعماية من اشداء الهنود بهارسن ورجاله قصد الفتك بهم ولكن الاميركيين كانوا على اتم الاستعداد فالتحم الفريقان تحت جنح الظلام فما لاح الصباح حتى كان الاميركيون قد ظفروا بخصومهم وشتتوا شملهم ٠ ثم زحفوا على المدينة فاحرقوها وعادوا ظافرين الى فنسنن عاصمة المقاطعة ٠ ولما نشبت تلك الموقعة كان تكيمثا في الجنوب فلما رجع ورأى انكسار قومـه وتشتت شملهم نزح الى كندا وانضم الى حزب الانكليز

وفي تلك الاونة نشب القتال بين بوارج انكلترا واميركا في عرض الاوقيانوس ففي ١٧ ايار بينما كان الكومندور روجر ماخرا ببارجته « برازدنت » التقى ببارجة انكليزية في ضواحي فرجينيا فطارحها التحية المألوفة فكان جوابـ تحيته قنبلة اطلقها الانكليز على بارجته وتبعتها غيرها فاجاب روجر بالمثل ووالى اطلاق مدافعـه على

السفينة الانكليزية حتى اخرس مدافعها • وحدث ذلك عند المساء ففي الصباح عرف ان البارجة الانكليزية تضررت كثيرا وقتل من بحارتها احد عشر وجرح واحدوعشرون فا حدث ذلك الامر ضجة عظيمة في سائر البلاد

وفي رابع تشرين الثاني سنة ١٩١١ التأم كونغرس الولايات المتحدة للمرة الثانية عشرة وكان بين اعضائه عدد من ذوي الفطنة والحنكة السياسية والغيرة الوطنيه فرأوا ان الحرب بين بلادهم وبريطانيا العظمى امر لامهرب منه سيما وان انكلترا اجبرت ستمائة رجل متجنسين بالجنسية الاميركية على الخدمة في بحريتها • فلم يعد في وسع حكومة اميركا السكوت عن اهانات انكلترا المتواصلة لها ولشعبها • على ان بعضهم كانوا ذوي امل بتسوية الامور بطريقة سلمية • فمر فصل الشتاء دون تأجج نار القتال على ان الرئيس لم يكن كثير الميل الى الحرب • بينما القسم الاكبر من اعضاء المجلس كانوا راغبين في ايراء نار الهيجاء واقتحام اسواق المنايا

وانتشر حديث ذو شجون اقام البلاد واقعدها وتفصيل ذلك هو انه في ليل ثاني شباط سنة ١٨١٢ انطلق رجل ايرلاندي يدعى جان هنري وكان متجنسا بالجنسية الاميركية الى قصر الرئيس واعلمه بان وزارة انكلترا بالاتفاق مع السير جيمس كريك حاكم كندا ساعون سعيا حثيثا منذ امد بعيد في تدبير الوسائل لفصم عرى الاتحاد والتحالف بين الولايات المتحدة واطلع الرئيس على اوراق رسمية تثبت حقيقة ما يقول • وكان حاكم كندا قد وعد جان المذكور بمبلغ خمسة الاف دولار راتبا سنويا اذا كان يسكن في بوسطن ويخدم مصالح انكلترا وكندا وينقل اليه ما يهم من اخبار الولايات وحكومتها • وقد كانت حكومة كندا دائبة في زرع بذور الفساد والشقاق في الولايات رجاء ان يشتد الخلاف فينضم بعضها الى كندا غير انها لم تبلَ بسوى الحرمان • وفي غضون ذلك قضى حاكم كندا نحبه وجان المذكور لم يفلح

سعيا في مهمته ولم يتناول المرتب المعين له فمضى الى لندن يطالب حكومتها بمبلغ ثلاثين الف ليرة انكليزية فرحب به الوزراء ولكنهم لم ينقدوه مطلوبه بل اخبروه ليعود الى كندا ويقبض ما يمكنه من حاكمها الجديد فاستاء ذلك الجاسوس من سوء تلك المعاملة من جانب حكومة انكلترا · فبدلا من ان يبحر الى مونتريال ابحر الى بوسطن ومنها سافر الى واشنطن وباح للرئيس بكل الاشراك التي نصبتها انكلترا والوسائل التي استخدمتها لايراء نار الفتن بين الولايات المتحدة لفصم عرى ائتلافها · ودفع اليه الرسائل التي تبادلها مع كريك حاكم كندا السابق فاخذها الرئيس وابقاها في حوزته ودفعت حكومة اميركا لجان المذكور مبلغ خمسين الف دولار من المال المخصص للخدمة السرية · فزاد ذلك الخبر في استياء الشعب الاميركي من انكلترا وقوى ساعد مريدي الحرب معها من رجال الحكومة

وفي رابع نيسان سنة ١٨١٢ اجاز الكونغرس قرارا يلقى بموجبه الحجز لمدة تسعين يوما على كل السفن الانكليزية التي تمخر في المياه الواقعة ضمن منطقة املاك الحكومة الاميركية · غير ان ذلك لم يؤثر على بريطانيا شيئا بل ثبتت في موقفها العدائي · وقد صرح احد وزرائها بان لانكلترا حقا ثابتا منذ زمن قصي بالقبض على البحارة الانكليز اذا وجدوا في سفن الاجانب · وقبل ان تبدي انكلترا حكمها البات في ذلك الامر انضمت الولاية الثامنة عشرة الى الاتحاد الاميركي وهي ولاية لوزيانا التي تم انضمامها في ثامن نيسان من تلك السنة · مساحتها نيف وواحد واربعين الف ميل مربع وعدد سكانها ٧٧ الفاً

وفي رابع حزيران قرر الكونغرس وجوب شهر الحرب على انكلترا وثبت مجلس الشيوخ ذلك القرار المذكور في ١٧ حزيران وشرعوا يتأهبون لخوض المعامع وتقرر ان يجمع ٢٥ الف جندي نظامي وخمسين الف متطوعين · وفي الوقت نفسه

سئلت الولايات ان تجهز مئة الف جندي رديف لحماية المرافىء البحرية وتقرر ايضا ان الحكومة تستلف مبلغ احد عشر مليون دولار لنفقات الحرب وتعين هنري دربورن من مسانشوستس قائدا عاما لجيوش الولايات المتحدة

وكانت انكلترا على اتم الاستعداد للحرب فجيشها في اوروبا كان وافرا وعلى تمام الانتظام · وكان نابوليون في تلك الاونة زاحفا بجيشه العظيم على روسيا فكانت انكلترا مرتاحة البال لجهة خصومها في اوروبا · اما عدد سفنها الحربية فلم يقل عن الالف وست وثلاثين سفينة مختلفة الطراز والحجم ·ومن تلك السفن مايتان واربع وخمسون سفينة عدد مدافع الواحدة منها اربعة وستون مدفعا كبيرا·وكان لها في موانىء اميركية مختلفة خمس وثمانون سفينة كاملة المعدات وجاهزة للقتال · واربع من تلك السفن كانت في بحيرة اونتاريو وعلى متنها ستون مدفعا · والجيش الانكليزي في كندا كان عدده سبعة الاف وخمساية جندي نظامي واربعين الف رديف ·ووراء تلك القوات العظمى قناطير مقنطرة من الذهب في خزينة الحكومة ·اما الملك جورج الثالث الانكليزي فكان في هذا الزمن قد ادرك الشيخوخة فخرف وفقد الادراك فالتزموا ان ينزلوه عن العرش ويجلسوا مكانه البرنس ريجانت باسم جورج الرابع · ولم تكن المقابلة محتملة بين قوة الولايات المتحدة وقوات خصومها

واول من ابتدا القتال وليم هال حاكم مقاطعة مشغن · فتالفت تحت قيادته فرقة من المتطوعين في مدينة دايتن من ولاية اوهايو لصد الهنود عند التخم الشمالي الغربي وقد فوض هال المذكور بالزحف على كندا اذا مست الحاجة · فابتدا الزحف في اول حزيران فما بلغوا اقصى الغرب من بحيرة اونتاريو الا بعد شهر لصعوبة المسالك ·فلما وصلوا الى مومي ارسل هال الامتعة والاوراق الرسمية السرية بسفينة الى دترويت · وكانت القوات الانكليزية مجتمعة في مالدن · فنمي الى قائدها خبر مسير هال وجنوده

فارسل واسر السفينة المذكورة واستولى على ما فيها من الاوراق وغيرها · واما الامير كان فداوموا سيرهم حتى وصلوا الى دترويت وهناك تلقى هال خبر اعلان الحرب رسميا وامر بان يزحف على كندا · فعبر نهر دترويت في ١٢ حزيران الى ساندوش وجزم بان يحتل ملدن مركز الانكليز · وكان تم له ذلك لولا ان رجاله عدموا الثقة به لعدم دربته

وشاع في تلك الاونة ان الانكليز اسروا الحامية الاميركية في ماكنو فاتخذ هال ذلك عذرا لعدم تقدمه فنكص راجعا الى دترويت حيث بلغه ان حاكم اوهايو اوفد القائد برش لنجدته بفرقة من الجند مع ميرة وذخيرة · وكذلك الماجور فان هورن اسرع بكتيبة للمحافظة على برش ورجاله ريثما يبلغون الى ديترويت ·غير ان الزعيم تيمكنا مع شرذمة من الجنود الانكليزية قطعوا خط الاتصال عليه ·فكمنوا لفان هورن في جهات برونستون واصطادوه بالشرك وكسروه شر كسرة · فلو ان هال ابدى الانكليز واحتلوا المدينة والقلعة بلا مقاومة · وربما كان هذا الحادث اكبر عار يذكره انه امر الكولونيل مار الذي بعد كسرة فان هورن بثلاثة ايام حمل على الهنود وابلى فيهم بلاء حسنا ان يعود الى دترويت · فقلت ثقة الجنود والضباط بالقائد هال فساد التشويش وعدم الانتظام بين رجاله

وفي غضون ذلك جاء الجنرال بروك حاكم كندا العليا الى مولدن وتولى قيادة القوات الانكليزية ·ومن ثم تقدم بالاتفاق مع تيكمثا لحصار دترويت وكانت الجنود الاميركية في استحكاماتها خارج القلعة على تمام الاستعداد لمقابلة العدو واحراقه بنيران مدافعهم لدى صدور الامر لهم بذلك ولكن من موجبات العجب والاسف انه اقل حركة برجاله لنجا فان هورن ولكنه لم يكن ذا حنكة واهلية تذكر ·زد على ذلك صار الانكليز قيد خمسماية يارد عن المدينة رفع هال علما ابيض فوق القلعة · فتقدم

التاريخ لجيش الولايات المتحدة وقد وقع ليس حامية دترويت فقط بل كل القوات التي يقودها هال اسرى حرب بيد الانكليز وستسلمت كل مقاطعة ميشغن لهم ايضا • ولدى التسليم للانكليز تميز الضباط الاميركيون غيظا فرفسوا الارض بارجلهم حنقا و كسروا سيوفهم وقطعوا شرائط بزاتهم الرسمية • وبالحقيقة ان عار ذلك التسليم شمل سائر البلاد فافتدى الاميركيون هال من الانكليز بثلاثين من اسراهم واتهموه بالخيانة والجبانة وسوء التصرف وحاكموه امام مجلس حربي واذ ثبت جرمه حكم عليه ان يمات رميا بالرصاص ولكن الرئيس عفا عنه لسابق خدماته في حرب الاستقلال

وفي الوقت الذي سلمت فيه دترويت كان الهنود قد غزوا قلعة دربورن و كانت حيث مدينة شيكاغو الان •وقد كانت حاميتها قليلة فلم تستطع المقاومة طويلا فطلب قائد الحامية التسليم على شرط انهم يدعون جنوده تخرج من القلعة بشرف عسكري فتم الاتفاق على ذلك • ولما دخل الهنود القلعة ووجدوا ان الاميركيين قد اتلفوا المشروبات التي كانت فيها لحقوا بهم فقتلوا منهم بعضا واستاقوا البقية اسرى • وفي اليوم التالي احترقت القلعة واصبحت هباء منثورا

على ان الاميركيين اعتاضوا عن خسائرهم تلك بالنصر الباهر الذي احرزه اسطولهم الفتى •و كانوا عالمين من قبل ان تدور رحى الحرب ان معارك طاحنة ستنشب في المرافئ البحرية وفي عرض الاوقيانوس • وقرروا انهم ياخذون جانب الدفاع متى هاجم الاسطول الانكليزي اساكلهم• وجل اعتماد انكلترا في الحرب على اسطولها الذي هو اقوى اساطيل دول العالم • فاخذ الاميركيون الحيطة لصد غزواته وحماية ذمارهم مع ان سياسة اميركا كانت منذ البداية ترمي الى مناوئة النفقات على جيش نظامي واسطول بحري وفي مدة رئاسة جفرسن بنوع اخص اهمل امر الاهتمام بالدفاع عن الوطن وتحصين المرافئ اهمالا تاما ففي سنة

١٨٠٨ مثلا لم يكن في كل ولاية ماين من معدات الدفاع سوى قلعة سمر في بورتلاند وقس عليها سائر الولايات ٠ ولكن لما قاربت الحرب النشوب عزز الاميركان قلاعهم ومعاقلهم في اماكن مختلفة حتى غدت يركن اليها في الدفاع ٠ ولكن انى لهذه من قوات الانكليز العظيمة وسفنهم المتينة ومدافعهم التي تدك الجبال الشامخات ٠ وشد ما كانت دهشة العالم عظيمة لما سمع بان بحارة الاميركان لم يتربصوا ريثما يهاجمهم الانكليز باسطولهم الضخم بل تقدموا بقدم ثابتة لمهاجمة سيدة البحار ٠ والعجب الاعظم في الانتصارات العظيمة التي رافقت علم الجمهورية الحرة في ذلك النزال الامر الذي اوقف العالم موقف الدهشة والاندهال ٠ فقد نشبت معارك متعددة بين السفن الاميركية والانكليزية عقد النصر فيها للاولى ٠ وقد غنم الاميركيون في خلال تلك السنة من السفن الانكليزية المختلفة ما يربو على المايتين وخمسين سفينة عدد بحارتها ينيف عن الثلاثة الاف ومسواقها يقدر بالوف الالوف من الدولارات ٠ اما عن سرور شعب الولايات المتحدة بتلك الانتصارات الباهرة فمما يعجز اليراع عن وصفه وسرورهم الاعظم كان بخضد شوكة الانكليز البحرية واخفاض غلوائهم وكبريائهم وممالك اوروبا اعترتها الحيرة والتعجب من فوز تلك الجمهورية الحديثـة الباهر ٠ ودولة فرنسا بنوع اخص شملها فرح عظيم عندما بلغها خبر فشل عدوتها في تلـك المعارك البحرية وتحققت صدق نبوءة نابوليون الذي قال ابان توقيعه صك مبيع لوزيانا لاميركا « ها قد اعطيت اليوم لانكلترا منازعاً بحرياً سيخفض غلوائها ويكسر تشامخها عاجلا او آجلا ٠ اما الشعب الانكليزي فثار ثائره لذلك الانكسار المبين وقامت الجرائد تنشر المقالات الرنانة في وصف تلك الحوادث وبعضها استعملت لغة البذاءة وعدم الاحتشام

وفي خلال سنة ١٨١٢ كانت المعارك البرية متصلة بين الجيشين الانكليزي والاميركي على حدود نياغرا ولكنها لم تكن فاصلة

وقد والى الاميركان الهجوم على الانكليز في كندا ولكنهم ارجعوا بخسائر فادحة هذا خلاصة ما حدث في غضون سنة ١٨١٢ ·وفي خريف تلك السنة اعيد انتخاب مادسن للرئاسة وانتخب البرج كادي من مساتشوستس نائب رئيس وصرف رجال الحكومة همهم الى تحسين حالة الجندية والبحرية الاميركية

الفصل الثالث والاربعون

—تتمة حرب سنة ١٨١٢ وحملات سنة ١٨١٤ —

في افتتاح سنة ١٨١٣ كان الجيش الاميركي منظما ومقسوما الى ثلاثة اقسام «١» جيش الشمال بقيادة الجنرال همبتون كان مرابطا في ضواحي بحيرة شامبلين (٢) جيش الوسط بقيادة القائد العام قام على حدود نياغرا وضواحي بحيرة اونتاريو (٣) الجيش الغربي بقيادة الجنرال ونشستر الذي خلفه بعد قليل الجنرال هرسن وهذا الجيش تألف من جنود الولايات الغربية وزحف الى ضواحي بحيرة ايري لاسترداد الاراضي التي خسرها القائد هال في الصيف الغابر · وفي عاشر كانون الثاني بلغ ثمانمئة جندي بقيادة ونشستر الى ضفة نهر مومي على بعد نحو ثلاثين ميلا من بلدة ملدن حيث كانت الجنود الانكليزية ومعاونوهم من الهنود نازلين فتقدمت فرقة من الجنود الاميركية وهاجمت العدو وامتلكت المدينة · وفي ٢٠ الشهر تبعهم القائد اليها ببقية الجيش

وبعد ذلك بيومين هجم على الاميركيين المذكورين الف وخمسمائة جندي انكليزي وهندي بقيادة الجنرال بروكتر واشتبك الفريقان بموقعة دموية خسر فيها كل منهما نيف وثلاثمئة رجل · ومن ثم ارجع الاميركيون الانكليز على الاعقاب · غير ان قائدهم لما راى وفرة اعدائه بالنسبة الى فرقته امر رجاله باخلاء المدينة بعد ان وعد القائد الانكليزي مقسما بشرفه انه لا يمسهم بضرر · وما كاد الاميركيون يغادرون مالدن حتى تراكض اليها الانكليز · اما الجرحى من الاميركان فتركوا تحت رحمة الهنود الذين شرعوا يذيقونهم العذاب الواناً واغملوا فيهم طعنا بحرابهم وقواطعهم· ومن ثم اضرموا النار في البيتين الملقى فيهما اولئك التعساء واحتاطوهما من حولهما لكي يلقوا في اللهيب كل من يحاول الفرار وبقية الاسرى استاقوهم الى دترويت بعد ان اشبعوهم عذابا حيث افتداهم ذووهم بمبالغ طائلة · وذلك الامر الفظيع وسم القائد بروكتر الانكليزي بعار لا يمحى

فلما سمع الجنرال هرسن ما حل بالقائد ونشستر تراجع عن مومي ولكنه عاد فشاد حصن ميغز · وهناك حاصره الفا جندي انكليزي وهندي في اول ايار بقيادة بروكتر وتيكمثا · وفي تلك الاونة بادر الجنرال كلاي بالف ومائتي جنـدي من كنكتكيت لنجدة هرسن وتخليص القلعة · ولولا غلطة الكولونيل لي بعدم محاذرته قطع خط الاتصال على فرقته لفاز الاميركيون بدحر خصومهم · ولكن المقدر نفد ووقعت الخسارة عليهم فنكل الهنود بالاسرى الاميركيين تنكيلا فظيعا كما فعلوا قبلا ولم يوقف القائد الانكليزي تلك الافعال القبيحة بل ان الهندي تيكمثا ادركته رقة القلب فسعى لوضع حد لتلك الافعال الشائنة فتأمل · وشرع الهنود يغادرون صفوف الانكليز فذعر بروكتر من ذلك ورفع الحصار وعاد في تاسع ايار مع رجاله الى مالدن وتوقف القتال مدة ثلاثة اشهر · وفي اواخر شهر تموز عاد بروكتر وتيكمثا

باربعة الاف جندي الى مهاجمة قاعة ميغنر التي كان قائما على حمايتها الجنرال كلاي ولما فشل بروكتر في ما اراد من امتلاك تلك القاعة غادرها بنصف جيشه وسار لمهاجمة قاعة ستيفنسن القائمة في اسفل سندسكي وكان عدد رجال حاميتها ماية وستين بقيادة الكولونيل كروغهان الذي على رغم كونه لم يتجاوز الربيع الحادي والعشرين من العمر قد ابدى حنكة الشيوخ وبسالة الابطال ٠ فلما ارسل القائد الانكليزي يتهدده بالقتل اذا لم يسلم القاعة اجاب انه سيدافع عن موقفه حتى النفس الاخير ولو لم يبق معه سوى رجل واحد ٠ فحاصر الانكليز القاعة وداوموا هجومهم عليها ٠ اما كروغهان فلغمها وتنحى جانبا مع رجاله فخال الانكليز ان مدافع العدو اسكتت وذخيرته نفذت فاندفعوا الى القاعة ودخلوها فانفجرت الالغام وابادتهم كلهم تقريبا فعاد بروكتر بخفي حنين وخشي ان يزحف لمهاجمة هرسن فرفع الحصار وعاد بمن تبقى من جيشه الى ملدن

وكانت عمارة انكليزية موءلفة من ست سفن على متنها ثلاثة وستون مدفعا تخفر بحيرة ايري ٠ فعلم الاميركان ان ايسر الطرق لغزو كندا هو امتلاك بحيرة ايري المذكورة باخلائها من السفن الانكليزية ٠ ووكل ذلك العمل الشاق الى القومندان اوليفرباري من رود ايلند ٠ وهو شاب في الثامنة والعشرين من العمر ولم يحضر واقعة بحرية قط غير ان اسطوله حطم تسعا من سفن العدو فيها ثلاثة وخمسون مدفعا ٠ وسار باري الى بحيرة ايري وفي عاشر ايلول التقى الاسطولان على بعد قليل في جهة الشمال الغربي من بتسنباي وكل من الخصمين كان يقدر الفوز له ٠ فافتتح الاميركيون واطلقوا كرات مدافعهم على السفينة الرافعة العلم الانكليزي وحمي وطيس القتال فتعطلت سفينتان اميركيتان بينهما السفينة الناقلة علمهم ٠ فبادر باري الشجاع واتشح ببزته الرسمية وسار بسفينة مكشوفة ورصاص الاعداء ينهطل عليه وحمل علمه ونقله

الى سفينة اخرى فتصاعدت اصوات الهتاف من بحارة الامير كان وكانت تلك الاصوات هتاف الغلبة فهجم باري بباخرته التي رفع عليها العلم الامير كي على السفن الانكليزية فلم تمر خمس عشرة دقيقة حتى تعطل الاسطول الانكليزي كله فعاد باري الى سفينته الاولى التي تعطلت وكانت سيماء العجب بادية على محياه وهناك سلم اليه الاميرال الانكليزي فارسل باري فورا رسالته الشهيرة الى الجنرال هرسن وهي « التقينا بالاعداء وظفرنا بهم وربحنا من سفنهم كذا وكذا وعدد اسماء السفن التي غنمها

فاصبح الامير كيون بعد ذلك الانتصار ذوي السيادة على بحيرة ايري · وكان كلا بروكتر وهارسن في انتظار تلك الموقعة · فاذا فاز الانكليز يسير بروكتر لغزو اوهايو واذا فاز الامير كيون فهرسن يتقدم لغزو كندا · اما وقد قدر الفوز للامير كيين فغدت الطريق امامهم رحبة وثغر الفوز باسما · ففي ٢٧ ايلول عبر جيش هرسن خليج سندسكي ونزل قرب ملدن فاخلاها الانكليز وتقهقروا الى ساندوتش فجد الامير كيون في اثرهم اما هم فداوموا التقهقر حتى بلغوا الى ضفة نهر ثيمس وهناك تأهبوا للنزال · فوافاهم الامير كيون في ٥ تشرين الاول واشتبكوا معهم بالقتال · وقد تولى قيادة الامير كيين الجنرال هارسن والجنرال شلبى حاكم كنتكي · وما كادت الموقعة تبتدي حتى فر بروكتر بجبانة وولى الادبار · اما الجنود الانكليزية النظامية فثبتت ثبات الابطال كما ان الامير كيين حاربوا بكل قوتهم فبدا النصر في جانبهم · ولما راوا ان كفتهم راجحة جدوا في طلب الهنود وعددهم الف وخمساية كانوا متفرقين في الاجام والادغال والتحموا معهم بموقعة هائلة · وكان زعيمهم يتيكمثا يشجعهم ويستحثهم على الثبات وما زال حتى خفت صوته ووقع مجندلا · فلما راى الهنود سقوط زعيمهم استولى عليهم الرعب فولوا الادبار · فاحرز الامير كيون نصرا تاما · وهكذا انتهت الحملة في الغرب بذلك تحالف الهنود الى الحضيض وتفريق شملهم وقتل زعيمهم واعادة مشغن الى

الولايات المتحدة وتأمين اوهايو شر الغزوات · وكان اسطول باري يجول في بحيرة ايري وكندا ترتجف رهبة من خصومها الظافر

وفي تلك الاثناء ثارت قبيلة الكريكس في الاباما وشعبها انسباء قبيلة الشاونيس على الاميركيين · وفي اواخر شهر اب هجموا على حين غرة على قلعة ممس الواقعة على بعد اربعين ميلاً من موبيل واعملوا السيف في رقاب الاهلين بدون تمييز بين الرجل والامراة والشيخ والرضيع فزاد عدد ضحاياهم عن الاربع ماية فانتشر خبر تلك المجازر في الجنوب الغربي من البلاد بسرعة البرق ·فهمت تناسي وجيورجيا ومسسبي في الزحف على اماكن الهنود للاثار منهم واول من اسرع في ذلك جنود تناسي بقيادة الجنرال جاكسن فهاجموا تلشاتشي مدينة الهنود واحرقوها · وفي ثامن تشرين الثاني اشتبك الاميركيون والهنود في موقعة دحر فيها الهنود بخسارة كبرى · وفي اواخر الشهر نفسه دحروا ايضا بمعركة اخرى وما زال الاميركيون يطاردونهم حتى ابادوا منهم مئات والوفا وامنوا شرهم

وفي ٢٥ نيسان سنة ١٨١٣ دخل القائد دربورن بالجيش الاوسط وهو القسم الثاني من جيش الولايات المتحدة كما تقدم مرفأ ساكت في اقصى بحيرة اونتاريو من جهة الشرق والقصد من تلك الحملة غزو عاصمة كندا العليا·وفيها كان اعظم مستودع ذخائر وموءن للانكليز · وكانت السفن الاميركية الماخرة في البحيرة المذكورة تحمي جيش دربورن فلم يجد مقاوما في طريقه · وفي ٢٧ الشهر المذكور · بلغ الجنرال بيك بالف وسبعماية جندي الى مكان يبعد عن تورنتو ميلين فقط · وهناك التقتهم الجنود الانكليزية ونازلوهم فدحر الاميركان الانكليز وارجعوهم الى الوراء مسافة ميل ونصف ميل ·ومن ثم تقدموا لمهاجمة الحامية الانكليزية ·فما بلغوا الى المكان المقصود حتى حدث انفجار في مستودع الذخيرة في المدينة فاهتزت منه تلك الارجاء

25

وتلبد قتام الدخان غيما فوق رووءس الجنود الذين قتل منهم مايتان وجرح الجنرال بيك جرحا ذا بال ولكنه بقي حيا حتى طن في اذنيه هتاف النصرة • فان الاميركيين عادوا فلموا شعثهم وطردوا الانكليز من المدينة فنجا منهم القائد شيف ونفر من الجنود النظامية والبقية وقعوا اسرى بيد الاميركان الذين غنموا من خصومهم ما تقدر قيمته بنصف مليون دولار

وبينما كان الاميركيون زاحفين على تورنتو احتل الانكليز مرفا ساكت الذي بعدما اخلاه الاميركيون ترك بدون حامية • وفاز الانكليز ايضا بتدمير بيت الذخيرة واتلاف ما فيه • بيد ان نصرتهم لم تكن طويلة الامد • فان الجنرال برون الانكليزي هاجمهم بجيشه وطردهم من ذلك المرفأ بخسارة جسيمة • اما الجنود الظافرة في تورنتو فبارحتها وزحفت على نياغرا • وفي ٢٧ ايار هاجمت الجنود الاميركية بقيادة الجنرالين شاندلر ووندر قلعة جورج الواقعة في املاك كندا • فلما شعر الانكليز بقدوم خصومهم دمروا حصونهم في كل نياغرا وتقهقروا الى خليج برلنتن الواقع في اقصى البحيرة من جهة الغرب فتبعهم الاميركيون على الاثر وفي الليل هوجموا ولكنهم ردوا العدو بخسارة فادحة

وقد توقفت الحركات الحربية على الحدود اثناء فصل الصيف • وبعد موقعة ثيمس نقل الجنرال هرسن قواته الى بفلو واستعفى من القيادة بسبب الشيخوخة وحذا حذوه الجنرال دربرن فخلفه الجنرال ولكنسن • اما الحملة الاخرى التي رسم خطتها الجنرال ارمسترن فكانت على مونتريال • فصدرت الاوامر للجنرال ولكنسن ان يزحف بالجيش الاوسط وينضم الى جيش الشمال في مكان موافق على ضفة نهر لورنس • وكانت عقبات كثيرة تعترض اجتماع الجيشين • فلم يتم التقاوهما حتى خامس تشرين الثاني • فسار سبعة الاف جندي في نهر لورنس واخيرا التقوا بالجيوش

الانكليزية ودارت رحى الحرب بين الفريقين فقتل من الاميركان ثلاثماية جندي وقتل نحو ذلك من الانكليز ٠ولم يتم للاميركان ما ارادوا من اكتساح مونتريال لعدم قدوم النجدة المنتظرة من بتسبرغ ٠ فتراجعوا الى قلعة كوفنتن التي تبعد تسعة اميال عن نهر سانت ريجس لتمضية فصل الشتاء

وفي تلك الاونة تقدمت الجنود الانكليزية المرابطة على حدود نياغرا وزحفت على قلعة جورج ٠فلما درى بقدومهم الجنرال مكلور قائد الحامية اخلاها وسار القهقرى وقبل مبارحته تلك الناحية احرق مدينة نيويورك التابعة لكندا ٠ بيد ان ذلك عاد بالخسارة على شمالي ولاية نيويورك لان الجيوش الانكليزية والهنود عبرت النهر وامتلكت نياغرا ٠واحرقوا مدينة يونغستون ولوستون ومانشستر وبلاك روك وبفلو

وفي غضون سنة ١٨١٣ كانت انكلترا الفائزة في المعارك البحرية التي نشبت بين اسطولها والاسطول الاميركي ٠ وقد انفقت كلتا الدولتين اموالا طائلة وهدرت دماء غزيرة في تلك المعامع

وعام ١٨١٤ حاول الاميركان غزو كندا ثانية فزحف الجنرالان سكت وربلي بثلاثة الاف جندي وعبروا نياغرا من بلاك روك الى قلعة ايري التي سلمت اليهم بلا قتال وكان عدد حاميتها مايتين ٠وفي اليوم التالي التقوا بالجيش الانكليزي الذي كان يقوده الجنرال رايل والتحم الفريقان بالقتال ففاز الاميركيون الذين خسروا ٣٨٣ قتيلا فتقهقر الجنرال رايل الى كوينزتون اولا ثم الى نجاء برلنتن ٠واوفد الجنرال سكت الاميركي قائد جناح جيشه الايمن لمراقبة حركات العدو ٠ فما عتم حتى اصبح في خامس وعشرين تموز ازاء الجيش الانكليزي النازل قرب نياغرا فولز حيث جرت اعظم معركة في تاريخ تلك الحرب ٠ وقد دام القائد الاميركي على رغم حرج موقفه وقلة عدد جيشه محافظا على مركزه حتى وافته النجدة ٠ وعندما حمي وطيس

القتال تقدمت فرقة اميركية من موءخرة الجيش الانكليزي فاسرت الجنرال رايل وكل رجا لحاشيته ومع ذلك استمرت المعركة ٠وكان المعبر الى مركز الانكليز مرتفعات تحميها البطاريات فدعا الجنرال برون جيمس ملر اليه واشار بيده الى المرتفعات وقال «سر بفرقتك واطحن تلك البطاريات »فاجابه ذلك الشجاع بقوله «ساجرب ذلك يامولاي »ولقد افلح في احتلال مركز الانكليز والثبات فيه على رغم اعادة الانكليز الكرة عليه ثلاث مرات واخيرا اندحروا بخسارة ٨٧٣ رجلا ٠وكان عدد جيشهم خمسة الاف ٠اما الجيش الاميركي الذي خاض غمار تلك الموقعة فكان اربعة الاف وبلغت خسارته بين قتيل وجريح ومفقود ثمانماية رجل

وبعد موقعة نياغرا المذكورة او موقعة لندزلين كما يدعونها احيانا تولى قيادة الجيش الاميركي الجنرال ربلي لان الجنرالين برون وسكوت جرحا في تلك المعركة ٠ وتراجعوا من هناك الى قلعة ايري وانضم الى الجيش الاميركي الجنرال جنيس من بفلوبفرقته وتولى قيادة الجيش الاميركي كله ٠ وقد هاجم الانكليز القلعة المذكورة ولكنهم دحروا عنها بخسارة كبيرة ٠ غير ان ذلك لم يثبط عزائمهم ٠ فلما وافتهم النجدات عادواالى حصار القلعة ثانية وشرعوا يطلقون عليها قنابلهم والاميركان يجيبونهم بالمثل الى ان جرح القائد جنيس وتنحى عن القيادة فتولاها مكانه الجنرال برون مع انه لم يكن بعد قد برا من جرحه ٠وفي ٧ ايلول حمل الانكليز حملة عنيفة على الاميركيين فصدوهم واعادوهم القهقرى ٠وفي نفس الوقت ذاع بان الجنرال ايزرد الاميركي قادم بفرقته من بتسبرغ لنجدة جيش قلعة ايري فذعر الانكليز من ذلك وخشوا شر الانكسار فرفعوا الحصار وعادوا الى قلعة جورج ٠ وفي خامس تشرين الثاني اخلى الاميركيون قلعة ايري ودمروها وعادوا الى مشتاهم في بفلو وكان بذلك نهاية القتال في الاماكن الواقعة بين بحيرتي ايري واونتاريو

وصرف جيش الشمال شتاء سنة ١٨١٣ــ١٤ في فرنش ملز التي دعيت بعد ذلك فورت كوفنتن ٠ وفي اواخر شباط تقدم الجنرل ولكنسن بقواته الى بلاتسبرغ وفي الشهر التالي ابتدا بالزحف لاكتساح كندا ٠ ولما بلغ الى بلدة لاكول التقى بالجيش الانكليزي وجرت هناك موقعة بين الجيشين دحر فيها ولكنسن فعاد بجيشه الى بلاتسبرغ حيث تنحى عن القيادة وتولاها مكانه الجنرال ايزارد ٠ وقد مر الخبر عنه كيف ذهب نجدة الجنرال برون في قلعة ايري ٠ وقد تبقى في فلاتسبرغ من جيش الشمال الف وخمسماية من خيرة الجنود تولى قيادتهم الجنرال مكوم ٠ وكان آنئذ الاسطول الاميركي المعقود اللواء على الكومودور مكدونو جائلا في بحيرة شامبلين فاراد الانكليز تحطيمه ٠ فسار الجنرال بريفوست باربعة عشر الف جندي الى شمالي ولاية نيويورك بينما الاسطول الانكليزي بقيادة الكومندور دوني تقدم ماخرا في نهر سورل

ونقدمت قوات الانكليز حتى بلاتسبرغ بدون مقاومة ٠ وكان الاسطول الاميركي راسيا في الخليج ٠ وفي سادس ايلول تراجع الجنرال مكوم بجيشه القليل الشجاع الى الضفة الجنوبية من نهر سارناك المتاخم البلدة فتبعهم الانكليز وحاولوا عبور النهر فصدهم الاميركيون ٠ فاعادوا الكرة اربع مرات فلم يفلحوا لان الاميركيين نسفوا سائر الجسور والمعابر فغدا العبور متعذرا ٠ وفي تلك الاونة وصل الاسطول الانكليزي وهو على اتم الاستعداد للقتال وعينوا اليوم الحادي عشر من الشهر يوما للموقعة مزدوجة في البر والبحر فابتدات الموقعة البحرية اولا ودامت مدة ساعتين ونصف ٠ واسفرت عن قتل دوني ومعظم ضباطه وتعطيل اكبر دارعة انكليزية بينما السفن الاخرى ولت الادبار ٠ ولم يستطع الاميركيون اللحاق بها ٠ وكانت نصرة الاميركيين في تلك الموقعة تامة ومجيدة فلما بلغ الجنود خبر ذلك الانتصار تشددت عزائمهم فثابروا على صد هجمات الانكليز مع انه لم يكن نسبة بين الفريقين في العدد ٠ وفشل الانكليز فشلا ادى

بقائدهم الى الاستعفاء من القيادة وكانت خسارتهم عظيمة ٠ ولما علمت وزارة الخارجية بانكلترا ما حل بجيشها وما تكبدت من الخسائر رغبت في الصلح

اما في ضواحي نهر شاسبيك فجدد الانكليز مأساة السنة الغابرة ٠ ففي اواخر الصيف بلغ الى شواطئ فرجينيا الاميرال كوشرين باسطول مؤلف من اثنتي وعشرين سفينة مختلفة الطراز ٠ وجاء مع الاسطول الجنرال روس باربعة الاف جندي مدرب اما الاسطول الاميركي بقيادة الكومندور بارني فلم يكن في استطاعته مقاومة تلك القوة العظمى ٠ فدخلت سفن العدو نهر شاسبيك بغية مهاجمة واشنطن العاصمة وبلطيمور ٠ وفي ١٩ آب انزل الجنرال روس جنوده في بلدة بندكت فاضطر بارني الى تحطيم سفنه واحراقها ٠ وزحف الانكليز من بندكت على واشنطن ٠ وفي ١٤ الشهر المذكور التقوا في بلاد نسبرغ التي تبعد مسافة ستة اميال عن العاصمة بالجنود الاميركية البرية والبحرية بقيادة بارني المذكور فاشتبك الفريقان هناك بموقعة طاحنة ٠ فلم يستطع البحارة الاميركيون الثبات امام الجنود الانكليزية المدربة لعدم تعودهم خوض معامع القتال فاسروا مع قائدهم بارني ٠ فطار خبر انكسارهم الى العاصمة فهلعت قلوب سكانها وفر منها الرئيس وكبار رجال الحكومة هاربين ٠ ودخلها روس بجيشه بدون مقاومة وكان روس يحمل امرا من انكلترا بوجوب التخريب جهد المستطاع فاحرق كل البنايات المهمة خلا واحدة ٠ فاضحت دار الحكومة التي لم يكن قد تم بناؤها بعد وبيت الرئيس خرابا بلقعا ٠ واخربت بيوت اخرى عديدة ٠ وكان روس مأمورا ان يفعل اضعاف مافعل ولكنه كان رجلا على جانب من الشهامة وعزة النفس فلم يتم كل ما امر به من ذلك القبيل ٠ وانما فعل الانكليز ذلك انتقاما من الاميركيين الذين لم يكن تصرفهم في تورنتو افضل من ذلك بكثير

وبعد سقوط العاصمة بخمسة ايام ابحر قسم من الاسطول الانكليزي الى الكسندريا

فاشفق اهلوها ان يحل ببلدتهم ما حل بالعاصمة فسلموا للانكليز احدى وعشرين سفينة وستة عشر الف برميل دقيق والف رزمة دخان ٠ وسير الجنرال روس اسطوله لضرب بلطيمور التي كان قد اجتمع فيها عشرة الاف عسكري اميركي بقيادة الجنرال صموئيل سمث احد ابطال حرب الاستقلال وفي ١٢ ايلول نزلت الجنود الاميركية في نورث بوينت عند مخرج نهر باتاسكو ٠ وتقدم الاسطول ماخرا في ذلك النهر ٠ ولما صارت الجنود الانكليزية البرية في منتصف الطريق الى بلطيمور وافتهم الجنود الاميركية يقودهم الجنرال ستريكر وجرت بين الفريقين مناوشات قتل فيها الجنرال روس فتولى القيادة مكانه الكولونيل بروكس ونقدم الانكليز الى الامام فلما بلغوا حدود المدينة صدتهم نيران الاميركان عن التقدم فامر بروك جنوده ان يتحولوا الى موقف اخر تمكنوا فيه من صدهجمات الاميركيين

ووصلت العمارة الانكليزية وشرعت تقذف قنابلها على قلعة مكهنري الواقعة في مدخل المرفأ ووالت اطلاقها من شروق شمس نهار ثالث عشر ايلول الى منتصف الليل ٠ وما كانت تلك النيران المنصبة على تلك القلعة كالمزن الا لتزيد حاميتها جراة واقداما وثباتا ولما لم يفز الانكليز بما ارادوا لا برا ولا بحرا رفعوا الحصار عن بلطيمور ونكصوا راجعين

وجرت مواقع مختلفة بين الاميركيين والانكليز في اماكن متعددة لا نرى بنا حاجة لتفصيلها لعدم شهرتها التاريخية وقد اقتصرنا على ذكر ما هو اكثر اهمية وشهرة تاريخية

واخيرا شعرت كل من انكلترا واميركا بعظم الخسائر التي انتابتهما والضحايا التي قدمتاها على غير جدوى فرغبتا في الصلح ٠ وفي صيف سنة ١٨١٤ ابحر مفوضو اميركا الى مدينة جنيت من اعمال بلجيوم حيث التقوا بمندوبي انكلترا وصرفوا بضعة اشهر في المفاوضات السلمية وفي ٢٤ يلول من تلك السنة تم اتفاقهم على شروط الصلح

ووقعوا معاهدته فصادف ذلك استحسان الامتين ووقعت عند شعبيهما موقع القبول والرضى وسروا سرورا عظيما بعود السلام الى نصابه ولشدة فرحهم لم يهتموا بمعرفة بنود الصلح اعادلة هي ام مجحفة بحقوقهم لان شعب البلادين سئموا طول الحرب والكفاح وسفك الدماء والخسائر وزيادة المكوس والضرائب ووقوف دولاب الاشغال وكان حزب الديموقراط في اميركا اشد الجميع سرورا لنجاح سياستهم ومسير كل الامور طبق مشتهاهم وقد كان حبورهم مزدوجا اولا لانتصار جاكسن وثانيا لاستتباب السلام . ولا غرو ان طرب شعب الولايات المتحدة بوضع تلك الحرب اوزارها فقد كانت خسارتهم فيها ستماية وثلاث وثمانين سفينة وما ينيف على ثمانية عشر الف بحري

ولم تبرم معاهدة اكثر سخافة واشد غموضا من معاهدة جنيت وكل ما اشتملت عليه هو ان بريطانيا واميركا كانتا مشتبكتين بحرب وقد اتفقتا على الصلح . ولم يسو فيها شيء من كل الاختلافات التي شهرت الحرب لاجلها حتى ولا على سبيل الاشارة . بل انها اقتصرت على تسوية بعض حدود لا اهمية لها وعلى امتلاك بعض جـزر في خليج باصمكودي . ويظن بان انكلترا وعدت شفاها وليس كتابة بعدم تعرضها في المستقبل للامور التي جرت تلك الحرب بسببها وقد نجت السفن الاميركية التجارية من مثل التعديات التي نجمت عنها حرب سنة ١٨١٢ مدة ستين سنة . وقد استفادت اميركا من تلك الحرب ايضا الاعتراف بقوتها البحرية وفخرت الجمهورية الاميركية بان لواءها صار مكرما ومعتبرا في سائر البحور والاوقيانوسات

ولما وضعت الحرب اوزارها كانت البلاد مديونة بمبلغ ماية مليون دولار والعسر المالي ضرب اطنابه في البلاد . ورخصة مصرف الولايات المتحدة انتهت سنة ١٨١١ . وفي السنة التالية لوضع الحرب اوزارها قرر الكونغرس تجديد رخصة مصرف الولايات

المتحدة وجعل راس ماله خمسة وثلاثين مليون دولار · وفتحت له فروع في مدن مختلفة فما جاءت سنة ١٨١٧ حتى تحسنت احوال البلاد المادية والتجارية ·وفي تلك الاونة كانت الولايات المتحدة مشتبكة بحرب اجنبية اخرى وهاك خلاصة ما جرى

في اثناء اشتباك الولايات المتحدة بالحرب مع انكلترا عاد قرصان المغاربة الى تعديهم على السفن الاميركية التجارية · فلما تم الصلح مع انكلترا امرت حكومة اميركا الكمندور دكتشر ان يبحر باسطوله الى البحر المتوسط ويستأصل شأفة اولئك اللصوص وفي ١٧ حزيران كان دكتشر جائلا بسفنه قرب جبل طارق فصاد فاكبر بارجة من عمارة المغاربة فتبادل اطلاق النيران معها مدة عشرين دقيقة ثم اضطر المغاربة الى التسليم بعد ان قتل اميرالهم وثلاثون معه والبقية وعددهم اربعماية اخذهم الامير كان اسرى وفي ١٩ الشهر المذكور اسر دكتشر بارجة اخرى محمولها عشرون مدفعا وعدد بحارتها ماية وثمانية ·وبعد بضعة ايام اقلع الى خليج الجيريا واملى على حاكمها الذي كان يرتجف خوفا ورعبا شروط الصلح وارغمه على عتق الاسرى الاميركيين بدون فدية وان يعدل عن طلب جزية كما في السابق وان يتعهد بالا تتعدى سفنه وقرصان بلاده على السفن التجارية الاميركية في المستقبل وابحر دكتشر من هناك الى تونس وطرابلس الغرب وارغم حاكميها على التعهد بعدم التعرض للسفن الاميركية وعلى دفع مبالغ باهظة جزاء مخالفتها الشرائع الدولية · فوقعت رهبة وخشية اميركا في قلوب شعوب تلك البلاد وما زالت ·

وختمت مدة رئاسة مادسن المحفوفة بالاضطرابات والمشاغب بانضمام ولاية انديانا وهي اصغر الولايات الغربية الى الاتحاد الاميركي وذلك في كانون الاول سنة ١٨١٦ وفي نحو ذلك الوقت انشئت جمعية الولايات المتحدة الاستعمارية فانخرط في سلك اعضائها عدد وافر من كبار رجال اميركا وغايتها ايجاد ملجاء في اي قسم من المعمور

لاجل العبيد الاحرار فاختيرت ليبيريا على شاطيء افريقيا الغربي لتلك الغاية . فانشيء فيها نوع من الحكم الجمهوري وتسارع المهاجرون اليها بالعشرات والمئات حتى غصت بالسكان من الزنوج فدعوا عاصمتها منروفا اكراما لجيمس منرو الذي انتخب رئيسا للولايات المتحدة في خريف سنة ١٨١٦ خلفا للرئيس مادسن وانتخب دانيال تومبكن من نيويورك نائب رئيس

الفصل الرابع والاربعون

ـــ(حكم الرئيس منرو)ـــ

كان منزع سياسة الرئيس الجديد وحاشيته ديموقراطيا . وتمشى الخلف على سياسة السلف . وقد عقب عاصف الاضطرابات السياسية التي حدثت بمدة رئاسة مادسن سكون وسلام مدة سنوات عديدة . والرئيس الجديد من فرجينيا وهو رجل ذو مواهب سامية ومقدرة عظيمة على العمل وقد كان في عداد الجنود الذين خاضوا غمرات معارك حرب الاستقلال وانتخب عضوا في مجلس النواب وبعد ذلك في مجلس الشيوخ . وتولى منصب حاكم فرجينيا . وقد انتدب من قبل حكومته مفوضا الى فرنسا بمهمات سياسية وشغل منصب سفير عن دولته لدى حكومة انكلترا . وفي مدة رئاسة مادسن تعين وزيرا للخارجية . اما وزراء وكبار موظفي الحكومة في زمن منرو فكانوا جان كونسي ادمز وزير الخارجية ووليم كروفرد وزير المالية وجان كلهون وزير الحربية



—(جيمس منرو)—

ووليم ورت مدعيا عموميا ومما يليق ذكره هو ان كل اصحاب تلك المناصب تناسوا اختلافاتهم السياسية وعملوا يدا واحدة على وفاء دين الامة وقد ساعدتهم الظروف على ذلك بزمن قصير · فان الاشغال راجت رواجا يذكر والحكومة اقتصدت في مصارفاتها وعدد السكان ازداد والثروة تضاعفت · فكان من ذلك وفاء الدين بتمامه

وفي الصيف الاول من رئاسة منرو وجهت الولايات المتحدة التفاتها الى مملكة هايتي الصغيرة الواقعة في القسم الشمالي من سان دومينكو · وكان حاكمها خريستوفور شديد الرغبة في ان اميركا تعترف باستقلال هايتي خوفا من ان لويس الثالث عشر

البوربوني الذي عاد الى تولي عرش فرنسا يدعي بانها قسم من مملكته · فاوفد خريستوفور معتمدا الى الولايات المتحدة لتحقيق امنيته فاستقبل الرئيس منرو ذلك المعتمد بالترحاب وارسل مفوضا الى هايتي لابرام معاهدة تجارية مع حكومتها · ولكن الهيتيين ابوا المفاوضة معه بذلك الشان الا اذ كان معينا سفيرا رسميا لدولته التي اذا ارسلت سفيرا الى هايتي تكون قد اعترفت رسميا باستقلالها

وفي ايلول من تلك السنة ابرمت معاهدة مهمة مع قبائل الهنود الضاربة بما كان يعرف قبلا بالمقاطعة الشمالية الغربية فابتاعت الولايات المتحدة من تلك القبائل نحو اربعة ملايين فدان ارض معظمها خصيب بمبلغ اربعة عشر الف دولار نقدتها لرؤساء تلك القبائل اما العشائر التي لها علاقة بتلك المعاهدة فهي عشيرة الويندوس ودلاوير وسنكايس وشاونيز وغيرها · وابقى الهنود لانفسهم باستحسان الحكومة نحو ثلاثة الاف فدان ارض فارتأت الحكومة انه اذا سكن الهنود في اماكن محاطة بمزارع الاميركان تتروض اخلاقهم ويتمدنون بالمخالطة والمعاشرة على ان تلك الفكرة كانت عديمة الجدوى · فان تلك القبائل الوحشية التي تعودت سكنى القفار مئات الاعوام وصارت اخلاقها وحشية اكثر منها بشرية يعسر ان لم يستحل تغيير اخلاقها وتهذيبها

وسنة ١٨١٧ تحولت مقاطعة مسسبي الى ولاية بنفس الاسم وانضمت الى الاتحاد الاميركي · ومساحة الولاية الجديدة ٤٧ الف ميل مربع وعدد سكانها ٦٥ الف نفس وفي تلك الاونة الفت نظر الحكومة الى زمرة من القرصان قاطنة في جزيرة اماليا قرب شاطيء فلوردا من جهة الشمال الغربي · فارسلت الولايات المتحدة قوة بحرية فرقت شملهم واخربت ديارهم · وفعلت مثل ذلك بعصابة اخرى كانت في جزيرة كلافستون بالقرب من شاطيء ولاية تكساس

وفي السنة الاولى من رئاسة منرو لهجت الالسنة كثيرا بذكر الاصلاح الداخلي

وكون املاك الولايات المتحدة مترامية الاطراف واسعة الحدود اقتضى ايجاد طرق لتسهيل المواصلات وربط البلاد ببعضها ولتسهيل نقل محصولات الجهة الواحدة الى الاخرى • فهل يمكن ان يتم ذلك بدون سكك حديدية وترعات — كلا — وهل كان يجوز للكونغرس الانفاق من خزينة الدولة لاتمام ذلك • ان حكم جفرسن ومادسن اجاب على هذا السوال سلبا • ولم يكن منرو بذلك اسعد حظا من سلفيه فان الاكثرية في الكونغرس كانت مقاومة ذلك • ولكن بعد زمن قصير اجاز الكونغرس لائحة تجيز دفع نفقات فتح طريق عمومية من كمبرلاند الى هويلن من خزينة الحكومة • اما النفقات اللازمة للاصلاحات العمومية فاحيلت الى الولايات فاخذت ولاية نيويورك القيادة وحفرت ترعة باهرة ممتدة من بفلو الى البني وطولها ٣٦٣ ميلا • وقد بلغت نفقات ذلك العمل العظيم سبعة ملايين دولار ونصف وانتهى العمل منها في السنة الثامنة من رئاسة منرو

وفي اواخر سنة ١٨١٧ دبت في الهنود القاطنين على حدود جيورجيا والاباما روح الخصام والنزوع الى القتال • وناصرتهم زمرة من ابقي الزنوج ومن الخونة البطالين فاوفدت الحكومة الجنرال جيمس قائد فرقة حرس مرابطة على نهر فلنت لتأديبهم فسارو بعد ان اخرب بضع قرى ومزارع راى ان قوته غير كافية لقطع دابر المفسدين الثائرين • فامر الجنرال جاكسن ان تجمع جنود من الولايات يكون عددها كافيا لتأديب العصاة واخماد نار الثورة • ولكن جيمس المذكور كان شديد الاعتداد بنفسه فبدلا من ان يرضخ لامر الجنرال جاكسن ركب في مقدمة الف فارس من غربي تناسي في ربيع سنة ١٨١٨ ودخل اراضي الثائرين الذين خشوا نزاله وكانوا يلقبونه «بالمدية الكبرى»

وبينما كان جيمس في تلك الحملة دخل فلوردا واحتل مركزا للاسبان على نهر

سانت مارك وكان ذلك ضروريا لنجاح مقصده وهو تذليل الهنود فانتقلت الحامية الاسبانية من ذلك المركزالى بنساكولا · وقبض جيمس هناك على رجلين انكليزيين اتهما انهما اللذان اذكيا ضرام الفتنة فحوكما وحكم عليهما بالاعدام شنقا · وتقدم جيمس من هناك لافتتاح مدينة بنساكولا التي احتلها الاسبانيون · فاحتلها وافتتح ايضا حصن برناكاس بعد حصاره وارسل الحكام الاسبانيين الى هفانا · فاحدثت اعمال جيمس ضجة عظيمة في البلاد · واغتنم اعداوءه فرصة الطعن عليه وتسفيه رايه · بيد ان الرئيس واعضاء الكونغرس استصوبوا عمله وامتدحوه · وقد ارسل ملك اسبانيا احتجاجا على تلك الاعمال العداونية التي لا مسوغ لها · غير ان احتجاجه لم يصادف انتباها وراى ان الحرب في سبيل الدفاع عن تلك البقعة التي لدولته في اميركا تكلف اضعاف قيمتها فطلب ان يتخلى عنها للولايات المتحدة · وبعد تبادل المخابرات بين الحكومتين ابرمت معاهدة بينهما فاصبح بموجبها شرقي وغربي فلوردا والجزر المجاورة ملكا للولايات المتحدة · وبتلك المعاهدة نفسها وضعت حدود مكسكو الشرقية التي تنتهي عند نهر سابين

وتمتاز مدة رئاسة منرو بوفرة عدد الولايات التي انضمت الى الاتحاد الاميركي ففي سنة ١٨١٨انضمت اليه ولاية النيوز وهي الولاية الحادية والعشرون ومساحتها تربوعن الخمسة وخمسين الف ميل مربع وعدد سكانها انئذ ٤٧ الف نسمة وفي ك ١ من السنة التاليةانضمت ولاية الاباما ايضا وعدد سكانها ١٢٥ الف نفس ومساحتها نحو ٥١ الف ميل مربع ·ونحو ذلك الوقت تحولت مقاطعة اركنساس الى ولاية · وفي اوائل سنة ١٨٢٠ انفصلت ايالة ماين عن ولاية مساتشوستس وقد كانت تابعة لها منذ سنة ١٦٥٢ وتحولت الى ولاية ودخلت في عداد الولايات الاميركية وكان عدد سكانها ٩٨ الف نسمة ومساحتها ٥٣ الف ميل مربع · وفي شهر اب سنة ١٨٢١انتظمت

ولاية مزوري العظيمة في عقد الولايات المتحدة ايضا ومساحتها ٦٧ الف ميل مربع وعدد سكانها ٧٤ الف نسمة وهي الولاية الرابعة والعشرون وحدث في الاقتراع على قبول مزوري في عداد الولايات الاميركية مناقشات عنيفة دار محورها بالاكثر على مسالة الاسترقاق وكاد يفضي الجدال الى نزق وخصام وفصم عرى الاتحـاد لولا مداركة العقلاء الامر وتسوية الخلاف بالحسنى .

وزادت موارد الرزق في مدة رئاسة منرو ورتع الناس في بحبوحة الرغد والهناء على رغم انقال الحرب السابقة كاهل الامة بديون باهظة ٠ وكان السرور والارتياح انى سياسة منرو شاملا حتى انهم اعادوا انتخابه للرئاسة في خريف سنة ١٨٢٠ وتجددت ايضا مدة تومبكين نائبه ٠ وما كادت الحكومة تنتهي من تسوية الخلاف على ادخال ولاية مزوري في الاتحاد الاميركي حتى افتت انظارها الى القرصان في وست انديز الذين كانوا يوالون تعدياتهم على السفن الاميركية فسيرت الحكومة البارجة «كونغرس وثمانية سفن اخرى لاستئصال شافة اولئك اللصوص ٠ فاستولت العمارة الاميركية في خلال سنة على اكثر من عشرين سفينة للقرصان ٠ وفي الصيف التالي ارسل الكومودور بورتر باسطول كبير للتجول في ضواحي جزيرة كوبا وما يجاورها من الجزر فقمع بذلك شوكة القرصان واباده حتى لم تبقى لهم بقية

وفي تلك الاثناء انفجرت براكين الفتن والثورات في اميركا الجنوبية ٠ فمنذ عهد بيزارو كانت اقاليمها تحت سلطة الدول الاوروبية اما الان فهب السكـان لطلب الاستقلال بدم الابطال وقوة الصارم البتار وكان شعب الولايات المتحدة راضيا عن ذلك لانه ذاق طعم الراحة والاستقلال والانفلات من ربقة ذوي التيجان والصولجان واعترفت الجمهورية الاميركية باستقلال جمهوريات اميركا الجنوبية سنة ١٨٢٢ ٠ وفي السنة التالية ارسل الرئيس منرو رسالته الى الكونغرس وكانت شديدة اللهجة

ومما جاء فيها انه لا يحق في المستقبل لاية دولة اوروبية انشاء مستعمرة في قارتي اميركا الشمالية والجنوبية وذلك التصريح هو المعروف في الدوائر السياسية «بشريعة منرو» وبموجبها يغدو القسم الغربي من الكرة الارضية حرا من سلطان سائر ممالك القسم الشرقي وتبقى «اميركا للاميركيين»

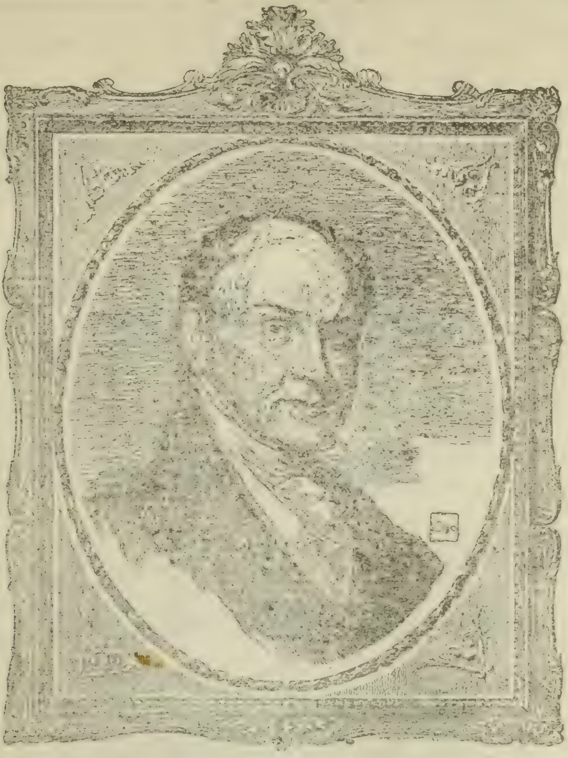
وقد شمل الامة الاميركية جمعاء سرور عظيم سنة ١٨٢٤ بزيارة لافيات القائد العظيم والبطل المغوار ديارهم وهو الذي خاض غمار المعارك وجاهد حتى الدم في سبيل استقلالهم وقد كلله المشيب فزاده وقارا واجلالا · فتألب حوله من بقي حيا من الرجال الذين حاربوا الى جانبه او تحت قيادته واكرموا وفادته والتف حوله ايضا الابطال وكبار الضباط وهم معجبون ببطل بلادهم وموجد استقلالهم · واين توجه كانت الجماهير تجتمع الوفا لتحته واطرائه · فكان تجوله في البلاد مبعث سرور شامل وفرح عميم أما وقوفه منفردا على قبر جورج واشنطن فامر لايجد الواصف مجالا لوصفه بما تجلى هناك من الهيبة والوقار والجلال ·وقد سكب الافرنسي دمعا سخيا هو اللوءلوء الغالي على ضريح الامير كي اب بلاده ومحرر شعبه ولامشاحة فهل يعرف قدر العظماء سوى العظيم وسنة ١٨٢٥ ودع شعب الولايات المتحدة الوداع الاخير وقفل راجعا الى بلاده مبقياله في الديار الاميركية ذكرا لا تمحوه كرور الاعوام او توالي الايام

وقبل ان يبارح لافيات اميركا تم انتخاب رئيس لها · وكان ذلك الانتخاب محفوفا باضطرابات جمة وتحزبات كثيرة · فقد كان عدد المرشحين للرئاسة اربعة فكان مرشح الولايات الشرقية جان كونسي ادمس · ومرشح الولايات الجنوبية وليم كروفرد من جيورجيا ومرشحا الولايات الغربية هنري كلاي واندرو جاكسن فلم يفز احد هوءلاء باكثرية الاصوات ففوض الامر للمرة الثانية في تاريخ حكومة اميركا الى مجلس النواب فانتخب المستر ادمس رئيسا وجان كلهون من سوث كارولينا نائب

الفصل الخامس والاربعون

ــرئاسة جان كونسي ادمس من سنة ١٨٢٥ ــ ١٨٢٩ــ

تم تنصيب الرئيس الجديد في رابع شهر اذار سنة ١٨٢٥ · وقد كان رجلا ضليعا في العلوم والمعارف وسياسيامحنكا ·ولما كان في الحادية والعشرين من عمره صحب اباه في سفره الى اوروبا · وفي مدة اقامة والده في مدينة باريس وامستردام وبطرسبرج كان مع مواظبته على الدروس المفروضة في افضل مدارس تلك المدن يتخرج في سياسة العالم القديم ويدرسها درسا مدققا حتى غدا ضليعا في سائر انواع السياسة ·ولم تذهب تلك الفرصة سدى وعلى غير جدوى بل انه لما بلغ اشده شرع في خدمة بلاده فتعين سفيرا لها في عدة عواصم اوروبية وبرهن في كل مدة خدمته على انه افضل سفير خدم الولايات المتحدة منذ صيرورتها جمهورية مستقلة و كان يحق لها المفاخرة به وبمعارفه السامية وحنكته النادرة وصرف من سنة ١٧٩٤ الى سنة ١٨١٧ في خدمة بلاده كسفير في عواصم متعددة من اوروبا كما تقدم · والبلاد التي كانت اما تتردد في التحالف مع الولايات المتحدة او يبدو فيها نفور منها كان يرسل ادمس الى عاصمتها فيمهد العقبات ويزيل الصعاب بحكمته ودربته ويخرج وبيده معاهدة موقعة من حكومة تلك البلاد وفيها ما فيها من المنافع لبلاده وحكومته · وسنه ١٨٠٦ اكرمته كلية هارفرد التي هو



ــ(جان كونسي ادمس)ــ

احد خرجيها برتبة استاذ في علم الفصاحة والبيان والادب ٠وقد تعين عضوا في مجلس الشيوخ عن ولاية مساتشوستس ولما انتخب منرو رئيسا اسندت اليه وزارة الخارجية ٠ ولما ارتقى كرسي الرئاسة كان قد بلغ درجة عليا من العلوم والحكمة والخبرة السياسية وحسن الادارة وغير ذلك من الصفات النادرة والممدوحة

وحدث اختلاف دام نحو ربع قرن بين حكومة الولايات المتحدة وولاية جيورجيا بشأن الاراضي التي كانت في حوزة قبيلة كريك في تلك الولاية وذلك انه عندما تنازلت جيورجيا سنة ١٨٠٢ عن المطالبة بما خصها من الاملاك في مقاطعة مسسبي

تعهدت الحكومة لها بمشترى كل املاك الهنود المذكورة الداخلة في حدود جيورجيا واعطائها لها غير ان الحكومة لم تبر بوعدها فاحتجت عليها الولاية وبلغ الاختلاف اشده الى ان في سنة ١٨٢٦ ابرمت معاهدة بين زعماء قبيلة الكريك ورئيس الولايات المتحدة وتخلى الهنود عن اراضيهم فدخلت في حوزة جيورجيا وهم نزحوا من هناك الى عابر نهر مسسبي

وفي رابع تموز سنة ١٨٢٦ وذلك بعد مرور خمسين سنة على اعلان حرية الولايات المتحدة توفي جان ادمس الرئيس الثاني للولايات المتحدة وتوفي ايضا خليفته طوماس جفرسن وكلاهما من اشد المجاهدين في سبيل نيل الحرية · فاحدهما دوّن منشور الاستقلال بيده وكلاهما من جملة الذين وقعوه وكلاهما اسعدهما الحظ بان عاشا ليريا استقلال بلادهما وقد خدماها بتقلدهما اعلى وظيفة فيها وكلاهما عاشا عمرا طويلا فادمس عاش تسعين سنة وجفرسن خمس وثمانين · فعندما اطلقت المدافع ايذانا بحلول سنة سنة الخمسين على شهر الاستقلال في تلك اللحظة اسلم ذانك الوطنيان الغيوران روحيهما وذلك من غرائب الصدف

وفي شهر ايلول من تلك السنة توارى وليم مورغن المقيم في غربي نيويورك من بيته فجاة ولم يقف له احد على خبر وكان قد توعد بانه سينشر ويذيع اسرار الماسونية التي كان هو من اتباعها · فوقعت الشبهة في اختفائه على جماعة الماسون واتهموا بانهم هم الذين اغتالوه · فثار ثائر الشعب في نيويورك على اتباع تلك الشيعة وهاج الشعب ضدهم في اقسام اخرى من البلاد ولبس الاختلاف بين الماسون وخصومهم صبغة سياسية وقد دخل في ذلك المعترك عدد من الرجال ذوي المكانة والمنزلة العليا · وفاز خصوم الماسون بالسيطرة على انتخابات البلاد مدة عدة سنين · وكان ديوت كلنتن من اشهر السياسيين واقدر رجال نيويورك مع ذلك فقد شهرته لمجرد كونه ماسونيا ولطخوا اسمه بعار كانوا

يتهمون الماسون به

وفي جلسات الكونغرس خلال سنة ١٨٢٨ دارت المناقشات بشأن تعريفة الجمرك وكان المقصود بوضع التعريفة امرين احدهما ايجاد ايراد للدولة والاخرى لكي يغلو ثمن البضائع الغريبة فيغدو مضارعا لثمن البضائع الوطنية فلا يعودون يشترونها من الخارج بل يكتفون بالمصنوعات الوطنية واطلقوا على الرسم المضروب بحسب القصد الاخير اسم «تعريفة الحماية» فمسألة هل لاية دولة ان تضع على الواردات الاجنبية «رسم حماية» قد شغلت دوائر سائر الحكومات المتمدنة. اما الرئيس ادمس وانصاره فقرروا وجوب وضع تعريفة • وسنة ١٨٢٨ رفعوا الرسوم الجمركية على منسوجات الصوف والكتان والقطن والحرير والادوات الحديدية والرصاصية الخ الواردة من خارج الولايات المتحدة وذلك لحماية المصانع الوطنية من مزاحمات الاجانب فتلقى سكان الولايات الشرقية والمتوسطة حيث يكثر عدد المصانع والمعامل خبر تلك التعريفة بكل ارتياح اما ولايات الجنوب والغرب ومعظمها زراعية فاستهجنتها

ان رئاسة جان كونسي ادمس كانت بداية عصر جديد في تاريخ الولايات المتحدة فالامور الثوروية لم يعد لها علاقة في قيادة الراي العام ولم تعد تؤثر شيئا في حل المشاكل الوطنية • حتى ان حرب سنة ١٨١٢ وما رافقها من الحوادث لم تعد عالقة في الازهان • فتبدل ذوق الشعب وامياله وحلت فيه روح جديدة غيرت امياله وعواطفه السابقة وبدلتها تبديلا • والاحزاب القديمة تلاشت وعلى الاجمال ان الشعب تغير بجملته بما يختص بالمشارب والاذواق والاميال والعادات والسياسة وغير ذلك

وفي خريف سنة ١٨٢٨ حان وقت الانتخابات للرئاسة والنيابة • فحدثت ضجة عظيمة في انحاء البلاد فالمستر ادمس يناصره المستر كلاي وزير الخارجية ترشح للانتخاب ثانية والحزب المعارض رشح الجنرال جاكسن الذي نال اكثرية الاصوات فانتخب

رئيسا ٠ ولما انتهى الانتخاب هدا الضجيج وعاد كل الى مزاولة اعماله حسب العادة

الفصل السادس والاربعون

ـــ(رئاسة جاكسن من سنة ١٨٢٩ الى سنة ١٨٣٧)ـــ

ولد الرئيس الجديد في مدينة واكسهو من ولاية نورث كارولينا في ١٥ اذار سنة ١٧٦٧ وظهر فيه منذ صبوته ميل الى الحرب والجلاد ٠ ولم تكن له رغبة في الخدمة الروحية التي كانت والدته ترغبه بها وتعده لها ٠ ولما كان بعد في الربيع الثالث عشر من عمره تقلد السلاح ودخل ميادين القتال وقد شهد موقعة هنتسروك التي غلب فيها القائد سمتر ورجاله ووقع جاكسن اسيرا بيد الانكليز فاساؤوا معاملته وتركوه لكي يموت فريدا بداء الجدري الذي اعتراه ٠ غير ان امه افتدته فاخرج من السجن واُطلق سراحه ٠ وبعد الثورة انكب على درس الشريعة ولما بلغ الحادية والعشرين من عمره ٠ دخل في عداد طلبة كلية ناشفل ٠ وسنة ١٧٩٦ انتخب عضوا في مجلس النواب عن تناسي وهناك بدات مواهبه في الظهور باوضح مجاليها ٠ وفي السنة التالية ارتقى الى عضوية مجلس الشيوخ حيث بقي سنة كاملة لم يلق خطابا او يشترك في التصويت ٠ ثم استعفى مركزه وعاد الى وطنه ٠ ومما اتاه من الاعمال المجيدة بعد ذلك يؤلف قسما من تاريخ هذه البلاد ٠ سيما في الجهات الجنوبية والغربية حيث غدا اسمه مشهورا وقد تم انتخابه رئيسا بسبب شهرته الحربية ٠ وكان له من الصفات الحميدة ما يندر



—(اندرو جاكسن)—

وجوده في رجل واحد كالمحبة الشديدة لوطنه والاستقامة والامانة وما اشبه من الصفات الممدوحة · وكانت مواهبه عظيمة ولكنها تحتاج الى بعض التلطيف · وقد كان قوي الارادة شديد العارضة كبير الهمة ودامغ الحجة وسديد البرهان· وهومن جملة الرجال القلائل الذين لا تفل عزيمتهم الصعاب ولا يثبط عزمهم امر مهما كان · وهو ذوهيبة ووقار لا يسع مجالسه الا الشعور بهما · ورأى ان امور الحكومة لا تستقيم الا بوجود رجال اكفاء للعمل وذوي صفات تنطبق على ذوقه ومشربه فخلع سبعماية موظف من وظائف مختلفة لم ير فيهم الاهلية للعمل وجعل اخرين في مناصبهم ممن كانت سياستهم

موافقة لامياله او كانوا من انصاره واشياعه · وقد اقتفى اثاره بذلك خلفاوءه حتى الحرب الاهلية

وفي رسالته الاولى الى الكونغرس عارض بكل قوته اعطاء رخصة جديدة لمصرف الولايات المتحدة بعد انتهاء مدة الرخصة الاولى سنة ١٨٣٦ بيد ان انصار المصرف الذي كانت له فروع عديدة في انحاء البلاد كانوا كثيرين وعليه ففي سنة ١٨٣٢ عرضت على المجلس لائحة تتضمن طلب تجديد رخصة للمصرف المذكور فناصرها قسم من الاعضاء ولكنها لم تنل ثلثي الاصوات وكان الرئيس معاكسالها فرفضت والتزم المصرف ان يقفل ابوابه عند انتهاء مدته ·

وطرحت مسالة التعريفة الجمركية على بساط البحث في الكونغرس فكان للمناقشة بشانها دوي عظيم ردد صداه في اطراف البلاد · وفي جلسة الكونغرس الرسمية من سنة ١٨٣١ ـــ ٣٢ تقرر زيادة الرسوم على البضائع الاجنبية فسرت بذلك الولايات ذات المصانع كما مر واستاءت الولايات الزراعية سيما ولاية سوث كارولينا فقد ابدت استياء اعظم من سائر الولايات فعقد شعبها اجتماعا عاما وقرروا بان تلك الشريعة غير مدونة في الدستور الاساسي فهي لذلك لغو ولا يعمل بها وتهددوا المأمورين بالقتل اذا هم طلبوا رسوما على ما يرد من البضائع الاجنبية الى ميناء شارلستون · وكان مجلس الشيوخ قد صرح بانه يسوغ للولاية نقض والغاء ما يقرره الكونغرس اذا كان مجحفا بحقوقها وحول هذا المحور دار الجدال المشهور بين الكولونيل هاين الشهير احد اعضاء مجلس الشيوخ من سوث كارولينا ودانيال وبستر من مساتشوستس المعدود افصح وابلغ خطباء عصره فالاول اخذ جانب الحكومة والاخر جانب سلطة الدستور

غير ان ذلك الخلاف لا يسوى بمجرد الجدال والمناقشة بل ان الرئيس نفسه اخذ الامر على عاتقه واصدر منشورا انكر فيه على الولاية حق الغاء قرارات وشرائـــع

الكونغرس · فشق ذلك على كلهون نائب الرئيس فاستقال من منصبه ودخل في عداد اعضاء مجلس الشيوخ للاشتراك في المدافعة عن حقوق ولايته ·اما الرئيس جاكسن · فانذر شعب سوث كارولينا ان يكفوا عن ذلك الادعاء وارسل بارجة حربية الى ميناء شارلستون كما انه سير فرقة من الجيش بقيادة الجنرال سكوت الى سوث كارولينا لاخضاع شعبها بالقوة اذا هم لم يذعنوا لانذاره · غير انهم اذعنوا اخيرا وانقشعت تلك الغمامة بدون سفك دم·وعملوا ترضية لشعب الجنوب بانهم يخفضون الرسوم الجمركية تدريجا حتى تصبح بعد مضي عشر سنوات على ما يريدون

وجرت معارك دموية عديدة بين الاميركيين وهنود مقاطعة وسكنسن وهنود ولايتي جيورجيا وفلوردا وكلها انتهت بفوز الاميركيين واحباط مساعي الهنود الذين كانوا يحلمون بالاتحاد والتعاضد لخضد شوكة البيض واسترجاع الاراضي التي سلبوهم اياها

ولا نرى من حاجة لتفصيل ما فعله الرئيس لجهة المصارف وتوزيع النقود عليها ونحو ذلك مما لا اهمية تاريخية له ·وقد اعيد انتخاب جاكسن للرئاسة ثانية وانتخبوا فان بيورن نائب رئيس عوضا عن كلهون

مر بنا ان الرئيس جاكسن كان قوي الارادة شديد المعارضة وقد ادى ذلك الى الشجار مع دولة فرنسا · وتفصيل ذلك هو ان حكومة الولايات المتحدة كانت منذ زمن طويل تطالب فرنسا بان تعيضها عن الاضرار التي لحقت بتجارتها بسبب حروب نابوليون · وقد رغب ملك فرنسا ان يدفع لها سنة ١٨٣١ خمسة ملايين دولار تعويضا غير ان وزراءه جعلوا يماطلون بالدفع ويسوفون ويعدون بدون انجاز حتى عيل صبر الرئيس من تلك المماطلة فاشار الى الكونغرس ان يكيل لفرنسا بكيلها وينتقم منها جزاء تعطيل تجارة اميركا · فلما رات فرنسا ذلك خشيت سوء المغبة فدفعت لاميركا المبلغ

المذكور . وقد مثلت الولايات المتحدة نفس المأساة مع حكومة البرتوغال

وفي تلك الاثناء فقدت اميركا عددا من خيرة رجالها بينهم منرو الرئيس السابق قضى نحبه في رابع تموز سنة ١٨٣١ . وفي السنة التالية توفي شارلس كارول وهو اخر من بقي حيامن الذين وقعوا اعلان الحرية فمات عن ٩٦ عاما . وبعده توفي الشاعر فيليب فرنو وهو المعروف بشاعر الثورة . وفي ٢٠ حزيران سنة ١٨٣٣ توفي جان راندولف من رونوك وهو مشهور بمواهبه النادرة وحذقه الغريب ومقدرته السياسية . وسنة ١٨٣٦ قضى نحبه ملدسن الرئيس السابق عن ٨٥ عاما . وقد مات غيره كثيرون من مشاهير الرجال الذين يضيق المقام دون تعدادهم . وفضلا عن تلك الرزيئة بالرجال اصيبت البلاد بضررين اخرين حريين بالذكر احدهما اندلاع السنة اللهيب في مدينة نيويورك فحولت الى رماد مساحة ثلاثين فدانا ماهولة وذات بنايات فخمة وعدد البيوت التي اتلفتها النيران ٥٢٩ قدرت قيمتها بثمانية عشر مليون دولار . وفي السنة التالية التهمت النيران بناية الامتيازات ودار البريد في واشنطن العاصمة غير انه قد شيدت على انقاض تلك البنايات غيرها اكثر اتقانا واتم هندسة وجمالا

وفي زمن رئاسة جاكسن انضم الى الاتحاد الاميركي ولاية اركنساس ومساحتها ٥٢ الف ميل مربع وعدد سكانها ٧٠ الفا واتحدت في شهر حزيران سنة ١٨٣٦ وولاية مشغن ومساحتها ٥٦ ميل مربع وعدد سكانها ٥٧ الف نسمة وقد تم انضمامها في السنة التالية . ولما لم يبق للرئيس في منصب الرئاسة سوى شهرين نحا منحى واشنطن فلفظ خطابا وداعيا كله حماسة ومحبة وطنية . وقد ازال بحكمته ودرايته كل امر قد ينتج عنه دك قواعد الاتحاد والتحالف بين الولايات كما انه وضع لذلك الاتحاد دعائم يعسر سقوطها . وفي الخريف من السنة الغابرة تم انتخاب مارتن فان بيورن رئيسا للولايات المتحدة وكان مناظره في ذلك المنصب الجنرال هارسن من

اوهايو الذي كان يعضده الحزب الجديد المعروف بحزب الهوغ · اما نيابة الرئاسة فلم يفز احد بها من المرشحين فسلم الامر لمجلس الشيوخ وهذا انتخب رتشرد جونسن من كنتكي لذلك المنصب

الفصل السابع والاربعون

—رئاسة فان بيورن من سنة ١٨٣٧ الى سنة ١٨٤١—

ولد مارتن فان بيورن الرئيس الثامن للولايات المتحدة في مدينة كندرهوك من ولاية نيويورك في خامس ك١ سنة ١٧٨٢ · وبعد ان انهى دروسه الاولية انكب على درس الشريعة وما لبث حتى اشرأبت الاعناق نحوه وعد من كبار رجال السياسة وهو من حزب الديموقراط · وقد انتخب وهو في السنة الثلثين من عمره عضوا في مجلس الشيوخ من قبل ولايته · وبعد ست سنين اضحى زعيم الديموقراط في الولاية نفسها ثم في سنة ١٨٢١ وسنة ١٨٢٨ انتخب عضوا في مجلس الشيوخ ايضا · وفي السنة التالية استعفى من مركزه في ذلك المجلس وانتخب حاكما لولاية نيويورك · كما انه سنة ١٨٣١ استعفى من مركزه وهو ناظر الخارجية في مدة رئاسة جاكسن الاولى وتعين سفيرا لدولته لدى حكومة انكلترا · بيد ان نائب الرئيس بالاشتراك مع حزب الهوغ سعوا بخلعه من ذلك المنصب في اواخر السنة التي تعين فيها فعاد الى اميركا حيث انتخب في خريف سنة ١٨٣٢ لنيابة الرئاسة وبعد ذلك باربع سنوات فاز في اسناد الرئاسة اليه



ـ(فان بيورن)ـ

وفي اوائل رئاسة فان بيورن تم اخضاع قبائل سيمينول الهندية ومن تبقى منهم جلوا الى الجهات الغربية . وعقب النجاح المادي في البلاد عسر مالي شديد الوطأة فبعد ان وفت الحكومة كل الذي كان عليها تبقى في خزينتها مبلغ اربعين مليون دولار وهذا المبلغ وزع بموجب قرار الكونغرس على الولايات ففتحت مصارفها . فانصرفت الازمة وتنفس الناس الصعداء غير انه لاسباب يطول شرحها اجتاحت البلاد ازمة مالية اخرى لم يحدث اعظم منها واهم تلك الاسباب الناتج عنها ذلك الضيق المالي ازدياد عدد المصارف في البلاد حتى تجاوز عددها السبعماية . وشرعت تعطي صكوكا مالية

لا قيمة لها بدلا من النقود العينية · فوفر عدد المحتالين والغشاشين فابتعلوا اموال الشعب وحرموه ثمار اتعابه

على ان صكوك المصارف المتقلقلة قبلتها ادارة الزراعة ثمنا للاراضي التي تختص بالحكومة · فتوارد الناس عشرات ومئات لابتياع تلك الاراضي فلما راى جاكسن الرئيس السابق ان الحكومة ستخسر مبالغ طائلة بقبولها اوراق البنوكة المشكوك بصحتها وسلامتها اصدر امرا بالا يقبل ثمن تلك الاراضي سوى نقود عينيـة وضرب لاجراء ذلك اجلا مسمى حان وقت العمل به في السنة الاولى من رئاسة فان بيورن فامنت الحكومة بذلك على دراهمها من الضياع · غير ان تاثير ذلك في البلاد كان سيئا جدا وقد نتج عنه العسر المالي المذكور فتوقفت المصارف عن الدفع وافلست بيوتات تجارية كثيرة على جانب من الاهمية فبلغ مجموع الافلاسات في غضون شهري اذار ونيسان سنة ١٨٣٧ في مدينتي نيويورك ونيواورلينس فقط نحو مائة وخمسين مليون دولار فتألمل فتألفت لجنة في مدينة نيويورك من كبار التجار وتوسلوا الى الرئيس فان بيورن ان يوقف العمل بموجب امر الرئيس جاكسن السابق ذكره وان يدعو الكونغرس الى الالتئام في جلسة خارقة العادة فرفض الرئيس الطلب الاول وقبل الثـاني غير ان الاضرار كانت قد عمت والضيق ازهق ارواحا كثيرة

وعندما التأم الكونغرس اتخذ عدة وسائل لافراج الازمة المالية عن البلاد · منها قراره بان تضع اوراق مالية باسم خزينة الولايات المتحدة لا تتجاوز قيمتها العشرة ملايين دولار لاستعمالها موقتا في افراج الازمة المالية · غير ان الرئيس اقترح على المجلس امرا اكثر فائدة واجزل عائدة وهو انشاء « سفتجة الخزينة المستقلة » وذلك عبارة عن مصرف خصوصي يودع فيه مال الامة وكان الرئيس وانصاره يؤيدون ذلك وما يزيد عن نفقات الحكومة من المال يودع في ذلك المصرف وبذلك يفصل بين

اشغال الحكومة الخاصة وبين اشغال الشعب العمومية

فاجاز مجلس الشيوخ اقتراح الرئيس اما مجلس النواب فرفضه غير انه في الاجتماع التالي اعاد النظر في اللائحة واجازها فتحسنت احوال البلاد المادية ودارت حركة الاشغال نوعا • بيد ان المصارف عادت الى المشاكسة فعاد الناس الى التذمر والشكوى من وقوف دولاب التجارة وانحوا بالائمة على الحكومة بانها هي مصدر ذلك البلاء العميم

وسنة ١٨٣٧ حدثت قلاقل واضطرابات في كندا لان قسما من سكانها كانوا ناقمين على الحكومة الانكليزية فثاروا عليها طالبين الاستقلال • فناصرهم شعب الولايات المتحدة واظهروا لهم ميلا وانعطافا سيما في مدينة نيويورك فتطوع منها سبعماية رجل كاملي العدة وهاجموا جزيرة نافي الواقعة في نهر نياغرا واحتلوها • فقاومهم الكنديون الخاضعون لحكومة انكلترا وحاولوا استرجاعها منهم فلم يفلحوا • غير انهم احرقوا السفينة التي كانت تنقل ذخائر الاميركيين واغرقوها فنتج عن تلك القلاقل تعكير في جو السياسة بين حكومتي لندن وواشنطن فبادر الرئيس فان بيورن واصدر منشورا ابان فيه موقف حكومته الرسمي وهو الحياد التام وعدم التداخل في شؤون كندا واوفد الجنرال وول الى حدود نياغرا بقوة كافية من الجند لاخماد نيران الثورة واستئصال شأفة المشاغبين • فاضطر متطوعو نيويورك الى التسليم فعاد السلام الى انصابه

وما كاد يخمد سعير الاضطراب بمسالة كندا ويعود الشعب الى السكينة حتى علا الضجيج في مسالة من سيخلف فان بيورن في الرئاسة • وقامت المجادلات والمزاحمات من كل حدب وصوب • وشرعت الاحزاب تتطاحن وجرت موقعة سياسية لم يسبق اعظم منها فرشح حزب الوغ الجنرال هرسن مرشحهم السابق • اما حزب

الديموقراط فلم يكن لديه من يقاوم فان بيورن ولكن الراي العام كان مستاء منه لما حدث في زمان رئاسته سيما وان الغلطات الفاضحة التي ارتكبها رجال وزارته وغيرهم نسبوها اليه و كانوا ينتقدونه جهارا وبمرارة وانجلت تلك المعركة السياسية العظمى عن فشل حزب الديموقراط وفوز حزب الهوغ فتم انتخاب هرسن رئيسا وانتخاب جان تيلر من فرجينيا نائب رئيس

وفي السنة الاخيرة من رئاسة فان بيورن جرى الاحصاء السادس لسكان الولايات المتحدة فظهرت زيادة تذكر في عدد النفوس • وبلغت واردات الحكومة من المكوس نحو عشرين مليون دولار • وبلغت مساحة الولايات المتحدة المأهولة بالسكان ثمانماية وسبعين الف ميل مربع • وزاد عدد السكان عن السبعة عشر مليون نفس

وعلى الاجمال يقال ان رئاسة فان بيورن كانت عقيمة ولم تأتي البلاد بفائدة على ان الظروف كانت معاكسة له اكثر مما كان هو مقصرا في عمل ما يعود على البلاد بالفلاح والنجاح • والداء السياسي الذي اعترى الحكومة في زمان جاكسن ظهر باقبح صورة في زمان فان بيورن فتألم هو بالداء الذي جلبه سواه

الفصل الثامن والاربعون

—رئاسة هرسن وتيلر من سنة ١٨٣١ الى سنة ١٨٤٥—

ولد الرئيس الجديد في فرجينيا وهو ابن بالتبني لروبرت مورس المثري الشهير الذي امد الحكومة بالمال في زمان الثورة · تخرج في كلية هامبدنسدني ودرس فن الطب · ومن ثم شاقته الحياة العسكرية فتجند في جيش سانتكلير وترقى سريعا من وظيفة الى اخرى حتى تعين حاكما لمقاطعة الهنود فاظهر في منصبه من الحنكة وحسن السياسة ما خلد له الذكر الحسن ودل على مقدرة فائقة · وقد احتفل بتنصيبه رئيسا على الولايات المتحدة في رابع اذار سنة ١٨٤١ · وافتتح اعماله باستدعاء الكونغرس في جلسة فوق العادة للنظر في ايجاد الوسائل لافراج الازمة المالية عن البلاد · واختار لمناصب الوزارت رجالا اكفاء يراسهم دانيال وبستر ناظر الخارجية · وكانت الطلائع تبشر بان حكم حزب الهوغ سيكون منه خير وفلاح للبلاد ولكن ما كاد الكونغرس ينعقد حتى مني الرئيس بمرض الزمه الفراش واقعده عن العمل وكان في السنة الثامنة والستين من عمره · وقد قضى نحبه بعد مرور شهر على حفلة تنصيبه · وتلك النازلة هي الاولى من نوعها في تاريخ حكومة اميركا فشمل البلاد حزن عمومي لتلك الفاجعة



—(وليم هنري هرسن)—

غير المنتظرة · وفي سادس نيسان اقسم تيلر نائب الرئيس اليمين المفروضة واستلم رئاسة الولايات المتحدة

وكان تيلر ذا حذق ومقدرة سياسية · وهو فرجيني المولد وخريج كلية وليم وماري ·وقد اتقن فن المحاماة وانتخب عضوا في مجلس النواب وسنة ١٨٢٥ انتخب حاكما لولاية فرجينيا · وبعد ذلك صار عضوا في مجلس الشيوخ من قبل تلك الولاية والآن اصبح رئيس البلاد وهو في السنة الحادية والخمسين من عمره · ومع انه من حزب الهوغ فقد كان مضادا لمصرف الولايات المتحدة



— (جان تيلر)—

وقد طالت جلسة الكونغرس الخارقة العادة من شهر ايار الى شهر ايلول واول قرار أصدره الغاء الخزينة المستقلة المار ذكرها · وبعد ذلك بحث في شريعة الافلاس العمومية واجازها وبذلك تخلص كثيرون من التجار من عبء الديون المتراكمة عليهم ولاسبيل لهم الى وفائها · وتداول في مسالة اعادة الرخصة الى مصرف الولايات المتحدة التي كانت نزعت منه قبلا على ما مر بيانه ومع ان مدة الرخصة المذكورة انتهت سنة ١٨٣٦ فقد عاود المصرف عمله تحت رعاية ولاية بنسلفانيا · وقد قرر مجلسا الشيوخ والنواب وجوب اعطاء رخصة جديدة للمصرف المذكور ·ولكن الرئيس

ابى المصادقة على ذلك القرار · فاستحكم الخلاف بينه وبين اعضاء الكونغرس ومن ناصرهم من منتخبيه · فاستعفى كل الوزراء وذوي المراكز العليا من وظائفهم ماخلا المستر وبستر فانه ثبت في مركزه بسبب الخلاف الذي كان مستحكما بين حكومته وحكومة انكلترا بشان حدود الولايات المتحدة من جهة الشمال الشرقي · التي لم تسوى ابان البحث في ذلك سنة ١٨١٤ بطريقة نهائية بل بطريقة حبية · فعينت الحكومتان لجنة قوامها ثلاثة اشخاص لوضع التخم الفاصل بين املاك الولايات المتحدة و كندا فسويت الحدود المختلف عليها وتم الاتفاق المتبادل بشانها ماخلا الحد الممتد من الاوقيانوس الاتلانتيكي الى نهر سانت لورنس فلم يتفق عليه · ودام الاختلاف على ذلك التخم مدة ٢٥ سنة · وقد كاد الاختلاف ان يفضي الى القتال بين الدولتين مرارا · واخيرا فوض امر وضع الحد على ما يرضي الدولتين الى لورد اشبرتون نائبا عن انكلترا والمستر وبستر نائبا عن الولايات المتحدة وبعد الاخذ والرد والبحث الطويل اتفقا ووضعا حدا فاصلا بين املاك الدولتين فزالت بذلك دواعي النفور والخصام

وفي السنة التالية اضطربت البلاد لاسباب داخلية · وذلك ان الاحكام في رود ايلند كانت تجري مدة نحو جيلين بموجب البراءة الممنوحة من الملك شارلس الثاني وبموجبها يحصر حق التصويت بذوي الاملاك وتحتوي البراءة المذكورة على امور مخالفة لروح الحكومة الجمهورية · فاقترح بعضهم ان يغير دستور الولاية لما يتفق مع نظام الحكومة الجمهورية · فلم يتفق راي جمهور شعب الولاية على ذلك بل انقسموا الى حزبين متضادين الاول عرف باسم «حزب الشريعة والنظام» والاخر باسم «حزب المنتخبين» فالحزب الاول المريد ابقاء القديم على قدمه انتخب صموئيل كن حاكما للولاية · والحزب الاخر المناهض للنظام القديم انتخب طوماس در حاكما لها · وسنة ١٨٤٢ عقد كل من الحزبين اجتماعا ثبت فيه منتخبه · وحدثت بين الحزبين مشاجرات

عنيفة دارت بها الدائرة على در وحزبه فالقي القبض عليه وحوكم متهما بالثورة وخيانة الوطن وصدر الحكم عليه بالسجن المؤبد وعفي عنه بعد ذلك على شرط ان يقسم ايمان الطاعة لحكومة كن فرفض ولكنهم عادوا فعفوا عنه في شهر حزيران سنة١٨٤٥ بدون شرط

وعام ١٨٤٢ تم بناء الاثر التذكاري في بنكرهل · ولم يرو تاريخ هذه البلاد خبر شيء من هذا النوع اهتمت له الامة جمعاء وابدت من الحماسة والوطنية كما ابدت في اقامة ذلك الاثر فقد بوشر في ذلك البناء الدال على الشهامة وتقدير الرجال قدرها في ١٧ حزيران سنة ١٨٢٥ ووضع حجر زاويته المار كيز لافيات الافرنسي وكفى باسمه تعريفا ولفظ دانيال وبستر وقد كان آنئذ في شرخ الشباب خطابا مناسبا للمقام وكان في جملة من اجتمع في ذلك الاحتفال وسماع خطاب وبستر مايتا جندي ممن خاضوا غمار المعارك في حرب الاستقلال التي جرت في هاكرست منذ مضي خمسين سنة منهم اربعون ممن حضروا موقعة بنكرهل حيث يشاد ذلك البناء التذكاري · غير ان انمام ذلك البناء كان بطيئا فلم ينجز الا بعد سبع عشرة سنة · وبلغت اكلاف بنائه ١٥٠ الف دولار · وهو اثر تذكاري لبسل الابطال الذين جاهدوا في سبيل تحرير وطنهم سواء كانوا احياء ام امواتا · واقيم هناك نصب محيط قاعدته ٣١ قدما وارتفاعه ٢٢١ قدما · وقد تعين يوم تذكار الموقعة السنوي للاحتفال بتدشين ذلك البناء فتمت الاستعدادات اللازمة لذلك · وفي ١٧ حزيران سنة ١٨٤٣ احتفل بذلك احتفالا شائقا ويعجز اليراع عن وصف ما جرى هناك من دلائل الوطنية ومظاهر الغيرة وقد فاه بخطاب التدشين وبستر نفسه غير انه كان في هذا الموقف شيخا جليلا وقد كان في وقوفه خطيبا في وضع حجر الزاوية في ريعان الشباب وعقب الاحتفال مأدبة اقيمت في مانويل هول مهد الحرية الاميركية

وحدثت قلاقل واضطرابات كثيرة في ولاية نيويورك في اواخر مدة الرئيس تيلر وذلك ان احفاد رنسلر احد اغنياء الهولانديين داموا حتى سنة ١٨٤٠ يدعون باملاك لهم في انحاء مختلفة من ولاية نيويورك · وبناء على ذلك كانوا يتقاضون الفلاحين ضمانا معينا عنها · واخيرا اعتصب بعض الفلاحين ورفضوا تأدية تلك الضمانة لهم فقامت المنافشات والمخاصمات على قدم وساق وقد بقي ذلك الامر مطروحا على بساط البحث في مجلس الولاية من سنة ١٨٤٠ —٤٤ دون التوصل الى حل نهائي لتلك المعضلة · وزاد الممسكون عن الدفع بانهم شرعوا يضطهدون الفلاحين الذين داموا يدفعون الضمان · فاوفدت الحكومة ثلة من الجند لاخماد هياج الثائرين فقتلوهم ·

وقد حاولت حكومة الولاية كبح جماح المعتصبين وارجاع السلام الى نصابه فخاب سعيها وبقيت تلك المعضلة قيد البحث والمناقشة

اما الشجار مع المورمون الذين صاروا في هذا الزمن يشغلون قسما من تاريخ البلاد فكان على غير ذلك · فاتباع تلك الشيعة سكنوا اولا في مقاطعة جاكسن من ولاية مزوري بزعامة نبيهم يوسف سمث وكان عددهم وقتئذ الفا وخمسماية وشرعوا يشيعون ان القسم الغربي من البلاد سيكون نصيبهم فلم ترق تصرفاتهم واعمالهم في عيون شعب مزوري فطلبوا التخلص منهم · ولما لاحت الفرصة حضرت فرقة من الجند والزمتهم بالجلاء عن تلك الربوع فعبروا نهر مسسبي سنة ١٨٣٩ ونزلوا في ولاية الينوز وشادوا على نجاء هناك مدينة سموها نوفو (الجميل) وشادوا فيها ايضا معبدا غاية في الرونق والجمال واجتمع اليهم اتباع شيعتهم من انحاء الولايات المتحدة ومن اوروبا حتى بلغ مجموعهم عشرة الاف نسمة · فقامت هناك ايضا عليهم قيامة جيرانهم فضايقوهم وكان زعيمهم ونبيهم سمث قد سن لهم شرائع تخالف شرائع ونظامات ولاية الينوز وقد اتهمهم الاهلون بارتكاب السرقة والقتل وغيرها وزعموا ان المحاكم في الجهات

التي يقطنها المورمون عاجزة عن انفاذ حكمها في اولئك المجرمين

وفي وسط ضجيج الشعب وهياجه القي القبض على سمث واخيه وزجا في السجن وفي ٢٧ حزيران سنة ١٨٤٤ تجمهر عدد كبيرمن المتهوسين فكسروا ابواب السجن وفتكوا بذانك السجينين ٠وفي ذلك الصيف ضايق الاهلون المورمون مضايقة عظيمة حتى الزموهم ان يتركوا مدينتهم وعقارهم وان يرتحلوا الى مكان بعيدعن تلك المدنية المزعومة ٠ وعام ١٨٤٦ شرعوا بالسير غربا ٠ وفي شهر ايلول من تلك السنة اطلقت المدافع على مدينة نوفو فاخربتها واضطر من بقي من سكانها الى اللحاق باخوانهم النازحين فانضموا اليهم في كونسل بلفس وداوموا مسيرهم غربا حتى قطعوا الجبال الصخرية وبلغوا الى ضواحي صلت ليك «البحيرة المالحة» العظيمة فاحتلوا مقاطعة يوطا

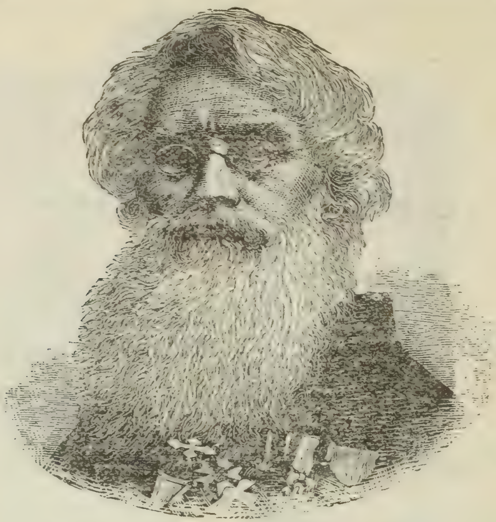
وفي تلك الاثناء حدث هياج عظيم في البلاد بسبب مقاطعة تكساس الواقعة بين ولاية لوزيانا ومكسكو ٠ وقد كانت من سنة ١٨٢١ — ٣٦ تابعة لمكسكو٠ وكانت اسبانيا ومكسكو غير راغبتين في استعمار تكساس خوفا من ان الاميركيين يتوسعون بالاستعمار فتمتد حدودهم الى بلاد مكسكو ٠ وبعد ذلك اقطعت اراض فسيحة للمستر موسى اوستن من كنكتكيت بشرط انه يسكن فيها ثلاثماية عائلة اميركية ومن ثم تثبت تلك الهبة لابنه استفان وابيح له ان يسكن فيها خمسماية عائلة اخرى فضلا عمن سكنوا قبلاوعلى هذه الكيفية دخل الى تكساس شعب متحدرمن اصل انكليزي

ولما ضغطت حكومة مكسكو على اولئك المهاجرين الى تكساس قلبوا لها ظهر المجن ونشروا راية العصيان سنة ١٨٣٥ ٠ فبادر عدد من المتطوعين من الولايات المتحدة من قواد وجنود لمناصرتهم وفي اول موقعة التحم فيها الطرفان دحر خمسماية من الثائرين الفا من المكسيكيين ٠ وفي سادس اذار سنة ١٨٣٦ احتاط ثمانية الاف مكسيكي

تحت قيادة الرئيس سانتا انا بحصن في تكساس اسمه الامو قام على حمايته نفر قليل من الاهالي فتغلب عليهم المكسيكيون وذبحوهم ذبح النعاج · واخيرا التحم الفريقان بموقعة فاصلة وهي المعروفة بموقعة جان جاسينتو وانتهت باستقلال تكساس وقد اعترفت باستقلالها حكومات الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا

وما طرح شعب تكساس نير مكسكو عنهم حتى طلبوا الانضمام الى الولايات المتحدة فتردد في الامر فان بيورن الرئيس السابق لخوفه من الاشتباك بالحرب مع المكسيك · وفي الشطر الاخير من رئاسة تيلر اعيد البحث في امر ذلك الانضمام وكان عدد سكان تكساس قد تزايد حتى ناف عن المائتي الف نسمة · ومساحة تكساس ٢٣٧ الف ميل مربع · وتلك المساحة اعظم من مساحة ولاية بنسلفانيا بخمسة اضعاف وهي بمثابة اضافة امبراطورية برمتها الى الولايات المتحدة · وشغل امر الانضمام افكار الشعب الاميركي باسره · حتى انهم في انتخاب الرئيس سنة ١٨٤٢ انقسموا الى قسمين بشان ذلك احدهما يرغب في الانضمام والاخر يعارضه فحزب الديموقراط كان راغبا في ذلك وحزب الهوغ يضاده والحزبان متكافئان بالقوة · وقد رشح الاولون للرئاسة المستر جيمس بولك من تناسي والحزب الاخر رشح زعيمه هنري كلاي ففاز الاول في الرئاسة وانقطع رجاء الثاني بالحصول عليها الى الابد · واما لنيابة الرئاسة فانتخبوا جورج دلاس من بنسلفانيا

والمؤتمر الذي تم فيه ترشح جيمس بولك عقد في مدينة بلطيمور وفي ايار سنة ١٨٤٤ ارسل خبر تعيينه الى واشنطن العاصمة بالتلغراف البرقي وهي اول رسالة من نوعها في العالم · والتاريخ يفسح مجالا رحبا لذكر ذلك الحادث الذي اتى العالم بمنافع لا تقدر · ومخترع التلغراف العظيم هو الاستاذ صموئيل مورس من مساتشوستس اما الاساس الذي بني عليه ذلك الاختراع فكان معروفا منذ عام ١٧٧٤ غير ان



ـ(صموئيل مورس)ـ

صموئيل المذكور هو اول من احسن استعماله لنفع العالم · فابتدا امتحاناته سنة ١٨٣٣ وبعد ذلك بخمس سنوات نال امتيازا باختراعه المذكور · وتلا ذلك فترة لم يعرف العالم عنه فيها شيئا حتى اليوم الاخير من انعقاد المؤتمر المذكور سنة ١٨٤٣ وقد تقاضى الكونغرس مبلغ ثلاثين الف دولار اجرة اول رسالة برقية في العالم · ولعل هذا الاختراع فاق الاختراعات الاخرى من حيث النفع العام

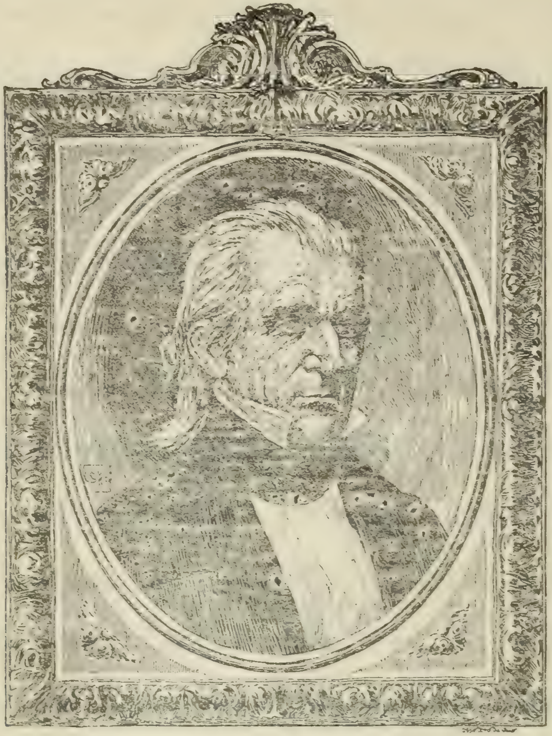
ولما انعقد الكونغرس في الـ سنة ١٨٤٤ طرحت امامه على بساط البحث مسالة ضم تكساس الى الاتحاد الاميركي فصادق الرئيس فورا على ذلك القرار وتم مسالة انتظام تلك الولاية المترامية الاطراف في سلك الولايات المتحدة · وقبل تنصيب الرئيس بولك بيوم واحد تمت المصادقة ايضا على ضم فلوردا وايوا الى الاتحاد الاميركي غير ان الاخيرة وهي التاسعة والعشرون في عقد التحالف الاميركي لم يتم انضمامها حتى السنة التالية

الفصل التاسع والاربعون

— رئاسة بولك وحرب المكسيك من سنة ١٨٤٥ الى سنة ١٨٤٩ —

ولد الرئيس جيمس بولك في ولاية نورث كارولينا · وفي صبوته نقل مع ابيه الى تناسي وتقلب في وظائف عديدة حتى انتخب عضوا في الكونغرس وبقي عضوا بل بالاحرى خطيبا فيه مدة ١٤ سنة وعام ١٨٣٩ تم انتخابه حاكما لولاية تناسي ومن ثم انتخب رئيسا وهو في التاسعة والاربعين من عمره · وقد اختار ناظرا للخارجية جيمس بوشنان من بنسلفانيا · وذلك المركز يقتضي له رجل ذو حزم ودربة وحنكة · سيما وان المخاطبات العنيفة بين الولايات المتحدة والمكسيك بلغت اشد مرارتها · فحالما تقرر ضم تكساس الى الاولى طلب سفير الثانية جواز سفره وبارح البلاد

وفي رابع تموز صادق مجلس حكومة تكساس على قرار الانضمام وانتهى الامر ولما راى شعب تكساس ان حكومة المكسيك شارعة بالاستعداد للزحف على ولايتهم والاجهاز عليهم رفعوا عريضة للرئيس بولك يتوسلون اليه بان يسرع في ارسال قوة عسكرية لحمايتهم · فاصدر الرئيس فورا امره الى الجنرال زكريا تيلر المقيم مع جيشه في لوزيانا ان يدخل تكساس ويعسكر فيها · وكان سبب النزاع بين تكساس والمكسيك مسالة الحدود ·وذلك الخلاف مستحكم بينهما منذ ثورة المكسيك سنة ١٨٢١ التي بها تم استقلالها عن اسبانيا وضمت اليها كوهويلا وتكساس وتلك كانت



—(جيمس بولك)—

حدود المكسيك ابان ثورة تكساس سنة ١٨٢٦ فلما فازت تكساس بالاستقلال ادعت بان ذلك يعم مقاطعة كوهويلا ايضا وبانها قد اضحت قسما من تكساس وتم اتفاق شعب تكساس و كوهويلا على ذلك وتثبت في ١٩ ك ١ سنة ١٨٣٦ · اما المكسيك فادعت بان ذلك الاستقلال تم لتكساس وحدها فلا يشمل كوهويلا التي لا تزال قسماً من املاكها · وعندما انضمت تكساس الى الاتحاد الاميركي ادعت حدودا انكرتها عليها المكسيك فنشأ النزاع بين البلادين · وعرضت اميركا تسوية الخلاف بالحسنى على الاراضي المختلف عليها فرفضت المكسيك ذلك حينئذ جزمت الولايات

المتحدة بان ما تدعيه تكساس من الحدود هو حق شرعي لها · وامرت الجنرال تيلر ان يتقدم بجنوده الى نهر ريو كراند وهو نقطة الخلاف · وفي سنة ١٨٤٥ اجتمع لدى تيلر بين الاربعة والخمسة الاف جندي · وكانت اميركا عالمة ان المكسيك نرفض قبول المعتمد الذي اوفدته لمخابرتها لحل المعضلة على طريقة سلمية · ونمي اليها ان المكسيك مجهزة جيشا لاحتلال تكساس او على الاقل لاحتلال الاراضي المختلف عليها · وفي ثامن شهر اذار شرع الجيش الاميركي بالتقدم الى بوينت ايزابل الواقعة على الخليج · وهناك اقام الجنرال تيلر مستودعا للزاد والذخيرة · وتقدم الى نهر ريو كراند ·ولما صار على بعد بضعة اميال من مصبه جعل مركزه في المكان المقابل لبلدة مطاموراس وشاد هناك معقلا باسرع ما يمكنه دعي بعد ذلك قلعة برون

وفي ٢٦ نيسان اعلم الجنرال اريستا الذي كان نازلا بجيشه في بلدة مطاموراس المذكورة الجنرال تيلر ان الحرب قد ابتدات · وفي نفس ذلك اليوم هاجمت شرذمة من المكسيكان نفرا من الفرسان الاميركيين بقيادة الكابتن طورنتن شرقي نهر ريوغراند وبعد ان خسر طورنتن ستة عشر من رجاله اضطر الى التسليم · وكان ذلك اول دم هدر في تلك الحرب · وفي نفس الوقت عبرت فرق مكسيكية النهر قرب حصن برون وتهددوا الاميركيين بقطع خط الاتصال عليهم · فخشي الجنرال تيلر ان المكسيكيين يتقدمون الى بوينت ايزابل ويغنموا ما اودع هناك من الذخائر والميرة فاسرع بالذهاب اليها وقوى حاميتها · اما القلعة المقابلة لبلدة مطاموراس فقام على حمايتها الماجور برون بثلاثماية رجل · وشاهد المكسيكيون في مطامورا انسحاب القائد الاميركي وجنوده فساءوا فهم المقصود بذلك وظنوا ان الاميركيين استولى عليهم الرعب فولوا الادبار فشمل المكسيكان فرح عظيم وتوهم قائدهم انه اذا هاجم قلعة برون واحتلها تنتهي الحرب بانخذال الاميركيين

ولما امن الجنرال تيلر على امتعته في بوينت ايزابل دار بكمية من الذخيرة والميرة والفي جندي ليعود الى قلعة برون · وكان ستة الاف جندي مكسيكي قد عبروا نهر ريوغراند واحتلوا مركزا يدعى بالو ألتو واقعا في طريق تيلر وجنوده · وعند ظهر ثامن ايلول شاهد الخصمان احدهما الآخر ودارت بينهما رحى الحرب مدة خمس ساعات وانجلت الموقعة عن اندحار المكسيكيين وخسارتهم مائة قتيل اما خسارة الاميركيين فكانت طفيفة جدا

وفي اليوم التالي تابع الجنرال تيلر سيره الى قلعة برون ولما صار على بعد ثلاثة اميال منها التقى بقوة كبيرة من المكسيكان اجتمعت لصده عن التقدم واختاروا مكانا مناسبا للموقعة الثانية اسمه رسا كادي لا بالما · وكانوا في هذه المرة اكثر استعدادا من قبل · وقد ابدى الاميركيون شجاعة تذكر فانهم تقدموا تحت مطر الرصاص المنسكب عليهم نحو بطاريات العدو فهزموا رجال المدفعية واخذوا القائد العام لافيكا اسيرا · فتفرق جيشهم شذر مذر والذين تبقوا احياء عبروا النهر خوفا من لحاق الاميركيين بهم · ولما وصل الجنرال تيلر الى قلعة برون علم ان المكسيكيين والوا اطلاق القنابل عليها من مطاموروا غير ان الحامية دافعت عنها احسن دفاع وقد لحق بالمكسيكان ذل الانكسار

ولما ذاعت اخبار موقعة نهر ريوغراند في الولايات المتحدة دبت في الجميع روح محبة الحرب والجلاد · وتناست الاحزاب اختلافاتها وعقد الكل الخناصر متحدين على قهر الخصوم واذلاله · وجاء في رسالة الرئيس الى الكونغرس قوله «ان الجنود المكسيكية الذين لا شريعة لهم قد سفكوا دم الاميركيين في ارضهم » وفي ١٣ ايار سنة ١٨٤٦ اجاب الكونغرس فورا على رسالة الرئيس ان الحرب شهرت رسميا بما اقترفته حكومة المكسيك · وفوض اليه ان يأمر بتجنيد خمسين الف متطوع وجعل

مبلغ عشرة ملايين دولار تحت مطلق تصرفه وعقدت اجتماعات عمومية كثيرة في سائر انحاء البلاد · وبمدة اسابيع معدودة تطوع ثلاثماية الف رجل في الجندية · ورسم الجنرال سكوت خريطة غزو المكسيك · وقسمت القوات الاميركية الى ثلاثة اقسام اولها جيش الغرب بقيادة الجنرال كيرني وفرض عليه ان يقطع الجبال الصخرية ويغزو اقاليم المكسيك الشمالية · والثاني جيش الوسط بقيادة الجنرال سكوت القائد العام وتعين ان يعبر خليج المكسيك ويحتل قلب البلاد · والقسم الثالث بقيادة الجنرال تيلر فرض عليه ان يخضع ويحتل الاماكن في ضواحي نهر غراند

اما مسألة جمع الجنود وتوزيعها فعهد بها الى الجنرال ول · وفي منتصف الصيف تمكن من ارسال تسعة الاف جندي الى الجنرال تيلر الذي جعل مركزه في مدينة سان انطونيو واجتمعت اليه العساكر فشرع بمرنهم ويعدهم القتال · وما برح يعيد الكرة على ضواحي نهر ريوغراند والتنكيل بالخصوم كلما استطاع الى ذلك سبيلا · وبعد الموقعة الاخيرة بعشرة ايام اجتاز من قلعة برون واحتل بلدة مطاموراس ومنها سار للتوغل في الداخلية · اما المكسيكيون فاعتراهم الجزع فتراجعوا وجعلوا مركزهم في مدينة مونتيري · فهم تيلر باحتلالها وطردهم منها · غير ان رجاله كانوا قليلين وتعابى فالتزم ان يتربص في ضواحي النهر الى منتصف شهر اب اذ وافته نجدة فصار عدد جيشه ستة الاف عسكري · وبلغ تيلر بجيشه في ١٩ ايلول الى مونتيري وحاصرها · وما لبث الاميركيون حتى دخلوا المدينة عنوة غير مبالين برصاص الاعداء الذي كان ينهال عليهم من كل جهة وتقدموا الى الكراند بلازا والساحة العمومية ورفعوا هناك راية النجوم · ومن ثم طفقوا يدخلون البيوت ويخرجون منها الجنود التي اختبأت من وجوههم · اما القائد المكسيكي امبوديا ففر بنفر من رجاله وتقهقر الى العاصمة

وبعد سقوط مونتيري نمي الى القائد تيلر ان حكومة المكسيك شرعت تخابر حكومة اميركا بالصلح وانه عن قريب توقع معاهدة السلم فرضي عن عقد هدنة مدة ثماني اسابيع يتوقف فيها الجانبان عن المناوشات والنزال والواقع ان المكسيكان لم يكن لهم ميل للصلح بدليل مداومة استعدادهم للحرب · وارسلوا يستدعــون الجنرال سانتا آنا الشهير من منفاه في كوبا لكي يتولى رئاسة البلاد · وفي غضــون فصل الخريف جهزت المكسيك عشرين الف جندي وارسلتهم الى ساحة القتال · ولما انقضت مدة الهدنة تقدم الجنرال تيلر الى الامام عملا باشارة نظارة الحربية · وفي ١٥ ت٢ احتل الجنرال ورث ورجاله مدينة سالتيلو وهي على بعد سبعين ميلا الى الجنوب الغربي من مونتيري · وكذلك الجنرال باترسن احتل مدينة فكتوريا في مقاطعــة طاموليباس التي مر بها القائد بطلر في زحفه على مدينة تامبيكو الواقعة على نهر بانكو · وهناك بلغه ان الكابتن كونر قائد عمارة اميركية قد احتلها · اما الجنرال ول فلما وافته النجدات الى سان انطونيــو دخــل المكسيــك بجيشه ونــزل في مكان قريب من مدينة مونتيري · ومن ثم وصل الجنرال سكوت واستلم قيــادة القوات الاميركية

ولم يكن الجيش الغربي مستكنا بل انه في شهر حزيران سنة ١٨٤٦ سار بقيادة الجنرال كيرني من قلعة ليفونورث على نهر مزوري لاكتساح نيومكسكو وكاليفورنيا وبعد مشقات جسيمة وصلوا الى مدينة سانتافه واحتلوها في ١٨ اب فسلمت على الاثر كل نيومكسكو للجنرال كيرني بدون ادنى مقاومة واصطحب كيرني اربعماية من خيرة رجاله وسار بهم نحو شواطى الاوقيانوس الباسفيكي · ولما صار على بعد ثلاثماية ميل من سانتافه التقاه كت كارسون الشهير واخبره ان كاليفورنيا قد سلمت ايضاً للاميركيين فارجع كيرني ثلاثماية من جنوده وتقدم بالمئة الاخرى نحو الباسيفيكي

والاكرام الجزيل

وفي تاسع اذار سنة ١٨٤٧ ابتدأ الجنرال سكوت الحركة الاخيرة في تلك الحرب. فانه نزل باثني عشر الف مقاتل في جنوب فيراكروز. ولما اتموا اركاز بطارياتهم شرعوا باطلاق القنابل على المدينة بينما سفن الاسطول كانت تطلقها عليها من الميناء. واهم ما كان في المدينة من معدات الدفاع قصر سان جوان دلوا الذي شاده الاسبانيون في اوائل الجيل السابع عشر وبلغت نفقة بنائه اربعة ملايين ريال وبعد حصار ومضايقة شديدة ارغم المكسيكان على التسليم وفي ٢٧ اذار وقعت بنوده. وبعد يومين خفقت الراية الاميركية فوق المدينة

فاصبحت بذلك الطريق من خليج المكسيك الى العاصمة مفتوحة. وفي ثامن نيسان سار الجنرال توك قائد طليعة الجيش الاميركي في طريقه الى جلابا ومن ثم تبعه بقية الجيش بقيادة الجنرال سكوت نفسه ولم يصادفوا معارضا اثناء سيرهم. غير انه في اليوم الثاني عشر من الشهر المذكور وصل الجنرال توك الى مضيق سيرو غوردو الصخري الذي كان محتله القائد سانتا آنا بخمسة عشر الف جندي وكان فتح ذلك المضيق امرا لابد منه والا فلا يمكن الاميركيون الاجتياز الى مكان قصدهم. فاستعدوا للمهاجمة في ١٨ الشهر. وبحسب الاصول العسكرية يعتبر ذلك الموقف انكسارا وموتا ولكن شجاعة الاميركيين تغلبت على كل صعوبة وابدوا من البسالة ما يذكر لهم بالفخر فلم يجيء وقت الظهر من ذلك النهار حتى اركن المكسيكيون الى الفرار ووقع نحو ثلاثة الاف منهم اسرى بيد الاميركيين الذين غنموا كميات وافرة من ذخيرتهم واسلحتهم وغير ذلك اما خسارة الاميركان فبلغت ٤٣١ قتيلا بينما اعداؤهم خسروا الف قتيل. وقد فر القائد سانتا آنا هاربا وفاز بالنجاة بنفسه ولكنه ترك وراءه اوراقه الرسمية وساقه الاصطناعي

وقد دخل الظافرون بلدة جالابا في اليوم التالي · واستولوا في ٢٢ نيسان على قصر بروتي الشهير بلا مقاومة وغنموا كميات وافرة من الميرة والذخيرة والاسلحة ونحو ذلك ·ومن هناك تقدم الجنرال سكوت بجيشه الظافر الى بلدة بيوبـلا القديمـة المقدسة ·ومع ان عدد سكانها يربوا عن الثمانين الفا لم يبدوا اقل مقاومة · فتناقص عدد الجيش الاميركي الى الخمسة الاف فقط ولهذا تربص الجنرال سكوت ريثما توافيه النجدة من فيرا كروز· وفي غضون ذلك جرت المداولة بشان الصلح غير ان حكومة المكسيك رفضت المسالمة بجهل وغباوة مفضلة مداومة القتال رجاء ان تنتصر وتغسل عنها العار الذي لحق بجنودها وقوادها ورايتها

ووافت النجدة للجنرال سكوت في ٧ شهر اب فبلغ عدد جيشه احد عشر الفا فترك قسما منه في بيوبلا وتقدم بالبقية نحو العاصمة· وكانت الطريق اليها وعرةوالمسالك ضيقة وجبلية و كانوا يتوقعون ان يجدوا مقاومات عنيفة في طريقهم ولكنهم لم يصادفوا ادنى مقاومة بتة ·ولما بلغوا الى بلدة ايواتلا وهي على بعد ١٥ ميلا من العاصمة ارتا ى الجنرال سكوت ان يغير جهة السير لامكان وجود قوات مكسيكية في المنعطفات الصخرية التي في تلك الطريق فتحولوا عنها جنوبا الى شالكو ومن هناك مشوا غربا الى سان اوغسطين وهي على بعد عشرة اميال من العاصمة ·وبين المكانين معاقل وحصون منيعة يطول بنا وصفها وتعدادها وقد تحصن فيها ثلاثون الف جندي بقيادة الجنرال سانتا آنا وانى للجنرال سكوت منازلة عدوه وقوته لا تعادل ثلث قوته

وفي ١٩ اب صدر الامر لفرقتي الجنرالين بلو وتوكس لتهـا جمـا مركز المكسيكان في كونتيريراس ونحو المساء قطعوا خط الاتصال بين ذلك المكان ومركز الجنرال سانتا انا وعند منتصف الليل سار الاميركيون نحو معسكر اعدائهم وهاجموهم عند بزوغ الشمس وبمدة ١٧ دقيقة فقط اخلى ستة الاف جندي مكسكي مراكزهم

وكان عدد الاميركين المهاجمين اربعة الاف وكانت تلك باكورة النصرات في اليوم العشرين من شهر اب ذي الشهرة في التاريخ. وبعد ذلك ببضع ساعات تقدم الجنرال ورث نحو سان انطونيو فافتتحها وفرق شمل حاميتها وكانت تلك النصرة الثانية في ذلك النهار ونحو ذلك الوقت قاد الجنرال بلو فرقته لمهاجمة نجاء شربسكو حيث كانت قوة العدو عظيمة. وبعد هجوم عنيف وقتال شديد تفرق المكسيكان كالعصافة امام الريح وكان ذلك الانتصار الثالث اما الانتصار الرابع فتم على يد فرقة الجنرال توكس اذ هاجمت الاعداء في مكان اخر من نجاء شربسكو وهزمتهم . والانتصار الخامس والاخير في ذلك اليوم اتمه الجنرالان شيلدس وبيرس اللذان دحرا سانتا انا الذي كان موافيا بجيشه للنجدة . وقد تراجع كل الجيش المكسيكي الى حصون شابولتبك وهي اخر ما تبقى لهم.

وصباح اليوم التالي ارسل المكسيكيون وفدا للمفاوضة بشان الصلح وكان ذلك خدعة منهم لاكتساب وقت لاجل استجماع قوتهم ولم شعثهم بدليل وضعهم شروطا للصلح كانهم هم الفائزون . اما الجنرال سكوت فرفض طلبهم بانفة وتربص الى سابع شهر ايلول ريثما ياخذ جيشه شيئا من الراحة ومن ثم يستأنف القتال . وفي اليوم التالي امر الجنرال ورث ان يستولي على مولينو وكاسادي ماتا وهما مركزا الدفاع عن شابولتبك . وكان قائما على حمايتهما ١٤ الفا من جنود المكسيك فتغلب الاميركيون عليهم ولكن بعد فقدهم ربع عددهم وبعد ان قدر الفوز للاميركيين صوبوا مدافعهم نحو شابولتبك نفسها وما لبثوا حتى ازالوا من طريقهم كل ما يحول دون تقدمهم . وعند المساء صاروا في ضواحي عاصمة المكسيك

وهرب سانتا انا وكبار رجال الحكومة من المدينة تحت جنح الظلام ولكنهم قبل مبارحتها اطلقوا سراح الفي مجرم من السجون ليقاوموا الاميركيين . وفي صباح الغد

قبل ان ينبثق الفجر حضر وفد من المدينة يطلب من القائد الاميركي الرحمة غير ان سكوت لم يعبأ بهم بل ادار وجهه نحو رجاله وصاح «الى الامام» فردد افراد الجيش تلك الكلمة وعندما ذرت الغزالة قرنها اندفعوا الى المدينة الشهيرة ومشوا في اسواقها انجميلة · وفي الساعة السابعة صباحا خفق العلم الاميركي فوق المدينة وهكذا انتهت امجد واعظم حملة رواها التاريخ الحديث

فغادر سانتا انا عاصمته المغلوبة وذهب الى بيوبلا لمهاجمة جرحى الامير كان فيها ظلما وعدوانا وذلك منتهى الجانة والبغي · فقد كان في تلك المدينة الف وثمانماية من الجرحى يحرسهم الكولونيل تشيلدس · وعلى رغم ما باولئك الابطال من الجراح الدامية وقفوا في وجه مهاجميهم وما زالوا يدافعون عن انفسهم حتى قدم الجنرال لين الذي كان زاحفا على العاصمة وفرق شمل المكسيكان وكانت تلك خاتمة المواقع في تلك الحرب الهائلة التي كان انتصار الاميركيين فيها كلها تاما مع انهم كانوا يحاربون في ارض اعدائهم الذي كانوا اكثر منهم عددا

فانكسرت شوكة المكسيكيين العسكرية واضمحلت قوتهم · والقائد سانتا آنا شرد هاربا ولم يبق لقومه بارق امل بالفوز ورأوا ذواتهم مرغمين على عقد الصلح ·وفي ثامن شهر شباط سنة ١٨٤٨ وقعت شروط الصلح بين دولتي اميركا والمكسيك وثبتتها كل من الدولتين المذكورتين · وفي رابع تموز من تلك السنة اصدر الرئيس بولك منشور السلم ووضعت حدود جديدة لاملاك الدولتين فدخلت كل نيومكسكو وكاليفورنيا العليا في حوزة الولايات المتحدة · وتعهدت المكسيك بحرية الملاحة في خليج كاليفورنيا ونهر كولورادو للسفن الاميركية · ولقاء ذلك ارجعت اميركا للمكسيك كل القصور والحصون التي امتلكتها في بلادها ابان الحرب ودفعت لها ١٥ مليون دولار واتخذت على عاتقها وفاء الدين الذي كان على حكومتها لمتمولي

الامير كان اذا كانت كميته لا تتجاوز الثلاثة ملايين ونصف المليون وبتلك المعاهدة أصبحت املاك الولايات المتحدة ممتدة من الاوقيانوس الى الاوقيانوس

وبعد توقيع معاهدة السلم المذكورة بايام قلائل حدث في كاليفورنيا امراشرابت نحوها ابصار الملاء عند شيوع خبره وهو ان عاملا استخدمه الكبتن ستر لحفر قناة لطاحون قريبة من نهر سكارمنتو فعثر على بعض قطع ذهبية اثناء الحفر · ولدى التفتيش وجدت كميات اخرى من معدن الذهب فانتشر ذلك الخبر بسرعة البرق وتهافت الناس الى تلك الجهة من كل حدب وصوب وكلما كثر التفتيش على ذلك المعدن كانت تكثر اماكن وجوده حتى ان بعضهم عثروا ببضع دقائق على ما قيمته خمسماية دولار · وما لبث خبر ذلك الاكتشاف حتى ذاع ليس في سائر انحاء اميركا فقط بل في اطراف المعمور · اما عن توارد الناس الى اقليم الذهب فحدث عنه ولا حرج فمن تاجر اقفل مغلقه وعامل هجر عمله وفلاح ترك مزرعته وسارعوا كلهم للتفتيش عن معادن الذهب وجاوءا من ابعاد شاسعة · وقبل ان تنقضي سنة ١٨٥٢ ارتقت سان فرنسيسكو من قرية حقيرة الى مدينة يسكنها ١٥ الفا من النفوس · وفي نهاية سنة ١٨٥٢ بلغ عدد سكان تلك الناحية نيف ونصف مليون نفس · مناجم الذهب التي في كاليفورنيا لم تنضب مواردها حتى يومنا هذا ولا تقدر بثمن

وسنة ١٨٤٨ انضمت وسكنسن وهي الاخيرة من الولايات الخمس العظيمة التي تألفت من المقاطعة الشمالية الغربية الى الاتحاد الاميركي وعدد سكانها ٢٥٠ الف نسمة ومساحتها تقارب الاربعة وخمسين الف ميل مربع · وبجعل نهر سانت كروا الحد الغربي لتلك الولاية بدلا من نهر مسسبي خسرت ولاية وسكنسن قسما كبيرا من الاراضي التي كان يجب ان تكون تابعة لها

ولما اوشكت مدة الرئيس بولك الانتهاء انشئت دائرة جديدة في الحكومة وهي نظارة الداخلية وانشئت ايضا ادارات اخرى غيرها منها ادارة البريد العام ووزارة الحربية وكذلك ادارة المدعي العمومي اعتبرت مستقلة عن غيرها من الدوائر واذ اخذت الامة بالنمو والازدياد وازدحمت دوائر الحكومة بالاشغال المختلفة واضحت الاشغال المتعلقة بنظارة الخارجية ووزارة المالية كثيرة بهذا المقدار دعت الضرورة الى انشاء دائرة مستقلة عنهما خصصوا بها النظر في بعض المهام التي كانت تنظر فيها الوزارتان المذكورتان وسموها الدائرة الاهلية وبعد ذلك حولوا اسمها الى نظارة الداخلية وكل ذلك تم بقرار الكونغرس ومصادقة الرئيس

وقرب زمان الانتخاب للرئاسة · وكان المرشحون لها ثلاثة · فمرشح حزب الديموقراط كان الجنرال لويس كاس من ولاية مشغن · ومرشح حزب الهوغ الجنرال زكريا تيلر ونشأ هناك حزب ثالث جديد باسم فري سويل رشح للرئاسة فان بيورن الرئيس السابق · وكان الشعب شديد الكلف بالجنرال تيلر لانتصاراته الباهرة في بلاد المكسيك ففاز على مناظريه باكثرية عظيمة · وانتخب لنيابة الرئسة المستر مارد فلمور من ولاية نيويورك · وانقضت رئاسة بولك التي عادت على البلاد بالنفع والفلاح

الفصل الخمسون

— (رئاسة تيلر وفلمور من سنة ١٨٤٩ الى سنة ١٨٥٣)—

ولد الرئيس الجديد في فرجينيا وتربى في كنتكي · وعام ١٨٠٨ غادر الزراعة وانخرط في سلك الجندية وفي اثناء حرب سنة ١٨١٢ اشتهر في الجهات الشمالية الغربية سيما في دفاعه عن قلعة هارسن عندما هاجمها الهنود · كما انه اشتهر في مواقع اخرى ولكن شهرته العظيمة نالها في حرب المكسيك المار ذكرها · وقد كان عالي الهمة شديد البأس حسن السجايا · وفي اول عهد رئاسته دارت المناقشات العنيفة بشان كاليفورنيا وهل يجوز الاسترقاق فيها كترتوري (مقاطعة)

وقد اظهر الرئيس في رسالته الاولى الى الكونغرس ميلا وانعطافا نحو شعب كاليفورنيا ونصحهم ان يوءلفوا لذواتهم حكما خاصا كما في بقية الولايات ويكون ذلك بمثابة اعداد مقاطعتهم لتحويلها الى ولاية وضمها الى الاتحاد الاميركي · وقد قبل الكاليفورنيون نصيحته بفرح وعملوا بموجبها · وسنة ١٨٤٩ سنوا دستورا والغوا العبودية وقال نال ذلك الدستور استحسان الاكثرين وتعين بيتر بارنت حاكما لمقاطعة كاليفورنيا وانتخبوا اعضاء للمجلس العمومي · وفي ٢٠ ك١ سنة ١٨٤٩ تأسست الحكومة الجديدة في سان جوسي وفي الوقت نفسه قدموا عريضة للكونغرس بحسب



—« زكريا تيلر »—

العادة المرعية بها يطلبون تحويل مقاطعتهم الى ولاية وضمها في سلك الاتحاد الاميركي

فلما وصلت عريضة الكليفورنيين الى الكونغرس قامت المناقشات العنيفة والمحاورات الشديدة بين اعضائه · فعندما طلب شعب مزوري صيرورة اقليمهم ولاية انقسم اعضاء الكونغرس ومعظم الشعب الى اقسام متباينة · اما الان فالحالة غير ذلك فان الاحزاب لا وجود لها · فطلب الكليفورنيين استحسنه نواب الولايات الشمالية وقاومه نواب الولايات الجنوبية ولذلك اسباب لايسعنا تفصيلها واهمها مسالة الاسترقاق

وقد احتدم الجدال بين نواب الشمال ونواب الجنوب حتى خشي على رباط الاتحاد من الانحلال

وقامت هناك مسألة اخرى سببت مجادلات ومحاورات طويلة وهي ان تكساس ادعت بان نيومكسكو قسم من املاكها فضادها في ذلك شعب سانتافه الذين كانوا يرغبون في انشاء حكومة مستقلة · واحتج سكان الولايات الجنوبية بان اهل الولايات الشمالية كانوا يناصرون العبيد الابقين ويشدون ازرهم · وعلا ضجيج الفريقين حتى تردد صداه في البلاد كلها

فادركت الحماسة المستر هنري كلاي فشمر عن ساعد الجد في سبيل السعي في ازالة النفور المستحكم بين الطرفين وايجاد السلام والوئام · فتعينت لجنة سنة ١٨٥٠ للبحث في وجه الخلاف والحكم فيه وعدد اعضاء اللجنة ثلاثة عشر يراسهم كلاي المذكور · فاسفرت ابحاث اللجنة عن تنظيم لائحة على سبيل التسوية تتضمن الامور التالية «١» ادخال كاليفورنيا في عداد الولايات كولاية حرة «٢» انشاء ولايات اخرى لا يتجاوز عددها الاربع من مقاطعة تكساس الشاسعة ويترك امر الاسترقاق وعدمه لسكان الولايات انفسهم «٣» انشاء حكومات لمقاطعتي نيومكسكو ويوطا «٤» وضع التخم الفاصل بين املاك تكساس ونيومكسكو وان الاخيرة تدفع للاولى عشرة ملايين ريال لقاء تخليها لها عن اراض معينة «٥» سن قوانين اكثر صرامة بشان استرداد العبيد الابقين «٦» منع النخاسة من مقاطعة كولمبيا وتلك اللائحة هي المعروفة باسم «اومنيبوس بل »

ولما عرضت تلك اللائحة على مجلس النواب دارت معركة المناقشات ثانية · ولما بلغ الجدال الى اعلى درجة يمكنه البلوغ اليها اعترى الرئيس تيلر مرض اودى بحياته فقضى نحبه في حزيران سنة ١٨٥٠ فامضت الرئاسة بحسب النظام الى المستر

فلمور نائب الرئيس فاقسم فوراليمين المعينة واستلم زمام الرئاسة وباشر بتعيين وزارة جديدة وقد تعين دانيال وبستر رئيسا لها

وفي انعقاد الكونغرس للمرة الاولى في زمن رئاسة فلمور اعاد النظر والبحث في لائحة هنري المذكورة واجازها وصادق الرئيس عليها فسكنت بذلك ضوضاء البلاد وزال ما استولى على الاهلين من القلق والاضطراب والفضل بذلك عائد الى هنري كلاي الرجل الحازم والحكيم الذي بعد ان انهى ذلك العمل الشائق الذي يشكر عليه ورتق فتقا كاد يوءدي الى حرب اهلية ودع مجلس الاعيان الذي كان من اعضائه واعتزل الاشغال العمومية

وسنة ١٨٥٠ هجم الجنرال لوبز بعصبة معه على جزيرة كوبا ولم تكن لحكومة الولايات المتحدة علم بالامر · بل ان لوبز زعم ان شعب كوبا راغب في الخلاص من ربقة اسبانيا والانضمام الى اميركا فذهب لاحياء تلك الفكرة بينهم واعد من الولايات الجنوبية حملة سار بها الى كوبا وانزل رجاله في بلدة كرديناس وهي اسكلة في تلك الجزيرة · غيرانه لم يهب احد لمناصرته لا من جيش اسبانيا ولا من سكان الجزيرة فعاد الى فلوردا · وفي السنة التالية اعاد الهجوم باربعماية وثمانين جندي فالتقتهم هذه المرة الجنود الاسبانية فنازلوهم وغلبوهم واستاقوهم اسرى الى هفانا حيث حوكم الجنرال لوبز وحكم عليه بالاعدام

وبعث الرئيس رسالته المعتادة الى الكونغرس وكانت تتضمن امورا ذات اهمية وقد وجه انظار النواب الى اتخاذ الوسائل لتخفيض اجور البريد تسهيلا للمواصلات وانشاء ادارة خاصة بالزراعة · وتخصيص مبلغ كاف لاصلاح الانهار والمرافيء وابتناء ملجاء وطني لعجزة ومنكوبي البحارة · ووضع رسوم جمركية كبرى على الواردات التي تضر بالمصنوعات الوطنية · وفتح قناة تصل نهر مسسبي بالاوقيانوس الباسيفيكي

وتسوية النزاع على اراضي كاليفورنيا وتخصيص رواتب تقاعد للضباط والقواد في العسكرية والبحرية متى خدموا مدة مفروضة الى غير ذلك من الاقتراحات العائدة بالنفع العام · غير ان الكونغرس لم يتمم من كل تلك الاقتراحات سوى اثنين وهما تسوية الخلاف في كاليفورنيا وانشاء دار لعجزة الجنود · وكان معظم الاعضاء على غير اتفاق مع الرئيس فلم ترق لهم اقتراحاته

وسنة ١٨٥٢ نشأ خلاف بين اميركا وبريطانيا وسببه هو انه بموجب المعاهدات السالف ذكرها بين الدولتين كان حق الصيد على شواطئ نيوفوندلاند محصورا بالاولى · واما وراء الخط المفروض على بعد ثلاثة اميال من الشواطئ المذكورة فلكليهما حق الصيد على السواء · انما نشأ الخلاف على الجهة التي يمتد فيها ذلك الخط المار ذكره هل انه يمتد من لسان «١» الى اخر وبذلك تصبح الخلجان «٢» والبواغيز «٣» في حوزة انكلترا وحدها او انه يمتد مستويا فتفقد تلك السيطرة والاحتكار · وبموجب ذلك يسوغ لسفن الصيد الاميركية الدخول الى الخلجان والمرافئ في نيوفوندلاند · فانكرت انكلترا على اميركا ذلك الحق · فاتسع نطاق الاختلاف بينهما حتى ان كلا منهما سيرت اسطولا الى الاماكن القائم النزاع عليها · غير ان العقلاء من البلادين تداركوا الامر فسوي الخلاف بطريقة حبية سنة ١٨٥٤ ورضيت انكلترا عن دخول سفن الصيد الاميركية الى نفس الاماكن التي تدخلها السفن الانكليزية ماخلا الشواطئ الداخلة في منطقتها وحدها حسب نص المعاهدات

وفي سنة ١٨٥٢ حضر الى اميركا لويس كوست الهنغاري الشهير بمحبته

«١» اللسان حرف من ارض سهلة داخلة في البحر «٢» الخليج جزء كبير من البحر او من الاوقيانوس داخل في البر «٣» البوغاز جزء من الماء محصور بين برين وموصل بين مياهين

لوطنه وبشجاعته وشدة بأسه · وكانت روسيا والنمسا قد اتفقتا على تجزئة بلاده ونزع استقلالها فجاء هو لكي يحتج على الدولتين المذكورتين امام شعب اميركا ويستمد مساعداتهم واذا امكن مناصرة حكومتهم لشعبه المضطهد فكان الاميركيون يستقبلونه بالترحاب اين توجه ويظهرون انعطافهم على امته ولقد افلح بمهمته على رغم ان المعاهدات المبرمة تمنع اميركا من التداخل ومناصرة ذلك الوطني الحر

ونحو ذلك الوقت التفت نظر الشعب الاميركي بنوع خاص الى الاكتشافات الجارية في اقطار القطب الشمالي · ففي عام ١٨٤٥ سار السير جان فرنكلين وهو من اشجع ملاحي الانكليز الى الشمال قصداً لاكتشاف في الجهات الشمالية القصوى وكان يعتقد بامكان مخره في وسط بحر قطبي الى الاوقيانوس الباسيفيكي · وقد مرت السنون ولم يسمع العالم شيئاً عن ذلك المكتشف الجريء وكل ما سمع عنه انه اجتاز بلاد الاسكيمو · وارسلت بعثات متعددة للتفتيش عنه فلم تقف له على اثر · فقام هنري كرنل وهو تاجر مثر من مدينة نيويورك وجهز عدة سفن على نفقة نفسه وسلم قيادتها الى اللوتننت دي هايفن فسيرها شمالا ولكن على غير جدوى · واخيراً ارسلت الحكومة عمارة عثرت على اشياء كثيرة غريبة واكتشفت كثيراً مما هو حري بالذكر ولكنها لم تقف لفرنكلين على اثر

وفي خلال رئاسة تيلر وفلمور فقدت البلاد عدداً من كبار ساستها وخيرة رجالها منهم النائب كلهون الشهير وهنري كلاي ودانيال وبستر وقد اسند منصب الوزارة بعده الى ادورد افرت

وكان لخبر مهاجمة الجنرال لوبز جزيرة كوبا اشد استياء في دوائر الحكومات الاوربية سيما في انكلترا وفرنسا اللتين جزمتا بان اميركا تبغي امتلاك كوبا على طريق الاكتساح · على ان حكومة اميركا عاقبت اولياء الامر في نيواورليانس لانهم لم يصدوا

لوبز عن المسير الى كوبا لمهاجمتها · وقد الحت انكلترا وفرنسا على الولايات المتحدة في ان توقع معهما معاهدة مآلها ان ولا واحدة منها تطمع في احتلال كوبا · فاجاب على ذلك المستر افرت وزير الخارجية بجواب ربما لم يسطر في اميركا اكثر منه بلاغة واقوى حجة ومما ورد فيه قوله ان كلمة الولايات المتحدة بانها تحافظ على حق الجوار والصداقة مع دولة اسبانيا يجب ان تعتبر كافية لاقناع دول اوروبا بسلامة نيتها · وفضلا عن ذلك ليس من صلاحية اية دولة من دول اوروبا المداخلة في شؤون الاملاك الاميركية بحسب نص الشريعة التي وضعها الرئيس منرو واية مداخلة من اية دولة كانت تعتبر اهانة للولايات المتحدة التي تحافظ على كرامتها بالقوة

ولما اوشكت مدة الرئيس فلمور الانتهاء شرعت جيوش الاحزاب تستعد للدخول في معركة الانتخابات فرشح حزب الديموقراط المستر فرنكلين بيرس من نيوهمشير وحزب الهوغ رشح الجنرال ونفيلد سكوت · ونشأ هناك حزب اخر كان من اهم مباديه ان كل اقاليم الولايات المتحدة يجب ان تكون حرة ولهذا دعي بحزب «الارض الحرة» واختار له مرشحا جان هايل من نيوهمشير ايضا · ففاز بالاكثرية مرشح الديموقراط فرنكلين بيرس · اما نيابة الرئاسة ففاز بها وليم كن من الالاباما

الفصل الحادي والخمسون

—رئاسة فرنكلين بيرس من سنة ١٨٥٣ الى سنة ١٨٥٧—

ولد الرئيس الجديد في ولاية نيوهمشير وتخرج في كلية بدون ونبغ في علم الشريعة · وكان سياسيا محنكا وخاض غمار المعارك في حرب المكسيك برتبة جنرال · اما نائب الرئيس فقد كان في كوبا انتجاعا للعافية ابان الاحتفال بتنصيب الرئيس وقد جرى تحليفه القسم المفروض هناك وكان يزداد جسمه نحولا وقواه انحطاطا فعاد الى بيته حيث قضى نحبه في ١٨ نيسان سنة ١٨٥٣ · وبحسب الاصول شغل مركزه ناظر الخارجية وليم مارسي من نيويورك

وصيف عام ١٨٥٣ اوفدت الحكومة عددا من المهندسين لتخطيط طريقا حديدية تمتد الى الاوقيانوس الباسيفيكي · وظهر ذلك صعبا جدا في باديء الامر غير انه ما لبث ان اخرج الى حيز الوجود · وفي تلك السنة سويت مسألة الحدود المختلف عليها بين مقاطعة نيومكسكو ومقاطعة شيهوها · ووجدوا ان الخريطة المرسومة عليها الحدود الفاصلة بين الولايات المتحدة وبلاد المكسيك مغلوطة فاحب سانتا انا الذي انتخب لرئاسة المكسيك ثانية ان يغتنم الفرصة السانحة فارسل جندا لاحتلال الاراضي الواقعة بين التخم المغلوط والتخم الصحيح · غير ان ولاية نيومكسكو وحكومة اميركا قاومتا ذلك



— « فرنكلين بيرس » —

الاحتلال حتى خشي نشوب حرب اخرى بين اميركا والمكسيك فتولوفي الامر بمشترى الاولى من الثانية الارض الواقع النزاع بسببها حسما للشجار وحقنا للدماء · وذلك الشراء هو المعروف «بشراء كادسند» ومن تلك الارض انشئت مقاطعة اريزونا

وتحفظ السنة الاولى من رئاسة بيرس ذكر بدء العلاقات بين الولايات المتحدة واليابان عندما فتح القصر البلوري في مدينة نيويورك لاقامة المعرض العمومي الثاني · وكان القصر المذكور اعجوبة في حسن البناء وشكل الهندسة وكان مبنيا من الحديد والبلور وعرضت فيه مصنوعات سائر الامم المتمدنة · وقد اعجب الشعب الاميركي

بمصنوعات واختراعات بلاده التي نالت التفاتا خاصا من سائر زائري المعرض

وبمدة رئاسة بيرس كانت البلاد تضطرب حينا بعد اخر من توالي هجوم الجنرال وليم ووكر على اميركا الوسطى من عندياته نفسه وليس من ايعاز الحكومة اليه · ناحيا بذلك منحى لوبز الذي هاجم كوبا كما مر · فابتدا ذلك غزواته سنة ١٨٥٣ حين فر بنفر من مشايعيه من مينا سان فرنسيسكو ونزل في بلدة لاباز من كاليفورنيا السفلى وفي ربيع العام التالي مشى الى الداخلية مع ماية رجل واضرموا نار الشغب في ولاية سونور غير ان الاهالين فرقوا شمل زمرته واستاقوه اسيرا · وفي ايار من تلك السنة جرت محاكمته في سان فرنسيسكو واخلي سبيله · فلم يرعو عن غيه ويثوب اليه رشده بل انه دبر زمرة اخرى عدد رجالها ستون وسار بهم يقصد اواسط اميركا حيث انضمت اليه فرقة من السكان فحارب وانتصر في موقعة في ريفراس كما انه انتصر في معركة اخرى في خليج فرجن وما زالت انتصاراته متوالية حتى ذاع صيته ووقعت في القلوب رهبته واخيرا انتخب رئيسا على نيكاراوغا ولكن لم تكن ايام عزه طويلة فقد قبض عليه في غرة ايار سنة ١٨٥٧ وسيق اسيرا واعيد الى نيواورلينس وهناك أطلق سراحه · وما كان ذلك ليغمد سيف اطماعه بل عاد فجند زمرة من البطالين وفي ٢٥ ت ٢ تمكن من الوصول الى مدينة بنتاريناس من جمهورية نيكارغوا · على انه ارغم بعد شهر على التسليم للكومندور بولدن الاميركي وجيء به الى مدينة نيويورك وسجن فيها مدة ثم افرج عنه فاعاد الكرة سنة ١٨٦٠ على اميركا الوسطى للمرة الثالثة ومعه قوة لايستخف بها وفي هذه الحملة حلت ركابه في بلدة تركسيلو من هندوراس فهب رئيسها للذوذ عن بلاده وبمساعدة بارجة انكليزية كانت هناك القي القبض على ووكر وزمرته فحوكم امام مجلس عرفي وحكم عليه بالاعدام رميا بالرصاص

ونحو هذا الزمان حدث ايضا ما هو معروف عند ساسة الاميركان «بقضايا مارتن

كوزتا فمارتن المذكور كان زعيم الثائرين في بلاد النمسا سنة ١٨٤٩ . فبعد ان اخمدت نيران الثورة فر هاربا الى تركيا فطلبته النمسا منها رسميا بدعوى انه مجرم سياسي فابت تركيا تسليمه ولكنها رضيت بنفيه الى احدى البلاد الاجنبية فاختار مارتن كوزتا الولايات المتحدة فنفي اليها وحصل فيها على الورقة الاولى التي يحوزها كل راغب في الدخول في الجنسية الاميركية وقبل ان يحوز على الجنسية التامة عاد الى تركيا سنة ١٨٥٤ فوصل الى مرفا مدينة سميرنا «ازمير» فاخذ من القنصل الاميركي فيها تذكرة مرورونزل الى المدينة فلما دري بالخبر القنصل النمساوي فيها ولم تكن له قوة على القبض عليه رشا بعضا من مفلسي الرجال ببعض دريهمات فقبضوا على كوزتا وطرحوه في الماء في خليج سميرنا فانتشله بحارة بارجة نمساوية كانوا بالانتظار هناك واعتقلوه في بارجتهم . فطلب القنصل الاميركي الافراج عنه فابي النمساويون ذلك . وكان في مرفأ سميرنا ايضا بارجة اميركية اسمها سانت لويس فلما اصر النمساويون على عدم تسليم مارتن كوزتا صوب ربانها المدافع نحو البارجة النمساوية وهم باطلاقها عليها غير ان الفريقين اتفقا على تسليم كوزتا للقنصل الفرنساوي ريثما تثبت جنايته وفوض الفحص عن ذلك للبارون هلسمن سفير النمسا في واشنطن ولناظر الخارجية الاميركي ودارت بين الاثنين مجادلات عنيفة بشان الجنسية والتبعة وحقوق الدول ونحو ذلك مما يطول شرحه وانتهت تلك المناقشات بانتصار المستر مارسي الاميركي وتسليم كوزتا للولايات المتحدة

ولقد عادت غيوم الاختلاف الى تغيير جو السياسة بين اسبانيا والولايات المتحدة بسبب كوبا ايضا وذلك في خلال سنة ١٨٥٣ ــ٥٤ فقد لاح للرئيس بيرس انه بالنظر للضيق المالي الحاصل في اسبانيا واحتياج خزينتها الى الدراهم يمكنه ابتياع كوبا بثمن بخس وضمها الى الولايات المتحدة . فاوعز اولا الى سفير اميركا في مدريد ان يفاتح حكومة

اسبانيا بذلك الشان · وبعد هذا ارسل وفدا خصيصا لتلك الغاية موءلفا من جيمس بوشنان وجان ماسن · فعقد سفراء الدول التي يعنيها الامر اجتماعا في مدينة اوستاند وهناك دونت اللائحة المعروفة بلائحة اوستاند وهي تتضمن خلاصة الابحاث التي دارت حول ابتياع كوبا والحاقها بالولايات المتحدة · غير ان اهمية تلك اللائحة لم تتجاوز القرطاس المدونة فيه

وكانت الاراضي الواقعة غربي ولايات ميناسوتا وايوا ومزوري على وشك التحول الى اقاليم مستقلة وكانت جماهير المهاجرين تتدفق اليها بكثرة فائقة والضرورة تقضي بامعان النظر في ماسيكون مستقبل تلك النواحي· وسنة ١٨٥٤ طرح احد النواب على بساط البحث مسألة انشاء مقاطعتي كنساس ونبراسكا وان تترك مسألة الاسترقاق لاختيار سكانهما · وقد طال امد البحث في اللائحة المذكورة سيما وان مسألة العبيد والاستعباد كانت غير متفق عليها بعد والنواب مقسومون الى مستحسن ومستهجن واخيرا بعد محاورات طويلة اجاز مجلس النواب اللائحة المذكورة وصادق عليها الرئيس سنة ١٨٥٤

واضحت كنساس ميدانا لمعارك الجدال والمناقشات التي قامت حول مسألة الاستعباد التي تركت لاختيار الشعب بواسطة الاقتراع · وصار مناصرو الاحزاب المتضاربة يردون الى كنساس من كل فج سحيق لتأييد اراء احزابهم واسفرت تلك المطاحنات عن فوز الحزب المناصر للاستعباد وضاده حزب اخر في ذلك · فالحزب الاول سن دستورا يجيز الاسترقاق فسن الحزب الاخر دستورا يمنعه واخيرا اصلتوا السيوف في رقاب بعضهم وتلاحموا بحرب اهلية توقد سعيرها من خريف سنة ١٨٥٥ الى صيف السنة التالية · واخيرا عين الرئيس جان كيري من بنسلفانيا حاكما لمقاطعة تكساس وكان مفوضا تفويضا تاما بتأديب المشاغبين واعادة السلام الى نصابه · فلما

وصل الى مركزه توقف الحزبان عن الصدام فسادت السكينة • غير ان ذلك الشقاق كان له تأثير عام في البلاد كلها وانقسم الناس الى قسمين وكان له تاثير ايضا في الانتخابات التالية سنة ١٨٥٦

وتأهبت الاحزاب للمعركة السياسية المعتادة فرشح حزب الديموقراط جيمس بوشنان لمقام الرئاسة وحزب الاراضي الحرة او حزب الشعب كما كانوا يدعونه رشح جان فريمونت من كاليفورنيا • اما منزع الديموقراط لجهة الاسترقاق فكان ان كل ولاية ومقاطعة تفعل ما تشاء من ذلك القبيل •واما حزب الشعب فكان يقول بوجوب سن شريعة لالغاء الاسترقاق المكروه • ونشأ حزب جديد عرف باسم اللاداري ورشح مار فلمور للرئاسة وكان مرمى هذا الحزب اغفال ذكر الاسترقاق بالكلية • فنال اكثرية الاصوات جيمس بوشنان فانتخب رئيسا وانتخب جان بركنردج من كنتكي نائب رئيس

الفصل الثاني والخمسون

ـ رئاسة جيمس بوشنان من سنة ١٨٥٦ الى سنة ١٨٦١ ـ

ولد رئيس الولايات المتحدة الجديد في ١٣ نيسان سنة ١٧٩١ في بنسلفانيا ودرس الشريعة واشتغل في مهنة وكيل دعاوى · وسنة ١٨٣١ تعين سفيرا لدولته لدى دولة روسيا ·وبعد ذلك انتخب عضوا في مجلس الشيوخ وبعد ذلك عينه الرئيس بولك ناظرا للخارجية ·وسنة ١٨٥٣ تعين سفيرا في لندن واقام فيها الى زمن ترشيحه للرئاسة وقد عين الجنرال لويس كايس من مشغن ناظرا للخارجية

وبعد تنصيب بوشنان رئيسا بايام قليلة اصدرت محكمة الولايات المتحدة العليا قرارها المعروف بتاريخ الولايات المتحدة بقرار «درد سكوت » ·ودرد سكوت المذكور زنجي ابتاعه الدكتور امرسن من مزوري وادخله في خدمته وهو طبيب في الجيش الاميركي ·واذ كان الطبيب ينتقل من مكان الى اخر بحسب ما تقتضيه وظيفته كان يصحب معه الزنجي المذكور · وسنة ١٨٣٦ تعين امرسن طبيبا في فورت سنلن في مينا سوتا وكان قد ابتاع امة ايضا · فاتفق سكوت المذكور معها على الزواج وتزوجا فولد لهما ولدان وبعد ذلك نقلت العائلة كلها الى سانت لويس وبيعت هناك· فصدر درد سكوت على سيده الجديد دعوى طالبا الانعتاق فسمعت دعواه في محاكم مزوري ومن

ثم استوأنفت الى محكمة الولايات المتحدة العليا في شهر ايار سنة ١٨٥٤ فدامت تلك الدعوى قيد البحث والمرافعة في تلك المحكمة مدة ثلاث سنوات واخيرا اصدرت المحكمة حكمها في شهر اذار سنة ١٨٥٧ ومما قاله القاضي الاعلى او قاضي القضاة ابان الحكم في تلك الدعوى ان الزنوج سواء كانوا ارقاء ام احرارا ليسوا رعية اميركية ولا يستطيعون ان يصيروا كذلك بحسب الدستور · وانه بموجب شريعة الولايات المتحدة ان العبد لا يشكو ولا يشكى عليه وبناء على ذلك فالمحكمة ليس لديها دعوى لكي تنظر فيها وتبث حكمها وان العبد حكمه حكم سائر المقتنيات الاخرى فيسوغ انتقاله من مالك الى اخر ومن مكان الى غيره والشريعة تصرح بذلك ·وبناء على هذا القرار فالتسوية التي اجريت بشان مزوري سنة ١٨٢٠ وما جرى من هذا النوع سنة ١٨٥٠ يعد لغوا لمخالفته نص الدستور · وساهم القاضي واسمه تاني معظم القضاة في ذلك القرار الذي كان له اشد استحسان في الولايات الجنوبية واما في الولايات الشمالية فقوبل بالانتقاد والاستهجان

وفي السنه الاولى من رئاسة بوشنان تمرد المورمون في يوطا واوقدوا سعير العصيان بسبب محاولة اجراء طرق القضاء المرعية في الولايات المتحدة في مقاطعتهم · وقد كان المستر يون الحاكم المورموني في يوطا يجري القضاء بحسب مشتهى نفسه غير مقيد بنظام · وتسربت الى تلك المقاطعة امور مضادة للشرائع الاميركية · فارسلت الحكومة قاضيا يتولى الحكم في الامور القضائية الهامة فلما وصل الى يوطا قاومه المورمون واهانوه واجبروه على الخروج من ارضهم كما انهم طردوا بقية موظفي الحكومة من مناصبهم فعمت الاضطرابات هناك وسادت الفوضى ·وقد اعتذر المورمون عن تصرفهم المغاير هذا بان الموظفين كانوا من غير ذوي الصفات الحسنة ولذلك احتقرهم الشعب وازدرى بهم غير ان الحكومة لم تعر ذلك العذر الفارغ اذنا صاغية بل خلعت يون من الحكم

وعينت مكانه الفرد كمن مدير الهنود في مزوري العليا · وعينت قاضيا يجلس على دكة القضاء العليا في يوطا وسيرت الفين وخمسماية جندي الى يوطا لتأديب من يعصو اوامر الحكومة ولقمع شوكة المردة

بيد ان الحاكم يون وزعماء المورمون ابوا التخلي عن السلطة دون مقاومة وكفاح فاشاعوا بين ظهرانيهم ان الجنود الاميركية القادمة اليهم انما هم سفاحون برابرة واثاروهم على المقاومة وفي شهر ايلول وصلت قوة الحكومة الى يوطا ·وفي سادس تشرين الاول دجم متطوعو المورمون على القطورات الناقلة امتعة الجنود فكسروها ودمروا ما فيها · فلما جاء الشتاء لم يكن لدى الجنود ما يقوم بحاجتهم فاضطروا ان يلتجئوا في اماكن مختلفة لوقاية من قرصات البرد · وفي تلك الاثناء اوفد الرئيس طوماس كاين من بنسلفانيا يحمل رسالة منه الى المورمون وفيه يحثهم على الانقياد الى السكينة · فبلغ الى يوطا في الربيع من سنة ١٨٥٨ وما لبث حتى جعل تقاربا بين الحاكم وجماعة الثائرين · وفي اواخر شهر ايار حضر الى يوطا ايضا حاكما كنتكي وتكساس يحملان من الرئيس عفوا عن كل من يطيع النظام ويخلد الى السكينة·وكانت سورة الغضب قد همدت بين المورمون فرضخوا لاوامر الحكومة ·وفي الخريف جاءت الجنود الى صولت ليك ستي وما لبثوا حتى غادروها ونزلوا على بعد اربعين ميلا عنها وظلوا هناك الى ان عادت مياه السلام الى مجاريها وبارحوا يوطا في شهر ايار سنة ١٨٦٠

وقد حفظ التاريخ يوم خامس شهر اب عام ١٨٥٨ بين الايام المشهورة في تاريخ الكون ففيه تم مد اول سلك برقي قاطع الاوقيانوس الاتلانتيكي ·ومرجع الفضل في ذلك الى فطنة وذكاء سيرس فيلد وهو تاجر غني من نيويورك · والسلك المذكور طوله الف وستماية واربعون ميلا ويمتد من خليج الثالوث في نيوفوندلاند الى خليج فالنيت في ايرلاندا · وبه تمت المواصلات بين العالمين القديم والجديد

وقد انضمت مينا سوتا الى الاتحاد الاميركي عام ١٨٥٨ ومساحتها نيف وواحد وثمانون الف ميل مربع وعدد سكانهاماية وخمسون الف نفس · وفي السنة التالية انخرطت اورغن ايضا في عداد الولايات المتحدة ومساحتها ٤٨ الف ميل مربع وعدد سكانها ٨٠ الفا · وفي ادار من تلك السنة ودع الجنرال سام هوستن من تكساس مجلس الشيوخ الذي كان من اعضائه واعتزل الخدمة العمومية وانقطع للراحة · وله خدمات جليلة اهمها انتصاراته في حرب الهنود وتنظيم شوءون ولايته ابان انتخب اول حاكم لهاوهوايضا اول نائب عنهافي مجلس الشيوخ ولهافعال مجيدة غير تلك اقتصرنا على ذكر ما تقدم منها ·وسنة ١٨٥٩ فقدت الولايات المتحدة عالما من خيرة العلماء وموءلفا من اشهر موءلفي العصر ليس في اميركا فقط بل في العالم كله وهو واشنطن ارفن صاحب الموءلفات المفيدة والمقالات الرنانة التي كان يرن صداها في العالمين

وما زالت مسألة الاسترقاق الشغل الشاغل افكار الامة الاميركية · والمحور الذي تدور عليه ابحاث الرجال على اختلاف طبقاتهم ومراتبهم · وكان الرئيس يرجو ان قرار المحكمة العليا بشان مسألة الزنجي درد سكوت التي مر ذكرها يقلل من ضوضاء الامة بذلك الشان · غير ان الامر جاء على عكس ما كان يرجو فكان ذلك القرار بمثابة وقود للنار فزادها اضطراما وتسعرا · وقد حمل الغيظ بعضهم على اظهار المشاكسة العلنية للحكومة كما فعل جان برون من كنساس سنة ١٨٥٩ فقد هجم مع بعض الاغرار على دار الاسلحة في هاربرزفري واستولى عليه ودام يومين في حوزته وما لبثت عساكر الحكومة ان هاجمته وقتلت ثلاثة عشر من رجاله وقبض عليه وعلى ستة معه وسيقوا الى المحاكمة في فرجينيا واعدموا شنقا · ومازال الشغب في اركنساس حتى استولى حزب «الارض الحرة» على الراي العام واكدوا للعامة ان الاسترقاق يمنع في ولايتهم وكانت تلك الحوادث تزيد الخرق اتساعا والنار ضراما بين ولايات

الشمال والجنوب هكذا كانت احوال الامة لما ازف وقت الانتخاب السادس عشر لرئاسة الجمهورية

واشتبكت البلاد بمعركة سياسية عظيمة بسبب الانتخابات لم يجر اعظم منها في تاريخ الانتخابات الماضية فكان المرشحون لذلك المنصب الخطير اربعة · فحزب الشعب وقد تحول اسمه الى حزب الربلكان رشح للرئاسة ابراهيم لنكلن من ولاية النيوز وكان هذا الحزب اكثر سائر الاحزاب مناهضة للاسترقاق · اما حزب الديموقراط فعقد موءتمره في مدينة شارلستون لترشيح شخص للرئاسة وهناك اختلف المندوبون على مسألة الاسترقاق اختلافا افضى الى انسحاب مندوبي الولايات الجنوبية من الموءتمر عندما راوا ان مندوبي الشمال الموءلفين الاكثرية سيرشحون شخصا لا توافق مباديه السياسية اميال سكان الجنوب · اما المندوبون المتبقون فاتفقوا في ثالث ايار على تأجيل الترشيح الى موءتمر اخر يعقد في مدينة بلطيمور · فاجتمعوا هناك ثانية ورشحوا جان دو غلاس للرئاسة · اما المندوبون الذين انسحبوا من الموءتمر الاول فاجتمعوا في رتشمند اولا ثم نقلوا اجتماعهم الى بلطيمور وهناك رشحوا جان بركنزدج من كنتكي لمنصب الرئاسة · اما الحزب الاميركي الذي تحول اسمه الى حزب الاتحاد الدستوري فرشحوا جان بل من تناسي وبعد عراك عنيف وتطاحن بين الاحزاب فاز بالاكثرية المستر ابرهيم لنكلن مرشح حزب الربلكان فحاز اصوات كل ولايات الشمال ماخلا ولاية نيوجرزي التي انقسم سكانها الى قسمين قسم انتخب لنكلن والقسم الاخر انتخب مناظريه وهكذا غلب حزب الديموقراط على امره بعد توليه السيادة مدة ستين سنة

ولقد جاهر زعماء الولايات الجنوبية بانه اذا تم انتخاب لنكلن للرئاسة فيكون ذلك سببا لفصم عرى الاتحاد الاميركي · اما حزب الربلكان فتم لهم ما ارادوا وفاز مرشحه بعد عراك شديد ونصب طويل · وكانت الحكومة نفسها منقادة لراي دوغلاس الديموقراطي

بينما معظم الوزراء والقسم الاكبر من اعضاء مجلس النواب كانوا يناصرون بر كنردج
وواضح ان السلطة ستصبح بيد حزب الريبلكان

وكان الاضطراب والتشويش والبلبلة سائدة في سائر انحاء البلاد · والوسائل التي يمكن اتخاذها لحل الاتحاد كانت موفورة · على ان الراغبين في دك قواعد الاتحاد كانوا يرون ان تلك الفرصة لا تكون طويلة بفضل الوسائل التي تذرع بها الغيورون على دوامه سيما وان الرئيس المنتخب نفسه لم يكن من الراغبين في الانفصال وقد انكر ذلك الحق على اية ولاية شاءته · ولكنه بالوقت نفسه اعلن ان الدستور لا يخوله السلطة على مقاومة الولايات اذا رغبت في الانفصال ولا على اكراهها على مداومة الاتحاد · ولم تبق لزعماء الولايات الجنوبية فرصة لنيل وطرهم بفصم الاتحاد سوى الفترة بين انتخاب الرئيس في خريف عام ١٨٦٠ وتنصيبه في الربيع التالي

واول من باشر حل الاتحاد ولاية سوث كارولينا · ففي ١٧ كـ١ سنة ١٨٦٠ عقد نوابها موءتمرا في شارلستون وبعد محاورات ومناقشات مدة ثلاثة ايام اجازوا القرار التالي وهو · ان الاتحاد الكائن حتى هذا اليوم بين سوث كارولينا والولايات الاخرى والمعروف باسم الولايات المتحدة الاميركية قد انحل منذ هذا التاريخ · وكانت تلك الخطوة من جانب سوث كارولينا خطيرة وموجبة للقلق · ولم تلبث الولايات الجنوبية الاخرى حتى اقتفت خطوات سوث كارولينا · ففي غرة شباط سنة ١٨٦١ اعلنت ولايات مسسبي وفلوردا والاباما وجيورجيا ولوزيانا وتكساس خروجها من الاتحاد الاميركي ومعظم نواب هذه الولايات في مجلس الامة استعفوا من مراكزهم وذهبوا الى ولاياتهم موءيدين مافعلت · على ان نفرا من عقلاء الجنوب لم يرق لهم العمل فقاوموه جهدهم ودعوه بابا للخراب والدمار والتعاسة للبلاد الى غير ذلك من الاقاويل الحكمية · وممن اشتهر بينهم بالفصاحة وقوة الحجة وكان مع موالاته لشعب الجنوب مضادا لامر الانفصال

اسكندر ستيفنس الذي تم انتخابه بعد ذلك رئيسا للولايات المنفصلة· فقد رنت خطبة في كل صاعة اجتمع فيها نواب الولايات الجنوبية ·ولكن الاكثرية كانت راغبة في الانفصال فلم يجد اولئك العقلاء مجالا للعمل فكان ما قدر وتم الانقسام

وفي رابع شهر شباط سنة ١٨٦١ اجتمع نواب الولايات المنفصلة المذكورة في موءتمر عقد في مونتغمري من ولاية الاباما والفوا حكومة جديدة باسم الولايات المتحالفة الاميركية وفي ثامن الشهر المذكور تأيدت تلك الحكومة الجديدة بانتخاب جفرسن دايفس من مسسبي رئيسا لها واسكندر ستيفنس نائب رئيس ·وفي نفس اليوم الذي التأم فيه مجلس نواب الولايات المتحالفة في مونتغمري التأم مجلس سامي في واشنطن العاصمة حضره نواب عن احدى وعشرين ولاية وتفاوضوا في امر تحوير بعض مواد من الدستور وارسلوها الى الكونغرس للمناقشة فلم يعر الكونغرس لائحة موءتمر السلام اصغاء فانحل ذلك المجلس بدون ان يأتي عملا مذكورا

وبدت طلائع الخراب والدمار في البلاد وكانت الحكومة آتئذ مغلولة اليدين فلم تستطيع الاتيان بعمل ·والجيش كان متضعضعا متفرقا والاسطول ماخرا في البحور البعيدة والرئيس محاطا بحاشية مترددة وعديمة الثبات وسقيمة الراي ·وكل الحصون والقلاع في ولايات الجنوبية استولت عليها الولايات المنفصلة خلا قلعتي سمتر ومولتري في خليج شارلستون وقلعة بكنس قرب نهر بنسا كولا وحصن منرو على نهر شاسبيك زد على ذلك متابعة الخصام والقتال في ولاية كنساس · وقد حاول الرئيس ارسال نجدة لحامية قلعة سمتر فسير اليها سفينة تنقل ذخيرة ورجالا فلما وصلت الى اول الخليج اطلق عليها الحزب المضاد نيرانهم فاضطروها الى الرجوع بالفشل · وقد انتهت مدة رئاسة بوشنان في وسط معمعة تلك الاضطرابات والقلاقل المحيطة بالبلاد من كل جهة والانقسام والتحزب والتشويش ضارب اطنابه في كل مكان وغيوم الفوضى متلبدة في جو

الولايات كلها · ذلك كان موقف الرئيس الجديد الذي سيدخل العاصمة كاحد العامة دون ان تبدو عند دخوله اياها ادنى اشارة الى الابهة والجلال · وكانت تلك المرة الاولى في تاريخ البلاد ان الرئيس يدخل العاصمة تحت جنح الظلام

الفصل الثالث والخمسون

— رئاسة ابراهيم لنكلن والحرب الاهلية من سنة ١٨٦١ الى سنة ١٨٦٥ —

ان كلا من حياة ابراهيم لنكلن الرئيس السادس عشر على الولايات المتحدة والحرب الاهلية الاميركية يشغل بذاته مجلدا مستقلا ولكننا اقتصرنا فيهما على ذكر الامور الهامة وضربنا صفحا عما لا اهمية تاريخية له ولا يخل اهماله بالفائدة المبتغاة

ولد ابراهيم لنكلن في مقاطعة لارومن ولاية كنتكي في ١٢ شباط سنة ١٨٠٩ وقد هاجر والداه اليها من فرجينيا · واخبار صبوته غامضة تماما فلا يعرف عنها شيء يركن اليه · وسنة ١٨١٦ نقل والده الى مقاطعة سبنسر في ولاية انديانا وكان ذلك عام انضمامها الى الاتحاد الاميركي وبنى له كوخا في الاحراج قرب قرية جنتريفل حالا وهناك قطن ابراهيم لنكلن الذي كان في صراع مستمر مع الفقر والشقاء والنصب وفي السنة السادسة عشرة من عمره كان يدير قاربا يعبر فيه الناس في نهر اوهايو من الجانب الواحد الى الجانب الاخر قرب مصب جدول اندرسن · وكان مرتبه ستة



ـــ« ابراهيم لنكان »ـــ

دولارات في الشهر . اما مجموع الايام التي صرفها في المدرسة فلم تتجاوز السنة وذلك كل ما قدر ان يحصل عليه من الوقت لتلقي العلوم ولا نرانا بحاجة الى الاشارة كم يستطيع المرء ان يتعلم خلال سنة واحدة . ولما ادرك سن البلوغ نقل مع عائلة ابيه الى مكان يبعد عشرة اميال عن بلدة دكتشر في ولاية الينوز . وهناك ابتنوا كوخا خشبيا ايضا واقتنوا مزرعة صغيرة واحاطوا حولها سياجا وفي ذلك المكان شرع ابراهيم لنكلن يجاهد في ميدان الحياة الهائل

وبعد ان عمل مدة في قوارب النقل في نهر مسسبي عاد الى نيوسالم التي تبعد

مسافة عشرين ميلا عن سبرنغفيلد واستخدم في احد الحوانيت • ولما نشبت حرب الهنود المعروفة بحرب (البلاك هوك)خاض معاركها برتبة ضابط في فرقة المتطوعين •ومن سنة ١٨٣٣ ـــ ٣٦ اشتغل ببيع السلع وكان له شريك خالع العذار سبب افلاسه • فحول ابصاره الى فن المحاماة الذي طالما حن اليه فشرع يدرس الشريعة لنفسه حتى فاق بها على تلامذة المدارس وصار نابغة زمانه واكتسب شهرة بعيدة • والمواهب التي خصه الله بها وقد سطعت انوارها في كل ادوار حياته هي انه كان يتناول عويصات المشاكل وغويص الكلام ويحسم عنها اللثام فيجعلها سهلة الفهم سريعة التناول على ابسط البسطاء ويقرب الحقائق من افهام العامة فطارت بذلك شهرته وغدا بحكم الطبع زعيما وقائدا للراي العام •وقد انتخب عضوافي مجلس نواب الامة عن ولاية النيوز وهناك دارالحوار الشهير بينه وبين دوغلاس الذي ابدى فيه من ساطع البرهان وقوة الحجة ما الفت اليه الابصار ودهشت منه عقول الساسة المحنكين • وبعد ذلك اسند اليه اسمى منصب في اعظم جمهورية غير انه كان محفوفا بالاخطار وغيوم الاضطراب كثيفة في جوه كما تقدم • وعند الاحتفاء بتنصيبه فاه بخطاب يزري بالدرر الغوالي وقد اظهر تمام استعداده للمحافظة على الدستور وانفاذ منطوق الشريعة وانقاذ الاتحاد من التجزئة والانقسام

وعين لنكلن وزراء ترسم بهم الاهلية والكفاية • وفي رسالته الاولى الى الكونغرس ابان كما فعل في خطاب تنصيبه وجوب استرجاع القلاع والحصون ودور الاسلحةوغيرها التي وقعت بيد حكومة الولايات المتحالفة • وهو اول من سعى في اعداد الجيش وتجهيزه •وقد طلبت حكومة التحالف من حكومة الاتحاد في ١٢ اذار ان تعترف الثانية باستقلال الاولى غير ان ذلك الطلب قوبل بالرفض التام • وقد حاولت حكومة الولايات المتحدة ارسال نجدة الى حامية قلعة سمتر فكان بذلك بداية الحرب بين شعب الحكومتين

وكانت مواقع الدفاع في مرفأ شارلستون بيد الماجور ربرت اندرسن وعدد رجاله تسعة وسبعون نفط فارتأى انه من الحكمة ان يخلي قلعة مولتري وينضم برجاله الى حامية قلعة سمتر ٠ وفي غضون ذلك كان متطوعو الحكومة المتحالفة قد ملئوا المدينة وار كزوا بطاريات قوية حول الخليج ٠ فلما نمي الى حكومة التحالف ان حكومة الاتحاد سترسل نجدة لحامية القلاع التي بقيت في حوزتها اسرعت فارسلت قوة لارغام اندرسن المذكور على التسليم وعليه ففي ١١ نيسان ارسل الجنرال بيورغراد رئيس القواد في شارلستون خبراً الى قلعة سمتر طالباً الى حاميتها التسليم فاجاب الماجور اندرسن انه سيحمي القلعة ويدافع عن راية حكومته ٠ وفي الصباح التالي عند الساعة الرابعة ونصف اطلقت القنبلة الاولى من بطاريات الولايات المتحالفة على حصن الولايات المتحدة وعقب ذلك صب نار حامية على تلك القلعة مدة اربع وثلاثين ساعة فاخربت القلعة واندلعت السن اللهيب في جوانبها فاضطرت حاميتها الى التسليم ٠ فاثنت الحكومة على بسالة اندرسن ورجاله الذين دافعوا عن موقفهم دفاع الابطال تحت رصاص العدو المنهمر عليهم كالمطر الهتان والعجيب دوانه مع توالي تبادل اطلاق القنابل لم يحصل ضرر في النفوس لافي القلعة ولا على الشاطيء وهكذا اضحت مواقع الدفاع في مرفأ شارلستون بيد حكومة التحالف

فلما ذاع خبر ذلك ذعرت له الامة واحتشدت الوف الخلق في المدن والقرى للوقوف على حقيقة الحادث ٠ وشرع شعب الحكومتين يتأهبون ليوم عصيب ٠ وبعد تسليم قلعة سمتر بثلاثة ايام اصدر الرئيس لنكلن منشوراً يطلب فيه الى الامة ان تجند خمسة وسبعين الف متطوع ليدخلوا في خدمة الحكومة مدة ثلاثة اشهر ٠ وبعد ذلك بيومين انسحبت فرجينيا ايضاً من الاتحاد الاميركي ٠ وفي سادس شهر ايار حذت حذوها اركنساس وتبعتها نورث كارولينا في ٢٠ منه اما تنسي فكان كثيرون من اهلها غير

راضين تماما عن الانسلاخ عن جسم الاتحاد فلم يتم انسحابها حتى ثامن حزيران من تلك السنة. اما مزوري فافضى الشقاق بين سكانها الى حرب اهلية كما سيجيء . وولاية كنتكي اعلنت حيادها . وسكان ولاية ماريلاند انقسموا الى قسمين فازمنهما المناهض للاتحاد

وفي ١٩ نيسان بينما كانت اول فرقة متطوعة من ولاية مساتشوستس مارة بمدينة بلطيمور في طريقها الى واشنطن العاصمة اطلق عليها الاهلون عياراتهم فقتلوا ثلاثة رجال وكان دمهم اول دم طل في تلك الحرب . وقبل ذلك الحادث بيوم واحد تقدمت كتيبة من جنود التحالف وهجمت على مستودع الاسلحة في هاربرز فري . فتسرع القائد القائم على حمايته واتلف قسما من السلاح والذخيرة وفر هاربا الى بنسلفانيا . وفي ٢٠ الشهر المذكور هجمت كتيبة اخرى من فرجينيا على معمل السفن في نورفوك فاحرقه رجال حاميته بما فيه واتلفوا المدافع وانسحبوا من هناك . غير ان الجنوبيين اصلحوا عددا من السفن والمدافع فصارت صالحة للعمل وتقدر قيمة مـا غنموه بعشرة ملايين دولار وتسارعت جنود الجنوب الى فرجينيا من كل حدب وصوب حتى خشي على العاصمة منهم . ولكن الحكومة اخذت الحيطة فجعلتها بمأمن منهم . وفي ثالث شهر ايار اصدر الرئيس منشورا آخر بطلب ثلاثة وثمانين الف جندي ومدة الخدمة اما ثلاث سنوات او مدة دوام الحرب . وتعين الجنرال ونفيلد سكوت قائدا عاما . وسيروا ما استطاعوا من السفن الحربية لمهاجمة المواني الجنوبية . واين توجهت في البلاد كنت ترى التاهب للحرب على قدم وساق . وكان مجلس حكومة التحالف قد اجل اجتماعه في ٢٠ تموز على امل الاجتماع ثانية في مدينة رتشمند التي اختاروها قاعدة لحكومتهم واليها جاء المستر دايفس وحاشيته لادارة شؤون الحكومة والجيش هذا كان موقف الجانبين في اول تموز سنة ١٨٦١ وقد انتفى كل ريب وتحقق الامر بان حربا ضروسا قريبة الوقوع

وربما كانت من اعظم حروب المتأخرين · ولا بد لنا من الخوض في مضمار البحث عن مسببات تلك الحرب المشومة

ان السبب الاول والاهم في حرب الولايات المتحدة الاهلية هوالاختلاف الحاصل بين شعب الشمال وشعب الجنوب على فهم مضمون الدستور او الشرائع الاساسية · وطالما فسر الحزب الواحد تلك الشرائع تفسيرا يخالف تفسير الحزب الاخر والمحور الذي دارت حوله تلك الاختلافات هو العلاقات بين ولاية واخرى والحكومة العامة · فالحزب الواحد وهو سكان الولايات الشمالية ادعوا انه بموجب النظام لا يسوغ حل الاتحاد بين الولايات اذا شاءت هي ذلك وان السلطة على الامة هي بيد حكومة الولايات المتحدة وحكومة الولايات تابعة للحكومة الرئيسية ·وان الولايات يجب ان تخضع لقرارات مجلس الامة الا اذا حكمت المحكمة العليا بان تلك القرارات لا تنطبق على الشريعة· وان المرجع الاعلى لكل اميركي ليس ولايته بل الحكومة الرئيسية و كل ولاية تحاول مخالفة هذه الامور وتسعى لحل الاتحاد الاميركي تكون قد ارتكبت الخيانة والختر · اما الحزب الاخر اي سكان الولايات الجنوبية فادعوا العكس تماما فقامت المناقشات والمجادلات بين الحزبين الى ان تحولت الى خصام فانقسام فحرب طاحنة ·وقد مر بنا ذكر امور اخرى اختلف الفريقان عليها منذ امد بعيد كمسألة التعريفة الجمركية وغيرها من المسائل التي لا حاجة لتكرارها·وقد جعلت مرجل الحقد يغلو مدة سنين عديدة الى ان انفجر اخيرا انفجارا هائلا

والسبب الثاني اختلاف طرق العمل في الشمال عن الجنوب · ففي الشمال كان العملة يعتبرون احرارا ولهم حق التصويت وفي الجنوب كانوا يحسبونهم عبيدا وليس لهم حقوق مدنية قط وزعموا ان الثروة تستولي على العمل ·اما في الشمال فاعتبروا الثروة والعمل صنوين · وفي السابق كانت كل المستعمرات تمارس الاسترقاق وهذا

الغي تدريجا في الولايات الشرقية والمتوسطة ولا يضاح ذلك نقول · كان كل سكان المستعمرات يشترون عبيدا ويجبرونهم على العمل الشاق فتلك العادة الغيت من الشرق والشمال وبقيت في الجنوب فكانت سببا للنزاع والشقاق ·وما طرحت مسألة الاسترقاق على بساط البحث مرة الا نتج بسببها خصام يتهدد اركان الاتحاد وينذره بالانحلال وكلما طال امد الاختلاف على تلك المسألة كان يتسع خرق التباغض والشقاق اتساعا فنشأت عن ذلك سلسلة اختلافات زادت في طين التباعد والبغضاء بلة وفي طنبور التنافر نغمة

واول البواعث على زيادة الشحناء اختراع محلاج للقطن وهو آلة لفصل القطن عن بزره وتفصيل ذلك هو انه سنة ١٧٩٣ ذهب عالي هوتني من مساتشوستس وهو خريج احدى كلياتها الى جيورجيا وسكن مع عائلة مدام كرين التي كان زوجها من مجاهدي حرب الاستقلال وبينما هو هناك لاحظ الصعوبات التي يتكبدها الفلاحون في تنظيف القطن من بزره فما كانت زراعة القطن تفي باتعاب الفلاح لكثرة ما ينفقه على تنظيفه ·ولم تكن هنالك طريقة لذلك سوى ايدي العملة · فعن للمستر هوتني اختراع آلة تقوم بذلك العمل وقد اتيح له ذلك فاصطنع آلة تدهش من يراها وهي تفصل القطن عن البزر بسرعة فائقة ونظافة تامة فزاد بذلك ايراد زراعي القطن اضعاف الاضعاف ووفر ايراد الحكومة بما صارت تاخذه من الرسوم على محصولات القطن التي اصبحت في اميركا تساوي سبعة اثمان الحاصل منه في العالم كله فبازدياد حاصلات القطن واتساع مجال العمل مست الحاجة الى ايد عاملة وعليه زاد تمسك سكان الجنوب بالعبيد والاسترقاق · وخشي من ذلك الحين فصاعدا بان مسالة الاسترقاق ستكون دوما سببا لتعكير جو السلام وتوليد الانقسام بين ساسة البلاد بل الضربة القاضية على اتحاد الولايات وبدت طلائع ذلك في المنازعات التي جرت



—(جيمس بوكنان)—

حين تحويل مزوري الى ولاية سنة ١٨٢٠ كما تقدم ولما سويت معضلة مزوري كان المستر كلاي ورفقاؤه شديدي الرغبة في انهاء مسألة الاسترقاق بحيث لا يبقى بعدها مجالا للمشاحنات في المستقبل فتم لهم ذلك ولكن الى اجل محدود

وعقب ذلك خروج سوث كارولينا من الاتحاد الاميركي واستقلالها والسبب الحامل هو مسألة الاسترقاق وما يتوفر به من الارباح لزارعي القطن · والولايات الجنوبية اضحت زراعية واهم محصولاتها القطن بينما الولايات الشرقية اهتمت بانشا

المصانع والمعامل فجاءت مسألة التعريفة ربحا للاخرين على نفقة الاولين ٠وقد رغب المستر كلهون ومناصروه في ان يتلافوا الاضرار التي نجمت عن الخلاف الذي حصل بسبب التعريفة بتحوير الشريعة التي سنها الكونغرس لذلك ففشلوا على رغم ان الضرورة تقضي بوجوب ترضية الحزب المعارض سيما وان صوته بالاحتجاج كان عاليا وتهديداته متوالية

ثم ان ضم تكساس الى الاتحاد الاميركي وسع دائرة الاسترقاق وزاد نيران التنازع والشقاق ضراما ٠ والذين ضادوا الحرب مع المكسيك لم يقدموا على ذلك لان الحرب بنفسها لم تكن عادلة بل لان بسببها تزداد قدم الاسترقاق رسوخا ٠ولما وضعت الحرب اوزارها قامت المنازعات على امر الاسترقاق في الولايات الجديدة المنضوية الى الاتحاد الاميركي وظلت الى ان صدرت لائحة اومنيبوس المار ذكرها فخمدت ضوضاء الشجار وقتئذ

وعام ١٨٥٤ اجيزت لائحة كنساس ونبراسكا فجاءت لغوا للتحكيم الذي تم بمسألة مزوري وظهرت المعضلة بشكل جديد ٠ وفضلا عن ذلك كان مبلغ التمدن والارتقاء مختلفا في الشمال عن الجنوب بمراحل ٠وفي تسوية الخلاف الذي حدث بسبب التملك كانت كفة الشماليين الراجحة ٠ وانقسام حزب الديموقراط على نفسه سنة ١٨٦٠ جعل انتخاب المستر لنكلن بانتخاب شعب الشمال امرا مقررا ولم يكن سكان الجنوب راضيا عن لنكان لان سياسته كانت مغايرة لمقاصدهم ومآربهم

والسبب الرئيسي الثالث للحرب الاهلية هو قلة المواصلات بين سكان الشمال وسكان الجنوب ٠ فالطرق الحديدية الكبرى كانت ممتدة بين الشرق والغرب وكانت الاتصالات بين سكان الجهتين دائمة ووافرة فصار لشعب كلتيهما اذواقا متقاربة وضربوا كلهم على وتر سياسة واحدة ٠ بخلاف سكان الجنوب الذين لم

تكن وسائط الانتقال موفورة لديهم للاختلاط بسكان الشرق والغرب فتميزوا عنهم في امور كثيرة حتى كادوا يحسبون اجانب عنهم ولا يخفى ما ينجم عن ذلك من التباين والتباغض والتحاسد وما شاكل ذلك

والسبب الرابع للحرب الاهلية كان المصنفات المختلفة والاحاديث الملفقة · فقد صنف كثيرون من الفريقين كتبا عديدة مملوءة اختلاقات واكاذيب والفئة الواحدة تحط من كرامة الاخرى وقد راجت تلك المصنفات رواجا عظيما مدة نحو عشرين سنة قبل الحرب الاهلية · فمن تقبيح الجانب الواحد باعمال وسياسة واراء وعادات الجانب الآخر تأصلت بذور الشقاق ونمت فكانت ثمارها الحرب الاهلية المشينة

ولربما ان سوء ادارة بعض كبار الموظفين الذين اوصلتهم الظروف الى مراكز ليسوا اهلا لها فلم يحسنوا لانفسهم ولا لامتهم يعد سببا خامسا في ادارة رحى الحرب وفي جلب ابناء الوطن الواحد الويل على بعضهم بعضا ·وقد دخل في خدمة الحكومة الاميركية كما قد يدخل في خدمة كل حكومات العالم رجال ليسوا على حب الوطن بشيء بل الانانية منزعهم والمصلحة النفسية ديدنهم فيبيعون الوطن بابخس الاثمان ويجعلونه ضحية على مذبح نفسانياتهم ومآربهم الذاتية

هذه هي اهم الاسباب التي اضرمت نار الحرب الاهلية ولربما وجدت اسباب ثانوية لا يعتد بها وليست خليقة بالذكر · ويقـال ان يد الانكليز كانت تبذر بزور الشقاق بواسطة رجال استأجرتهم لتلك الغاية حتى اذا ما انقسمت الامة على ذاتها تمكنت من الاستيلاء على القسم الواحد ثم على الآخر عملا بسياسة فرق تملك والله أعلم

الفصل الرابع والخمسون

ــحوادث السنة الاولى من الحرب الاهلية ــ

في ٢٤ ايار سنة ١٨٦١ عبر جيش «١» الاتحاد نهر بوتوماك من واشنطن العاصمة الى الكسندريا ٠ وكان آنئذ ١٢ الف جندي نازلين في حصن منرو القائم على نهر جيمس يقودهم الجنرال بطلر ٠ وكانت ايضا فرقة من جيش التحالف نازلة في كنيسة بيت ايل في مدينة الكسندريا المذكورة بقيادة الجنرال مجرودر ٠ فهاجمتها في ١٠ حزيران فرقة من جيش الاتحاد لازاحتها من تلك الكنيسة فرد المتحالفون خصومهم على الاعقاب بخسارة مذكورة وكان الجنرال مكلان قد زحف بجيشه لاكتساح وست فرجينيا

وفي اواخر شهر ايار زحف الجنرال مورس بفرق اوهايو وانديانا من باركرسبرج الى غرافتن ٠ وفي ثالث حزيران بلغ الى حيث كان جيش التحالف مرابطا فجرت مناوشات قصيرة الامد بين الفريقين كان الفوز فيها للشماليين اما الجنوبيون فتقهقروا الى الاماكن الجبلية واذا بالجنرال مكلان قد اقبل وتولى القيادة بنفسه ٠ وفي ١١ تموز

«١» جيش الاتحاد هو جيش الولايات المتحدة الشمالية وجيش التحالف هو جيش الولايات المنفصلة الجنوبية .

انتصر في موقعة جرت في جبال رتش · اما الجنرال غارنت قومندان جيش التحالف فرجع بجيشه الى كارك فورد على نهر تشيت وهناك اشتبك مع الاتحاديين بمعركة دارت فيها الدائرة على رجاله وخر هو صريعا ·وفي ١٠ اب هجم الجنرال روسكرانز بفرقة من جيش الاتحاد على الجنرال فلويد وفرقته من جيش التحالف في كرانيفكس فري على نهر غولي فاضطره الى التقهقر واخلاء مركزه ·وفي معركة نشبت في ١٤ ايلول في جبال تشيت دحر فيها الجنوبيون بقيادة الجنرال روبرت لي فعادت بذلك لاستقرار سلطة الولايات المتحدة على وست فرجينيا ·وفي غضون ذلك جرت مواقع حربية على جانب عظيم من الاهمية

ففي اوائل شهر حزيران سار الجنرال روبرت باترسن بجيشه من شامبر سبرغ قاصدا استعادة هربرت فري · وفي ١١ الشهر المذكور انطلق قسم من ذلك الجيش بقيادة الكولونيل لويس والس وهجموا فجأة على فرقة من جيش التحالف نازلة في بلدة رومني فاحرزوا فوزا باهرا · عندئذ عبر الجنرال باترسن ببقية الجيش نهر بوتوماك ودخلوا وادي شنندوه وهجموا على قوات الجنوب في ونشستر · على ان كل ما جرى بين قوات الفريقين حتى ذلك الوقت لم يتجاوز حد التنقل والارتحال والمناوشات اما الآن فقد دنا اوان خوض نقع الموقعة الاولى الكبرى في تلك الحرب.

بعد ان تم للاتحاديين الفوز في وست فرجينيا اجتمعت القوات المتحالفة في منسى جانكشن وهي على بعد ٢٧ ميلا من الكسندريا غربا ·وتولى القيادة الجنرال بيورغارد وعلى بعد قليل من وداي شنندوه كانت ايضا نازلة قوات اخرى بقيادة الجنرال جوز فجونستون ·اما جيش الاتحاد في الكسندريا فتولى قيادته الجنرال ايرون مكدول وكان الجنرال باترسن واقفا بالمرصاد يراقب حركات جيش جونستون ويحول دون اتصال قواته بقوات الجنرال بيورغراد ·وفي ٦ ا تموز زحف جيش

الاتحاد الى الامام ٠وبعد يومين حدثت بينه وبين خصومه موقعة ليست بذات اهمية وداوم جيش الاتحاد التقدم الى ان بلغ في ٢١ الشهر الى حيث منتشرة قوات الجنوب بين بولرن ومنسى جانكشن وهناك دارت رحى الحرب وتطاحن الخصمان الى وقت الظهر ٠ فافتر ثغر الفوز للجنرال مكدول ورجاله و كادت تدور الدائرة على جيش التحالف واذا بالجنرال جونستون قد بادر للنجدة بستة الاف محارب جديد فانقلب الفوز الى انكسار ولم تكن الا ساعات معدودة حتى لعبت بجيش مكدول ايـدي الشتات والتفريق ٠ فذعر لذلك الاتحاديون واسرع كل من سمع بالخبر من الجنود النظامية والمتطوعين والفرسان و كل من يستطيع الدفاع الى العاصمة لحمايتها والدفاع عنها وبلغت خسارة الاتحاديين في تلك الموقعة الفين وتسعماية واثنين وخمسين رجلاً اما خسارة اعدائهم فكانت الفين وخمسين

فما كان اشد حزن و كآبة الشماليين عند سماعهم خبر ذلك الفشل ٠وما كان أعظم ابتهاج الجنوبيين بذلك الانتصار ٠ولم تعد حكومة الاتحاد تهتم بالزحف على رتشمند بمقدار اهتمامها آنئذ بسلامة كيانها من ان تعبث فيه ايدي الخراب والفناء ٠ وقبل الموقعة المذكورة بيوم واحد تنظمت حكومة التحالف رسميا في مدينة رتشمند و كان بين اعضاء مجلس نوابها ووزرائها رجال اكفاء وعلى جانب عظيم من الحنكة والدراية ٠و كان رئيسها جفرسن دايفس رجلا ذا مواهب سامية وحنكة سياسيـة عظيمة ومعرفة تامة بالفنون الحربية بعيد النظر واسع الاطلاع كثير الاختبار ٠وهو الذي تولى قيادة فرقة مسسبي في حرب المكسيك وشغل منصب عضو في قسمي الكونغرس و كان من حاشية الرئيس بيرس ٠فماله من سامي المواهب ووافر المعرفة جعلته بحكم الطبع القائد والمتبوع في الولايات الجنوبية

اما الحركات العسكرية التي تلت المذكورة فجرت في ولاية مزوري التي مع

رغبتها في الاستعباد لم تنفصل عن الاتحاد الاميركي · فعقد حاكمها جاكسن مؤتمرا عاما حضره وجهاء القوم من سائر اطراف الولاية وكان هنالك حزب قوي يرغب في الانفصال وقد انضم الحاكم نفسه اليه وقامت المنازعات بين انصار الحزبين والف كل منهما جيشا ودارت رحى الحرب بين الاتحاديين والحلفاء في اماكن مختلفة واستولى الاولون على بيت الذخيرة والسلاح في بلدة لبرتي فوفرت لديهم معدات القتال

ووجه الاتحاديون ابصارهم الى معادن الرصاص في الجنوب الغربي من ولاية مزوري فارسلوا جندا الى تلك الناحية من اركنساس وتكساس للاستيلاء عليها · وفي ١٧ حزيران نازل القائد ليون الحاكم جاكسن الذي كان يقود فرقة من جنود التحالف في بونفل وانتصر عليه · وفي خامس تموز فاز الاتحاديون بموقعة دموية جرت بينهم وبين جنود الحاكم المذكور في كارتيج وكان قائدهم فيها الجنرال سيكل · وفي عاشر اب تسعر ضرام اعظم موقعة حدثت بين الخصمين في الغرب · وجرت في ولسن كرك التي تبعد قليلا عن سبرنفيلد وقد هجم الجنرال ليون بشجاعة نادرة برجاله على الخصوم وكانوا يفوقونهم عددا · وكان قائد جند التحالف في ذلك النزال الجنرال مكسلو والجنرال بريس ففاز الاتحاديون باديء بدء فوزا باهرا غير انهم لما خر قائدهم ليون صريعا عادوا القهقرى بقيادة الكولونيل سيكل

وسار الجنرال بريس بجيشه شمالا فعبروا الولاية الى لكزنتون على ضفة نهر مزوري وكان قائما على حمايتها الكولونيل مولفن ومعه الفان وستماية نفر دافعوا عنها احسن دفاع غير انهم اضطروا اخيرا الى التسليم · وبعد ان تمت الغلبة لقائد جيش التحالف تحول برجاله جنوبا اما الاتحاديون فعادوا واسترجعوا لكزنتون في ١٦ ت ١ وتعين لقيادة جيش الاتحاد في مزوري الجنرال جان فريمونت فاستجمع قواته ولحق

بالحلفاء حتى سبرنفيلد وبات ليلته بالاستعداد لخوض نقع معركة دموية في الصباح · واذا بالجنرال هنترهاجمه بقوته على حين غرة وهذا بعد ان تقهقر الى سانت لويس هاجمه ايضا فجاءة الجنرال هلك في ١٨ ت٢ ·وبعد هذا حان وقت تحول الجنرال بريس الى اركنساس ولم تعد هنالك حركة عسكرية حربية بالذكر سوى التي حدثت في بلمونت على نهر مسسبي

فان الجنرال بولك التحالفي عملا باشارة حكومته خرق حرمة تحايد الولايات المتحايدة ودخل ولاية كنتكي بجيشه واحتل مدينة كولمبس التي اذا اركز فيها بطاريات يصبح نهر مسسبي تحت رحمة الحلفاء الذين استجمعوا قوتهم في بلمونت على الضفة المقابلة من النهر المذكور فاوفد الاتحاديون الجنرال غرانت بثلاثة الاف جندي من النيوز عن طريق كيرو الى نهر مسسبي وفي سابع ت٢ والى هجومه على معسكر الخصوم غير ان الجنرال بولك ارسل نجدة الى عابر النهر فعظمت قوتهم واجبروا غرانت ورجاله على التقهقر

وانكسار الشماليين في بولرن ولد في الشعب حماسة وحبا للانتقام فبــادروا للتجند زرافات ووحدانا ·ولما راى الجنرال سكوت الشيخ قائد جيش بوتوماك ان الشيخوخة تقعده عن خدمة بلاده كما يجب استعفى من القيادة فخلفه فيها الجنرال مكللان الذي دعي خصيصا من وست فرجينيا لتلك الغاية ·وبلغ عدد جيشه مايــة وخمسين الف جندي وكان الفان من جند الاتحاديين بقيادة الكولونيل بيكر عابر نهر بوتوماك · فلم تكن لهم وسيلة للتقهقر ولا ذخيرة وغيرها من الحاجيات فهاجمهم الجنوبيون بقيادة الجنرال ايفن وقتلوا قائدهم بيكر وعدها منهم والذين قدرت لهم النجاة تفرقوا شذر مذر

وفي صيف سنة ١٨٦١ قام الاتحاديون بحملات بحرية مهمة منها حملة

الكومودور سترنهام والجنرال بطلر على مواني نورث كارولينا ٠وقد امتلكا في ٢٩ آب القلاع القائمة في بوغاز هاتراس وفي ٧ ت٢ دخلت عمارة اخرى بورت رويال واحتل الاتحاديون قلعتي ووكر وبيروغراد واحتلوا ايضا راس هلتن وهو مركز ذواهمية حربية في المحافظة على شارلستون وسفانا ٠وقد عاد كل نهر سفانا الى تحت سلطة الاتحاد بين الذين قطعوا خط الاتصال بين خصومهم واوروبا فلم يعد بامكان الجنوبيين جلب ما يحتاجونه منها ٠ ونشا عن ذلك خصام بين انكلترا والولايات المتحدة كاد يفضي الى حرب بينهما

وعينت حكومة التحالف جيمس ماسون وجان سلبول وهما كانا قبلا من اعضاء مجلس الامة سفيرين لها الواحد لدى حكومة انكلترا والاخر لدى حكومة فرنسا فاقلعا بسفينة خرقت نطاق الحصار ومخرت من ميناء شارلستون ووصلت بهما الى هفانا بسلام فركبا من هناك باخرة انكليزية وسافرا الى اوروبا ٠وفي ٢٨ ت٢ التقت بارجة اميركية بالباخرة المذكورة فاستوقفتها في عرض الاوقيانوس وقبض الامير كيون على السفيرين المذكورين وكاتمي اسرارهما واعتقلوهم واتوا بهم الى مدينة بوسطن وهناك زجوهم بالسجن٠ اما الباخرة الانكليزية فداومت مسيرها حتى وصلت الى انكلترا فاخبر ربانها بالاهانة التي الحقها الامير كيون بالعلم الانكليزي فثار ثائر الامة جمعاء وغلت في قلبها مراجل الغيظ والسخط على الولايات المتحدة

اما الامير كيون فتلقوا اولا خبر ما فعله قبطان بارجتهم بتصفيق الاستحسان وطلبوا الى حكومتهم ان تفعل فعلهم وتظهر ارتياحها الى ذلك فلو انها فعلت لنشبت الحرب بينها وبين انكلترا لا محالة وهي في حالتها الحاضرة احوج الى السلم منها الى الحرب غير ان المستر سورد ناظر الخارجية تدارك الامر بحكمته فاعتذر لانكلترا عن الاهانة واطلق سراح الرجال المسجونين واعادهم الى حيث كانوا يقصدون وجرى ذلك في

وتبي تمام الاستعداد للدفاع وكان متوليا القيادة الجنرال بكنر ٠اما الجنرال غرانت فكان عدد جيشه ثلاثين الفا وفي ١٤ شباط صبت القلعة على سفن المدفعيات نارا حامية وارجعتها بخسارة تذكر وكان الكومودور فوت في جملة الجرحى ٠وفي الغد حاول رجال الحامية اختراق صفوف غرانت ولكنهم ردوا مدحورين وفي ١٦ شباط اضطر الجنرال بكنر الى التسليم ٠ فاصبح العشرة الاف جندي حماة القلعة اسرى حرب ٠وسقطت كل اسلحتهم وذخيرتهم وغير ذلك غنيمة باردة بايدي الاتحاديين وكانت تلك الموقعة باكورة انتصارات جيش الاتحاد على جيش التحالف او جيش الشمال على جيش الجنوب

وبعد ذلك الظفر في قلعه دونلسن انحدر القائد غرانت بجيشه في نهر تناسي الى بتسبرغ لاندن ٠وفي غرة نيسان اقاموا معسكرا في كنيسة شيلوه التي تبعد قيلا عن النهر المذكور وهناك في سادس نيسان داجمت الجنود المتحالفة الجنود المتحدة على حين غرة وكان يقود الاولين الجنرالان جونستون وبيورغراد ٠ وفاز الجنوبيون اولا يريدون بماارادواوارجعواخصومهم الى النهر ولولا اسراع السفن الحربية لنجدتهم لتشتتوا وتناثر عقد نظامهم ودامت الموقعة بين الفريقين النهار بطوله وخيم الظلام دون ان يتقرر الظفر التام لاحد الجانبين وفي ذلك الوقت الكلي الحرج وصل الجنرال بيل من ناشفل ومعه نجدة قوية ٠ وفي الغد اخذ الجنرال غرانت جانب الهجوم ٠وكان الجنرال جونستون قد قتل في معركة الامس واضطر الجنرال بيروغراد الذي افضت القيادة اليه وحده ان يتقهقر الى كورنيث ٠وبلغت خسارة كل من الفريقين نيف وعشرة الاف رجل ولم تبلغ الخسائر الى مثل ذلك العدد من القتلى في كل المعارك التي نشبت في العالم الجديد

وجرت ايضا حوادث هامة في نهر مسسبي ٠فلما اخلى المتحالفون كولمبس

(منتحي) جاءوا الى الجزيرة المعروفة بنمرة عشرة وشادوا بقربها معاقل لحماية النهر المذكور · وعلى الضفة الغربية واقعة بلدة نيومدريد وهي كل ما تبقى في حوزتهم من ولاية مزوري · فحمل عليها الجنرال بوب بجيشه بينما عمارة الاتحاديين مخرت في النهر لرمي القلاع التي على الجزيرة المذكورة بقنابلها · فعقد الظفر على لواء الجنرال بوب فاحتل نيومدريد وبذلك صار بامكان جيشه معاونة العمارة في الهجوم على الحصون والمعاقل ودام اطلاق القنابل وسكب النيران على جزيرة نمرة عشرة مدة ٢٣ يوما ولما انفى المتحالفون انفسهم عاجزين عن مداومة القتال عولوا على الهرب غير ان الجنرال بوب كان قد قطع عليهم خط الرجعة وقبض عليهم و كان عددهم يناهز الخمسة الاف واستاقهم اسرى · فاصبح نهر مسيسبي مفتوحا امام سفن الاتحاديين حتى مدينة ممفيس التي دخلت في حوزتهم في سادس حزيران

وفي اوائل السنة كان الجنرال كرتس قد تقدم بجيشه وعبر ولاية مزوري ودخل ولاية اركنساس وجعل مركزه في بيردج بين الجبال الواقعة في الشمال الغربي من الولاية المذكورة وهناك هوجم في سادس اذار باكثر من عشرين الف جندي لفيف من جنوبيين وهنود وبعد موقعة عظيمة تلظى سعيرها مدة يومين كاملين عقد النصر للاتحاديين · و كان في جملة الهلكى في تلك الموقعة قائدا جيش التحالف والذين تبقوا احياء من جيشهما ولوا الادبار الى تكساس · ولقد كانت خسارة الاتحاديين ايضا عظيمة ولم ينالوا من تلك الموقعة ما يوازي خسارتهم

وغد يوم الموقعة المذكورة جرى امر في قلعة منرو كاد يقلب وجه المواقع البحرية وذلك ان الكابتن جان اركسون من نيويورك اخترع وابتنى سفينة حربية حديثة الشكل ذات برج حديدي مستدير وقد اتم بناءها وجعلها صالحة للخدمة · وفي تلك الاثناء انتشل المتحالفون البارجة ماريماك وهي احدى السفن التي غرقت في دار بناء

السفن في نور فوك وصفحوا جوانبها بصفائح حديدية وجهزوها بكل ما يلزم وسيروها لمهاجمة الاسطول الاميركي المرابط حول صرح منرو · فوصلت الى هناك في ثامن اذار وحولوا اسمها من ماريماك الى فرجينيا · وشرع ربانها يدمر ويخرب وقبل غروب شمس ذلك النهار اغرقت بارجتين من اسطول الاتحاديين وهما كمبرلاند وكونغرس · وفي غضون ذلك الليل وصلت من نيويورك الى ساحة المعترك السفينة الغريبة الشكل التي مر وصفها واسمها مونيتور ·وفي الصباح اشتبكت السفينتان مونيتور وفرجينيا بالقتال مدة خمس ساعات متوالية تعطلت في خلالها السفينة فرجينياوهربت الى نورفوك · فهبت حكومة الولايات المتحدة لابتناء عدة سفن جديدةمن طراز مونيتور

وارسل الاتحاديون قوة من الجند بقيادة الجنرالين برنسيد وغولسبرو لمهاجمة قوات التحالف في جزيرة رونوك ·وفي شباط وصلت العمارة الى مكان قصدها ·ومن ثم هوجمت استحكامات الجزيرة فسقطت ووقع ثلاثة الاف جندي اسرى ·وبعد هذا تقدم القائد برنسو بجنوده الى نيوبرن من ولاية نورث كارولينا واستولى عليها بعد قتال عنيف مدة اربع ساعات وتحول جنوبا الى ان بلغ الى مرفا بيوفورت فهاجم صرح ماكون فيها واستولى عليه وفي ٢٤ نيسان احتل المدينة ايضا

وفي ١١ نيسان سلمت قلعة بولاسكي وهي الحامية نهر سفانا للجنرال غلمور وبذلك اضحى البندر الرئيسي من ولاية جيورجيا محاصرا وكل تلك الخسائر التي تكبدها الحلفاء تعد طفيفة بجانب خسارتهم مدينة نيواورلينس ·وفي غرة نيسان مخرت عمارة اميركية قوية في نهر مسسبي بقيادة الجنرال بطار والاميرال فراغت الى ان بلغت الى قرب قلعتي جاكسن وسانت فيليب على بعد ثلاثين ميلا من الخليج والقلعتان قائمتان على الضفة الاخرى من النهر ولهما تمام السيادة عليه ·وقد اقيمت حواجز وسدودا في القناة للحوول دون مرور السفن التي لا يشاء المتحالفون مرورها ·وكان

عدد السفن المهاجمة خمس واربعين اصطفت في مركزموافق وشرعت تطلق قنابلها على القلعتين المذكورتين بلا توقف من ١٨ الى ٢٤ نيسان فلم تحدث فيهما اضراراً تذكر · واخيراً صمم الاميرال فراغت على اختراق بطاريات العدو ففاز بذلك وتمكن من مهاجمة اسطول العدو المرابط وراء الاستحكامات وبلغ في الغد الى نيواورليانس بقسم من اسطوله واحتل المدينة · وبعد ثلاثة ايام سلمت قلعتا جاكسن وسانت فيليب للاميرال بورتر الذي كان متوليا حصارهما وبذلك امسى مفتاح اسفل نهر مسسبي والمراكز المهمة في الجنوب بيد الاتحاديين الذين كان يعز عليهم ان يتخلوا عن ولاية كنتكي بدون صدام وكفاح · فحملوا عليها من شرقي تناسي بجيش قوي قسم الى قسمين تولى قيادة احدهما الجنرال سمث والاخر الجنرال براغ · فوصل جيش الاول الى رتشمند في ٣٠ آب وهاجم فرقة من جنود الاتحاد كانت فيها فتغلب عليهم وكبدهم خسارة فادحة ثم استولى على لكزنتون وفرانكفورت وكاد ان يستولي على سنسناتي ايضاً · اما الجنرال براغ فتقدم بجيشه من تشتانوغا الى ممفورد سفيل حيث اسر في ١٧ ايلول فرقة من جيش الاتحاد عدد رجالها ٤٥٠٠ وزحف من هناك على لوزفل وكانت تمت له الغلبة لو لم يسرع اليها الجنرال بيل من تناسي قبل وصول براغ بيوم واحدتمكن فيه من تنظيم قوانه ودفع العدو المهاجم · وما فتأ حتى وافته نجدة فصار عدد جيشه ماية الف مقاتل · فشرع في غرة ت١ يهاجم الجنوبيين الذين عادوا القهقرى الى بريفل وهناك ادرك القائد براغ وجرت بين جيشيهما موقعة في ثامن الشهر المذكور ولكنها لم تكن فاصلة · ودام الحلفاء تقهقرهم الى شرقي تناسي واخلوا كنتكي مرغمين

وفي خلال شهر ايلول جرت مواقع هامة في مسسبي · ففي ١٩ منه اشتبك الخصمان بمعركة هائلة في يوكا قاد جيش الاتحاد فيها الجنرالان روسكرانس وغرانت

اما جيش التحالف فكان قائده الجنرال بريس الذي غلب في ذلك النزال وفر تاركا في ساحة القتال انف اسير فضلا عن القتلى ·وبعد تلك المعركة انفصل الجنرال روسكران عن الجنرال غرانت وسار بقسمه من الجيش الى جاكسن من ولاية تناسي فلما نمي الى الجنرالين فان دورون وبريس خبر تفرق جيش الاتحاد سارا بجيشهما لاستعادة كورنث فمرا في طريقهما اليها بحصون الاتحاديين وذلك القتال انجلى عن انخذال الجنوبيين ·

وفي غضون ذلك نقل الجنرال غرانت مركزه من جاكسن الى لاكرانج لكي يستطيع العمل مع الجنرال شارمن الحال بجيشه في ممفيس وكان بعزمه ان يزحف على فكسبرغ وكانت بشائر الفوز في تلك الحملة بادية · غير ان الجنرال فان دورن تمكن في ٢٠ ك ١ من قطع الذخيرة والميرة عن الجنرال غرانت في هوي سبرنز فاضطره الى التقهقر ·وفي اليوم نفسه اقلع الجنرال شرمان بعمارة قوية من ممفيس ومازال ماخرا حتى بلغ الى مينا يازو حيث انزل الجنود وهجم على المتحالفين في شكسويبو ولكن لم يقدر له الفوز وقد تكبد خسارة ما ينيف على الثلاثة الاف جندي بين قتيل وجريح واسير وعاد بعد ذلك الفشل بمن تبقى من رجاله الى المدفعيات الراسية في نهر مسسبي

وانتهت المجازر البشرية في الغرب تلك السنة بموقعة مرفريسبورو وتفصيلها ان الجنرال روسكرانس بعد دفاعه عن كورنث ودحره الاعداء المهاجمين انتقل الى قيادة الجيش في كمبرلاند وفي اخر الربيع نقل مركزه الى ناشفل حيث اجتمع لديه جيش قوي· وكذلك الجنرال براغ بعد اعتزاله القيادة في كنتكي سرح جنوده الى مرفريسبورو وهكذا اضحى الجنرالان ازاء بعضهما والمسافة بينهما ثلاثون ميلا فقط · وفي اواخر كانون الاول زحف الجنرال روسكرانس لمنازلة عدوه فادرك في ٣٠

الشهر المذكور قوات التحالف الضاربة في ضفاف نهر ستون على مقربة من مرفريسبورو وكان جيشهم وافر العدد كامل العدد · فصرف الخصمان ليلهما في الاستعداد لخوض غمار معركة هائلة ورسم قائد جيش الاتحاد الخطة التي يجب اتباعها في الموقعة المقبلة فجمع معظم قوته في الجهة اليسرى لكي يسحق جناح العدو الايمن قبل وصول النجدة اليه · وكذلك قائد جيش التحالف رسم الخطة عينها وقبل ان ينبثق الفجر كانت قوات الاتحاديين محتشدة في هاردي من جهة اليسار · وفي الصباح حمي وطيس القتال فجرت الامور على ما كان روسكرانس يتوقع فان الخصوم اندفع على جناح الاتحاديين الايمن الذي كان يقوده القائد مكوك فنادى مستغيثا وطالبا نجدة فلم يعره روسكرانس انتباها لعدم ادراكه حقيقة موقفه وما دبره خصمه لهلاك جيشه · وبعد قتال عنيف دام حتى الظهر ولى جناح الاتحاديين الادبار · فمالت قوة العدو آنئذ على الجنرال طوماس قائد القسم الايسر من جيش الوسط وهذا ايضا بعد كفاح وجلاد ارغم على الانسحاب من مركزه واتخاذ غيره لم فيه شعث رجاله ودام حتى تمكن الجنرال روسكرانس من استجماع قوته · وكاد فوز الحلفاء يكون تاما لولا بروز الجنرال وليم هازن لصد تقدمهم برجاله الاشاوس الذين لم يتجاوز عددهم الالف وثلاثمائة وقد تمكن بهم من صد العدو عن التقدم ريثما اتم الجنرال روسكرانس استجماع قواته · وفي مساء ذلك اليوم وجدوا أن سبعة الاف من جيش الاتحاد مفقودين من صفوفهم

ومع ان الجنرال روسكرانس دحر وخسر في ذلك النزال فقد دام مصرا على تجديد القتال للاستظهار على خصومه · وعقد في الليل مجلس مشورة تقرر فيه متابعة القتال في الغد وباتوا يستعدون ويتأهبون وفي الصباح الموافق لعيد راس السنة راى براغ عدوه على تمام الاستعداد لمتابعة الجلاد فاوجس خيفة · وصرف الفريقان ذلك النهار بمناوشات لم يتقرر النصر فيها لاحد الفريقين · وفي صباح اليوم

الثاني من كانون الثاني ابتدات الموقعة ثانية على الضفة الشرقية من نهر ستون ودوت المدافع هناك مدة عدة ساعات • وعند الساعة الثالثة اجتمعت قوات الحلفاء في جهة الاتحاديين اليسرى فضايقوهم واضطروهم الى الهرب الى عابر النهر غير ان بطاريات الاتحاديين المركوزة على الاكام غربي النهر اطلقت قنابلها على صفوف الحلفاء المزدحمة فحصدتهم بالعشرات والمئات وما لبثوا حتى انهزموا وولوا الادبار وهم لا يلوون على شيء فجمع براغ من تبقى من رجاله وتقهقر بهم الى نواحي تولاهوما وبلغت خسارة الاتحاديين في كلتا الموقعتين ١٥٣٣ قتيلا و٧٢٤٥ جريحا ونحو ثلاثة الاف اسير • اما خسارة الحلفاء بين قتيل وجريح واسير فبلغت بين العشرة والاحد عشر الف رجل

ثم ان الحوادث التي جرت في فرجينيا خلال عام ١٨٦٢ هي اعظم من التي جرت في الغرب واولها حدث في وادي شنندوه • فقد كانت حكومة الاتحاد شديدة الرغبة في الاستيلاء على تلك البقعة • فسيرت لتلك الغاية جيشا قويا بقيادة الجنرال بانكس فسار به جنوبا وفي غاية شهر اذار احتل بلدة هرسنبرغ • فلكي يفسد الحلفاء عليه قصده اوفدوا القائد ستونول جاكسن بعشرين الفا يجتازبهم بلوردج ويقطع على الجنرال بانك خط الرجعة • ولقد هجمت جنود التحالف على فرقة من جيش الاتحاد في فرنوت رويال فبطشوا بهم وغنموا مدافعهم ومستودع ذخيرتهم • وفاز الجنرال بانك بالعبور بجيشه الى ستراسبورغ وهناك بلغه خبر حادثة فرونت رويال فشرع بالتقهقر في وادي شنندوه • فلحق به القائد جاكسن وكاد يبطش به ويبدد شمل جيشه

ومع ان القائد جاكسن كان ظافرا فقد وجد نفسه في مأزق حرج لان الجنرال فريمونت كان قادما بجيش لجب ليصده عن التقهقر • وقد جاء الدور الى جاكسن ليفكر في كيف ينقذ جيشه من التهلكة فسار بهم عدوا في الوادي وتمكن من الوصول

الى كرو س كيز قبل ان يتمكن فريمونت من مهاجمته · وزحف جاكسن على مرفأ ربيلك وهاجم فرقة الجنرال شيلدس وقهرها ومن ثم قفل راجعا للاشتراك في الدفاع عن رتشمند

وفي عاشر ادار زحف جيش بوتوماك العظيم وعدده يناهز المائتي الف محارب بقيادة الجنرال مكللان لافتتاح عاصمة الاحلاف ومازالوا سائرين حتى وصلوا الى منسى جانكشن · اما الاحلاف فتراجعوا واعتصبوا للدفاع في ضواحي رباهنوك· وحدث ان الجنرال مكللان غير طريقة الهجوم التي رسمها قبلا فارسل مماية وعشرين الف جندي من جيشه الى حصن منرو ليسيروا في شبه الجزيرة بين نهري جيمس ويورك وتم نقل الجنود في رابع نيسان فزحفت من قلعة منرو الى يوركتون التي كان يحميها عشرة الاف جندي يقودهم الجنرال مكرور · وهذه القوة الصغيرة بالنسبة الى جيش مكللان اللجب قد اوقفت تقدمه مدة شهر كامل تمكن في خلاله من محاصرة المدينة وافتتاحها في رابع شهر ايار ·ومن ثم تقدموا الى وليمز برغ حيث قاومهم الحلفاولكنهم لم يثبتوا امامهم طويلا بل ولوا مدحورين كما دحروا في موقعة اخرى جرت بين الفريقين في وست بوينت فاضحت بذلك رتشمند مفتوحة حتى نهير شيكاهوميني الذي يبعد عشرة اميال عن المدينة ·فوصل جيش الاتحاد الى ذلك المجرى بدون مقاومة

وكذلك الجنرال ول لم يدع الفرصة السانحة تمر دون ان يغتنمها ·ففي عاشر ايار حمل على نورفوك بفرقته وامتلكها وكانت حاميتها قد اخلتها وذهبت للاشتراك في الدفاع عن رتشمند · وفي الغد نسفوا البارجة فرجينيا المصفحة لكي لا تقع لقمة سائغة في فم الاتحاديين الذين اضحت بذلك سفنهم امينة من الخطر وشرعت تنقل المهمات والذخائر لجيش بوتوماك الذي كان زاحفا على رتشمند ·ولما صار على بعد سبعة اميال عنها هاجمه في ٣١ ايار جيش التحالف في مكان يدعى فاير اوك اوسفن بينز (سبع

اشجار صنوبر) وهناك اشتعلت نار حرب طاحنة مدة يومين وقد دحر المتحالفون وارجعوا الى الوراء ٠غير ان انتصار الجنرال مكللان لم يكن كاملا كما ان الموقعة لم تكن فاصلة٠ وكانت خسارة الاحلاف اعظم من خسارة اعدائهم ٠فقد بلغ عدد الذين سقطوا صرعى او جرحى نحو ثمانية الاف بينما خسارة المتحدين ناهزت الخمسةالاف وكان في جملة من جرحوا جراحا خطيرة الجنرال جوز فجونستون القائد العام لجيش المتحالفين ٠وبعد تلك الموقعة بيومين خلف الجنرال جونستون في القيادة الجنرال ربرت لي وهو رجل ذو مواهب سامية ودربة عسكرية وقد كان المحور الذي دارت عليه حكومة التحالف الى ان سقطت وتلاشت٠

وفي الفترة التي عقبت موقعة فيراوكس اراد الجنرال مكللان ان ينقل مستودع الذخيرة من البيت الابيض على نهير بامنكي الى موضع مناسب على ضفة نهر جيمس ٠ وكان ذلك العمل محفوفا باشد المخاطر والصعوبات ٠وقبل الشروع بذلك هجم الجنرال لي في ٢٥ حزيران على جناح جيش الاتحاد الايمن في اوك غروف وقد اشتبك الفريقان بمعركة لم يتقرر النصر فيها لاحد الجانبين ٠وفي اليوم التالي جرت موقعة اخرى اشد هولا من الاولى في متشكنفل انتصر فيها المتحدون ٠ غير ان الجنرال لي اعاد الكرة في الغد في جنيزمل وخرج من المعترك حاملا راية الفوز والغلبة ٠ وفي ٢٨ الشهر المذكور اقتصر الصدام على مناوشات غير ذات اهمية ٠ اما في التاسع والعشرين منه فقد هجم الحلفاء مرتين على جيش الاتحاد المتراجع فقابلهم المتحدون وصدوهم وفي اليوم الثاثين اشتبكوا معهم بموقعة شديدة الهول في فريزر فارم ٠وفي ذلك اليوم بلغ المتحدون الى ملفرنهل الواقعة على الضفة الشمالية من نهر جيمس والتي تبعد عن رتشمند ١٢ ميلا وصمم الجنرال لي نيته على مهاجمة ذلك المكان واحتلاله بالرغم من كونه حصينا ومدافع المتحدين محيطة من حوله ٠ وفي صباح غرة تموز حمل كل جيش

التحالف على ذلك الموقع بكل قوته وحارب الفريقان بكل بسالة وشجاعة ولم يرتد الحلفاء حتى الساعة التاسعة ليلا ٠وفي الغد اعادوا الكرة ودام دوي المدافع في تلك البقعة مدة سبعة ايام وهي اطول موقعة دونها تاريخ العالم الجديد حتى ذلك العهد

وقدر النصر في موقعة ملفرنهل للجنرال مكللان الذي بدلا من ان يزحف فورا على رتشمند ويفتتحها قد اختار طريقة اخرى ظنها اقل خطرا وهي انه قفل بجيشه راجعا الى هارسن لاندن وكانت حملته على اهبة النجاز ٠ وناهز مجموع ما فقد من رجاله خمسة عشر الف جندي ٠ فاصبح احتلال رتشمند امرا بعيد المنال عليه مع ان ذلك كان الغاية الاولى من تلك الحملة٠ اما خسارة الحلفاء في النفوس ففاقت خسارة اعدائهم ومع ذلك دام صدى صوت الانتصار يردد في ارجائهم ٠

واذ راى الجنرال لي ان رتشمند صارت امينة من الخطر عول على اكتساح ماريلاند والدخول الى عاصمة اعدائه ٠وكان جيش المتحدين المنتشر بين رتشمند وواشنطن لا يتجاوز عدده الخمسين الفا بقيادة الجنرال جان بوب ٠ وكانوا منقسمين الى فرق عديدة ومنتشرين من فردركسبرغ الى ونشستر وهاربرزفري ٠وسار لي بجيشه شمالا وداوم المسير حتى ١٥ شهر اب وفي ٢٠ منه شرع القائد بوب يحشد قواته بكل سرعة ممكنة وجعل نهر مهنوك فاصلا بين جيشه وجيش التحالف الزاحف على العاصمة ٠ وحدث انه بينما كان الجنرال بانكس مسرعا بجيشه للانضمام الى جيش بوب هاجمه ستونول جاكسن في جبل سيدر ولو لم يحارب المتحدون بكل قوتهم ويستبسلوا لانقرض جيشهم برمته

وما كاد القائد بوب يجمع شتات جيشه حتى كان القائد جاكسن المذكور قد وصل الى منسى جانكشن وفاز بغنيمة وافرة من رجال وميرة وذخيرة ٠اما بوب فبكل عتو وتشامخ اندفع بجيشه وجعله بين جيشي لي وجاكسن املا انه يسحق الاخير قبل ان

يدركه الاول ودارت رحى الحرب في منسى جانكشن وحمي ضرام الموقعة مدة يومين وكاد يفوز بوب ورجاله وغدا انكسار لي من الامور المقررة · غير ان النجدة تأخرت عن الجنرال بوب فلم توافيه في حين حاجته اليها وكان ذلك الامر مقصودا من الجنرال بورتر · وفي ٣١ آب هجم الحلفاء على جيش الاتحاد في شانتيلي والتحموا معهم بموقعة دامت سحابة ذلك النهار وانجلت عن فوز الاولين · وكان بين الوف الاشداء الذين خروا صرعى الجنرالان ستيفنس وكيرني · وفي الليل انسحب القائد بوب برجاله المشتتين وسار بهم تحت ستر الظلام وباكثر سرعة ممكنة ولم يجدوا راحة الا وراء استحكامات واشنطن العاصمة · وطلب بوب ان يقال من القيادة فاجيب الى طلبه وبقية جيشه المعروف بجيش فرجينيا انضمت الى جيش بوتوماك الذي كان قد عاد آنئذ الى ضواحي العاصمة والقيت القيادة العليا الى عهدة الجنرال مكللان

اما الجنرال لي فتابع حملته على ماريلاند · وفي سادس ايلول احتل بلدة فردريك · وفي العاشر منه احتل هجرستون · وفي ١٥ منه قاد ستونول جاكسن فرقة من جيش التحالف الى هاربرز فري والقى وهقا على الكولونيل ميلز القائم على حمايتها باثني عشر الف جندي فسلم له واستاق جاكسن كل تلك الالوف اسرى · وفي اليوم السابق اشتبك الفريقان بمعركة في سوث مونتن فاز فيها المتحدون · وكان جيش مكللان برمته قريبا جدا من موءخرة جيش لي الذي عاد في ١٤ ايلول الى انتيتان كرك واحتل مركزا منيعا في ضواحي شاربسبرغ · وفي ١٥ منه جرت مناوشات بين فرسان المتحدين والمتحالفين وفي الغد شرع الفريقان في الاستعداد لخوض بحر المنية ووقف كل في المكان الذي ظنه اكثر موافقة له وفي ١٧ الشهر المذكور اتم الفريقان استعداداتهما وكان المتحدون يفوقون المتحالفين عددا غير ان هوءلاء كانوا في مركز اكثر تحصينا من مركز خصومهم بوجود نهر في مقدمة صفوفهم يتعذر عبوره واول ما ترتب على

الجنرال مكللان عمله المحافظة على الاربعة جسور الحجرية لانها الوسيلة الوحيدة لعبور جيشه الى الضفة الاخرى من النهر ٠ومن ثم نشبت المعركة بين الفريقين في اماكن متعددة فهذه الفرقة هاجمت تلك وهذا القائد هجم برجاله على جيش القائد الاخر ومضت سحابة ذلك النهار ولم يتقرر النصر لاحد الجانبين ٠ولما ارخى الليل سدوله افتر ثغر النصر للمتحدين بيد ان عدوهم ما زال شاغلا مركزه ٠ وكان يتوقع نشوب المعركة الفاصلة في الغد غير انها لم تجري فيه ٠ والجنرال مكللان اخذ جانب الدفاع في ذلك اليوم الذي وافته فيه نجدة مهمة موءلفة من فرق عديدة يقودها الجنرالان همفروس و كوتش وتقرر بان يعاودوا الهجوم في الغد غير ان الجنرال لي اغتنم فرصة ذلك التأجيل فانسحب بفرقه المشتة وعبر نهر بوتوماك وعاد الى فرجينيا وهكذا اسفرت تلك المعارك التي كبدت كلا الجانبين خسارة عشرة الاف جندي عن لاشيء ٠وما تقرر فيها سوى بسالة الجنود وثباتهم على ان ذلك يعد فشلا للمتحالفين لان شعب ماريلاند خذلهم ولم يأخذ بناصرهم كما كانوا يرجون ٠وقد كبدتهم حملتهم على تلك الولاية مدة شهر واحد خسارة ٣٠ الف جندي فضلا عن الخسارة المادية ٠ كذلك المتحدون استاوءا لان الامور لم تجري بحسب ما كانوا يتوقعون ٠ وتلك الاستعدادات العظيمة التي قاموا بها ذهبت دون اخضاع الخصوم و كسر شوكة المقاوم سيما وان وعود القائد العام كانت عظيمة

وفي ٢٦ ت١ جد الجنرال مكللان في اللحاق بجيش التحالف المتقهقر فدخل فرجينيا ووصل الى بلدة ركترتون ٠ وكانت حكومة المتحدين راغبة في ان جيش بوتوماك يحمل ثانية على رتشمند قبل حلول فصل الشتاء ٠وكان القائد العام يفضل الزحف عليها بالطريق التي رسمها هو في الربيع الغابر جاعلا مستودع الميرة والذخيرة في وست بوينت على نهر بامنكي غير ان الاعتراضات على ذلك كانت كثيرة من جانب الرئيس

والوزراء وغيرهم اذ بذلك تعدم العاصمة من يدافع عنهاوتضحي عرضة لهجوم الاعداء فانصاع مكللان لرايهم وجعل مدينة الكسندريا على نهر بوتوماك مركزا له ولجنوده ومستودعا للاسلحة والذخيرة ونحو ذلك وهناك رسمت خطة الهجوم على رتشمند · وانقضى شهر تشرين الاول دون ان يأتوا بعمل يذكر· ومر شطر من تشرين الثاني قبل ان اعلن قائد جيوش الاتحاد بان جيشه البالغ عدده ١٢٠ الف جندي جاهز ومستعد للزحف · وبينما كان الجنرال مكللان على اهبة المسير بجيشه في ٧ت٢ اقيـل من القيادة العامة فخلفه فيها الجنرال برنسيد · وسواء كان الرئيس مصيبا اومخطئا فقد أصدر حكمه بكون مكللان كان كثير الحذر لدرجة الافراط وبطيئا جدا وليس فيه صلاحية لقيادة جيش الجمهورية على طريقة تكسبه شرف الغلبة وفخر الانتصار

قلما استلم الجنرال برنسيد زمام القيادة بدل الخطة التي رسمها سلفه للحمل على عاصمة العدو ونقل مستودع الذخيرة وغيرها الى اكوياكرك وذلك المكان يبعد عن واشنطن مسافة ٥٥ميلا ومن هناك يزحف جنوبا لافتتاح رتشمند عن طريق فردركسبرغ ولكن اعترضت سبيله عقبات فلم يستطع المسير وانقضى اسبوعان دون ان يأتوا عملا مذكورا · وذلك التأخير كان ذا فوائد لخصومهم ·فقد وجد الجنرال لي الوقت متسعا امامه فتمكن من استجماع قواته ووضعها في مـواقف حصينة في ضـواحي فردركسبرغ ولم يعبر النهر بل تربص ريثما يعبره المتحـدون فيبطش بهم من وراء أستحكاماته وحصونه ·وفي ١١ ك١ وصل جيش الاتحاد الى ضفة نهر رابهنوك الشرقية وكانت فرق الجيش ممتدة من قرية فلموث الى مكان مقابل مصب نهر مسابونكس وعبر جناح الجيش الايسر النهر بقيادة الجنرال فرنكلن بدون معارضة · ولكن لما حاولت فرق الجنرالين سمز وهكر (وهي قسم جيش الوسط الايمن)عبور النهر ازاء فردركسبرغ صادفت مقاومة عنيفة من الحلفاء فصبوا نار مدافعهم عليهم وصدوهم عن

اقامة معابر · فامر الجنرال برنسيد ان نصب قنابل مدافع جيشه على تلك الجهة وما لبثت قرية فردر كسبرغ حتى التهمتها النيران فاضحت خرابا صفصفا · وقد تمكنت عدة فرق من جيش الاتحاد من عبور النهر فطردت الاعداء وارجعتهم الى مركزهم ومن ثم باشروا اقامة المعابر وما غربت شمس اليوم الثاني عشر من الشهر المذكور حتى عبر الجيش برمته الى الضفة الغربية من النهر

وفي صباح ١٣ ت٢ ابتدات المعركة فصادمت فرقة فرنكلين ستونول جاكسن وانجلت الموقعة عن اندحار المتحدين بخسارة ٣٧٠٠ رجل وخسر عدوهم نحو ذلك ايضا · ولم يدّعِ احدهما الانتصار التام في ذلك المعترك · اما في الوسط والجانح الايمن فكانت الحالة خلافذلك · فقد صدر الامر لقسم من جيش الجنرال سمز ليحملوا على استحكامات المتحالفين في ماريزهل ففعلوا ولكنهم سقطوا قتلى بالمئات بينما العدو لم يفقدوا رجلا واحدا · واعاد الاتحاديون الهجوم فكان نصيبهم الفشل ايضا · وبعد ذلك هجم اربعة الاف من جيش الجنرال هوكر الاشداء بقيادة القائد همفريس فما مرت ١٥ دقيقة حتى سقط نصفهم قتلى وقد خيم الظلام دون ان يتقرر الفوز التام لاحد الخصمين · وكان في عزم برنسيد تجديد القتال غير ان ضباطه وقواده احجموا عن ذلك · وفي ١٥ الشهر انسحب جيش المتحدين وعبروا النهر بكل هدوء · وقد بلغت خسارتهم في ذلك العراك الفا وخمساية قتيل وتسعة الاف ومائة جريح والفا وستماية وخمسين بين اسير ومفقود واما خسارة خصومهم فكانت خمسماية وخمسة وتسعين قتيلا واربعة الاف وواحد وستين جريحا وستماية وثلاث وخمسين اسرى ومفقودين · وموقعة فردر كسبرغ هي الوحيدة بين كل المواقع المهمة التي جرت في تلك الحرب بدون توقع فوز وظفر · وهكذا انتهت حوادث سنة ١٨٦٢ بتكاثف غيوم قاتمة في جو حكومة المتحدين · وقد تدثر جيشهم باطمار عار التقهقر والانخذال

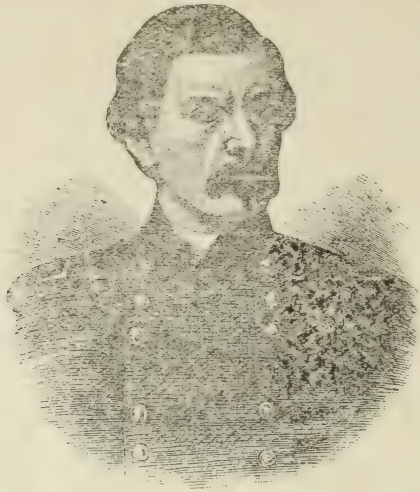
الفصل السادس والخمسون

—(حوادث سنة ١٨٦٣)—

بلغت الحرب سنة ١٨٦٣ الى اعلى درجات الشدة · وشرعت الولايات المتحدة تجند الرجال وتجبي الاموال لمساعدة جيشها وتعزيز قوته · ومع ان سكان الولايات لم تفنى قوتهم او تخر عزيمتهم فقد كانوا مثقلين بالضرائب وفان الرئيس لنكلن بعد موقعة ملفرنهل اصدر منشورا يطلب ثلاثماية الف جندي اخرى واردف المنشور المذكور بطلب تجنيد ثلاثماية الف غيرها

وفي غرة كانون الثاني اصدر الرئيس لنكلن منشورا من ابلغ واكمل المنشورات التي دونت في العصور المتأخرة وهو المعروف بمنشور الاعتاق · فلما ابتدات الحرب لم تكن حكومة الولايات المتحدة قد جزمت بوجوب تحرير عبيد الجنوب بل ان الرئيس وحزب الربلكان كانوا ينظرون الى النخاسة نظرة الاستهجان ولما حمي وطيس القتال زادت رغبة الشماليين في الغاء النخاسة فقاموا وضربوها الضربة القاضية وهكذا انقضى عهد الاسترقاق في الولايات المتحدة بعد ان تقضت عليه مدة ٢٤٠ سنة

وابتدات الحركات العسكرية في السنة الجديدة اولا على نهر مسسبي · فبعد ان دحر الجنرال شرمان شكسويبو رسم خطة لاجل احتلال مركز اركنساس على نهر اركنساس · وفي اوائل شهر كانون الثاني ابتدات الحملة على المكان المذكور · فقاد



ـ« الجنرال جورج مكللان »ـ

قوات البر الجنرال مكلرند والاسطول تولى قيادته الاميرال بورتر ٠ فوصلت الجنود الى مكان قصدها في عاشر الشهر المذكور واشتبكوا مع المتحالفين بموقعة هائلة عقد النصر فيها على لوائهم ٠ وفي الغد سلم لهم قائد الحلفاء فوقع بيد المتحدين خمسة الاف جندي من اعدائهم اسرى ٠ وبعد ذلك عادوا الى ضواحي فكسبرغ لكي ينضموا الى جيش الجنرال غرانت الذي كان عازما على اعادة الكرة لامتلاك معقل المتحالفين

واحتشدت قوات الاتحاديين ثانية في ممفيس ومخرت في نهر مسسبي ونزلت في ضواحي يازو ٠ غير ان الاستيلاء على البلدة من تلك الناحية كان صعبا ٠ وصرف الجنرال مدة ثلاثة اشهر يمهد العقبات ويزيل المعترضات في سبيل دخوله المدينة من الوراء ٠ وحفر قناة لكي يحول اليها قسما من مياه النهر فتسير بها سفن المدفعيات وتشترك في الهجوم ٠ غير انه حدث طوفان في النهر جرف تلك القناة فذهب كل التعب في حفرها ضياعا فعادوا الى حفر قناة اخرى ولكنهم لم يتموها ٠ وكان الراي العام

قد هاج على غرانت حتى انهم الحوا على الرئيس ان يقيله من القيادة • واخيرا تقرر بأن يخترق الاسطول بطاريات فكسبرغ مهما كلف الامر فسارت السفن في النهر في ١٦ نيسان بكل هدوء وسكينة غير ان العدو انتبه للامر ولما صارت السفن على مقربة من المدافع اطلقوها عليها دفعة واحدة غير انهم لم يحدثوا فيها اضرارا تذكر وقد فازت بالرسو على مقربة من المدينة

فتشدد الجنرال غرانت بنجاح اسطوله ومشى جيشه على ضفة النهر اليمنى على مقربة من الاسطول •وفي ٣٠ نيسان عبروا النهر وفي الغد هجموا على المتحالفين في بورت غبسن وانتصروا عليهم • وعلى اثر ذلك اخلى الحلفاء الخليج الواقع عند مصب نهر بلاك وتقدم جيش الاتحاد نحو فكسبرغ •واجتمعت قوة كبرى من الحلفاء في ريموند وبعد موقعة عنيفة دحروا وتقدم الاتحاديون نحو جاكسن عاصمة ولاية مسسبي فالتقى جانح جيش غرانت الايمن الذي يقوده شارمن ومكفرسون بجيش الجنرال جونسن الذي كان موافيا لنجدة حامية فكسبرغ •وجرت في ١٤ ايار موقعة حامية بين الفريقين انتهت باندحار الاحلاف وسقوط مدينة جاكسن بيد المتحدين وقطع خط الاتصال بفكسبرغ • اما الجنرال يمبرتن قائد حامية فكسبرغ فانسحب خاسة مع معظم جيشه خوف الوقوع في اسر الاتحاديين الظافرين • فالتقى بهم في شامبون هل على بيكرز كرك وجرت بين الفريقين موقعة انتصر فيها المتحدون وفريمبرتون بمن تبقى من رجاله عائدين الى فكسبرغ وشرعوا يستعدون للدفاع عنها • وكانت استحكاماتها متينة ومواقع الدفاع فيها حصينة خلافا لما خاله الجنرال غرانت اذ كان يلوح له انه سيستولي على المدينة حال هجومه عليها فامر رجاله بالهجوم في ١٩ ايار على المدينـــة ولكنهم دحروا بخسارة فادحة •وبعد ثلاثة ايام اعادوا الكرة فدحروا ايضا بخسارة اعظم •وقد بلغ مجموع خسارتهم في الهجومين ثلاثة الاف رجل •فلما راى غرانت انه يصعب عليه

امتلاك فكسبرغ بالهجوم ضرب حولها نطاق الحصار وضيق عليها بكل وسيلة ممكنة . كذلك الاميرال بورتر تقدم باسطوله وشرع يطلق القنابل على المدينة . ووافت للمتحدين نجدة فزاد عدد جيشهم . ولقد تضايق المحاصرون من الجوع وفتك الامراض التي تفشت بينهم فهجر الاهلون بيوتهم خوفا من الموت بوابل الرصاص المنسكب على المدينة وعلى رغم كل ذلك العنف والشدة والضيق قد تمكن قائد الحامية من الثبات مدة ست اسابيع ولم يرغم على التسليم حتى ثالث شهر تموز وبموجب شروط التسليم اضحى رجال الحامية وعددهم ٣٧ الفا اسرى حرب فضلا عن غنيمة الاسلحة وغيرها

وفي غضون ذلك كان الجنرال بانكس الذي خلف الجنرال بطلر في قيادة جيش الخليج يوالي حملاته على مسسبي السفلى . فزحف من معسكره في باتن روج على لوزيانا الى ان بلغ الى براشهيرسني ومن ثم نازل قوة من الحلفاء في بايوتيشه فبدد شملهم وعاد الى مسسبي . ثم سار شمالا الى بورت هدسن وحاصرها وكان عدد حاميتها ستة الاف فابدوا من البسالة في الدفاع ما يذكر لهم بالفخر وما زالوا يدافعون حتى بلغهم خبر تسليم فكسبرغ فانقطع رجاؤهم من قدوم نجدة اليهم فارغموا على التسليم واستبقوا اسرى

اما الجنرال روسكرانس فبعد موقعة مرفريسبورو تربص ردحا من الزمان دون ان يأتي بحركة عسكرية . وفي اواخر الربيع امر الكولونيل ستريت ان يحمل على جيورجيا ففعل . والتقى بالجنرال فورست وجيشه فنازلهم واستاقهم اسرى . وفي اواخر حزيران قام الجنرال روسكرانس بحركات التفافية كانت نتيجتها ارغام الجنرال براغ التحالفي على الجلاء عن تناسي الى جيورجيا فتتبع الاتحادي اثره وعسكر في شتانوغا الواقعة على ضفة نهر تناسي الشمالية . وفي خلال فصل الصيف وافى الجنرال جونستون من مسسبي والجنرال لونكستير من فرجينيا بجيشيهما وانضما الى الجنرال

براغ • فحمل على قوات المتحدين في شكاموغا كرك في جيورجيا وذلك في ١٩ ايلول وجرت في ذلك النهار موقعة عنيفة بين الجانبين وقد خيم الظلام قبل ان يلوح الظفر لاحدهما وفي الغد تجدد القتال وكان الاحلاف يتقدمون بفرقة كثيفة وقوية اما الاتحاديون فلازموا جانب الدفاع •وبعد اربع ساعات من اشتباك الفريقين بالقتال فتح الجنرال ود للحلفاء باب الدخول الى ساحة جيش المتحدين وفعل ذلك لعدم فهمه الاوامر الصادرة اليه • فلما راى قائد المتحالفين الفرصة سانحة اغتنمها • فاندفعت فرق جيشه الى محلة العدو فهزمت جانحه الايمن من ساحة القتال •اما الجانح الايسر فتمكن بحذق وفطنة قائده الجنرال طوماس من الثبات حتى المساء ومن ثم انسحب تحت ستر الظلام الى شتانوغا واحتمى داخلها وهكذا انجلت تلك الموقعة الحامية عن انتصار المتحالفين ولولا غلطة الجنرال طوماس الذي لقب منذ ذلك الحين بصخرة شيكاموكا لدارت الدائرة عليهم واندحروا امام المتحدين

فلحق الجنرال براغ باعدائه وتقدم لمحاصرة شتانوغا وقطع على الاتحاديين خط الانصال حتى انه خشي على جيش الجنرال روسكرانس من الانقراض • واضحت الاقوات للرجال والخيل قليلة جدا فهلك في خلال بضعة اسابيع عشرة الاف من خيل وبغال جوعا • على ان الجنرال هوكر وافى لنجدة روسكرانس بكتيبتين من جيش بوتوماك فخرق نطاق الحصار وامد المحاصرين بزاد وذخيرة • وتولى قيادة الجيش الغربي العامة • وبعد قليل وافى ايضا الجنرال شارمن بجيشه وانضم الى المتحدين فاضحت قوتهم عظيمة حتى انهم اخذوا جانب الهجوم • وبلغ مجموع جيش الجنرال غرانت الثمانين الفا وفي ٢٤ ت ٢ هجم الجنرال هوكر على مركز حصين للحلفاء في لوكاوت مونتن فصادف نجاحا •وفي الغد هجموا على مركز الجنرال براغ في مشنريردج فازاحوه منه وولت جنوده الادبار الى رنغولد في ولاية جيورجيا اما موقعة

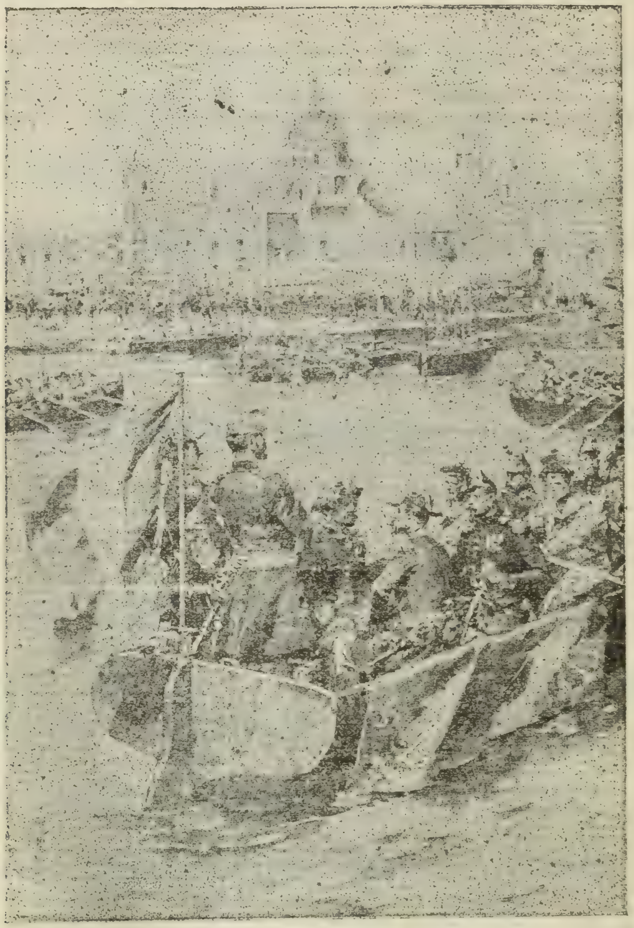
لو كاوت مونتن ويلقبونها «بالمعركة فوق الغيوم» فهي من اغرب المواقع التي جرت في الحرب الاهلية . ففي خلال القتال غشي جبل لو كاوت ضباب شبيه بالسحاب حتى لم تعد روءية قمته ممكنة من اسفله ودارت رحى الحرب في وسط ذلك الضباب الكثيف كما ان موقعة مشنريردج كانت من اشد مواقع تلك الحرب هولا . ولما كان سعير تينك الموقعتين مضطرما كان الجنرال برنسيد محافظا على شرقي تناسي . وفي غرة أيلول وصل الى بلدة نكسفل فقابله الاهلون بالترحاب . وبعد موقعة شيكاموغا سار الجنرال لونكستر الى شرقي تناسي لمشاكسة الاتحاديين . وفي مسيره الى نكسفل اسر شراذم صغيرة متعددة من جيشهم كانت منتشرة هنا وهناك ومن ثم حاصر المدينة وفي ٢٩ ت٢ حاول الحلفاء احتلال نكسفل بالقوة القاهرة ولكنهم دحروا عنها بخسارة فادحة . وبعد تقهقر براغ من شتانوغا زحف الجنرال شارمن بجيشه لنجدة برنسيد ولكنه قبل ان يبلغ الى نكسفل كان لانكستر قد رفع الحصار عنها وتراجع الى فرجينيا

ويوم سقطت فكسبرغ كان الجنرال هولمز الاتحادي هاجما بثمانية الاف جندي على بلدة هلينا من ولاية اركنساس فدحر عنها بخسارة خمس جنوده . وفي عاشر ايلول وصل الى مدينة لتل روك عاصمة ولاية اركنساس واحتلها واعاد الحكم الاهلي الى الولاية المذكورة .

وفي صيف تلك السنة قام الجنرال جان مورغن بحملته الشهيرة خارقا ولاية كنتكي الى ولايتي انديانا واوهايو . فابتداسيره من مدينة سبارطا من ولاية تناسي وكان عدد رجاله ثلاثة الاف . فسار شمالا قاطعا ولاية كنتكي وكان عدد رجاله يزداد كلما تقدم مرحلة الى ان بلغ الى نهر اوهايو قرب مدينة لوزفل فعبر النهر الى انديانا وتابع مسيره شمالا فشرقا . واعترضه في مروره في بلدة كوريدون وغيرها بعض شراذم من

الحرس الوطني غير ان قوة كبيرة بقيادة الجنرال هوبسن جدت في اثره · فاجتاز مورغن من بلدة هارسن الى اوهايو ثم عطف على الشمال من مدينة سنسناتي ومر تجاه نواظر الجنود التي ارسلت لصده وقد اجتاز جنوبي ولاية اوهايو مضرما النار بالجسور والبنايات ومستاقا ما صادف من الخيول امامه · وحاول عبور نهر اوهايو في جزيرة بفنتن قرب بوميري على رغم ان النهر كانت تحرسه السفن المدفعية · وقد فاز بنقل قسم من جنوده الى الضفة الاخرى ولما راى ان لا قبل له على نقل الجميع اعاد خيوله الى جهة اوهايو وعبر من جهة اخرى · وكان عدد رجاله قد تناقص الى الستماية وما زال يجتاح العدو ويمر في ارضه حتى بلغ الى بلدة نيولسبون حيث احتاط به المتحدون وقبضوا عليه وعلى رجاله وبقي مغلقا عليه في سجن ولاية اوهايو مدة اربعة اشهر تمكن بعدها من الفرار الى ولاية كنتكي ومنها الى رتشمند

وجرت خلال عام ١٨٦٣ عدة مواقع بحرية خطيرة في المرافيء البحرية · ففي غرة كانون الثاني احتل الجنرال مرمدوك اسكلة كلفستن من ولاية تكساس فغنم المتحدون بذلك فرصة كانوا بحاجة ماسة اليها في الجنوب الغربي وفي ٧ نيسان حاول الاميرال ديتن احتلال مدينة شارلستون باسطول منيع ولكنه دحر عنها وتعطلت عدة سفن من اسطوله · وفي اواخر حزيران ضرب الجيش البري نطاق الحصار حول المدينة فاسرع الاميرال دالفرن باسطوله واشترك في اطلاق القنابل على المدينه · وبعد عدة ايام حاول الجنرال غلمور قائد جيش البر الاستيلاء على حصن وغنر في ١٨ تموز ولكنه فشل وعاد بخسارة الف وخمساية من رجاله · ويمتاز الهجوم على الحصن المذكور بوفرة عدد العبيد الذين كانوا في ساحة الوغى · ودام حصار المدينة حتى مساء سادس ايلول حين اخلى الحلفاء القلعة وتقهقروا الى شارلستون وبذلك اصبح مركز غلموز بعيدا عن المدينة اربعة اميال فقط



ـ(انزال جيش الاتحاد في فيرا كروز)ـ

وفي فصلي الربيع والصيف من تلك السنة قام جيش بوتوماك باعمال حربية عديدة فبعد ان اندحر الجنرال برنسليد ذلك الاندحار المعيب في فردركسبرغ اقيل على اثره من القيادة فخلفه فيها الجنرال جوزف هوكر وهذا زحف بكل جيشه في الشطر الاخير من نيسان الى ان بلغ الى شانسار سفل واحتل مركزا يترتب فيه على خصمه الجنرال لي امان يبرز لمنازلته او يهرب من امامه فاختار لي الامر الاول · وفي صباح اول ايار اصبح الجيشان متقابلين · وكأن الجنرال هوكر خولط في عقله اومسته جنة فاخلى مركزه الحصين لغير سبب واحتل آخر ليس على شيء من المناعة · فهجمت عليه في ثاني ايلول جنود شمالي فرجينيا بقيادة الجنرالين لي وجاكسن وكان الاخير على جانب عظيم من الشجاعة · فاخذ ثلاثين الف جندي وانسحب بهم من ساحة الوغى ثم سار مسافة ١٥ ميلا والتف حول جيش المتحدين · وانقض كالصاعقة على جانحهم الايمن وابلى فيه بلاءً حسنا فتشتت شمل الرجال وملأت الساحة من اشلاء القتلى ولكن من موجبات الاسف ان تلك الموقعة كانت الاخيرة لستونول جاكسن البطل المغوار فانه لما خيم الظلام وكان جيش الاتحاد متبعثرا متشتتا امتطى جواده وسار برجال حاشيته في ذلك الليل الدامس لجولة هناك فخاله جنده عدوا واطلقوا عليه عياراتهم فاصابه جرح خطير مات متاثرا منه بعد اسبوع · فاحدث موته فراغـــا في جيش التحالف لا يستطيع غيره املاءه وشعر الجميع بعظيم تلك الخسارة التي لا تعوض

وفي صباح ثالث ايلول دارت رحى الحرب ثانية · وقد حاول الجنرال سرجوك نجدة هوكر من فردركسبرغ فاندحر وارغم على التقهقر الى عابر نهر رابهنوك واضحى الجيش الرئيسي محصورا بين شانسلر سفل والنهر وبقي كذلك الى خامس الشهر حيث تمكن الجنرال هوكر من التقهقر به الى ضفة النهر الشمالية وبلغت خسارة المتحدين في ذلك الصراع بين قتيل وجريح سبعة عشر الف رجل وخسارة اعدائهم اثني عشر الفا

وقد لطفت انكسار هوكر حملة الجنرال ستونمان واستعاض بها المتحدون عن خسارتهم المذكورة · فان الجنرال المذكور عبر نهر رابنهوك بعشرة الاف جندي ونسف محطة سكة حديد فرجينيا وتقدم الى نهر شيكاهومني وقطع على الجنرال لي خط الاتصال وما زال يتقدم حتى لم يعد بينه وبين رتشمند سوى مسافة بضعة اميال ومن ثم قفل راجعا وعبر نهر رابهنوك ثانية بسلام · وكذلك الجنرال بك كان محاصرا الجنرال لونكستر في مدينة سفوك فاخلاها المتحالفون في نفس النهار الذي اخلى فيه المتحدون شانسلرسفل

فاسكرت الجنرال لي خمرة الانتصار حتى انه عول على اشعال نار القتال في ولايتي ماريلاند وبنسلفانيا · فزحف في اول حزيران بكل جيشه وعبر نهر بوتوماك واحتل مدينة هاجرستون وابقى قوة كبيرة من الجند تحت قيادة الجنرالين ستيورت وهل لصد جيش الاتحاد عن اللحاق به · وفي ٢٢ حزيران دخل الغزاة شامبرسبرغ وتقدموا عن طريق كارليل الى ان اصبحوا على قيد اميال قليلة عن هرسبرغ · وقد ظهر الان جليا ان الحلفاء يقصدون ايراء نار الحرب في الشمال ولكن هيهات ان تتم احلامهم فان الجنرال هوكر تقدم بجيش بوتوماك لملاقاة خصومه والحؤول دون نيله وطره · وكانت معركة حامية الضرام وشيكة النشوب · على ان الجنرال لي عدل عن فكرة الغزو وجمع قواته باسرع مايمكنه في مدينة غاتسبرغ قاعدة مقاطعة ادمس من ولاية بنسلفانيا · وفي مساء اليوم السابق ليوم الموقعة تحولت قيادة جيوش الاتحاد من الجنرال هوكر الى الجنرال جورج ميد · وكان عدد كل من الجيشين ثمانين الفا واقفين وجها لوجه · وغاتسبرغ التي ستدور في جوارها رحى الكفاح قرية عدد سكانها الف وخمساية نسمة · وبقربها سلسلتا جبال متوازيتان تعرف احداهما باسم سمنري والاخرى سمتري فاحتل الحلفاء الاولى والمتحدون الثانية · وفي البقعة الفاصلة بين تينك السلسلتين كان

عتيدا ان ينفجر بركان موقعة لم يحدث اكثر منها هولا وشدة في العالم الجديد · وفي صباح غرة تموز ابتدا دوي المدافع وصليل السيوف وانهمل وابل الرصاص على صدور الرجال ودام الخصمان يتطاحنان مدة ثلاثة ايام متوالية وقد ابديا من الشجاعة والثبات ما يعجز وصفه · وقد امتاز الجنوبيون بهجومهم على الشماليين وقنابل هوءلاء تحصدهم بالعشرات والمئات فلم يحجموا او يرهبوا وما تقرر الفوز لاحد الفريقين حتى مساء اليوم الثالث اذ رجحت كفه المتحدين وابتسم لهم الظفر فاضطر الجنرال لي ان يتقهقر بمن تبقى من جيشه المتبدد الى نهر بوتوماك ولم يعد يطمع في غزو الشمال بعد · وقد بلغت خسارة الحلفاء في تلك الموقعة الدموية الهائلة نحو ثلاثين الفا وخسارة المتحدين ٢٣ الفا وماية وستة وثمانين رجلا · ونكص الجنرال لي عائدا بجيشه الى فرجينيا وعاد جيش الاتحاد الى مركزه الاول على ضفاف نهري بوتوماك وربهنوك

واحتاطت في تلك السنة حول كرسي الرئيس لنكلن مشاكل ومعضلات جمة واضطرابات متنوعة فان دين الامة بسبب تلك الحرب بلغ الوف بل ملايين الدولارات وطلبه الاخير عددا معلوما من المتطوعين لم يجب اليه · وكان الحزب المناهض للحرب في الشمال يزداد عتوا وقوة يوما فيوما واتصلت به القحة الى التطاول على الحكومة وتسفيه رايها وسلقها بالسنة حداد واشد ما كان ذلك في ولاية اوهايو · وحدثت مشاغبات اهلية مختلفة لا نرى من حاجة لتفصيلها · وفي ثالث شهر اذار اجاز مجلس النواب شريعة العتق وبعد شهرين اصدر الرئيس منشورا بطلب ثلاثماية الف متطوع وتحتم على الرجال ذوي البنية التامة من سن العشرين الى الخمسة واربعين اجابة نداء الوطنية · على ان الحزب المضاد الحرب كان يعاكس ويقاوم التجند بكل طاقته حتى انه في نيويورك تجمهر عدد كبير من الرجال وتقلدوا اسلحتهم · وطافوا في الشوارع معترضين ومقاومين · ومن ثم هاجموا البنايات التي فيها عمال الحكومة

واحرقوا ميتما مملوءا باولاد الزنوج وهاجموا رجال البوليس فذهب ضحية هياجهم ما ينيف عن المائة قتيل اكثرهم من العبيد · واقتضى للحكومة ثلاثة ايام حتى كسرت شوكة اولئك الثائرين واعادت السلام الى نصابه ·وبعد سقوط فكسبرغ وتقهقر الجنرال لي ارعوى زعماء الحزب المضاد عن غيهم نوعا ولاذوا بالسكينة

وعلى كل لم يلبي الشماليون دعوة الرئيس ·فلم يتطوع اكثر من خمسين الفا ·وكانت المعارك والامراض قد اودت بحياة مئات والوف من الجيش فتناقص عدده جدا حتى اضطر الرئيس ان يصدر منشورا اخر بطلب ثلاثماية الف جندي وشفع ذلك بامور جعلت صوت ندائه مسموعا هذه المرة فبادرت الالوف للتجند واضحى جيش الاتحاد قويا مرهوب الجانب وعلى تمام الاهبة لخوض غمرات المنون ·وما اعترض سبيل تجنيد جيش في الشمال اعترض ايضا سبيل تجنيد جيش في الجنوب

الفصل السابع والخمسون

—(حوادث سنة ١٨٦٤ ونهاية الحرب)—

ابتدات الحركات الحربية عام ١٨٦٤ كما ابتدات في السنوات الغابرة اي في الغرب ففي الشطر الاول من شباط بارح الجنرال شارمان من فكسبرغ قاصدا قطع السكك الحديدية في شرقي ولاية مسسبي فبلغ الى مدينة مريديان في منتصف الشهر المذكور وهي مركز القطر التي تسير من مدينة موبيل الى كورنث وتتصل بالخط

الممتد من فكسبرغ الى مونتغمري · فنسف الخطط الحديدية على مسافة ١٥٠ ميلا واحرق الجسور والقطر ومقادير وافرة من القطن والحبوب وغيرها · وبات الجنرال شارمان في ماريديان يتوقع وصول فرقة من الفرسان سارت من ممفيس للانضمام اليه بقيادة الجنرال سمث · فلما صاروا على بعد ماية ميل من ماريديان التقتهم كوكبة من فرسان الاعداء وارغمتهم على الرجوع الى ممفيس فاستاء من ذلك الجنرال شارمان وقفل بجيشه عائدا الى فكسبرغ · بينما القائد فورست داوم حملته شمالا حتى دخل تناسي · وفي ٢٤ اذار احتل يونيون ستي ومن ثم تابع المسير حتى بلغ الى بلدة بادوكا من ولاية كنتكي وهاجم قلعة اندرسن في ضواحي البلدة المذكورة ولكنه دحر بخسارة ثلاثماية من رجاله فقفل راجعا الى تناسي وبلغ الى حصن يالو على ضفة نهر مسسبي وهو يبعد ٧٠ ميلا عن ممفيس وكان عدد الحامية فيه خمسماية وستين جنديا نصفهم زنوج فاستولى فورست على الاستحكام الخارجي وطلب من قائد الحامية التسليم فابى عندئذ هجم عليه وامتلكه عنوة

وفي ربيع تلك السنة قام الجنرال بانكس بغزوته المعروفة «بحملة النهر الاحمر» والغرض منها الاستيلاء على مدينة شريفبورت مركز حكومة التحالف في ولاية لوزيانا فسارت قوة من الجيش على ضفة النهر الاحمر تحميها سفن الاسطول بقيادة الاميرال بورتر · فتقهقر المتحالفون الى الكسندريا فاحتلها المتحدون في ١٦ اذار · وبعد ذلك بثلاثة ايام احتلوا بلدة نتشيتوتش وهناك انفصلت طريق الجنود عن النهر فلم يعد باستطاعة السفن حمايتهم فتابعت مسيرها في النهر الى جهة شريفبورت بينما الجنود سارت في تلك الجهة ايضا · وفي ثامن نيسان بلغت طليعة الجيش الى بلدة مانسفيلد فهجم عليهم الحلفاء بغتة وكسروهم شر كسرة · وفر المتحدون من ساحة القتال وخصومهم يتعقبونهم حتى الى المكان المعروف بلزنت هل وهناك التقوا بالجيش

الرئيسي ودارت رحى الحرب ثانية وقد كادت تدور الدائرة على المتحدين لولا استبسال فرقة الجنرال سمث التي جعلت التقهقر الى النهر ممكناً · فخسر الاتحاديون ثلاثة الاف رجل وعشرين مدفعا وقطرا مشحونة ميرة وذخيرة · وقد وجدت عمارتهم صعوبة كلية في عبور النهر الى شريفبورت لان الحلفاء نصبوا بطارياتهم على ضفتيه · ولما بلغ الاتحاديون بتقهقرهم الى الكسندريا اضطروا الى التوقف لان مياه النهر قد نقصت حتى لم تعد سفن المدفعيات قادرة على المسير ولولا دراية الكولونيل بيلي بصنعه سدا حصر فيه الماء واطلقها على مكان جري السفن لخسر المتحدون عمارتهم كلها · وانقلبت الحملة كلها الى مسسبي ولم تحصد الحكومة من حملة النهر الاحمر سوى ثمار العار والفشل · وقد اقيل الجنرال بانكس من القيادة وخلفه فيها الجنرال كانبي

وفي ثاني شهر ايار سنة ١٨٦٤ تعين الجنرال غرانت قائدا عاما لكل جيوش الولايات المتحدة ·ومنحه الكونغرس لقب لوتننت جنرال ولم ينل هذه الرتبة قبله سوى اثنين وهما جورج واشنطن وونفيلد سكوت · فاصبح تحت امرته جيش لا يقل عن السبعماية الف محارب ·وصرف غرانت الشهر الاول من تعيينه فريقا في رسم ما ينبغي القيام به من الحركات الحربية في تلك السنة واهمها اثنتان احداهما زحف جيش بوتوماك بقيادة الجنرال ميد والقائد العام على رتشمند التي كان لم يزل قائما على حمايتها جيش شمالي فرجينيا بقيادة الجنرال لي · والثانية زحف جيش شتانوغا وعدده ماية الف تحت قيادة الجنرال شارمان على اتلنتا التي كان يحميها الجنرال جونستون بجيشه

وتقدم الجنرال شارمان بجيشه الى الامام فالتقاه في دالتن القائد جونستون بستين الف مقاتل وبعد مناوشات عديدة ارغم جونستون على التقهقر الى ريساكا وامامها اشتبك الفريقان ايضا بموقعة دامت يومي ١٤ و١٥ شهر ايار فانتصر فيهـا المتحدون

واستولوا على المدينة اما الحلفاء فتراجعوا الى دلاس واقاموا هناك استحكامات واستعدوا لمنازلة اعدائهم ولكن الدائرة دارت عليهم في الموقعة التي نشبت في ٢٨ ايار فتراجعوا الى لوست مونتن وبالرغم من مناعة مركزهم غلبوا ايضا في ١٧ حزيران وارغموا على التقهقر الى كريت ولتل كنسومونتنز · ومن هناك هاجمت فرقة الجنرال هود وسط جيش الاتحاد ولكنهم ارجعوا بخسارة باهظة وكان ذلك في ٢٢ حزيران ·وبعد خمسة ايام حاول الجنرال شارمان اخذ كنسومونتنز عنوة فهجم عليها بجنوده هجمة عنيفة فدحروا عنها بخسارة ثلاثة الاف رجل في جملتهم الجنرال دانيال مكوك · فاستاء شارمان من ذلك الانخذال وعاد فلمّ شعث جيشه واستجمع قوته واعاد الكرة على اعدائه وما زال يهاجمهم ويضايقهم حتى اضطرهم ان يتقهقروا في ثالث تموز الى عابر نهر هوشي · وما جاء عاشر شهر تموز حتى كان كل جيش التحالف داخل حصون أتلنتا · فضرب المتحدون نطاق الحصار حولها وكانت محصنة تحصينا منيعا ·وبعد مرور يوم او اثنين على حصارها اقيل الجنرال جونستون من القيادة وهو رجل ذو حنكة ودراية وفيه تمام الاهلية للقيادة فخلفه الجنرال هود وكان اهوج ولكنه شجاع وكان نزوعا الى الحرب والنزال في اية حالة كانت فكان ذلك التغيير في القيادة وبالا على المتحالفين ·فهجم هود ثلاث مرات على خصومه وفي كلها دحر خاسرا ·وفي الهجوم الثاني فقد المتحدون قائدا شجاعا وهو الجنرال مكفرسن قتل وهو يقود فرقة تصد العدو عن التقدم · والمتحالفون خسروا في ذلك الهجوم تحت قيادة الجنرال الجديد اكثر مما خسروا في كل المواقع الاخرى بين شتانوغا واتلنتا ·ودام الحصار مدة شهر والاتحاديون يضايقون عدوهم بكل وسيلة ممكنة · واخيرا قسم هود جيشه الى قسمين وكان ذلك مجرد جهل وعدم دراية · فاغتنم شارمان الفرصة وادخل جيشه بين القسمين المذكورين فلما راى هود ان جيشه صائر الى الدمار لامحالة بسبب تلك القسمة التي

لامسوغ لها فر معه هاربين تحت جنح الظلام وذلك في غرة ايلول وفي الغد دخل جيش المتحدين المدينة

وكان هرب هود الواسطة الوحيدة لنجاة جيشه من الانقراض ٠ولبث في ضواحي اتلنتا ردحا من الزمان وهو لا يدري ماذا يفعل او الى اية جهة يمضي ٠وبعد ذلك عزم على الزحف شمالا الى تناسي وبذلك يلزم شارمان ان يخلي جيورجيا ٠ وكان واثقا بانه يتغلب على فرق جيش الاتحاد التي يصادفها في طريقه وزين له الوهم بانه سيقود جيشه الظافر الى عابر كنتكي ويصل الى لوزفل على نهراوهايو ٠اما شارمان فلم يجاز فبوقته ٠فبعد ان لحق بهود قليلا عاد الى اتلنتا وشرع يتاهب لحملة على الساحل ٠ اما هود فتابع سيره بخمسين الف جندي واجتاز في شمال الاباما وعبر نهر تناسي وتقدم الى ناشفل ٠ وفي غضون ذلك انفصل الجنرال سكوفيلد بجيش كمبرلان عن الجنرال شارمان وسار الى تناسي يتعقب هود ٠ وكان الجنرال قائدجيش الاتحاد في جنوبي الولاية قد تقهقر من امام جيش التحالف وعسكر في مدينة فرنكلين التي تبعد عن ناشفل ١٨ ميلا وهناك اشتبك مع قسم من جيش هود بموقعة هائلة في ٣٠ ت٢ ودام الاتحاديون يدافعون عن خياضهم حتى المساء ومن ثم تراجعوا الى ناشفل التي اجتمع داخل حصونها كل جيش طوماس وكانت الاستحكامات ونحوها من جنوبي المدينة فتقدم الجنرال هود بجيشه مهاجما وواثقا بالغلبة ٠اما طوماس فلم يكن على استعداد للنزال فمرت الايام ولم يأت بحركة على الاطلاق فاستاء من ذلك غرانت القائد العام ووالى رسائله اليه يستنهضه للعمل حتى ان الرئيس لنكان صرح بان طوماس متقاعد عن عمل ما يقدر عليه ٠ واخيرا اعلن في تاسع ك١ ان استعداداته قد نجزت ولكن هبت ريح شديدة عقبها سقوط برد تجلد فجعل المسير متعذرا على الجنود فبات طوماس ينتظر ذوبان الجليد ومر اسبوع اخر دون ان يفعل شيئا ٠ فاوفد

الرئيس لنكان الجنرال جان لوغا نليتولى القيادة مكان طوماس فما وصل الى ناشفل حتى بلغه ان الموقعة بين الجيشين قد دارت رحاها وانجلت عن فوز المتحدين

ففي يومي ١٥ و١٦ كانون الاول نظم الجنرال طوماس فرقة بحسب الفنون الحربية الحديثة وبالحقيقة ان ترتيب تلك المعركة كان اتم واكمل ما جرى في الحرب الأهلية ٠ ولا تزال المدارس العسكرية في اوروبا تتخذها نموذجا تنسج على منواله ٠ فقد جعل طوماس كل حركة من حركات جيشه تاؤول الى فوز وظفر ٠ ورسم كل شيء من قبل ومرن رجاله تمرينا ضمن لهم الغلبة بخلاف جيش هود الذي كان فاقدا كل تنظيم وتدريب فكان نصيبه الخذلان والانكسار والشتات فانهزموا والاتحاديون يطاردونهم حتى اختباوا من وجوههم في الاباما ٠ فاندثر جيش التحالف واقيل قائده الارعن من القيادة ووقعت عليه «صخرة شيكاماكا» فدهسته

وفي ١٤ ت٢ احرق الجنرال شارمان اتلنتا وابتدا حملته الشهيرة على السواحل البحرية وكان عدد جيشه المدرب ستين الفا وصحب معه في قطار النقل ستين مدفعا ضخما وستماية محمل لنقل جرحى ومرضى الجنود وستة بغال ٠ وكان على ثقة بان جيش هود سيسحق في نناسي وبانه لا يوجد جيش اخر للحلفاء يعترض سبيله ٠ فقطع اتصاله مع الشمال وسار بحملته بكل جسارة والمسافة بينه وبين مكان قصده تنوف عن ٢٥٠ ميلا وذكرنا ان الحلفاء لاقبل لهم على صده ٠ فسار جيش الاتحاد بلا معارض واستولى في طريقه على عدة مدن الى ان بلغ في عاشر كانون الاول الى ضواحي سفانا ٠ وفي ١٣ منه هاجمت فرقة الجنرال هازن قلعة مكلستر بقرب المدينة واحتلتها ٠ وفي ليل العشرين منه فر الجنرال هاردي قائد جيش المتحالفين بخمسة عشر الف جندي هاربين الى شارلستون ٠ وفي ٢٢ الشهر المذكور اضحت سفانا بيد المتحدين واتخذها الجنرال شارمن مركزا له ٠ ومن هناك طير على جناح البرق رسالته

المشهورة الى الرئيس لنكن وهي (اسمحوا لي ان اقدم لكم مدينة سفانا هدية عيد الميلاد مع ماية وخمسين مدفعا ضخما وكمية وافرة من الذخيرة وايضا خمس وعشرين الف بالة قطن » • وكل خسارة شارمان من اتلنتا الى سفانا لم تتجاوز الخمسماية وسبعة وستين رجلا

وصرف جيش الاتحاد شهر كانون الثاني من عام ١٨٦٥ في سفانا • وفي غرة شباط زحف الجنرال شارمان على كولمبيا وابقى في سفانا حرسا كافيا لحمايتها ولم يصادف في طريقه مقاومة تذكر غير ان معظم الجسور على الانهر كانت قد نسفت • وكان يحمي كولمبيا الجنرال هامبتن فلما اقترب منه الجنرال شارمان سلم اليه بلا مقاومة وذلك في ١٧ شباط • ثم انه بطريقة مجهولة شبت النار في احد احياء المدينة وامتدت ألسنة اللهيب فحولت معظم الابنية الى رماد • ومن كولمبيا جعل شارمان نورث كارولينا مطمح ابصاره • وفي ١١ شهر اذار استولى على فيات فل

فعاد الجنرال جونستون الى تولي قيادة جيش التحالف وابتدات المقاومات تعترض سبيل المتحدين • فاعترضهم قرب فياتفل الجنرال هاردي بجيشه ولكنه دحر بخسارة فادحة • وفي ١٩ اذار كان جيش شارمان على مقربة من بلدة بنتونسفل واذا بالجنرال جونستون انقض عليهم برجاله وكاد يفرق شملهم لولا استبسال فرقة القائد دايفس وشجاعتها النادرة • وفي ٢١ منه دخل شارمن بلدة غولد سبورو بلا مقاومة • وهناك وافته نجدة قوية من جيش الجنرال طوماس بقيادة سكوفيلد ونجدة اخرى من ولمنتن بقيادة الجنرال تراي • ودار جيش الاتحاد الى الشمال الغربي ودخل بلدة رالي في ١٢ نيسان وكان بذلك نهاية الحملة العظمى لان هناك سلم الجنرال جونستون للجنرال شارمان وقضي الامر

وفي غضون ذلك جرت حوادث مهمة في خليج المكسيك وعلى شواطيء

الانلانتيكي ٠ ففي غرة شهر آب سنة ١٨٦٤ حمل الاميرال فراغت باسطوله على مدينة مويبل وهي اعظم فرضة على خليج المكسيك ٠ وكان مدخل مويبل محميا من جهة اليسار بقلعة جاينس ومن جهة اليمين بقلعة مورغان ٠ وفي الميناء كان اسطول الحلفاء وبين سفنه الدارعة المصفحة تناسي وفي خامس آب استعد فراغت لموقعة بحرية فاندفع بسفنه الى الميناء مارا بين القلعتين المذكورتين ٠ وقد كان متربصا ينتظر وصول الجيش لمشاركته في الهجوم على المدينة واخيرا تمكن الجنرال كرانكر من انزال عدد وافر من الجند في جزيرة على مدخل الخليج وبات الجميع على استعداد لدخول ميدان موقعة هائلة ٠ اما الاميرال الشيخ فابدى شجاعة تذكر فانه صعد الى قمة السفينة الرافعة لواءه وربط ذاته بمراسي السفينة بحيث لا يسقط اذا اصابته قنبلة العدو وشرع يصدر اوامره اثناء المعركة من ذلك المكان المرتفع ٠ ومر الاسطول في وسط قنابل العدو المنصبة عليه كالوابل الهتان ٠ ومرت احدى السفن بلغم فانفجر واغرقها ٠ اما بقية السفن فهاجمت اسطول الاعداء وعطلت معظمه فبان الفوز بجانب المتحدين غير ان الدارعة تناسي تقدمت بمعظم سرعتها لمهاجمة «هارتفرد» دارعة الاميرال واغراقها غير ان هارتفرد انحرفت عن موقفها فنجت من صدمة تناسي لها ومن ثم ابتدات الموقعة البحرية وهي اعظم مواقع تلك الحرب واسفرت عن تسليم الحلفاء سفنهم للمتحدين وبعد الموقعة بيومين استولى الاتحاديون على قلعة غاينس ٠ وفي ٢٣ شهر آب ارغمت حامية قلعة مورغان على التسليم ايضا وهكذا اطبق المتحدون على مرفأ مويبل من سائر الجهات

وكانت قلعة فشر من الحصون المهمة ايضا لانها كانت تحمي مدخل نهر كيبفير ونهر لمنتن وهي اخر مرفا تبقى للحلفاء ٠ وفي شهر ايلول سار الاميرال بورتر بعمارة اميركية لم تحز اميركا اعظم منها حتى ذلك الوقت لحصار تلك القلعة وافتتاحها ٠

وشارك الاسطول في الحصار الجنرال بطار بجيشه وعدده ستة الاف جندي · وفي ٢٤ الشهر المذكور شرعوا يرمون القاعة بالقنابل وانزلوا الجنود الى البر للهجوم عليها واحتلالها عنوة · وكان قائدهم في ذلك الهجوم الجنرال وتزل فلما اقترب من القاعة راى ان بالهجوم عليها فناء رجاله كلهم بنيران العدو ووافقه بذلك الجنرال بطار وعليه نأجل الهجوم وظل الاميرال بورتر مرابطا باسطوله امام القاعة والجنرال بطلر ذهب برجاله الى قاعة منرو ·وفي اوائل كانون الثاني ارسلت الجنود نفسها لافتتاح ولمتن بقيادة الجنرال تاري فاعيد الحصار كما في السابق ·وفي ١٥ الشهر المذكور استولوا على قاعة فشر فتم للمتحدين ما ارادوا من محاصرة مرفأ الاحلاف الاخير

وفي غضون تلك الحرب وقعت اضرار جسيمة بتجارة الولايات المتحدة بسبب مهاجمة سفن الحلفاء الجوالة · وكان كونغرس التحالف فقد قرر عام ١٨٦١ تسيير سفن لسلب العدو ومضايقة سفنه ومصادرة تجارته ·بيد ان الدول المتحايدة حذرت على تلك السفن دخول مرافئها باشياء مسلوبة فلم ينل الاحلاف فائدة تذكر من ذلك ·غير ان الضرر الاعظم حل بتجارة الولايات المتحدة ·واول سفينة سارت للسلب اسمها سفانا وقد اسرت يوم فرارها من شارلستون ·وفي شهر حزيران سنة ١٨٦١ خرقت السفينة «سمتر» الحصار وفرت من مرفا نيواورلينس وضايقت سفن المتحدين التجارية مضايقة عظمى مدة سبعة اشهر ·وكان ربانها الكابتن سمس ·وفي شباط سنة ١٨٦٢ طاردت سمس المذكور احدى سفن الاتحاديين حتى الى جبل طارق وهناك باع سفينته واطلق سراح بحارته ·وفي تشرين الاول الاسبق افلتت السفينة ناشفل ايضا من مرفأ شارلستون ومخرت الى انكلترا ثم عادت تنقل على متنها من الامتعة ما قيمته ثلاثة ملايين دولار فاغرقتها سفينة المتحدين المصفحة في نهر سفانا في اذار سنة ١٨٦٣

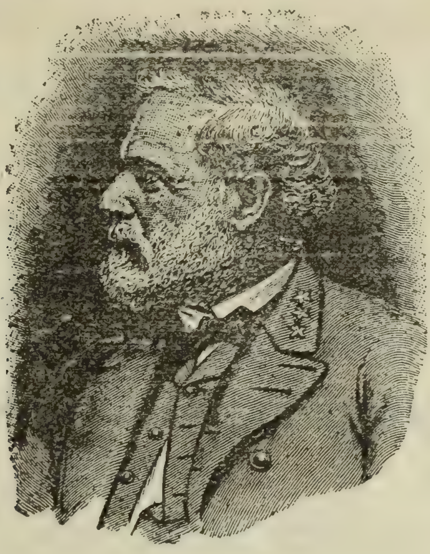
وفي هذا الوقت اصبحت كل مواني الولايات الجنوبية محاصرة بحيث لاتستطيع

السفن الحربية الخروج منها الى البلدان الاجنبية ٠ فلجأ الاحلاف الى انكلترا لكي تبني لهم سفنا جواله وغيرها فاحتجت حكومة الولايات المتحدة على حكومة انكلترا حاسبة ذلك العمل مناقضا لشريعة التحايد وقام الحوارين الحكومتين بذلك الصدد وميل بريطانيا الى المتحالفين كبد خزينتها خسارة خمسة عشر مليون دولار ٠ فبنيت في ليفربول الدارعة «فلوردا» وجهزت بما يلزم من المدافع وغيرها وانزلت الى البحر صيف عام ١٨٦٢ وسارت تشق عباب اليم وفازت بالدخول الى مرفأ موبيل بسلام وفي كانون الثاني من السنة التالية خرجت من ملجأها واعملت في سفن العدو التجارية التدمير وقد عطلت ١٥ سفينة واخيرا تمكن الاتحاديون من اسرها في مرفأ باهيا من اعمال البرازيل واتوا بها الى هامبتن رود حيث حدث بها انفجار انزلها الى العمق ٠ وابتنت انكلترا ايضا للاحلاف في مدينة كلاسكو كلا من البوارج «جيورجيا» و«اولتسي» و«شنندوه» و«شيكاموكا» وهذه انزلت كلها الى البحر وسارت تسطو على سفن الولايات المتحدة ٠ فلما سقطت قلعة فشر نسف الحلفاء البارجة شيكاموكا وسفينة جوالة اسمها تلهاسي خشية وقوعهما بيد العدو ٠ واسر المتحدون البارجة جيورجيا خلال عام ١٨٦٣ والبارجة شنندوه بقيت خارج الولايات المتحدة الى نهاية الحرب

اما التي دمرت من سفن الولايات المتحدة اكثر من كل ما دمره اسطول الاحلاف فهي البارجة الاباما الشهيرة التي بنيت في ليفربول ٠ وهي بارجة قوية محمولها الف طن وقوتها اربعماية حصان ٠ وقد علمت الولايات المتحدة القصد من بنائها وهو تدمير سفنها ومصادرة تجارتها ٠ فاحتج المستر ادمس سفير الولايات المتحدة في لندن على بناء تلك السفينة التي مذ تم بناؤها افلتت وسارت الى ازورس حيث التقتها سفينتان انكليزيتان فجهزتاها بما يلزم من الادوات ومن ثم مخرت للتدمير والتخريب ٠ وكان ربانها الكابتن رفائيل سمس «وهو نفس ربان السفينة سمتر» واكثر بحارتها كانوا

انكليزا و كل اسلحتها انكليزية ايضا ٠وعند مسيس الحاجة كانت تنشر الراية الانكليزية فوقها ومع ان الاباما دمرت ستين سفينة تجارية للمتحدين و كبدت تجارتهم وخسارة عشرة ملايين دولار لم تلج مرفأ تحالفي قط بل كانت ترسو في المواني الاجنبية وكانت دأبها الحريق والتدمير ٠ وفي اوائل صيف سنة ١٨٦٤ دخل سمس بارجته مرفأ شاربورغ الافرنسي فراى ونسلو قبطان السفينة كيرسارج وطلب اليه ان ينازله في براز بحري فاجابه ونسلو الى ما اراد ٠وفي ١٥ حزيران خرجت السفينتان من المرفأ الى بعد سبعة اميال واحتشدت الوف الخلق على الشاطيء للتفرج على ذلك النزال فلم تمر ساعة حتى رفعت الاباما علما ابيض وقبل ان يتمكنوا من انقاذ كل بحارتها غاصت في قعر اليم فانتشل سمس وبعض ضباطه يخت انكليزي واتى بهم الى سوث هبتن

ولم يكن حزب الديموقراط فقط مناهضا للحرب بل ان عددا عديدا من حزب الريبلكان بينهم من المقربين للرئيس لنكلن كانوا مقاومين لها ايضا ٠وقد اتجهت ابصار هذا الحزب الى سلمون هايز سنة ١٨٦٤ لترشيحه للرئاسة ٠غير انه ابى بتاتا ٠ وبعد ذلك عقدوا موءتمرا في كليفلند من ولاية اوهايو ورشحوا جان فريمونت للرئاسة ووزعوا منشورا انحوا به باللائمة على الرئيس لنكلن ونددوا بسياسته ٠ امــا حزب الريبلكان المصافي للرئيس فعقدوا موءتمرا في مدينة بلطيمور واتفق رايهم على اعادة ترشيح الرئيس ابراهيم لنكلن للرئاسة ورشحوا اندرو جاكسن من تناسي لنيابة الرئاسة وهو ذو غيرة متقدة على الاتحاد ٠ اما حزب الديموقراط فرشحوا الجنرال جورج مكللان للرئاسة وجورج بندلتون للنيابة٠ وصرح مرشحا الديموقراط بان الحرب كانت عقيمة وعديمة الجدوى وان الضرورة تقضي بايقافها حالا وانه يجب عقد موءتمر يحضره نواب عن كل الولايات لاعادة السلام واستتباب الامــن ٠غير ان الديمــوقراط



—(الجنرال ربرت لي)—

فشلوا سعيا وفاز ابراهيم لنكلن بالرئاسة ثانية

وفي تلك الاونة حصلت مداولات عديدة بشان الصلح غير ان الرئيس لنكلن اوضح ان الطريقة الوحيدة لانهاء الحرب هي ارجاع الاتحاد بين الولايات والغاء النخاسة وفي شهر شباط سنة ١٨٦٥ اجتمع اسكندر ستيفنس بالرئيس لنكلن وكاتم اسراره في قلعة منرو وفاتح ستيفنس الرئيس بامر الصلح فاجاب الرئيس بمثل ما تقدم وزاد على ذلك بانه لا يعترف بحكومة التحالف اصلا ولا يفاوضها بالصلح كحكومة فاجاب ستيفنس مذكرا الرئيس بان الملك شارلس تفاوض مع الثائرين من رعاياه بشان الصلح فاجاب لنكلن ان معرفته بالتاريخ قاصرة ولكنه يذكر جيدا بان شارل الاول فقد رشده

اما الاعمال العظيمة التي قام بها جيش بوتوماك بقيادة غرانت وميد فقد حفظت

الى الشطر الاخير من الحرب الاهلية ٠ففي ثالث شهر ايار سنة ١٨٦٤ بارح الجيش المذكور معسكره في كليبر وابتدا الزحف على رتشمند وكانوا قد حملوا عليها ثلاث مرات قبل ذلك وارتدوا عنها خاسرين وكان عدد الجيش الزاحف عليها للمرة الاخيرة مائة واربعين الف مقاتل ٠وفي اليوم الاول من مسيرهم عبر غرانت نهر رابيدان واجتاز في احراج كثيفة الاشجار فالتقاه الحلفاء فورا وهاجموه ٠ اما هو فلم يكن راغبا في منازلتهم هناك في معركة فاصلة بيد انه اشتبك الفريقان في الصدام مدة يومين متواليين اي في الخامس والسادس من الشهر المذكور وكانت خسارة الجانبين عظيمة ٠وبعد ذلك عاد الجنرال لي بجيشه الى مستحكماته بينما غرانت قام بحركة التفافية الى جهة اليسار نحو سبوتسلفانيا وهناك دارت رحى موقعة طاحنة من تاسع ايار الى الثاني عشر منه لم يحدث ما يضارعها في كل المواقع السالفة فانتصر المتحدون واسروا فرقة الجنرال ستيورت القائد المجرب الذي خر صريعا اثناء الموقعة ٠ وفي اليوم الاخير من القتال انتصر الجنرال هانكوك بهجومه على مكان حاميته ضعيفة وقد حاول الحلفا استرداده اربع مرار ففشلوا ٠ وبعد ذلك التحم الرجال مصادمة بالسلاح الابيض وجرت هناك مجزرة بشرية تشيب لهولها رؤوس الاطفال فكنت ترى جثث القتلى متراكمة تلالا والرائحة الخبيثة تنبعث منها فتزيد الموقف حرجا وعلى الاجمال فقد كانت موقعة سوتسلفانيا اشد المعارك هولا واكثرها هدرا للدماء ٠وقد بلغت خسارة الجنرال لي الذي اخذ جانب الدفاع اقل من خسارة خصومه ٠وقد ناف عدد القتلى من كل من الفريقين عن الثلاثة الاف وسبعماية

وبعد الموقعة المذكورة زحف غرانت بجيشه الى جهة اليسار ايضا وعبروا نهر بمنكي وجاؤا الى مكان يدعى كولد هاربر وهو على بعد ١٢ ميلا عن رتشمند الى جهة الشمال الشرقي وهناك هاجم الحلفاء في اول حزيران فدحروه بخسارة كبرى ٠ واعاد

الهجوم ثانية في ثالث الشهر فسقط بمدة لا تتجاوز النصف ساعة اثنا عشر الف جندي من جيشه قتلى امام استحكامات الحلفاء واندحر المتحدون اندحارا تاما · وبلغت خسارتهم من بداية تلك الحملة الى ذلك الوقت ستين الف رجل والمتحالفون خسروا ٣٥ الفا

فنقل الجنرال غرانت مركزه الى نهر جايمس بغية الاستيلاء على بيترسبرغ ومن ثم يتقدم لافتتاح رتشمند من جهة الجنوب الشرقي وكانت تلك نفس الخطة التي اتخذها الجنرال مكالان منذ سنتين وارغم على تغييرها · وكان الجنرال بطلر قد زحف بجيش قوي من قلعة منرو فاستولى في خامس ايار على برمودا هندرد وستي بوينت عند مصب نهر البوماتكوس · وفيما كان زاحفا لاحتلال بيترسبرغ التقى في ١٦ الشهر المذكور بفرقة الجنرال بيورغراد فاضطر ان يتقهقر الى برمودا هندرد فتحصن فيها واخذ جانب الدفاع ·وفي ١٥ حزيران وافاه جيش الجنرال غرانت كله وسار الجميع لاحتلال بيترسبرغ وكرروا في ١٧ و١٨ الشهر المذكور الهجوم على استحكاماتها فلم يستطيعوا اقتحامها ·وما عتم الجنرال لي حتى اسرع بجيشه الى بيترسبرغ وعندئذ ضرب الاتحاديون حولها نطاق حصار رسمي

وفي خلال ذلك كانت حركات عسكرية مهمة جارية في شنندوه فالي · فالجنرال غرانت لما عبر بجيشه نهر رابيدان ارسل الجنرال سيكل بثمانية الاف جندي الى وادي شنندوه وبينما كانوا سائرين جنوبا التقاهم في نيوماركت الجنرال بركنبردج بفرقة من جيش التحالف فهجموا عليهم وبددوا شملهم وعاد بركنبردج برجاله الى رتشمند اما الجنرال هنتر فلم شعث جنوده وهجم بهم على فرقة من جيش الحلفاء في بلدة بيدمونت وانتصر عليها ورغب في التقدم على لنشبرغ ولكنه راى الاخطار محيقة به فنكص راجعا الى وست فرجينيا وبذلك ابقى وادي شنندوه معرضا لهجوم الاحلاف

عليه

ورغب الجنرال لي في عمل امر ما يحمل الجنرال غرانت على رفع الحصار عن بيترسبرغ · فولى الجنرال ايرلي قيادة عشرين الف جندي وامره ان يسير بهم ويعبر بلوردج ويخترق الوادي ويزحف على ماريلاند ويهدد واشنطن العاصمة فسار ايرلي بحسب اشارة القائد العام وعبر نهر بوتوماك في خامس تموز ·وفي التاسع منه التقى بفرقة القائد والاس فنازلها وكبدها خسارة فادحة وخسرهو ايضا خسارة كبرى اضطر بسببها ان يتقهقر والا لكان استولى على بلطيمور وواشنطن فبعد ان صار على مرمى رصاص عنهما امر جنده بالتقهقر في ١٢ تموز فعبروا النهر ثانية وهم مثقلون بالاسلاب والغنائم

وارسل الجنرال ريت الاتحادي لمطاردة جيش ايرلي المذكور فادركه في ونشستر وهزم قسما من جنوده بيد ان ايرلي استجمع قوته وهاجم الاتحاديين وطردهم الى عابر نهر بوتوماك · وبعد ان تم له ذلك الفوز هاجم بنسلفانيا فاحرق بلدة شامبرزبرغ ورجع غانما · فاستاء الجنرال غرانت من ذلك واراد وضع حد لهجوم اعدائه فسلم للجنرال فيليب شريدان قيادة الجيش المرابط في اعلى نهر بوتوماك وعدده اربعون الفا فسار بهم فورا في وادي شنندوه وفي ١٩ ايلول وصل الى ونشستر حيث كان الجنرال ايرلي بجيشه فنازله شريدان وفاز عليه فوزا تاما

وتحول شريدان من هناك الى نهودي بحسب امر القائد العام واعمل فيه تخريبا وتدميرا واتلف كلما يمكن للعدو الانتفاع منه ·اما ايرلي فلم شعث رجاله ووافته ايضا نجدة فاصبح عزيز الجانب ودخل الوادي ثانية وكان شريدان قد ترك جيشه في مكان حصين يدعى سيدر كرك على مقربة من ستراسبرغ وذهب هو الى واشنطن غير حاسب للعدو حسابا · فباغت ايرلي جيش شريدان في ١٩ تشرين الاول فشتت شملهم

واستولى على مركزهم وفر الاتحاديون الى ونشستر مذعورين وبلا انتظام فطاردهم الحلفاء حتى مدلتون وهناك تحققوا ان غلبتهم تامة فعادوا لاخذ قسم من الراحة ٠وفي الليل السابق عاد شريدان الى مانشستر للانضمام الى جيشه فلما سمع ضوضاء الموقعة وكز جواده فسار به عدوا مسافة ١٢ ميلا ٠ فلما وصل الى ما بين رجاله ضم شتاتهم وطيب قلوبهم وسار في مقدمتهم لمباغتة العدو فتم له نصر مجيد لم يصب احد غيره اعظم منه في كل مواقع تلك الحرب ٠ فلعبت ايدي الفناء بجيش ايرلي وانحل عقد نظامه وبذلك انتهت الحركات العسكرية في وادي شنندوه

وقام الجنرال غرانت على حصار ومضايقة بيترسبرغ مدة الخريف والشتاء دون جدوى ٠وفي ٣٠ تموز انفجر منجم تحت احدى القلاع فاغتنم جيشه تلك الفرصة السانحة وهجموا على حصون اعدائهم فدحروا بخسارة كبرى في النفوس ٠ وفي ١٨ آب استولى الاتحاديون على سكة حديد والدن ٠وقد حاول الحلفاء استعادتها فهاجموا خصومهم مرارا وتكبد الفريقان خسارة الوف من الرجال ٠وفي ٢٧ ت١ اشتبك الخصمان في موقعة في بويدتون جنوبي بيترسبرغ وتراجعوا بعد ذلك الى مراكزهم الشتوية

وفي اواخر الشتاء حمي وطيس القتال ثانية فانتصر الجنرال شريدان في ٢٧ شباط على الجنرال ايرلي بموقعة جرت بين جيش الفريقين في ونسبورو ومن ثم انضم الى القائد العام في بيترسبرغ ٠وكان اجل التحالف قد دنى وتحقق الجنرال لي ان لا قبل له على المقاومة مدة طويلة ولذلك كان ينوي الهرب من بيترسبرغ لينضم بجيشه الى الجنرال جونستون ٠ولكنه قبل ان يفعل ذلك عزم على مهاجمة خطوط غرانت للمرة الاخيرة ٠ واختار لقيادة ذلك الهجوم الجنرال جان غوردن القائد المجرب ٠ وكان الجنرال غرانت متوقعا مثل ذلك الهجوم فاخذ لنفسه الحيطة واعد للامر عدته ٠ فما نال

الحلفاء من ذلك الهجوم سوى الفشل · وفي غرة نيسان اشتبك الفريقان في موقعة شديدة حامية الضرام في فيفوركس ارتد فيها الحلفاء بخسارة ستة الاف اسير · اما تفصيل تلك الموقعة فهو ان الجنرال غرانت اوفد القائد شريدان لكي يسد على الجنرال لي طريق الهرب · وفيما هو مسرع ليدرك موءخرة جيش التحالف التقى بفرقة قوية يقودها الجنرال بكت · وفي الغدامر غرانت بهجوم عام على خطوط دفاع بيترسبرغ وكان ذلك الهجوم عظيما وانسكبت قنابل المتحدين على المدينة كصيب الديم · فاستولى اليأس على المتحالفين وايقنوا بان مسيرهم الى البوار والدمار · فاوفد الجنرال لي الى الرئيس دايفس رسولا يحمل اليه رسالة سلمت له وهو في الكنيسة وفيها يشور عليه ان يخلي رتشمند فورا · فانتشر ذلك الخبر بسرعة البرق وساد الرعب على الاهلين · وفي مساء ذلك اليوم فر جيش الجنرال لي وارباب الحكومة من رتشمند وفي الصباح احتلت الجيوش المتحدة رتشمند وبيترسبرغ · وكان الحلفاء قد نسفوا بيت الذخيرة في المدينة واحرقوا افخر بناياتها

ولم تقم للحلفاء بعد ذلك قيامة بل بعد ايام معدودة بادت قوتهم وارغموا على التسليم لخصومهم · فالجنرال لي تقهقر مع من تبقى من جيشه الى الجنوب وسار بكل ما يمكنه من السرعة للانضمام الى جيش الجنرال جونستون · وكذلك فعل الجيش الذي كان في رتشمند فاستجمع الحلفاء قوتهم في ديتنسفل ونازلوا المتحدين في موقعة دموية وحاربوا بمنتهى قوتهم ولكن كان نصيبهم الفشل بخسارة فادحة · ثم سار الحلفاء القهقرى والمتحدون يطاردونهم مدة خمسة ايام متوالية فلم يعد في وسع الاولين الثبات امام خصومهم لان كل عراك دار بين الفريقين كانت نتيجته اندحارهم وفشلهم · فارسل الجنرال غرانت من فارمفل رسالة الى الجنرال لي يطلب اليه التسليم حقنا للدماء التي تهدر جزافا فاجابه لي بانه شديد الرغبة في السلام غير ان الوقت لتسليم جيش شمالي

فرجينيا لم يحن بعد· غير انه لما وافت للجنرال لي اخبار اندحار جيشه في كل المواقع واستيلاء المتحدين على محطة السكة الحديدية واهم المواقع والحصون ارسل الى الجنرال غرانت كتابا يطلب اليه الاجتماع به لوضع شروط التسليم فاجابه غرانت الى ما اراد وفي الساعة الثانية بعد ظهر احد الشعانين الموافق تاسع نيسان سنة ١٨٦٥ اجتمع القائدان العظيمان في صاعة وليم مكلين في بلدة ابوماتكوس كورتهوس من ولاية فرجينيا وهناك دونت شروط التسليم وتم الاتفاق عليها فاخلي سبيل المتحالفين بعد ان اقسم كل منهم بالا يحمل سلاحا في المستقبل ضد الولايات المتحدة · اما الضباط فتركت لهم اسلحتهم وامتعتهم وخيولهم وهكذا وضعت الحرب الاهلية الاميركية اوزارها بعد ان طلت فيها دماء كثيرة وكبدت الاهلين خسائر مالية اثقلت كاهلهم سنين عديدة

فانقطع كل رجاء للمتحالفين باستعادة السلطة والنهوض من ذلك السقوط · فعاد الاتحاديون وبسطوا سلطتهم على الولايات الجنوبية · اما دايفس ورجال حكومته فنجوا الى دانفل وهناك باشروا مهام وظائفهم اياما معدودة ثم انتقلوا الى نورث كارولينا حيث تبدد شملهم · اما الرئيس ونفر من صحبه فواصلوا المسير حتى بلغوا الى جيورجيا ونزلوا بقرب قرية اورنسفل حيث قبض عليهم في عاشر ايار · فالرئيس دايفس حجز عليه في قلعة منرو حتى شهر ايار سنة ١٨٦٧ ومن ثم استاقوه الى رتشمند لمحاكمته بجريمة الخيانة الوطنية · فلما بلغ الى رتشمند خرج من السجن بكفالة مالية ومرت سنة ونصف ولم تجري محاكمته واخيرا اسقطت عنه الدعوى ·

وفي اواخر شهر ايار سار جيش الاتحاد وعدده ٦٥ الفا بثياب بالية واعلام ممزقة وقوى منحطة الى العاصمة حيث اخلي سبيلهم فمضى كل الى بيته



— « الجنرال لي يوقع معاهدة الصلح » —

فوقعت حكومة الولايات المتحدة تحت ديون طائلة من جراء تلك الحرب التي بلغت نفقتها منذ سنة ١٨٦٢ ! ما يزيد عن المليونين دولار يوميا فدبر الكونغرس وسائل لاستهلاك ذلك الدين لا نرى حاجة الى تفصيلها · وكان قد بلغ دين الحكومة عند نهاية الحرب نحو ثلاثة الاف مليون دولار

وفي رابع اذار عام ١٨٦٥ احتفل بتنصيب ابرهيم لنكلن رئيسا على الولايات المتحدة للمرة الثانية وبعد مبارحة الجنرال لي وجيشه مدينة رتشمند بمدة ثلاثة ايام زارها الرئيس لنكلن فتفاوض مع ذوي السلطة فيها ثم عاد الى واشنطون · وفي مساء رابع عشر شهر نيسان ذهب الى ملعب فورد مع امرأته وبعض اصدقائه · وبينما قارب التمثيل الانتهاء انسل احد الممثلين واسمه جان ولكس بوث وهو رجل رديء الصفات على طريقة لم يتمكن احد من ملاحظته وتقدم الى حيث كان الرئيس واطلق عليه عيار مسدسه فاصابه في دماغه فسقط الرئيس الى الامام واحتملوه الى بيته وهو في حالة الاغماء وفي صباح اليوم التالي فاضت روحه · ومصرع الرئيس لنكلن من افظع الجرائم التي يدونها تاريخ اميركا · اما القاتل الاثيم والغادر الزنيم فشهر مسدسه مهددا بالقتل كل من يتصدى للقبض عليه وخرج من الملهى وتوارى في الظلام فلم يهتد اليه · وفي الساعة نفسها انسل سفاح اخر يدعى لويس باين بول الى غرفة كاتم اسرار الرئيس وكان مريضا ملقى على سريره وشرع يضربه حتى افقده رشده وفر هاربا فمادت البلاد عموما والعاصمة خصوصا لذلك الامر الكلي الفظاعة وعلم بان هنالك مؤامرة مدبرة لاغتيال سائر ارباب الحكومة · فبثت العيون والارصاد في كل انحاء المدينة وتفرق رجال الشحنة والجنود في احياء مختلفة واخذت الاحتياطات اللازمة لمنع حدوث مثل تلك البربرية· وفي ٢٦ نيسان وجدوا بوث قاتل لنكلن مختبئا في اسطبل جنوبي فردريكسبرغ فطلبوا اليه ان يسلم فابى فرماه الجاويش كوربت بالرصاص واخذوه من الاسطبل ليتجرع

كاس الحمــام جزاء ما فعلت يداه الاثيمتان · وبعد ذلــك قبضوا على بول ايضــا فحوكم واعدم · وامسكوا ايضا عددا من المشتركين في تلك الموامرة الخبيثة والامراة التي اجتمع الموءتمرون في بيتها واما توهم جميعا وغيرهم حكم عليهم بالسجن الموءبد

وقد فقدت الولايات المتحدة بمصرع ابراهيم لنكلن رجلا قل نظيره بين الرجال ليس في اميركا فقط بل في العالم باسره · فقد حباه الله من المواهب العقلية والصفات الممدوحة والنشاط الغريب والثبات النادر والذكاء الفطري والحنان واللطف والدعة وغير ذلك من السجايا الحميدة ما قد لا يجتمع في شخص واحد · وقد شعرت البلاد كلها بعظيم تلك الخسارة فبكاه الجميع وارتدى الكل اثواب الحداد حزنا على الرئيس النشيط والوطني الغيور والحاكم العادل والنابغة العديم النظير وردد العالم باسره صدى الحزن العميق فتواردت على الامة الاميركية رسائل التعزية من سائر الممالك المتمدنة وقد احتفل بماتم ابراهيم لنكلن احتفالا شائقا ودفن في مدينة سبرنفيلد من ولايــة النيوز بكل تجلة واكرام رحمه الله

الفصل الثامن والخمسون

—(رئاسة جونسون من سنة ١٨٦٥ الى سنة ١٨٦٩)—

بعد مصرع الرئيس لنكلن بيوم واحد جرى تحليف اندرو جونسون القسم المفروض فاضحى رئيسا للولايات المتحدة · ولد في بلدة رالي من ولاية نورث كارولينـــا سنة ١٨٠٨ وكان فقيرا مهملا فلم يتح له الدخول الى المدارس العليا ولهذا فلم يكن نصيبه من العلوم وافرا · وعام ١٨٢٨ نزح الى تناسي وقطن في مدينة كرنفل وهناك شرع يجتهد في اكتساب المعارف حتى اغترف من ينابيعها ما اهله للتقلب في مناصب عديدة الى ان انتخب عضوا في مجلس النواب عن مقاطعته ·وبعد ذلك انتخب عضوا في مجلس الشيوخ · وسنة ١٨٦٠ —٦١ قاوم الانفصال بكل قوته ودام في مركزه نائبا عن تناسي ·وفي رابع اذار سنة ١٨٦٢ تعين حاكما عسكريا على تلك الولاية ·وبقي في ذلك المنصب الى سنة ١٨٦٤ اي زمن ترشيحه لنيابة الرئاسة واخيرا افضت له الرئاسة بعد مقتل الرئيس لنكان

وفي شباط سنة ١٨٦٥ ادخل الكونغرس اصلاحا في الدستور الاساسي وذلك الاصلاح يلغي الاسترقاق بتاتا من كل الولايات المتحدة ومقاطعاتها · وما جاء شهر كانون الاول حتى صادقت المجالس التشريعية في ٢٧ ولاية على الاصلاح واعتبرته

جزءامن الدستور الاساسي

اما مسالة استعادة الولايات الجنوبية الى الاتحاد فقد شغلت دورا مهما بين رجال السياسة من الحزب الجمهوري حتى كد ينشطر بسبب ذلك الى شطرين · وكان الرئيس لنكلن عام ١٨٦٠ قد وضع طريقة لرجوع اية ولاية من الولايات المنفصلة الى الاتحاد وذلك اذا كان عشر سكانها يوءدون القسم بالمحافظة على دستور الولايات المتحدة ونظاماتها ويقيمون لولايتهم حكومة مضارعة لحكومات الولايات الاخرى المتحدة

ففعلت ولايتا لوزيانا واركنساس ذلك غير ان الكونغرس ابى قبولهما في عداد الولايات · وارتأى الرئيس جونسون راي سلفه بانه يجب تسهيل طريق الرجوع للولايات الجنوبية بدون ان يبالغ باذلالها وبذلك عرض نفسه الى الدخول في عراك عنيف مع اعضاء مجلس النواب

واصدر الرئيس منشور العفو العام في ٢٩ ايار فكان شاملا الجميع خلا الذين اشتركوا في المحافظة على ديمومة وثبات التحالف · وفرض على من يريد ان يشمله ذلك العفو ان يقسم يمين الاخلاص لحكومة الولايات المتحدة ·اما ذوو الجرائم الذين لا يشملهم العفو فيمكنهم الحصول عليه بتقديم عريضة للرئيس ·

ذكرنا ان الديون الاهلية كانت عظيمة جدا وظلت آخذة بالازدياد حتى عام ١٨٦٦ وبلغ فائظها السنوي ١٣٣ مليون دولار ذهبا · وبلغت نفقات الحكومة السنوية نيف ومايتي مليون دولار · غير ان الضرائب التي فرضت لاستهلاك تلك الديون اتت بالنتيجة المطلوبة فاخذت الديون تتناقص منذ ذلك التاريخ وعام ١٨٦٥ اجاز مجلس النواب قرارا بان حكومة الولايات المتحدة تتعهد بوفاء الدين الاهلي مع فائدته

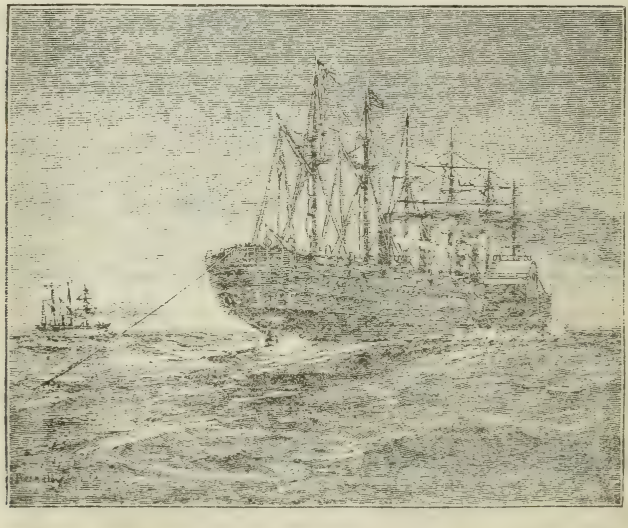
وفي غضون الحرب الاهلية تداخل الامبراطور نابوليون الثالث الافرنسي بشوءون المكسيك وامد اهليها بجيش افرنسي لمساعدتهم على انشاء امبراطورية · وعام ١٨٦٤

لبس الارشديوف مكسمليان النمساوي تاج المكسيك وحمى عرشه جيش لفيف من افرنسيين ونمساويين · غير ان رئيس جمهورية المكسيك واسمه جوريس اضرم نار ثورة ضد مكسمليا · اما حكومة الولايات المتحدة فونبت فرنسا لاجل مخالفتها شريعة منرو فجزع نابوليون وخشي سوء المغبة فامر بسحب جنوده من المكسيك فانزل على الاثر مكسميليان عن العرش ولم تطل مدة ملكه ففر من المكسيك الى كيورنارو وهناك قبضوا عليه واستاقوه سجينا · وفي ١٣ حزيران سنة ١٨٦٧ حوكم امام مجلس عرفي فحكم عليه بالاعدام رميا بالرصاص فقتل بعد صدور الحكم عليه بستة ايام · فحبط مسعى نابوليون الثالث الذي اغتنم فرصة انهماك الولايات المتحدة بالحرب الاهلية لجر مغنم من العالم الجديد وبسط سلطته فيه

وبعد ذلك باسابيع قليلة انقطع السلك البرقي الموصل بين اميركا واوروبا الذي مده المستر فيلد سنة ١٨٥٨ قاطعا الاوقيانوس الاتلانتيكي · فكان الابتياء من ذلك شاملا غير ان فيلد المذكور لم ينقطع رجاؤه من الفوز باعادة ذلك السلك فشرع يستندي اكف ذوي الثروة في العالمين القديم والجديد وعبر الاوقيانوس خمسين مرة لتلك الغاية واخيرا بعد جزيل العناء وشديد النصب حصل على المال اللازم وشرع في مد السلك ثانية فابتدا العمل من شاطئ ايرلاندا عام ١٨٦٥ وبعد ان اجتازت السفينة التي كانت تنقل السلك واسمها « كريت ايسترن » «الشرق العظيم» الفا ومايتي ميل في طريقها الى العالم الجديد افلت السلك وغاص في قعر اليم · بيد ان المستر فيلد لم يخر عزمه او ييأس من النجاح على رغم انفاقه ستة ملايين دولار على غير جدوى وفي تموز سنة ١٨٦٦ نقلت السفينة كريت ايسترن سلكا اخر طوله الفا ميل وسارت به من شاطئ العالم القديم تشق عباب اليم فبلغت الى اميركا بسلام وكلل مشروع فيلد بالنجاح التام هذه المرة بعد ان عانى اشد الاتعاب · وقد كافاه الكونغرس بمداليا

ذهبية تقديرا لاتعابه وخدمته المفيدة كما ان الحكومات المتمدنة مدحته واثنت على نشاطه

وجرى في مدة رئاسة جونسون تخطيط وتحديد المقاطعات الاميركية (ترتورز) بصورة نهائية فالمقاطعات العظيمة الواقعة الى غربي نهر مسسبي قسمت الى مساحات معينة واقيمت لها الحدود رجاء ادخالها في عداد الولايات في المستقبل القريب. والقسم الاكبر من ذلك العمل تم في زمن رئاسة لنكلن وكانت مقاطعة داكوتا ومساحتها ١٥٠ الف ميل مربع قد انفصلت عن نبراسكا وصارت مقاطعة مستقلة . كما انه في شباط سنة ١٨٦٣ انفصلت مقاطعة اريزونا عن نيومكسكو واستقلت ومساحتها ١١٣ الف ميل مربع وفي ثالث اذار من السنة عينها غدت ايداهو مقاطعة مستقلة وهي اقسام من داكوتا



—« كريت ايسترن تضع السلك التلغرفي »—

ونبراسكا وواشنطن ٠وفي ٢٦ ايار سنة ١٨٦٤ انفصلت مونتانا عن القسم الشرقي من أيداهو وصارت مقاطعة مستقلة ومساحتها ١٤٦ الف ميل مربع ٠ وفي غرة اذار سنة ١٨٦٧ انقصت مساحة نبراسكا الى ما هي عليه الان اي الى ٦٧ الف ميل مربع وادخلت في مصاف الولايات المتحدة وهي الولاية السابعة والثلثون واخيرا في ٢٥ تموز سنة ١٨٦٨ صارت ويمن مقاطعة مستقلة ومساحتها ٩٨ الف ميل مربع وهي مؤلفة من قطع من داكوتا وايداهو ويوطا

وعام ١٨٦٧ ابتاعت الولايات المتحدة مقاطعة الاسكا ٠و كان بعض العلماء قبل ذلك بسنتين قد رادوها قصد مد الاسلاك البرقية منها الى اسيــا عن طريق مضيق بيرين وهؤلاء اتوا بالخبر اليقين عن الاسكا وما تحويه من الكنوز الدفينة وانها ليست ارضا جرداء عادمة النفع كما كان الاعتقاد شائعا ٠ فشواطئها من افضل الاماكن لصيد الاسماك وغيرها واحراجها امكتظة باشجار الصنوبر الابيض والارز الاصفر الذي لا مثيل له في العالم ٠ ففاوضت الولايات المتحدة الدولة الروسية بمشترى شبه جزيرة الاسكا منها فتم الاتفاق على ذلك ٠وفي ٣٠ اذار سنة ١٨٦٧ كتب صك المبيع و كان الثمن المتفق عليه سبعة ملايين ومائتي الف دولار دفعتها اميركا لروسيا فزادت مساحة امــلاك الولايات المتحدة بذلك خمسماية وثمانين الف ميل مربع وزاد عدد سكانها ٢٩ الف نسمة

وبعد تربع جونسون في دست الرئاسة باشهر قليلة استحكم الخلاف بينه وبين الكونغرس بسبب ارجاع الولايات الجنوبية الى الاتحاد ونقطة الخلاف هي ما فعلته تلك الولايات نحو الولايات الاخرى ابان الحرب الاهلية وما كبدتها من الخسائر مالا ورجالا ٠ فالرئيس كان يقول ان الانفصال الذي حدث هو ساقط من نفسه لان الحكومة لم تعترف به رسميا وعليه فالولايات الجنوبية لم تخرج عن دائرة الاتحاد ٠ اما معظم

اعضاء الكونغرس فاجابوه انه ولو كان ذلك الانفصال غير رسمي وغير شرعي الا ان الولايات التي قبلته وجاهرت به قد اسقطت نفسها من سلك الاتحاد وانه يجب اجراء معاملات خصوصية قبل ارجاع تلك الولايات الى الاتحاد كما كانت سابقا هذه خلاصة مسببات النزاع والمشاحنات بين الكونغرس والرئيس

اما الرئيس فبدا عام ١٨٦٥ في اعادة ولايات الجنوب الى الاتحاد وفقا لرايه الشخصي ٠وفي ٢٩ ايار وهو نفس اليوم الذي فيه اصدر منشور العفو كما تقدم اصدر منشورا اخر وانشأ حكومة موقتة في نورث كارولينا وفعل مثل ذلك في بقية الولايات المنفصلة التي لم تكن عادت الى الاتحاد في زمان لنكان على طريقة «عشرة بالمئة » كما مر ذكره ٠ ولم يقف الرئيس عن ذلك الحد بل شرع يجري كل شيء بذاته اذ لم يكن الكونغرس ملتئما آنئذ كأنه حاكم مطلق وكأن مجلس الامة لا وجود له ٠ وفي ١٤ تموز امتنعت المصادرات التجارية عن الولايات المنفصلة وكان ذلك من نتائج منشور الرئيس الذي عاد في ٧ ايلول فاصدر منشور عفو اخر به عفى بلا شرط حتى عن المحافظين على التحالف ماخلا الزعماء ٠وفي خلال ذلك اعيدت صيرورة تناسي ولاية وسنة ١٨٦٦ اعيدت الى مكانها في سلك الاتحاد فلما التأم الكونغرس في كانون الاول سنة ١٨٦٦ شجب بتاتا سياسة الرئيس وندد باعماله تنديدا عنيفا ٠واتسع نطاق الخلاف بين الفريقين حتى ان الكونغرس حسب عمل الرئيس لغوا واخذ هو على عاتقه امر كيفية ارجاع الولايات الجنوبية الى الاتحاد ٠وبعد مشاحنات عنيفة وعراك سياسي شديد بين الرئيس والكونغرس مدة سنتين أعيدت الولايات المنفصلة الى الاتحاد على ما رسم الكونغرس وليس على ما شاء الرئيس وارغمت الولايات المذكورة على المصادقة على الاضافة الثالثة عشر على الدستور الاساسي القاضية على الاسترقاق في الولايات المتحدة والرابعة عشر وهي الرافعة الزنوج الى مقام غيرهم من رعايا الولايات المتحدة ٠ وان

الحكومة لا تفي ديون الولايات الجنوبية التي عليها بسبب الحرب الاهلية وماخمدت نار المناقشات والمنازعات بين الرئيس والكونغرس حتى وقع النفور بينه وبين الوزراء وادى ذلك النزاع الى رفع شكوى رسمية على الرئيس وبيان ذلك هوانه في شباط سنة ١٨٠٨ ارسل الرئيس ينبيء ادون ستانتون وزير الحربية بخلعه من منصبه ٠ فعد الكونغرس ذلك تطاولا من الرئيس واستبدادا ومخالفة للشريعة المرعية في مثل تلك الاحوال وكانت الاختلافات السابقة قد فصمت عرى الاتصال بين الكونغرس والرئيس واستحكم بينهما البغض المتبادل وعليه ففي ثالث اذار نظم مجلس النواب بالاتفاق صورة شكوى رسمية على الرئيس مدعين انه خالف منطوق الشريعة الاساسية وقدموها لمجلس الشيوخ للمحاكمة ٠ وقد ابتدات محاكمته امام ذلك المجلس في ٢٣ اذار وطالت حتى ٢٦ ايار واسفرت عن تبرئة الرئيس الذي كاد ان يحكم عليه ٠ فلكي يحكم على الرئيس يقتضي ان ثلثي الاعضاء يرضون بذلك ٠ فما كان ينعص الحكم على الرئيس جونسون سوى صوت واحد اي ان ثلثي الاعضاء كانوا ضده سوى واحد وقد كان لتلك المحاكمة دوي عظيم في سائر انحاء البلاد واتجهت ابصار الامة جمعاء الى واشنطن العاصمة يتوقعون بفروغ صبر نتيجة تلك المحاكمة التي هي الاولى من نوعها حتى ان اوروبا كلها اهتمت للامر وتاقت بكليتها الى الوقوف على النتيجة ٠ ودام الرئيس مقيما في البيت الابيض ولكن لم يكن له من المقام والاعتبار ما يليق برئيس وكان حكم عليه واسقط من منصبه السامي لولا ان احد عشر عضوا من مجلس الشيوخ ومن حزب الريبلكان صوتوا ضد بقية الاعضاء من ذلك الحزب وناصروا الرئيس ٠ ولو سقط الرئيس من منصبه كان تولى الرئاسة عوضه بنيامين ويد من اوهايو وهو رئيس مجلس الشيوخ ٠ اما القاضي الذي تولى النظر في دعوى نواب الشعب على رئيس الولايات المحدة فهو سالمون تشارلس اشهر سياسي وقضاة اميركا

وبعد ذلك حان وقت الانتخاب للرئاسة فرشح حزب الريبلكان الجنرال يوسلي غرانت ورشح حزب الديموقراط المستر سيمور من نيويورك · وبعد عراك سياسي عنيف بين الحزبين فاز بالرئاسة مرشح حزب الريبلكان وانتخب لنيابة الرئاسة المستر سكيلر كلفاكس من انديانا



ـ« الرئيس يوسلي غرانت »ـ

الفصل التاسع والخمسون

—(رئاسة غرانت من سنة ١٨٦٩ الى سنة ١٨٧٧)—

ولد يوسلي غرانت الرئيس الثامن عشر على الولايات المتحدة في بلدة بوينت بلزنت من ولاية اوهايو في ٢٧ نيسان ١٨٢٢ · ولما بلغ الربيع السابع عشر من عمره دخل مدرسة الولايات المتحدة الحربية في وست بوينت وانهى دروسه فيها عام ١٨٤٣ ومن ثم دخل الجندية وتقلب في مناصب متعددة فيها ونال شهرة في حرب المكسيك غير ان شهرته العظيمة احرزها عند افتتاحه قلعتي هنري ودنلس سنة ١٨٦٢ ومازال يزداد شهرة ويرتقي من منصب الى اخر الى ان تولى قيادة الجيش العامة ١٨٦٤ وقدسبق تفصيل اعماله الخطيرة في مامر

واول الامور المهمة التي جرت في عهد الرئيس غرانت انهاء سكة باسفيك الحديدية فذلك المشروع بوشر به منذ عام ١٨٥٣ وتقضت عشر سنوات قبل ان يسير العمل فيه على طريقة منظمة· فالقسم الاول يمتد من اوماها نبراسكا الى اوغدن يوطا والمسافة بين المكانين ١٠٣٢ ميلا ·والفرع الغربي منها ويدعي «سنترال باسفيك» يمتد من اوغدن الى سان فرنسيسكو في كاليفورنيا والمسافة بينهما ٨٨٢ ميلا · وقد انتهوا من العمل بتلك الطريق العظيمة في عاشر ايار سنة ١٨٦٩ واحتفل بتدشينها احتفالا شائقا

وقبل الاحتفال بتنصيب الرئيس غرانت ادخلت اصلاحات على دستور الولايات المتحدة وستراها في القسم السادس من هذا الكتاب

وقد تم ارجاع الولايات الجنوبية الى الاتحاد الاميركي في غضون الثلاثة اشهر

الاولى من سنة ١٨٧٠ · وفي ٢٤ ك ٢ من تلك السنة عاد نواب فرجينيا الى مراكزهم في الكونغرس · وفي ٢٣ شباط عاد نواب مسسبي · وفي ٣٠ اذار عاد نواب تكساس ايضا وتكساس اخر ولاية عادت الى الاتحاد واخيرا عاد نواب كل الـولايات الى الكونغرس وارتفعت ضوضاوهم مع نواب سائر الولايات الاخرى على ما كانت عليه قبل الحرب المشومة

وفي تلك السنة تم الاحصاء التاسع لشعب الولايات المتحدة وهو عمل على جانب من الاهمية ولقد طرب الجميع لنمو الشعب على رغم الخسائر الفادحة التي تكبدها في الحرب الاهلية · وقد زاد عدد السكان من ٣١ مليونا و٤٤٣ الف نسمة الى ٣٨ مليونا و٥٧٨ الف نسمة · والدين الاهلي كان اخذا بالتناقص مع انه باهظ جدا · وازدادت حاصلات البلاد زيادة كبرى حتى ان القطن في الولايات الجنوبية عاد الى نفس الاهمية التي كانت له قبل الحرب بل زادت سوقه رواجا · وصارت المصنوعات الاميركية تزاحم المصنوعات الانكليزية في اسواق العالم باسره وكان عدد الولايات آنئذ ٣٧ ولاية واحدى عشر مقاطعة بما فيه مقاطعة الهنود والاسكا ومساحتها مجموعة ثلاثة ملايين وستماية واربعة اميال

وفي كانون الثاني عام ١٨٧١ عين الرئيس غرانت المستر ويد احد نواب ولاية اوهايو في مجلس الشيوخ والاستاذ هويت من نيويورك والدكتور صموئيل هوي من مساتشوستس لجنة لكي تذهب الى جزيرة سانتو دومينكو لدرس احوالها ومعـرفة حاصلاتها ونحو ذلك حتى اذا توسموا فيها النفع والربح يصير ضمها الى الولايات المتحدة وكانت تلك رغبة حكومة اميركا منذ عدة سنين خوالي والرئيس نفسه كان كلي الرغبة في ذلك · فصرف رجال اللجنة المذكورون ثلاثة اشهر في تلك المهمة وعادوا بالاخبار المرضية عن تلك الجزيرة فطرحت مسألة ضمها على بساط البحث امام

مجلس النواب فقاومها مقاومة عنيفة فسقطت

اما مسألة مطالبة حكومة الولايات المتحدة حكومة بريطانيا بالاضرار التي اصابتها خلال الحرب الاهلية من السفن التي صنعتها للحلفاء فلم تكن قد انتهت بعد · فتلك البوارج كما تقدم القول بنيت في مواني انكليزية وبمعرفة حكومتها وذلك مخالف لحقوق الدول حتى ولو كانت حكومة الحلفاء معترف بها · وطالما فاوض السفير الاميركي وزارة انكلترا بتلك المسألة ولكن على غير جدوى · غير انه لما وضعت الحرب اوزارها ادركت انكلترا حرج موقفها وشعرت بالضرر الذي الحقته بالولايات المتحدة فرغبت في تسوية الامر بالحسنى · فاجتمع لتلك الغاية في ٢٧ شباط سنة ١٨٧١ في واشنطن العاصمة خمسة مفوضين عن كل من الدولتين · وبعد مناقشات طويلة اتصلوا الى حل مرضي لتلك المعضلة وابرموا محالفة تعرف بمحالفة واشنطن مؤداها أن كل المنازعات التي تحدث بين الدولتين ينظر فيها مجلس تحكيمي يؤلف من قضاة من الدول الاخرى وتفض المشاكل بالتسوية · وعلى هذا التأم مجلس تحكيمي في جنيفا من اعمال سويسرا سنة ١٨٧٢ امعان النظر في دعوى الولايات المتحدة على انكلترا حكم للاولى على الثانية فدفعت لخزينة الولايات المتحدة خمسة عشر مليوناً وخمساية الف دولار

وحدث عام ١٨٧١ حريق هائل في مدينة شيكاغو · ففي مساء ثامن تشرين الاول ظهرت النار اولا في شارع دي كوفن وكانت الريح تهب بشدة فاندلعت السن اللهيب واتصلت بمستودعات الاخشاب والبيوت الخشبية ومن ثم امتدت النار الى اماكن مختلفة من المدينة فحولتها الى رماد · وبلغت مساحة الاماكن التي التهمتها النيران الفين ومائتي فدان وخسارة النفوس كانت مائتي نسمة · اما الخسارة المادية فقدرت بماينيف عن المائتي مليون دولار · ولم يحدث حريق يضارع ذلك الحريق منذ احتراق موسكو سنة



—« منظر من حريق شيكاغو »—

١٨١ • ويحسب حريق شيكاغو بالنسبة الى الحرائق التي حدثت في العالم الاول
، جهة الخسائر المادية والثاني من حيث الاضرار بالنفوس والثالث من حيث العظمة
وقاربت مدة رئاسة غرانت الانتهاء فقامت الاحزاب السياسية تستعد لخوض غمار
ر كة الانتخابية وانبثت الانصار والاعوان للاحزاب المختلفة في انحاء البلاد و كل
يد مزاعم حزبه ويفضل سياسته على سواها من الاحزاب • فرشح حزب الربيلكان
ئيس غرانت مرة ثانية اما نائب الرئيس فابوا ترشيحه فرشحوا مكانه هنري ولسن
، مساتشوستس •على ان حزب الربيلكان لم يكن كله راضيا عن سياسة غرانت
موا لحرمانه من الفوز في الانتخاب المقبل ودعوا انفسهم حزب الربيلكان الحر•

ورشحوا للرئاسة هوريس غريلي منشىء جريدة التريبون في نيويورك وغراتزبرون من مزوري للنيابة · اما حزب الديموقراط فلم يرشحوا احدا من حزبهم بل عضدوا مرشح الربلكان الاحرار · وقد قبل غريلي الترشيح على رغمه مع انه كان دائما مناهضا للحزب الديموقراطي ·وقد كانت له شهرة بعيدة في عالم الادب ومقالاته الرنانة في كل المواضيع الاجتماعية والسياسية كان يقراها الالوف باعجاب ولم يدخل معترك السياسة الا في هذه المرة وكان عمره وقتئذ ٦١ سنة ومن ثم اشتعلت نار المعركة السياسية وتطاحنت رجال الاحزاب في ذلك المعترك السياسي فاسفرت النتيجة عن انتخاب غرانت واندحار غريلي الذي مات بعد الانتخاب بشهر واحد فاوجد في عالم الصحافة فراغا عظيما شعر به الجميع

وبعد ايام قليلة شبت النار في مدينة بوسطن فاوقعت بها اضرارا جسيمة · وبلغت مساحة الاماكن المحترقة ٦٥ فدانا وعدد البنايات التي التهمتها النيران ثمانماية وقدرت الخسائر بثمانين مليون دولار واما خسارة النفوس فلم تتجاوز الخمسة عشر نسمة

وصدرت اوامر الحكومة سنة ١٨٧٢ الى الناظر اودنيل بان يجلو عشيرة مودوك الهندية عن ارضهم على شواطيء بحيرتي كلامات واورغن الى مكان اخر فابي الهنود ذلك · وكان الحكام السابقون يسيئون معاملتهم فاوفدت الحكومة كتيبة من الجند لارغامهم على الجلاء فقاومهم الهنود ودامت المناقشات بين الفريقين كل الشتاء ومن ثم نزحوا الى مكان حصين عسر المسالك وبركاني يدعى لافا بدس واعتصموا فيه فاحتاطت بهم الجنود في ذلك المكان سنة ١٨٧٣ غير انها لم تستطع اخضاعهم · وفي ١١ نيسان من تلك السنة عقد موءتمر صلح حضره ستة نواب عن الحكومة وبينما هم جالسون مع زعماء الهنود قبض هولا على الجنرال كانبي والدكتور طوماس وقتلوهما · ورموا المستر متشام احد مفوضي السلم بالرصاص بعد ان اثخنوه جراحا بحرابهم غير انه فاز

بالنجاة · عندئذ ضرب الجنود نطاق حصار حول محلة الهنود وشرعوا يرمونهم بالرصاص ودام ذلك الحصار الى غرة حزيران ومن ثم ارغم رئيسهم جاكسن واعوانه على التسليم فقبضوا على زعماء الهنود وحاكموهم امام المحكمة العرفية فاعدموا في تشرين الاول

وحدث في ولاية لوزيانا حادث كاد يعيد الاضطراب الى البلاد اذ انتخب لها حاكمان بوقت واحد وانقسم الشعب بسبب ذلك الى قسمين وقام النزاع بين الفريقين حتى التزمت الحكومة ان ترسل فرقة من الجند الى نيواورلينس لقمع الشغب واقرار الحاكم الشرعي في منصبه · وكذلك حدث عسر مالي في البلادلم يرو تاريخ الولايات المتحدة خبر مثله فافلس مصرف جاي كك وشركاهم في فيلادلفيا وتبعه على الاثر افلاسات غيرها في معظم المدن · فنجم عن ذلك ضيق مالي شديد · غير ان رجال الحزم تداركوا الامر وانقذوا البلاد من وهدة التهور والدمار

وعام ١٨٧٦ عزم الاميركيون على الاحتفال بمرور مائة سنة على استقلال اميركا فاقاموا في فيلادلفيا معرضا عموميا عرضت فيه مصنوعات البلاد وحاصلاتها على اختلاف انواعها وتعدد اجناسها والادوات الزراعية والميكانيكية ونحوها · ولا نرى حاجة للاسهاب في ذكر بنايات المعرض الفخمة والتحف والنفائس التي عرضت فيها لان معرفة العموم بالمعارض تغنينا عن ذلك · وقد فتح المعرض ابوابه من عاشر شهر ايار سنة ١٨٧٦ الى عاشر تشرين الثاني من السنة نفسها فخصص الكونغرس مليونا وخمسماية الف دولار لتلك الغاية فضلا عما تبرعت به كل ولاية ومقاطعة من المبالغ المختلفة فانشئ المعرض في حديقة (بارك) فيرمونت الشهيرة في فيلادلفيا وهي اكبر واجمل حديقة في العالم وشيدت هناك خمس بنايات كبرى انتهى العمل فيها في اواخر سنة ١٨٧٥ · واكبر تلك البنايات البناية المعروفة بالرئيسية طولها الف وثمانين قدما وعرضها اربعماية واربعة

وستون قدما وقد شغلت مساحة عشرين فدانا (ايكر) وبلغت اكلاف بنائها مليونا وخمسة وثمانين الف دولار · والبناية الثانية في الاهمية هي المدعوة ماموريال هول «صاعة التذكار» و ارت غلري «رواق الصناعة» بنيت من الحجر السماقي والحديد والبلور وشغلت مساحة ٧٦ الف و٦٥٠ قدما مربعا وقس عليهما سائر البنايات · وشيدت هناك بنايات اخرى كبناية حكومة الولايات المتحدة وغيرها و كلها آية في الرونق والجمال وبلغت اكلاف بنائها الوف الالوف من الدولارات هذا عدا البنايات المتعددة للحكومات الاجنبية والبنايات الخصوصية مما يضيق المقام دون تفصيله · وجرى في عشر ايار من تلك السنة الاحتفال بتنصيب الرئيس غرانت فكانت حفلة نادرة المثال · اما المعرض نفسه فكان في فخامة بناياته وجمال معروضاته افضل معرض اقيم في العالم حتى ذلك التاريخ وكان · · عدد الداخلين اليه يوميا يتراوح بين الخمساية الف الى المايتين وخمسة وسبعين الف نسمة ·وقد بلغ مجموع الذين زاروا المعرض تسعة ملايين وسبعة الاف وستة وثمانين ألف نسمة · ومجموع رسم الدخول بلغ ثلاثة ملايين وسبعين الفا وواحد وستين الف دولار · وفي عاشر تشرين الثاني اوصد ابواب المعرض الرئيس غرانت نفسه

وفي الشطر الاخير من رئاسة غرانت اضطربت البلاد بحرب مع عشائر سيو الهندية فهؤلاء المتوحشون عقدوا معاهدة مع الولايات المتحدة سنة ١٨٦١ وتخلوا لها عن البقعة الواقعة جنوبي نهر نيوبرارا فاعاضتهم عنها بشقة كبيرة في جنوبي داكوتا ووعدوا بانهم يرحلون عن تلك البقعة في غرة كانون الثاني سنة ١٨٧٦ ·وفي غضون تلك المدة اكتشفت مناجم الذهب في ضواحي بلاك هلز والقسم الاكبر من تلك الناحية داخل بموجب تلك المعاهدة في منطقة الهنود ولكن اية معاهدة تصد محبي الذهب عن تلك البقعة التي توارد اليها طلابو الاصفر الرنان من كل فج سحيق · فاغتنم الهنود تلك الفرصة السانحة وعبروا الحدود المعينة لهم وجالوا افواجا في ضواحي ويمن

ومونتانا يسلبون ماتصل اليه ايديهم ويحرقون البيوت ويسرقون الخيول والمواشي ويفتكون بمن يتصدى لممانعتهم . فالتزمت الحكومة ان ترغمهم على العودة الى مقاطعتهم فسيرت جيشا بقيادة الجنرالين تاري وكرك وكان متوليا قيادة الهنود زعيمهم ستن بول وعددهم يربو عن الاربعة الا ف وقد تحصنوا في جبال وعابر نهر بفهورن واشتبك الفريقان بمواقع متعددة دارت فيها الدائرة اخيرا على الهنود فخرمئات منهم قتلى كما ان الاميركيين ايضا خسروا مئات من رجالهم وانتهى الامر بحصر الهنود في مقاطعتهم المعروفة

وخلال سنة ١٨٧٦ دخلت مقاطعة كولارا دو في عداد الولايات المتحدة وهي الولاية الثامنة والثلثون وقد كانت حتى سنة ١٨٥٩ قسما من كنساس ثم انفصلت عنها وصارت مقاطعة مستقلة ثم تحولت الى ولاية وتعرف بالولاية المئوية لانها دخلت في عداد الولايات في نفس السنة التي احتفل فيها الاميركيون بتذكار مئة سنة مرت على استقلال بلادهم . وتقدر قيمة الذهب الذي وجد فيها الى نهاية سنة ١٨٧٥ بسبعين مليون دولار (فقط)

وكان قد قارب وقت الترشيح لمنصب الرئاسة فرشح حزب الريبلكان الجنرال هايس من اوهايو للرئاسة والمستر هويلر من نيويورك للنيابة . بينما حزب الديموقراط رشح صموئيل تلدن من نيويورك للرئاسة وطوماس هندركس من انديانا للنيابة . وطاف زعماء الاحزاب في البلاد حسب العادة لالقاء الخطب والمحاضرات بتاييد احزابهم ودارت المعركة السياسية المعهودة فاسفر الانتخاب عن تساوي الاصوات لمرشحي الحزبين فقامت بسبب ذلك المشاحنات والمجادلات فادعى الريبلكان انهم رابحون صوتا واحدا عن مناظريهم وجرت هنالك امور كثيرة يطول شرحها واخيرا تم الاتفاق على اختيار محكمين من اعضاء الكونغرس وكان عدد الريبلكان منهم ثمانية والديموقراط

سبعة وبعد جدال عنيف ومشاحنات طويلة ربح الريبلكان صوتا واحدا اي ان مجموع الاصوات التي نالها مرشحا الريبلكان كانت ١٨٥ ضد ١٨٤ للديموقراط. وخمدت جذوة المشاحنات في ثاني شهر اذار اي قبل يوم التنصيب بيومين فقط وهكذا فاز مرشحا الريبلكان بالانتخاب ومر اعظم عراك سياسي شاهدته الولايات المتحدة بسلام · وكان العقلاء يخشون ان احتدام الجدال بين الحزبين والمناقشات العنيفة تفضي الى حرب اهلية تهدر فيها الدما جزافا وقد سروا لانفراج الازمة وحل المعضلة وانقشاع غيوم الشحناء التي تلبدت في جو سياسة البلاد عدة اشهر

الفصل الستون

—(رئاسة هايس من سنة ١٨٧٧ الى سنة ١٨٨١)—

ولد رثفور هايس رئيس الولايات المتحدة التاسع عشر في مدينة دلاوير من ولاية اوهايو في رابع تشرين اول سنة ١٨٢٢ · وكان اسلافه من الذين خاضوا غمار معارك الحرب الاهلية · وبعد ان اتم دروسه في المدارس العمومية انقطع لدرس اليونانية واللاتينية في اكاديمية نوروالك وبعد ذلك دخل كلية كنيسون وانهى دروسه فيها عام ١٨٤٢ نائلا شهادة الامتياز عن اترابه كلهم · وبعد ثلاث سنوات انهى دروسه القانونية

في جامعة هارتفرد وبعد ذلك زاول وكالات الدعاوى في مدن مختلفة الى ان انتخب لوظيفة مدعي عمومي في مدينة سنسناتي وهناك طارت شهرته وبعد صيته · وقد ارتقى في الحرب الاهلية الى رتبة ماجور جنرال وجاهد في سبيل تأييد سلطة الاتحاديين · وعام ١٨٦٤ وهو بعد في ميدان القتال انتخب عضوا في الكونغرس · وبعد ثلاث سنوات انتخب حاكم الولاية اوهايو واعيد انتخابه مرتين لتلك الوظيفة ومن ثم فاز بمنصب رئاسة الجمهورية الخطير

وفي خطابه في حفلة التنصيب التي تمت في خامس اذار لان الرابع منه كان يوم احد صرح بالسياسة التي سيتمشى عليها ووعد بان الولايات الجنوبية ستتمتع بحقوقها اسوة بسائر الولايات وانه سيهتم بوفاء الدين الاهلي لان بذلك فلاح الحكومة والبلاد وانه سيجعل بساط السلام منبسطا في ربوع الولايات المتحدة الى غير ذلك من الوعود الآيلة للخير العام وسعادة ورفاه الشعب الاميركي · وفي ثامن الشهر المذكور عين الوزراء وذوي المناصب بحسب العادة المرعية فصادق مجلس الشيوخ فورا على ذلك التعيين

وصيف عام ١٨٧٧ اضرب عمال السكك الحديدية عن العمل وقد كانت الشحناء بين العمال ومدراء الشركات ضاربة اطنابها منذ زمن · وفي ربيع تلك السنة انقصت الشركات اجور العمال عشرة بالمئة فقابل العمال ذلك بالرفض وشرعوا بمقاومة الشركات والحؤول دون نيلها بغيتها · وفي ١٦ تموز اضرب عمال سكة بلطيمور اندواوهايو عن العمل وتألبوا في مدينة بلطيمور ومارتنسبرغ من اعمال وست فرجينيا ليمنعوا سير القطر ويقفوا في وجه من يتقدم للعمل فيها · فامر حاكم وست فرجينيا العسكر لكي يبادروا ويشتتوا شمل المتعصبين في مار تنسبرغ غير ان المضربين صدوا الجنود وثبتوا في موقفهم · عندئذ امر الرئيس الجنرال فرنش ان يسير حالا بجيش

نظامي الى محل الاضراب فاخمد هيجان العملة وفرق شمل المتعصبين فسارت القطر على جاري عادتها • وقد حدثت في بلطيمور في ٢٠ آب ضوضاء عاليـــة وسجس عظيم غير ان الجنود فرقوا شمل العملة الذين خر تسعة منهم صرعى وعدد جرحـوا

وفي خلال ذلك امتد الاضراب الى سائر الانحاء • فلم ينقض اسبوع حتى توقفت قطورات اهم السكك بين نهري الهدسن والمسسبي فتوقفت الناس عن السفر وعدمت وسائل النقل فوقف دولاب الاشغال وتوقفت الحركة التجارية • وبلغ عدد المضربين في مدينة بتسبرغ وحدها عشرين الفاً تولوا قيادة المدينة مدة يومين واحدثوا من القلاقل والمشاغب ما لم يدون تاريخ البلاد نظيره •وقد لعبت السن اللهيب في محطة السكة العمومية وفي بيوت الادوات وسائر البنايات المختصة بشركة السكة الحديدية • واتلف في ذلك الهياج شحن ٢٥٠٠ قطار نقل مشحونة باشياء ثمينـــة • واخيرا بادرت جنود بنسلفانيا واوقفت ثوران العمال ولكن بعد ان سقط نيف ومائة شخص قتلى وقدرت الخسارة المادية بما ينوف عن الثلاثه ملايين دولار ؛ وحدث مثل ذلك في مدينة شيكاغو غير ان الخسارة كانت اقل منها في بتسبرغ • وفي مدينة سانت لويس ايضا دام الشغب بضع ساعات اما في ســان فرنسيسكو فحلت نقمة المضربين على العمـــال الصينيين المهاجرين حديثا الى اميركا وبمديري شركة الاخشاب • وتظاهر العمال ايضا في مدينة سنسناتي وكولمبس ولوزفل وانديانا بوليس وفورتوين ولكنهم لم يحدثوا اضرارا تذكر • غير انه في اخر الشهر سوي الخلاف فعاد العمال الى اشغالهم فدار دولاب الاشغال كما كان قبلا غير ان ذلك الحادث الفجائي نبه الخاطر العام واماط النقاب عن مستورات كثيرة في ادارات مختلفة في البلاد

وفي تلك الاونة نشبت الحرب مع قبائل نزبرسي الهنديـــة القاطنة في ايداهو • هذه القبائل كانت معروفة من الحكومة منذ عام ١٨٠٦ حينما ابرمت معاهدتها الاولى

معها بواسطة المكتشفين بويس وكلارك · وبعد ذلك انشئت رسالات تبشيرية بينهم ودامت العلاقات الودية متصلة بين شعوب تلك القبائل والحكومة الاميركية لبعد حرب المكسيك وسنة ١٨٥٤ ابتاعت الحكومة قسما من املاكهم واقعا في الشمال الغربي من ايداهو والشمال الشرقي من اورغان · غير ان بعض زعمائهم ابوا المصادقة على ذلك المبيع وذلك كان بدء الاضطراب وابتدا الهنود الحرب بحسب جاري عادتهم اي بالتخريب والسلب والنهب فزحف عليهم الجنرال هورد بفرقة صغيرة من الجند النظامي غير ان الهنود بقيادة زعيمهم جوزف كانوا يفرون من مكان الى اخر فلم ينازلوا الجنود بموقعة رسمية وبقي هورد يطاردهم كل فصل الصيف فلم يستطع ان يدركهم او ينازلهم وفي الخريف وصلوا الى شمال مونتانا وهناك صدتهم فرقة اخرى بقيادة الكولونيل ميلز ففرقت شملهم وسقط منهم كثيرون قتلى واستيق اخرون اسرى وقليلون فازوا بالنجاة فتبددت قبائل نزبرسي ولعبت بها ايدي التفريق والشتات

وخلال سنة ١٨٧٧ استاء الراي العام بسبب العدول الى الفضة في المعاملات وبيان ذلك · ان المقياس للنقود الاولى التي صكت في الولايات المتحدة كان الدولار الاميركي المصنوع من الفضة ووزنه ٣٧١ قمحة وربع من الفضة الخالصة ودام الحال كذلك الى عام ١٨٧٣ على رغم مزج مواد اخرى مع الفضة التي صكت الدولارات منها ثم انه في سنة ١٨٤٩ اضيف الى المصكوكات الاميركية دولار مصنوع من الذهب فاضحى من ذلك التاريخ المقياس الدولار الفضي والدولار الذهبي · وفي خلال سنتي ١٨٧٣ ـ ٧٤ اجاز الكونغرس شريعة اسقط فيها الدولار الفضي من لائحة المصكوكات الاميركية وابطل صكه فاضحى بذلك الدولار الذهبي ووزنه ٢٢ ،٢٣ من القمحة المقياس الوحيد لنقود الولايات المتحدة

وفي كانون الثاني سنة ١٨٧٥ اجاز الكونغرس قرارا خلاصته ان الحكومة ابتداء

من كانون الثاني عام ١٨٧٩ ستشرع بوفاء ما عليها من الديون «نقودا مصكوكة» وكلما كان يزداد وقت الرجوع للفضة اقترابا كان الناس يتساءلون عن المراد بكلمة «مصكوكات» وهاج الرأي العام على هذا الامر وهو ان دفع الديون بنقود فضية كان قد منع وان كل المعاملات يجب ان تكون بموجب القياس الذهبي وقامت لذلك ضجة عظيمة في البلاد دوى صداها في اذان نواب الامة . وفي اوائل سنة ١٨٧٨ صدر القرار بالعدول الى الدولار الفضي وبصك كمية منه لا تقل عن المليوني دولار في الشهر ولما دفع ذلك القرار الى الرئيس ابى ان يوقعه غير ان الاكثرية في المجلسين كانت موءيدة له فاضحى مرعي الاجراء وعاد المقياس —ذهب وفضة— كما كان قبلا

واجتاحت ولايات الخليج صيف سنة ١٨٧٨ الحمى الصفراء الوافدة ففتكت فتكا لم يرو خبر نظير له في تاريخ البلاد فظهرت اولا في نيواورلينس وامتدت الى مدن نهر المسسبي واكثر مدن الجنوب فعدت ضحاياها بالالوف وقد اظهر سكان الولايات الشمالية غيرة تذكر في مساعدة اخوانهم المنكوبين في الجنوب

ثم انه بموجب معاهدة واشنطن المبرمة بين بريطانيا والولايات المتحدة يجب على الاولى ان تعترف بحقوق الثانية في الصيد في مياه انكليزية معلومة وان الصيادين الاميركيين يسوغ لهم الصيد في اي خليج او جون في كباك ونوفا سكوشيا ونيوبرنزيك وجزيرة برنس ادورد والجزر المجاورة لها بلا ممانع او معارض ومقابل ذلك تتخلى الولايات المتحدة عن الرسوم التي تتقاضاها على الاسماك التي توردها الى بلادها رعايا انكليز . وكانت هنالك امتيازات متبادلة عديدة تم الاتفاق عليها بين الحكومتين ولكي تثبت تلك الاتفاقيات على اسس متينة ارتأوا بان حكومة اميركا تدفع لخزينة بريطانيا مبلغا معينا من المال لقاء امتيازات منحتها اياها ولم تنل منها ما يقابلها وفي صيف سنة ١٨٧٧ برزت تلك الاتفاقيات الى حيز العمل فلم تهتم لها الامة كثيرا لحسبانها

الربح متبادلا بين الحكومتين غير انه في تشرين الثاني حدثت ضجة عظيمة في البلاد لما عرف بانه قد حكم على حكومتهم بدفع خمسة ملايين دولار لانكلترا وقد تلقت حكومة اميركا وسائر حكومات اوروبا ذلك الحكم بفرط الدهشة والانذهال وقد دفعت اميركا ذلك المبلغ سواء كان الحكم عدلا ام ظلما حسما للخلاف الذي قد يوءدي الى حرب هي في غنى عنها في ذلك الحين

وارسلت حكومة الصين سفيرا لها الى واشنطن العاصمة عام ١٨٧٨ و كان قدمضى حتى ذلك الحين على المعاهدة التي ابرمت بين حكومة ابن السماء وحكومة العم سام عشرون سنة و كانت العلاقات التجارية بين البلادين وثيقة العرى وقد اوحت الصين الى سفيرها ان يسعى جهده بزيادة العلاقات الودية مع اميركا وتمكينها · وفي ٢٨ ايلول من السنة المذكورة قابل السفير الجديد رئيس الولايات المتحدة وفاه بحضرته بخطاب لم يفه باحسن منه اقدر ممثلي دول اوروبا · وفي ١٨ حزيران من تلك السنة انشئت بامر الكونغرس دائرة «انتشال الغرقى» وذلك باقامة محطات ومنارات على شطوط الاوقيانوس والبحيرات العظمى ويجعل فيها اناس ذوو خبرة بفن الملاحة وادراك اماكن واوقات الخطر لكي يبادروا لنجدة الميمومين وتفريج كربتهم · وتكون في حوزتهم قوارب من افضل واتقن طراز لكي يسيروا فيها على عجل في اتمام وظيفتهم فجاء ذلك العمل عند استحسان سائر العالم المتمدن فضلا عن شعب البلاد ·وقد بلغ معدل الذين نجوا من الموت غرقا بواسطة ادارة انتشال الغرقى الف نسمة كل سنة

وعام ١٨٨٠ جرى احصاء نفوس سكان الولايات المتحدة باكثر تدقيق عما قبل فبلغ عددهم ٥٠ مليونا و١٥٥ الفا و ٧٨٣ نفسا بزيادة اكثر من مليون نفس سنويا منذ الاحصاء الاخير · و كانت ولاية نيويورك اكثر جميع الولايات سكانا واقلها سكانا ولاية نفادا التي لم يتجاوز عدد سكانها ٦٢٢٦ نفسا و كان تيار المهاجرة جارفا فكان معدل

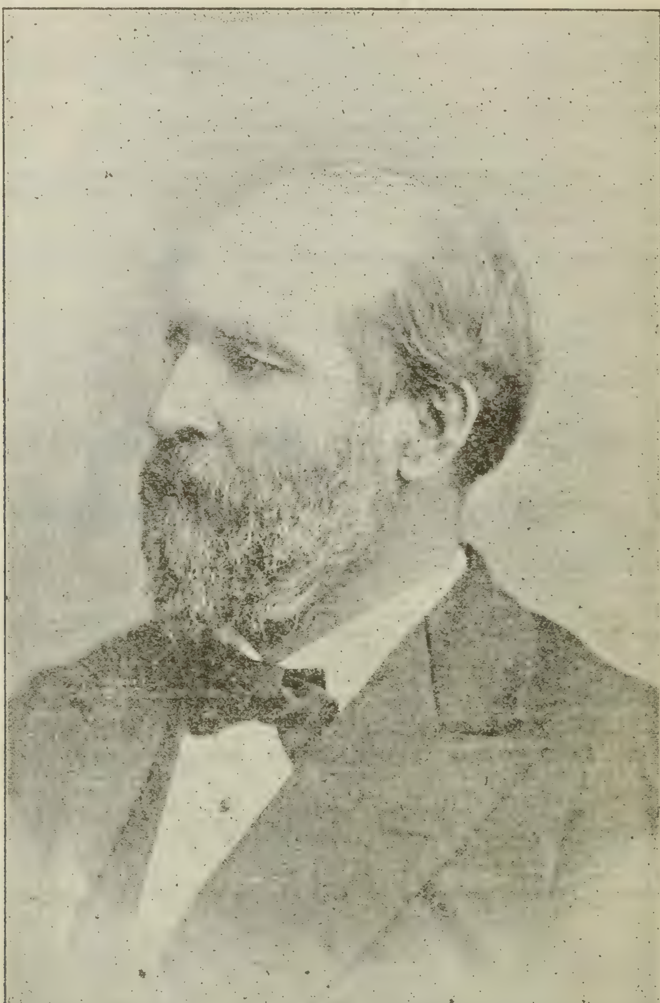
المهاجرين من جرمانيا وحدها ٨٥ الف نسمة سنويا وقس عليها سائر الممالك · وزاد عدد المدن التي سكانها ينوف عددهم عن المائة الف نسمة من اربع عشرة مدينة الى عشرين وكذلك التجارة كان سوقها رائجا وقد وجدت الصادرات الاميركية محلا رحيبا في الاسواق الاجنبية

وقرب وقت الترشيح للرئاسة وكان اهم الاحزاب الربلكان والديموقراط · فرشح الاولون في موءتمرهم الذي عقد في شيكاغو في اوائل حزيران سنة ١٨٨٠ الجنرال جيمس غارفيلد من اوهايو للرئاسة وشستر ارثر من نيويورك للنيابة ورشح الحزب الاخر الجنرال هانكوك من نيويورك للرئاسة ووليم انكلش من انديانا للنيابة وقام العراك السياسي المعلوم بين الحزبين ففاز حزب الربلكان وانتخب غارفيلد رئيسا للولايات المتحدة

الفصل الحادي والستون

ــ رئاسة غارفيلد وارثر من سنة ١٨٨١ الى سنة ١٨٨٥ ــ

ولد جيمس غارفيلد الرئيس العشرون للولايات المتحدة في قرية اورنج من ولاية اوهايو في ١٩ تشرين الثاني عام ١٨٣١ · ومنذ طفوليته ترك لعناية امه التي كان شديد الشغف بها وكان يسكن معها في كوخ خشبي بين جيرة من الفلاحين الفقراء ولكن



—الرئيس جيمس غارفيلد—

العناية خصته بنباهة فائقة وذكاء مفرط فاكتسب من هواء البرية النقي صحة وقوة وتلقى في مدرسة القرية مبادىء العلوم • وصرف ايام صبوته في الاعمال اليدوية في المزارع وكان الفلاحون يتسارعون لاستخدامه اذ كانت لهمعرفة فائقةفي الآلات الميكانيكية والزراعية • وبعد ذلك اشتغل كسائق وربان في احدى سفن القناة التي تسير في نهر اوهايو • ولما بلغ السابعة عشر من العمر تتلمذ لمدرسة شستر العليا وفي خريف عام ١٨٥١ دخل كليةهيراموسنة١٨٥٤ دخل كليةوليمزواحرز شهادتهاسنة ١٨٥٨ معشرفالامتياز ومن ثم عاد الى اوهايو وتعين اولا استاذا ثم رئيسا لكلية هيرام وبالوقت نفسه كان عضوا في مجلس مشترعي الولاية مدة سنتين ودام في مركزه حتى انفجار بركان الحرب الاهلية فغادره وانضم الى الجيش وما لبث طويلا في الجندية حتى اكتسب شهرة ببسالته وشجاعته وارتقى الى رتبة جنرال وبينما هو بعد في الجندية انتخبه شعب ولايته عضوا في مجلس النواب ثم في مجلس الشيوخ الى ان تم انتخابه لمنصب رئاسة الجمهورية وهكذا تسنم ذلك الولد اليتيم الناشيء في المزرعة الحقيرة غارب المجد والسنا بجده واجتهاده وبلغ الى اعلى ذروات المجد والسوءدد

واحتفل بتنصيب غارفيلد رئيسا في رابع اذار سنة ١٨٨١ واقسم اليمين المفروضة ومن ثم فاه بخطاب بليغ بسط فيه حالة البلاد الزراعية والصناعية والتجارية وهنأ الامة بالتقدم السريع والفوز الباهر التي حازته بالجد والكد ووعد بالنظر في كل المسائل الحيوية والاجتهادفي تحسينها وبما يعود الى سعادة ورفاه الاهلين وبانه سيرى في ضمد جراح الولايات الجنوبية وفي ترقية المدارس العمومية وتسييرها على نظام يكفل نجاح التلامذة وبوجوب وضع حد لتعدد الزوجات • وانه يقتضي ابرام معاهدة مع الصين لايقاف تيار مهاجرة شعبها الى الولايات المتحدة الى غير ذلك من الامور المفيدة والنافعة التي قابلها الشعب بتصفيق الاستحسان•وفي الغد ارسل الرئيس الىالكونغرس اسماءمن

عين من الوزراء وغيرهم فتمت المصادقة على ذلك وباشرت الهيأة الجديدة مهام وظائفها وتعكر جو الهيئة الجديدة بغيوم المشاحنات بين اعضاء حزب الربلكان الذي انشطر الى قسمين تلقب احدهما باسم «هافبرديس » والاخر باسم «ستولورتس» والاول هو الاقوى والرئيس من مناصريه • ووجه الخلاف هو ان رجال الثاني كانوا يقولون ان الوظائف المختلفة في الولايات يجب ان تمنح بمعرفة نواب تلك الولايات • ورجال القسم الاول عارضوهم قائلين ان تلك الوظائف يجب ان يمنحها الرئيس بحسب مايرى موافقا واهم ما قام الخلاف عليه تعيين مدير عام لمرفأ نيويورك وتلك الوظيفة تعد في الدرجة الاولى من الاهمية فعين الرئيس لها القاضي وليم ربر تسون فاعترض على ذلك التعيين نائبا ولاية نيويورك حتى انهما استعفيا من عضوية المجلس وعادا الى ولايتهما ولم يفلحا في اعادة انتخابهما وحمي وطيس الجدال واتسعت دائــرة الشقــاق بين حزب الربلكان المنشق على ذاته حتى خشي عليه من التهور الى وهدة الانحلال والتلاشي

هكذا كانت الحالة عند انحلال عقد الكونغرس في شهر حزيران لاجل العطلة الصيفية وبعد ذلك بايام قليلة عزم الرئيس غارفيلد على زيارة كلية وليمز التي سيدخلها ولداه عند افتتاحها في الخريف المقبل وعلى تمضية بضعة ايام مع امراته المريضة على شاطىء الاوقيانوس وفي صباح ثاني شهر تموز دخل محطة سكة حديد بلطيمور انداوهايو مصحوبا بكاتم اسراره ونفر من الاصحاب ليركب القطار الى بلدة لون برانش في ولاية نيوجرزي •واذا بمفتون سياسي غادر يدعى شارلس جولس غيتو قد باغت الرئيس من ورائه واطلق عليه عيار مسدسه فخرقت الرصاصة الاولى جنبه واحدثت جرحا خطيرا فنقلوه الى البيت الابيض والمجرم الاثيم استيق الى السجن

فاهتزت الامة جمعاء لذلك الحادث وتحولت ابصارها نحو العاصمة الاستفسار عن حالة الرئيس ومرت ايام بين يأس رجاء وقد توفر على معالجة الرئيس امهر الاطباء

الجراحين واجروا عليه عمليات جراحية ولكن على غير جدوى تذكر • والرجاء الاخير الذي تبقى امامهم في استبقاء حياة الرئيس هو انهم نقلوه بكل اعتناء في سادس ايلول من واشنطن الى اسكلة البيرون ووضعوه في بيت يبعد بضعة اذرع عن مضرب الامواج • فلاح للاطباء هناك بارق امل في الحياة غير ان ذلك لم يدم سوى ايام معدودة فصار الرئيس يزداد ضعفا يوما فيوما

وفي الساعة العاشرة ونصف من مساء يوم ١٩ ايلول بينما كان الاحتفال قائما بتذكار موقعة شيكاموغا التي فيها احرز غارفيلد شهرته العسكرية انحلت قوته فجأة وكان دمه قد تسمم ففي دقائق معدودة اسلم النفس الاخير • وقد احتمل مضض البلوى والآلام المبرحة مدة ثمانين يوما بصبر عجيب وثبات غريب فزاد ذلك في رفعة شانه وحميد ذكره ومجيد حياته واضيف اسمه الى لائحة الاموات الاحياء

وفي غد وفاة الرئيس اقسم نائبه ارثر اليمين المعينة في مدينة نيويورك واضحى رئيسا للولايات المتحدة وذهب توا الى العاصمة • وهو النائب الرابع الذي اسندت اليه الرئاسة بعد موت الرئيس • واقيم للرئيس الفقيد مأتم حافل في العاصمة ثم ارسلوا جثته الى كليفلند اوهايو فدفنت في مدفن ليك فيو في ٢٦ ايلول

ولد تشستر ارثر الذي افضت رئاسة الجمهورية اليه في بلدةفرنن من ولاية فرمونت في١٥ تشرين الاول سنة ١٨٣٠ وهو متحدر من اصل ايرلاندي • تخرج في كلية يونيون واحرز شهادتها عام ١٨٤٩ • وقد مارس فن التعليم مدة في فرمونت ومن ثم جاء الىمدينة نيويورك ليتلقى علم الحقوق وبعد انهاء دروسه زاول مهنةوكيل دعـاوى فاحرز شهرة واسعة وفي غضون الحرب الاهلية تعين مأمور ايواء العسكر العام لولاية نيويورك وهو منصب على جانب من الاهمية فقام باعباء وظيفته خير قيام • وبعد ان وضعت الحرب اوزارها عاد الى معاطاة فن المحاماة • وعام ١٨٧١ تعين ناظر المرفأ

نيويورك ودام في تلك الوظيفة حتى اقاله منها الرئيس هايس عـام ١٨٧٨ فعـاد الى مهنة المحاماة ومن ثم انتخب نائب رئيس الولايات المتحدة كما مر واخيرا افضت الرئاسة اليه

وكان العلم الحديث قد تقدم شوطا بعيدا وكشفت الطبيعة كثيرا من اسرارها لذوي العلم والحصافة فاستخدم الانسان ذلك لمنفعته وراحته · وظهرت اكتشافات واختراعات متعددة اهمها الندي «التلفون الذي قرب الابعاد وسهل المواصلات فصار الانسان قادرا ان يخاطب صديقه على بعد مئات من الاميال كانه يراه والفضل في ذلك الاختراع للاستاذ كراهام بل من مساتشوستس وايليا كراي من شيكاغو · وكذلك الفونوغراف اخترعه طوماس ادسن من مدينة مانلو بارك من ولاية نيوجرزي عام ١٨٧٧ وشهرته تغني عن وصفه

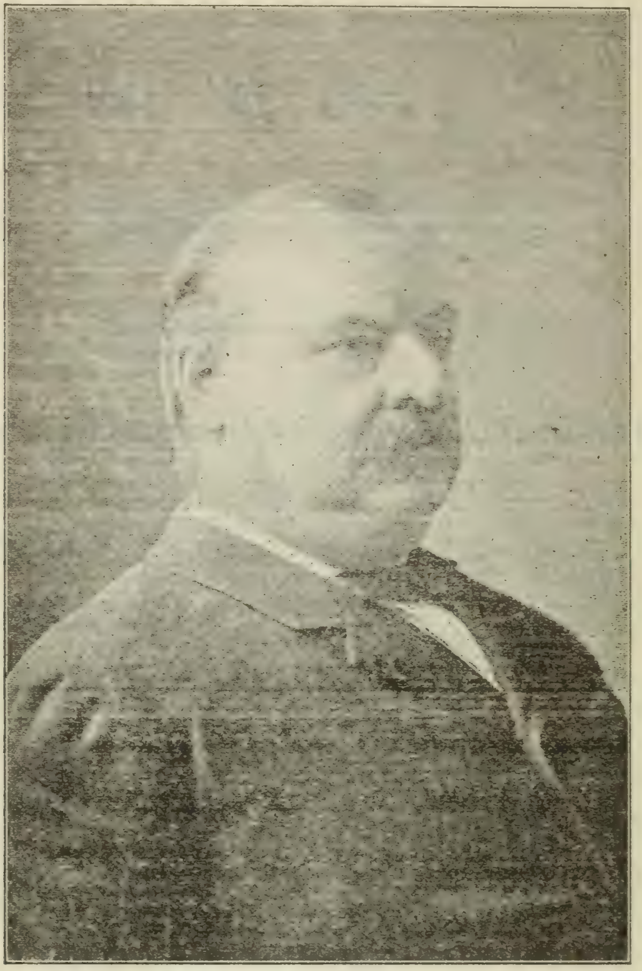
وربما ان اهم وانفع اختراع تم في هذا العصر هو الكهربائية وقد جرى استخدامها للانارة سنة ١٨٧٠ وقبل ذلك التاريخ بزمن طويل قد اوضح الفيلسوف كرام الفرنساوي امكان استعمال الكهرباء للانارة ونحو ذلك الوقت تمكن العالم الروسي جابلو كوف من ايجاد نور من الكهرباء فكأن الذين تقدموا ادسن الشهير في فن الكهربائية قد وضعوا له اساسا يبني عليه اختراعه ويبرز الكهربائية الى حيز الوجود كاملة لا يشوبها نقص وقد تقدمت في ايامه تقدما غريبا يعجز القلم عن وصفه حتى استخدمها الانسان ليس للانارة وادارة الآلات الميكانيكية فقط بل لحاجته البيتية ايضا كالطبخ والدفء والغسيل والتنظيف وغير ذلك

ويمتاز الشطر الاخير من تاريخ الولايات المتحدة باتمام كثير من الاعمال والابنية العمومية واهم ما يليق ذكره منها جسر النهر الشرقي المعروف بجسر بروكلن الذي يصل بينها وبين نيويورك وهو اكبر واعظم واتقن جسر في العالم باسره طوله ٥٩٨٩ قدما والفسحة بين قائمة واخرى ١٥٩٥ قدما ومعدل حمله من الاثقال الضاغطة على سطحه

٤٩٣٠٠ طن · والمهندس الحاذق الذي وضع خريطة الجسر وشارف البناء اسمه جان روبلن وربما انه هو مخترع الجسور المعلقة غير انه من موجبات الاسف انه لم يعش ليرى اتمام ذلك الجسر الذي هو نتاج حذقه وعروس فطنته ·وقد شارف البناء حتى النهاية ابنه واشنطن روبلن وهو ليس دون ابيه فهما وحذقا وفطنة

ولم يحدث في زمان رئاسة ارثر في الحكومة ما هو جدير بالذكر · فكان الكونغرس يوالي جلساته حسب العادة · وقد دارت مباحثة حول مسألة التعريفة الجمركية وحرية التجارة وغير ذلك من المسائل الحيوية · ولم تكن رغبة الشعب في ارثر شديدة وما فتأوا يندبون الرئيس السابق ويودون لوافسح في اجله· وما كاد يرتقي ارثر كرسي الرئاسة حتى شرعت الاحزاب تفكر في من سيخلفه · وفي خلال سنة ١٨٨٣ شرعوا يعقدون الموتمرات للترشيح حسب العادة على مامر بيانه وفي الانتخاب فاز بالرئاسة مرشح حزب الديموقراط كروفر كليفلندمن نيويورك وبنيابةالرئاسة طوماس هندريكوس من انديانا

وقد كان الاحتفال بتذكار ميلاد واشنطن عام ١٨٨٥ بالغا حد الاتقان · ففي تلك السنة فرغ العملة من صنع التمثال العظيم الذي اقامته الامة لابيها ومحررها جورج واشنطن في عاصمة البلاد وبلغت اكلاف ذلك التمثال مليونا وخمساية الف دولار وعلوه ٥٥٥ قدما وذلك اعلى من قبة كاتدرائية كولون بثلاثين قدما واعلى من اهرام شيوبس بخمسة وسبعين قدما وعدد الحجارة المركب منها البناء تزيد عن الثمانية عشر الف حجر وفيه ١٨٥ حجرا تذكاريا منقوشة عليها كتابات مختلفة ·وقد تم تدشينهفي ٢١ شباط سنة ١٨٨٥ وكان ذلك اليوم يوما مشهودا في العاصمة والاحتفال بالغاية الابهة والعظمة



— كروفر كليفلند —

الفصل الثاني والستون

ـ رئاسة كليفلند من سنة ١٨٨٥ الى سنة ١٨٨٩ ـ

تم تنصيب الرئيس الجديد في ٤ اذار سنة ١٨٨٥ وربما ان تاريخ البلاد لا يروي خبر تقدم سريع وارتقاء عاجل يضارع تقدم وارتقاء كروفر كليفلند · ولد كليفلند الرئيس الثاني والعشرون للولايات المتحدة في بلدة كولدول من ولاية نيوجرزي في ٤ اذار سنة ١٨٣٧ · وسنة ١٨٤٠ نقل مع ابيه الى فياتفل في ولاية نيويورك وهناك نشأ وتربى · وقد تلقى العلوم في مدارس واكاديميات تلك الجهة · وعام ١٨٥٧ نقل الى مدينة نيويورك وانهى دروسه في الحقوق وعام ١٨٥٩ زاول · مهنة المحاماة وبعد اربع سنوات تعين مساعدا للمدعي العمومي لمقاطعة ايري · وعام ١٨٨١ انتخب محافظا «مير» لمدينة بفلو وفي السنة التالية انتخب حاكما لولاية نيويورك وقبل ان تنتهي مدته ترشح من قبل حزبه لرئاسة الولايات المتحدة وفاز بالانتخاب العمومي كما تقدم

وفي اليوم التالي لتنصيب كليفلند رئيسا ارسل للكونغرس لائحة باسماء الذين عينهم بوظائف مختلفة من وزراء ومعاونين وهلم جرا فصادق عليها

وفي الشهر الاخير من رئاسة ارثر والاول من رئاسة كليفلند اقيم معرض القطن الشهير في مدينة نيواورلينس وهو اعظم معرض اقيم في الولايات المتحدة بعد معرض سنة ١٨٧٦ المار ذكره وقد دام من كانون الاول سنة ١٨٨٤ الى حزيران من السنة

التالية · وعدت زواره بالالوف من الولايات المتحدة واوربا · وكان القصد الاولي في ذلك المعرض استعراض حاصلات الولايات الجنوبية ثم توسعوا فيه فاستعرضوا كل مصنوعات البلاد والآتها الميكانيكية وغير ذلك مما هومعروف ومشهور واهم منافع ذلك المعرض تصافي سكان الشمال والجنوب وازالة ما كان في قلوبهم من الضغائن القديمة

ولم يحدث في السنة الاولى من رئاسة كليفلند ما هو جدير بالذكر · فالمسائل العمومية دامت على ما كانت عليه قبلا · وقد صرف الرئيس اهتمامه بنوع اخص الى أصلاح الخدمة الملكية (تمييزا لها عن الخدمة العسكرية) في دوائر الحكومة وذلك باسناد الوظائف الى مستحقيها وليس الى اصدقاء واخصاء ذوي النفوذ · فوجد امامه عقبات لا ترتقي وكاد الاصلاح ان يكون مستحيلا لان المتربعين في المناصب العليا قد الفوا تلك العادة عشرات من السنين اي عادة توظيف اخصائهم واصدقائهم ولو عن عدم جدارة واستحقاق ولهذا كان زعماء الحزبين الربلكاني والديموقراطي واقفين له بالمرصاد · وقد انتقده الاولون انتقادات جارحة عند ما اسند الوظائف الى من آنس فيهم لياقة وجدارة زاعمين انه خالف مبادي الذين انتخبوه لذلك المنصب ليسير بحسب مشتهاهم

واول حادث اهلي جرى في زمان كليفلند هو الشغب الذي حدث بين العمال والصناع سنة ١٨٨٦ ويصعب تفصيل الاسباب الحاملة على تلك المشاغبات المتواصلة · ولم يكن للاضطرابات الجارية بين الاغنياء والعمال في اوروبا من اثر في العالم الجديد ولم تبدو فيه الا بعد انتهاء الحرب الاهلية · واول ظهور القلاقل كان في مناجم مصانع الولايات الشرقية ومن ثم امتدت الى الولايات الغربية على ان الاعتصاب بين العملة في البلاد قد جرى منذ عام ١٨٦٧ · وقد مر بنا اضراب عمال السكك الحديدية عام ١٨٧٧ · ومنذ تسوية ذلك الخلاف لم يحدث اضراب يذكر مع ان بذوره كانت تلقى بين كل

طبقات العمال · وقد نمت تلك البذور وظهرت ثمارها من سنة ١٨٨٣ — ٨٦ بين العملة واصحاب المعامل فحدثت اضطرابات جمة نضرب صفحا عن تعدادها وفي خلال ذلك حمل تيار المهاجرة الجارف مئات والوفا من العملة من بلدان وممالك مختلفة من اوروبا فازدحمت المصانع بالعمال من اوطى طبقة من شعوبها · وباحتكاك هوءلاء بالوطنيين نتجت امور سيئة عادت على الاهلين والحكومة بالمشاغب والاضطرابات · وعند ما حان اوان العمل عام ١٨٨٦ وكانت المصانع باشد الافتقار الى الايدي العاملة ابتدا الاضراب عن العمل في اماكن متعددة من البلاد · ومع ان ذلك الاضراب اسفر عن لاشيء فقد سبب اضرارا جمة ومتاعب وافرة وطلت بسببه دماء زكية كثيرة

واشد الاضطرابات هولا ما حدث في شيكاغو · فالاشتراكيون والفوضويون كانوا ذوي قوة فيها وشرعوا يعقدون اجتماعات مهيجة ويلقون خطبا حماسية ثوروية وحملوا البيارق الحمراء وجالوا في الاسواق يضجون ويصيحون ويتكلم خطباوءهم في الشوارع العمومية مظهرين انفسهم بلا وجل اعداء الحكومة وكل نظام · وفي رابع ايار سنة ١٨٨٦ اجتمع جمهور غفير من اولئك الاغبياء وذوي الطياشة في المكان الذي يدعى هاي ماركت وهموا بالقاء الخطب حسب عادتهم واذا بفرقة من رجال البوليس قد حضروا الى ذلك المكان قصد منع تلك الاجتماعات · فنشبت هناك موقعة بين الفريقين · فرمى الثائرون قذائف ديناميتية وكرات متفجرة على رجال البوليس فانفجرت ومزقت عددا منهم اربا وجرح كثيرون · وكذلك رجال البوليس بدورهم اطلقوا عياراتهم على الثائرين فاردوا منهم عدة قتلى وبعد قليل اخلدوا الى السكينة · فتعقبت الحكومة زعماءهم وحاكمتهم واعدمت اربعة منهم وسجنت اخرين واخذت الحيطة لمنع حدوث مثل ذلك في المستقبل · وفي اليوم التالي لحادثة شيكاغو جرى مثل ذلك في مدينة ملواكي غير ان رجال الشحنة فرقوا شمل المشاغبين بدون خسارة مذكورة في النفوس

ودارت في الكونغرس مباحثات عديدة حول مسألة التعريفة وراتب التقاعد للجنود الذين حاربوا في الحرب الإهلية واهم ما تناقشوا فيه مسألة من يتولى الرئاسة في مالو مات الرئيس ونائبه او اقعدا عن العمل · فالقانون الاساسي لا يصرح بذلك فاجازوا شريعة تقضي باسناد الرئاسة بعد الرئيس ونائبه الى رئيس مجلس الشيوخ وبعده الى خطيب الكونغرس على ان تلك الشريعة ناقصة وغير وافية بالمقصود لانه قد يتصل الحكم بالحزب الخاسر في الانتخابات العمومية او لربما ان مجلس الشيوخ او مجلس النواب لا يكونا قد انتخبا رئيساً لهما فيحدث تشويش واضطراب قد يفضي الى اسوإ العواقب فاصلحوا تلك الشريعة باخرى سنت خلال سنة ١٨٨٦ وجعلوا الخلافة للوزراء على ترتيب درجاتهم مبدوءًا من ناظر الخارجية فنازلا · وقد مات في تلك الاونة كثيرون من ذوي الشهرة من قواد وقضاة وكبار الساسة بينهم الجنرال غرانت الشهير الذي اقيم له مأتم حافل لم يجرِ اعظم منه في اميركا حتى ولا مأتم الرئيس لنكان ودفن في رفرر صيد بارك في مدينة نيويورك

وكان قد حان وقت الترشيح لمنصب الرئاسة لمدة اربع سنوات آتية فعقد حزب الديموقراط مؤتمرا في مدينة سانت لويس في ٥ حزيران عام ١٨٨٨ ورشحوا الرئيس كليفلند مرة اخرى للرئاسة وألن شارمن من اوهايو للنيابة · واما حزب الربلكان فعقد مؤتمره في شيكاغو في ١٩ حزيران من السنة عينها وهناك قامت مناقشات طويلة وعرضت اسماء جمة للترشيح اخيرا وقع اتفاقهم على بنيامين هارسن من انديانا فرشحوه للرئاسة ورشحوا اليفني مارتن من مدينة نيويورك لنيابة الرئاسة ورشحت احزاب اخرى اشخاصا لا نرى حاجة لذكرهم لضعف تلك الاحزاب وقلة فوزها بالانتخابات السالفة · وابتدأ العراك السياسي الشهير وانجلى عن فوز حزب الربلكان ومرشحيه

وانتهت مدة رئاسة كليفلند والكونغرس الخمسين بادخال اربع ولايات جديدة

الى الاتحاد الاميركي فاضحت الولايات اثنتين واربعين ولاية · فمنذ دخول كولورادو في عداد الولايات عام ١٨٧٦ لم يعد يضاف اليها واحدة · وشرع السكان يرتحلون الى الغرب والشمال الغربي فاستعمروا كل المقاطعات العظمى · اما الولايات الجديدة فهي داكوتا ومساحتها ٥٠٩٣٢ ميلا مربعا وفي سنة ١٨٨٧ قسمت الى داكوتا الشمالية وداكوتا الجنوبية · والولاية الثالثة مونتانا ومساحتها ٤٥٧٧٦ ميلا مربعا والولاية الرابعة واشنطن ومساحتها ٦٩٩٩٤ ميلا مربعا · فهذه تقرر ادخالها في سلك الاتحاد الاميركي في اواخر حكم كليفلند ولكن لم يتم اتحادها رسميا الا في زمان الرئيس المقبل

وانشئت في اواخر حكم كليفلند ايضا وزارة الزراعة فاضحت ادارات الولايات المتحدة ثمانية · ونتج من انشاء تلك الادارة فوائد جمة للزراعة بل انها اوجدت روحا جديدة في جسم البلاد الزراعي

الفصل الثالث والستون

ــ(هارسن و كليفلند)ــ

ولد بنيامين هارسن الرئيس الثالث والعشرون للولايات المتحدة في بلدة نورث باند من ولاية اوهايو في ٢٠ اب سنة ١٨٣٣ وهو ابن جان سكوت هارسن احد مشاهير ولاية اوهايو وهو حفيد وليم هنري هارسن احد روءساء جمهورية الولايات المتحدة السالفين وحفيد حفيد بنيامين هارسن احد موقعي منشور الاستقلال فالتسلسل معتبر في

الديار الاوروبية وغيرها اكثر مما في البلاد الاميركية التي تنظر الى من يقول هئنذا وليس الى الذي يقول كان ابي

وقد كانت صبوة هارسن كصبوة غيره من صبيان البلاد اي انه كان يواظب الذهاب الى المدرسة ويقضي ما يفرض عليه من الاشغال في البيت وفي الحقل ٠ وقد صرف مدة سنتين في الكلية المعروفة باسم « كلية الفلاحين » وبعد ذلك تتلمذ لجامعة مولي في مدينة اوكسفورد من ولاية اوهايو وانهى دروسها في شهر حزيران عام ١٨٥٢ واقترن بابنة الدكتور جان سكوت رئيس تلك الجامعة ٠ وبعد ذلك اكب على درس علم الحقوق ثم ذهب الى انديانا بوليس وزاول وكالات الدعاوى ٠ ولما نشبت الحرب الاهلية انخرط في الجندية مع الاتحاديين وما لبث حتى ارتقى الى رتبة جنرال في جيش المتطوعين ٠ وعندما قاربت تلك الحرب ان تضع اوزارها تعين كاتباً لقرارات المحكمة العليا في مدينة انديانا بوليس واحرز شهرة واسعة امتدت في ولاية انديانا وغيرها الى ان انتخب عام ١٨٧٦ حاكماً للولاية وسنة ١٨٨١ انتخب عضواً في مجلس الشيوخ واخيرا ارتقى الى منصب رئاسة الجمهورية

وقد احتفل بتنصيب الرئيس الجديد حسب مألوف العادة في رابع اذار سنة ١٨٨٩ ويمتاز الرئيس هارسن عن غيره من الرؤساء بانه لم يعلم احد عن خطته السياسية شيئا حتى ولا من اخص المقربين اليه حتى القى خطابه التنصيبي واعلن فيه مراميه السياسية وما ينوي اجراءه لخير البلاد ٠ وفي غد يوم تنصيبه ارسل الى الكونغرس اسماء موظفي الحكومة من وزراء وغيرهم فصادق عليها جريا على العادة المرعية

واشتهرت رئاسة هارسن بادخال ست ولايات في الاتحاد الاميركي وهي داكوتا الشمالية وداكوتا الجنوبية ومونتانا وواشنطن وايداهو ووَيمن ٠ وعام ١٨٩٠ جرى احصاء نفوس سكان الولايات المتحدة فبلغ عددهم ما ينوف عن الاثنين وستين مليونا

ونصف من النفوس ٠ وفي تلك السنة اجيزت لائحة ماكنلي المتضمنة التعريفة الجمركية فصارت شريعة وهي في غاية الموافقة لحاجة البلاد ٠ واجيزت لائحات اخرى غيرها فاضحت شرائع مرعية الاجراء ولا حاجة بنا الى تفصيلها

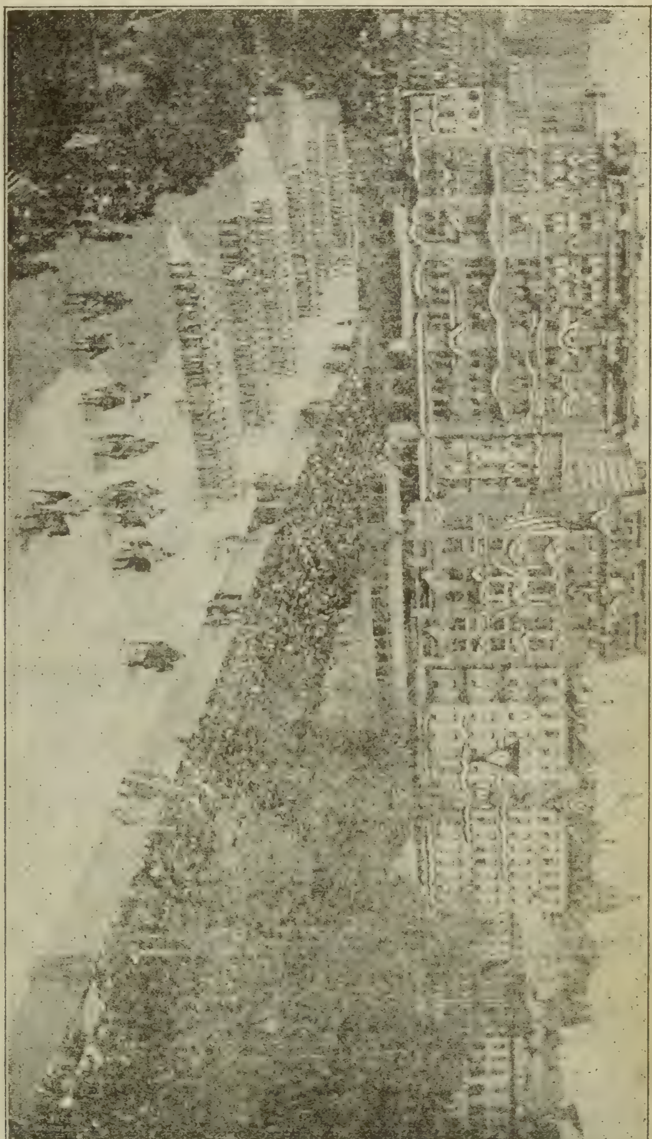
وعرضت في زمان رئاسة هارسن ثلاثة مشاكل سياسية على جانب من الاهمية اولها الاختلاف بين الولايات المتحدة وجرمانيا الامر الذي كاد ان يؤدي الى حرب بينهما بسبب جزر صاموا الواقعة بين ساحل اميركا الغربي واوستراليا ٠ فاوفدت كل من الدولتين اسطولا الى مياه تلك الجزر ٠ وحدثت اعصار هائلة قذفت بسفن البلادين الى وهدة التهلكة والدمار فقضي بذلك على الاستعدادات الحربية واقترب الفريقان من مينا السلام فسوي الامر بالحسنى وسلمت جرمانيا لمطالب الولايات المتحدة

اما المسالة الثانية فهي الوحشة التي استحكمت بين الولايات المتحدة وجمهورية شيلي بسبب مشاجرة حدثت بين نفر من البحارة الاميركيين وبعض من اهالي شيلي ونفر من رجال الشحنة واشتد اللجاج بين البلادين حتى لكادتا تمتشقان الحسام وتخوضان غمار المعارك غير ان شيلي اعتذرت للولايات المتحدة رسميا وادت تعويضا للبحارة عن الاضرار والاهانة التي لحقت بهم في بلادها ٠ والمشكل الثالث مسالة جزر هاويان التي لم تنتهِ في زمان رئاسة ولسن بل تعاقب عليها ثلاثة رؤساء ودام الجدال والمشاحنات بصددها من عام ١٨٩٢ الى سنة ١٩٠٠ ٠ وقد كان يتولى الحكم في تلك المملكة الصغيرة من جزر الاوقيانوس الباسيفيكي ملك وطني يرث الملك عن اسلافه ٠ وتلك الجزر غنية وجميلة وقسم من سكانها لفيف من انكليز واميركان ٠ فعام ١٨٩٣ ثار سكان تلك الجزائر على الملكة ليلوكالني وخلعها ونادى بالحكم الجمهوري وانتخب سانفورد دولي رئيسا لتلك الجمهورية الصغيرة ٠ ثم ارسلوا الى مدينة واشنطن عاصمة اميركا يطلبون الانضمام الى الجمهورية الاميركية فقابلت حكومة واشنطن ذلك الطلب بارتياح تام ٠

وارسل الرئيس هارسن المعاهدة المرسلة اليه من جزر هاويان الى مجلس الشيوخ طالبا اليه المصادقة عليها ولكن قبل ان تصير لذلك المجلس فرصة للنظر في الامر انتهت الرئاسة الى الرئيس كليفلند فاسترد المعاهدة من مجلس الشيوخ واوقف الانضمام المذكور طلبالزيادة البحث وتدقيق النظر قي المسالة · وفي سنة ١٨٩٨ بعد انتهاء مدة الرئيس المذكور تم ضم تلك الجزائر الى الولايات المتحدة وصارت من ملحقاتها

وفي ٣٠ نيسان سنة ١٨٨٩ جرى الاحتفال بتذكار تنيصب جورج واشنطون رئيساً على الولايات المتحدة وكانت قد مرتماية سنة على ذلك · فكان احتفالا شائقا يعسر على اليراع وصفه · وقد مشى في الموكب الاحتفالي الرئيس هارسن فسار من قصر الحاكم في نيوجرزي الى اسفل شارع وال في مدينة نيويورك ثم الى كنيسة القديس بولس القديمة في المدينة على شارع برودواي ثم الى المكان الذي جرى فيه تحليف واشنطن اليمين ودام ذلك الاحتفال ثلاثة ايام جرى في خلالها استعراض بري وبحري وكانت ايام مهرجان عظيم وسرور شامل · وقد اضاف القس سمث الذي نظم النشيد الوطني المعروف باميركا منذ مضي ٥٧ سنة هزته نشوة الطرب فزاد عليه دورا انشده الجمهور بكل حماسة

انه في عام ١٨٩٢ جرى ترشيح كروفر كليفلند لرئاسة الولايات المتحدة للمرة الثالثة وفي الترشيحين السالفين انتخب مرة وفشل اخرى وذلك امر لم يحدث لسواه في تاريخ البلاد ·وترشح ادلي ستيفنسن لنيابة الرئاسة · ورشح حزب الربلكان الرئيس هارسن للرئاسة والمستر هويتلوريد للنيابة فكان الفوز في الانتخاب لحزب الديموقراط لان كليفلند كان محبوبا جميل الطلعة سامي الادراك وذا حنكة سياسية وقد اتى في ايام رئاسته الاولى امورا جاءت عند رضى واستحسان الاكثرين وقد كرس كل قوى عقله لخدمة امته بكل نشاط وحزم ·واهم المعضلات التي كان على الرئيس



الاحتفال المئوي بتذكار تنصيب جورج واشنطون رئيساً

ان يحلها لائحة وليم ماكنلي المتعلقة بالتعريفة ومسالة الفضة وغيرها من المسائل الاخرى الهامة

وفي بداية رئاسة كليفلند الثانية سنة ١٨٩٣ اجتاحت البلاد ازمة مالية اوقفت حركة الاشغال واحدثت اضرارا جمة فنسبها حزب الديموقراط الى امرين وهما تعريفة ماكنلي ولائحة شارمان بمسالة الفضة وقالوا ان ايسر طريق لافراج تلك الازمة هو ان تبتاع الحكومة مبلغ اربعة ملايين ونصف مليون دولار شهريا من النقود الفضية وتدفع ثمنها ذهبا · فطلب الرئيس ان يعقد الكونغرس اجتماعا خارق العادة في آب من تلك السنة · وكان الذهب المحفوظ في الخزينة وهو الضمانة الوحيدة لرتق الفتق قد تناقص الى اقل من مائة مليون فزادت البلية واشتد اللجاج ولم يتوفق الكونغرس الى حل تلك المعضلة حتى تشرين الثاني وقد تكبدت البلاد خسائر جمة اقتضى سنوات عديدة لاعاضتها ناهيك عن الافلاسات المتوالية من مصارف وبيوتات تجارية وغيرها

واهم ما حدث في الولايات المتحدة عام ١٨٩٣ خارج عن السياسة معرض شيكاغو الشهير الذي لا يزال ذكره عالقا في الاذهان وذلك يغنينا عن الاسهاب في وصفه·وقد انشىء ذلك المعرض تذكارا لمرور اربعماية سنة على اكتشاف اميركا · وقد فاق سائر المعارض السابقة عظمة واتقانا·وانفق على تشييدبناياته المتعددة نحو اربعين مليوندولار وقد استعرضت فيه سائر انواع الاختراعات والصنائع والفنون الجميلة وكل ما اتصل عقل الانسان الى اصطناعه او ادراكه · واختلفت اليه الزوار الوفا وملايين من سائر امم الارض ووقف العالم باسره موقف الدهشة والانذهال لما استعرض في معرض شيكاغو من الغرائب والتحف والنفائس مما يفوق وصف الواصف واشترك السوريون في معرض شيكاغو ايضا فاقاموا فيه مرمحا شرقيا برئاسة خليل افندي سركيس ومنذ ذلك الحين ازداد

عدد المهاجرين من الديار السورية الى اميركا

وفي ربيع سنة ١٨٩٤ حدث اضطراب عظيم بين الذين يصطنعون قطورات المنامة «بلمان كار» في شيكاغو · فاوفد الرئيس فرقة من الجند الى ولاية النيوز لقمع ثورة العمال وللمحافظة على بريد الولايات المتحدة · فاحتج حاكم النيوز على ذلك بلهجة حادة وكثيرون سلقوا الرئيس بالسنة الانتقاد الحاد على ان الراي العام صوب عمل الرئيس واثنى على همته لمداركته الامر قبل اتساع الخرق ولمحافظته على كرامة الحكومة والبريد

ولقد كانت علاقات الولايات المتحدة مع دولة انكلترا حبية وسلمية مدة طويلة على انه كان يبدو من انكلترا من وقت الى اخر ما يدل على انها لم تضع الولايات المتحدة في المقام الذي تستحقه مكانتها وقوتها بين امم الارض ·ففي رئاسة كليفلند ارغمت على ان ترهب جانب اميركا وتقدرها حق قدرها وذلك آن استحكم الخلاف بين الدولتين على بحر بيرين · وحدثت معضلة اخرى في زمان كليفلند ايضا بسبب فنزويلا وكاد يفضي الخلاف الى حرب بين الامتين ·فقد كانت حكومة فنزويلا تلح على انكلترا بتسوية الحدود بينها وبين جيانا الانكليزية ولكن انكلترا اعارتها اذنا صماء ولم تبالي بالحاحها قط على رغم ان الولايات المتحدة اظهرت رغبتها في ذلك ايضا·وفي سنة ١٨٩٥ طلب ناظر خارجية اميركا المستر اولني من رئيس الوزارة الانكليزية المستر سالسبوري ان تبادر حكومته لتسوية الخلاف بينها وبين فنزويلا لان حكومته لا يسعها السكوت عن ذلك عملا بشريعة منرو · وقد ابدى الرئيس كليفلند في تلك المعضلة من الحنكة السياسية والمقدرة العقلية والشجاعة النادرة ما خلد له الذكر الحسن وان كان لم لم يفعل في زمان رئاسته غير ذلك الامر لكفاه به فخرا فقد اوفد فورا رسالة الى الكونغرس طالبا اليه ان يتولى البحث في ذلك الامر منفردا فاذا بدا له ان الحق بجانب فنزويلا

فتبادر للمطالبة به على رغم من يريد بخسه · وكان ذلك بمثابة تهديد لانكلترا بالحرب اذا هي لم تتلاف الامر وتزيل مسببات الشقاق · فخشي الانكليز سوء المغبة وبادروا للتسوية السلمية وبذلك سلمت شريعة منرو من الانثلام · وما هو جدير بالذكر في هذه الحادثة هو ان الشعب الاميركي تناسى احزابه ومراميه السياسية واعتصب كرجل واحد للاخذ بناصر الرئيس وخوض غمار المعارك عند مسيس الحاجة

وكان كليفلند ذا راي صائب وفكر ثاقب وسجايا كريمة قوي الحجة ساطع البرهان غير انه لم يكن على تمام الوفاق مع رجال السياسة في عاصمته وغيرها · فتلبدت غيوم الاضطراب في جو السياسة في اواخر ايام رئاسته · زد على ما وجه اليه من سهام الملام والتقصير والانتقاد الحاد اضطراره الى عقد قرض دولي قدره ثلاثة وستون مليون دولار مع ان ذلك العجز المالي كان حاصلا قبل توليه الرئاسة · فلما اعتلى هو منصة الرئاسة كان زاهيا زاهرا كبطل فاتح غير ان الامور لم تجر وفق ماموله فخسف بدر ازدهائه وفخاره · ولما انتهت مدة رئاسته اعتزل السياسة وقطن مع عائلته في مدينة برنستون من ولاية نيوجرزي وكان موضوع اعتبار ومحبة الجميع

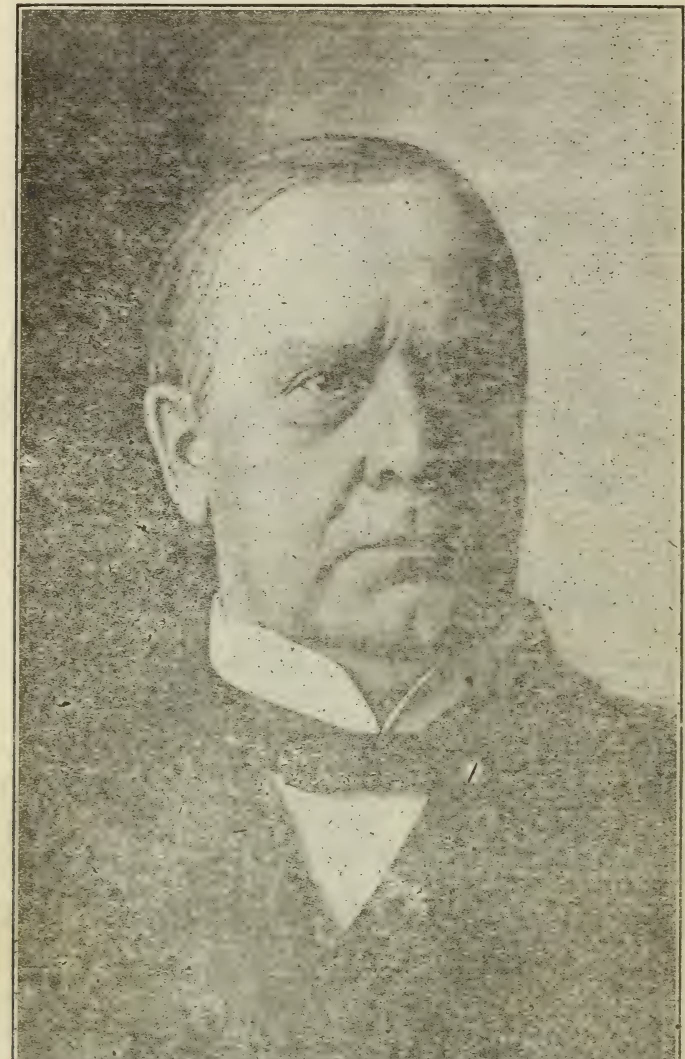
وكان قد حان الزمان لدخول البلاد في المعترك السياسي المعتاد في الانتخابات العمومية لرئاسة الجمهورية · وقد كان حزب الربلكان مستلما زمام السياسة مدة اربعين سنة خلا المدة التي تولى فيها كليفلند الرئاسة · وكانت الامة في خلال تلك المدة قد خطت شوطا بعيدا في ميدان الارتقاء والتقدم الادبي والمادي والتجاري والصناعي والزراعي وزاد عدد سكان سائر الولايات زيادة تذكر سيما الولايات الغربية التي صار لها شان مذكور في الانتخابات العمومية لوفرة سكانها وازدياد عدد المصوتين فيها

وفي شهر حزيران سنة ١٨٩٦ عقد حزب الربلكان موءتمرا في مدينة سانت لويس ورشح وليم ماكنلي من اوهايو للرئاسة وهو واضع لائحة التعريفة المعروفة بلائحة

ماكنلي ورشح كارت هوبارت من نيوجرزي لنيابة الرئاسة

اما حزب الديموقراط فعقد موءتمره في مدينة شيكاغو في شهر تموز من السنة عينها ورشح وليم براين من نبراسكا للرئاسة وارثر سيول من ماين للنيابة٠ و كل من المرشحين اي ماكنلي وبراين مشهور باستقامته ودرايته وسعة اطلاعه غير ان الديموقراط انقسموا على انفسهم ففاز بذلك مرشحا حزب الريبلكان بعد خوض المعركة السياسية المشهور امرها وبعد الانتهاء من الانتخاب بدات الاحوال العمومية تتحسن فراج سوق التجارة في انحاء البلاد وفي تلك الاونة اكتشفت مناجم الذهب في كلونديك فزادت في رواج الاشغال وارتفعت اسعار الاملاك ارتفاعا مذكورا فرتع شعب الولايات المتحدة في سعة العيش وبحبوحة الامن

وقضت الضرورة في اواخر رئاسة كليفلند بعقد قرض مالي باسم الحكومة ٠ فلما تولى ماكنلي الرئاسة وراى ان الحاجة ماسة الى دراهم دعى الكونغرس الى اجتماع خارق العادة للبحث في وضع ضرائب جديدة فاسفرت ابحاثه عن وضع تعريفة دنكلي موضع الاجراء وذلك في شهر تموز سنة ١٨٩٧ وبقي معمولا بها مدة عشر سنين وهي نظير لائحة ماكنلي تحتوي على مواد مفيدة لمالية الدولة



وليم ماكنلي

الفصل الرابع والستون

—(حرب اسبانيا)—

ان جزيرة كوبا هي اكبر جزائر وست انديز «الهند الغربية» وهي واقعة عابر الخليج من ولاية فلوردا وكانت تحت حكم اسبانيا منذ زمن بعيد ولكن سكانها كانوا ينوءون تحت اثقال ذلك الحكم ويتحينون الفرص للانتقاض على اسبانيا والخروج عن طاعتها ونيل الاستقلال والحكم الذاتي ٠ وما انفكوا يثيرون ويشاغبون من سنة ١٨٦٨ الى سنة ١٨٩٨ وهم ينشدون الاستقلال والانسلاخ عن جسم مملكة اسبانيا التي كانت ضاغطة عليهم بيد من حديد ومثقلة كاهلهم بالضرائب الفادحة فضلا عن سوء الادارة واعتلال الاحكام ٠ وعام ١٨٩٥ تجسمت المشاغب وكثرت القلاقل حتى تحولت الى حرب رسمية بين شعب كوبا وحكومة اسبانيا ٠ والف الثائرون شبه حكومة وجندوا عسكرا حتى غدا تفريق شملهم من الامور الصعبة وعام ١٨٩٧ في بداية رئاسة ماكنلي اضحت مسالة كوبا حديث القوم في الولايات المتحدة واظهرت الامة جمعاء ميلها الى الثائرين ورغبتها في انالتهم ما يريدون وهو الاستقلال ٠ وكان في مقدمة رافعي علم الثورة لخلع نير اسبانيا رجال ذوومنزلة ساميةومقدرة سياسية فائقة٠ فطلبوا الى الولايات المتحدة ان تعترف بحكومتهم وما زلوا يلحون في ذلك حتى اجازه مجلس الشيوخ واعترفت اميركا بحكومة كوبا الجديدة ٠ وكثيرون من متمولي الاميركان كانت لهم في كوبا مصالح عديدة ٠ والشعب الاميركي برمته وهو من عشاق الحرية كان مجرى

شعوره العمومي مع الكوبيين وصوب رايهم فهذه مع امور اخرى جعلت مداخلة الولايات المتحدة بشا نجارتها جزيرة كوبا امرا لازما

وبربرية الجنرال ويلر الذي خلف الجنرال كامبوس وارسل لقمع الثورة في كوبا زادت خرق الاختلاف اتساعا واجهزت على بقية الرجاء في اخلاد الخوارج الى السكينة · فالجنرال كامبوس كان يعاملهم بالطرق المدنية المالوفة بين الشعوب الراقية واما الجنرال ويلر فركب مركب الخشونة والقسوة البربرية التي زادتهم نزوعا الى الشر وحبا في خلع نير حكومة هذا شكل موظفيها · فجعل ويلر الجزيرة برمتها تحت الحكم العرفي وعامل الاهلين معاملة العجماوات فكانوا يهلكون بالمئات والالوف من الجوع وسوء المعاملة والبربرية ونحو ذلك فكانه لما راى اخضاع الكوبيين متعذرا عمدالى ابادتهم بطرق متنوعة

واخيرا كلت سواعد النازعين الى الاستقلال و كادوا يستسلمون للحكومة صاغرين نشدة ما انتابهم من الشدائد والضيقات والعذابات الاليمة فقامت حكومة اميركا تطلب الى دوله اسبانيا الرافة برعاياها وتداخلت في الامر بحجة محبة الانسانية والرفق بينها اذ لم تجد بابا اخر للمداخلة · فاحس سفير اسبانيا في واشنطن واسمه السنيور ديلوم بما تنويه حكومةالعم سام فبعث الى حكومته يحذرها سوء العقبى من مداخلة الامير كان وقد تطرف السفير في رسالته الى حكومته فقدح بالرئيس ماكنلي فاطلعت حكومة اميركا على ذلك الكتاب وطلبت من اسبانيا عزل سفيرها حالافاجابتها اسبانياالى ذلك وانقطعت المخابرت بين الحكومتين في خلال سنة ١٨٩٨ و كان الباعث على ذلك تدابير حزب الفليبستر «حزب عسكري لايتقيد بشريعة »في كوبا والولايات المتحدة الذي ما انفك يسعى سعيا حثيثا لجر الحكومتين الى التلاحم واستعملوا لذلك طرقا متعددة وهذا في نظر العاقل جريمة لاتغتفر ولكنه عندما يعمل الفكرة بان سكان تلك الجزيرة انما

يجاهدون في سبيل نيل حريتهم وانعتاقهم من نير حكم استبدادي يعدل عن ملامتهم في سعيهم لجر جارتهم القوية الى ميادين القتال لينالوا هم ما يبتغون . ولقد تم لهم ما ارادوا ودبروا طريقة بها جعلوا حكومة الولايات المتحدة ان ترسل دارعة الى ثغر كوبا ففي كانون الثاني سنة ١٨٩٨ ارسلت الدارعة ماين في «زيارة ودية» الى مينا هفانا وفي ١٥ شباط من تلك السنة بين الساعة التاسعة والعاشرة نسفت تلك الدارعة بسبب مجهول فهلك من بحارتها ٢٦٤ ومن ضباطها اثنان . فبلغ خبر ذلك الى واشنطن العاصمة نحو منتصف الليل . فما شاع ذلك الخبر في البلاد حتى مادت له من اقصاها الى اقصاها وعلت ضجة الامة واظهرت حنقها الشديد ورغبتها في الانتقام . فابرق الكابتن سغسبي قومندان الدارعة ماين الى اميركا يقول يجب ان تخفض الامة صوت ضجيجها ريثما يردها خبر اخر . على ان الراي العام كان مصرا على ان خيانة اسبانيا كانت سبب نسف الدارعة ماين . اما الرئيس ماكنلي ومعه غالب الصحافة فاظهر من الرصانة والاعتدال في ذلك الموقف ما يشكر عليه وقد تعينت محكمة عسكرية للتحري حقيقة نسف الدارعة المذكورة رئيسها الكابتن وليم سامبسون فاسفر البحث عن ان الدارعة ماين قد دمرت من الخارج بلغم في البحر على الارجح ولم يوضحوا في التقرير على من تلقى تبعة ذلك . وكذلك اسبانيا بدورها عينت لجنة للفحص عن سبب تدمير الدارعة الاميركية فجاء تقريرها مخالفا لما قرره الاميركيون اي انها نسفت من انفجار حدث في داخلها

فهاج الشعب الاميركي عند ذلك اي هياج وصاحوا باعلى اصواتهم ان اسبانيا مجرمة ويجب الاقتصاص منها فغدت الحرب امرا لا مناص منه

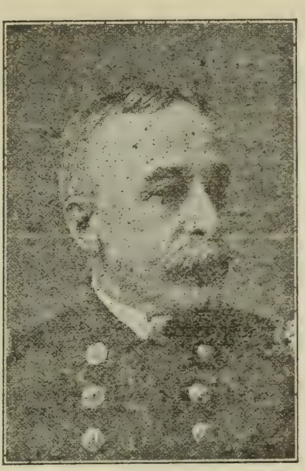
فارسل الرئيس في ١١ نيسان مذكرة خصوصية الى الكونغرس تتعلق بمسالة كوبا وطلب منه تخويله حق استخدام جندية وبحرية الولايات المتحدة لاخماد نيران الفتن المتأججة بين حكومة اسبانيا وجزيرة كوبا . فاجابه الكونغرس على رسالته في ١٩ نيسان

وفوضه ان يستخدم جندية وبحرية الولايات المتحدة في تاديب دولة اسبانيا وفي اجبارها على سحب جنودها من جزيرة كوبا واشار الى وجوب ترك كوبا لكي تدبر شؤون نفسها بعد سلخها عن حكومة اسبانيا

وفي ٢١ الشهر المذكور اعطت حكومة اسبانيا اوراق السفر لسفير اميركا في بلادها المستو ودرف قاطعة علاقاتها السياسية مع دولته وذلك بمثابة شهر حرب عليها فاعلن الرئيس ماكنلي فورا ان مواني كوبا تحت الحصار واصدر منشورا للامة الاميركية به يطلب تطوع ١٢٥ الف جندي للخدمة العسكرية · وقد خصص الكونغرس مبلغ خمسين مليون دولار لنفقة الحرب · وعملوا طوابع بريد خصوصية تلصق على ما يراد ارساله فيه وهي ضريبة خصوصية لنفقات الحرب وقدرت قيمة الداخل من تلك الطوابع لصندوق الحكومة بماية وعشرين مليون دولار مساناة وقرر الكونغرس ايضا عقد قرض مالي قدره ٢٠٠ مليون دولار بفائدة ثلاثة بالماية وعلى رغم ان اميركا غير مستعدة للقتال فقد اجتمع لديها ٢٠٠ الف جندي شاكي السلاح وعلى اتم الاستعداد لخوض غمرات المنون

اما الاستعدادات البحرية فتمت في غاية السرعة · فبمدة اسبوعين كانت ثماني وثمانون سفينة حربية تامة الاهبة وجاهزة للدخول في ميدان القتال وهي تنتظر صدور الاوامر لها بذلك · واوصى الكونغرس على ابتناء احدى وخمسين سفينة اخرى

واول ماساة شخصت على مرسح تلك الحرب كانت مريعة ولكنها على جانب من الفكاهة والندور · فبينما كانت الجنود تحتشد في شيكاموغا وكامب طوماس في مدينة جاكسنفل من ولاية فلوردا كانت ابصار العموم متجهة نحـو الاسطـول والاذان صاغية الى استماع دوي كرات المدرعات الكبرى التي لم تكن قد خاضت غمار معركة بعد · وكانت ابصار العالم متجهة الى الاسطول الاميركي ليروا مقدرتـه وحذق



—الاميرال جورج دوي—

رجال مدفعيته على ان ذلك الانتظار لم تطل مدته فلم تمر عشرة ايام على اعلان الحرب حتى سمع العالم دوي موقعة بحرية لم يدون خبر نظيرها في تاريخ المعارك السالفة . فان الكومندور جورج دوي مخر بالقسم الاسوي من اسطول الولايات المتحدة من مينا مانيلا في جزائر الفلبين وهو موءلف من ست مدرعات وبطش بالاسطول الاسباني الموءلف من اربع عشرة دارعة بقيادة الاميرال مونتوجو

وقد كان اسطول دوي مرابطا في هون كون من بلاد الصين عندما وردته الاوامر من واشنطن ان يهاجم الاسطول الاسباني اين يجده. وان يخرج من مياه هون كو نطبقا لشريعة الحياد المرعية بين الممالك المتحايدة . فاقلع في ٢٤ نيسان وقطع البحر الصيني جاعلا وجهته ارخبيل الفلبين . ولما بلغ الى خليج فرضة ميرس

الصينية اعد سفنه للمهاجمة واصدر الاوامر للضباط والموظفين في ما يجب عمله واخبرهم بالامر الصادر اليه من واشنطن

وجزر الفلبين مجموع جزائر واقعة في القسم الشرقي من الاوقيانوس الباسيفيكي وكانت تابعة لاسبانيا منذ اربعماية سنة وعدد سكانها يتراوح بين السبعة والثمانية ملايين نفس وكلهم يشكون وطاة الحكم الاسباني وينزعون الى التملص منه نظير كوبا وسائر جزر وست انديز

ولقد وقف العالم موقف الاندهاش من ذلك الانتصار الباهر وسر الاميركيون به سرورا لا مزيد عليه · اما الاكرام الذي لقيه جورج دوي فحدث عنه ولا حرج فغدا اسمه مذكورا بكل شفة ولسان وذكره مشهورا في كل قطر ومكان · ولقد نظرت الامم المتمدنة الى الولايات المتحدة بعين الاعتبار وصارت تحسب لقواتها البحرية حسابا لم تحلم به قبلا

اما اسبانيا فقامت وقعدت لتلك الاخبار المشومة التي بلغتها عن تحطيم اسطولها وفقد رجالها وهاج الراي العام هياجا عظيما وقاموا يطلبون الانتقام والاخذ بالثار

وبينما كان الكومندور دوي في مياه مانيلا يفاخر بانتصاره ويعجب بثبات رجاله كانت ماساة اخرى تمثل على مرسح الحرب وعلى بعد عشرة الاف ميل من مانيلا اعني في جزيرة كوبا · اذ سار الجنرال وليم شافتر بعشرة الاف جندي لافتتاح مدينة سانتياغو وهي حصن جيش اسبانيا الذي كان متوليا قيادته الجنرال تورال

وفي اول حزيران حاصر الجنرال سمبسون مضيق سانتياغو باسطوله · اما اسبانيا فلم يبق من اسطولها سوى ست مدرعات معقودة اللواء على الاميرال سرفيرا · وكان سمبسون يجول باسطوله مفتشا على السفن الاسبانية الى ان علم انها راسية في مرفاسانتياغو فعول مع اصحابه على حصرها داخل المرفابحيث لا تستطيع الخروج

منه فاغرق الملازم هبصن في رابع حزيران الدارعة الاحتياطية مريماك في منتصف مضيق سانتياغو فسدت طريق الخروج على الاسبانيين ٠وقدوقع هبصن ورفقاوءه السبعة اسرى بيد الاسبانيين ٠ وظل الاسطول الاسباني محصورًا داخل المرفا والاسطول الاميركي واقفا له بالمرصاد خارج المضيق

وهجم الاميركيون برا على سانتياغو ثلاث مرات بقيادة الجنرال شفتر ٠ وابتدا القتال في ٢٤ حزيران وكانت استحكامات الاسبانيين حصينة جدا ٠وفي ٢٩ حزيران تقدم الاميركيون الى ان بلغوا الى مسافة نحو ميل واحد من المدينة ٠ ولم يحتلوا الكاني وسان جوان حتى ثالث شهر تموز وذلك بعد ان خسروا ١٦٤١ جنديا بين قتيل وجريح وكانت سانتياغو على شفير السقوط فشرع الاهلون يغادرونها واجتمع ما ينيف على العشرين الفا من رجال ونساء واولاد ومشوا من المدينة مسافة ٤٨ ساعة واخترقوا صفوف الاميركان وتفرقوا في الاحراج

وقد تحقق الاميرال سرفيرا ان المدينة ساقطة لا محالة فشرع يفكر في النجاة باسطوله ٠ فاقلع به عند طلوع الفجر من صباح ثالث تموز وحاول الخروج من المرفا الى عرض البحر ٠ واذا بالاسطول الاميركي قد تصدى له واشتبك الاسطولان بموقعة هائلة انجلت عن اجهاز الاسطول الاميركي على البقية الباقية من اسطول اسبانيا ٠ فلما انقشع دخان البارود لم ير لسفن الاسبان من اثر ٠ ولم يعد لاسبانيا اسطول اوبحارة لان الاول ابتلعه اليم او لعبت به ايدي الدمار والاخرون وقعوا قتلى او استيقوا اسرى وفي جملتهم الاميرال سرفيرا ٠ اما خسارة الاميركيين في تلك الموقعة فكانت قتيلا واحدا ولم يصب اسطولهم بضرر قط ٠ فاعجب العالم باسره فضلا عن الخصوم بطرق القتال المستحدثة في بحرية وجندية الولايات المتحدة

وقد سلمت سانتياغو على الاثر وبذلك انتهت الحرب واضحت كوبا تحت سيطرة

الولايات المتحدة ٠وقد كانت تلك الحرب قصيرة الامد فلم تستغرق اكثر من تسعين يوما بخلاف المنتظر فلم تؤثر على البلاد شيئا بل دام دولاب الاشغال دائرا وكل شيء بقي على ما كان عليه قبل الحرب ٠ولم يبق سوى ابرام معاهدة الصلح ٠وفي ١٢ اب وقع البرتوكول اما المعاهدة النهائية فابرمت في باريس في شهر تشرين الاول التالي ٠ وبموجب تلك المعاهدة استقلت كوبا واما بورتوريكو فاتبعت بالولايات المتحدة٠ وكذلك جزائر الفلبين ٠وقد دفعت اميركا لاسبانيا لقاء ذلك مبلغ ٢٠ مليون دولار وفي كانون الثاني عام ١٨٩٩ بارحت الجنود الاسبانية جزيرة كوبا فنال اهاوها الوطر ووجدوا ضالتهم المنشودة اعني الاستقلال والحكم الذاتي

وقد بسطت الولايات المتحدة سيطرتها على كوبا حتى سنة ١٩٠٢ حين انتخبت رئيسا لحكومتها واستامت ادارة شوءون نفسها ٠ وبذلك برهنت الولايات المتحدة لدى الملا على نزاهتها وصدق مواعيدها اذ اعلنت في بداية الحرب انها خائضة غمارها ليس لجر مغنم بل لمجرد رفع الحيف عن المظلومين ونصرة المضنوكين

وسكان جزر الفلبين يبلغون سبعة ملايين ونصف اكثرهم برابرة متوحشون ٠ ورات حكومة العم سام ان الواجبات الانسانية تقضي عليها بالعناية في هولاء المخاليق وعمل ما به خيرهم وفلاحهم وترقية شوءونهم وتمدينهم ٠ غير انهم ثاروا عليها بزعامة رجل على شيء من المعرفة يدعى اوغينا لدو كان وهو قد ساعد الامير كيين في احتلال مانيلا وقد ارسلت الولايات المتحدة خمسة وستين الف جندي الى الفلبين لقمع الثورة وكبح جماح الثائرين وتكبدت مصارفات وخسائر باهظة وهي لا ترى في اولئك القوم الكفاءة لكي يحكمو انفسهم والا لكانت تركتهم وشانهم

وراى الرئيس ما كنلي ان المسوءولية التي وضعت عليه وعلى امته لجهة شعب الفلبين عظيمة فارسل الى تلك الجزر لجنة سنة ١٨٩٩ لكي تبحث في احوال شعبها من وجوه

عديدة لكي يكون على بصيرة في ما يجب عليه وعلى شعبه عمله في المستقبل · فلم تأتي تلك اللجنة التي كان رئيسها المستر شارمان رئيس مدرسة كورنيل الجامعة بالفائدة المبتغاة · فارسل لجنة اخرى عام ١٩٠٠ برئاسة القاضي وليم تافت من اوهايو الذي تعين بعد ذلك حاكما للفلبين · فانشا حكومة منظمة فيها ورتب امورها ترتيبا لائقا ففتح لهم المدارس لتهذيبهم واطلق لهم الحرية المذهبية والسياسية فشرعت الجزر ترتقي في سلم الفلاح والعمران بقدر استعداد اهليها واستطاعتهم

اما الحرب بين اميركا واسبانيا فمع انها لا تكاد تسمى حربا فقد اتت البلاد بنتائج حسنة فان الممالك والشعوب الاجنبية نظرت اليها بعين الاعتبار ورهبت جانبها وانفتحت امام تجارتها ابواب اسواق العالم مما عاد على الشعب بالربح الجزيل · فضلا عن ان البلاد نفسها نهضت نهضة تذكر في كل فن وصناعة وظهرت عدة اختراعات زادت في شهرة البلاد واكسبتها فخرا

وجاء وقت الانتخابات العمومية لمنصب الرئاسة فرشح حزب الديموقراط وليم براين ورشح حزب الربلكان الرئيس ماكنلي الذي فاز بالرئاسة للمرة الثانية وانتخب تيودور روزفلت من نيويورك للنيابة

وقد كانت مسالة بورتوريكو موضوع جدال ومناقشات في الكونغرس مدة واخيرا بحسب قرار الرئيس ماكنلي منحت حكما سياسيا وحرية التجارية وعلى رغم مقاومة شركة احتكار السكر غدا ذلك القرار شريعة مرعية الاجراء وغدت بورتوريكو وجزائر هاويان ملحقتين بالولايات المتحدة

الفصل الخامس والستون

—(من رئاسة ماكنلي الثانية الى رئاسة ودرو ولسن سنة ١٩١٣)—

استلم وليم ماكنلي زمام الرئاسة للمرة الثانية وهو محاط بمشاكل متعددة · والمسوءولية التي القيت على كاهله كانت عظيمة جدا سيما وانه افصح ان ترشيحه عما ينوي عمله ·وقد باشر مهام وظيفته بكل امانة ونشاط جاعلا الاستقامة رائده والحكمة نبراسه

وفي ايامه سعدت الامة ورتعت في بحبوحة الرغد والرفاه وبلغت اعظم اوج مجدها وراج سوق التجارة رواجا لم يذكر التاريخ خبر نظيره فبلغت تجاره الولايات المتحدة لسنة واحدة مبلغ ٦٦٤٩٠٠٠٠٠ دولار وخيم السلام فوق ربوع الولايات وخفقت اعلام النجاح في كل مكان غير ان نجم ذلك السعد افل سريعاً وقام الناعي في البلاد يدعو اهليها الى لبس السواد وثياب الحداد على رجل الامة الكبير الذي خر صريعاً من رصاصة اصابته من يد فوضوي ولا اثم له ولا حرج بل يكن له عدو معروف في البلاد

ففي ربيع سنة ١٩٠٠ جال الرئيس ماكنلي في انحاء الولايات فلقي من اكرام الامة له واجلالها لمقامه ما يفوق حد الوصف · وفي صيف تلك السنة اشتركت الولايات المتحدة مع دول اوروبا في تاديب البوكسرس في الصين الذين قاموا على الاوروبيين والاميركيين وذبحوهم ذبح النعاج · وكان ذلك الاشتراك بمشارفة

المستر جان هاي ناظر الخارجية

وفي اليوم التالي اي سادس ايلول وقف الرئيس في مكان يستطيع منه ان يحيي الجماهير بهز اليد فوقف على المنصة المقامة له وابتسام اللطف في شفتيه وشرعت الجموع تمر من امامه وتحييه وكل بمفرده يهز يد الرئيس وكانت امائر السرور بادية على محيا الجميع لان الرئيس كان ينظر في وجه كل فرد نظر الاب الحنون الى اولاده الاعزاء ومامر نحو مائة شخص على هذه الكيفية حتى اقترب من الرئيس شاب يده اليمنى معصوبة كانها مصابة فرثى الرئيس لحاله وبش له ومد يده ليصافحه باليد اليسرى واذا بطلقين ناريين متوالين اطلقهما ذلك الزنيم على الرئيس الكريم فاصابته رصاصتان شعر على اثر اختراقهما جسده بدوار ثم ارتمى على اذرع الذين حوله · وعندما استفاق من غشوته كان اول ما نطق به اظهار الشوق لامراته وطلب الرفق بالمجرم اذ قال «لا تمسوه بضرر» اما اسم ذلك اللئيم فهو ليو نسزو لفوز وهو تلميذ اما كولدمان الفوضوية المشهورية فقبض عليه حالا وبالكاد نجا من التقطيع اربا بيد الشعب المتاثر لذلك الحادث الفظيع واستيق الى السجن لتقتص العدالة منه جزاء ما اقترفت يداه

اما الرئيس فنقل الى مستشفى المعرض وهناك اجرى عليه الاطباء عملية جراحية ومن ثم نقل الى بيت المستر ملبرن حيث ظل طريح الفراش مدة ثمانية ايام والامة كلها خاشعة تضرع الى الله من اجل سلامته وعافيته · غير ان القضاء المحتوم قد نفذ وضاعت حيل نطس الاطباء فقضى نحبه في ١٤ ايلول متاثرا من جراحه وهو الرئيس الثالث الذي اغتالته يد شقي فازدته حتفه فمضى والامة جمعاء تسح عليه العبرات وتردد الحسرات

ونقلت جثمان ماكنلي من بفلو الى واشنطن العاصمة حيث استعرض اياما معدودة ومن ثم نقل الى كانتن او هايو ودفن بكل اجلال واكرام · اما عن حزن الامة واسفها وعن مجال الاعتبار التي ابدتها نحو الرئيس الفقيد فحدث عنها ولا حرج

لانفسهم والفوا شركات الاحتكار الكبيرة · وصارت هذه الامور تزداد انتشارا يوما فيوما · وعندما فاز الربيلكان بالانتخاب عام ١٩٠٠ ابتدات نبوة براين تتم لجهة ما سيكون من امر الاغنياء والاحتكار · فانتشرت شركات الاحتكار في كل جهة من البلاد واتى اصحابها اعمالا مخجلة فلم يعد يهمهم سوى حشد الاموال خربت البلاد ام عمرت ورشوا اصحاب المناصب العليا لترويج مصالحهم واجراء كل شيء على ما يريدون واضحوا كالسمك يأكلون كبيرهم الصغير فاستاء الراي العام من تلك الحالة المشينة وقامت في البلاد ضجة سمع صوت صداها في المعمور

واول عمل جدير بالذكر باشره الرئيس روزفلت كان سنة ١٩٠٢ وذلك بتسوية الخلاف الذي استحكم بين عملة المناجم واصحابها · فقد اضرب ١٥٠ الف من العمال في بنسلفانيا وتفاقم الخطب حتى كاد يفضي الى ثورة عظيمة في البلاد فتلافى الامر بحكمته ودعا زعماء العمال واصحاب المناجم التسعة الى اجتماع عقد في واشنطن العاصمة فانقذ البلاد من الحاجة الى الفحم في برد الشتاء القارس وسبرغور المسالة ورتق الفتق قبل اتساعه فاعجب الاوروبيون فضلا عن الاميركيين بحكمة الرئيس وحزمه وقد امتدحته جرائد اوروبا ومما قالته جريدة التيمس في لندن «ان الرئيس باشر عملا عظيما وجديدا بكليته »

وفي كانون الثاني سنة ١٩٠٢ ارسل روزفلت رسالة الى الكونغرس واقترح عليه فتح ترعة تصل بين الاوقيانوسين الاتلانتيكي والباسيفيكي وبذلك تقصر المسافة بين نيويورك وسان فرنسيسكو ثمانية الاف وخمساية ميل وتقرب المسافة بين المرافيء الشرقية واوستراليا اربعة الاف ميل ·وقد بحثت بذلك عدة ممالك منذ خمسين سنة حتى انه في سنة ١٨٥٠ ابرمت معاهدة بين اميركا وبريطانيا لاتمام هـذا العمـل مشتركتين وتألفت في فرنسا شركة براس مال كبير وباشرت العمل نفسه ولكنها فشلت

وحبط مسعاها فقرر الكونغرس اجابة لاقتراح الرئيس ان يدفع لفرنسا مبلغ اربعين مليون دولار لقاء ما عملته في تلك القناة كما انه خصص مبلغماية وسبعين مليون دولار لاتمام حفر الترعة المذكورة في برزخ بناما

وقد تاخر العمل بسبب عدم اتفاق حكومة اميركا مع حكومة كولمبيا · وبعد ذلك انسلخت بناما عن كولمبيا واشهرت استقلالها فصارت جمهورية حرة · فما مر ثلاثة او اربعة ايام على اعلان استقلالها حتى اعترفت بذلك الولايات المتحدة فزالت اذ ذاك كل العقبات المعترضة سبيل المباشرة بالعمل في حفر الترعة · ولقد وجه كثيرون انتقادات حادة الى الرئيس روزفلت لاجل اعترافه باستقلال بناما · واما دول اوروبا فاكثرها سر بعمله لرغبتها في انجاز ذلك المشروع العظيم ·ومالبثت ضجة المنتقدين حتى همدت وتوجهت انظار العموم الى الترعة وما سيكون من امرها ·وبموجب المعاهدة التي ابرمت بين اميركا وبناما تكفل الاولى للثانية استقلالها وتنقدها عشرة ملايين دولار تعويضا لها عما تاخذه من ارضها

اما ترعة بناما فاتساعها عشرة اميال وتلك المساحة تعد من املاك الولايات المتحدة وطولها نحو خمسين ميلا وعمقها نحو اربعين قدما وعرضها ٢٨٠ قدما عند اولها و٢٠٠ عند [illegible]رها · وقد بوشر في الحفر في ربيع عام ١٩٠٤ وقد استغرقت الاستعدادات لذلك مدة سنة كاملة · وسينجز العمل فيها سنة ١٩١٥ · وسوف تكون الترعة منطقة متحايدة وتمخر بها كل سفن العالم ولا تقع تحت حصار البتة ·وتحدد اجل البقاء فيها للامة المحاربة الى اربع وعشرين ساعة ·وسيبلغ مجموع ما تنفقه الولايات المتحدة على اتمام تلك الترعة ثلاثماية مليون دولار · ومشروع ترعة بناما يعد من اعظم المشاريع الكبيرة في العصر الحاضر وسيكون لها تاثير عظيم على تجارة وصادرات العالم كله

وسنة ١٩٠٣ كملت مئة سنة على ابتياع لوزيانا · فانشاوءا في السنة التالية معرضا

جميلا في سانت لويس تذكارا لذلك العمل التاريخي الذي قام به طوماس جفرسن وقد كان ذلك المعرض غاية في الابهة والرونق وقد شغل مساحة الف ومايتين واربعين فدانا وتلك ضعف المساحة التي شغلها معرض شيكاغو ونفقة بنائه فاقت عما انفق على معرض شيكاغو عشرة ملايين دولار اما معروضاته في الصناعة والفنون الجميلة والاختراعات وغير ذلك فمما يقصر عن وصفه اليراع . وقد عجب الرائون من الغرائب التي شاهدوها في ذلك المعرض العظيم الذي امه المتفرجون من سائر انحاء المعمور وقد فتحت ابوابه في ربيع سنة ١٩٠٤ واوصدت في تشرين الثاني من تلك السنة وبلغ عدد الذين زاروه عشرين مليونا

وكان روزفلت دائبا على عمل ما به الخير والفلاح لامته وبلاده . فحمل «العصا الكبيرة» لتاديب كل من يريد العبث بالشريعة وبخس العموم حقوقهم ايا كان . فملاء ذلك قلوب مبغضية حسدا منه والاغنياء مقتوه وقاوموه جهدهم لانه ضرب على ايديهم وعمل على ايقافهم عند حد لا يتجاوزوه . فقامت قيامتهم عليه واشاعوا عنه اكاذيب واختلاقات ما انزل الله بها من سلطان ووصفوه بالاستبداد والعناد وغير ذلك من النعوت التي ظنوا انها تفقده ماله من الصيت الذائع والشهرة البعيدة . وسعى بعضهم وفي مقدمتها السناتور هنا الشهير باثارة العملة عليه ولكن السناتور المذكور لم يفسح باجله فمات وماتت معه تلك الحركة . وعاد روزفلت الى استلام زمام حزب الريبلكان يدير هذا واقامة المدعي العمومي الجنرال نوكس الدعاوى على شركات الاحت التي انتهت بحلها اوقع الرعب في قلوب بقية الشركات فسعى اصحابها له روزفلت والحؤول دون ترشيحه للرئاسة ثانية . غير انه لما عقد مؤتمر ال مدينة شيكاغو في ٢١ حزيران سنة ١٩٠٤ وجد الاغنياء ذواتهم مرغمين على «العصا الكبيرة» وان روزفلت هو المحور الذي يدور عليه حزب الريبلكان

تم ترشيحه للرئاسة على رغمهم ورغم كل حساده ومقاوميه وترشح شارلس فاير بنكس من انديانا للنيابة ٠وقد افصح روزفلت عما ينوي عمله اذا تم انتخابه من جهة التعريفة وشركات الاحتكار وغير ذلك

وفي سادس تموز من تلك السنة عقد حزب الديموقراط موءتمرهم في مدينة سانت لويس وكانوا قد رشحوا المستر براين مرتين للرئاسة وفشلوا في الانتخاب ففقد حزبهم ما كان له من القوة ٠ففي هذه المرة رشحوا القاضي التن باركر من نيويورك للرئاسة فلم يعارض ذلك سوى هارست من نيويورك ايضا وهو ذو ثروة طائلة وصاحب عدد من الجرائد في اكثر المدن المهمة٠ ورشحوا لنيابة الرئاسة هنري دايفس من وست فرجينيا وهو شيخ في الثمانين من عمره ٠ وادعى براين انه هو الاولى بالترشيح وان تلاعبا جرى في ذلك الموءتمر فقامت لذلك ضجة بين حزب الديموقراط وانقسم الى شطرين احدهما يعضد براين والاخر باركر ٠ فثبت الترشيح لباركر ومناصرو براين اما امتنعوا عن التصويت آن الانتخاب او صوتوا لروزفلت نكاية وعلى كل فاز ثيودور روزفلت بالرئاسة باكثرية عظيمة

وروزفلت رجل ذوخلال كريمة وصفات حميدة وقد اجتمع فيه من السجايا الطيبة ما يندر اجتماعه برجل واحد فهوعالم نحرير وكاتب قدير وسياسي خطير وذو حماسة فائقة غير انه سريع الغضب والتاثير وغير خال من الحقد ومحبة الانتقام كثير الكلام وجوالة ...م نافذ الكلمة والعموم يرتاحون لاقواله ٠ وهو مصارع شديد الباس وله ميل الى ...ن ٠ اما شجاعته واعتماده على نفسه وقوة ارادته ففوق طور الوصف فهو منفردا حزبه مجموعا ٠ وقد كرس قواه للخير العام وكان يرمي الى كسر شوكة ...رب على الايدي العابثة بالشريعة والمنافع العمومية ٠ والى تسهيل طرق ...ه للجميع ومقاصده الحسنة وافعاله المجيدة قد ابعدت شهرته واذاعت صيته

ومن يدرس اعمال الرجل ومباديه الحرة العادلة يعجب بما اوتيه من الحكمة والشجاعة والثبات وعزة النفس غير انه لسوء الحظ لم يخل من مقاومين وحساد اذاعوا عنه اخبارا ملفقة وحملوا كلامه على غير المعنى المقصود منه سيما بعض الجرائد الصفراء وهاك شاهدا صغيرا عيانيا على ذلك · في اوائل خريف سنة ١٨١٢ ارسل روزفلت دعوة خصوصية لخدمة الدين في مدينة نيويورك فلباها نحو الف منهم واجتمعوا في قاعة كبيرة في الشارع الثامن والعشرين من تلك المدينة وكان الموءلف في جملة من حضر ذلك الاجتماع فقام روزفلت فينا خطيبا في مواضيع كثيرة هامة وقد افتتح كلامه بالرجاء بان لا احد من سامعيه يخبر مراسلي الجرائد الذين لم يسمح لاحد منهم حضور ذلك الاجتماع بشيء مما يقول لانهم ياخذون الكلام على عواهنه ويوءولونه كما يريدون وعلى رغم كل هذا التحفظ صدرت الجرائد موردة بعض فقرات من خطاب روزفلت ومعلقة عليها الحواشي كما شاءت وشاء الهوى

وما ابتدا روزفلت السنة الاولى من رئاسته الثانية حتى دبت في البلاد روح الاصلاح فاستفاق الناس من غفلتهم وشرعوا يتعقبون المحتالين والغشاشين والعائثين في الارض فسادا ويقاومونهم ويجرونهم الى المحاكم للاقتصاص منهم والضرب على ايديهم واذا اردنا الاسهاب في وصف ما جرى من هذا القبيل لملاءنا مجلدا مستقلا والفضل في ذلك عائد الى حكمة وجراة الرئيس روزفلت واماطته اللثام عن خبايا الاغنياء ومكر ذوي الثروة ومشايعيهم · وقامت الحرب سجالا بين الاغنياء والعمال في كل مكان ولا تزال المعركة ناشبة بين الفريقين والله يعلم كيف اومتى تنتهي · فهنا اضراب وهناك اعتصاب ونحو ذلك مما يدل على ان ضرام الشجار لم يزل متوقدا والعموم يريدون ان يتحققوا من يسود البلاد الحكومة ام شركات الاحتكار والاغنياء · ويخشى العقلاء ان ينتهي الامر بثورة عظيمة في البلاد تاكل الاخضر واليابس وتقضي على حياة ذوي

الثروة وحاشدي الاموال

وفي ١٨ نيسان سنة ١٩٠٦ اضطربت البلاد باسرها عند سماعها خبر النازلة التي حلت بسان فرنسيسكو · فتلك المدينة الجملية التي يقطنها نحو نصف مليون من النفوس وهي عروس مدن الغرب اضحت رمادا وخرابا صفصفا بسبب زلزال لم يرد في التاريخ ذكر مثله في قارة اميركا الشمالية · وحدث ذلك الزلزال عند الساعة الخامسة من صباح يوم الاربعاء الواقع في التاريخ المذكوروالناس بعد نيام فهبوامن رقادهم مذعورين ·ولا اظن اليراع قادرا ان يصف حالة سكان سان فرنسيسكو في تلك الساعة فنترك ذلك لتصور القاريء سيما وان ذلك الحادث المفجع قد فصلته الجرائدالسيارة تفصيلا ولا يزال الجميع يتذكرونه

وفي خلال سنة ١٩٠٦ انفجر بركان ثورة في كوبا وانتشرت سريعا في سائر انحاء الجزيرة وقد عجزت الحكومة عن استئصال شافتها واخماد سعيرها · فتوسل بالما رئيس كوبا الى الرئيس روزفلت بان يدع حكومته تتداخل في الامر وتقمع شوكة الثائرين · فلبى الرئيس الطلب وارسل قوة عسكرية اخمدت نار الفتنة واعادت السلام الى نصابه

وفي تاسع آب من تلك السنة اجتمع في مدينة بورتسموث من ولاية نيوهمشير مفوضو روسيا واليابان لتدوين بنود الصلح بين الدولتين المتحاربين · وكان ذلك اجابة لطلب الميكادو امبراطور اليابان الذي سأل روزفلت برسالة خصوصية ان يتوسط الامر بين روسيا ودولته وتلبية لدعوة الرئيس روزفلت الذي توسط الامر واوقف الحرب العظيمة بين روسيا واليابان فاتم المندوبون مهمتهم ووقعت معاهدة السلم في خامس ايلول فجاءت دليلا على فضل الرئيس روزفلت ومكانته اذ حجب سفك الدماء واعاد السلام بين الامتين المتحاربتين

وقد اجاز الكونغرس خلال سنة ١٩٠٦ شرائع عديدة اخصها تخفيض اجور السكك الحديدية وشريعة الطعام النقي اي ان كل انواع الاطعمة والحلوى والعقارات الطبية وماشا كل ذلك يجب ان تصنع خالية من الغش · وثار شعب الفلبين على الحكومة فاوفدت اميركا قوة ادبتهم وبددت شمل الثوار · وقد قتل من الاهلين ستماية ومن الاميركيين سبعة عشر رجلا

وفي الخريف من تلك السنة جرى حادث هدد سلام البلاد وذلك ان سكان شطوط الاوقيانوس الباسيفيكي علا صياحهم وكثرت شكواهم من اندفاع تيار المهاجرة من اسيا الى مرافئهم وكانت اميركا قد وضعت شريعة تحذر مهاجرة الصينيين الى بلادها ولكن الشكوى الان ليس من الصينيين بل من اليابانيين فهؤلاء لم تشملهم الشريعة المذكورة فصاروا يهاجرون الى اميركا بالعشرات والمئات عن طريق جزائر هاواي · فلما وفر عديدهم شرعوا يزاحمون الوطنيين ويشتغلون باجور طفيفة فقامت عليهم قيامة الشعب ورفعوا اصواتهم عالية بالشكوى منهم سيما في سان فرنسيسكو · فسن مجلس تلك المدينة شريعة تمنع اولاد اليابانيين من الدخول الى المدارس العمومية التي يتعلم فيها اولاد البيض · على انه توجد معاهدة بين اميركا واليابان بها تضمن الاولى لرعايا الثانية القاطنين في ولاياتها نفس الحقوق التي للاميركيين · فاحتج سفير اليابان على تلك الشريعة والمعاملة الجائرة لشعبه في سان فرنسيسكو

فراى الرئيس روزفلت الخطر الذي يتهدد البلاد من جراء ما تقدم فاحتج على مجلس بلدية سان فرنسيسكو لاجل عمله المخالف للمعاهدة التي بين اميركا واليابان · وارسل وزير الداخلية الى سان فرنسيسكو ليتحرى حقيقة الواقع فوجد ان عدد اولاد اليابانيين الذين يواظبون الحضور الى المدارس العمومية لا يتجاوز المئة وان المجلس سن تلك الشريعة باغراء متهوسي العمال والجرائد الصفراء التي نادت بالويل والثبور

وعظائم الامور وكادت تجر الامة الى حرب لا مسوغ لها

وفي الشتاء دعي محافظ مدينة سان فرنسيسكو ومديري مدارسها لزيارة العاصمة للمخابرة مع الرئيس وناظر الخارجية بالامر الواقع الخلاف عليه فلما حضروا وتفاوضوا مع الرئيس في المسأ لة سلم المديرون بانهم يلغون تلك الشريعة على شرط ان الحكومة تمنع او على الاقل تخفض عدد المهاجرين اليابانيين الى الاصقاع الغربية خصوصا واميركا عموما . وصودف ان الكونغرس كان مهتما بوضع شريعة جديدة للمهاجرة فكانت الفرصة سانحة لاجابة سكان الولايات الغربية الى مطالبهم بدون اغاظة اليابان وعليه فقد زيدت على شريعة المهاجرة الفقرة التالية وهي . ان الرئيس مفوض ان يمنع من الدخول الى الولايات المتحدة العملة الذين يرى في دخولهم ضررا على صناعة البلاد وقد حصر ذلك المنع تدريجا باليابانيين والكوريين وبذلك انحلت تلك المعضلة ولم تعد حكومة اليابان تعطي باسابورتات للعملة الذين يقصدون المهاجرة الى الولايات المتحدة راسا ولقد سرت اليابان بما فعلته اميركا وعادت الى مصافاتها

ان اليابان امة عظيمة وشعبها على جانب عظيم من الحذق والشجاعة وهم ذوو مطامع اشعبية . ونموهم السريع وتقدمهم الغريب في وقت قصير قد ادهشا العالم على انهم اذا كثر عديدهم في اميركا كانوا خطرا عليها . فان تمدنهم وعاداتهم مخالفة لتمدن وعادات الاميركيين نظير انسبائهم وبني جنسهم الصينيين فاذا ساكنوا الاميركيين جنبا لجنب وعاشوا معا تحت حكم واحد وتساووا في الحقوق تقع اميركا عاجلا او آجلا في معضلة جنسية لم ترى اعقد منها معضلة بعد . فلا غرو اذا ان ضج سكان الارياف الغربية منهم وقاوموا تدفق تيار مهاجرتهم الى تلك الارجاء

وسنة ١٩٠٧ انشيء معرض عظيم في فرجينيا تذكارا لمرور ثلاث مائة سنة على استعمار جيمس تون باول مهاجرين من الانكليز . وجرى هناك استعراض سفن انكليزية

واميركية وقام الناس بمهرجان عظيم

ومن اهم حوادث سنة ١٩٠٧ انعقاد موءتمر السلام الثاني في مدينة الهاغ · فالموءتمر الاول عقد فيها عام ١٨٩٩ باقتراح جلالة الامبراطور نقولا الثاني قيصر الروس والغاية منه تقليل الاستعدادات الحربية وتحديد كمية السلاح لكل دولة وايجاد السلام بين امم العالم وتسوية ما يحدث من الاختلافات الدولية بطريقة سامية · والموءتمر الثاني عقد في ١٥ حزيران سنة ١٩٠٧ وقد ارسلت خمسون امة مندوبين اليه · وترأس جلساته الموسيو مايدوف الروسي · ووالى الموءتمر جلساته حتى ١٨ تشرين الاول · فاسفرت عن تقرير ثلاث عشرة قضية ارسلت صورها الى ممالك سائر الامم المشتركة بالموءتمر وقد صادقت عليها عدد من الحكومات الراقية وقبلتها واخصها ما يتعلق بحقوق وواجبات الممالك وعلاقاتها مع بعضها برا وبحرا · وبينما كان الموءتمر بعد منعقدا وضع حجر زاوية القصر السامي الجميل في مدينة الهاغ في ٣٠ تموز من السنة المذكورة وقد شيد ذلك البناء الفخم باريحية وسخاء اندرو كرنيجي المثري الاميركي الشهير

وفي خريف تلك السنة حدث عسر مالي في البلاد شديد الوطأة جدا فامتنعت المصارف عن دفع قيم التحاويل الا اذا كانت زهيدة · واضحى نحو نصف مليون من العمال بدون عمل مدة ثلاثة اسابيع فساءت الحال ووقف دولاب الاشغال غير انه لحسن الطالع لم تكن تلك الازمة طويلة الامد فقد تلافاها الرئيس وفئة من العقلا فانقشعت غمامتها وعاد الناس الى اعمالهم ورتعوا في بحبوحة الرغد والسعة وفي ١٦ تشرين الثاني سنة ١٩٠٧ تم ادخال او كلاهوما في عداد الولايات المتحدة

وحدث لغط شديد بين زنوج الولايات الجنوبية بسبب حادثة تعرف بحادثة براونسفل من ولاية تكساس · ففي احدى ليالي شهر آب سنة ١٩٠٦ اغار نفر منهم على المدينة وشرعوا يطلقون رصاص بنادقهم يمينا وشمالا فاصابوا رجلا ابيض بجراح قضي

عليه منها وجرحوا كثيرين ٠ فكان لخبر ذلك وقع سيء في البلاد ٠ ولما لم يستطع الرئيس روزفلت معرفة الجانين «بعد اجهاد قواه بذلك وقد كتم الزنوج الامر» امر بطرد الفرق الثلاث من الجندية

فثار ثائر الزنوج في كل اميركا على الرئيس روزفلت سيما وانه اصدر منشورا شديد اللهجة في كانون الاول صوب فيه عمله المذكور فتناول مجلس الشيوخ المسالة فورا وطرحها على بساط البحث ٠ وقد اصدرت اللجنة التي وكل اليها النظر في ما يتعلق بالجندية قرارا مثبتة فيه عمل الرئيس ماخلا السناتور فوركر من اوهايو فانه اصدر تقريرا مخالفا لتقرير اعضاء اللجنة المذكورة ٠ اما روزفلت فبعث رسالة الى الكونغرس بها يسمح بارجاع من تثبت براءته من اولئك الجنود الى الجندية وهذا ايضا لم يرق للنائب فوركر واخيرا تقرر ان مجلس الشيوخ يستقصي حقيقة الحادث

ويعتقد معظم الشعب الابيض ان حادثة برونسفل دام تأثيرها في عالم السياسة مدة سنتين ٠ اما السناتور فوركر فمهما كانت غايته في الدفاع عن الزنوج فقد افلح سعياً في استمالتهم اليه حتى انهم طلبوا بصوت واحد ترشيحه للرئاسة في الانتخاب المقبل واخيرا سويت مسألة برونسفل بحسب الطريقة التي رسمها الرئيس روزفلت

وسنة ١٩٠٨ قامت ضجة عظيمة بسبب الترشيح للانتخابات العمومية ٠ ففيها جرى انتخاب الرئيس واعضاء مجلس النواب وحكام عدة ولايات بوقت واحد وقبل انعقاد المؤتمر العمومي لكل حزب الذي فيه يتم الترشيح للوظائف المختلفة بعدة اشهر شرعت الاحزاب تتأهب لخوض غمار المعركة المعتادة في تلك الظروف ٠ وقد وجه قسم من زعماء حزب الريبلكان ابصارهم الى الرئيس روزفلت لاعادة ترشيحه للرئاسة للمرة الثالثة لانه هو الفريد في ذلك الحزب الذي يليق به منصب الرئاسة ولكن الرئيس روزفلت قطع جهيزة قول كل خطيب بذلك الصدد اذ صرح في ١١ ك١ سنة ١٩٠٧ بانه لا يقبل الترشيح

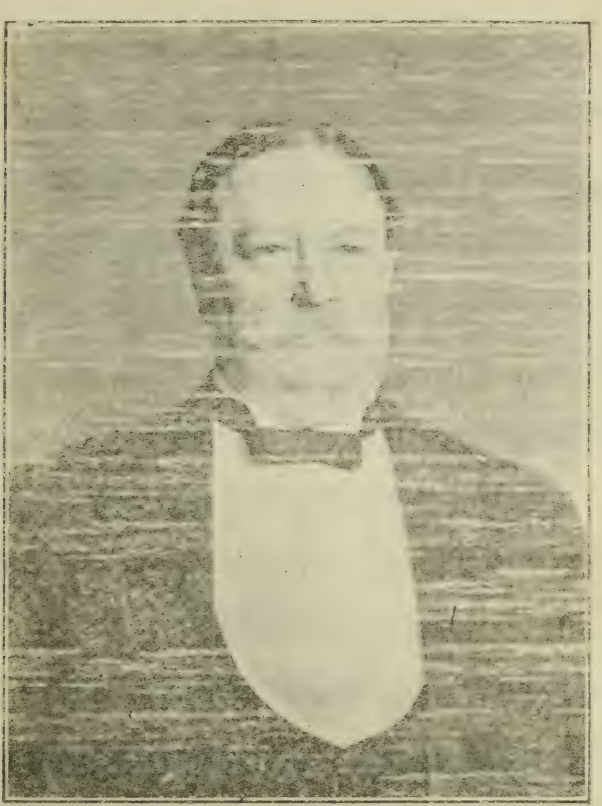
تحت اية الظروف . فاتجهت ابصار زعماء حزب الريبلكان اذ ذاك الى القاضي وليم تافت وزير الحربية وقتئذ . وقد كان حاكما على الفلبين واتى من الخدم الجليلة والاعمال النافعة ما استوجب عليه الشكر والثناء وجعل له شهرة في البلاد وقد استصوب روزفلت فكرة ترشيحه ويقال ان تلك فكرته وهو الذي اوحى الى الزعماء لكي يرشحوه . وفي ١٦ حزيران سنة ١٩٠٨ عقد حزب الريبلكان موءتمرا في شيكاغو وبعد يومين من التامه رشح وليم تافت من اوهايو للرئاسة وجيمس شارمان من نيويورك للنيابة

واما حزب الديموقراط فعقدوا موءتمرهم في دنفر في ٦ حزيران ورشحوا وليم براين بالصوت الحي وهو افضل رجل في ذلك الحزب اهل للرئاسة . وترشح جان كارن من انديانا للنيابة وبعد الترشيح جال دهاة السياسة و كبار الخطباء في المدن المختلفة كل يوءيد حزبه ويظهر محاسن سياسته ومباديه . وبعد معركة سياسية عظيمة فاز مرشحا الريبلكان وتم انتخاب وليم تافت رئيسا

وقد كثر في رابع اذار سنة ١٩٠٩ وهو اليوم الذي احتفل فيه بتنصيب الرئيس تافت تساقط الثلج . وهب ريح عاصفة جعلت الوقوف على المنصة المنصوبة خصيصا لحفلة التنصيب امرا مستحيلا . وقد توقفت القطر عن الجري بسبب تراكم الثلوج فتخلف كثيرون عن حضور حفلة التنصيب . ولفظ الرئيس خطاب التنصيب في قاعة مجلس الشيوخ . و كان الاعتقاد شائعا بان الرئيس يبقي النظار في مناصبهم ولكنه لم يفعل ذلك بل اختار وزراء وموظفين جدد وجعل كلا في المركز الذي ظنه جديرا و كفوءا له

واول عمل باشره الكونغرس تحت رئاسة تافت هو تنقيح واصلاح التعريفة التي يستغرق وصفها مجالا اكثر من الفائدة التي تحصل للقارىء من ذلك.

وسنة ١٩١٠ جرى احصاء النفوس الثالث عشر للولايات المتحدة فبلغ عدد سكانها ٩١٩٧٢٢٦٦ نفسا بزيادة ٢٠ بالماية عن الاحصاء الذي قبله وقد ابرمت



—(وليم تافت)—

معاهدتان عرفيتان بين الولايات المتحدة وكل من فرنسا وانكلترا وتم توقيعهما في ٣ اب سنة ١٩١١ وقد كادت تبرم معاهدة متبادلة المنافع بين اميركا وكندا ولكنها لم تتم لان البارلمانت الكندياني رفض قبولها · والغيت عام ١٩١٢ المعاهدة المبرمة بين روسيا واميركا لان الاولى ابت الاعتراف بجنسية اليهود الاميركية

ولم يحدث في زمن رئاسة تافت من الامور العظيمة ما هو حري بالذكر وجدير بان يسطر على صفحات التاريخ · واما الامور الاخرى التي جرت في عهد رئاسته فقد اشاعتها صحف الاخبار ولا تزال عالقة في الاذهان لقرب عهدها فكفانا ذلك موءنة الاسهاب فيها مقتصرين على ذكر ما تقدم من الامورالتي رافقت رئاسته

وفي سنة ١٩١٢ عقد حزب الربلكان موءتمرا في شيكاغو لكي يرشحوا شخصا للرئاسة · فانقسم هناك المندوبون الى قسمين · قسم يريد ترشيح الرئيس تافت والاخر يرغب في ترشيح ثيودور روزفلت الذي ذهب الى شيكاغو بنفسه واذ راى انه سوف لا يرشح للرئاسة انشأ لنفسه حزبا جديدا مستقلا سماه البروغرسف (المرتقي) وهذا رشحه للرئاسة بينما الذين تبقوا من المندوبين رشحوا وليم تافت · وقامت بين قسمي حزب الربلكان المذكورين مشاحنات ومجادلات يطول شرحها · وفي تلك الاونة اطلق احد الاوغاد عيار مسدسه على روزفلت فاصابته جراح قدر الله له الشفاء منها فعاد الى قيادة حزبه الذي انتشر في البلاد بسرعة غريبة وعدت اتباعه بالملايين ولعله يتولى الرئاسة في الانتخاب القادم والله اعلم

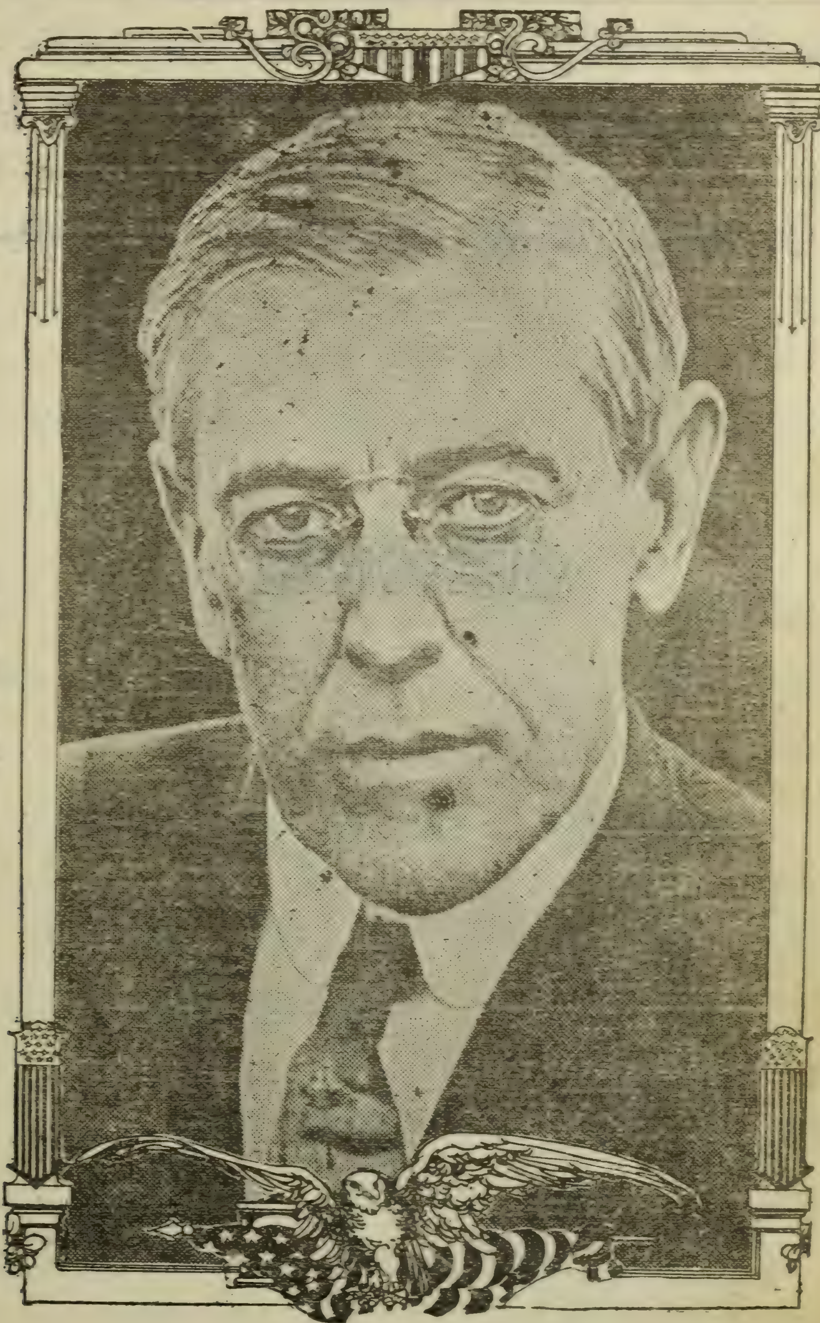
اما الديموقراط فعقدوا موءتمرهم في بلطيمور في ١٧ تموز من السنة عينها ورشحوا وُدرو ولسن حاكم ولاية نيوجرزي للرئاسة وطوماس مارشال للنيابة · ثم دارت رحى الموقعة السياسية المعهودة وتطاحنت الاحزاب المختلفة فكان الفوز لمرشحي الديموقراط بفضل انقسام حزب الربلكان على ذاته فاضحى الاستاذ ولسن رئيسا والرئيس تافت

صار استاذا في جامعة يال الشهيرة التي هو احد متخرجيها

ولد الرئيس الجديد(الثامن والعشرون) في ٢٨ كانون الاول سنة ١٨٥٦ في ولاية فرجينيا وتلقى دروسه في جامعة برنستون • ثم تتلمذ لجامعة هبكنس فنال عام ١٨٨٦ رتبة دكتور في الفلسفة وسنة ١٨٨٧ نال رتبة في الشريعة •وقد تعاطى فن المحاماة مدة ثم تعين استاذا للتاريخ في مدرسة مور الجامعة وبعد ذلك تعين رئيسا لجامعة برنستون واستعفى من ذلك المنصب لاسباب لا يهمنا ذكرها وبعد ذلك انتخب حاكما لولاية نيوجرزي ثم لرئاسة الجمهورية وله عدة تآليف اهمها تاريخ الولايات المتحدة المطول •فاذا كان نجاحه السياسي يضاهي نجاحه العلمي فبشر البلاد بنجاح باهر وقد تم تنصيبه في رابع اذار سنة ١٩١٣ وفاه عند تنصيبه بخطاب كله مواعيد ما اجملها اذا تمت •وقد قرا رسالته الاولى للكونغرس بنفسه حاذيا بذلك حذو جورج واشنطن • واسند نظارة الخارجية الى وليم براين الشهير وعين غيره في وظائف مختلفة بعث باسمائهم الى مجلس الشيوخ فصادق عليها •

وحدث في المدة القصيرة التي مرت على رئاسة ولسن حتى تبييض هذا الكتاب خلاف بين الولايات المتحدة واليابان سببه ان ولاية كاليفورنيا ابت السماح للرعايا اليابانيين ان يتملكوا فيها • فاحتجت اليابان على ذلك بواسطة سفيرها في واشنطن وقالت ان ذلك مخالف لنص المعاهدة التي بين الدولتين واشتد الجدال بين الحكومتين حتى خشي من نشوب الحرب بينهما • فاوفد الرئيس ناظر الخارجية براين الى كاليفورنيا ليحمل مجلس مشترعيها على الغاء تلك الشريعة حسما للخلاف ودفعا للحرب • وحدثت ايضا قلاقل في المكسيك اوجبت مداخلة حكومة اميركا ولكن الرئيس ابى ذلك ولم يزل الاضطراب سائدا حتى كتابة هذه السطور والله بما يولده الغد الاعلم وازمة المكسيك مهددة المصالح الاميركية وغيرها

اما حالة البلاد العمومية تحت حكم الرئيس الديمقراطي وحزبه فسيئة · وما زالوا منذ توليهم السلطة يتناقشون بمسألة التعريفة وربما انتهت مدة سلطتهم قبل الفراغ منها ووضعها موضع الاجراء · ولم نر حتى الان في زمان رئاسة الرئيس (الاستاذ) ولسن سوى سوء الحال ووقوف دولاب الاشغال ووفرة شكوى العمال اصلح الله الاحوال



ـ(ودرو ولسن)ـ

القسم السادس

حكومة الولايات المتحدة والدستور وبعض الشرائع

توطئة

قد اوردنا كل ما نهم معرفته من تاريخ هذه البلاد العظيمة منذ اكتشفت الى الزمن الحاضر . فلم ندع شاردة ولا واردة الا اثبتناها او اشرنا اليها بحيث يغدو من يطالع هذا الكتاب خبيرا بتاريخ البلاد كأنه تصفح اشهر المطولات . وقد راينا اتماما للفائدة ان نردف التاريخ المذكور بهذا القسم المبين فيه حكومة البلاد وشرائعها ونحو ذلك

والقصد الرئيسي في تدوين ما سترى هو ارشاد القارئ الى معرفة واجبات موظفي الحكومة الاميركية من الرئيس فنازلا . واطلاعه على بعض الشرائع التي تهم معرفتها واخصها الدستور او الشرائع الاساسية

ان الولايات المتحدة اكبر امة في العالم في المساحة وعدد السكان والثروة التي سكانها يتكلمون لغة واحدة ويتولون حكم انفسهم على طريقة مختلفة عن سائر حكومات العالم . فالامور التي هي محلية او التي كانت محلية عند وضع الدستور هي تحت حكم الولايات ذات الاستقلال المحدود . وتلك الولايات بدروها تعترف بالحكومة المحلية

على اختلافها كحكومة المدينة مثلا او حكومة القضاء او المقاطعة وهلم جرا

فحكومة الولايات المتحدة تستمد قوتها من الولايات والشعب وهي محدودة من جهة علاقاتها بالامة كلها او بعدد من الولايات كما موضح في الدستور واصلاحاته على ما سترى

اما ما يتقاضاه متولجو الاحكام من خزينة الدولة فهو اكثر قليلا من ثلث الاموال العمومية وعلى رغم تحديد نفقاتهم التي هي اقل من نفقات زملائهم في الممالك الاخرى ترى ان حكومة اميركا تدار بهمة ونشاط ودراية تفوق ممالك الارض

وعمل الحكومة في هذا الجيل المستنير عصر الاختراعات والاكتشافات والعلوم والفنون لا ينحصر في ما تعنيه كلمة « حكومة » اي تولي السلطة فقط وفرض المكوس والضرائب وشهر الحرب ونحو ذلك بل ان الحكومات العصرية تسهل لشعبها طرق اكتساب الثروة وامتداد التجارة وغزارة الزراعة ونحو ذلك

وحكومة الولايات المتحدة ذات انشاء وبناء فهي تحاول انشاء وصنع كل شيء من المدفع الذي يقذف ثلثي طن فولاذ الى مسافة ١٥ ميلا الى ميزان دقيق يميل تحت ثقل جزء من مليون من القمحة · كما انها تستعلم بواسطة مقياس الحرارة « ثرمومتر » حرارة شمعة على بعد خمسة اميال ولديها آلة عظيمة لاختبار الاوزان وهي تضبطها ضبطاً غريباً حتى الى جزء من عشرة ملايين من البوند

والحكومة ايضا تلاحظ جميع الوظائف على اختلاف انواعها من حـل عويصات المعضلات والمشاكل السياسية الى سوق البغال ومن رسم الخرائط ومسح الاراضي الى علف الخنازير ومن صك النقود الى عمل المرطبات من حفر الترع الى لعب الاولاد · وتستخدم في ادارتها نصف مليون موظف من رجال ونساء وتنفق عليهم ما يزيد على الماية مليون دولار مساناة

وهذه هي نفس الحكومة التي انشأها من نحو قرن وربع قرن جماعة فقراء على ساحل الاوقيانوس الاتلانتيكي ومجموع شعب تلك الحكومة لا يزيد عدده عن الثلاثماية انف نسمة فانشاوا حكومة على اسس الرجاء وليس على شيء راهن وشتان بين تلك الحكومة وحكومة اليوم التي تقرا عنها في الصفحات التالية من هذا الكتاب

فتلك الحكومة الفتاة كانت بهذا المقدر معوزة حتى انها كانت تقترض الدراهم على مسؤولية موظفيها او على مسوءلية احدى الولايات ٠ ولما شرعت في بناء العاصمة في واشنطن اضطرت ان تستلف الدراهم من ولايتي ماريلاند وفرجينيا التين كانتا اغنى من حكومة الولايات المتحدة ٠ اما الان فحكومة الولايات المتحدة موثوق بها اكثر من حكومة اية بلاد اخرى ويمكنها استلاف دراهم على شروط ايسر من اية دولة غيرها

فالولايات المتحدة بلاد عظيمة وحكومتها من اعظم الحكومات فهي تحتوي على جزء من ستة عشر من سكان الكرة الارضية ولكنها مذخرة فيها ربع ثروة العالم وفي ملكيتها ثلث السكك الحديدية في العالم ٠ والرسائل البريدية في الولايات المتحدة تعادل ثلث المرسل في بريد العـالم باسره ٠ وفي قبضتهـا ثلث مصارف (بنوكة) العالم وينشر فيها من الجرائد والمجلات أكثر من نصف المنشور في المعموره كله

واراضيها الزراعية جزء من عشرين من أراضي العالم المتمدن ومع ذلك فحاصلاتها من القمح تساوي خمس الحاصل منه في الدنيا والفحم المستخرج فيها يعادل ثلث المستخرج في الارض كلها وتستخرج ربع الذهب المستخرج في العالم وتصنع في معاملها ثلث مصنوعات العالم ونحو نصف الاشياء الفولاذية ٠ وتستخرج اكثر من نصف زيت الغاز المستعمل في الكون وحاصلاتها من القطن تعادل نحو ثلثي الحاصل منه في كل العالم ومن الذرة ما يعادل اربعة اخماس الحاصل منه في المعمور. وهي مرتع سرور ومعين بركات فائض لسكانها

وحكومة الولايات المتحدة بخلاف كل الحكومات التي تقدمتها في تاريخ السياسة قائمة على مبدأ السلطة المتجزئة والمسوولية المنقسمة اي ان السلطة فيها ليست مقتصرة على الادارة التنفيذية التي تضمن للولايـات والشعب الحقوق المدونـة في الدستور بل هناك ايضاً ادارتان اخريان وهما التشريعية والقضائية والادارات الثلاث متساويةفي الاهمية والعظمة ٠ ففي الحكومة الدستورية كانكلترا والجمهورية النيابية كفرنسا الادارة القضائية مالكة السلطة العليا ٠ اما في الامبراطورية المتحالفة كجرمانيا او المطلقة كروسيا فالقوة التنفيذية ذات السلطة العليا ٠ اما في حكومة اميركا فالادارات المذكورة متكافئة قوة على انه في بعض الظروف تظهر احداها تفوقاً على الاخرى

فالقوة التنفيذية في حكومة اميركا بيد رئيس الجمهورية فهو يعين النظار الذين يتراسون الادارات المختلفة وهو مسوءول عنهم وعن اعمالهم في سائر اشغال الحكومة اما الاداراة التشريعية فموءلفة من مجلسي الشيوخ والنواب (الكونغرس) والادارة القضائية هي محكمة الولايات المتحدة العليا وسترى تفصيل كل هذه الادارات في ما يأتي ٠ فعلى هذه القواعد الثلاث قائمة حكومة الولايات المتحدة الاميركية

الفصل السادس والستون

ـ دستور الولايات المتحدة ـ

توطئة ـ نحن شعب الولايات المتحدة حباً بتوثيق عرى اتحادنا واقامة قسطاس العدل وضمانة الراحة والسكينة بين ظهرانينا ولاجل الدفاع الوطني وتسهيل سبل النجاح العام ولاغتنام بركات الحرية نحن وذريتنا من بعدنا نسن ونبني هذا الدستور للولايات المتحدة في اميركا الشمالية

ـ« المادة الاولى »ـ

البند الاول ـ كل القوات الاشتراعية الممنوحة الان تنحصر في كونغرس الولايات المتحدة المؤلف من مجلس الشيوخ ومجلس النواب

البند الثاني ـ يتألف مجلس النواب من اعضاء ينتخبهم شعب الولايات المتعددة مرة كل سنتين ويشترط على المنتخبين ان يكونوا حائزين على الصفات المطلوبة ليصير لهم حق انتخاب نواب لمجلس المشترعين الاعلى

يشترط في النائب ان يكون قد بلغ السنة الخامسة والعشرين من عمره وان تكون قد مضت سبع سنوات على دخوله في الجنسية الاميركية وان يكون آن انتخابه قاطنا في الولاية التي تستنيبه

لكل من الولايات المنضوية الى الاتحاد الاميركي نصيب من النواب والضرائب

ويجب ان يلتئم مجلس الامة مرة في السنة على الاقل ويبتدىء التآمه يوم الاثنين الاول من شهر كانون الاول الا اذا تعين بالشريعة يوما آخر

البند الخامس — لكل من مجلسي الشيوخ والنواب حق الحكم بما يتعلق بانتخاب اعضاء كل منهما ونتائجه واهلية المنتخبين وصلاحيتهم · والاكثرية في كلا المجلسين توءلف هيئة ذات اهلية للعمل وان لم تحصل الاكثرية بسبب قلة عدد الاعضاء المجتمعين فيمكنهم تأجيل الجلسات من يوم الى اخر · وللاعضاء الحاضرين سلطة على اجبار الاعضاء الغائبين على الحضور تحت جزاء يتفق عليه اعضاء كل من المجلسين

لكل مجلس حق في وضع قوانين لادارة شوءونه وعقاب الاعضاء الذين لا يحسنون السلوك بموجب النظام وله حق طرد اي عضو منه اذا اجمع على ذلك ثلثا الاعضاء

يحفظ كل من المجلسين وقائع جلساته وينشرها من وقت الى اخر الا ما كان منها برايه يستلزم الكتمان · واذا رغب خمس الاعضاء الحاضرين في احد المجلسين ان يدونوا نسبة الاصوات — النعم — واللا — او الايجاب والسلب على كل قضية من ابحاثهم فلهم ذلك

لايحق من المجلسين اذا كان ملتئما ان يوءجل جلساته الى اكثر من ثلاثة ايام الا بمعرفة ورضى المجلس الاخر ولا يجوز لاحدهما الانتقال من مكان الاجتماع الى اخر غير الملتئم فيه المجلسان

البند السادس — يتقاضى اعضاء كل من المجلسين مرتبات جزاء خدمتهم تفرض لهم بالشريعة وتدفع لهم من خزينة الولايات المتحدة ولايوءخذ تحت المحاكمة من اعضاء المجلسين الا من ارتكب خيانة الوطن او وقع تحت جريمة او كدر صفاء السلم العام و لايجوز ايقافه في ما دون ذلك وهو في احدى جلسات مجلسه او ابان ذهابه وايابه منه او لما يلقي من الخطب او المحاورات في احد المجلسين ولايسال عن ذلك خارج المجلس

لا يجوز لاحد من اعضاء المجلسين قبول وظيفة لاية خدمة اهلية في حكومة الولايات المتحدة اذا خلا المنصب ممن يشغله او كان المرتب اكثر كما انه لا يجوز لاحد موظفي الولايات المتحدة ان يصير نائبا في مجلس الامة طالما هو في وظيفته

البند السابع ـــ كل قرارات الدخل يجب ان تنشأ في مجلس النواب ٠ بيد انه يجوز لمجلس الشيوخ ان يعترض او يحور او يصلح تلك القرارات او يصادق عليها كسائر اللوائح الاخرى

كل لائحة يجيزها المجلسان يجب قبل ان تصير شريعة يعمل بها ان تعرض على رئيس الولايات المتحدة فاذا استحسنها يوقعها والا فانه يرجعها مذيلة باعتراضاته الى المجلس الذي وضعها وهذا يدون تلك الاعتراضات في سجل الوقائع ويعيد النظر فيها وبعد ذلك اذا اجمع ثلثا الاعضاء على تنفيذها يرسلها الى المجلس الاخر مع الاعتراضات المذكورة ٠ فتطرح في المجلس على بساط البحث ٠ فاذا اتفق راي ثلثي الاعضاء على اجازتها تغدو شريعة وعلى كل تجري الموافقة في كلا المجلسين بالتصويت ويدون في سجل الوقائع عدد ـــ النعم ـــ والا ـــ مع عدد كل منهما ٠ فاذا لم يرجع الرئيس اللائحة في غضون عشرة ايام (ماخلا الاحاد) بعد عرضها عليه تغدو شريعة كأنه وقعها الا اذا تعذر ارجاع اللائحة بسبب فض المجلس فلا تصير شريعة

كل ما يستلزم موافقة المجلسين عليه من امر او اقتراح (خلا قضية تأجيل الجلسات) يجب تقديمه لرئيس الولايات المتحدة قبل ان يوضع موضع الاجراء للمصادقة عليه فاذا رفضه الرئيس يعاد الى المجلسين لاجازته جريا على الطريقة نفسها في مسألة اللوائح والقرارات

البند الثامن ـــ تكون لمجلس الامة سلطة على

فرض وجباية المكوس والضرائب والخراج ووفاء الديون ٠ وايجاد وسائل

الدفاع عن الوطن وتوفير وسائط النجاح والخير العام في الولايات المتحدة · بيد انه
يقتضي ان تكون تلك المكوس والضرائب واحدة في سائر الولايات المتحدة

وعقد قرض بضمانة الولايات المتحدة

وتنظيم طرق التجارة مع الشعوب الاجنبية وسكان الولايات وقبائل الهنود
وسن نظام عمومي للتجنيس وشرائع عامة للافلاس في الولايات المتحدة كلها

وصك النقود وتحديد اثمانها ونسبتها الى النقود الاجنبية ·وتعيين اوضاع الاوزان
والمقاييس ووضع نظام لمعاقبة من يزيف ويغش ويقلد مصكوكات الحكومة
وتأسيس ادارات البريد وابتناء طرق له (للبريد)
وترقية ونشر العلوم والفنون المفيدة وذلك بحفظ حقوق المؤلفين والمخترعين بما يؤلفون
ويكتشفون لاجال محدودة

وتنظيم المجالس القضائية تحت المحكمة العليا

وتحديد وعقاب القرصان (لصوص البحر) والجناة على ما يقترفون من الجرائم
ضدا لشريعة الامم وشهر الحرب · واعطاء الرخصة للسفن الحربية لتهاجم العدو وتثأر
منه وسن قوانين الاسر برا وبحرا

وتعبئة جيش واعالته · غير انه لا يجوز له جباية اموال لتلك الغاية الا ما يلزم
للنفقات مدة سنتين فقط

وانشاء اسطول والقيام بنفقاته

وسن قوانين للحكومة · ونظامات للقوات البرية والبحرية

واستدعاء الحرس الوطني لتنفيذ شرائع الاتحاد وتسكين الثورات ورد الغزوات
وتنظيم وتسليح وتمرين الجيوش وله الحكم على من كان منهم متقيدا في خدمة
الولايات المتحدة ·ويترك للولايات حق تعيين القواد والسلطة على تدريب الجنود

بموجب النظام الذي سنه مجلس الامة

والقضاء المبرم في اي شيء في اية مقاطعة (غير متجاوزة مساحتها عشرة اميال مربعة) التي بتخلي الولايات عنها ورضى الكونغرس صارت مركزا للحكومة ٠ونشر سلطته على الاماكن المشتراة بمصادقة مجلس المشترعين في اية الولايات لتشييد القلاع والحصون والمعاقل والمواقع البرية والبحرية وغير ذلك من البنايات اللازمة وان

يسن كل الشرائع الضرورية والمناسبة لانفاذ المواد المذكورة قبلا وغيرها من السلطة الممنوحة بهذا الدستور لحكومة الولايات المتحدة او لاية دائرة من دوائرها او احد موظفيها ،

البند التاسع ــ لا يحق للكونغرس معارضة اية ولاية في ادخال او جلب مهاجرين اليها ترى فيهم الصلاحية لذلك حتى عام ١٨٠٨ على انه يحق له مقاضاة ضريبة على كل مهاجر لاتتجاوز قيمتها العشرة دولارات

الامر الصادر باطلاق سجين بتهمة لم تثبت عليه لا يلغى الا اذا حدثت ثورة او غزو واستلزم حفظ الامن العام الغاوءه

اللوائح والصكوك الشرعية لا يجيزها المجلس اذا ذهبت فائدتها بمرور الزمن لاتفرض ضرائب او مكوس الا على نسبة عدد النفوس وعلى الطريقة المرسومة في هذا المنشور

لا ضريبة ولا مكوس تفرض على صادرات اية الولايات ٠ ولا يكونن في نظام التجارة والضرائب ما يجعل افضلية لمرافىء ولاية على مرافىء غيرها من الولايات والسفن المبحرة من ميناء ولاية الى مينا ولاية اخرى لا تتقيد بنظامات الدخول والخروج ولا توءدي الضريبة المفروضة على السفن الاجنبية

لا تسحب من الخزينة اموال الا المبالغ المخصصة بالشريعة ٠ومن وقت الى اخر

تنشر لوائح مبينة دخل الحكومة وخرجها

لا تمنح الولايات المتحدة القاب شرف · ولا يجوز لاي شخص من موظفي الحكومة في منصب امانة او نافعة ان يقبل بدون مصادقة الكونغرس هدية او علوفة او منصبا او لقبا مهما كان نوعه من اي ملك او امير او دولة اجنبية

البند العاشر ـــ لا يحق لاية ولاية من الولايات المتحدة ان تعقد لذاتها معاهدة او محالفة ولا ان تسمح للافراد بغزو العدو ابان الحرب · ولا ان تصك نقودا · ولا ان تعقد قروضاً ولا ان تفي ديونها من غير الذهب والفضة · ولا ان تنفذ شريعة او صكاً عدم نفعهما بمرور الزمان ولا ان تسن شريعة تقلل من اهمية العقود التجارية والاتفاقيات او ان تمنح لقب شرف

لا يجوز لاية ولاية ان تفرض ضريبة او تضع رسوما على الصادرات والورادات بدون موافقة الكونغرس الا ما كان ضروريا جدا لانفاذ شرائع الفحص فيها · وصافي تلك المداخيل يودع في خزينة الدولة وكل الشرائع المسنونة لذلك لمجلس الشورى حق تنقيحها وضبطها · ولا يحق لاية ولاية بدون مصادقة الكونغرس ان تفرض رسوما لاثقال الشحن ولا ان تحفظ جنودها او سفنها الحربية في زمن السلم · ولا ان تدخل في اتفاق او تحالف مع ولاية اخرى او مع دولة اجنبية ولا ان تدخل ساحة الحرب الا اذا هوجمت وتعرضت لخطر يخشى معه شر التأخير او الابطاء

ـــ« المادة الثانية »ـــ

البند الاول ـــ القوة التنفيذية يتقلدها رئيس الولايات المتحدة الاميركية · ويتولى زمام الرئاسة مدة اربع سنوات · ويكون له نائب ينتخب ويشغل مركزه المدة نفسها ويجري انتخاب كليهما على النمط الآتي

كل ولاية تعين بحسب ما يرتأي مجلسها الاشتراعي عددا من المنتخبين فيها

موازيا لمجموع ما لها من الشيوخ والنواب في الكونغرس · ولا يجوز لاحد من اعضاء المجلسين او من موظفي الحكومة ان يكون منتخبا

ويجتمع المنتخبون كل في ولايته ويقترعون ويضعون اصواتهم في صندوق الاقتراع على شخصين يشترط ان يكون احدهما على الاقل من غير سكان الولاية التي يجري الانتخاب فيها ومن ثم ينظمون لائحة باسماء الذين تم انتخابهم وعدد الاصوات التي نالوها ويذيلونها بالتواقيع والشهادات ويبعثون بها مختومة الى المرجع الرئيسي لحكومة الولايات المتحدة معنونة باسم رئيس مجلس الشيوخ فيفض ختومها بحضرة اعضاء المجلسين ويصير احصاء الاصوات فمن حاز الاكثرية ينادى به رئيسا · واذا قدر وكانت الاصوات متساوية يقترع مجلس النواب على احدهما فالذي تصيبه القرعة يتولى الرئاسة ·واذا حدث وتساويا في اقتراع المجلس فينتخب مجلس النواب بالاقتراع ايضا واحدا للرئاسة من الخمسة الذين وردت اسماؤهم في اول لائحة الانتخاب اي باعتبار ان لكل نائب عن ولاية صوتا واحدا فالذي يحوز ثلثي الاصوات يغدو رئيسا · والذي نال الاكثرية بعده نائب رئيس · غير انه اذا حصل اثنان او اكثر على اصوات متساوية فلمجلس الشيوخ الحكم البات · وينتخب نائب الرئيس بطريقة الاقتراع ايضا

لمجلس الشيوخ حق بتعيين زمان انتخاب المنتخبين واليوم الذي يجري فيه الانتخاب العمومي في الولايات المتحدة كلها

لا يرتقي الى منصب رئاسة جمهورية الولايات المتحدة الا من كان مولودا فيها من رعاياها او من قد صار من رعاياها عند اعلان هذا الدستور · ويشترط فيه ان يكون قد بلغ السنة الخامسة والثلاثين من العمر وتكون قد مرت اربع عشرة سنة على سكنه في الولايات المتحدة

اذا فرغ منصب الرئاسة بسبب اقالة او موت او استعفاء الرئيس او عجزه عن القيام

باعباء وظيفته فتناط الرئاسة بنائبه • ويسوغ لمجلس الشورى وفقا للشريعة ابان اقالة او موت او استعفاء او عجز الرئيس او نائبه ان يعين قيماً يتولى مهام الرئاسة ريثما تزول الاسباب الحائلة او تنتخب البلاد رئيسا جديدا

يتقاضى الرئيس مرتبا معينا لا يزاد ولا ينقص في اثناء المدة التي ينتخب لها يدفع له من خزينة الدولة • ولا يجوز له ان يتناول شيئاً آخر لا من الولايات المتحدة ولا من احدى الولايات

وقبل استواء الرئيس على كرسي الرئاسة يؤدي يمين الاخلاص او التوكيد التالي بكل وقار اقسم «او أوكد» بانني سأقوم بامانة بمهام وظيفة رئاسة الولايات المتحدة وانني ابذل كل ما في طاقتي لحماية وحفظ ووقاية دستور الولايات المتحدة

البند الثاني — يكون الرئيس قائدا عاما للقوتين البرية والبحرية في الولايات المتحدة ولجنود الولايات التي تدعى للخدمة ابان الحرب وله حق الوقوف على اعمال رؤساء دوائر الاجراء والقواد وسلطة على تأجيل العقوبات واصدار العفو عما يرتكب من الجرائم الا في ما يتعلق منها بالخيانة الوطنية

ونكون له سلطة على عقد المحالفات بمشورة واتفاق مجلس الشيوخ وبرضى ثلثي اعضائه الحاضرين •وله ايضا ان يعين سفراء ووزراء عموميين وقناصل وقضاة للمحكمة العليا وغير ذلك من الموظفين في خدمة الولايات المتحدة الذين لم تذكر وظائفهم هنا التي ستوجدها الشريعة وذلك بمشورة ورضى واتفاق مجلس الشيوخ ايضا ولمجلس الشورى حق بموجب الشريعة ان ينيط بالرئيس وحده او بمحاكم الشرع او برؤساء الدوائر تعيين موظفين لهكذا وظائف

وللرئيس حق باملاء كل فراغ يحدث في احد المراكز اثناء عطلة مجلس الشورى بتعيين لجان ينتهي عملها عند انتهاء رخصة المجلس وعوده الى الاجتماع

البند الثالث — عليه « الرئيس » ان يطلع من حين الى آخر مجلس الشورى عن حالة الولايات ويبسط لديه المسائل التي تقتضي بحثاً ودقة نظر · وله في احوال خاصة ان يدعو كلا المجلسين او احدهما الى الالتئام · واذا اختلف المجلسان على زمن التأجيل فهو يوجلها الى امد يراه مناسبا · وهو الذي يستقبل السفراء وغيرهم من الممثلين العموميين · وعليه ان يسهر على انفاذ الشرائع باخلاص وامانة · ويعنى بامر كل الموظفين في حكومة الولايات المتحدة

البند الرابع — الرئيس ونائبه وسائر موظفي الحكومة يخلعون من مناصبهم عند ثبوت تهمة الخيانة او الارتشاء عليهم او غير ذلك من الجنايات والجرائم التي لا تغتفر

—المادة الثالثة —

البند الاول — القوة القضائية في الولايات المتحدة تنحصر في محكمة عليا واحدة وفي المحاكم الاوطى التي يقيمها الكونغرس من وقت الى آخر · والقضاة في المحكمة العليا وفي المحاكم البدائية (الصغرى) يدومون في وظائفهم طالما هم يحسنون السلوك وينقدون رواتب لا تنقص قيمتها طالما هم في وظائفهم

البند الثاني — القوة القضائية تتولى النظر في كل الدعاوى الشرعية والعدلية التي تحدث بموجب دستور وشرائع الولايات المتحدة والمعاهدات المعقودة او التي ستعقد بسلطتها · وفي كل دعاوى السفراء وغيرهم من الممثلين الاجانب والقناصل والقضايا المتعلقة بالبحرية والمحاكمات البحرية والشجار الذي فيه للولايات المتحدة يد والاختلافات التي تحدث ما بين ولايتين او اكثر · وبين ولاية وسكان ولاية اخرى ومابين سكان ولايات مختلفة ومابين سكان ولاية واحدة يدعون ملكا في ولايات اخرى · ومابين ولاية وسكانها · او بين سكان ولاية او اكثر وبلاد اجنبية او رعاياها

وكل الدعاوى المتعلقة بالسفراء وغيرهم من الممثلين العموميين والقناصل والتي

لاحدى الولايات فيها يد تحكم فيها المحكمة العليا ٠ وكل الدعاوى الاخرى المذكورة فللمحكمة العليا النظر فيها اذا استوءنفت اليها بحسب الشريعة والحادث ٠ ماخلا الاستثناءات والامتيازات التي ينشئها الكونغرس

البند الثالث — خيانة الولايات المتحدة تقتصر فقط على شهر الحرب عليها او بالتواطوء مع اعدائها ومساعدتهم وغوثهم ٠ولا يوءخذ احد بجريمة الخيانة الا بشهادة شاهدين عيانيين على ارتكابه الجريمة او باعترافه العلني في المحكمة

للكونغرس قوة على تحديد عقاب الخيانة ٠ ويحمل الخائن تبعة جرمه نفسه ولا يوصم احد من نسله او انسبائه به

—المادة الرابعة—

البند الاول—يجب على كل ولاية ان تضع تمام الثقة بالاعمال العمومية والسجلات والوقائع القضائية لاية ولاية اخرى ٠ ومن حقوق الكونغرس وضع شرائع عامة يبين فيها كيفية تلك الاعمال والقيود والمعاملات ووجه اجرائها وغاياتها

سكان اية ولاية لهم نفس الحقوق والامتيازات التي لسكان الولايات الاخرى اذا كان شخص مقيدا بخدمة او عمل ما في احدى الولايات بموجب شرائعها وفر الى ولاية اخرى فذلك لايطلقه من قيد تلك الخدمة او العمل حتى ولو كانت نظامات وشرائع الولاية الهارب اليها تصرح باعفائه من ذلك بل يجب تسليمه الى الفرد او الجماعة المقيد بخدمتها لدى الطلب

البند الثالث — للكونغرس استطاعة على ضم ولايات جديدة الى الاتحاد ٠ غير انه لا يسوغ انشاء ولاية داخل املاك ولاية اخرى ولا ان تصير ولاية بانضمام ولايتين او اكثر او اقسام ولايات مختلفة اليها الا بمصادقة المجالس الاشتراعية في الولايات المذكورة وبموافقة الكونغرس

للكونغرس حق الغاء او سن كل الشرائع والنظامات المتعلقة بالمقاطعات او غيرها من املاك الولايات المتحدة · ولا يفسر شيء في هذا الدستورعلى طريقة مجحفة بحقوق الولايات المتحدة او بحقوق اية ولاية منها

البند الرابع ــ تكفل الولايات المتحدة لكل ولاية منتظمة في سلك الاتحاد الاميركي حكومة جمهورية وحمايــة كل منها من الغزو والاكتساح · وعند سوءل مجلس المشترعين فيها تحميها من الثورات الاهلية

ــالمادة الخامسةــ

للكونغرس حق تحوير هذا الدستور اذا راى ثلثا اعضاء كل من المجلسين ضرورة لذلك ويحق له ايضا لدى طلب ثلثي مجالس الولايات الاشتراعية عقد موءتمر للنظر في المواد المقتضي تحويرها وتنزل في كل حال منزلة المواد الاصلية من الدستور اذا اجازها ثلاثة ارباع مجالس الولايات الاشتراعية او ثلاثة ارباع اعضــاء الموءتمر وللكونغرس الحكم الفاصل في اختيار احد الاميرين على شرط ان لا تحرير يكون سابقا لسنة ١٨٠٨ يتناول مضمون المادتين الاولى والرابعة من البند التاسع من بنود المادة الاولى · ولا تعدم احدى الولايات حق الانتخاب الشرعي في مجلس الشيوخ الا مختارة

المادة السادسة

كل الديون والمقاولات المعقودة والمعمول بها قبل سن هذا الدستور يعمل بهــا بعده كما عمل بها قبله

هذا الدستور والنظامــات التي ستسن في الولايات المتحــدة بموجبه · وكل المعاهدات المبرمة او التي ستبرم بامر الولايات المتحدة تعتبر شرائع رئيسية للبلاد · ويجب على القضاة ان يتقيدوا بها في كل ولاية · ولا عبرة في ما خالفها من قوانين

وشرائع الولايات فهو لغو

الشيوخ والنواب السابق ذكرهم واعضاء المجالس الاشتراعية في الولايات المختلفة وكل موظفي الادارات التنفيذية والقضائية سواء كانوا في خدمة الولايات المتحدة ام في حكومة سائر الولايات يجب تقييدهم بقسم بانهم يقيمون سنة هذا الدستور واحكامه وليس للمذهب الديني اقل علاقة باهلية المنتخبين لتقلد اية وظيفة كانت في الولايات المتحدة

المادة السابعة

يكفي مصادقة تسع ولايات على هذا الدستور لكي يصير مرعي الاجراء

تم في الموءتمر برضى وموافقة الولايات التي حضرته في سابع عشر شهر ايلول في السنة الالف وسبعماية وسبع وثمانين لربنا «مسيحية» وفي السنة الثانية عشر لاستقلال الولايات المتحدة الاميركية · وشهادة على ذلك نوقع اسماءنا

جورج واشنطن —رئيس

وممثل ولاية فرجينيا

ولاية نيوهمشير · جان لانكدن · نيكولاس كلمن

ولاية مساتشوستس · نثانئيل غورهام · روفس كن

ولاية كنكتكيت · وليم صموئيل جونسون · روجر شارمان

ولاية نيويورك · اسكندر هاملتون

ولاية نيوجرزي · وليم لفنستون · داود بيرلي · وليم باترسن · يوناثان دايتن

ولاية بنسلفانيا · بنيامين فرنكلين · طوماس مفن · باسيط ربرت مورس · جورج كليمر طوماس فتزسيمونز · جارد انكرسول · جيمس ولسن · الحاكم مورس

ولاية دلاوير · جورج ريد · كنن بدفورد · جان دكنسن · رتشرد باسيط · جاكب

بروم

ولاية ماري‌لاند—جيمس مكهنري • دانيال من سانت طوماس جانيفر • دانيال كارول

ولاية فرجينيا • جان بلاير • جيمس مادسن

ولاية نورث كارولينا • وليم بلونت • رتشرد دوبس سبايت • هوغ وليمسن

ولاية سوث كارولينا • جان راتلدج • شارلس كوتسورث بنكني • شارلس بنكني يبرس بطلر

ولاية جيورجيا • وليم فيو • ابراهيم بلدون

اثبت ذلك

وليم جاكسن

كاتم الاسرار

—تعديلات في الدستور—

تنبيه —هذه التعديلات جرت وقبلت في ازمنة متباينة لا نرى من حاجة لتفصيلها

المادة الاولى —لا يحق للكونغرس سن شريعة تتعلق بانشاء ديانة ما او بمنع حرية ممارستها او تقييد حرية الخطابة او الصحافة • او الاجتماعات العمومية السلمية والطلب الى الحكومة ان ترفع الحيف والضيم

المادة الثانية — الجيش النظامي ضروري لسلامة الولاية الحرة • ولا تسوغ معارضة الاهلين في نقل السلاح

المادة الثالثة — لا يحق لاحد الجنود ان يقيم في حال السلم في بيت احد الاهلين على رغم صاحب البيت • ولا ابان الحرب الا بحسب مرسوم الشريعة

المادة الرابعة — يجب ان تراعى حقوق الاهلين في ما يخص سلامة انفسهم وبيوتهم وارزاقهم ومقتنياتهم ومنع التفتيش والحجز لغير سبب موجب ولا تجوز مخالفة ذلك

ولا يعطى امر به الا لعلة واضحة مثبتة بقسم وبنوع اخص ان يوضح عن المكان المراد تفتيشه والاشخاص او المواد المطلوب حجزها

المادة الخامسة · لا يوضع احد تحت تبعة جريمة مالية او غيرها من الجرائم القبيحة الا برقابة وقرار مجلس المحكمين الاعلى (كراند جوري) الا في القضايا التي تحدث في القوات البرية او البحرية او في الجيش عندما يكون في الخدمة ابان الحرب او لدى خطر عمومي · ولا يجعل احد عرضة لفقد حياته او خسارة احد اعضاء جسده بنفس الجناية اكثر من مرة واحدة ولا يجبر على ان يكون شاهدا على نفسه في اية الدعاوى الجنائية · ولا يفقد حياته او حريته او املاكه بسوى الطرق النظامية · ولا نوءخذ الاملاك الخصوصية للمشاريع العمومية بدون تعويض عادل

المادة السادسة · للمدعى عليه في الدعاوى الجنائية حق المرافعة السريعة والعمومية امام مجلس محكمين (جوري) متجردين عن الغايات من نفس الولاية او المقاطعة التي حدثت الجريمة فيها على شرط ان تكون (المقاطعة) معترف بها شرعا · ويخبر المدعى عليه بنوع الجرم وماهية التهمة الموجهة اليه وان يقابل بالشهود عليه · وان تجبر شهوده على الحضور وان يقام له من يدافع عنه

المادة السابعة · في الدعاوى الشرعية اذا زاد المبلغ المشكو به عن العشرين دولارا فحق المرافعة امام مجلس محكمين يظل محفوظا · ولا يعاد النظر في دعوى نظر فيها المحكمون في اية محكمة في الولايات الا بموجب النظامات الشرعية العمومية

المادة الثامنة ــ لا يجوز ان تطلب كفالة باهظة ولا غرامة (جزاء نقدي) طائلة ولا تجري عقوبات صارمة وغير مألوفة

المادة التاسعة ــ تعداد حقوق معلومة في الدستور لا يوءخذ منه انكار او عدم اعتبار سواها من حقوق الشعب المحفوظة

المادة العاشرة — السلطات غير المختصة بحكومة الولايات المتحدة بحسب الدستور وغير الممنوعة به عن الولايات تكون محفوظة للولايات او للاهلين

المادة الحادية عشر — السلطة القضائية في الولايات المتحدة لا تتناول اية دعوى في الشريعة او العدل ابتدات او اقيمت على اية الولايات من سكان ولاية اخرى او من رعايا او جنسية دولة اجنبية

المادة الثانية عشر — يجتمع الذين يحق لهم الانتخاب كل في ولايته ويلقون اوراق انتخابهم في صندوق الاقتراع لكل من الرئيس ونائبه · ويشترط ان يكون على الاقل احدهما من غير سكان الولاية التي يجري الانتخاب فيها ·ويجب ان يكتب المنتخبون على اوراق التصويت اسم الذات الذي ينتخب رئيسا · وعلى اوراق نظيرها اسم المنتخب نائب رئيس ·وان يكتبوا ايضا لوائح خصوصية باسماء الذين ينتخبون رؤساء وغيرها باسماء المنتخبين نواب رؤساء وبعدد الاصوات التي يحرزها كل منهم ويجب ان يذيلوا تلك اللوائح بالتواقيع والاقسام ويرسلوها مختومة الغلاف الى المركز الرئيسي في مجلس الشيوخ الذي يفض ختومها بحضرة اعضاء المجلسين ويجري عد الاصوات فالذات الحاصلة على اكثرية الاصوات ينادى بها رئيساً هذا اذا كان ذلك العدد ممثلا لاكثرية اصوات مجموع المنتخبين · واذا لم يحرز احد تلك الاكثرية فينتخب مجلس النواب اذ ذاك فورا ذاتا للرئاسة من الثلاثة الاولين الحائزين اصواتا اكثر من غيرهم حسب لائحة الرئاسة · وبانتخاب الرئيس تحسب الاصوات بقدر ما في الاتحاد الاميركي من الولايات ويعتبر لكل ولاية صوت واحد سواء ناب عنها في الانتخاب عضوا او اكثر · واذا اجتمع من المنتخبين عدد يساوي عدد ثلثي الولايات المتحدة يعتبر كافيا للشروع بالانتخاب ·وعلى كل حال لابد من الحصول على اكثرية مجموع عدد الولايات لكي يحسب الانتخاب قانونيا · واذا لم يتوفق مجلس النواب الى

انتخاب رئيس (متى انتهى ذلك اليه) قبل رابع شهر اذار المقبل فيتولى نائب الرئيس الرئاسة كما في موت الرئيس او اعتزاله

والشخص الذي يحوز اكثرية الاصوات المعطاة لنائب الرئيس يتولى منصب النيابة اذا كان ذلك العدد ممثلا لاكثرية اصوات مجموع المنتخبين ٠ واذا لم تصب الاكثرية احدا فمجلس الشيوخ عندئذ ينتخب نائب الرئيس احد الاثنين الاولين في لائحة الانتخاب للنيابة الحائزين الاكثرية ولاتمام ذلك يكفي ان تكون الهيئة موءلفة من ثلثي الشيوخ ولكن نيل اكثرية مجموع العدد ضرورية لجعل الانتخاب قانونيا

ولا يجوز ان ينتخب لنيابة الرئاسة من ليس اهلا بحسب الدستور لتولي الرئاسة

المادة الثالثة عشر

البند الاول ــ الاسترقاق والاستعباد ممنوعان الاما كان منهما عقابا على جريمة وكان المجرم محكوما عليه بحسب الشريعة لكي يجوز استعمالهما في الولايات المتحدة وملحقاتها

البند الثاني ــ للكونغرس سلطة على تنفيذ هذه المادة باشتراع مناسب

المادة الرابعة عشر

البند الاول ــ كل الاشخاص المولودين او المتجنسين في الولايات او ملحقاتها هم من رعايا الولايات المتحدة والولاية التي يقطنونها ٠ ولا يحق لاية ولاية ان تسن او تنفذ شريعة تبخس امتيازات وحقوق رعايا الولايات المتحدة ٠ كما انه لايجوز لاحدى الولايات ان تفقد احدا حياته او حريته او املاكه بغير الطرق الشرعية ٠ ولاتنكر على احد داخل حدودها حق المساواة تجاه الشريعة

البند الثاني ــ اعضاء مجلس النواب عن الولايات يكونون بالنسبة الى عدد سكانها وذلك باحصاء كل سكان الولاية ما عدا الهنود المعفيين من الخراج ٠ واذا انكر على اي

شخص من الذكور القاطنين في الولاية حق التصويت في انتخاب رئيس ونائب رئيس الولايات المتحدة او انتخاب نواب للكونغرس او لموظفين في الدائرة التنفيذية او القضائية لاية ولاية كانت او لاعضاء مجلس مشترعيها وكان المنكر عليه ذلك بالغا الحادية والعشرين من العمر ومن رعايا الولايات المتحدة او باية طريقة حرم التصويت الا اذا كان حقه ساقطا لاشتراكه في ثورة او اقترافه جريمة فيسقط عدد النواب بالنسبة الى عدد الاشخاص المحرومين التصويت في تلك الولاية وهم بالغون السنة الحادية والعشرين من عمرهم

البند الثالث — لا يجوز ان يكون عضوا في مجلسي الشيوخ او النواب او ممن ينتخبون الرئيس او نائبه او ان يشغل اية وظيفة سواء كانت مدنية او حربية في حكومة الولايات المتحدة او حكومة احدى ولاياتها من كان قد اقسم الايمان حين تولجه منصب عضو في الكونغرس او احدى وظائف حكومة الولايات المتحدة او كان عضوا في مجلس المشترعين في احدى الولايات او كان متقلدا وظيفة اجرائية او قضائية في اية الولايات لاجل تأييد دستور الولايات المتحدة ثم اشترك في هياج او ثورة على الولايات المتحدة او ساعد اعداءها ورحب بهم . على ان للكونغرس حق في نزع الحرمان المذكور اذا اتفق ثلثا اعضاء كلا المجلسين على ذلك

البند الرابع — ديون الولايات المتحدة العمومية المفوض بها بموجب الشريعة ومن ضمنها الديون الحاصلة من دفع مرتبات التقاعد والمكافأة على الخدمات لاخماد هياج او قمع ثورة لا ريب فيها ولا جدال . ولكن لا الولايات المتحدة ولا اية ولاية من ولاياتها تتخذ على عاتقها ان تدفع دينا او التزاما نتجا عن اضرام نار هياج او فتنة ضد الولايات المتحدة او اية دعوى مالية في خسارة او تحرير رقيق . بل ان كل تلك الديون والالتزامات باطلة وغير شرعية

البند الخامس — للكونغرس سلطة على تنفيذ هذه المادة باشتراع مناسب

المادة الخامسة عشرة

البند الاول — لا ينكر على رعاياالولايات المتحدة حق التصويت او يقتضب من حكومة الولايات المتحدة او احدى ولاياتها بالنظر الى الجنس او اللون او بسبب الاسترقاق السابق

البند الثاني — للكونغرس سلطة على تنفيذ هذه المادة باشتراع مناسب

الفصل السابع والستون

—رئيس الولايات المتحدة —

ان رئيس الولايات المتحدة هو اعظم حكام العالم فلا تتصل اليه السيادة صدفة بالارث او نحوه بل تخوله اياها قوة وارادة تسعين مليون نسمة · الذين يخوضون غمار اكبر معركة سياسية مرة كل اربع سنوات لاجل انتخابه ثم يعودون الى السكينة ويعترفون بسلطة من حاز اكثرية الاصوات عن طيبة خاطر

ان منصب الرئاسة يتضمن مسوءولية عظمى · فالفائز بالانتخاب يترتب عليه ان يجري الاحكام بموجب شرائع اعظم امة تحت الشمس ويناظر على الة عظمى تديرها ايدي نصف مليون موظف من رجال ونساء · وهي آلة غريبة تصطنع احقر الاشياء واعظمها من خياطة كيس لنقل البريد الى تعبئة جيش لجب او حفر ترعة عظيمة كترعة باناما

فالكونغرس (مجلس الامة) يسن الشرائع والنظمات والمحاكم تفسرهـا اما الرئيس فينفذها · والكونغرس يمكنه ان يفرض او يخصصماية مليون دولار في السنة لغرض ما ولكن الرئيس ينفذ الشريعة التي بموجبها يجبى ذلك المبلغ العظيم والطرق التي يصرف في سبيلها ولما يتولى الرئاسة يحمل تبعة شرائع تقضي بانفاق اربعماية مليون دولار في مدة رئاسته ولا يترتب على الرئيس ان ينفذ الشرائع فقط بل ان له القسم الاوفر في وضعها ايضا · وعليه ان يبعث برسائله من وقت الى اخر الى الكونغرس ويفيده عن حالة البلاد العمومية ويشير الى اية شرائع يرى سنها ضروريا لترقية شوءونها واصلاح احوالها ·وعليه ايضا ان يخبر الكونغرس بواسطة وزير المالية عن مقدار المال اللازم لنفقات الحكومة مدة السنة المقبلة · ولما يخصص الكونغرس المبلغ المطلوب لذلك لا يعمل به الا بعد مصادقة الرئيس عليه وتوقيعه

وللرئيس مشيرون يشاركونه في تنفيذ الشرائع وهو مسوءول عن اي عمل رسمي يباشره احدهم · وقراراتهم ليست مبرمة بالنسبة الى الرئيس · حدث للرئيس ابرهيم لنكلن مرة انه طرح مسألة للبحث امام مشيريه وكان هو راغبا في انفاذها وهم مضادون فعرضها للاقتراع فكانت الاصوات سبعة —لا— وواحد —نعم— فقال الرئيس اذا «النعم رابحة » وعلى الرئيس ان يلاحظ كل المناصب والموظفين من تعيين اصغر مأمور في ادارة البريد الى تقرير خطة البلاد السياسية فهو ابدا مشغول ولكن اشغاله منظمة على طريقة يتبقى له وقت للراحة كسائر افراد الناس · مثـال ذلك · ان الرئيس يتناول رسائل بريدية اكثر من اي ملك او حاكم في العالم غير ان طريقة اطلاعه عليها من الامور السهلة بفضل الترتيب والتنظيم · فمعدل الرسائل الواردة اليه يوميا يتراوح بين الخمسماية والالفين غير ان الرسائل التي يهم الرئيس الاطلاع عليها شخصيا دون الماية ففي مكتبه شخص عمله الوحيد ان يرتب تلك الرسائل بحسب

ورودها على لوح يحتوي فهرست نوع المراسلات وربما اجيب على ماية رسالة دفعة واحدة اذا كانت متقاربة الموضوع بدون ان يعرضها كاتم اسرار الرئيس عليه وما تبقى يوزع منه على الدوائر المختلفة فلا يبقى ما يهم كاتم اسرار الرئيس الاطلاع عليه منها سوى نصف الباقي · وهذه يطلع الرئيس على فحواها عند سنوح الفرصة له وهذا يملي عليه الاجوبة بحسب الاقتضاء · وكثيرا ما ترد للرئيس وامراته رسائل على غلافها كلمة «خصوصي» او «سري» ولكن لا يصل اليهما منها الا ما كان من اصدقاء اخصاء معروفين لديهما

وربما ان رئيس الولايات المتحدة ترده رسائل طلب احسان اكثر من اي حاكم اخر في المعمور فمعدل المبلغ الذي يطلب منه يوميا برسائل من ذلك النوع نحو عشرين الف دولار

ولقد زادت مراسلات الرئيس في الشطر الاخير عن السابق زيادة كبرى · بدليل انشغال المتواجين اعمال فض الرسائل وكتابة الاجوبة · فيقال انهم في زمان الرئيس غرانت كانوا يصرفون الوقت بالعاب مختلفة وعند ورود البريد ينشغلون ساعات معدودة ثم يعودون الى اللهو

وتوافد الزوار يشغل قسما كبيرا من وقت الرئيس ففي الثلاثة اسابيع الاولى من توليه الرئاسة يضطر الى مصافحة من خمسين الى خمسة وسبعين الف نسمة بهز اليد وللرئيس حق باجراء مهام وظيفته في اي مكان يختاره وذلك يفسح امامه مجال التغيب عن العاصمة · ولا يوجد في الدستور ما يمنع ذهاب الرئيس الى خارج حدود الولايات المتحدة غير ان الرئيس كليفلند كان اول من فعل ذلك ففي ذهابه للصيد في يخته خرج ثلاثة اميال في الاوقيانوس الاتلانتيكي عن حدود بلاده

وفضلا عن الحق المختص بالرئيس من تعيين كبار الموظفين في الحكومة ومشارفته

على انفاق ملايين الملايين التي يفرضها مجلس الشورى · وفضلا عن الشهرة التي ينيله اياها منصبه السامي فله قوة (التي كانت قبل دخول اريزونا ونيومكسكو في الاتحاد) تعادل قوة ١٤ عضوا من مجلس الشيوخ و٦٤ من مجلس النواب · ويمكنه اضافة هذه الاصوات الى صوته لدى الاقتضاء والامر الذي بامكان الكونغرس مقاومة او مضادة الرئيس فيه طالما هو سالك بمقتضى الدستور هو عند رفضه تعيين المبلغ اللازم للنفقات المقتضية · فالرئيس كقائد عام لجيش الولايات المتحدة له حق التصرف فيه كيف يشاء اما الكونغرس فهو يعين المال اللازم لنفقات الجيش وتوجد حالات اخرى يمكن معارضة الرئيس فيها

ان شخصية الرئيس لاتمس مدة رئاسته · فلا يلقى القبض عليه ولا يضبط من اي موظف كان حتى ولو ارتكب جريمة القتل و كل ماتمكن فعله للرئيس ابان سوقه مركبته مثلا مخالفا للنظام المرعي حكمه هو اتهامه على ما في ذلك من المشقة حتى وفي حال الاتهام لا يجبر على الاستنطاق او على حضور جلسات معينة ولا على اي امر يتضمن ادنى مضايقة لحريته الشخصية ذلك على احتمال ان ذلك الضبط او الحجز يحدد او يحصر حقوق وظيفته السلبية او الايجابية ويمكن لاحد الافراد ان يمكر بسلطة الدستور العليا غير انه في مألوف العادة يقبض على الرئيس ويحجز عليه ايضا · فقد القى بوليس زنجي في العاصمة القبض على الجنرال غرانت لانه تجاوز حد السرعة المفروضة بالشريعة في سوق مركبته فامتدح غرانت البوليس لقيامه بواجب وظيفته ثم وضع عشرين دولارا ضمانة وخسرها في المحكمة في صباح الغد

وكذلك في استطاعة الرئيس اجراء ما يحلو له في المحاكم القضائية ايضا · فقد حاول البعض مرارا ان يمنعوا الرئيس عن عمل بعض اشياء لم ترق لهم بواسطة المحاكم الشرعية غير ان المحاكم رفضت ذلك بتاتا وابت التداخل والعبث بسلطة الرئيس ·

فالرئيس والكونغرس نزاعهما غالب وعادي اما الرئيس ودائرة القضاء فخصا مهما نادر جدا · وحدث ان رئيس القضاةواسمه جا نمارشال في زمان رئاسة جاكسن ابدى رايا بمسالةاحدى القبائل الهندية فما نمي ذلك الى الرئيس جاكسن قال « قد اصدر جان مارشال حكمه فدعه الان ينفذه لنرى »

وكثيرون يظنون ان الراتب الذي يتناوله رئيس الولايات المتحدة والبيت الذي يسكنه هما مما لا يليق بامة عظيمة وغنية اي انه يجب ان يتناول راتبا كبرويقطن مسكنا افخم · على انه في حالته الحاضرة هو متمتع بعيشة هنيئة قل عدد الذين لا يحسدونه عليها من اغنياء البلاد · فالمبلغ المقتضي للقيام بنفقات البيت الابيض مساناة يقدر بستة وثمانين الف دولار · وينفقون الفين وخمساية دولارعلى تزيينه مرة واحدة في حفلة رسمية بماينيف على خمسة الاف من نباتات وازهار مختلفة ·والانية الصينية التي تستعمل على مائدته في وليمة رسمية ثمنها ستة الاف دولار ناهيك عن اثمان الطعام والفاكهةوغيرذلك التي ينتقونها من افضل الموجود

اما راتب الرئيس السنوي الان فهو خمسة وسبعون الف دولار او ٦٢٢٥دولارا شهريا وهو الوحيد من بين كل موظفي الحكومة الذي لايوقع وصلا براتبه في زمان رئاسة كليفلند كان يتناول الرئيس مبلغ ٤١٦٦ دولارا وستة وستين سنتا وثلثي السنت كل شهر فكان من عادة وزارة المالية ان ترسل اليه تحويلا كل شهر بمبلغ ٤١٦٦ دولارا وستة وستين سنتا وثلثي السنت وفي الشهر الاخر ترسل اليه اخربمبلغ ٤١٦٦ دولارا وسبعة وستين سنتا ·وعند انتهاء مدته وجدوا ان الخزينة مديونةللرئيس بمبلغ سنت واحد فارسلوا اليه تحويلا بذلك اي بسنت واحد وهذا التحويل لم يقبض بل حفظه الرئيس كليفلند في جملة تحفه في بيته في مدينة برنستون من ولاية نيوجرزي · ويظن ان رئيس الولايات المتحدة يفوق كل احد في العالم في اخذ صورته بالفوتغراف فان احد

مصوري العاصمة صور الرئيس تافت الف مرة (فقط)

قلنا ان الاميركيين يخوضون غمار اعظم معركة سياسية في العالم في انتخاب رئيس جمهوريتهم • فقد ظهر بعد تدقيق الفحص بان اكثر من سبعماية الف شخص تحيط بالصناديق التي تطرح فيها اوراق المصوتين ليلة الانتخاب وكل شركات التلغراف والتلفون تباح للعموم في تلك الليلة لاجل نقل الاصوات من الجهات المختلفة ولا يحصى عدد الرسائل التي تنقلها اسلاك تلك الشركات في تلك الليلة التي لو ارسلت باجرة حسب العادة لبلغت اجرة ارسالها الوفا بل ملايين من الدولارات •حتى ان شركة التلغراف اللاسلكي تنقل اخبار الانتخاب الى السفن الماخرة في عباب اليم

ويحتفل بتنصيب الرئيس بعد اربعة اشهر من انتخابه • فلما يرشحونه للرئاسة يخبرونه بذلك رسميا واما اذا تم انتخابه فلا ينبئونه بذلك بل يعلمه من صحف الاخبار وقبل تنصيبه بايام قليلة يحضر الى واشنطن العاصمة • اما حفلة التنصيب فهي من اجمل المشاهد في العالم وجمالها يتوقف بالاكثر على بساطتها وليس على مجاليها ومظاهرها وكل حفلة تكون اجمل رونقا واكثر كما لا من التي تقدمتها وتتوارد الناس افواجا الى العاصمة من سائر انحاء البلاد فتستعرض الجنود وتبدو مجالي الابهة في العاصمة في ذلك اليوم

ان جورج واشنطن استدان مبلغ ثلاثة الاف دولار للقيام بنفقاته عند حضوره الى نيويورك حيث احتفل بتنصيبه رئيسا • وعندما د. ل القاعة التي جرت فيها حفلة التنصيب لم يكن هناك نسخة من الكتاب المقدس لاجل تحليفه القسم فاستعاروا نسخة من المحفل الماسوني الملاصق دار الحكومة • وقد كتب الرئيس جان ادمس بعد تنصيبه لاحد اصحابه قائلا بانه سكبت دموع غزيرة آن اقسامه اليمين مما لم يشاهدله مثيلا في حياته غير انه لا يعلم في ما اذا كان ذلك البكاء لفقد الرئيس السابق المحبوب او لقيام الرئيس

الجديد ٠وقد خلفه في الرئاسة جفرسن اما هو فبارح مسكنه مساء ثلث اذار وابى ان يركب الى العاصمة الى جانب الرئيس الجديد او ان يتاهل به عند دخوله الى البيت الابيض ٠ كذلك الرئيس جونسون ابى بتاتا مواجهة الرئيس غرانت لسماعه انه قال انه لا يركب الى جانبه في الذهاب الى دار الحكومة في العاصمة

وبعد ان تكمل حفلة التنصيب لا يعود لدى الرئيس من اعمال خطيرة او مهام شاغلة حتى الخريف المقبل واهم مايعمله بعد التنصيب هو تعيين الوزراء وغيرهم من ذوي المناصب ٠ اما اذا كانت الحاجة ماسة فانه يستدعي الكونغرس الى عقد جلسات خارقة العادة ٠ وعند التئام الكونغرس في الخريف يبعث اليه برسالته السنوية الاولى وفيها يوضح سياسته التي سيتبعها والامور النافعة التي سيقوم بها ويحاول اكتساب رضى الامة عنه بما تتضمنه تلك الرسالة من المنافع ٠ ولكي تنتشر رسالته المذكورة في سائر انحاء البلاد يرسل صورتها لكل ادارات صحف الاخبار في البلاد قبل ان تنشر رسميا وكل النساخ من ولاية ماين الى المكسيك يقراون تلك الرسالة قبل وصولها الى مجلس الشورى وعندما يبداون بقراءتها في ذلك المجلس يعلنون لمراسلي الجرائد انها «مباحة» وبعد دقائق معدودة توزع الجرائد في الشوارع ناشرة رسالة الرئيس بحروفها

ان الرئيس روزفلت اشهر من كتب رسائل من ذلك النوع في تاريخ الولايات المتحدة فهو اكثر من ضعف ما كتبه الرئيس كليفلاند٠ويقال انه لوجمعت كل المفردات التي استعملها الروءساء السابقون وسبك منها رسالة واحدة لكانت الكلمات التى استعملها روزفلت اكثر منها مجموعة

واحيانا تتضمن رسالة الرئيس امرا يقع عند استحسان العموم فيغدو شريعة كانه من بنود الدستور ومن ذلك شريعة منرو وقد مر ذكرها

الفصل الثامن والستون

ـ نظارة الخارجية ـ

عدد الموظفين في نظارة الخارجية هو اقل من عدد الموظفين في اية دائرة اخرى من دوائر الحكومة الاميركية على انها اكثر جميع الادارات اهمية ورئيسها اكبر الوزراء مقاما ولهذا جرت عادة الروءساء ان يعينوا في ذلك المنصب اقدر الرجال سياسة وناظر الخارجية هو الذي يتولى رئاسة الجمهورية بعد موت الرئيس او نائبه او تقاعدهما عن القيام بمهام الرئاسة لمرض او غير ذلك • واذا لم يكن في استطاعته تولي الرئاسة فيتولاها الوزير الذي بعده في الاهمية وهو وزير المالية فوزير الحربية فالبحرية فالداخلية فالبرية فالبريد فالقضاء فالزراعة فالتجارة والعمل •ومقام ناظر الخارجية هو الاول بين الوزراء

ان مركز نظارة الخارجية الرسمي هو في واشنطن العاصمة غير ان معظم اعمالها تجري في البلاد الاجنبية • ومن اخص اعمالها ملاحظة السفارات والقنصليات في الممالك المختلفة •ومع ان عمل تلك الدوائر يعين في واشنطن فاكثره يجري في بلاد الاجانب • وقد اعتادت هذه البلاد ان ترسل معتمدين الى اوروبا للاهتمام بما يتعلق بها من المهام منذ كانت بعد مستعمرات متفرقة ومر بنا ان بنيامين فرنكلين كان معتمدا سياسيا للمستعمرات الاميركية قبل انفجار بركان الثورة

ويترتب على سفراء وقناصل ومعتمدي الولايات المتحدة في البلاد الاجنبية في قيامهم بواجب وظائفهم السياسية ان يتقربوا من كبار رجال السياسة في البلاد التي

يكونون فيها ويثبتون اسس الصداقة بينهم وبين ذوي الحل والعقد لكي يتمكنوا من تنفيذ مصالحهم لدى مسيس الحاجة

اما العواصم التي تتبادل ارسال سفراء رسميين الى واشنطن فعددها قليل فالسفير هو ممثل شخص ملك او سلطان او رئيس جمهورية البلاد التي ترسله وهو يشغل نفس المقام الذي يشغله مرسله · كذلك سفير الولايات المتحدة في دولة اجنبية هو ممثل نفس الرئيس ويتوقع من تلك الدولة ان تنزله في المقام الذي يستحقه رئيسه فيها

واذا كان السفير يبغي ان يظهر بمظهر لائق في العاصمة التي هو فيها فعليه ان يشارك الكبراء والعظماء في مجتمعاتهم وما دبهم ويبادلهم الدعوات والسهرات ونحو ذلك ولكي يفعل ذلك تقتضي له نفقات باهظة عدا مرتبه الخصوصي · قيل ان المستر ريد سفير اميركا في لندن كان ينفق سنويا ما يتين وخمسين الف دولار وذلك يساوي اكثر من عشرة اضعاف مرتبه · وواضح ان ذوي الثروة فقط يمكنهم اشغال مناصب كتلك

اما الذين من رعايا اميركا يرغبون في ان اشخاصا من ذوي المقدرة السياسية وليس من ذوي الاثراء فقط يشغلون مناصب سفراء وممثلين فيرغبون في ان الحكومة الاميركية تنشيء دور سفارات وتعين رواتب كافية لنفقات السفراء ونحوهم

وبعد الممثلين السياسيين في الاهمية يأتي المندوبون الذين يرسلون في مهام خصوصية او يكونون مفوضين مطلقين وهؤلاء يرسلون الى البلاد التي ترسل معتمدين الى واشنطن العاصمة وليس سفراء والمكان الذي يمارسون فيه مهام وظيفتهم الرسمية يعرف بالقصادة · وقد ينفق المعتمد كل مرتبه في الولائم ونحوها مما يقتضيه مركزه وتلك الامور اضحت من اصطلاحات السفراء والممثلين ولكنها ليست مفروضة عليهم رسميا

اما الوظيفة القنصلية فتتناول المسائل التجارية بنوع اخص وهي تختلف عن وظيفة المندوبين والممثلين السياسيين · وتوجد نحو سبعماية قنصلية للولايات المتحدة منتشرة في انحاء المعمور وهي رقيب اميركا في عالم التجارة · وقليلة الممالك الاوروبية التي تباري اميركا في اسواق التجارة في البلاد الاجنبية فان تجارتها الاجنبية الآن تقدر باكثر من ثلاثماية مليون دولار في السنة · والقناصل لا يفتأون من البحث عن الاماكن التي تروج فيها المصنوعات والسلع الاميركية مما يرقي التجارة الوطنية ويعود بالثروة على البلاد

منذ زمن قصير سال صاحب مصنع للمدى في نيوانكلند القنصلية الاميركية ان ترسل اليه لائحة تتضمن اسماء باعة المدى بالمفرق في بلاد الانكليز فارسلتها له والآن هو يصدر قناطير مقنطرة من المدى الاميركية الى شفيلد المشهورة بمصانعها للمدى والقواطع وغير ذلك ويمكنا ايراد حوادث كثيرة من هذا النوع اقتصرنا على ذكر واحدة منها لنري ماذا يفعل الامناء في مراكزهم وكم من الخير والمنافع يجلبون لبلادهم · وتشير نظارة الخارجية بيد الافتخار الى ما وصي على صنعه في معامل اميركا من المدرعات والمدافع بما قيمته ٢٣ مليون دولار من الارجنتين وحدها

وليست وظيفة القنصلية فراشا من ورود ورياحين · فاذا رغب القنصل في السير الى الامام فيلزمه ان تكون ابصاره وبصائره ابدا مفتوحة سيما وان مناظريه من قناصل بقية الدول عديدون وراتبه زهيد بالنسبة لخدماته · ويوجد قناصل اميركيون في كل مركز تجاري في العالم واحيانا في اماكن قاصية · وربما كان اصعب مركز في سائر القنصليات الاميركية في تشنكن في داخلية الصين على حدود بلاد تيبت تقريبا ويقتضي للوصول الى ذلك المكان مسير ست اسابيع من نهر شانغي · ومعظم تلك المسافة تقطع بزورق صغير يسير في نهر ويجذف فيه ماية من بحارة الصين يتقاضون

اجرة اتعابهم سنتا واحدا في اليوم

ان الحكومات الاجنبية تنظر الى القنصليات الاميركية وخدماتها بعين الاعجاب وتحسبها الاكمل من نوعها وتنسج على منوالها متخذة اياها نموذجا · وفي السنين المتاخرة رغبت حكومة اميركا في اعلاء شان القنصليات · واول من احلها محل الاعتبار الرئيس كليفلند عند تعيينه رجالا اكفياء قناصل في مراكز متعددة · وقبل ذلك كانت تحسب الوظيفة القنصلية فضلة زائدة تقضي بها الاحوال السياسية · وقد زاد الرئيس ماكنلي تلك الدائرة سموا واعتبارا والرئيس روزفلت عام ١٩٠٦ ـ ٧ اجرى اصلاحات كثيرة وانشا القنصليات على قواعد شائقة وجعل شروطا على الذين يتقيدون في تلك الخدمة · والقصد من ذلك هو ان يتعين للقنصليات من كان كفوءا للوظيفة وفيه اهلية للارتقاء وزاد الرئيس تافت ذلك تحسينا ايضا

وفي السابق كان القناصل يتقاضون رسوما على خدماتهم وعليه فكانت المراكز تتفاوت في الاهمية من الوجهة المادية · فالقنصلية الجنرالية في لندن مثلا كان ايرادها من الخمسة وعشرين الى الثلاثين الف دولار · بينما قنصلية باريس الجنرالية بلغ ايرادها على توالي السنين نحو مائة الف دولار · اما الان فكل الرسوم تعود الى خزينة الولايات المتحدة وكل القناصل يتناولون مرتبات معينة · ويستثنى من ذلك الاماكن التي ليست بذات اهمية لانشاء قنصلية رسمية فيها فالاشخاص الذين يتولون فيها اعمال نيابة القنصل يعطى لهم نصف الرسوم متى كان الداخل لا يتجاوز الالف دولار لقاء خدماتهم وفي بعض الاماكن لا تتجاوز قيمة الداخل من الرسوم المذكورة المائتي دولار · ففي مثل هذه الاماكن يتولج اعمال القنصلية احد التجار المحليين كقسم من اشغاله وهكذا تخفق راية النجوم فوق اماكن غريبة كثيرة وليس العهد بعيدا عندما كان مكتب احد وكلاء القناصل الاميركيين في حانوت غسال

وقد انشأت نظارة الخارجية «مدرسة اجنبية» في العاصمة تلقى فيها الخطب عن الممالك الاجنبية من ذوي خبرة ومعارف باحوال تلك البلاد على الذين تعينوا في وظائف مندوبين وقناصل وما اشبه ذلك لاجل افادتهم عن احوال البلاد الذاهبين اليها لكي يكونوا على كمال الاهبة للعمل ويفوزوا في مهمتهم سواء كانت سياسية ام تجارية ويلزم المندوبون والقناصل وغيرهم على الحضور الى تلك المدرسة مدة ثلاثين يوما يتعلمون في خلالها كيف يوقعون الاوراق التجارية ونحوها وكيف يراقبون حركات من يحاولون سرقة الجمرك وكيف يعطون اوراق الكورنتينات التي تخول السفن حق انزال ركاب في المواني الاميركية وكيف يتصرفون بمتروكات الرعايا الاميركيين الذين يموتون في الخارج الى غير ذلك من الافادات الهامة التي لها علاقة بوظيفتهم

ووظيفة القنصل متعددة الفروع ومتشعبة الاطراف • فالقناصل عادة يحفظون لائحة تحتوي اسماء الرعايا الاميركيين القاطنين ضمن منطقة قنصليتهم اما مطلقا او موقتا • ودار القنصلية هي بيت بريد للسياح الاميركيين • والقناصل يبذلون كل ما في وسعهم لراحة ومساعدة رعايا دولتهم • ويرفعون تقارير مسهبة الى واشنطن عن الفرص التجارية السانحة وهذه التقارير تنشر وتعطى لكل اميركي يهمه الامر

وهنالك مسائل عديدة تشغل نظارة الخارجية فضلا عما تقدم ذكره وهي متعلقة بافراد من الرعايا الاميركيين • فلما يحرم الرعايا من حقوق المعاهدات الدولية في بلاد الاجانب او ان الاجانب ينقضون عهدا او ينكثون بوثيقة فنظارة الداخلية تتدبر الامر وتجري المخابرات اللازمة واذا قبض على احد معتمدي الدول الاجنبية في احدى بلدان الولايات المتحدة لمخالفته شريعة السرعة المحدودة مثلا لسوق السيارات ونحوها فنظارة الداخلية ترى في الامر • واذا كان احد رعايا الامير كان قاطنا في احدى البلدان الاجنبية ورأى تعديا على املاكه او حريته الشخصية بلا مسوغ فانه يطلب حماية وانصافا من النظارة

عينها وعندما يريد مجلس الشورى معرفة اي شيء عن احوال البلاد الاجنبية فالنظارة المذكورة تهتم في اعطائه الافادات المطلوبة · ومثل ذلك اذا شاءت احدى الحكومات الاجنبية معرفة شيء يتعلق بالولايات المتحدة فانها تطلب الافادة من نظارة الخارجية ايضا · واذا اجريت محاكمة احد في مملكة ما واقتضى الامر الى شهادة من مملكة اخرى فالحصول عليها لا يتم الا بواسطة النظارة نفسها

وتلك الدائرة بمشارفة الرئيس تخابر في ابرام المعاهدات كلها وتلاحظ مسائل تسليم المجرمين وتفحص العلاقات بين تعريفة البلاد وتعريفات الممالك الاجنبية · وعندما يقترف اميركي او اجنبي جريمة القتل في احدى البلاد الاجنبية ويهرب لاجئا الى الولايات المتحدة فنظارة الخارجية تصدر الاوراق لارجاعه الى حيث ارتكب الجريمة للمحاكمة وكذلك اذا كان الامر بالعكس فهي تهتم ايضا بالحصول على الاوراق اللازمة لاعادته الى اميركا

وكل الاختلافات الاهلية التي تحدث في المؤتمرات او المجالس النيابية وغيرها تزينها نظارة الخارجية · وكل المنشآت الخيرية كجمعيات التبشيرية ونحوها تستمد حمايتها بواسطتها في كل اعمالها من نحو انشاء المدارس والمستشفيات وهلم جرا · وتحفظ نظارة الخارجية قيود كل الزيجات التي عقدت لاميركيين خارج بلادهم اذا تمت بحضور احد القناصل الاميركيين وايضا اسماء كل الاولاد الذين يلدون في الخارج وكثيرون يستخدمون نظارة الخارجية لمعرفة مقر اقارب او اصدقاء لهم انقطعت اخبارهم عنهم · كما لو ذهب مهندس مثلا الى اميركا الجنوبية وانقطعت اخباره عن ذويه فاذا استخبروا عنه بواسطة نظارة الخارجية اهتمت للامر ووالت رسائلها الى القناصل وغيرهم للتفتيش عن ذلك الرجل

وتعنى نظارة الخارجية بامر نشر وتوزيع الشرائع التي يسنها مجلس الشورى

لاحاطة الجميع علما بها كي لا نبقى لاحد حجة بانه يجهل شريعة البلاد · واذا حدث تحوير في الدستور او اصلاح او نحو ذلك فنظارة الخارجية تذيعه وتعمم نشره · واذا تم ادخال ولاية جديدة الى الاتحاد الاميركي فكاتم اسرار تلك النظارة يعلن ذلك وهو ايضا يتولى امر المراسلات بين رئيس الولايات المتحدة وحكام الولايات · وهو حافظ ختم الولايات المتحدة الرسمي الذي تمهر به سائر المناشير الرسمية التي يصدرها الرئيس وغير ذلك من الاوراق الرسمية وكل مسودات شرائع البلاد الاصلية محفوظة في خزانة كاتم اسرار نظارة الخارجية

ولدى نظارة الخارجية فهرس بطاقات عليها اسماء كل المسائل السياسيةوالتي يكون للقناصل يد فيها ايضا ·وبذلك يتسنى للموظفين معرفة مليون من الحوادث الجارية في العالم بوقت قصير ولولاها لكانوا يضطرون الى اقتناء مجلدات ضخمة لتدوينها وربما ان حادثاصغيرا يتجسم الى ان تشهرحرب بسببه فيرون ان الضرورة تقضي بتدوين كل الحوادث وابقائها على تلك الصورة ليرجعوااليها لدى الاقتضاء ويكفي للدلالة على اهمية ذلك العمل انهم استعملوا لتدوين فهرس الحوادث المذكورة نصف مليون بطاقة بمدة اربع سنوات

وتلك البطاقات ايضا تستخدم كدليل على «من هو هذا» في العالم · فاذا عينت احدى الدول مثلا رجلا لوظيفة ما في الولايات المتحدة فتلك البطاقات تكون المرجع لمعرفة من هو ذلك الشخص وهل من مصلحة اميركا تعيينه في تلك الوظيفة ام لا

وتمتاز نظارة الخارجية عن غيرها من الادارات بان في حوزتها مبلغ نحو مائة انف دولار سنويا تتقاضاها خزينة الدولة ولا تجبر على اعطاء حساب عنها · وذلك المبلغ ينفقه كاتم اسرار النظارة في تجسس ومعرفة احوال العالم الخارجي وسياسة الدول لتلافي ما يضر منها بسياسة اميركا واغتنام فرصة المنفعة متى لاحت · فاذا اجبرت النظارة على تقديم حساب لمجلس الشورى وللامة عن ذلك المبلغ لما امكنها التكتم الذي يقتضيه

ذلك العمل المخصص له المبلغ المذكور · وينفق من ذلك المال على ضيافة الكبراء الاجانب الذين يزورون اميركا ويكونون في ضيافة الحكومة · وسيشرعون في تشييد بناية خصوصية في العاصمة ملاصقة لبناية نظارة الخارجية لكي يقيم فيها ضيوف الحكومة الاجانب اثناء وجودهم في العاصمة

الفصل التاسع والستون

نظارة المالية

ان في حوزة نظارة المالية الاميركية من الاموال اكثر مما بحوزة اية نظارة او دائرة او مصرف في العالم باسره فهي التي تجبي المكوس والضرائب وتناظر المصارف الوطنية في البلاد وتضمن ثقة الامة المالية وهي القيم على كل موارد الثروة في البلاد وهذا يجعل نظارة المالية في مركز على غاية الاهمية

فنظارة المالية تجبي الاموال التي يفرضها مجلس الشورى للقيام بنفقات الحكومة · وتنفق تلك الاموال بحسب تفويض واستحسان المجلس عينه · وكلما التأم مجلس الشورى في جلسته القانونية السنوية يقدم وزير المالية له لائحة بالمبلغ المقتضي لنفقات الحكومة في تلك السنة ويوضح فيها ذلك مفصلا

ولا ينحصر عمل وزارة المالية باستلام خزينة الدولة وجمع مال المكوس فيها بل انها تتولى راسا امر النقود الشائع استعمالها في البلاد وتصك النقود وتطبع الاوراق المالية

وطوابع البريد على تعدد اشكالها وتقي البلاد من التزوير

ومن متعلقات نظارة المالية ايضا اقتناء اسطول مسلح يجول في عرض البحار ليمنع تهريب البضائع وغيرها ولينفذ شرائع الحجر الصحي «كورنتينا» وتشارف ايضا اعمال ادارة انقاذ الغرقى وادارة الصحة العمومية والمستشفيات البحرية وتشييد كل البنايات العمومية والعناية بها وتتولى فحص ومحاسبة سائر دوائر الحكومة

اما العمل الذي يختص بهذه النظارة وهو على جانب من الفكاهة فهو صك النقود اما الورقية منها فتصنع في مكان معين يعرف «بادارة الحفر والطبع» ومعدل ما يصنع في تلك الادارة يوميا مليون دولار · والمادة المصنوعة منها الدراهم الورقية هي من اخشن انواع الكتان وتستحضر بطريقة سرية

اما الصحائف التي تطبع عليها فمصنوعة بكل حرص وضبط واعتناء ولا يؤذن للعموم ان يروا الحفارين يشتغلون بتحضيرها ولا ينجز حفار واحد صفيحة منها بل كل واحد يحفر قسما معينا له و كل مكان مستقل عن الاخر · ويستغرق عمل صفيحة واحدة سنة كاملة اذا كان العمل متواصلا اما الاوراق المالية فلا تطبع على تلك الصفائح الاصلية بل على صفائح اخرى مأخوذة عنها بواسطة آلة خصوصية ولولا ذلك لكان يستحيل توقيف التقليد والتزوير والتزييف · اما الخطوط النحيفة الظاهرة في تلك الاوراق فقد رسمتها آلة هندسية مركبة تركيبا اشبه بتركيب اقفال الصناديق الحديدية و كل واحد منها يرسم شكلا مختلفا عن الاخر و كان يظن ان تلك الخطوط لا يمكن تقليدها حتى ظهرت الاوراق المزورة التي عليها راس منرو سنة ١٨٩٧ وقيمة الواحدة منها ماية ريال وافضل ضمانة لسلامة الدراهم الورقية من التزوير هي الصورة المطبوعة عليها

وقد تخذوا افضل طريقة معروفة في العالم حتى اليوم لضبط النقود التي يطبعونها لكي لا يحدث ادنى غلط · فمعدل ما يصنع من تلك الاوراق يوميا مليون دولار كما تقدم

ففي مدة ١٥ سنة لم يفقد من ملايين تلك الاوراق سوى واحدة فروءساء الادارة ظنوا ان تلك الورقة اختفت بطريقة ما غير انالعملة في تلك الغرفة التزموا ان يدفعوا قيمتها من جيوبهم · وما يستحق الذكر هو ان كل ورقة مرسوم عليها علامات تعرف بواسطتها من ابتدا بصنعها وعلى اية صفيحة طبعت ومن طبعها وهلم جرا اما الوقت اللازم لصنع ورقة وانجازها لكي تصير حاضرة للاستعمال فهو ثلاثون يوما وبهذه المدة يجري عدها خمسين مرة وتتكلف الحكومة سنتا ونصف سنت على اصدار وافتداء الورقة الواحدة واقل من خمس واحد بالماية على ابقائها متداولة في البلاد

ونصف من الواحد بالماية من الدراهم التي تخرج من بيت المصكوكات تفقد فالعم سام «الحكومة »هو الرابح كلما فقدت ورقة من تلك الاوراق لانه لا يعود مسوءولا او ملتزما ان يفتديها او يعطي عوضها ذهبا حسب تعهده · وتوجد ادارة مخصوصة وفيهاعدد من العمال لافتداء او أعطاء قيمة الاوراق الممزقة او المحروقة او غير الصالحة للاستعمال لاية علة كانت · فاذا ارسلت الى تلك الادارة ثلاثة اخماس ورقة تدفع قيمتها بتمامها مهما كانت · اما اذا كانت اقل من ثلاثة اخماس واكثر من خمسين فتدفع نصف قيمتها وفيما دون ذلك لا تدفع مالم يقم لديها من البراهين الثابتة على كون القسم المفقود قد تلاشى بالكلية

اما معدل دوام الاوراق المالية المتداولة في الولايات المتحدة فهو اقل من ثلاث سنوات فالاوراق التيضمانهافضة تتهرا بمدة نحوسنةونصف سنةوتعاد الى الالة المخصصة للاشاة الاوراق البالية وهي تسع اكثر من مليون دولار دفعة واحدة · اما اوراق الخزينة فتبلى بمدة سنتين بينما الاوراق ذات الظهر الاصفر التي ضمانها ذهب فتدوم ثلاث سنوات · واكبر الاوراق المالية قيمة ورقة العشرة الاف دولار وقد اصطنع منها اربعة الاف فلم يعد منها للافتداء اي لاخذ قيمتها سوى ٦٤١ ورقة

اما الختم الظاهر على النقود الورقية فهو اثر تاريخي سابق لزمن الدستور ٠ والحروف المنقوشة عليه هي مختصر هذه الكلمات

Thsauri Americana Septentriomalis Sigillum

وترجمتها «ختم خزينة اميركا الشمالية» والموءرخون يقولون ان تلك الكلمات نقشت على تلك الصورة رجاء ان كندا ستغدو قسما من الولايات المتحدة ٠ والدمغة التي تصنع عنها الاختام الان صنعت سنة ١٨٤٩

وكيفية صك النقود المعدنية لا تقل فكاهة وحذاقة عن صنع النقود الورقية ٠ وكل احد يمكنه ان ياخذ ذهبا الى مكان ضرب النقود فيصكونه له نقودا ٠ فبعد ان يزنوا المعدن ويعرفوا عياره يضعونه في مسبك لافراز المعادن الغريبة عنه ٠ ثم ان الذهب الخالص طري فلا يمكن صنع النقود منه خالصا فيمزجون معه مادة اخرى لتقسيه ثم يصهرونه ثانية ويصنعونه كتلا وسبائك ثم يضعون تلك السبائك في آلة خاصة فتقطعها قطعا حسب الوزن المطلوب ثم توضع تلك القطع بالة ضاغطة وفوق القطعة المضغوط عليها دمغة وتحتها دمغة محفورة على المعدن فتخرج من تلك الالة نقودا ذهبية ٠ وعلى هذا النسق يصنعون بقية النقود من معادن الفضة والنكل والنحاس

وللحكومة ارباح من كل النقود التي تصكها خلا النقود الذهبية ٠ فالسنت مثلا لا يكلف الحكومة سوى جزء صغير من قيمته والبقية ربح صاف للخزينة والذي يفقد منها لا يكلف الحكومة سوى ثمن معدنه وهاك مثالا على ما يفقد من تلك النقود النحاسية وحدها ٠ فالحكومة كانت قد صكت مرة ثمانية ملايين قطعة قيمة الواحدة منها نصف سنت ويقدرون المفقود منها بستة ملايين كذلك النقود التي قيمة القطعة الواحدة منها سنتين وثلاثة سنوت تراها نادرة جدا والذي لم يعد منها الى الخزينة تقدر قيمته باكثر من مليون دولار

ومن اهم الاشغال المتعلقة بنظارة المالية ايضا الخدمة السرية وعملها وقاية النقود من التزييف والتزوير · وابرع الجميع في معرفة النقود المزيفة الصيارفة في البنوكة وهم يكتشفون تسعين بالمئة من تلك النقود · واين ظهرت تلك النقود يسرع شحنة الحكومة السريون لاستقصاء الخبر ومعرفة مصدر تلك المزيفات

ومعظم دخل الحكومة الاميركية من الرسوم الجمركية على البضائع الاجنبية ومن الرسوم على اشياء محلية فقد دخل لخزينة الحكومة من الرسوم الجمركية وحدها منذ تاسيسها حتى نهاية عام ١٩١١ مبلغ ١٠،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠ دولار ونحو ثلثي الرسوم تجبى في جمرك مدينة نيويورك وتنفق الحكومة مبلغ سنتين على تحصيل دولار من الرسوم الجمركية · وللحكومة مراكز اخرى جمركية في المدن المهمة وعلى الحدود وغيرها في بعض المدن الصغيرة · ففي بلدة بوفورت من ولاية نورث كارولينا انفقت الحكومة الفا وخمسماية دولار على جباية دولار و٥٥ سنتا وفي احدى مواني ماريلاند انفقت الف دولار لاجل جباية ٦١ سنتا

وتأخذ الحكومة تمام التحفظ لمنع تهريب البضائع وقد تفنن المهربون في طرق التهريب تفننا غريبا فالرجال يخبئون حجارة الالماس ونحوها في احذيتهم والنساء يلففن اجسادهن بالخرج الثمين وغيره ويخطن الثياب الاميركية فوق الثياب الباريسية ليتمكن من ادخالها بدون رسم جمركي بل ان ربابين البواخر احيانا ينزلون بضائع حيث لا ادارة جمرك وكل هوءلاء تراقبهم عيون «موظفي الخدمة السرية» الذين يدونون اسماء كل المعروفين بالتهريب في كل العالم ويتتبعون خطواتهم بكل دقة وتحفظ ويرسلون بالتقارير عما يشترون من الحلى وغيرها من الاشياء الثمينة في البلاد الاجنبية الى نظارة المالية فيراقب عمال الحكومة وصول تلك الاشياء بكل حرص وانتباه

اما الدخل من الرسوم المحلية فيأتي بعد دخل الرسوم الجمركية ويقدر الداخل

بملايين الدولارات · وتلك الادارة اي ادارة الرسوم الاهلية قديمة منذ اول تأسيس الحكومة وقد تاسست عام ١٧٩١ وفرضوا رسما على الهوسكي يتراوح بين السبعة والثمانية عشر سنتا على كل جالون ووضع ذلك الرسم كان من جملة مسببات الحرب الاهلية اذ ابى مستحضرو المشروبات في غربي بنسلفانيا دفعه وحدثت بسببه الفتنة المعروفة «بثورة الهوسكي» اما الرسم الان على الهوسكي فهو دولار وعشرة سنوت على الجالون الواحد · وهذا الرسم الفاحش قاد كثيرين الى محاولة اهتضام حق الحكومة بطرق متنوعة ولكن رجال الخفية اكتشفوا امرهم واوقفوهم امام العدالة للاقتصاص منهم

وتحت عناية نظارة المالية ايضا المصارف الوطنية او الاهلية وعددها ثمانية الاف راس مالها ينيف عن المائة مليون دولار وفضلاتها سبعماية مليون ولها ديون مختلفة خمسماية مليون دولار ولديها امانات مودعة فيها باكثر من ذلك · ومعظم الاوراق المالية المتداولة هي لتلك المصارف فهي تطبع في دار مصكوكات الحكومة وترسل الى تلك المصارف حيث يوقعها رئيس المصرف وامين الصندوق فتغدو صالحة للاستعمال · ويترتب على المصرف ان يضع في خزينة الدولة نقودا تعادل قيمة الاوراق المصنوعة له والمنتشرة على عهدته

ومع ان المصارف الاهلية تحتوي على مقادير وافرة من النقود فهي لا يدخلها سوى ثلث ثروة البلاد وبعبارة اخرى ان ثروة البلاد تقدر ب ١٥،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠ دولار مجموع المتداول منها ٣،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠ دولار وقسم كبير من هذا المبلغ في جيوب الناس الخاصة وعليه فيكون معدل الدراهم المودعة في المصارف دولارا واحدا لكل خمسة اشخاص

ولدى نظارة المالية رئيس مهندسين يتولى رسم وهندسة الابنية العمومية ويشارف

على تشييدها ويخبر الحكومة بنفقة بنائها ونحو ذلك

ومن اهم وظائف الحكومة الاميركية وظيفة مدير الخزينة الذي يلاحظ كل ماله علاقة في مالية الدولة

الفصل السبعون

—نظارة الحربية—

لدى الحكومة الاميركية الان ٤٩٣٩ بين قواد وضباط و ٨٢٦٥٨ جنديا نظاميا بما فيه ١٨٠ ضابطا و٥٧٣٢ جنديا في الفلبين ومعظم عدد جيش الولايات المتحدة ابان السلم لا يزيد عن المائة الف جندي · والجنود النظامية والرديف متساوية في العدد ابان السلم اما في حال الحرب فيضاعف عدد كليهما · ونسبة عدد الجنود الى سكان البلاد يكون جندي واحد لكل اربعماية وخمسين نسمة ·اما الجنود غير النظامية فيبلغ عددها ستة عشر مليونا وذلك يشمل كل تام البنية من شعب البلاد من سن ١٨ الى ٤٤ سنة ·وتنفق الحكومة ثلثي دخلها على التأهب للحرب

ومع ان حشد الجنود وتجهيزها لا يستغرق وقتا نظير الوقت اللازم لا بتناء اسطول بحري وتجهيزه بما يلزم لجعله صالحا للنزال غير انه يستغرق وقتا لتنظيم الجيش وتدريبه على الفنون الحربية وتمرينه ليصير في حالة صالحة لخوض غمرات المنون لدى الاقتضاء

وقد شعرت البلاد موءخرا بحاجتها الى تنظيم جيش ابان السلم واعداده ليوم عصيب فانتظم الحرس الوطني والجنود النظامية في فرق معينة تحت قيادة القائد العام لجنود الولايات الشرقية والهمة مبذولة في تجهيز ما يعوزها من المدافع والبنادق وغيرهامما يحتاج اليه الجيش ابان الحرب ٠ والتمرينات العسكرية جارية في كل يوم في كل فرع من فروع الجندية ٠ كفرق المدفعية مثلا والمهندسين وذوي الاشارات ونحو ذلك ٠ وسيعم ذلك عما قليل سائر الولايات المتحدة فيغدو لديها جيش مدرب كامل العدة ومرهب قلوب الطامحين الى العبث بحقوق الامة

اما اطعام واكساء الجيش النظامي فليس بالامر اليسير ٠فان ادارة الماكولات تصدر سنويا ثلاثين مليون جراية ومعدل ما تكلفه الجراية الواحدة ٢١ سنتافاذا كان عدد الجيش مائة الف جندي اقتضى لهم لاجل جرايات كل يوم خمسين طن خبز وخمسين طن بطاطا واربعين طن ماكولات اخرى ٠ وقد حققت الخبرة بان قوة الجيش تتوقف على قدر ونوع ما يتناول من الطعام ولهذا فاولياء الامر يبذلون قصارى الجهد في جعل طعام الجيش جيدا ومغذيا

والمنخرط في سلك الجندية لايجد مجالا للبطالة حتى في اوقات السلم فهو ابدا مشغول واذا لم يكن لدى حكومة اميركا جيش مدرب فلا يكون ذلك عن قلة عدد الطالبين الانخراط في الجندية ٠ فانه منذ سنين قليلة تقدم ١٣٤ الف طالب ٠ ويسجل معاون الجنرال مايحدث لكل فرد من الجندية على بطاقة خصوصية ولدى وزارة الحربية الان من هذه البطاقات ستون مليونا بينها ثمانية ملايين تقارير طبية عن كل حادثة جرت في الجيش

وعندماينخرط احد في الجندية يحصل على عناية طبية خاصة وذلك مجانا على نفقة الحكومة ٠ وفي الجيش الاميركي مئات من الاطباء تعينهم فيه الحكومة بعد الفحص

المدقق عن معارفهم الطبية ومقدرتهم في معالجة الامراض المختلفة · فاذا توعك مزاج جندي يعالجونه بحسب نوع مرضه واذا اشتدت عليه وطأة الداء يرسلونه الى المستشفى العسكري والمستشفيات العسكرية مشهورة بانها احسن مستشفيات العالم

اما وصف مالدى حكومة اميركا من المدافع والبنادق ونحو ذلك وكيفية تمرين الجنود واعدادها لخوض غمرات المعارك وكيفية الدفاع عن المرافىء التي امتازت بها عن كل ممالك العالم ونحو ذلك من الامور المتعلقة بالجندية فمما يطول شرحه وليس هو من غرضنا في هذا المقام

ولا توجد امة تحت الشمس تعتني بالجنود المتقاعدين كما تعتني بهم حكومة انعم سام فاربع ماية مليون دولار مبلغ يعجز على الحاسب احصاوه فهو كاف لابتناء دارعة من اكبر دوارع العالم او انه يكفي لدفع نفقـات بريد الولايـات المتحدة مدة اربعين سنة بدون ان يوءخذ سنت واحد رسماً على مايرسل فيه فهذا المبلغ ينفقه شعب اميركا مختارا وبتمام الرضى وبدون ادنى كلمة اسف او ندامة على الرجال الذين خاضوا معامع حروبها · وربما انهم سينفقون مثل هذا المبلغ في الحين القريب

وما تدفعه حكومة اميركا معاشات تقاعد هو اكثر مما تدفعه اية مملكة تحت الشمس فقد دفعت غير مرة اكثر من مليوني راتب تقاعد واضطرت الى رفض مليون طالب ونصف لعلل مختلفة وربما ان ١٩ بالماية من ذلك المبلغ دفع للذين حاربوا في الحرب الاهلية

ثم ان فرقة المهندسين في الجيش الاميركي فضلا عن عملها في مايختص بالجندية من الحصون والمعاقل وترميم ما يتهدم منها ونحو ذلك من الاعمال الكثيرة فهي تعمل في تحسين الانهار والمرافيء وجعلها صالحة لسير السفن فيها · ويشتغلون في جعل كل الانهار والبحيرات ومجتمعات المياه في داخلية البلاد ذات منفعة لنقل حاصلات البلاد

وتقريب المسافات

ووزارة الحربية تتولج اعمال الاكاديمية الحربية الاميركية المشادة في مدينة وست بوينت وهي من اشهر المدارس الحربية في العالم عدد اساتذتها ومعلميها مأية واحد عشر وتلا مذتها خمسماية · وهم يدخلونها بعد اجتيازهم فحصا معينا وبواسطة طلب نواب ولاياتهم ذلك وتعتني وزارة الحربية ايضا بالحدائق والمدافن العسكرية في البلاد · فحديقة غتسبرغ تحسب اجمل واكمل حديقة عسكرية في المعمور · وتوجد حدائق اخرى في اماكن مختلفة من الولايات المتحدة

وعام ١٩٠٣ انشئت في الولايات المتحدة وظيفة اركان حرب ووظيفة جنرال اركان حرب الجيش · فاركان الحرب هو مستشار كاتم اسرار نظارة الحربية ويطلعه على كل المسائل العسكرية وهو يتناول من كاتم الاسرار التعليمات والاوامر الصادرة من الرئيس راسا او بواسطته·وكل اوامر كاتم اسرار النظارة بمايتعلق بالجنود النظامية لما تستدعى لخدمة الحكومة يصدرها بواسطة معاون الجنرال ·اما مايتعلق بالجنود غير النظامية فيصدرها بواسطة رئيس « دائرة الشوءون العسكرية » الذي يتراس ويشارف اعمال كل الدوائر العسكرية المختلفة ذات العلاقة بنظارة الحربية وتحت ملاحظة ناظر الحربية يتولى فحص وفض المشاكل الجندية واستقصاء كل مواطن الخلل وحفظ النظام والنظر في جعل الجندية على اتم واكمل صورة لائقة ·وهو ينظر في الامور المتعلقة بالقيادة والتمرينات العسكرية ونحوها والتجنيد وتوزيع الجنود وفحص وتفتيش الاسلحة وادوات الحرب واماكن الدفاع والحصون والمعاقل والتهذيب العسكر وعلى الاجمال فهو يتراس ويدير كل ماله علاقة بالجندية وما ينضوي الى نظارة الحربية

الفصل الحادي والسبعون

ـ« نظارة البحرية »ـ

للولايات المتحدة قوة بحرية تفوق قوات ممالك العالم عدا انكلترا · وتنفق على بحريتها سنويا ماية ، ثلاثين مليون دولار · وعدد الجيش البحري النظامي هو ٤٧٥٠٠ وعدد البحارة ٩٥٢١ واذا عمل مجلس الامة براي رجال البحرية يغدو لدى الولايات المتحدة في خلال عشرة سنين مقبلة نحو اربعين دارعة من الطرز الاول واربعين طرادة · وماية وعشرين سفينة متلفة التروبيد · اما المبلغ المقتضي لبناء السفن المذكورة خلا الدوارع فهو ماية مليون دولار · اما الدوارع المذكورة فاحدى وعشرون منها تمخر في البحار والبقية تذخر لحين الحاجة اليها · وهكذا السفن الاخرى يستخدم منها ما تقتضيه حاجة البلاد ويذخر الباقي ·

ومع ان عدد المدرعات العاملة زاد من ست عشرة الى احدى وعشرين وسفن التروبيد وغيرها زادت ايضا زيادة تذكر فالنفقات المقتضية للاسطول قد خفضت عن السابق · واذا اتفق راي مجلس الامة مع راي رجال البحريةوتم ابتناء الدوارع وغيرها من السفن المنوي ابتناوءها ورممت القديمة منها فالنفقة لاتتجاوز المبلغ المعين للبحرية وذلك بفضل التدبيرات الاقتصادية الحديثة

والولايات المتحدة اليوم في مقدمة دول العالم بمعاملها التي تبني مدرعات تزن ٣٠ الف طن مع انها منذ ٢٨ سنة لم تكن لها دارعة واحدة مصفحة · ومع ان وزن المدرعات ارتقى من ١٦ الف طن الى ٣٠ الف طن في غضون عشرة سنين فنفقة

البناء لم تزد على تلك النسبة · فاكلاف ابتناء الدارعة اركنساس ووزنها ٢٦ الف طن لم تزد كثيرا عن اكلاف بناء الدارعة دلاوير التي زنتها ٢٠ الف طن · والدارعة فرنن التي بوشر في صنعها عام ١٩٠٤ وزنتها ١٦ الف طن كلفت ربع مليون دولار اكثر من الدارعة يوطا التي تزن ٢٢ الف طن والدوارع زادت عظمتها ليس في الحجم فقط وقوة المدافع والاسلحة بل ايضا بالاقتصاد حسب الطرق الاقتصادية الحديثة فالدارعة دلاوير «حديثة» وزنتها ٢٠ الف طن توقد فحما اقل من الدارعة كنكتكيت (قديمة) التي تزن ١٦ الف طن ·

واكبر مصنع للمدافع في العالم هو في واشنطن العاصمة· ففيه من احدث واكمل الادوات اللازمة لعمل المدافع · وهناك ينقلون المدفع الذي يزن ٦٠ طنا كما ينقل الولد لعبة · واكبر المدافع الغريبة الشكل والمدهشة الصنع التي تصنع هناك هي من عيار ١٤ انشاً وتوضع على الدوارع الكبرى ويقتضي من البارود لحشو المدفع الواحد ٣٦٥ بوندا · ويقذف قنبلة وزنها ١٤٠٠ بوند مسافة ٢٥ ميلا على معدل سرعة نصف ميل في الثانية · وتشق الحديد على سماكة خمسة اقدام وقوة البارود المنطلقة من فوهته كافية لرفع اكبر بناية من مركزها على علوقدمين بمدة ثانية واحدة · وتهدم امنع الحصون على بعد سبعة اميال

ويعتقدون ان المواقع البحرية في المستقبل ستجري على ابعاد تفوق جدا الابعاد التي تجري فيها الان والظفر فيها سيتوقف على قوة المدافع واستطاعتها على قذف القنابل مسافة سبعة اميال او اكثر ومن هذه الحيثية للمدفعيين الاميركيين ميزة على سواهم ·

اما نفقات الاسطول فباهظة جدا · فاذا مخر من همبتن رود الى سان فرنسيسكو

مثلا اقتضى له من الفحم فقط ما تبلغ قيمته ٧٥٥٠٠٠ دولار٠ اضف الى ذلك مايقتضي لبحارته من العلوفة فمن البيض المقدد فقط يصطحبون تسعة الاف بوند وهذا يعادل ٣٦ الف دزينة من البيض الطريء ويأخذون ايضا ٢٦ الف بوند من النباتات المقددة وقس على ذلك ما يلزم من الاصناف الاخرى

ومما يستحق الذكر انه اذا ارتكب قبطان الدارعة غلطة واضاع دقيقة او دقيقتين من الوقت فانه يجازى بالخلع من وظيفته لان تلك اللحظات ثمينة جدا ابان المعركة وربما انها غيرتها من حالة الى ضدها ٠ وقد انشأت وزارة الحربية مرصدا خصوصيا لمعرفة وتقرير الوقت لاساطيلها وذلك المرصد غريبة من غرائب هذا العصر وشرحه يستغرق وقتا طويلا

وفي حوزة نظارة البحرية التلغراف اللاسلكي اكثر مما في حوزة اية شركة او دولة اخرى ولديها منه حتى الان ما تبلغ اكلافه اكثر من مليون دولار وستتضاعف تلك القيمة في المستقبل القريب ٠ وهذا التلغراف مصنوع على طريقة لا يتمكن احد من قراءة مايرسل بواسطته سوى عمال الحكومة الاميركية فقط٠ وفي عزم نظارة الحربية انشاء اربعة ابراج هائلة للتلغراف اللاسلكي وان تجعل المسافة بين كل برج ثلاثة الاف ميل ٠ فالواحد يشاد في واشنطن العاصمة والثاني في بناما والثالث في هنولولو والرابع في شاطي الولايات المتحدة الغربي ٠ وفي عزم نظارة الحربية ايضا ان تجعل محطات للتلغراف اللاسلكي في ثلاث بوارج لكي تتمكن من مخابرة اساطيلها في سائر اطراف المعمور متى شاءت

الفصل الثاني والسبعون

ـ ادارة البريد ـ

ان ادارة البريد الاميركي هي اعظم ادارة بريد في العالم باسره بدون استثناء · وعدد الموظفين في خدمتها ثلاثماية الف يمر بايديهم ١٥،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠ من رسائل ونحوها كل سنة وذلك اكثر مما يرسل في اكبر بريد في العالم المتمدن بمرة وثلث ويمر في البريد الاميركي اكثر من ثمانماية الف رسالة كل ساعة · وتعطي ادارة البريد وتدفع قيمة ٢٥٠ الف تحويل مالي يوميا وتضمن «تسوكر» ١١٥ الف رسالة ورزمة كل يوم · وينقل البريد كل ساعة الوف طنات من الجرائد والمجلات والاشياء التجارية وغيرها مما يرسل من الدرجة الثانية والثالثة والرابعة

وكان يظهر عجز مالي في ادارة البريد يتراوح بين عشرة وثمانية عشر مليون دولار في السنة اي ان الحكومة تخسر ذلك المبلغ في نقل البريد ·وقد فوض الامر الى مدير البوستة العام في زمان رئاسة وليم تافت لكي يتلافى ذلك العجز ويجعل البريد ليس ان يقوم بنفقاته فقط بل ان يعود بالربح على الحكومة ايضا ·فنظر في الامر نظرة خبير وعرف مواطن الخلل فاصلحها وغير الرسوم التي كانت تتقاضاها شركات السكك الحديدية لنقل البريد الذي يرسل بالوزن خصوصا ورفع الامر لمجلس الامة فسن شريعة لذلك وضعت موضع الاجراء وعادت بالفائدة المطلوبة

وكذلك قسم التحاويل المالية كان يكلف الحكومة سنويا ستماية الف دولار فكانوا يرسلون قطعة من التحويل بالبريد بينما القطعة الاخرى يعطونها لصاحب التحويل ليرسلها هو كيف شاء اما الان فاوجدوا طريقة اخرى وحيدة وهي ان القطعة المذكورة

صاروا يرسلونها مع التحويل نفسه وبموجبها يقبض المرسلة اليه القيمة المعينة فوفرت هذه الطريقة الجديدة على الحكومة المبلغ المذكور سابقا و كانوا في السابق يرسلون مع التحارير والرزم المضمونة بطاقة لكي يوقعها المرسلة اليه وتعاد الى ادارة البريد فكان يقتضي لذلك ثلاثين مليون بطاقة مساناة · اما الان فباتفاق راي مجلس الامة لا تستعمل تلك البطاقات الا لدى الطلب فنتج عن ذلك توفير ٧٧ الف دولار كل سنة · كما ان الاقتصاد بمشترى لوازم البريد خفضت النفقات ايضا · اما اكلاف تلك اللوازم فتبلغ سنويا اربعة ملايين دولار · فثمن خيطان المصيص فقط التي يستعملونها لربط رزم البريد يبلغ ثمنها سنويا مائتي الف دولار · وطول تلك الخيطان كاف لان يلف حول الارض عشرين مرة

ولمدير البريد العام اربعة مساعدين في مناظرة البريد واداراته المتعددة · وفضلا عن ذلك فادارة البريد لها دائرة مستقلة وعدد من المفتشين المتجـولين وجيش من الموظفين في اعمال مختلفة ومعاون المدعي العمومي لنظارة البريد له سلطة على تنفيذ منطوق الشريعة ضد «الياناصيب» والاختلاس والمعلنين في البريد احتيالا على بضائع ونحوها وتوجد لائحة الان تتضمن اسماء اشخاص واصحاب بيوت تجارية لا يحق لهم استخدام البريد الاميركي لسبب تلاعبهم واحتيالهم

وتقدم البريد الاميركي ووفرة اعماله من الامور الغريبة في الولايات المتحدة الدالة على وفرة التقدم العاجل والنمو السريع ففي عام ١٨٣٧ كان معدل ما ينفقه الشخص الواحد من سكان البلاد على البريد ٣٢ سنتا في السنة · واما الان فزاد ذلك المعدل الى دولارين وتسعة وعشرين سنتا · فمدخول البريد في مدينة شيكاغو وحدها اليوم يعادل مدخوله من كل البلاد في بداية الحرب الاهلية · ومدخول البريد يتراوح بين خمسة دولارات في السنة من ادارة بريد صغيرة في احدى قرى ولاية

الاباما و٢٣ مليون دولار من ادارة بريد مدينة نيويورك

واهم فرع من فروع البريد الاميركي هو بريد القطورات وعدد العملة فيه ١٧ الفا ونقل البريد بواسطة السكك الحديدية يكلف الحكومة ٥٠ مليون دولار في السنة وأجرة الموظفين في نقله ٢٠ مليونا · ويشترط على كل موظف ان تكون له معرفة بخمسة الاف الى العشرين الف ادارة بريد وان يعلم بالتدقيق اي السكك الحديدية تمر في كل منها · وكل رسالة توضع من احداها في اي طريق تسير وكيف تصل انى المكان المرسلة اليه ونحو ذلك من الاموراتي تقتضي درسا طويلا وحافظة جيدة واحيانا كثيرة تحدث شركات السكك الحديدية تغييرا في اوقات سير القطرفيلتزم موظفو البريد ان يلاحظوا ذلك بكل تدقيق وحرص لكي يسيروا البريد باقرب الطرق الموصلة الى الاماكن المقصودة وهاك شاهدا على حذق موظفي البريد في القطر فان احدهم وضع في اكياس البريد ١٧ الف بطاقة معنونة لادارات بريد مختلفة على معدل ٦٠ بطاقة في الدقيقة ولم يرتكب غلطة واحدة فتأمل

اما توزيع البريد البري المجاني فتنفق عليه الحكومة سنويا نحو ٤٣ مليون دولار والدخل منه لا يتجاوز ربع ذلك ·ومع ذلك يقول معاون المدير العام للبريد بان ذلك التوزيع المجاني افضل خدمة تقدمها الحكومة للشعب

وحكومة اميركا اعظم حكومات العالم في ارسال رسائل في البريد وكلها تنقل مجانا ·ومنذ امد قصير اراد مجلس الامة ان يعرف كم ينقل البريد من تلك الرسائل المجانية في السنة · فبوشر بوزن وعد الرسائل في النصف الاخير من سنة ١٩٠٧ فبلغ ثقل ما نقله البريد من رسائل واوراق الحكومة المرسلة فيه مجانا مدة ستة اشهر ٢٤ مليون بوند وذلك على معدل ٢٤ الف بوند في اليوم · فمن ذلك مليونان و٢٧٧ الف بوند ارسلها مجلس الشورى و٢١ مليونا و٦٦٣ من النظارات المختلفة ·على ان

رسائل مجلس الشورى تفوق ذلك كثيرا فهو لم يلتئم سوى شطر من المدة التي جرى ذلك التقويم فيها · فلم يجر حساب ما يوزعه مجلس الامة مجانا من البزور والمطبوعات وغير ذلك · ومعدل عدد الرسائل التي ترد لاعضاء مجلسي الامة ٢٠ الفا في اليوم

ان عدد الطوابع البريدية الملصوقة على الغلافات والبطاقات البريدية ولفافات الجرائد ونحوها يبلغ احد عشر مليونا في السنة او اكثر من الف لكل نسمة من سكان الولايات المتحدة وثمن تلك الطوابع يتراوح بين سنت واحد وخمسة دولارات · اما الطوابع التي قيمتها خمسة دولات فمعدل المباع منها ثلاثة الاف في السنة فقط بينما الطوابع التي ثمن الواحدة منها دولار واحد يباع منها في السنة تسعين الفا · وفي السنين الغابرة عملت الحكومة طابع بريد ثمنه ماية دولار وهو من النوع الذي يلصق على صحف الاخبار ولم يتمكن العموم من روءيته وقد الصق على سجل مدير البريد ولم يزل فيه وقد ابطلت الحكومة عادة الصاق الطوابع على الجرائد

اما كيفية الابتداء في عمل طوابع البريد فعلى جانب من الفكاهة · فمنذ ٦٥ سنة خلت كان رولند هل في احد النزل في بلاد الانكليز واذا بموزع البريد جاء يحمل رسالة لابنة صاحب النزل فاخذت الرسالة وصارت تقلبها بطنا لظهر ثم استعلمت عن الاجرة فاجابها موزع البريد انها شلين واحد واذ ترددت في دفعه دفعه عنها رولند المذكور · اما هي فاخبرته بانها آسفة لانه دفع الشلين عبثا واوضحت له انها متفقة مع خطيبها على ان كلا منهما يكتب ما شاء على الغلاف وعند استلام الرسالة من موزع البريد يقرا الكتابة ثم يعيد الرسالة الى موزع البريد معتذرا عن عدم وجود دراهم معه لكي يدفع اجرتها فيرجع الموزع الرسالة الى ادارة البريد فتتلفها · فشرع رولند يفكر في الامر وكان نتاج افتكاره طوابع البريد فصار يضطر المراسل لان يدفع

اجرة الرسالة قبل ارسالها

وتبذل ادارة البريد كل ما في وسعها لتسهيل طرق المعاملة للذين يرسلون كميات كبيرة من المراسلات في البريد · فطالما شكا اصحاب المحال الكبيرة والتجارة الواسعة سرقة طوابع البريد من مكانبهم فدبرت ادارة البريد طريقة لمنع تلك السرقات وذلك انها سمحت لمثل اولئك ان يبعثوا رسائلهم بالبريد بمجرد ثقب عدد او حرف على الغلاف لايتجاوز حجمه النصف قيراط ووزن الرسالة لايتجاوز الثقل المعين ويوءدون عنها الرسم المعتاد لادارة البريد دفعة واحدة وبذلك نجوا من الاختلاس والسرقة

وهنالك طريقة اخرى وفرت كثيرا من الوقت والنفقات على ادارة البريد و كبار المرسلين فيه اشياء مختلفة من الدرجة الثانية الى الرابعة · فقد سهلت طرق الارسال في تلك الدرجات بدون طوابع بريد · فاذا شاء احد البيوت التجارية الكبيرة ارسال مليون اذاعة (شر كولاري) مثلا فكم من الوقت والنفقة يقتضيان لارسالها · فادارة البريد سمحت لكل من يريد ارسال الفي اذاعة او نحوها بالبريد بان يلصق على الغلاف ورقة صغيرة تحتوي قيمة ما دفع اجرة البريد واسم الادارة التي دفع اليها ذلك ونمرة الرخصة وهلم جرا فينقلها البريد دون ان يكون ملصوقا طوابع بريدية عليها بعد ان يكون مرسلها قد دفع اجرة ارسالها دفعة واحدة · وقس على ذلك تسهيلات جمة يطول شرحها

وتنفق الولايات المتحدة نصف مليون دولار سنويا ثمن اضابير لنقل البريد وعلى حفظ القديمة منها وعدد الاقفال لتلك الاضابير تسعماية الف قفل ولكلها مفتاح واحد ويحرصون كل الحرص لكي لا يفقد واحد من تلك المفاتيح اما الاقفال المستعملة في اضابير البريد المضمون فعددها ٥٦ الفا و كلها ترقم اعدادا لدى فتحها فاذا بلغت الرسائل الى محطة معينة وفحصها المأمور الموكول اليه ذلك يعلم من القفل من فتحها

قبله واين فتحت · اما العناية بالرسائل المضمونة فمما يفوق الوصف

ان المكاتيب وغيرها مما يرسل في البريد توزع على اصحابها باسرع ما يمكن من الوقت ولكن احيانا يختفي بعضها مدة سنة او اكثر · فقد وردت رسالة على ادارة البريد في مدينة باترسن من ولاية نيوجرزي موضوعة منذ ثلاث سنوات في بريد قرية مدفيل التي تبعد عنها خمسة اميال فقط واغرب من ذلك انه ظهرت رسالة في ادارة بريد احدى مدن الولايات الشرقية وهي تهنئة من صديق الى اخر بصبي ولد له فاستلم المولود نفسه تلك الرسالة بعد ان كان قد تناول ثلاث تهانيء باولاد ولدوا له هو

ولدى ادارة البريد خرائط مفصلة الطرق التي يسير عليها والاماكن التي فيها ادارات البوستة والطرق التي يوزع فيها البريد في المدن والقرى والمزارع والبيوت في كل طريق ونحو ذلك مما هو على تمام الجلاء والوضوح وهي تعرضها للبيع باثمان طفيفة

ولقد وسعت ادارة البريد موءخرا ادارة نقل الرزم ونحوها على نفس الطريقة التي تنقلها شركات الاكسبرس وذلك بالصاق طوابع معينة على وزن مفروض وبذلك سهلت طرق الارسال على الاهلين وانزلت الاجرة الى دون ما تتقاضى الشركات المذكورة

ويوجد فرع لادارة البريد يعرف بقسم «الرسائل الميتة» اي المرسلة الى اناس لا يهتدى اليهم لعلة من العلل فيرد على تلك الدائرة سنويا ١٢ مليون رسالة ورزمة وثمانية ملايين بطاقة بريد · فيفتحون تلك الرسائل والرزم ويرجعونها الى مرسليها اذا استطاعوا معرفتهم وقد بلغ معدل الراجع منها الى مرسليها ستة ملايين في السنة

واحيانا يعثرون على زحافات وحشرات حية في اكياس البريد · فمرة وجد احد الموظفين سربا كاملا من خنافس الشنفيلا من كنساس · واخر فتح صندوقا صغيرا فوجد

ضمنه عقربا ميتا من النوع الذي لا ينجو الملدوغ منه من تجرع كأس المنون ٠وفي علبة اخرى وجدوا صلا معلقا به بطاقه عليها هذه الكتابة «ارجو ان هذا يرديك حتفك» أما الأشياء الثمينة التي يجدونها في ادارة «الرسائل الميتة» فيحتفظون بها ويدونون لائحة بما يجدون منها فاحيانا يجدون دراهم ورقية في التحارير واخرى تحاويل مالية واوراقا تجارية وحجج مبيع وغير ذلك ٠وفي احدى السنين بلغ مجموع النقود التي وجدوها في المكاتيب ستين الف دولار وجدوا اصحاب اربعين الف دولار منها والباقي وهو عشرون الف دولار اعطي لخزينة الولايات المتحدة

ومما لا يخلو ذكره من فكاهة المبيع السنوي للرسائل المهملة الذي يجري في واشنطن العاصمة قبل عيد الميلاد ويبلغ ما يرد للخزينة منه عشرة الاف دولار كل سنة

ومن افضل الاعمال التي قامت بها نظارة البريد موءخرا انشاء المصارف الاقتصادية حيث يضع الفقراء القليل الذي يفضل معهم من الدراهم في مكان لا خوف عليه من الافلاس والاختلاس لان الحكومة هي الضامنة لها ٠ وقد بوشر بذلك منذ ثالث كانون الثاني عام ١٩١١ في ٤٨ ادارة بريد في الولايات المختلفة ٠ وعدد ادارات البريد في الولايات المتحدة ستون الفا وفي العزم انشاء مصارف اقتصادية في خمسين الفا منها نظرا لاقبال الناس على تلك المصارف وثقتهم بها

والامر المطروح على بساط البحث الان هو جعل اجرة نقل الرسالة في البريد الاميركي سنتا واحدا في سائر انحاء الولايات المتحدة ٠وقد وعد مجلس الامة انه حالما يصير الدخل من البريد معادلا للنفقات سيخرج ذلك الى حيز العمل واذا تم ذلك فيغدو البريد الاميركي اعظم من برد سائر العالم مجموعة

الفصل الثالث والسبعون

ـ نظارة الداخلية ـ

نظارة الداخلية عبارة عن مجموع ادارات كل منها مستقلة في اعمالها٠٠ فلا توجد علاقة مثلا بين ادارة مرتبات التقاعد وادارة الهندسة الجيولوجية والمسح والغرض الذي انشئت نظارة الداخلية لاجله هو النظر والاهتمام بشوءون البلاد الداخليــة ٠ والذي حدا الى انشائها اتساع نطاق املاك الولايات المتحدة بعد حرب المكسيك المار ذكرها وتكاثر عدد السكان ووفور الثروة وتعاظم التجارة ٠ والقرار الصادر من مجلس الشورى بذلك كان معنونا «قرار لانشاء الادارة الوطنية » ٠ ومنذ انشاء نظارة الزراعة ونظارة التجارة والعمل حدثت مسائل جمة بها اختلط عمل كل منهما بعمل الاخرى بحيث لم تعد تعرف حدود احداهما كما حدث بين نظارة الزارعة ونظارة الداخلية في مسألة الاحراج الخاصة بالحكومة فكل من الادارتين بسطت سلطتها عليها الى ان تقررت وتعينت حقوق وواجبات كل منهما رسميا

ووزير الداخلية السابق المستر بلنكر اقترح في تقريره الرسمي بان نظارة الداخلية يجب ان تتحد بنظارة الزراعة ٠وان نظارة البناء والارض تتحول الى نظارة رئيس مهندسي وزارة المالية ٠ ونظارة الامتيازات تعطى لوزارة التجارة والعمل ٠ وادارة رواتب التقاعد لوزراة البحرية

اما سلطة وزير الداخلية فيبحث في تقريرها الان نظار الادارات المختلفة التي تنضوي الى نظارته واكثرها اهمية ادارة الاراضي العمومية ٠ وقد امتازت حكومة الولايات المتحدة بانها اعظم واهب للاراضي ورد ذكره في تاريخ العالم ٠فمنذ انشائها

حتى الزمن الحاضر قد دخل في حوزتها مساحة مليون و٨٣٥ الف فدان ارض وقد افطعت سكان الولايات المتحدة تلك الاراضي خلا سبعماية الف فدان ٠وقد نجحت حكومة اميركا ايضا بمشترى شقق واسعة من الارض لم يكلفها الفدان الواحد اكثر من خمسة سنوت ومن تلك الاراضي ماهي ذات قيمة كبيرة كاراضي لوزيانا مثلا التي نم ندفع الحكومة ثمن الفدان منها اكثر من خمسة سنوت والان يساوي مئات الدولارات وبعضا من اراضي الحكومة اعطيت مجانا لاناس تعهدوا باستعمارها واستثمارها ٠ ومساحة ما اعطته الحكومة «مسكنا» لكل طالب آنئذ ١٦٠ فدانا وقد اجاز الكونغرس نظاما به يسمح للراغبين في الاقامة في اراضي الحكومة ان يستثمروا الارض ولكن على شرط ان مناجم الفحم التي تظهر فيها تكون ملكا للحكومة

وينضوي الى ادارة الاراضي العمومية التماثيل والانصاب الوطنية٠وما اذخر في الاجام من الغرائب الطبيعية وغيرها ومن ذلك الجسر المعروف بجسر قوس قزح وهو عبارة عن عقد طبيعي يضارع في شكله قوس قزح علوه ٣٠٩ اقدام واتساعه ٢٧٨ قدما وهو في جنوبي ولاية يوطا ٠ وايضا تمثال ستكا الوطني في الاسكا وهو قائم في المكان الذي جرت فيه حروب روسيا الاخيرة في الاسكا سنة ١٨٠٤ وفيه عدة اعمدة قديمة نوضح تاريخ قبائل مختلفة من طوائف الاسكيمو

ودائرة رواتب التقاعد جزء مهم من وزارة الداخلية ٠ وعدد الذين يتناولون راتب تقاعد من خزينة الحكومة الان نصف مليون غير ان ذلك العدد يتناقص بالوفيات التي يبلغ معدلها ثلاثين الفا كل سنة ومجموع ما يتناولونه من خزينة الحكومة ١٥٨ مليون دولار ٠ومعدل ما يتناوله واحدهم في السنة ١٧١ دولارا و٩٠ سنتا ومجموع ما دفعته الحكومة من تلك الرواتب حتى نهاية سنة ١٩١١ اربعماية مليون دولار ومن ذلك المبلغ ثلاثة ملايين و٨٣٧ الف دولار دفعت للجنود الذين حاربوا في الحرب الاهلية

اما العرائض التي تقدمت للحكومة بطلب راتب تقاعد فتملاء ٢٧ غرفة ووزنها اكثر من ثلاثة ملايين وربع مليون رفض منهم مليون وربع والبقية قبلت

ان الحكومة اعطت راتب تقاعد لمدام فوبي بالمتر من بلدة برو كفيلد من ولاية نيويورك وعمرها ٨٩ سنة وذلك بقرار خاص من مجلس الشورى لانها ابنة يوناثان وولي الذي حارب بفرقة نيوهمشير تحت قيادة جورج واشنطن واسمها الوحيد الباقي في السجل الحاوي اسماء الذين تناولوا رواتب تقاعد لمحاربتهم في حرب الاستقلال ٠ وآخر من تناول راتب تقاعد من انسباء جنود تلك الحرب استير ارملة دامون من بلموث يونيون من ولاية فرمونت وقد قضت نحبها عام ١٩٠٦ وعمرها ٩٢ سنة واخر من تبقى حياً من حرب سنة ١٨١٢ المار ذكرها هيرام كرونك من مدينة آفا نيويورك مات سنة ١٩٠٥ عن ماية وخمس سنين ولم تزل اسماء ٣٥٠ ارملة مدونة في سجل الذين يتناولون راتب تقاعد وهن زوجات الذين حاربوا سنة ١٨١٢

وادارة المعارف هي ايضا جزء من وزارة الداخلية وهي المرجع الاعلى لكل ما له علاقة بالعلوم والمعارف ووسائل التهذيب في البلاد ٠ وتبحث في ما لدى سائر البلدان الاجنبية من تلك الوسائل وتنتقي افضلها وتدخله الى الولايات كما انها لا تضن على سائل او مستفيد من بلاد الاجانب بما لديها من مراقي الاداب والعلوم لكي ينسجوا على منوالها اذا ارادوا ذلك ٠ وهي تعمل ابدا على ما فيه ترقية رياض الاداب وتعزيز بيوت العلم والعرفان واقتيادها في سلم التقدم والفلاح ٠ ولديها موظفون عملهم زيارة الكليات والمدارس العليا وغيرها من مناهل المعرفة والفنون والعلوم وتدقيق النظر في نسق دروسها وما يتعلق بذلك لانتقاء الافضل واستئصال الضار منها لكي يتيسر للطلبة تحصيل المعارف على اسهل منوال ٠ وينظرون ايضا في التسهيلات التي تقدمها بيوت العلم للتلامذة الاجانب الذين يؤمون هذه الديار لاجتناء ثمار المعارف من رياض

الآداب وتهتم دائرة المعارف ايضا بتهذيب طائفة الاسكيمو في الاسكا وتعلمهم كيفية الزراعة واستثمار الارض والطبخ والخياطة والغسيل وغير ذلك من الاعمال النافعة وتعتني ايضا بقطعان حيوان الرنة في الاسكا · فهناك ٢٢ الفا من هذا الحيوان مقسومة الى ٣٤ قطيعا · ويباع منه سنويا بالوف الدولارات حتى سكان الاسكا يحسبون تربية حيوان الرنة من اعظم مواردهم واكبر مصادر ثروتهم

اما مدير شوون الهنود فينظر في احوال قبائل الهنود المنتشرة في الولايات المتحدة والاسكا واملاكهم وثروتهم ومدارسهم ومعاملاتهم وكل ما يتعلق بهم · ويقدر عدد الهنود الذين تحت حماية الولايات المتحدة بثلاثماية الف نفس · وكانت الحكومة سابقا تعاملهم كعشائر وجماعات عوضا عن معاملتهم كافراد نظير سائر رعاياها · غير انها عدلت عن ذلك · واتخذت وزارة الداخلية على عاتقها امر تهذيب الهنود وترقية شوءونهم لجعلهم مساوين الشعوب الراقية بحيث يغدون مفيدين لانفسهم ويتقي مساكنوهم اضرارهم · والطريقة المثلى لذلك هي معاملتهم كافراد وعليه فحالما يصير الهندي مضارعا للاميركي ويمكنه ان يعيش نظيره سياسة وادبا وحقوقا ترفع وصايتها عنه وتطلق له الحرية ليعيش كغيره من رعاياها · ولا يخفى ان تغيير صفات واخلاق وغرائز امة واجبارها على نبذ تقاليدها وعاداتها وغير ذلك يستغرق اجيالا واحقابا فلا يتم بسنين معدودة ولهذا فالحكومة الاميركية تجد صعوبة كلية في تهذيب الهنود وتمدينهم فانهم مازالوا متمسكين بتقاليدهم وعاداتهم القديمة على رغم كل ما يبذل من الاتعاب في ذلك السبيل

وربما ان اشق عمل تقوم به ادارة شوءون الهنود هو منع بيع المسكرات للهنود خارج الاسكا · فعلى رغم كل التحفظات والغرامة الباهظة لم يزل سوق المشروبات الروحية رائجا بينهم وهم شديدو الولع بالمسكر · وتنفق الحكومة سنويا ستين الف

دولار في سبيل منع بيع المسكرات للهنود

وقد يكون هنود قبيلة او سيدج الذين ارجعت املاكهم لهم كافراد وليس كقبيلة اغنى فلاحي العالم ٠ فعددهم ٢٢٣٠ شخصا ويملكون مساحة مائتي الف فدان من اخصب الاراضي الزراعية زد على ذلك ما لديهم من المال الذي يبلغ مقداره نحو تسعة ملايين دولار ٠ والشريعة اجازت لكل هندي مساحة ٤٨٠ فدان ارض واعطي مبلغ اربعة الاف دولار نقدا ٠ فحالما تتم فيه الشروط اللازمة لصيرورته من رعايا البلاد تعطى له املاكه ودراهمه تدريجا حتى يغدو بعد ٢٥ سنة مالكا مطلقا لكليهما

قيل انه عندما اكتشف كولمبس اميركا كان لا اقل من ٤٨ قبيلة من الهنود قاطنة في الاراضي الواقعة الى شمال خليج المكسيك اما الان فعدد الهنود الباقين في تلك الاصقاع لا يتجاوز المليون نسمة ٠ ان الهنود الاخلاط اخذون بالنمو والازدياد واما الذين هم من دم هندي خالص فعددهم يتناقص سنة فسنة ويوجد منهم نحو ٢٦ الفا لا يزالون متمسكين بعادات وتقاليد اسلافهم كما كانت منذ مئات من السنين

ويوجد فرع اخر لنظارة الداخلية يعرف باسم «ادارة الري» واخص عمله الاهتمام بري اراضي الولايات والمقاطعات الغربية ٠ وذلك العمل سيعود بثروة عظيمة على الامة في المستقبل القريب ٠وعام ١٩٠٢ اجاز الكونغرس قرارا بان ثمن الاراضي التي تباع في بعض الولايات والمقاطعات الغربية ينفق كله على عمل الري المذكور ماخلا خمسة بالمئة تنفق على المدارس ومعاهد الادب ٠ فاجتمع لدى الحكومة من اثمان تلك الاراضي ١٦ مليون دولار وهذه ستنفقها في ري الاراضي القاحلة وجعلها صالحة للزراعة ٠ وزاد مجلس الامة على ذلك المبلغ مبلغا اخر لاتمام العمل المذكور ولما تصير تلك الاراضي كلها صالحة للاستعمار تعطي الحكومة مساحة ٤٠ فدان منها مجانا لكل من يبغي الاقامة فيها تحت شروط معينة

وتوجد الان مساحة ١١ مليون فدان ارض تروى بالمياه التي خزنتها الحكومة والمياه المجموعة في اخزنة الري كافية لارواء ثلاثين مليون فدان ارض زيادة عما ذكر فاذا استعمرت تلك الاراضي على نسبة شخص واحد لكل فداني ارض بلغ مجموع سكانها عشرين مليونا ٠وقد جعلت الحكومة شروط الاستعمار سهلة جدا بحيث يجد الفقير الذي لامال له بابا مفتوحا لامتلاك بيت ومزرعة ومواشي وغير ذلك ٠ فهي تعطيهم عملا في اراضيها وتدفع لهم لقاء اتعابهم ما يقدرهم على سد ما عليهم من الديون لها ٠فيغدون بعد مضي سنوات معدودة احرارا من الدين ٠وتقدر مساحة الاراضي المروية بالمياه بخمسة وسبعين مليون فدان وستة اسباعها واقع في املاك الولايات المتحدة وعدد الاميركيين الساكنين الان في اراض مروية يربو على ثلاثة ملايين نسمة

وذلك الري يزيد في خصب الارض وذلك ظاهر بمقابلة حاصلات الاراضي المروية بغيرها فمحصول الفدان في وسكنسن يساوي ١٢ دولارا و١٩ سنتا وفي النيوز ١١ دولارا و٢٢ سنتا وفي مينا سوتا تسعة دولارات وقس عليه

وتراس نظارة الداخلية ايضا ادارة الامتيازات وادارة الهندسة الجيولوجية ٠ وفضلا عن ذلك تتعاهد الملاجيء الخيرية وبيوت الاحسان المختلفة بالحكومة والحدائق والمنتزهات العمومية وتراقب مجرى الاحكام في المقاطعات وتشارف الاعمال المتعلقة ببنايات الحكومة ونحو ذلك

الفصل الرابع والسبعون

— نظارة الزراعة —

نظارة الزراعة اتت البلاد بمنافع وفوائد عظمى اكثر من سائر النظارات الاخرى فبفضل اجتهادها وعنايتها في استنباط طرق جديدة للزراعة وابتكار الات زراعية قد زادت زيادة تذكر · فكان معدل محصول الفدان الواحد من القمح عام ١٨٦٦ عشرة بشولا فاصبح ١٥ بشلا وقس على ذلك سائر الحاصلات فكلها زادت زيادة مذكورة

ويعتقد مدراء نظارة الزراعة ان التقدم لا يقف عند هذا الحد بل سيزيد في خمسين سنة مقبلة على نسبة مازاد في خمسين سنة خلت · فالفلاح النشيط يمكنه اليوم استغلال حقوله على معدل ٢٥ بشلا قمحا من الفدان الواحد و٦٠ ذرة وبالة وربع بالة من القطن ولولا زيادة المحصولات اليوم عما كانت عليه في السابق لكانت اثمان الارض سابقا اعلى منها اليوم

وبواسطة العناية الفنية والعمل بموجب الطرق الزراعية الحديثة قد زادت غلة الفدان الواحد من القطن خمسي البالة عن المعدل السابق فبلغ ثمن الحاصل من تلك الزيادة مليونا و٢٥٠ الف دولار ·والمأمول ان تثقيف الفلاحين في العلوم الزراعية المستحدثة التي قد تكبدت نظارة المالية مشقات ومصارفات كثيرة في سبيلها سينتج عنه زيادة في سائر محصولات البلاد

وبينما نظارة الزراعة مهتمة بتكثير موارد الاغلال والاثمار والنباتات فهي لا تغفل عن الاهتمام بمسألة تربية المواشي والحيوانات الاليفة · وذلك موكول الى ادارة خاصة فهي فضلا عن اهتمامها بذلك تفحص اللحوم التي تباع للاهلين في كل البلاد

وتعتني بالحجر على الحيوانات المصابة وتبحث في امراضها وطرق معالجتها ونسبة تلك الامراض الى او علاقاتها مع الامراض التي تصيب الادميين وتجتهد في تكثير عدد الحيوانات المفيدة ودرها

ان ربع البقر الحلوب في الولايات المتحدة لا يدر بقيمة علفه · ولو درت كل من البقرات الحلوب الموجودة في الولايات المتحدة خمسة ابوان من الزبدة سنويا زيادة عما تدره الان لبلغ ثمن تلك الزيادة ثلاثين مليون دولار · ولو ان كل دجاجة تضع دزينة واحدة في السنة زيادة عما تضعه الان لبلغ ثمن تلك الزيادة خمسين مليون دولار وقس على ذلك المحصولات الاخرى

وتنفق الحكومة سنويا ثلاثة ملايين دولار على فحص اللحوم والفاحصون ضاربون في اطراف البلاد ولهم الف مركز في ٣٣٧ مدينة وبلدة · ويمر على ادارات الفحص سنويا خمسون مليون حيوان قبل اقتيادها الى المسالخ · ويقدر اللحم المفحوص بعد خروجه من المسلخ بسبعماية مليون بوند سنوياً · اما الحيوانات التي يمنع بيع كل لحومها او بعضها فتعدل بمليون راس في السنة و٤٦ بالماية منها يجدون فيها باشلوس السل اما الخنازير فانه فيها على معدل ٩٦ بالماية

ولدى ادارة الاهتمام بالحيوانات مستوصف في بلدة بيتحسدا من ولاية ماري لاند لفحص الامراض التي تعتورها · ولديها ايضا مزرعة للامتحان والتجربة في بلدة بتسفل من الولاية المذكورة حيث يقومون بامتحان وتجربة موارد الدر في الحيوانات الحلوبة وتفقيس البيوض وعلف البهائم وغير ذلك مما ياوول الى تكثير الموارد وحفظ النوع

وتلك الادارة ايضا تجتهد في مقاتلة الامراض التي تعرض للحيوانات وفي استئصال جراثيمها واماتتها · فمازالت منذ سنين عديدة تحارب العلة التي تصيب البقر

بنوع اخص واسمها حمى حشرات تكساس وقد نجحت نجاحا مذكورا وانقذت ملايين الحيوانات من فتكها وقد اكتشفت تلك الدائرة موءخرا بان ١٨ بالماية من البقر الموجود في مقاطعة كولمبيا مضروبة بجراثيم السل • فضربت حجرا صحيا على الابقار المصابة فما مر على ذلك سنتان حتى تلاشت جرثومة المرض المذكور من كل ابقار مقاطعة كولمبيا

واستحضرت الدائرة المذكورة ايضا مصلا شديد الفاعلية في منع انتشار الكوليرا في قطعان الخنازير فتناقص فتكها كثيرا والمأمول ازالتها في المستقبل •وقد اجروا امتحانا في قطيع من الخنازير عدده ٣٥ فلقحوا ٢٢ منها بالمصل المذكور واربعا ادخلوا فيها جراثيم كوليرا الخنازير وتسعة تركت بلا معالجة فماتت الاربع من فتك الكوليرا واتصلت العدوى بالتسعة الى لم تعالج فهلكت واما الاثنا وعشرون خنزيـرا التي لقحت فلم تصب بضرر وتوزع ادارة الاهتمام بالحيوان مجاناً مقادير كبيرة من المصل والعلاجات المختلفة على الفلاحين وغيرهم لمعالجـة الامراض التي تصيب الحيوانـات وقتل جراثيمها • وقد لعبت دورا مهما في ما اتخذ من الوسائل لتكثير موارد الـدر • واشتركت بكل التدابير التي استعملت لذلك في كل مكان

وتنضوي ايضا الى نظارة الزراعة ادارة الاهتمام بالنبات وهي تبحث بحثا دقيقا وتدرس درسا عميقا سائر الامراض التي تصيب عالم النبات على نحو ما يدرس الاطبـاء الامراض التي تعتري البشر • ولا تقتصر على معرفة ماهية الامراض بـل تبحث عن العلاجات الشافية منها ووصف ما فعلته هذه الادارة من اكتشاف الامراض النباتية ومعالجتها يستغرق مجلدا •ومن اهم ما فعلته فضلا عما ذكر استجلابها من الخارج بزورا ونباتات لاوجود لها في الولايات المتحدة فقد استجلبت النخيل من مصر والدينة من الصحارى والقمح الدرمي من روسيا ونوعا اخر منه من سيبيريا ونوعا من الدراق

من الصين ومئات انواع نباتات اخرى من كل بقعة من بقاع الارض فضلا عن المطاعيم التي اتت بها من سائر انحاء الكون. وقدعادت على البلادبمنافع زراعية لا تحصى ويكفي شاهدا على اهمية ما فعلته وتفعله تلك الادارة من استجلاب البزور المفيدة من كل الاقطار بانه يوجد في العالم باسره اكثر من مائة الف نوع من النبات والمستعمل منه لا يبلغ الخمسة الاف في المسكونة اما المستعمل منه في الولايات المتحدة فثلاثمائة نوع خذ واحدا منها قياساً لمحصولاتها وهو الارز فتوجد الان في الولايات المتحدة مساحة سبعماية الف فدان تزرع ارزا ومجموع ثمن الحاصل منها ١٦ مليون دولار . ولقد توفقت الى اقتناء آلة تدخن السيكار كما يدخنه الانسان ومن كيفية احتراقه ولون رماده تعرف نوع الدخان فيما اذا كان جيدا ام رديئا

زد على ذلك اهتمام نظارة الزراعة بري الاراضي واستثمار البور منها والتدقيق في معرفة طبيعة التربة والنباتات الصالحة للزرع فيها. ومسح الاراضي وتخطيطها ورسم خرائط يعرف منها كل الاراضي ونوعها وجنس تربتها ونحو ذلك وقد وجدوا حتى الان سبعماية نوع من التربة في اراضي الولايات المتحدة

وتملك الولايات المتحدة من الاحراج والاجام ما يجعلها الثالثة في العالم من هذه الحيثية فلا يفوقها في ذلك سوى روسيا وكندا . فمساحة الغابات الوطنية في الولايات المتحدة هي نحو ٢٠٠ مليون فدان تحتوي على اكثر من خمسماية مليون قدم من الاخشاب . وكل ذلك تحت عناية ادارة الاحراج التابعة لنظارة الزراعة وعدد موظفيها الفان من ذوي المقدرة والخبرة . ولكل غابة ناظر ومعه عدد من الحراس يطوفون فيها لحفظها من الاندثار باقدام السابلة ومن الحريق . وفضلا عن محطات الحراسة توجد ايضا محطات عليها ابراج تطل على الغابات ويتناوب تلك الابراج رقباء للحريق وتتصل ببقية المحطات بواسطة التلفون وحيث لا يمكن مد اسلاك التلفون يتكالمون باشارات اصطلاحية

والقصد من ذلك كله ابقاء مقدار من الخشب في البلاد يقوم بحاجتها

وتتلف الحشرات والدويبات المختلفة من مزروعات ومواشي البلاد ماتقدر قيمته بملايين الدولارات • فذباب حمى تكساس وحدها تقتل من الحيوانات في السنة ما يعادل ذلك • وقد فوض البحث في امر تلك الذبابات والحشرات والنظر في اتلافها الى دائرة خاصة تعرف بدائرة وصف الهوام والحشرات • وهذه تستجلب من الممالك المختلفة انواع طيور وزحافات وغير ذلك تأكل تلك الذباب والهواء والحشرات وتستأصل بيوضها • وتعطي للممالك الاخرى لقاء المفترسات التي تأخذها منها ما لا وجود له في بلادها من تلك الانواع كما فعلت موءخرا مع اسبانيا فانها اعطتها طيورا من النوع المعروف « باللادي بك » وهو مشهور بافتراس ذباب معلوم كثر وجوده في مزارع اسبانيا في الآونة الاخيرة

وتوجد ايضا دائرة اخرى تابعة لنظارة الزراعة تعرف بدائرة التخطيط البيولوجي وهي تبحث في طبائع الطيور والحيوانات وما اشبه ذلك وعلاقاتها مع حاصلات البلاد ونتائج الحقول • وقد وجدت تلك الدائرة موءخرا بان الجرذان اكبر العوامل على نشر الطاعون والعلة الوافدة وفضلا عن ذلك فهي تتلف سنويا من محصولات البلاد المذكورة في الاهراء والمستودعات ما يقدر ثمنه بملايين الريالات وقد اهتدوا الى طريقة لابادة الجرذ باقل ما يمكن من النفقة •وهي الان تبحث عن الحيوانات التي تنقل الحميات الخبيثة وعن اسهل الطرق لابادتها • كما انها تعمل على ابادة الفار وغيرها من الحيوانات التي تتلف البزور آن القائها في الارض وعلى استئصال كلما يضر في الزراعة اجمالا

ولا تألو نظارة الزراعة جهدا في تعميم معرفة طرق الزراعة الحديثة بين سائر طبقات الفلاحين والزارعين • ففي خلال السنة الغابرة وزعت ٢٥ مليون نسخة من اذاعات

وقرارات ونحو ذلك مما فيه فوائد زراعية · وبعد ان وزعت نحو مليون من كتيب يبحث في الاقتصاد في استعمال اللحم في البيت باعت منه خمسين مليون نسخة · وتصدرسنويا مقدارا كبيرا من مثل تلك الكراريس في كل فن زراعي وتربية المواشي وغير ذلك وتجعله جاهزا بحيث يرجع الفلاح اليها كل ما اراد زرع صنف في الوقت المعين له · ويوجد ٦٠ مركزا امتحانيا في الولايات المتحدة لمعاونة نظارة الزراعة بتعميم الفوائد الزراعية وتنشر بذلك كتبا ومجلات منتشرة بين سائر فلاحي البلاد · وتهتم تلك النظارة ايضا بتمهيد الطرق العمومية وتعقد اجتماعاً عاما كل سنة يحضره ما ينيف على مئتي الف من الفلاحين وتعرض فيه الالات الزراعية ونحوها وتلقى محاضرات مفيدة عن الزراعة وهنالك اعمال كثيرة مفيدة تقوم بها نظارة الزراعة اقتصرنا على ذكر ما تقدم منها وهو كاف لاظهار العناية العظيمة التي تقوم بها الحكومة نحو انماء واحياء زراعة بلادها ولا غرو فالزراعة من اهم اركان العمران ولو احتقرها بعض المهاجرين

الفصل الخامس والسبعون

ـــ نظارة التجارة والعمل ـــ

نظارة التجارة والعمل تشمل عددا من دوائر الحكومة · فاليها تنضوي دائرة فحص الشركات وادارات المهاجرة والتجنيس واحصاء النفوس وتعيين المكاييل والموازين والمقاييس وتحديد اماكن الصيد وادارة الفنار ومناظرة المياه التي تمخر فيها السفن وادارة المرافىء وفحص السفن البخارية وغير ذلك

فادارة المهاجرة والتجنس موكول اليها النظر في قبول مهاجرين الى هذه البلاد وتنفيذ الشرائع التي بموجبها يسوغ لهم ان يتجنسوا بالجنسية الاميركية · فكل شخص من ثلاثة من سكان الولايات المتحدة هو اما مهاجر او ابن مهاجر · وغالبا يبلغ عدد المهاجرين الى الولايات المتحدة خمسة الاف نسمة في اليوم واحيانا يدوم ذلك المعدل مدة الشهر كله · وعلى هذا المعدل لا يبقى للفاحصين في ادارة المهاجرة من الوقت سوى دقيقتين لفحص المهاجر الواحد · ومعدل من يرجع من اولئك المهجرين واحد في الالف وتأخذ الحكومة اربعة دولارات رسما على كل مهاجر والداخل من ذلك يزيد عن نفقات ادارة المهاجرة والتجنيس

ويجب ان يكون في حوزة المهاجرين عند دخولهم هذه البلاد دراهم كافية لاعالتهم ريثما يجدون عملا ·وقد بلغ مجموع ما كان مع المهاجرين من الدراهم في سنة واحدة ٢٨ مليون دولار على معدل ٢٧ دولار للمهاجر الواحد على ان ٨٦ بالماية منهم كان معهم اقل من ٥٠ دولارا عند دخولهم البلاد · ومعظم المهاجرين الى اميركا في الاونة الاخيرة هم من جنوبي اوربا

وقد اقترح على الكونغرس ان يجعل فحص المهاجرين الذكور من سن ١٦ الى ٥٠ سنة مساويا لفحص الطالبين الدخول في الجندية او البحرية وذلك الفحص يقتصر على الاشغال اليدوية والبنية التامة والصحة واربعة من خمسة من المهاجرين يدخلون البلاد من مرفأ نيويورك

واعضل المعضلات لدى مأموري المهاجرة هي ارسال المهاجرين الى داخلية البلاد بدلا من ابقائهم في الاسكلة التي وصلوها او في الاماكن المجاورة لها ٠ وتوجد شريعة تحظر جلب عمال الى اميركا بطريقة المقاولة على ان اصحاب المعامل الكبيرة والشركات العظيمة يخالفون تلك الشريعة دون خوف من العقاب وذلك انهم يستأجرون عمالا من المهاجرين بواسطة شركات خاصة بتدبير عمل لمن لاعمل لهم باجرة حسنة وتلك الشركات اي شركات تدبير العمل تتقاضى الطرفين اجرة عن عملها فيباشر العامل الجديد عمله بتلك الاجرة الحسنة اسبوعا او اسبوعين ثم تاخذ اجرته بالانخفاض تدريجا الى ان لا تعود كافية لمعاشه الضروري فيسأم العمل ويغادر المعمل فيجيء غيره من المهاجرين جديدا ويملاء الفراغ وبذلك ربح ويربح اصحاب المصانع ملايين الدولارات والحكومة عاجزة عن ايقافهم لعدم مخالفتهم بنود الشريعة صريحا وهذه نقطة من بحر مما يصنعه اولئك الاغنيا لتكثير ثروتهم باتعاب المهاجرين المساكين

والسبب الاكبر في وفرة عدد المهاجرين من جنوبي اوروبا هو كثرة شركات السفن التجارية النقالة وعدد الذين يسلفون الدراهم ٠ فتلك الشركات لها مكاسب عظيمة من نقل المهاجرين على رغم اضطرارها احيانا الى ارجاع بعضهم مجانا

وربما أن اصعب المشاكل لدى ادارة المهاجرة هو تنفيذ الشريعة في ما يتعلق بمهاجرة الصينيين فاحيانا يدخل المهاجرون الصينيون الى الولايات المتحدة عن طريق المكسيك او كندا بقطورات الشحن المختومة وغيرها وبطرق عديدة منوعة ٠ ويقال

ان عددا عديدا من الصينيين الضاربين في عرض الولايات المتحدة وطولها قد دخلوها مخالفين الشريعة المتعلقة بمهاجرتهم

ولما يبلغ المهاجرون في الدرجة الثالثة الى مرفأ نيويورك ينقلون من الباخرة الى ادارة المهاجرة وهناك يجري عليهم الكشف الطبي من اطباء خصوصيين لتلك الغاية يقفون صفاً بين الواحد والآخر ٢٥ قدما ويمر المهاجرون من امامهم واحدا واحدا فمن وجدوا فيه مرضا اوقفوه واعادوا فحصه باكثر دقـة فاذا وجدوا مرضه من الامراض العضالة او المعدية ارجعوه الى حيث اتى خشية ان يصير عالة على البلاد · ويجب ان يقطن المهاجر خمس سنوات متوالية في الولايات المتحدة حتى يصير له حق التجنيس اذا رغب فيه

واحد فروع نظارة التجارة والعمل وهو ذو اهمية كبرى في عيون العموم ادارة الشركات » فتلك الدائرة هي التي فحصت شركة احتكار اللحم وشركة زيت الكاز او البترول وشركات القطن والدخان والخشب وغيرها واماطت النقاب عن اعمالها وشهرتها تشهيرا · وارغمت اصحابها على اصلاحات جمة

اما ادارة العمل فتختص باستقصاء احوال العملة في سائر الولايات وكل ماله علاقة بهم وهي تقتصر على مجرد تلك المعرفة وليس من متعلقاتها انفاذ الشريعة التي تتعلق بطبقات العملة · على انها تطالب بالاضرار التي تحدث لموظفي الحكومة

وادارة «المصطنعين» غرضها الاهتمام بكل ما يفيد مصانع البلاد واستحصال الاخبار عما فيه منافع تجارية وفرص للربح في البلاد الاجنبية بواسطة القناصل الاميركيين · وبمدة اربع سنوات قد اصدرت خمسة الاف منشور يتضمن كل منها خبرا عن مكان تروج فيه آلات ميكانيكيـة او مصنوعات اميركيـة وذلك لفائدة مصطنعيها اذ يجدون رواجا لمصنوعاتهم في تلك الاماكن وتعمل كلما في وسعها لمساعدة

التجارة والتجار من كل وجه · وكل دائرة من الدوائر الاخرى التي تنضوي الى نظارة التجارة والعمل وقد مر ذكرها تقوم على عملها الدال عليه اسمها بكل همة ونشاط ولا نرى من حاجة للاسهاب في وصف كل منها على حدة

الفصل السادس والسبعون

ـ كيف يشترع الكونغرس ـ

ان الطريقة التي بها يتناول اعضاء قسمي الكونغرس الخمسة واربعين الف لائحة التي يعرضها اعضاؤهما عند التئام المجلس رسميا كل سنة واختيار الاقتراحات المفيدة والمبادي الصحيحة مما تتضمنه لهي محاطة بالصعوبات والمشاكـــل وكثيرة التعقيد وتقتضي دقة نظر وانتباه جزيل فلربما وضع حركة من الحركات او علامةمن العلامات بغير موضعها المقصود قد تغير المقصود منها الى عكسه

ولايخفى ان الكونغرس لايمكنه ان يجيز شرائع كثيرة مدة جلساته القانونية واكثر اللوائح المقدمة للبحث قد لا تعرض على المجلسين لقصر الوقت ووفرتها فلو ان الكونغرس تناقش اربع دقائق فقط بكل لائحة تعرض عليه لاقتضى للمناقشة فيها كلها مدة ثلاثماية يوم

وهذا يميط النقاب ويرفع الحجاب عن السبب الذي من اجله يقسم اعضاء كل من المجلسين الى لجان مختلفة تبحث كل منها في عدد من تلك اللائحات وتعرض

خلاصتها على المجلس وحبا بايقاف القاريء على كيفية عرض اللوائح على الكونغرس وصيرورتها شريعة نفرض لائحة ونتتبعها منذ تقديم واضعها لها الى ان يصادق عليها الرئيس وتغدو شريعة مرعية الاجراء

في ٢٣ اذار سنة ١٩٠٩ قدم النائب جان اسك من وسكنسن لائحة بهـا يطلب ان كل السكك الحديدية وغيرها من وسائل النقل المستعملة لنقل تجارة اميركا والبلاد الاجنبية ان تعطي تقريرا بكل ما تصادف من النكبات الى مأمور دائرة التجارة وان يجري فحص ذلك بواسطة المدير ووضع تلك اللائحة في ما يدعونه «قادوس المجلس» وهي عبارة عن سلة يلقي فيها الاعضاء كل اللوائح التي يريدون عرضها عليه · فتناولها الكاتب وحولها حسب العادة الى لجنة «التجارة الوطنية والاجنبية» فاعطيت الى عدد من الكتبة في مجلس النواب حيث جرى قيدها في سجلاتهم وفي هذه الاثناء سنحت لمراسلي الجرائد فرصة للاطلاع عليها وارسال مضمونها الى جرائدهم

وبعد أن تمت المعاملات اللازمة في مجلس النواب وتقيدت في السجلات القانونية ارسلت الى مطبعة الحكومة فطبعوا منها ٦٢٥ نسخة وضعت في غرفة الصكوك حيث توضع كل الاوراق الرسميـة · ومن هناك اعطيت نسختـان الى كاتب كل من المجلسين المعين لذلك ونسختان الى كاتب الموزعات وواحدة ارسلت للجنة التي تحولت اليها اللائحة اولا وفي احد اجتماعاتها نظرت في تلك اللائحة وقررت وجوب تعديلها وتحويرها وباكثرية الاصوات اتموا ذلك

وفي ١٤ كانون الاول سنة ١٩٠٩ قررت اللجنة ان تعطي قرارها للمجلس عن تلك اللائحة والتعديل الذي اجرته فيها مع طلب اجازتها · وعندما حان الوقت لاجتماع اللجان المختلفة لتقديم قراراتها نهض المستر اسك وقال ان اللجنة نظرت في اللائحة واتفق راي اعضائها على ان يرفعوا قرارا للمجلس لاجازتها مع ما اجري فيها من التحوير وبانها

مصحوبة بتقرير خطي من اعضاء اللجنة عندئذ طلب خطيب المجلس اللائحة وامر ان توضع بين اللوائح الاخرى التي سينظر فيها

ثم ابتدات اللائحة دورة اخرى من مكتب الى اخر وتداولتها ايدي المسجلين وبعد ذلك ارسلت الى مطبعة الحكومة حيث طبعوا منها الفا وطبعوا ايضا قرار اللجنة وفي اليوم التالي وهو يوم الاربعاء وتعرف باربعاء اللوائح طلب خطيب المجلس اللجان المختلفة لاستماع قراراتها ولما جاء دور لجنة التجارة الوطنية والاجنبية طلب رئيسها اللائحة المذكورة من قائمة اللوائح فامر الخطيب ان تقرا مع ما اجري فيها من التحوير عندئذ صرح رئيس اللجنة بان الوقت مباح للمستر اسك للمناقشة بشان محتويات اللائحة والتعديلات المذكورة ٠ ولا يخفى ان اعضاء المجلس قسمان قسم من حزب الربلكان والاخر من حزب الديموقراط ففي مناقشات المجلس يعطى كل فريق وقتا مساويا لوقت الفريق الاخر هذا اذا كانت اللائحة المطروحة على بساط البحث تخص حزبا معينا واما اذا كانت عمومية وليس فيها ما يضاد مبادي احد الحزبين فيقسم الوقت على التساوي بين مضادي اللائحة ومعارضيها ٠ فلما تناقشوا بلائحة اسك ولم يكن فيها ما يخالف مبادي احد الاحزاب ولم يكن لها معارضون كثيرون اجازوها باتفاق الراي

عندئذ صادق كاتب المجلس على اجازة اللائحة التي اعيدت ثانيةالى التسجيل والطبع ونقل كاتب المجلس نسخة مصدقة الى قاعة مجلس الشورى ولدى وصولها اخبر الموظف المعين لذلك نائب الرئيس بوصول رسالة من مجلس النواب وهذا اشعر المجلس بوصولها عندئذ تقدم كاتب المجلس اي مجلس الشيوخ وصرح بانه اوعز اليه ان يصرح امام المجلس بان مجلس النواب اجاز تلك اللائحة بعد ذلك استلم نائب الرئيس اللائحة وحولها الى لجنة مجلس الشورى التي للتجارة ٠ عندئذ ارسل كاتب اللجنة يشعر كلامن اعضائها عن الوقت المعين لعقد اجتماع يبحث فيه في تلك اللائحة

وغيرها . فلما التأمت اللجنة تباحث اعضاوءها في تلك اللائحة واجراوا فيها تحويرا وتعديلا حتى صارت تختلف عن اللائحة التي اجازها مجلس النواب . وفي ١٨ شباط سنة ١٩١٠ قدم السناتور كالوم لمجلس الشورى لائحة اسك والتعديل الذي اجرته العمدة فيها مرفوقة بقرار اللجنة بشأنها . وفي ٢٣ شباط طرحت اللائحة على بساط البحث . فصرح احد الاعضاء بانه يجب ان تحدث بعض التغييرات فيها وعليه يلزم ان تعاد الى اللجنة لزيادة تدقيق في البحث فاستدعى نائب الرئيس ان يجري التصويت على ذلك وهكذا اعيدت اللائحة الى اللجنة

ثم ان اللجنة بعد اعادة النظر فيها وادخال بعض اصلاحات عليها قدمتها للمجلس في ١٥ اذار وفي ٢١ منه طرحت على بساط البحث فنظرت فيها لجنة نائبة عن عموم الاعضاء وبعد المناقشة فيها برهة تأجلت نظرا لتغيب احد الاعضاء وفي ٧ نيسان اعادت اللجنة العمومية النظر فيها فاقترح احد الاعضاء اصلاحا اخر في اللائحة فقبل ثم تنوقش فيها وبعد قراتها للمرة الثالثة بالتعديلات والاصلاحات التي ادخلت عليها اجازها مجلس الشيوخ باتفاق الراي

فعادت اللائحة الى المطبعة كما جرى اولا وحمل كاتب مجلس الشورى نسخة منها الى مجلس النواب وصرح بانه اشير اليه ان يعلن امام المجلس المذكور بان مجلس الشورى قد اجاز تلك اللائحة بالاصلاحات والتعديلات الجديدة . وفي ٩ نيسان عرض خطيب المجلس اللائحة على الاعضاء كما جاءته من مجلس الشورى فاقترح احدهم عدم قبول الاصلاحات والتعديلات التي اجراها مجلس الشيوخ وان مجلس النواب يعقد موءتمرا للنظر في ذلك . فعين الخطيب اشخاصا دعاهم لجنة نائبة عن مجلس النواب لكي تأتمر مع لجنة معينة من قبل مجلس الشيوخ . عندئذٍ انطلق كاتب مجلس النواب الى مجلس الشيوخ واخبر اعضاءه ان مجلس النواب قد اختلف بشـان

الاصلاحات والتعديلات التي ادخلها مجلسهم على اللائحة وانه يطلب من مجلس الشورى عقد موءتمر مع لجنة مجلس النواب للنظر في ما اختلف عليه ٠ فعين نائب الرئيس لجنة ايضا نائبة عن مجلس الشورى فاجتمعت اللجنتان في موءتمر وسوتا الامور المختلف عليها ثم نظمتا قرارا بما فعلتا وارسلتا نسخة منه لكلا المجلسين فصادق كلاهما عليها واجيزت اللائحة

بعد ذلك احيلت اللائحة الى لجنة معينة ففحصتها ورفعت قرارا بذلك الى خطيب المجلس بانها وجدت اللائحة صحيحة فوقعها الخطيب وارسلها الى مجلس الشيوخ مع التصريح بانه فعل ذلك عندئذ وقعها نائب الرئيس ثم ان اللجنة المعينة لاستلام القرارات التي تجاز ارسلتها الى الرئيس الذي صادق عليها بتوقيعه اياها واخبر كلا المجلسين بواسطة كاتم اسراره بانه فعل ذلك

غير انه احيانا تختلف المسالة عن ما تقدم فقد تجاز لائحة بدون تحوير او تعديل في كلا المجلسين فلا يعود من حاجة اذ ذاك الى اللجان ولا الى الموءتمر او نحوه مما ذكر بل تجري عليها القيود الرسمية وغير ذلك من المعاملات الاخرى ٠ واحيانا يضع مجلس الشيوخ اولا لائحة ويجيزها ثم يرسلها الى مجلس النواب ٠ويحق لكل من المجلسين على التساوي ان يضع لوائح وينظر فيها قبل المجلس الاخر ٠ الا في مايتعلق بوضع الضرائب فالابتداء بذلك يختص بمجلس النواب حسب الدستور كما انه جرت العادة بان كل اللوائح الخصوصية تبتدىء في مجلس النواب ايضا وتنتقل من لجنة الى اخرى على طريقة تقارب ما تقدم فلا حاجة بنا الى الاسهاب

الفصل السابع والسبعون

—مجلس النواب —

ان الكونغرس يتألف من مجلسين وهما مجلس نواب الامة ومجلس الشورى او مجلس الشيوخ واولهما اكثر اقترابا من الشعب ومنه يستمد قوته راسا ٠ وكل من اعضائه يعود الى الشعب الذي انتخبه كل سنتين ليعطي حساب وكالته او نيابته له وهو اشد انصياعا لارادة الشعب من سائر دوائر الحكومة فاعضاء مجلس الشورى ينتخبون لمدة ست سنوات ولذلك هم اقل عرضة لانتقاد وسخط الراي العام من اعضاء مجلس النواب ٠ والرئيس ينتخب لمدة أربع سنوات وربما تحول الرأي العام من حالة الى ضدها خلال رئاسته فلا يبقى هدفا لسهام الراي العام او محط رحال استحسانه او استهجانه سوى النواب

ويتألف مجلس النواب حالا من ٤٣٥ عضوا ماخلا نواب المقاطعات والفلبين وبورتوريكو وقد مر بنا كيفية انتخاب النواب والشروط المفروضة لذلك فلا حاجة الى اعادتها ٠ ومجلس الشورى هو الذي يعين عدد النواب مرة كل عشر سنوات عند اجراء الاحصاء الاخير فكلما وفر عدد سكان البلاد كثر عدد نواب الامة

ومجلس النواب ليس دائما ومستمرا بل ان كل مجلس تنتهي مدته عند قرع مطرقة الخطيب في ظهر يوم رابع اذار كل سنة على التعاقب ٠ والاعضاء الجدد يتم انتخابهم في تشرين الثاني قبل انتهاء مدة المجلس السابق ٠ ولا يباشرون مهام وظيفتهم فعلا حتى

الاثنين الاول من كانون الاول الا اذا دعت الحاجة الى عقد اجتماع فوق العادة وقبل ان يلتئم المجلس يستدعيه كاتب المجلس الاسبق الى الانتظام ولا يباشر المجلس عملا حتى يتم انتخاب الخطيب · وحدث مرة ان الكاتب بقي صاحب الكرسي من أول كانون الاول الى نصف شباط ولم يتوفق المجلس في كل تلك المدة الى انتخاب خطيب وبعد ان يستدعي الكاتب المجلس للانتظام كما تقدم ينهض صاحب الكرسي من الحزب الذي يكون قد اجتمع سابقا مع بقية اعضاء حزبه ويرشح الشخص الذي يكون قد تم اتفاقهم عليه سابقا لان يكون خطيب المجلس ثم يقترعون على ذلك فيفوز بالاكثرية طبعا مرشح الحزب الاكثر عددا ·وتتعين لجنة لا بلاغه ذلك وتخفره الى كرسي الخطابة فيتقدم اليها بين تصفيق الحاضرين وضوضاء الهتاف ويستلم المطرقة من يد الكاتب ويثني على منتخبيه بكلمات وجيزة ويستلم مهام وظيفة خطيب المجلس · وبعد ذلك يجري انتخاب بقية الموظفين فيفوز بها غالبا مرشحو الحزب الاقوى ومتى فرغوا من انتخاب الموظفين يتم عقد انتظام المجلس

وبعد ذلك ياتي اختيار اماكن الجلوس لكل من الاعضاء في قاعة المجلس فالاعضاء كلهم متساوون قدرا وليس لواحد منهم امتياز عن الاخر بما يخص اماكن الجلوس فتنظم لائحة باسمائهم مرتبة على حروف الهجاء وعلى كل اسم نمرة بحسب موضعه في اللائحة ويضعون في كيس كرات منمرة بحسب النمر التي في اللائحة وعدد الكرات بقدر عدد الاعضاء تماما ثم يغمضون عيني شخص ويجعلونه يمد يده الى الكيس ويسحب كرة تحتوي نمرة معينة فينظرون في اللائحة الى الشخص التي تلك نمرته ويعطونه الحق ان ينتخب اي مجلس اراده وهلم جرا ·وقبل ان يبتدوءا بسحب النمر يخلون قاعة المجلس ويلتئمون في مكان مجاور لاجل الاقتراع فمن افضت اليه نوبة اختيار مكان الجلوس يدخل القاعة ويختار لذاته مكانا يجلس فيه غير ان خطيب المجلس

السابق وعدد من الاعضاء ممن لهم بعض الامتياز يدعونهم ان يختاروا اماكن جلوسهم بدون قرعة . وفي اختيار اماكن الجلوس عادة يجلس اعضاء حزب الريبلكان في جانب من الصاعة واعضاء حزب الديموقراط في الجانب الاخر

وبعد هذا يبحثون في القوانين التي سيتمشى عليها مجلسهم مدة التآمه . وكل حزب من الحزبين المذكورين يقترح القوانين التي كانوا قد اتفقوا عليها في اجتماعهم الخاص السالف ذكره ويفوز بذلك الحزب الاكثر عددا . وتجعل تلك القوانين قابلة التغيير

وبعد الاتفاق على القوانين تأتي مسألة انتخاب لجان للمجلس .فقد جرت العادة منذ مائة سنة بان خطيب المجلس يعين اعضاء تلك اللجان . ولكن موءخرا اعتاد الخطيب ان يسأل راي الحزب الاضعف من اعضاء المجلس في الاشخاص الذين يجب نعيينهم غير ان ذلك ليس رسميا ولما تولى حزب الديموقراط السلطة قرر في الكونغرس الثاني والستين نزع سلطة تعيين اللجان من يد خطيب المجلس فصارت تلك اللجان يعينها المجلس نفسه

وعدد تلك اللجان في مجلس النواب ٥٦ لجنة ونحو نصفها على غاية الاهمية الا نادرا واهم جميعها لجنة الطرق والماديات . فقبل الحرب الاهلية لم تكن لجنة الماديات مقتصرة على النظر في شرائع المكوس والضرائب بل كانت تنظر في سائر المخصصات لجميع الدوائر .وبعد الحرب حصر عملها في ما تقدم ذكره وانشئت لجنة جديدة للنظر في امر المخصصات المذكورة وتقدمت على سائر اللجان في الاهمية

على ان اختلاف اهمية اللجنة يختلف باختلاف الظروف فاذا كان المجلس يبحث مثلا في مسالة التعريفة فلجنة الطرق والماديات تكون اهم واكبر لجنة في المجلس واذا تناقش في مسألة المصكوكات تغدو لجنة المصكوكات هي الاهم وهلم جرا

ويقتضي لمجلس النواب طائفة من الكتبة والخدام ونحو ذلك · فالخطيب وحده له حاشية خاصة موءلفة من نحو ستة اشخاص بين كتبة ورسل · واحد اولئك الكتبة يعرف باسم كاتب طاولة الخطيب وهو غالبا ضليع بمعرفة شريعة المجالس ويعلم جيدا كل ما يجري فيها

ولمجلس النواب مرشد روحي يلقي على اعضائه العظات والارشادات الروحية كل مرة يلتئم فيها · وقد شغل ذلك المنصب سنين عديدة قسيس اعمى وقد عمي على اثر جرح نابه في الحرب الاهلية

وماهو على جانب من الفكاهة في مجلس النواب الصولجان وهو رمز القوة او السلطة فاذا ابى احد الاعضاء اطاعة اوامر خطيب المجلس يطلب هذا الى حاجب المجلس ان يجعل ذلك العضو يراعي النظام · فياخذ الحاجب الصولجان المذكور ويتقدم الى مكان العضو المخالف وعادة قبل ان يرفع ذلك الصولجان من موضعه يخضع العضو للنظام ويخلد الى السكينة

ولمجلس النواب ادارة بريد خاصة ومطعم خاص وغير ذلك مما يحتاجون اليه · واحيانا يضطرون الى البقاء في الجلسة الليل بطوله · اما البناية التي يشغلها مجلس النواب فلربما انها اثمن بناية من نوعها في العالم وتبلغ نفقاتها سنويا ستة ملايين دولار ما عدا اجرة طبع اللوائح · وراتب اعضاء المجلس يبلغ نحو ثلاثة ملايين · فالخطيب مرتبه ١٢ الف دولار والكاتب ٦٥٠٠ دولار ومرتب كل واحد من سائر الاعضاء ٧٥٠٠ دولار ويعطى كل عضو مبلغ ١٥٠٠ دولار راتب كاتب له وذلك يبلغ مجموعه سبعماية الف دولار في السنة· وللمجلس جيش من الموظفين في وظائف مختلفة يتناولون رواتب متفاوتة فيزداد مجموع الرواتب الى الخمسماية الف دولار في السنة · وتدفع الحكومة ايضا لكل نائب مبلغ ٢٠ سنتا عن كل ميل يقطعه ليحضر الى العاصمة فيكون

مجموع ما ينفقه مجلس المشترعين الادنى او مجلس النواب ستة ملايين دولار في السنة

الفصل الثامن والسبعون

—مجلس الشورى—

مجلس شورى الولايات المتحدة هو مجلس اشتراع ويمتاز في امور عديدة عن سائر فروع الحكومة الاميركية • فتوجد اشياء التي يمكن للرئيس ومجلس الشورى ان يفعلوها بدون رضى الرئيس غير ان الرئيس ومجلس النواب لا يمكنهما فعل شيء بدون رضى مجلس الامة الذي له قوات الثلاث ادارات القائمة عليها حكومة اميركا وهي التنفيذية والاشتراعية والقضائية وقد مر ذكرها • فله قوة تشريعية لانه احد قسمي الكونغرس الذي عمله سن الشرائع ولا تجاز شريعة بدون مصادقته • ويشترك بالقوة التنفيذية لانه يصادق على الوزارة التي يعينها الرئيس ولا يتولى احد الوزراء منصبه بدون مصادقة مجلس الشورى على ذلك • وبموجب الدستور لا تحسب معاهدة مبرمة مع أية دولة كانت صحيحة اذا لم يصادق عليها ثلثا اعضاء ذلك المجلس ويتمتع بالحقوق القضائية لان الدستور يخوله حق محاكمة الرئيس وغيره من كبار الموظفين اذا اتهموا بجريمة توجب كف يدهم

فبدون مصادقة ثلثي اعضاء مجلس النواب لا يمكن لاحد الموظفين ان يتقلد وظيفة او يجري حكما • ولا معاهدة تحسب صحيحة بدون تلك المصادقة ايضا • بيد انه من الجهة الاخرى في استطاعة مجلس الشورى وضع شريعة تغدو مرعية الاجراء بدون مصادقة الرئيس • فمجلس النواب ليس بامكانه ان يوءثر في مجلس الامة او في الرئيس في مسالة تعيين الموظفين او عقد المحالفات • فقد تبرم المحالفة وتوضع موضع الاجراء بدون

ان يكون له اقل علاقة بها · ولمجلس النواب استطاعة ان يتهم الرئيس مثلا بجريمة ما غير ان امر محاكمته وعقابه موكولان لمجلس الشورى انما قاضي القضاة يجلس على دكة القضاء آن المحاكمة · ويوجدبون شاسع بين مجلس النواب ومجلس الشورى في ما يخص كيفية اجتماعهما من حيث الهدوء والسكينة والنظام ونحو ذلك ففي الاول نسمع صوت الضوضاء والضجيج بينما في الثاني ترى الهدوء ساكنا سائدا والوقار مخيما وكل من حضر احدى جلسات المجلسين راى الفرق كالصبح ظاهر

ويختلف مجلس الشورى عن مجلس النواب بانه «لا يموت» اي ان ثلث اعضائه يتبدلون كل سنتين فيبارحه الذين انتهت مدتهم ويأتي غيرهم فيحلون محلهم وعلى هذا يبقى دائما ثلثا لاعضاء في وظائفهم · بينما مجلس النواب ينحل كل سنتين ويقتضي له ان يتاسس كل مرة يلتئم بها الكونغرس وكل من المجلسين يدعي التفوق على الاخر وبان الطرق التي يتمشى عليها في اعماله تفضل طرق المجلس الاخر

والقانون يحظر على اي كان من اعضاء المجلسين ان يتفوه بكلام غير لائق بحق المجلس الاخر مع ذلك لاينفك اعضاء مجلس الشورى من انتقاد مجلس النواب وكل فتاة بابيها معجبة وكل عضو في مجلس الشورى له حق التكلم بقدر ما يشاء في اي موضوع شاء وله علاقة باعمال المجلس ولا يجوز توقيفه عن الكلام مهما اطال الوقت وذلك قد يكون مجلبة لامور ليست نظامية · فقد يقوم احد الاعضاء ويباحث في موضوع ما فما ينتهي من الكلام حتى ينتصب اخر من الحزب المعارض ويخالفه في ماقاله ليمنع طرحه للتصويت واحيانا تكون الحالة بعكس ذلك فيجري التصويت فورا

وبحسب التقاليد المرعية في مجلس النواب لا يجوز منع البحث في المواضيع المطروحة على بساط البحث والمناقشة · وتلك الحرية يستخدمها بعضهم لمقاومة المسائل التي لا يريدون اجازتها لا سيما متى قارب المجلس الانفضاض

ان رئيس مجلس الشورى هو نائب رئيس الولايات المتحدة • فهو ينتخب من الشعب لتلك الوظيفة وليست له سلطة على المجلس بل ان عمله مقتصر على ترأس جلساته ولصونه الترجيح عند تساوي الاصوات • ولما كان اعضاء المجلس لابد لهم في انتخاب رئيس مجلسهم كانوا شديدي الحرص كي يربطوه بقوانين قد تحول دون اتمامه وظيفته

ولما يلتئم الكونغرس الجديد مرة كل سنتين ياتون بالاعضاء الجدد الى كرسي رئيس المجلس فيحلفهم القسم المفروض • ثم يعترف مجلس المشترعين بقانونية نيابتهم عن الولايات التي ارسلتهم بعد اطلاعهم على اوراقهم الرسمية وتلك الاوراق تحفظ في سجلات المجلس • ويغلب ان يكون الاعضاء الجدد على غير وفاق مع الاعضاء القدماء واحيانا من الد اعدائهم فمنهم من يرحب بهم عند قدومهم الى المجلس للمرة الاولى ومنهم من يرفض ذلك بتاتا

ومجلس الشورى شديد الحرص على تقاليده ففي زمن سلطة حزب الريبلكان قديما كانت عادة تنشق السعوط دارجة بين الاعضاء فكانوا يضعون علبة ملآنة منه على طاولة رئيس المجلس فصارت تلك العادة ثابتة لا تتغير وعليه فهم مازلوا حتى اليوم يضعون علبة سعوط في المكان نفسه • ويروون قصص ونوادر غريبة عن اعضاء مجلس الشورى لا يسعنا تعدادها

واحيانا يعقد مجلس الشيوخ جلسات سرية وغالبها للمباحثة في امور تتعلق بدوائر الحكومة فلا يدعون احدا في قاعة الاجتماع سوى الاعضاء فقط ويتحفظون كل التحفظ لكي لا يشيع شيء مما تدور حوله ابحاثهم • ولا يخفى بانه لو شاعت مباحثهم تلك لنتج عنها مشاكل جمة للحكومة سيما مع الدول الاجنبية • ففي البحث عن المعاهدات والتعيين للوظائف ونحو ذلك يتكتم المجلس حتى عن مراسلي الجرائد الذين لكل واحد

منهم عداد من الاصحاب بين اعضاء المجلس

وبما ان اعضاء مجلس الشورى هم اقل عددا من اعضاء مجلس النواب فهم يتمتعون بمنافع في مركزهم محروم منها اولئك مثلا ان كل واحد من اعضاء مجلس النواب له غرفة واحدة لمكتبة في بناية المجلس بينما اعضاء مجلس الشورى يشغل واحدهم غرفتين في بناية مجلس الشيوخ ويكاد كل واحد منهم يكون رئيسا للجنة ما فيحق له اذ ذاك استخدام ثلاثة بصفة معاونين له

وفي كل من مجلس النواب ومجلس الشيوخ اماكن مخصصة لجلوس مراسلي امهات الجرائد في البلاد وهناك مكان خاص بادارة التلغراف لنقل ما يجري في كلا المجلسين الى تسعين مليون نسمة منتشرين في انحاء الولايات المتحدة · اما اكلاف البنايات ونفقات الدفء والعناية بها ونحو ذلك فمما لا يهمنا ذكره فنقتصر على ذكر ما تقدم لان فيه الكفاية

الفصل التاسع والسبعون

المحكمة العليا

مر بنا ان الحكومة الاميركية موءلفة من ثلاث دوائر او قوات عظمى وهي التنفيذية والاشتراعية والقضائية وقد مر بنا ذكر الاولين منها · اما الثالثة وهي القضائية فهي مدار كلامنا الان · فالمحكمة العليا هي الركن الثالث لاركان الحكومة الاميركية وهي ذات القوة على الحكم في ما يجريه الرئيس والكونغرس والولايات وتطبيقه على الدستور · وبما انها ثابتة وغير متغيرة في زمن محدود كالرئيس وغيره من موظفي الحكومة فهي لذلك سالمة من تغيير الراي العام من جهتها · وباعتبارات كثيرة تحسب المحكمة العليا القوة العظمى في اميركا واهم منصب قضائي في العالم · وقضاة المحكمة العليا يعينهم الرئيس ويثبت الكونغرس تعيينهم غير انهم قد يفوقون كليهما قوة الا في حال الاتهام اي اذا وجهت تهمة الى احد القضاة توجب كف يده فعندئذ يكون مجلس النواب بمثابة مجلس محكمين «جوري» ومجلس الشورى المحكمة التي تجري فيها محاكمة المتهم · وفي اوروبا يحتسبون المحكمة العليا الانكليزية افضل المحاكم مع ذلك قضاتها يخلعهم الملك اذا طلب البارلمانت ذلك ·اما قضاة محكمة الولايات المتحدة فلا يخلعون من مناصبهم الا عند ارتكابهم جرائم فظيعة وسوء تصرف فاحش وذلك لم يتم لاحد من قضاة اميركا الا للقاضي صموئيل تشايس فانه كفت يده سنة ١٨٠٤ بتهمة وجهت اليه وبراة منها مجلس الشيوخ · ولم تكن تلك التهمة بسبب جريمة او سوء تصرف بل بسبب راي سياسي وذلك لا يشينه او يحط من كرامته

وطالما القاضي لا يرتكب ما يواخذ عليه شرعا فيبقى في منصبه ولو قامت الامة جمعاء ضده وانتقد الراي العام اعماله · كما حدث لقاضي القضاة روجر تاني الذي حكم في مسالة درد سكوت المار ذكرها فقد ثبت في منصبه حتى في زمان الرئيس لنكلن مع ان كل الشمال كان يبغضه بغضا شديدا ويحدث ان الشعب احيانا كثيرة ينتقدون حكم القضاة ومقدرتهم وحكمتهم وغير ذلك بيد انهم لا يعيبون شخصية القضاة او يحطون من كرامتهم · ولو اتبع القضاة اميال الشعب وهو احزاب متضاربة وذوو اراء متباينة وكل ينظر الى القضايا بحسب مشتهاه لما امكنهم اصدار الاحكام مستقيمة وطبقا للنظام فهم يجرون العدل ويقضون بالانصاف ولا يعباون بتقولات وتخرصات المتقولين والمتخرصين

وتلتئم المحكمة العليا رسميا من تشرين الاول الى حزيران خلا عطلتي عيد الميلاد المجيد وعيد الفصح المقدس · وفي اوقات اخرى بحسب مقتضى الحال · ويداوم قضاتها الذهاب الى بناية العاصمة كل يوم ماخلا الاحاد · ففي الخمسة الايام الاولى من الاسبوع يسمعون الدعاوى التي تعرض لديهم واما اليوم السادس اي يوم السبت فهو مخصص لمبادلة الاراء ولهذا يسمونه يوم المشاورة ويوم الاثنين يبدو كل رايه وتبتدىء الجلسة عند الساعة الثانية عشرة اي الظهر تماما فيفتح الباب المؤدي من غرفة اللباس الى المحكمة فيخرج منه رئيس القضاة او قاضي القضاة ويتبعه بقية القضاة بحسب زمان تعيينهم ويجلس كل في موضعه المعين الرئيس في الصدر والقضاة عن جانبيه على نصف دائرة وعند دخولهم ينتصب الحاضرون وقوفا على الاقدام عند ذلك يعلن المارشال ان المحكمة قد التأمت رسميا وكل الذين لهم شغل فيها فليتقدموا الى الامام ويلازموا السكوت التام · ويرتدي القضاة اثناء الجلسة جلابيب واسعة الاطراف اشبه بالجبة عند العرب وهي مصنوعة من الحرير او غيره من الاقمشة الفاخرة

وبحسب الشريعة يحق للقضاة ان يعتزلوا متى بلغوا السنة السبعين من العمر · على انهم عادة اذا لم يصبهم ما يقعدهم عن العمل من مرض او شيخوخة او غير ذلك يظلون يمارسون مهام وظائفهم وتدفع لهم الحكومة رواتبهم وهم معتزلون ماداموا في قيد الحياة

اماطرق المحاكمة ومناقشات المحامين في الدعاوى المختلفة فمما يطول شرحه ولكنه على جانب من الفكاهة · والمحامي الذي يستطيع تقديم خطاب في دعوى ما امام قضاة المحكمة العليا يعد من اقدر المحامين نظرا لمكانة القضاة وطول باعهم في معرفة الشريعة ولما يحيط في مجلسهم من المهابة والوقار · فاذا زل اللسان باقدر وافصح المحامين او شذ عن موضوعه باية صورة كانت راى فورا ان احد القضاة نبهه الى خطاه واصلح له ما غمض عنه ولذلك نوادر وقصص يطول شرحها

وبعد ان يسمع القضاة تفاصيل الدعوى وحجج وبراهين جانبي الاتهام والدفاع ياخذون خلاصة ذلك مطبوعة الى بيوتهم وينعمون فيها النظر · ولما كانت الدعاوى كثيرة ومختلفة كان عدد الخلاصات التي ياخذونها الى بيوتهم وافرا ويقتضي لقراءتها وقت طويل · بل قد يستغرق مراجعة دعوى واحدة وقتا طويلا اذا اراد القاضي الوقوف على كل تفاصيلها · وفي يوم السبت يجتمعون في غرفة المداولة او المشاورة ويتباحثون في الدعاوى التي سمعوها بحرية تامة ولا يدخل تلك الغرفة سوى القضاة · سال احد القضاة مرة صديق له قائلا ماذا تفعلون في قاعة المداولة فاجابه القاضي اننا نتحارب نظير الكلاب والقطط · فهناك يشرع كل بابداء رايه في الدعوى ويوضح مابدا له من جميع وجوهها وبعد ان يتم ذلك يطلب قاضي القضاة قراءة اسماء اعضاء المحكمة وكل يصوت كما يرتأي سواء كان من جانب الاتهام او من جانب الدفاع · ثم يوزع الرئيس على الاعضاء صورة الدعاوى التي يجب ان يدونوا آرائهم فيها · وبعد ذلك يأتي كل من القضاة

بارائه مكتوبة وتطرح كل الاراء امام المحكمة كلها وهناك يعودون الى المناقشة وانتقاد تلك الاراء واحيانا يعدلونها ويحورونها حتى لتكاد تخالف الاصل

ثم تجري تلاوة اصوات القضاة لكل دعوى ويشار الى كل رأي اذا كان من المحكمة كلها ام لا ٠ فاذا تعددت الاراء في مسألة يوكل الى واحد من كلا الجانبين أن يدون اراءه واراء من وافقه ويقدمها للمحكمة واحيانا تتعدد الآراء الى درجة ان كل واحد يرتأي رأياً مخالفاً ويدونه منفرداً

واليوم الذي تتلى فيه اراء القضاة في المحكمة هو يوم مشهود لمراسلي الجرائد اذ تراهم يتسابقون الى التقاطها وارسالها على جناح البرق الى جرائدهم ٠ فبعض القضاة يتكلم بفصاحة وجلاء فيسهل تتبعه وكتابة ما يقول غير ان بعضهم يتلو اراءه كما يتلو التلميذ محفوظه وهناك الطامة الكبرى على المراسلين الذين لا تهتم لهم المحكمة العليا كسائر دوائر الحكومة فهناك مقعدان معدان لجلوسهم فاذا لم يسرعوا في الجلوس عليهما شغلهما غيرهم ولا يحق لهم ازاحتهم عنهما فتضيع فرصتهم في تسقط اخبار المحكمة وتدوين افكار القضاة

والمحامون الذين يرخص لهم بالمرافعة امام المحكمة العليا يقيدون اسماءهم في سجل المحكمة الرسمي ولقبولهم شروط ليس من غرضنا البحث فيها

وكل الدعاوى التي تنظر فيها المحكمة العليا هي مستأنفة اليها من محاكم اخرى ماخلا الدعاوى المتعلقة بالسفراء والمعتمدين والقناصل وغيرهم فانها تنظر فيها مباشرة وعندما انشئت المحكمة العليا مرت عليها سنة كاملة قبل ان نظرت في دعوى واحدة والدعاوى التي تنظر فيها مباشرة كانت ولم تزل قليلة ٠ والدعاوى التي كانت تنظر فيها المحكمة العليا سنويا قبل الحرب الاهلية بالكاد كانت تبلغ ٣٥٠ دعوى اما اليوم فعددها نحو الف

والموظفون في المحكمة العليا من كتاب وغيرهم قلما يتغيرون لانهم في الغالب ذوو جدارة واهلية وهم يوظفون بالنسبة لاهليتهم بقطع النظر عن مذاهبهم واجناسهم اما الخفراء فتلة من الاحداث يرتدون البسة خاصة طالما هم في الخدمة وينبغ معظمهم في معرفة الشريعة وغالب المحامين في المحكمة العليا منهم

بقيت هنالك محاكم عديدة مختلفة بين ابتدائية واستئنافية وتجارية وغير ذلك ليس من غرضنا البحث في كل منها على حدة فاقتصرنا على ذكر المحكمة العليا لانها من الاركان الثلاثة القائمة عليها حكومة الولايات المتحدة

الفصل الثمانون

—شريعة المهاجرة ومتعلقاتها—

تنبيه — ان قرار الكونغرس الصادر في ٢٠ شباط سنة ١٩٠٧ بشان المهاجرة وقوانينها وما يتعلق بها ناسخ لكل القرارات السابقة ولذلك نثبته ونغفل ما سبقه لانه منسوخ به

البند الاول — قرر مجلس الامة الاميركية بان كل مهاجر الى الولايات المتحدة يدفع مبلغ اربعة دولارات لمأمور الجمرك في الاسكلة التي يصل اليها · وذلك المبلغ يدفعه ربان السفينة التي تنقل المهاجر او الشركة صاحبة الباخرة المذكورة · وكل الدراهم المذكورة مع ما تتقاضاه الشريعة من غرامة ونحوها بسبب مخالفة شريعة

المهاجرة تودع في خزينة حكومة الولايات المتحدة ويطلق عيها اسم «اموال المهاجرة» وهي تنفق بمشارفة وزير التجارة والعمل على ماله علاقة بالمهاجرة اجمالاً وراتب مدراء ادارات المهاجرة وموظفيها · ويعفى من ذلك الرسم الاشخاص الذين يدخلون الولايات المتحدة (بعد ان يكونوا قد قطنوا مدة سنة واحدة على الاقل في البلاد التي يدخلون الولايات المتحدة منها) من كندا او نيوفوندلاند او جمهورية كوبا او جمهورية المكسيك او من احدى الجزائر او البلاد التابعة لحكومة لولايات المتحدة والذين يجتازون في البلاد للذهاب الى سواها ويعفى منه ايضا الاشخاص الذين صار دخولهم البلاد بطريقة قانونية ثم هاجروها الى غيرها قصد الاتجار او الزيارة ثم عادوا اليها · ويمكن لمدير المهاجرة العام بمشارفة واستحسان وزير التجارة والعمل ان يتفق مع شركات البواخر على طريقة اخرى لدفع المبلغ المطلوب من المهاجرين الذين تنقلهم بواخر تلك الشركات كما هو مصرح في البند ٣٢ من هذه الشريعة · وايضا اذا زاد الداخل من رسم الدخول عن المليونين وخمسماية الف دولار في نهاية السنة المالية فالزائد لايضاف الى «اموال المهاجرة » ثم ان هذا البند لايشمل المهاجرين من جيوم وبورتويكو او جزائر هاواي · غير ان المهاجر منها اذا لم يكن قد تجنس بجنسية الولايات المتحدة فانه يلتزم بدفع الرسم المعين · واذا كان اجانب قد حصلوا على باسابورتات من حكوماتهم لكي يسافروا الى بلاد اجنبية غير الولايات المتحدة ثم خطر لهم المهاجرة الى الولايات المتحدة او ملحقاتها وراى الرئيس ان وجودهم خطر على عمال البلاد او غير ذلك فله الحق بمنع دخولهم الى البلاد

البند الثاني — الممنوعون من دخول الولايات المتحدة هم المعتوهون او البله والضعفاء العقول والمصروعون والمجانين او الذين اصابهم عارض جنون قبل مهاجرتهم بخمس سنوات والاشخاص الذين قد يصيرون عالة على البلاد والشحاذون والمسلولون

والمصابون بامراض معدية وكل الذين لا يجتازون الفحص الطبي فتكون فيهم علل تقعدهم عن العمل فيغدون عالة على البلاد . وكـل المجرمين بجرائم كبرى والفوضويون او الذين يقاومون سلطة الحكومات والشرائع والغادرون بالملوك والرؤساء الطالبون اعدامهم والنساء ذوات السيرة السيئة او البنات اللواتي يهاجرن للدعارة وعدم العفة والحشمة والذين يتاجرون بالرقيق الابيض والمقاولون على العملة اي الذين يستجلبون عمالا بمقاولة سابقة لمهاجرتهم . والذين هاجروا مرة ورفضوا ولم تتقضى سنة على ارجاعهم ويمنع من الدخول ايضا الاشخاص الذين هاجروا على نفقة سواهم اي ان غيرهم اسلفهم اجرة السفر الا اذا تبين بعد الفحص المدقق بانهم ليسوا من الطبقة المرفوضة المار ذكرها .وبان نفقة السفر لم تدفعها شركة او جمعية او دائرة بلدية أو حكومة اجنبية سواء كان راسا او بالواسطة .وكذلك الاولاد دون السنة السادسة عشر من العمر اذا لم يصحبهم احد والديهم او كلاهما ويستثنى من ذلك المجرمون السياسيون الذين ليس لهم مانع اخر لدخولهم البلاد . والموظفون في بواخر النقل وغيرها الذين يروحون ويجيئون من البلاد واليها .ولا غبار على الشركات او الجمعيات او غيرهما اذا استجابت من العملة ما يلزمها من الخارج ودفعت لهم نفقات سفرهم اذا كانت لا تجد حاجتها منهم في البلاد .وشريعة المقاولة على العمل لاتشمل الممثلين وذوي الفنون والخطباء والمغنين والقسس من اي مذهب كانوا والاساتذة للكليـات والسمينارات الروحية وكل اصحاب المقامات العلمية . ويستثنى ايضا الخدام الذين بمعية اناس معروفين

البند الثالث ــ ممنوعة بوجه قطعي مهاجرة البنات والنساء الى الولايات المتحدة للدعادة والقباحة . وكل من تجاسر على جلب نساء او بنات لتلك الغاية او سعى لجلبهن راسا او بالواسطة . وكل من امسك او حاول ان يمسك احدى المهاجرات

او كل من يقبل اويحافظ على او يملك او يعول او يدخل الى اي بيت او مكان اخر مهاجرة او مهاجرات لتلك الغاية السافلة بمدة ثلاث سنوات من دخولهن الولايات المتحدة فانه يحسب في نظر الشريعة مجرما وبعد محاكمته يسجن لا اكثر من خمس سنوات ويغرم بمبلغ لايتجاوز الخمسة الاف دولار واما الامراة او البنت فيحكم عليها بالرجوع اذا لم تكن قد مرت ثلاث سنوات على مهاجرتها

البند الرابع — لا يحق لاي كان من افراد الرعايا او شركة او غير ذلك ان يدفع او تدفع اجرة سفر احد من العملة المهاجرين ولا ان يساعد او تساعد باية صورة كانت على استجلاب عملة على طريقة المقاولة الا اذا كان اولئك العملة ممن تحتاجهم البلاد كما مر في البند الثاني

البند الخامس — اي من خالف البند السابق على اية صورة كانت يغرم بدفع مبلغ الف ريال عن كل عامل يحاول ادخاله الى الولايات المتحدة • ويجب على المدعي العمومي ان يقيم الدعوى على المخالف الشريعة ويساقه الى المحاكم لتغريمه ويقيم عليه دعاوى بقدر عدد العملة الذين استقدمهم فاذا كان عددهم عشرة مثلا يقيم عليه عشرة دعاوى وقس عليه

البند السادس — ان تزيين المهاجرة للعملة وتشجيعهم عليها وترغيبهم فيها بواسطة منشورات مكتوبة او مطبوعة او بواسطة اعلانات في الجرائد الاجنبية تعدهم بالعمل اذا هم هاجروا الى الولايات المتحدة تعد مخالفة للبند الرابع وكل من يهاجر بناء على تلك المنشورات او الاعلانات فحكمه حكم المهاجر بمقاولة كما في البند الثاني ويعامل بحسب البند الخامس • ويستثنى من ذلك الولايات والمقاطعات ومقاطعة كولمبيا والاماكن التابعة قضائيا لحكومة الولايات المتحدة اذا زينت المهاجرة اليها للاجانب لاغراض خاصة

البند السابع — لا يحق لصاحب باخرة او شركة بواخر او نقل مهما كانت ان تزين المهاجرة الى الولايات المتحدة لاحد سواء كان بالكلام والوعود او بالنشرات والاعلانات ٠على ان ذلك لا يمنع اصحاب البواخر والشركات من اعلان اوقات سفر البواخر وحركاتها واجرة السفر في كل درجة ونحو ذلك٠ وكل من يزين المهاجرة الى الولايات المتحدة للعملة وغيرهم من اصحاب السفن او شركات النقل او غيرهما يغرم كما في البند الخامس

البند الثامن — كل من يدخل مهاجرا الى الولايات المتحدة ليس هو اهلا للدخول اليها لعلة ما على اية صورة كانت سواء كان الفاعل ربان سفينة او وكيل بواخر او بحري او غير ذلك فاذا علم امره فانه يغرم بدفع الف دولار او يسجن مدة لا تتجاوز السنتين او بكليهما جزاء كل مهاجر يدخله البلاد او يحاول ادخاله خلسة

البند التاسع — لا يجوز لاي شخص او شركة نقل او ربان او صاحب باخرة اوو كيل اية سفينة ان يجلب الى الولايات المتحدة مهاجرا اومهاجرين عرضة للامراض التالية البله الجنون الصرع ونحو ذلك من الامراض الدماغية ولا المصابين بالسل او غيره من الامراض الكريهة والمعدية واذا ظهر لوزير التجارة والعمل بان ذلك المهاجر او اولئك المهاجرين كانوا مصابين باحد تلك الامراض قبل مبارحتهم بلادهم فتضطر الشركة التي نقلتهم او اي من اتى بهم الى الولايات المتحدة ان يدفع لجابي الرسومات مبلغ ماية دولار كل مرة يخالف بها منطوق هذا البند او ماية دولار عن كل شخص يدخله البلاد على ما ذكر

البند العاشر — ان قرار مجلس الفحص الخصوصي المبني على شهادة الطبيب الفاحص هو فصل الخطاب في مسالة المصابين بالسل او احد الامراض الكريهة والمعدية وايضا في سائر الامراض الدماغية وغيرها من الامراض المار ذكرها

التي يمنع المصاب بها من دخول البلاد حسب نص البند الثاني

البند الحادي عشر ـ بناء على شهادة طبيب في خدمة حكومة الولايات المتحدة او احد اطباء ادارة الصحة او احد اطباء المستشفيات العسكرية بان احد المهاجرين مصاب بمرض يمنعه عن الاعتناء بنفسه وكان بصحبته وصي اونسيب او صديق قائم على العناية به ترغم الشركة التي نقلته على ارجاعه على نفقتها مع المصاب نظير بقية المهاجرين المرفوضين

البند الثاني عشر ـ عندما تصل الباخرة التي تنقل مهاجرين الى احدى موانئ الولايات المتحدة فعلى ربان تلك الباخرة ان يدفع لايدي مأموري المهاجرة لائحة تحتوي اسماء كل من المهاجرين على متن سفينته وعمره وجنسه وحالته هل هو عازب ام متزوج او ارمل او مطلق وشغله او مهنته واذا كان يحسن القراءة والكتابة وجنسيته وشعبه واسم اخر مكان سكن فيه قبل هجرته واسم وعنوان اقاربه الادنين في وطنه واسم المينا التي سيصلها في الولايات المتحدة واسم المكان الذي يبغي الذهاب اليه وبعده عن مكان وصوله واذا كان معه جواز سفر الى ذلك المكان وهل دفع هو نفقات سفره نفسه او دفعها شخص اخر او شركة او جمعية او دائرة بلدية او حكومة وهل معه مبلغ ٥٠ ريالا والا فكم معه من الدراهم وهل سيلاصق نسيبا او صديقا واين ذلك النسيب أو الصديق وما اسمه وعنوانه موضحا وهل دخل الولايات المتحدة قبل ذلك ام لا فاذا كان الاول فمتى واين ٠ وهل سجن في زمانه او دخل احد الملاجئ الخيرية او المستشفيات او البيمار ستانات او تناول صدقة بوجه ما وهل متزوج اكثر من امراة واحدة بوقت واحد وهل هو فوضوي وهل هو حاضر اجابة لطلب احد او ان احدا وعده شيئاً يعطيه اياه عند مهاجرته او شغلا او مصلحة او غير ذلك ٠ وما هي حالة المهاجر الصحية والعقلية والفيسولوجية وهل فيه عيب او عاهة او نحو ذلك واذا كان كذلك

فمنذ اي زمن وما هو السبب لتلك العلة او العاهة كذلك يجب على ربان السفينة انه عندما ينقل ركابا على متن باخرته من الولايات المتحدة ان ينظم لائحة باسم كل فرد من الركاب وعمره وجنسه وتابعتيه ومكان سكنه في الولايات المتحدة ونوع عمله وزمان حضوره للولايات المتحدة اخر مرة ولا تعطى لربان السفينة رخصة الابحار الا اذا دفع ليد مأمور الرسومات تلك اللائحة او اللوائح المتضمنة ما تقدم مع القسم بانها صحيحة بحسب معرفته واذا حدث اهمال او تقصير في هذا الواجب فيجري على المخالف الجزاء المنصوص عنه في البند الخامس عشر من هذه الشريعة · وعلى المأمور الذي يستلم تلك اللائحة ان يشعر بذلك مدير المهاجرة العام لتجري المعاملات القانونية بمعرفة ومصادقة كاتم اسرار وزارة التجارة والعمل · ويستثنى من ذلك السفن الماخرة بين اساكل الولايات المتحدة فيسمح لربانها ان يقدم لائحة كتلك بعد سفره باسماء الاجانب على متن سفينته · ويترتب على ربابنة البواخر التي تبحر الى الولايات المتحدة من جزائر الفلبين وجيوم وبورتوريكو وهاواي ان يسلموا عند وصولهم الى احدى مواني الولايات المتحدة لمأمور الرسوم لائحة باسماء الاجانب على متن سفنهم المذكورة

البند الثالث عشر — كل المهاجرين الى الولايات المتحدة بحرا يجب ان تنظم لوائح باسمائهم ولا تحتوي اللائحة الواحدة اكثر من ثلاثين اسما · ويعطى لكل مهاجر او ذي عائلة جواز سفر وعليه اسمه ونمرة او حرف يشير الى اللائحة المدون فيها اسمه وهلم جرا لكي تسهل معرفته لدى وصوله · وكل لائحة يجب ان تكون موقعة من ربان السفينة او احد معاونيه ويقرر تحت القسم امام مأمور المهاجرة عند وصول الباخرة بان طبيبها قد اجرى الكشف الطبي على كل واحد من الركاب في السفينة وبانه بموجب شهادة ذلك الطبيب وبحثه هو الشخصي لا يوجد بينهم ابله او معتوه او

مجنون او متسول أو من يمكن ان يغدو عالة على البلاد او من هو مصاب بداء السل أو غيره من الامراض الكريهة والمعدية او غير ذلك من الموانع التي تحول دون دخول احدهم البلاد وان النساء المهاجرات لسن من الرقيق الابيض ولا من ذوات السمعة الرديئة وبان كل ما تحتويه اللائحات التي يقدمها لمأمور المهاجرة صحيحة وصادقة

البند الرابع عشر ـ يترتب على طبيب الباخرة ان يوقع كل واحدة من اللوائح المذكورة ايضا ويوءدي قسم التوكيد امام احد مأموري المهاجرة في المرفأ الذي تصل اليه باخرته · وان يبرهن عن مقدرته في الطب والجراحة وبانه قد اجرى الكشف الطبي على كل واحد من المهاجرين الصحية · ويجب ان يصادق على صحة ذلك طبيب حاذق من جانب الشركة صاحبة الباخرة التي نقلت المهاجرين المذكورين

البند الخامس عشر ـ اذا اهمل ربان الباخرة او رئيسها تسليم مثل تلك اللوائح أو بعضها لمأموري المهاجرة كما هو منصوص في البند الثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر من هذه الشريعة فعليه عند وصوله ان يدفع لمأموري الرسم مبلغ عشرة دولارات عن كل مهاجر على متن باخرته لا يوجد اسمه مدونا في احدى اللوائح · واما عندما يتأخر او يمتنع ربان احدى السفن عن تقديم لائحة باسماء الاجانب الذين يبارحون الولايات المتحدة لغير عذر شرعي فانه يغرم بدفع عشرة ريالات عن كل راكب مهمل اسمه من اللائحة او اللوائح ويوءدي ذلك الجزاء في ميناء الاسكلة التي يبحر منها وفي كل حالة لايتجاوز مبلغ الغرامة المابة دولار

البند السادس عشر يترتب على مأموري المهاجرة في اية الاساكل الاميركية لدى استلامهم لوائح اسماء المهاجرين المنصوص عنها في البند ١٣ و١٤ و١٥ من هذه الشريعة ان يذهبوا بانفسهم او ان يرسلوا معاونين ثقات الى السفينة التي تقل المهاجرين المذكورين ويفحصوهم · او انهم يامرون بنقلهم الى مكان معين لاجراء الفحص

وذلك النقل الموقت لايستفاد منه دخول المهاجرين البلاد كما انه لايعفي الشركة او اصحاب الباخرة من واجباتهم نحو اولئك المهاجرين بل يعاملونهم كما لو كانوا باقين في السفينة ماخلا اذا كانت هنالك بناية خاصة لانزال المهاجرين وفحصهم فمأمورو المهاجرة يعتنون بالمهاجرين وتنتهي مسوءولية شركة البواخر عندئذ ٠ الا اذا اعيد بعض المهاجرين اليها لعدم صلاحيتهم الى دخول البلاد

البند السابع عشر — ان الكشف الطبي يجب ان يجريه على كل المهاجرين اطباء مقيدون في خدمة الولايات المتحدة بادارة الصحة او المستشفيات العسكرية ويشترط على كل طبيب فاحص ان يكون مارس مهنة الطب مدة سنتين على الاقل بعد نيله الشهادة الطبية ٠ ويجب ان يدفعوا لمأموري المهاجرة ولمجلس الفحص الخصوصي تقريرا عما يعثرون عليه من الامراض والعاهات في الذين يفحصونهم واذا كان اولئك الاطباء لايفون بالحاجة فيعين مدير المهاجرة العام واحدا او اكثر من اطباء الحكومة البارعين في فن الطب ويكونون قد زاولوا مهنتهم مدة اربع سنوات على الاقل وذلك بمصادقة وزير التجارة والعمل

البند الثامن عشر — يجب على اصحاب البواخر وربابنتها وموظفيها او اية شركة نقل (خلا شركات السكك الحديدية) ان يراعوا الشروط المبينة في البند ٣٢ من هذه الشريعة فلا ينزلون ركابا او مهاجرين الى الولايات المتحدة الا في المكان والزمان المحدد من مأموري المهاجرة ويجازى من يخالف ذلك كل مرة بدفع غرامة لا تقل عن المائة دولار ولا تتجاوز الالف دولار او بالسجن مدة لا تزيد عن سنة واحدة او بكليهما حسب نوع الجريمة ويحكم على اولئك المهاجرين بالرجوع الى حيث اتوا حسب منطوق البند ٢١ و٢٢ من هذه الشريعة

البند التاسع عشر — كل الاجانب او المهاجرين الذين يدخلون هذه البلاد خلسة

وبغير الطرق القانونية يعادون الى بلادهم على نفس الباخرة التي اتت بهم · والنفقات اللازمة مدة وجودهم على اليابسة مع نفقات رجوعهم تتحملها الشركة صاحبة السفينة التي هاجروا على متنها · واذا ابى اصحاب السفينة اي من كان قبول المهاجر او المهاجرين على متن الباخرة التي اقلتهم او غيرها من سفنهم لارجاعهم الى حيث اتوا بهم · او اذا امتنعوا عن دفع نفقة اعالتهم وهم على اليابسة · او اذا تقاضوهم اجرة على ارجاعهم او ارجاع احد منهم او اخذوا ضمانة على ذلك لتأكيد تقاضي الاجرة في الفرضة التي يعودون اليها فان الفاعل ذلك ايا كان يغرم لدى ثبوت المخالفة عليه بمبلغ ثلاثماية دولار كل مرة يفعل ذلك ولا تعطى للسفينة اوراق سفر الا بعد تأدية الغرامة المفروضة · ماخلا اذا ابقى مدير المهاجرة العام بمصادقة واستحسان كاتم اسرار وزارة التجارة والعمل مهاجرا او اكثر من الذين هاجروا خلسة بمثابة شهود الحكومة على مخالفي نص هذا البند فنفقات اعالتهم آنئذ تدفع من «اموال المهاجرة» التي في صندوق الحكومة · غير انه لا يسمح بانزال مهاجر مصاب باحد الامراض المذكورة في البند السابع عشر الى اليابسة او ادخاله احد مستشفيات الولايات المتحدة الا بامر خاص من ناظر التجارة والعمل · واذا قرر احد الاطباء المرخصين للكشف الطبي على المهاجرين بان احدهم مصاب بالجنون واذا ارجعوه فورا فبذلك خطر على حياته فذلك المهاجر يوضع تحت المعالجة الطبية على نفقة الحكومة ريثما يقرر الاطباء انه صار قادرا على السفر فيرجع الى حيث اتى

البند العشرون ـــ اذا دخل مهاجر الولايات المتحدة مخالفا نظام المهاجرة وصار بعد ذلك عالة على البلاد بسبب نفس العلة التي كانت سبب منعه من دخول البلاد فعند صدور امر ناظر التجارة والعمل يقبض عليه اين كان اذا لم تمر ثلاث سنوات على دخوله البلاد ويرجع الى البلدة التي هاجر منها والذي كان او كانوا سبباً لدخوله

البلاد يدفعون نفقة سفره ونصف المصارفات الاخرى التي انفقت في سبيله واذا كان ذلك متعذرا فتدفع النفقة من «مال المهاجرة» المار ذكره في البند الاول ويصير ارجاعه على متن احدى بواخر شركة النقل التي اقلته اولا · غير انه وهو بعد في محل التوقيف قبل ان يتم ارجاعه نهائيا يمكن اخراجه بامر ناظر التجارة والعمل تحت كفالة خمسماية دولار مع الضمان بانه يحضر الى الاستنطاق لدى الاقتضاء في امر كيفية مهاجرته وما يتعلق بذلك او لاجل ارجاعه اذا تم القرار على ذلك ·

البند الحادي والعشرون — اذا بدا لناظر التجارة والعمل بان اجنبيا وجد في الولايات المتحدة وقد دخلها مخالفا نظام المهاجرة · او ان مهاجرا يقتضي ارجاعه لعدم صلاحيته لدخول البلاد بعلة من العلل الانف ذكرها فيأمر بالحجر عليه اذا كانت لم تمر ثلاث سنوات على مهاجرته ومن ثم يعيده الى البلاد التي هاجر منها حسب نص البند العشرين واذا رفضت الشركة التي هاجر على متن احدى بواخرها او الذي او الذين جاؤا به الى هذه البلاد قبوله في احدى السفن خاصتهم والعناية به وارجاعه الى حيث جاؤا به فيصبحون تحت طائلة الغرامة وفقا للبند التاسع عشر · غير انه اذا رأى ناظر التجارة والعمل ان المهاجر المحكوم عليه بالعودة الى بلاده لا يستطيع السفر وحده لعلة به تمنعه من الاعتناء بنفسه فانه يستأجر له شخصا يرافقه الى بلاده وتدفع الحكومة النفقة اللازمة

البند الثاني والعشرون — ان مدير المهاجرة العام فضلا عن قيامه بمهام وظيفته الملقاة على عهدته بموجب نص الشريعة عليه بمشارفة ناظر التجارة والعمل ان يتولى انفاذ كل الشرائع المتعلقة بمهاجرة الاجانب الى الولايات المتحدة · ويحكم ويدير ويناظر على كل الموظفين والكتبة والخدام الذين تحت ادارته · ويضع قوانين

وترتيبات بما يتعلق بامر الكفالات والتقريرات وشروط الدخول وما اشبه ذلك من الاوراق الرسمية · وينشر من وقت الى اخر تعليمات لا تخرج عن نصوص الشريعة باختباراته عما راه مناسبا لانفاذ منطوق الشريعة ولصيانة المهاجرين الى الولايات المتحدة من الخداع والخسارة ·وله سلطة على استخدام الوسائل اللازمة لانقاذ المهاجرين الواقعين تحت خطر وهم بحاجة ماسة الى النجدة العمومية ويفعل كل ذلك اما بامر او باستحسان ناظر التجارة والعمل ولمدير المهاجرة العام ايضا سلطة على استخدام موظفين بحسب مقتضى الحال ليتحروا البحث عن عدد المهاجرين في البيوت والملاجي الخيرية سواء كانت عمومية او خصوصية في سائر انحاء الولايات والمقاطعات ويخبروا مأموري المهاجرة عمن وجدوا من المهاجرين الذين لم تمر ثلاث سنوات على مهاجرتهم وقد غدوا عالة على البلاد·غير انه اذا راى مدير المهاجرة العام باستحسان ناظر التجارة والعمل انه من الضروري لانفاذ نص هذا البند ان يستخدم موظفين واطباء حسب منطوق البند السابع عشر لخدمة مصلحة الحكومة في ما يتعلق بالمهاجرة في بلاد اجنبية فله ذلك

البند الثالث والعشرون — ان وظيفة مدير المهاجرة العام هي ادارية وتفاصيل وخصائص ومتعلقات وظيفته تحدد بمصادقة ناظر التجارة والعمل

البند الرابع والعشرون — كل الاعضاء الفاحصين في دوائر المهاجرة وسائر الموظفين على تعداد وتباين مراكزهم والكتبة والخدام يعينهم من الان فصاعدا ويحدد رواتبهم ويزيدها او ينقصها بحسب مقتضى الحال وزير التجارة والعمل وذلك التعيين يتم للاشخاص الذين يقدمهم اليه مدير المهاجرة العام ووفقا لقانون خدمة الحكومة الصادر في ١٦ كانون الثاني عام ١٨٨٣ غير ان للناظر المذكور سلطة على تعيين اشخاص في وظائف مختلفة يرى الحاجة ماسة اليها بصرف النظر عن النظام المذكور وغيره

وله ان يتناول من «مال المهـاجرين » مبلغ خمسين الف دولار سنـويـا لـدفع مرتبات الذين يعينهم في تلك الوظائف او اكثر من ذلك المبلغ اذا كان هنالك من حاجة ويدفع امين صندوق الخزينة ذلك المبلغ بدون اجبار ناظر التجارة والعمل على تبيان الطرق التي صرف فيها اذا صرح هذا بان ذلك مضر بمصلحة الحكومة · ولا شيء في ذلك يحول دون تعيين مدراء لادارات المهاجرة في مرافىء البلاد بحسب النظام المسنون في ١٨ اب سنة ١٨٩٤ · ومدراء ادارات المهاجرة مفوضون بتحليف القسم واستماع الشهادات المتعلقة بمسالة حق دخول المهاجرين الى الولايات المتحدة ·وكل مدير يتلاعب بالاقسام والشهادات المذكورة سلبا او ايجابا يحاكم بجريمة الخداع ويحكم عليه بحسب منطوق الشريعة ·واذا اصدر المدير قرارا بادخال شخص ما الى البلاد واعترض اخر على ذلك مدعيا ان لاصلاحية له للدخول يحضرون الشخص المذكور للفحص امام مجلس الفاحصين فاذا لم يحضر الى ذلك المجلس للفحص كي لا يبقى مجال للاعتراض على دخوله فانه يحجز عليه الى ان يجري الفحص المذكور ويصدر حكم المجلس له او عليه

البند الخامس والعشرون — ان مجالس الفحص الخصوصي يعينها مديرو المهاجرة في الاساكل التي فيها ادارات مهاجرة وذلك لتسهيل سبل الدخول للمهاجرين الموقوفين عن الدخول لعلة ما · وكل مجلس يتألف من ثلاثة اعضاء ينتخبون من الموظفين في ادارة المهاجرة بمعرفة المدير العام واستحسان ناظر التجارة والعمل ممن فيهم الاهلية واللياقة لذلك المنصب · اما في الاساكل التي لا يوجد فيها ادارة للمهاجرة فيها ثلاثة موظفون فالمدير يطلب الى الناظر المذكور فيعين من موظفي الحكومة من يتولى ذلك · ولتلك المجالس سلطة على الحكم بقبول المهاجر او رفضه · ويكتم ما يجري في ذلك المجلس عن العموم غير انه تدون في سجل خاص كل القضايا التي تعرض

عليه والشهادات التي توءدى امامه • وحكم اثنين من اعضــاء المجلس يقرر الامر غير انه يحق للعضو الثالث او للمهاجر ان يستأنف دعواه بواسطة مدير المهاجرة الى ناظر التجارة والعمل •وعندئذ يبطل كل قول وعمل من جهته حتى يرد القرار الاخير من ناظر التجارة والعمل المذكور الذي يقضي في المسالة بحسب الشهادات الواردة اليه من مجلس الفحص الخصوصي وفي كل حالة يوقف بها مهاجر عن دخول البلاد لعلة من العلل المانعة يعتبر فيها حكم مأموري المهاجرة باتا الا اذا استوءنفت دعواه لادارة النظارة والعمل • ولايوءخذ من هذه الفقرة بان مسائل المرفوضين بحسب البند العاشر يمكن استئنافها

البند السادس والعشرون — اي مهاجر منع من الدخول بعلة انه سيغدو عالة على البلاد او لعلة صحية خلا داء السل وغيره من الامراض الانف ذكرها يمكن دخوله اذ شاء ناظر التجارة والعمل قبول كفالة او ضمانة تكفل لشعب الولايات المتحدة أو لكل ولاية أو مقاطعة او بلدية بان ذلك الشخص لا يغدو عالة عليها • واذا تم دخوله بكفالة معينة وصار بعد ذلك عالة على العموم فيحق لاي شخص من عمال الحكومة او الولاية او المقاطعة او البلدية ان يراجع بذلك نظارة التجارة والعمل فترى في امره

البند السابع والعشرون — لا يوقف سير دعوى بمخالفة نظام المهاجرة او تصير تسوية او ترضية او نحو ذلك الا بمعرفة المحكمة التي ابتدات فيها تلك الدعوى مع ذكر الاسباب التي اوجبت ذلك

البند الثامن والعشرون— لايوءخذ من البند السابق بان الدعوى السابق تصديرها مما كان شكلها او نوعها تلغى او تبطل او توقف متى صار هذا النظام مرعي الاجراء بل تبقى كما كانت قبل صدور هذا النظام وتأخذ العدالة مجراها فيها

البند التاسع والعشرون — محاكم الولايات المتحدة لها ملء السلطان و كل القوة

ان تحكم في الدعاوى التي تحدث مخالفة لهذا النظام

البند الثلثون — كل ما كان مباحا للعموم عمله في ادارة المهاجرة للربح من نحو صرافة نقود او نقل مهاجرين او امتعتهم او افتتاح مطاعم او غير ذلك سيلغى بسبب المزاحمات والشجار بين اصحابها وتلك الامور تعمل بحسب الطرق والقوانين التي يعينها مدير المهاجرة العام بمصادقة ناظر التجارة والعمل ٠غير انه لا يجوز بيع مشروبات روحية ضمن جدران او حدود اية ادارة مهاجرة في الولايات المتحدة ٠ والارباح الحاصلة من مبيع الاشياء الجائز بيعها وصرافة الدراهم ونقل الامتعة ونحو ذلك تعود الى خزينة الحكومة وتضاف الى «مال المهاجرة »

البند الحادي والثلثون — تأييدا لحفظ النظام واستتبابا للراحة وتسهيلا لالقاء القبض على احد لدى الضرورة بحسب شريعة الولاية او المقاطعة القائمة فيها احدى ادارات المهاجرة يسمح لموظفي حكومة الولاية او المقاطعة بدخول ادارة المهاجرة لدى الاقتضاء لانفاذ منطوق الشريعة٠وتكون تلك الادارة بموجب ذلك خاضعة لحكم اولئك الموظفين او لحكم قضاة الولاية او المقاطعة القائمة فيها تلك الادارة

البند الثاني والثلثون — يحق لمدير المهاجرة العام باشارة او استحسان ناظر التجارة والعمل ان يسن قوانين ونظامات في ما يخص دخول مهاجرين من حدود كندا او المكسيك وذلك لتسهيل سبل الدخول للمسافرين الاعتياديين بين تينك البلادين والولايات المتحدة وله ان يتفق مع شركات النقل على ذلك

البند الثالث والثلثون — ان كلمة« الولايات المتحدة »المستعملة في هذه البنود تشمل الولايات المتحدة و كل المياه الواقعة في منطقتها او اية مقاطعة تابعة لها ما خلا منطقة القناة البرزخية على ان ذلك لا يعني بانه اذا اجتاز احد تلك المنطقة ودخل املاك الولايات المتحدة يصير قبوله فيها على غير نظام المهاجرة العمومي بل حكمه حكم

سائر المهاجرين من اي مكان اخر

البند الرابع والثلثون ـ يحق لمدير المهاجرة العام ان يعين مديرا للمهاجرة في مدينة نيواورلينس لوزيانا للقيام بمهام ادارة المهاجرة فيها التي كان يقوم بها مديرون اخرون ذوو ادارات مهاجرة مستقلة

البند الخامس والثلثون ـ المهاجرون الذين يدخلون البلاد خلسة او على غير الطريقة النظامية المشروحة في هذا النظام اذا قبض عليهم يصير ارجاعهم من احد مرافيء لاوقيانوس الاتلانتيكي او الباسيفيكي اي من المرفأ الذي دخلوا البلاد منه . او اذا كان دخولهم الولايات المتحدة كان قصد الذهاب الى بلاد اخرى مجاورة لها فيصير رجاعهم الى اسكلة البلاد التي ابحروا منها لكي يجيئوا الى البلاد المذكورة

البند السادس والثلثون ـ كل الاجانب الذين يدخلون الولايات المتحدة من غير اماكن المعينة رسميا لدخولها او التي يعينها وزير التجارة والعمل من وقت الى آخر تبر دخولهم مغايرا ومباينا للشريعة ويصير ارجاعهم وفقا للبند العشرين والحادي لعشرين من هذا النظام . بيد ان هذا لا ينفي ما ورد في البند الثاني والثلثين في يحق لمدير المهاجرة العام وضع قوانين لدخول المسافرين من كندا او المكسيك الى لايات المتحدة

البند السابع والثلثون ـ اذا استوطن المهاجر الاجنبي في الولايات المتحدة واظهر بته في ان يصير رعوية اميركية وحصل على الورقة الناطقة بذلك ثم استقدم اليه اته واولاده القاصرين المتخلفين في وطنه القديم فاذا كانت امراته او احد اولاده اب باحدى العلل التي تحول دون دخول المهاجر البلاد فالمصاب يحجز عليه ويعامل سب القوانين التي يضعها وزير التجارة والعمل الى ان يقرر في ما اذا كان الداء ل الشفاء ام لا وفي ما اذا كان دخول المصاب البلاد لا يتضمن خطرا على الاخرين

فلا يقبلون ولا يرفضون الا بعد القرار المذكور سلبا او ايجابا عندئذ يصير اما قبولهم او ارجاعهم الى حيث اتوا

البند الثامن والثلثون — ان كل شخص لا يعتقد بالحكومات المنظمة او يقاومها او كان عضوا في جمعية تعلم ذلك اوله علاقة بهكذا جمعيات ٠او اذا كان يحامي عن تلك المبادي او يجاهر ويعلم بها او كان من الذين يقولون بقتل الحكام والمسلطين في اية بلاد كانت لمجرد كونهم موظفين في الحكومة لا يسمح بدخوله الى الولايات المتحدة او اية مقاطعة تابعة لها ويقتضي انفاذ منطوق هذا البند بحرفيته بالطرق التي يراها ناظر التجارة والعمل ٠ وكل من يسهل لشخص هذه صفاته ومذاهبه طريق الدخول الى الولايات المتحدة او ملحقاتها يغرم بدفع خمسة الاف دولار او بسجن خمس سنوات

البند التاسع والثلثون — انشئت لجنة جديدة موءلفة من تسعة اعضاء ثلاثة منهم من اعضاء مجلس الشيوخ يعينهم رئيس ذلك المجلس٠ وثلاثة من اعضاء مجلس النواب يعينهم خطيب ذلك المجلس وثلاثة اخرون يعينهم رئيس الولايات المتحدة وهولاء يتولون البحث والفحص المدقق وامعان النظر في كل ماله علاقة بالمهاجرة والمهاجرين ولهم سلطة على استخدام اخرين ونشر اوراق والتجول من مكان الى اخر في اتمام ما القي الى عهدتهم سواء كان في الولايات المتحدة او في خارجها ٠ ورئيس تلك اللجنة او احد اعضائها له الحق في ان يحلف اقساما ويفحص الشهود والشهادات وسائر الاوراق المتعلقة بمسائل المهاجرة واستئجار كتبة وغيرهم مما يلزم في اتمام مهمتها وتلك اللجنة ترفع قراراتها للكونغرس وتطرح امامه اقتراحات تكون في عرفها مفيدة ونافعة ٠ وكل النفقات المقتضية لذلك تدفع من «مال المهاجرين » لدى تقديم رئيس اللجنة لائحة بها بما فيه راتب الاعضاء الذين عينهم الرئيس وليسوا من اعضاء الكونغرس

وتلك اللجنة مفوضة ان تستدعي باسم حكومة الولايات المتحدة عقد موءتمرات في اي مكان يتفق عليه · أو ان ترسل معتمدا الى الخارج للاشتراك في ما يعقد فيها من الموءتمرات والمداولات بشأن المهاجرة وما يتعلق بها ويراجع مجلس الشيوخ في أمرها ويستشيره في ما يجب عليه عمله في ما يختص بالمهاجرة الى الولايات المتحدة وفي امر الكشف الطبي على من يبغون المهاجرة اليها بواسطة قناصل اميركا او رجال حكومتها في المرفأ الذي يبحرون منه او غيره · وفي الحصول على مساعدة الحكومات على منع مهاجرة الذين لا تخولهم شرائع المهاجرة حق الدخول الى الولايات المتحدة وان ينظر في كل ماله علاقة بالمهاجرة والمهاجرين الاجانب

البند الاربعون — تمنح لمدير المهاجرة العام سلطة على ان ينشىء تحت رعاية وسلطة وزير التجارة والعمل دائرة «المهاجرة والتجنيس» وهو يعين ما يلزم من الكتبة وغيرهم لتلك الادارة· ومن واجبات تلك الدائرة ان تجتهد في انزال المهاجرين في الولايات والمقاطعات التي هي بحاجة الى مهاجرين · وتستعلم من الولايات والمقاطعات عن طبيعة الارض والمناخ والحاصلات والمنافع الحاصلة للمهاجرين اذا هم اموا تلك الاماكن وتطبع تلك الافادات بلغات مختلفة وتوزعها على المهاجرين الذين يبغون الحصول على مثل تلك الفوائد في ادارات المهاجرة · واذا عينت ولاية او مقاطعة وكيلا او وكلاء لها في ادارات المهاجرة فهوءلاء يكونون خاضعين للقوانين والنظامات التي يفرضها مدير المهاجرة العام وهي عرضة لاستحسان ناظر التجارة والعمل ويباح لهم ان يخبروا المهاجرين بالمنافع التي يحصلون عليها اذا هم هاجروا الى الولاية او المقاطعة التي يمثلها اولئك الوكلاء واذا تعدى الوكلاء الحد المعين لهم وخرقوا حرمة النظام يمنعون من الدخول الى ادارة المهاجرة بتاتا

البند الحادي والاربعون — ان منطوق هذا النظام لا يشمل ممثلي الدول الاجنبية

الرسميين ولا عائلاتهم ولا ضيوفهم

البند الثاني والاربعون — لا يحق لربان او رئيس احدى البواخر التي تقل ركابا ومهاجرين من البلاد الاجنبية (باستثناء البلاد المجاورة للولايات المتحدة) ان يقترب بباخرته من احدى مواني الولايات المتحدة مالم تكن قد تمت بباخرته الشروط التالية وتمتع الركاب بكل حقوقهم في مدة السفر والشروط هي انه يجب ان يكون المكان الذي يشغله الركاب خاليا من الشحن او الاشياء المخزونة او غير ذلك ٠وان تكون مساحة المكان الذي يشغله الراكب الواحد ١٨ قدما سطحيا في الطبقة الرئيسية من السفينة واما في الطبقة التي تحتها فالمساحة يجب ان تكون ٢٠ قدما ٠ غير انه اذا كان الارتفاع بين الطبقة المحتوية غرف الركاب والطبقة التي فوقها مباشرة اقل من سبعة اقدام او اذا كانت النوافذ التي يدخل منها النور والهواء الى ركاب القسم الادنى من السفينة اتساعها اقل من ثلاثة اقدام مربعة لكل ماية قدم من تلك الطبقة فلا يحق للباخرة نقل ركاب الا على معدل ثلاثين قدما للراكب الواحد ٠ولا يجوز نقل ركاب الا في الطبقات التي ذكرت ٠ واذا تخلل اماكن الركاب محلات الشحن وغيرها فيجب أن تنقل ركابا على معدل مائة وثلاثين قدما مكعبا للراكب الواحد ولا ينقل الركاب في الاماكن التي بين طبقة واخرى ولا في خلايا السفينة ولا في الطبقات التي بين الواحدة والاخرى مساحة اقل من ستة اقدام ٠ اما في عدد الركاب فيستثنى الاطفال الذين دون السنة من عمرهم والاولاد الذين يتراوح عمرهم بين السنة والثمانية سنين يحسبون كل ولدين مساويين لراكب واحد ٠ واذا زاد عدد الركاب في سفينة اخرى مشرفة على الغرق في عرض البحر او التقطوا من على وجه الغمر او نحو ذلك فهؤلاء لا يحسبون في عداد الركاب الرسميين و كل ربان يدخل بسفينة احدى مواني الولايات المتحدة مخالفا لنص هذا البند و كان عدد الركاب خلا ركاب

الدرجة الاولى زائدا عن معدل حمل السفينة بموجب الشرح المذكور فيعد الربان مجرما ويغرم بدفع خمسين دولارا عن كل راكب زيادة عن معدل محمول السفينة وربما حكم عليه بالسجن مدة لا تتجاوز الستة اشهر ·

يعمل بهذا البند ابتداء من كانون الثاني سنة ١٩٠٩

البند الثالث والاربعون — النظام المسنون في ثالث اذار سنة ١٩٠٣ هو نظام مهاجرة الاجانب الى الولايات المتحدة الا المادة ٣٤ منه · والنظام المسنون في ٢٢ اذار سنة ١٩٠٤ هو لاجل اعفاء سكان نيوفوندلاند من دفع رسم الدخول الى الولايات المتحدة · وكل النظامات او بعضها وكل نظام اوبعضه لايتفق مع هذا النظام فهو منسوخ ولغو على انه لا يوجد في هذا النظام ما ينسخ او يغير او يعدل او يحور الشريعة المتعلقة بمهاجرة الصينيين

البند الرابع والاربعون — هذا النظام يغدو مرعي الاجراء ويعمل به منذ غرة كانون الثاني سنة ١٩٠٧ غير ان البند التاسع والعشرين والفقرة الاخيرة من البند الاول يعمل بها حال صدور هذا النظام والبند الثاني والاربعون في غرة كانون الثاني سنة ١٩٠٩

اثبت وصودق عليه في ٢٠ شباط سنة ١٩٠٧

شريعة التجنيس

على ماهي حين صدور هذا الكتاب

البند الاول والثاني والثالث تتعلق بكيفية تنظيم مجلس التجنيس وحدوده وعلاقا
بالحكومة وغير ذلك وليس منها ما يتعلق بطالب التجنيس ولذلك اضربنا عن ذكر
كما اننا سنغفل ترجمة كل مالاتهم الطالب معرفته من البنود الاخرى

البند الرابع — يقبل الاجنبي في رعوية الولايات المتحدة على الكيفية والشرو
التالية وليس بطريقة اخرى

اولا — طالب التجنيس ينبغي ان يكون قد بلغ السنة الثامنة عشرة من عمر
وتكون قد مضت سنتان على اقامته في المقاطعة التي يتجنس فيها ويلزم ان يقس
امام كاتب اية محكمة لها حق التجنيس بحسب النظام بانه راغب بكل اخلاص في
ان يصير من رعايا الولايات المتحدة وانه يجحد او يرفض الى الابد كل طاعة واما
لاي امير اجنبي او ملك او ولاية وخصوصا (لفلان) امير او ملك او سلطان المملك
التي يكون من رعاياها او اتباعها ويحتوي اعلان الرغبة هذا اسم طالب التجنيس وعمر
ومهنته واوصافه الشخصية ومكان ولادته ومحل اقامته الاخير في بلاده وجنسي
الاولى وتاريخ وصوله الى الولايات المتحدة واسم الباخرة التي اقلته ومكان سك
الحالي في الولايات المتحدة

غير ان من كان قد سبق فاعلن رغبته في صيرورته من رعايا الولايات المتحد

وفقا للشريعة قبل سن هذا النظام لا يترتب عليه تجديد ذلك الطلب • وكل من سكن في الولايات المتحدة مدة خمس سنوات متوالية حتى غرة ايار سنة ١٩١٠ وكان اهلا للحصول على الجنسية الاميركية بموجب النظام السابق ولكنه لم ينلها لجهله مطاليب الشريعة وما يجب عليه عمله اولاسباب اخرى فاذا اقنع المحكمة المفوضة بتجنيس الاجانب بصحة ذلك يحصل على ورقة الجنسية الكاملة بدون ان تجري عليه مطاليب النظام الجديد

ثانيا — بعد مضي مدة لا تنقص عن السنتين ولا تزيد عن السبع سنوات من تاريخ اظهار رغبته في الجنسية عليه ان يقدم عريضة موقعة بامضائه بخط يده ويوضح بها رغبته وطلبه ويذكر اسمه كاملا ومحل اقامته (مع ذكر اسم الشارع ونمرة البيت اذا امكن) ومهنته واذا كان في الامكان فيذكر ايضا مكان وزمان ولادته والمكان الذي هاجر منه ومكان وزمان وصوله الى الولايات المتحدة واذا كان قد دخلها من مرفإ فليذكر اسمه واسم الباخرة التي هاجر على متنها • واسم المحكمة التي امامها اظهر رغبته في ان يصير من رعايا الولايات المتحدة • واذا كان متزوجا فليذكر اسم امرأته واذا امكن فيذكر اسم وطنها ومحل اقامتها آن تدوين عريضته واذا كان له اولاد فيجب ان يذكر اسم كل منهم ومكان وزمان ولادتهم ومكان اقامتهم حين تقديم عريضته • اما اذا كان طلبه الجنسية سابقا لتاريخ هذا النظام فلا يضطر الى توقيع العريضة بخط يده

ويجب ان يوضح في العريضة بانه ليس من عديمي التصديق بالحكومة المنظمة او المقاومين لها ولانه ادنى علاقة مع اي شخص او جمعية تقاوم وتضاد الحكومة المنظمة وانه ليس على مذهب القائلين بتعدد الزوجات ولا يصدق ذلك المذهب وان له تمام رغبة في ان يصير من رعايا الولايات المتحدة وانــه يجحد ويرفض الى الابد كل

طاعة وامانة لاي امير أجنبي او حاكم او ولاية او مملكة وخصوصاً (لفلان) امير أو حاكم او ملك البلاد الذي هومن رعيته او اتباعه٠ وانه راغب في ان يجعل الولايات المتحدة موطنه الدائم ٠وهل انكر عليه قبلا حق صيرورته من رعوية الولايات المتحدة ام لا ٠ فاذا كان الاول فلماذا وماهي اسباب رفضه وحرمانه مع اسم المحكمة او المحاكم التي اصدرت قرار الرفض وان الاسباب الحائلة دون قبوله في الرعوية الاميركية قد زالت ويجب ان يشير الى كل مسألة ذات علاقة بتجنسيه طالبا ان تتحقق لدى صدور قرار المحكمة الاخير بشان تجنيسه

ويجب ان تثبت العريضة بشهادة شاهدين على الاقل يكونا ثقة ومن رعايا الولايات المتحدة ٠وعلى الشهود ان يبينوا بانهم يعرفون طالب التجنيس شخصيا بانه قد اقام في الولايات المتحدة لااقل من خمس سنين متوالية وفي الولاية او المقاطعة التي سيتجنس فيها مدة سنة متوالية على الاقل قبل توقيعه عريضة الالتماس ٠وبان كل واحد منهم يشهد بناء على معرفته الشخصية بان الطالب ذو سيرة ادبية حسنة ولا يوجد بحسب اعتقادهم ما يمنعه من الدخول في الرعوية الاميركية

وعلى الطالب ان يرفق عريضة الالتماس المذكورة بتذكرة من نظارة التجارة والعمل اذا كان قد دخل الولايات المتحدة بعد وضع هذا النظام موضع الاجراء وتلك التذكرة يوضح فيها زمان ومكان و كيفية وصول الطالب الى الولايات المتحدة ٠ وايضا تذكرة اعلان رغبته في التجنيس ويجري تقديم الثلاثة معا

ثالثا — وعليه قبل قبوله في الرعوية ان يقسم امام هيئة المحكمة بانه يؤيد ويحافظ على دستور الولايات المتحدة وانه ينزع ويطرح عنه الى الابد كل طاعة وامانة لاي امير اجنبي او حاكم او ولاية او مملكة وبنوع اخص (لفلان) امير او ملك او سلطان المملكة التي كان من رعاياها وبانه يصون ويدافع عن دستور وشرائع الولايات

المتحدة ضد كل الاعداء سواء كانوا اجانب ام وطنيين ويحافظ على عهد الامـانـة والطاعة لها

رابعا — يجب اقناع المحكمة المفوضة بتجنيس اي اجنبي بان الطالب قد اقام في الولايات المتحدة خمس سنوات متوالية على الاقل بعد اظهار رغبته في التجنيس وسنة واحدة متوالية على الاقل في الولاية او المقاطعة التي تكون محكمة التجنيس فيها وانه في خلال ذلك قد احسن السلوك كرجل ذي صفات كريمة وخلال حميدة عاملا بمراسيم دستور الولايات المتحدة ومقتضياته وفضلا عن القسم الذي يؤديه المتجنس على صحة ما تقدم يجب ان يدعم بشهادة اثنين على الاقل يكونان من رعوية الولايات المتحدة ومعروفين بالاستقامة والصدق بان طالب التجنيس حافظ على السلوك الحسن واقام في الولايات المتحدة المدة المعينة ويجب ان يقيد في السجل اسم كل شاهد ومحل اقامته ومهنته

خامسا — اذا اتفق ان طالب الرعوية كان وارثا عن اسلافه لقب شرف او انه من النسل الملوكي من البلاد التي جاء منها فعليه فضلا عما تقدم ان يصرح بطرح الشرف الموروث واللقب امام المحكمة التي تمنحه الجنسية ويجب تقييد ذلك في سجل المحكمة

سادسا — اذا قضى طالب التجنيس نحبه قبل حصوله على الجنسية فيحق لارملته واولاده القاصرين ان يتجنسوا بـدون ان يظهروا رغبتهم في ذلك حسب الطريقة المشروحة قبلا ووفقا لشريعة التجنيس

البند الخامس — بعد ان يستلم كاتب المحكمة العريضة يلصق اعلانا على جدار ادارته او في مكان مناسب يوضح فيه اسم الطالب ووطنه الاصلي ومحل اقامته وزمان ومكان هجرته والوقت المعين للنظر في قبوله في الجنسية مع اسماء الشهود الذين قدمهم • واذا شاء الطالب التجنيس يطلب من كاتب المحكمة استجلاب الشهود باوراق

رسمية للحضور في الوقت المعين • واذا تعذر وجود الشهود انفسهم فلا مانع من جلب غيرهم

البند السادس ـــ تكتب العريضة وتقدم للمحكمة سواء كانت ملتئمة ام لا ويعلن عنها في نفس اليوم الذي تقدمت فيه غير انه لا ينظر فيها الا في الوقت الذي تعينه المحكمة وعلى كل لا يكون ذلك قبل مرور تسعين يوما من تقديم العريضة ولا تعطى تذكرة الجنسية لاحد في خلال ثلاثين يوما سابقة لانتخاب عمومي عتيد الوقوع في المقاطعة التي فيها محكمة التجنيس •ومن استحصل على اذن تغيير اسمه الاصلي فالمحكمة تعتبر ذلك التغيير وتمنحه تذكرة الجنسية باسمه الجديد

البند السابع ـــ خلاصته يمنع من التجنيس الفوضوي او الناهض للحكومة المنظمة والمعتقد بتعدد الزوجات

البند الثامن ـــ لا تمنح رعوية الولايات المتحدة لمن لا يحسن التكلم باللغة الانكليزية ويستثنى من ذلك الذين لا يستطيعون ذلك لعلة ما اذا صحت فيهم شروط الجنسية الاخرى • او كانوا قد اعربوا عن رغبتهم في التجنيس قبل سن هذا النظام • والذين بعد اظهار رغبتهم في الجنسية يتخذون لهم موطنا في اراضي الولايات المتحدة العامة وفقا للشريعة

البند التاسع ـــ كل استماع نهائي لدعاوى العريضة يجري في المحكمة الملتئمة رسميا بحضور قاضيها او قضاتها • وكل امر نهائي تصدره المحكمة يجب ان يدون في سجلها المخصص لذلك • وفي تلك الجلسة الاخيرة يصير فحص طالب التجنيس والشهود بتحليف اليمين

البند العاشر ـــ اذا لم يكن طالب التجنيس قد اقام في الولاية او الايالة او المقاطعة مدة خمس سنوات متوالية قبل تقديم طلبه فيمكنه ان يثبت بلسان شاهدين

ابان تقديم طلبه وا ن الاستماع النهائي انه اقام في الولاية مدة سنة على الاقل وان السنوات الباقية قد اقام فيها في الولايات المتحدة وفقا لمنطوق الشريعة وذلك بشهادة اثنين او اكثر من رعايا الولايات المتحدة ولا مناص من ابلاغ هذا الامر الى ادارة المهاجرة والتجنيس في واشنطن العاصمة والى مدعي عمومي الولايات المتحدة في المقاطعة التي يقطنها

البند الحادي عشر ـ اذا ارتابت الحكومة في صحة رواية طالب الجنسية او صدق شهوده فلها فحصهم جميعا في المحاكم النظامية وجلب شهود لتأييد جانبها اذا مست الحاجة

البند الثاني عشر ـ يتعلق بما يجب على كاتب المحكمة عمله بالتذاكر التي يصدرها لطالبي التجنيس

البند الثالث عشر ـ يتعلق بالرسم الذي يتقاضاه كاتب المحكمة على تذاكر الجنسية وماياله من ذلك . وبما يجب على طالب التجنيس دفعه لمصارفات الاوراق وأجرة الشهود

البند الرابع عشر ـ يتعلق بكيفية ترتيب اوراق الجنسية في سجل المحكمة ونحو ذلك

البند الخامس عشر ـ يتعلق بما يجب على المدعي العمومي عمله اذا اشتبه بامر طالب الجنسية وكيفية مرافعته

البند ١٦ و١٧ و١٩ منسوخة بنظام رابع اذار سنة ١٩٠٩

البند الثامن عشر ـ اي كاتب محكمة يعطي ورقة جنسية لاي اجنبي بغير الطرق النظامية يؤخذ تحت المحاكمة واذا ثبت جرمه يغرم يدفع مبلغ لايقل عن الخمسة الآف دولار او بسجن مدة لا تقل عن الخمس سنوات بحسب قرار المحكمة

البند العشرون يتضمن مجازاة اي كاتب يتلاعب بالدراهم التي قبضهـا من المتجنسين والغرامة كما في البند ١٨

البند الحادي والعشرون ــ اذا تقاضى كاتب المحكمة او غيره متجنسا شيئاً غير المفروض شرعا يغرم بدفع مبلغ لا يقل عن الالف دولار او بسجن مدة لاتقل عن السنتين او بكليهما

البند الثاني والعشرون وما بعده تتعلق بالغرامات التي توضع على من يخالف شريعة الجنسية من موظفي المحكمة وغيرهم ممن يحصل على الرعوية بغير الطرق القونونية وكل تلك لا تهم طالب الجنسية معرفتها لانها من خصائص المحكمة وعليه اضربنا عن ذكرها

DECLARATION OF INTENTION.

(Invalid for all purposes seven years after the date hereof.)

............, ss:

I,............ aged........years, occupation........., do declare on oath (affirm) that my personal description is: Color........ complexion......., height......., weight......., color of hair......., color of eyes........, other visible distinctive marks.........: I was born in........on the........day of........, anno Domini........; I now reside at........; I emigrated to the United States of America from........on the vessel........; my last foreign residence was......... It is my bona fide intention to renounce forever all allegiance and fidelity to any foreign prince, potentate, state, or sovereignty, and particularly to ...., of which I am now a citizen (subject); I arrived at the (port) of...........in the State (Territory or District) of.......... on or about the.........day of..........anno Domini........; I am not an anarchist; I am not a polygamist nor a believer in the practice of polygamy; and it is my intention in good faith to become a citizen of the United States of America and to permanently reside therein. So help me God.

(Original signature of declarant)................

Subscribed and sworn to (affirmed) before me this..........day of.........., anno Domini..........

[L. S.] ....

(Official character of attestor.)

صورة اظهار الرغبة في الجنسية

انا ــ سني ــ مهنتي ــ اعلن بقسم (توكيد) بان اوصافي الشخصية هي ٠ اللون(ويقصد بها هنا الجنس)المنظر (اولون الوجه) ــ الطول الوزن ــ لون الشعر لون العينين ــ علامات فارقة منظورة ــ ولدت في ــ في اليوم كذا من شهر كذا سنة كذا مسيحية ٠ والان انا مقيم في ــ هاجرت الى الولايات المتحدة الاميركية من ــعلى الباخرة ــمحل اقامتي الاجنبي الاخير ــوان رغبتي الاكيدة بان اجحد الى الابد كل خضوع وامانة الى اي امير اجنبي او حاكم او ولاية او ملك وخصوصا الى ــ الذي انا الان من رعويته وصلت الى مرفأ ــ في ولاية او مقاطعة ــ في او نحو يوم ــشهر ــسنة ــ ٠ولست فوضويا ولا لي زوجات عديدة ولا اعتقد بمذهب تعدد الزوجات ٠ وان رغبتي بكل اخلاص في ان اصير من رعوية الولايات المتحدة الاميركية وان اجعل سكني الدائم فيها ٠ ليساعدني الله على ذلك

توقيع الطالب ثم مصادقة الشاهد او المثبت

PETITION FOR NATURALIZATION

..........Court of..........

In the matter of the petition of................to be admitted as a citizen of the United States of America.

To the..........Court:

The petition of................respectfully shows:

First. My full name is................

Second My place of residence is number................street, city of............. State (Territory or District) of............

Third. My occupation is............

Fourth. I was born on the..........day of..........at..........

Fifth. I emigrated to the United States from........, or or about the........day of........, anno Domini........, and arrived at the port of........, in the United States, on the vessel........

Sixth. I declared my intention to become a citizen of the United States on the........day of........, at........, in the........court of ....

Seventh. I am....married. My wife's name is.............. She was born in........and now resides at........ I have........children, and the name, date, and place of birth and place of residence

of each of said children is as follows:.............; ....; ....

Eighth. I am not a disbeliever in or opposed to organized government or a member of or affiliated with an organization or body of persons teaching disbelief in organized government. I am not a polygamist nor a believer in the practice of polygamy. I am attached to the principles of the Constitution of the United States, and it is my intention to become a citizen of the United States and to renounce absolutely and forver all allegiance and fidelity to any foreign prince, potentate, state, or sovereignty, and particularly to.........., of which at this time I am a citizen (or subject), and it is my intention to reside permanently in the United States.

Ninth. I am able to speak the English language.

Tenth. I have resided continuously in the United States of America for a term of five years at least immediately preceding the date of this petition, to wit, since........, anno Domini........, and in the State (Territory or District) of........for one year at least next preceding the date of this petition, to wit, since..........day of.........., anno Domini..........

Eleventh. I have not heretofore made petition for citizenship to any court. (I made petition for citizenship to the.........court of......... at.........., and the said petition was denied by the said court for the following reasons and causes, to wit, ..., and the cause of such denial has since been cured or removed.)

Attached hereto and made a part of this petition are my declaration of intention to become a citizen of the United States and the certificate from the Department of Commerce and Labor required by law. Wherefore your petitioner prays that he may be admitted a citizen of the United States of America.

Dated...........

(Signature of petitioner).................

صورة عريضة طلب الجنسية

محكمة كذا

في مسألة عريضة —لاجل ادخاله في رعوية الولايات المتحدة الاميركية

الى محكمة — ان معروض — يشتمل (مع الاكرام) اولا • اسمي الكامل

هو — ثانيا محل اقامتي نمرة — شارع —مدينة ولاية او مقاطعة — ثالثا • مهنتي هي

— رابعا انني ولدت في — بمدينة او بلدة — خامسا هاجرت الى الولايات المتحدة

من — في او نحو اليوم — سنة — ووصلت الى مرفاء — في الولايات المتحدة

مع الباخرة ـــ سادسا اعلنت رغبتي في ان اصير من رعوية الولايات المتحدة في اليوم ـــ في بلدة ـــ في المحكمة ـــ سابعا انني متزوج · واسم امرأتي ـــ ولدت ـــ وهي الان تقطن في ـــ ولي ـــ اولاد واسماوءهم وزمان ومكان ولادة كل منهم ومحل اقامته كما يلي ـــ ثانيا انني لست من عادمي التصديق بالحكومة المنظمة ولا مضادا لها ولا علاقة لي بية جمعية او جماعة لا تعتقد بالحكومة المنظمة · ولست ذا زوجات عديدة ولا انا ممن يوءمن بمذهب تعدد الزوجات · وانني مرتبط بمبادي دستور الولايات المتحدة وراغب في ان اصير من رعوية الولايات المتحدة وان اجحد بالكلية والى الابد كل خضوع وامانة لاي امير اجنبي او حاكم او ولاية او ملك وخصوصا الى ـــ الذي كنت من رعيته وانني لراغب في ان اجعل الولايات المتحدة وطني الدائم · تاسعا انني احسن التكلم باللغة الانكليزية عاشرا · قد اقمت في الولايات المتحدة مدة لا تقل عن خمس سنوات المتوالية قبل تقديم هذه العريضة اعني منذ ـــ وفي ولاية او مقاطعة ـــ لا اقل من سنة قبل تقديم هذه العريضة اي منذ ـــ حادي عشر · انني ماقدمت عريضة بطلب جنسية لاية محكمة (قدمت عريضة لاجل الجنسية الى محكمة ـــ ورفضت تلك المحكمة ذلك المعروض للاسباب التالية ـــ وقد زالت تلك الاسباب او الموانع)

وبرفق هذه العريضة تذكرة اظهار رغبتي في ان اصير من رعوية الولايات المتحدة وايضا تذكرة من نظارة التجارة والعمل عملا بمنطوق الشريعة · ومقدم هذه العريضة يرجو قبوله في رعوية الولايات المتحدة الاميركية · التاريخ

توقيع مقدم العريضة

. . . ., ss:

. . . . being duly sworn, deposes and says that he is the petitioner in the above-entitled proceeding: that he has read the foregoing petition and knows the contents thereof; that the same is true of his own

knowledge, except as to matters therein stated to be alleged upon information and belief, and that as to those matters he believes it to be true.

Subscribed and sworn to before me this........day of........, anno Domini........

[L. S.]

................,
Clerk of the..........Court.

حاشية كاتب المحكمة

فلان — يقسم ويوكد بانه هو صاحب العريضة المرقومة وبانه قد قرا العريضة المذكورة ويعرف مضمونها وبانها صحيحة بحسب معرفته

وقعت مع القسم امامي في اليوم — سنة . كاتب المحكمة

AFFIDAVIT OF WITNESSES.

........Court of........

In the matter of the petition of................to be admitted a citizen of the United States of America.

.............., ss:

............., occupation........, residing at........, and........ ...., occupation........, residing at........, each being severally duly and respectively sworn, deposes and says that he is a citizen of the United States of America; that he has personally known............ ....the petitioner above mentioned, to be a resident of the United States for a period of at least five years continuously immediately preceding the date of filing his petition, and of the State (Territory or District) in which the above-entitled application is made for a period of............years immediately preceding the date of filing his petition; and that he has personal knowledge that the said petitioner is a person of good moral character, attached to the principles of the Constitution of the United States, and that he is in every way qualified, in his opinion, to be admitted as a citizen of the United States.

....

....

Subscribed and sworn to before me this........day of........ nineteen hundred and..........

[L. S.]

..............,
(Official character of attestor.)

اقرار الشهود (بقسم)

محكمة كذا

في ما يخص عريضة ــ الطالب الدخول في جنسية الولايات المتحدة الاميركية مهنته ــمحل سكنه ــ كل منهما يقرر بقسم ويقول انه رعوية اميركية وانه يعرف شخصيا ــ مقدم العريضة المذكورة اعلاه بانه قطن في الولايات المتحدة مدة لا تقل عن خمس سنوات متوالية قبل تاريخ عريضته وفي الولاية او المقاطعة التي سيغدو جنسيا فيها مدة ــسنوات قبل تاريخ هذه العريضة وانه بعد الاختبار يشهد بحسن صفات الشخص مقدم العريضة ومحافظته على مبادي دستور الولايات المتحدة وانه في عرفه هو من كل وجه اهل لان يقبل في جنسية الولايات المتحدة

توقيع الشهود

جرى القسم والتوقيع امامي في ــسنة ــ

توقيع المثبت الرسمي

CERTIFICATE OF NATURALIZATION.

Number..........
Petition, volume.........., page..........
Stub, volume.........., page..........
(Signature of holder)............

Description of holder: Age, ...; height, ...; color, ...; complexion, ...; color of eyes, ...; color of hair, ...; visible distinguishing marks, ... Name, age, and place of residence of wife, ... Names, ages, and places of residence of minor children, ..., ..., ...; ...., ..., ...; ...., ..., ...

.............., ss:

Be it remembered, that at a..........term of the..........court of .... held at.......on the.......day of........, in the year of our Lord nineteen hundred and........, ..., who previous to his (her) naturalization was a citizen (or subject) of........, at present residing at number..............street, ...city (town), ...State (Territory or District), having applied to be admitted a citizen of the United States of America pursuant to law, and the court having found that the petitioner had resided continuously within the United States for at least five years and in this State for one year immediately preceding the date of the hearing of his (her) petition, and that said petitioner intends to reside permanently in the United States, had in all respects complied with the law in relation thereto, and that ..he was entitled

to be so admitted, it was thereupon ordered by the said court that ..he be admitted as a citizen of the United States of America.

In testimony whereof the seal of said court is hereunto affixed on the........day of........, in the year of our Lord nineteen hundred and........and of our independence the........

[L. S.] ...., (Official character of attestor.)

تذكرة الجنسية

نمرة —سجل المعروض — صفحة — توقيع صاحب التذكرة

اوصاف صاحب التذكرة · السن—الطول —الجنس— اللون —لون العينين—لون الشعر — علامات فارقة منظورة —اسم وسن ومحل اقامة الزوجة — اسم وسن ومحل اقامة كل واحد من الاولاد تحت سن البلوغ—

ليعلم انه في جاسة —للمحكمة —المنئمة في —سنة —لمخاصنا الذي قبل تجنيسه كان من رعية او تابعية — وهو يقطن حالا في نمرة —شارع —في مدينة او بلدة — من ولايةاو اقليم او مقاطعة—وقد التمس ان يقبل في رعوية الولايات المتحدة الاميركية وفقاً للنظام · وقد وجدت المحكمة ان صاحب العريضة قد قطن في الولايات المتحدة مدة لا تقل عن الخمس سنوات متوالية وفي هذه الولاية —سنة قبل النظر في معروضه وان صاحب العريضة المذكور عاقد النية على اتخاذ الولايات المتحدة وطنا دائما له · وانه قد قام بكل ما تفرضه عليه الشريعة وانه مستحق للقبول وعليه فقد صدر امر المحكمة بان (فلانا) يقبل في رعوية الولايات المتحدة الاميركية

وشهادة بذلك يبصم ختم المحكمة الرسمي على هذه التذكرة في —سنة —من سني مخاصنا وفي السنة —من استقلالنا

موضع الختم الرسمي

البند الثامن والعشرون — لناظر التجارة والعمل سلطة على سن قوانين حسب مقتضى الحال لتنفيذ منطوق هذا النظام وللمحافظة على الاوراق والسجلات الرسمية

ونحو ذلك

البند التاسع والعشرون — خلاصته بان الحكومة عينت مبلغ ماية الف دولار لتنفيذ منطوق هذا النظام

البند الثلثون — يحتوي بيان ادخال الاشخاص الذين ليسوا من رعوية اجنبية في جنسية الولايات المتحدة

البند الحادي والثلثون — يوضح هذا النظام موضع الاجراء بعد تسعين يوماً من تاريخ صدوره خلا البند الاول والثاني والثامن والعشرين والتاسع والعشرين فانها تغدو مرعية الاجراء فوراً · صودق عليه في ٢٩ حزيران سنة ١٩٠٦

مقتطفات من شرائع الولايات المتحدة المنقحة المتعلقة بالتجنيس

البند ١٩٩٤ — كل امراة مقترنة او ستقترن باحد افراد الرعايا الاميركيين او كان يحق لها نفسها ان تتجنس بالجنسية الاميركية تحسب من الرعوية الاميركية

البند ٢١٦٦ — اي اجنبي من سن الحادية والعشرين سنة فما فوق انخرط او سينخرط في جندية الولايات المتحدة سواء كان في الفرق النظامية او المتطوعة وانهى مدته المعينة وخرج بشرف يقبل في رعوية الولايات المتحدة لمجرد تقديمه عريضة بدون ان يكون اظهر رغبته سابقاً بذلك وليس عليه ان يبرهن سوى انه اقام مدة سنة متوالية في الولايات المتحدة قبل تقديم عريضته المذكورة · وبدلاً من ان تطلب المحكمة شهادة بحسن صفاته نقتصر على البرهان بانه سرح من الجندية بشرف

البند ٢١٦٩ كما عدل سنة ١٨٧٥ — شروط هذا البند تطلق على الاجانب البيض الاحرار وعلى الاجانب الافريقيين وعلى الاشخاص المتحدرين من اصل افريقي

البند ٢١٧١ — لا يمنح اجنبي رعوية الولايات المتحدة اذا كان من رعايا او اتباع اية مملكة او ولاية او بلاد مشتبكة بحرب مع الولايات المتحدة ابان التماسه

الرعوية · غير ان الاشخاص القاطنين في الولايات المتحدة او مقاطعاتها منذ ١٨ حزيران سنة ١٨١٢ و كانوا قبل ذلك التاريخ قد اظهروا رغبتهم في الرعوية المذكورة · او كانوا في ذلك الحين اهلا للدخول في الجنسية بقطع النظر عن كونهم من رعايا المملكة المحاربة ولا يفهم من ذلك انه يمتنع توقيف او نفي اي عدو اجنبي في اي وقت سابق لصيرورته جنسيا اذا دعت الضرورة لذلك شرعا

البند ٢١٧٢ — ان اولاد الاشخاص الذين تجنسوا رسميا وفقا لاية شريعة من شرائع الولايات المتحدة او الذين قد صاروا من جنسية احدى الولايات حسب شرائعها قبل ان اصدرت الولايات المتحدة شرائعها في ما يخص التجنس اذا كانوا عند تجنس ابائهم من رعاياها ·اوهم الآن كذلك حسب الشريعة فاذا كان الاولاد دون سن الحادية والعشرين عند تجنيس ابائهم و كانوا من سكان الولايات المتحدة يحسبون من رعاياها حتى ولو كانوا قد ولدوا خارج حدودها بيد انه لا يقبل في الرعوية المذكورة من سقطت حقوقه المدنية في احدى الولايات او ثبت انه انضم الى الجيش الانكليزي اثناء حرب الاستقلال الا برضى ومصادقة مجلس مشترعي الولاية التي ثبت فيها جرمه

البند ٢١٧٤ — كل نوتي اجنبي يظهر رغبته في التجنس بجنسية الولايات المتحدة امام اية محكمة رسمية مفوضة بالتجنيس ثم يخدم مدة ثلاث سنوات في احدى البواخر التجارية الاميركية فيمكن قبوله في رعوية الولايات المتحدة اذا قدم عريضة بذلك لاية محكمة رسمية مفوضة بالتجنيس مرفوقة بشهادة تتضمن انتهاء مدة خدمته وحسن سلوكه مع تذكرة اعلان رغبته في التجنيس (الورقة الاولى)· و كل نوتي اجنبي اظهر رغبته في التجنيس وخدم مدة ثلاث سنوات كما تقدم يحسب بمثابة متجنس ولو لم يحصل على التذكرة النهائية (الورقة الثانية) وذلك لجعله قادرا على ان يعمل او يخدم في اية باخرة تجارية اميركية و كل ما ورد من قرارات مجلس الشورى مخالفا لذلك لا

يحفل به · ثم ان ذلك النوتي لدى اظهار رغبته في الجنسية الاميركية يعامل معاملة الرعايا الاميركيين وتصان حقوقه كاميركي

البند الرابع عشر من شريعة ٦ ايار سنة ١٨٨٢ — من الان وصاعدا لا يجوز لمحكمة اية الولايات او لاية محاكم الولايات المتحدة ان تقبل صينيا في رعوية الولايات المتحدة وكل شريعة تناقض هذه هي منسوخة بها وملغاة

من شريعة ٦ تموز سنة ١٨٩٤ الفصل ١٦٥ مجلد ٢٨ صفحة ١٢٤ — ي اجنبي من سن الحادية والعشرين فما فوق تقيد في خدمة بحرية الولايات او في الفرق البرية الملازمة للاسطول وخدم او سيخدم مدة خمس سنوات متواليةفي بحرية الولايات المتحدة او في الفرق البرية التي ينقلها الاسطول واعفي او سيعفي من الخدمة بشرف يقبل في رعوية الولايات المتحدة لمجرد تقديمه عريضة بدون ان يكون اظهر رغبته سابقا في ذلك حسب قانون التجنيس العادي · وتكتفي المحكمة التي تجنسه بالشهادة التي بيده الناطقة بخدمته المذكورة بعد ان يكون قام البرهان لديها على حسن سيرته الادبية

من شريعة رابع اذار سنة ١٩٠٩

البند ٧٤ كل من زور او صنع تذكرة جنسية مغشوشة او مزيفة او كل من يكون سببا لذلك التزوير والغش او كان ينقل تذكرة مغشوشة مزورة ويحاول استعمالها يغرم بدفع مبلغ لا يتجاوز العشرة الاف دولار او بسجن مدة لاتتجاوز العشر سنوات او بكليهما

البند ٧٥ — كل من يحفر صفيحة او يسبب في حفر او اقتناء صفيحة نظير اي الصفائح التي تطبع عليها تذاكر الجنسية الاميركية · او الذي يبيع او يجلب صفيحة كتلك من بلاد اجنبية الى الولايات المتحدة الا بمعرفة ناظر التجارة والعمل او احد الموظفين الرسميين او الذي تكون في حوزته او في ملكيته اية صفيحة معدنية مضارعة

لاية صفيحة طبعت عليها احدى تذاكر الجنسية ويستعمل او يسمح باستعمال تلك الصفيحة في طبع تذاكر مغشوشة ومزورة على اية صورة كانت • او الذي يطبع صورة او اية هيئة مشابهة لما يطبع على تذاكر الجنسية • او الذي يبيع مثل تلك التذاكر او ينقلها الى الولايات المتحدة من اية بلاد اجنبية الا بمناظرة احد ما موري الولايات المتحدة او الذي توجد في حوزته الرخصة المعطاة لاحد موظفي الولايات المتحدة لاجل نقل مثل تلك التذاكر ويحاول استعمالها زورا وغشا فانه يغرم بدفع مبلغ لا يقل عن العشرة الالف دولار او بسجن مدة لا تقل عن العشر سنوات او بكليهما

البند ٧٦— اي طالب الدخول في الرعوية الاميركية او اي شاهد لذلك الطالب ينتحل اسما غير اسمه ويظهر به امام محكمة التجنيس • او انه يظهر باسم شخص ميت او باسم شخص حي ابن بي • وكل من يقسم يمينا كاذبة او يقدم شهادة شفاهية او خطية مزورة او يضع توقيعا مغشوشا على احدى الاوراق الرسمية ذات العلاقة بتجنيس الاجانب وكل من يبيع او يعطي او ينقل اوراقا مزورة او يقسم يمينا كاذبة او غير ذلك من الامور المخالفة السالف ذكرها وبموجبها تعطى تذكرة جنسية لغير الشخص الحقيقي فانه يغرم بدفع مبلغ لا يقل عن الالف دولار او بسجن مدة لا تتجاوز الخمس سنوات او بكليهما

البند ٧٧— كل من استعمل او حاول ان يستعمل او يساعد او يمالي، او يشترك في استعمال تذكرة جنسية يعلم انها مزورة وغير صحيحة او استحصلت بطريقة الغش والخداع والتزوير او الذي توجد مثل التذكرة في حوزته بدون مسوغ شرعي ويحاول استعمالها • او كل من يحصل على تذكرة وهو عالم انها غير شرعية بل مزورة ومغشوشة • او الذي توجد في حوزته صورة تذكرة الجنسية مثل التي تعطيها وزارة التجارة والعمل لمحاكم التجنيس ويحاول كتابتها باسمه او اسم شخص اخر •

والذي ينكر بعد تجنيسه بانه مجنس قصد التخاص من غرامة او عقاب اوجبته عليه الشريعة يغرم بدفع مبلغ لا يتجاوز الالف دولار او بسجن مدة لا تتجاوز الخمس سنوات

البند ٧٨ و٧٩ و٨٠ ـ كل من ينتحل تذكرة جنسية قصد التصويت وليس هو منجنسا وكل من يدعي انه رعوية اميركية وليس هو كذلك او يقسم يمينا كاذبة او يوقع اسمه على شهادة ما زورا يغرم بدفع مبلغ لااقل من الف دولار او بسجن مدة لا تقل عن خمس سنوات او بكليهما

مقتطفات من شريعة ٢ اذار سنة ١٩٠٧

بحسب قرار مجلس الامة ان ناظر الخارجية مفوض اذا راى حاجة ان يصدر نذاكرمروراي باسابورتات لمن قداظهر رغبته في ان يصير من رعايا الولايات المتحدة ومرت على سكنه فيها مدة ثلاث سنوات وتلك التذكرة او الباسبورت ينيله حماية جمهورية الولايات المتحدة له في اي بلاد اجنبية سوى وطنه الاصلي · وذلك مدة ستة اشهر ولا يسمح تجديد الباسبورت عند انتهاء الاجل المذكور

وكل من كان من رعايا الولايات المتحدة ودخل في رعوية دولة اخرى وادى يمين الاخلاص والطاعة لها يسقط من رعوية الولايات المتحدة · كما ان المتجنس بالجنسية الاميركية اذا سكن مدة سنتين متواليتين في البلاد الاجنبية يحرم تلك الجنسية الا اذا اقنع قنصل او معتمد حكومة اميركا بقانونية تغيبه عن وطنه الجديد (اميركا) بما يتفق مع النظام المسنون لذلك · بيدانه لا يجوز للمتجنس بالجنسية الاميركية ان يسقط نفسه منها ابان اشتباك الحكومة بحرب ما

كل اميركية تتزوج من اجنبي تحسب من رعوية الدولة التي ينتمي اليها زوجها · واذا انفصلت عنه لعلة موت او غيره فيحق لها استعادة رعويتها الاميركية باظهار رغبتها في

ذلك لدى قنصل او معتمد الولايات المتحدة في غضون سنة تمر من انفصالها عن زوجها او بعودتها الى الولايات المتحدة للاستيطان فيها

واي امراة اجنبية تزوجت من اميركي تكسب رعويته واذا انفصلت عنه تبقى لها تلك الرعوية اذا دامت ساكنة في الولايات المتحدة الا اذا طرحت تلك الجنسية رسميا امام احدى المحاكم المفوضة بتجنيس الاجانب · واذا كانت خارج الولايات المتحدة وارادت المحافظة على رعويتها الاميركية فعليها ان تظهر رغبتها تلك امام قنصل او معتمد الولايات المتحدة في خلال سنة منذ تم افتراقها عن زوجها

كل ولد يولد خارج الولايات المتحدة من ابوين اميركيين او حاصلين على الرعوية الاميركية يحسب اميركيا بسبب تجنس والديه او استعادتهما الرعوية الاميركية · ويشترط ان يحدث كلا التجنس او استعادته ابان يكون الولد قاصرا · بيد ان ذلك الولد يعتبر رعوية اميركية اذا قطن في الولايات المتحدة والاولاد المولودون خارج الولايات المتحدة على ما تقدم يقتضي ان يسجلوا اسماءهم في سجلات القنصلية الاميركية الادنى الى مكان اقامتهم عند بلوغهم الربيع الثامن عشر من عمرهم اذا ارادوا المحافظة على رعويتهم الاميركية وان يظهروا رغبتهم في استيطان الولايات المتحدة وان يؤدوا يمين الاخلاص والطاعة لحكومتهم متى ادركوا سن الرشاد

تاريخ

المهاجرة السورية

الى

الديار الاميركية

وهو

القسم السابع من كتاب

تاريخ

الولايات المتحدة منذ اكتشافها الى الزمن الحاضر

للخوري باسيليوس خرباوي

HISTORY OF THE SYRIAN EMIGRATION ILLUSTRATED

by

Rev. Basil M. Kherbawi

NEW YORK 1913

طبع بمطبعة الدليل لصاحبها نجيب جرجي بدرن سنة ١٩١٣

اهداء الكتاب

لما كان هذا الكتاب او هذا القسم من تاريخ الولايات المتحدة يبحث في احوال المهاجرة والمهاجرين السوريين وكان جناب الاماثل والتجار الافاضل الافندية دانيال وجورج وضوميط يوسف فاعور اصحاب التجارة الكبيرة والبنايات الواسعة الفخيمة والمصرف السوري الوحيد المكفول لدى الولايات المتحدة موضوع اعجاب وفخر بين السوريين والاميركيين نظرا لاستقامتهم الشهيرة واعمالهم الخطيرة وغيرتهم على نصرة اخوانهم وبسط ايديهم في سائر المشاريع الخيرية والادبية وتفانيهم في عمل الخير والاحسان مع كل انسان وكانت سائر اعمالهم مبنية على اسس الاستقامة والثبات جاعلين الحق رائدهم والصدق قائدهم والامانة عمادهم رايت ان اقدم لهم هذا الكتاب تقديرا لفضلهم وتخليدا لذكرهم فهم اهل لكل اكرام واعتبار في الوطن وعابر البحار وفي سائر الامصار والاقطار زادهم الله تقدما ورفعة وفلاحا واكثر من امثالهم بين جاليتنا السورية المحبوبة لرفع الاسم السوري وتعزيز شان الوطن واعلاء منار الاستقامة والصدق والاخلاص وعمل المعروف واغاثة الملهوف والنفع العميم

وثلاثة جعلوا الامانة رائداً . والصدق والاخلاص آي شعارهم
سطعت بغرب الارض شمس سنائهم . وبشرقها قد ضاء بدرُ فخارهم
أكرم بثالوث الشهامة والوفا . من زينَ التاريخُ في آثارهم

الداعي باخلاص
الخوري
باسيليوس خرباوي



امراء التجارة السورية دانيال وجورج وضوميط يوسف فاعور

تمهيد

بسم الآب والابن والروح القدس امين

الحمد لله خالق الاكوان من العدم · ومغير الاوقات والازمان والامم · ولا يعتريه تغيير او ظل دوران · او يعتوره خلل او نقصان · وهو المبدي المعين · اليه نلتجيء وبه نستعين

ثم انه قد عن لي ان اضيف الى خدمتي الوطنية بتأليف الولايات المتحدة الاميركية منذ اول اكتشافها الى الزمن الحاضر خدمة اخرى لا تقل عنها اهمية · الا وهي تاريخ المهاجرة السورية الى الديار الاميركية وما يتعلق بها

وقد كان في النية جعل هذا الكتاب مجلدا مستقلا نظرا لاهمية الموضوع واتساع مجال البحث غير انني تسهيلا لاقتنائه ونظرا لما بين هذا وتاريخ الولايات المتحدة من التقارب جعلته قسما منه ليغدو الكتاب مجموعا ذا فوائد كثيرة فيسهل اقتناؤه ويعم انتشاره

ولقد ضمنته جغرافية البلاد السورية وذلك بتبيان مساحتها وعدد سكانها وانواع شعوبها وطوائفها مع ذكر انهارها وبحيراتها وجبالها وسهولها وحاصلاتها واشهر مدنها وغير ذلك · ثم بحثت بقدر ما مكنتني الظروف والمقدرة القاصرة عن اسباب معيشتهم واحوالهم وهلم جرا الى زمن تقدمهم وارتقائهم الى ان بلغوا الحالة الحاضرة · ثم ابنت حالتهم الان ومنزلتهم بين الوطنيين وموقفهم السياسي والادبي ومركزهم المادي والتجاري ونحو ذلك · واتيت على ذكر الرسالات الروحية والجمعيات والجرائد والمجلات والاطباء ورجال الادب وحملة الاقلام وغيرهم ممن يهم ذكرهم · وزينته برسوم بعض الرؤساء الروحيين وكرام التجار وغيرهم تخليدا لذكرهم · واشرت

الى تأثير المهاجرة على بلادنا السورية وتأثير المهاجرين على المتخلفين في الوطن والى ما سناؤول اليه حالة المهاجرين وغير ذلك مماله علاقة في هذا الموضوع المتعدد الاطراف والواسع المجال مما لا حاجة لاستيفائه في هذه التوطئة

ثم ان المشتغلين بالتجارة من مواطنينا في الولايات المتحدة عموما ومدينة نيويورك خصوصا عددهم وافر ولكن الذين يغارون على مناصرة المشاريع الادبية الهامة لسوء الحظ عديدهم قليل • فالافاضل الذين اعلانات محالهم ظاهرة على صفحات هذا الكتاب هم ذوو امانة واستقامة وغيرة وطنية تذكر فتشكر فقد بادروا لوضع اعلاناتهم في هذا الكتاب تقديرا لهذه الخدمة الوطنية وتشجيعا ومناصرة للمشتغلين ببضاعة الادب فكل منهم ثقة ومعاملته حسنة ويمكن لقارىء هذه الصفحات الركون اليه والاعتماد عليه • واذا ذكر لمن شاء معاملتهم بانه قرأ اعلانهم في هذا الكتاب فانهم يعاملونه معاملة خصوصية كما جرى الاتفاق والتفاهم بيننا وبينهم • فنحن بهذا القول لانحط من كرامة احد ولا نبخس حق احد انما نقول ان المعلنين هنا ذوو استقامة ومقدرة تجارية وننصح القارىء التعامل معهم اذا اراد ان يكون من الرابحين

وكان في العزم جعل هذا الكتاب او القسم السابع من تاريخ الولايات المتحدة تاريخا ودليلا معا • فندون فيه اسماء كل التجار وغيرهم في كل مدينة وبلدة مقيم فيها سوريون في الولايات المتحدة وكندا والمكسيك • اي اننا كنا عازمين على ان نتناول كل ولاية على حدة ونذكر من مدنها التي يسكنها مواطنونا الاعزاء ونلم بذكر عددهم واحوالهم بصورة اجمالية ثم نورد اسم كل منهم ومهنته ومحل اقامته ومكان شغله وغير ذلك • فارسلنا الوف النشرات الى سائر المدن التي اتصل بنا عنوانات وطنيينا فيها وبسطنا امامهم الخدمة التي اردنا القيام بها فلم يجب طلبنا لنكد الطالع الى ما اردنا سوى قليلين بالنسبة الى المجموع ولا نعلم السبب الحقيقي لذلك فاضطررنا الى الاقتصار على ذكر ما ورد

الينا من هذا القبيل وليس الذنب ذنبنا في اهمال ذكر من لم يجب طلبنا

على ان ذلك لا يعد نقصا في الكتاب لانه ليس من موضوعنا بخل ولا خمر انما كنا اردنا تدوينه اتماما للفائدة وخدمة مجانية لتجار الداخلية بنوع اخص الذين قد نهم كثيرين معرفة اشغالهم وعنوانات محالهم لفائدة متبادلة

واذا وجد من ينتقد هذه الخدمة فمرحبا بالمنتقدين لان الانتقاد العادل خير من التقريظ الكاذب سيما اذا كان خاليا من روح التحامل والنكاية والتشفي بل ان الانتقاد يكون احيانا ضروريا لما فيه من الفائدة · فمن من الناس منزه عن الغلط بل اي كتاب سلم من الانتقاد من موءلفات ابن الاثير وابن خلدون والفيروزبادي وابن خلدون والبستاني وغيرهم الى كتاب النحو ليسبويه الى ارجوزة الشيخ لليازجي واذا كان كاشف اغلاط غيره عظيما كان المقر بغلطه أعظم · فالموءلف يرحب بكل انتقاد عادل يقصد منه مجرد الفائدة ويشكر لصاحبه عنايته وسعة علمه الا اذا كان الانتقاد لغويا بليدا وينظر فيه الى القشور دون اللباب فلا نحفل به لان الوقت اثمن من ان يصرف في سبيل مماحكات ومغالطات وسفاسف لا طائل تحتها

الفصل الثالث والثمانون

سوريا وجغرافيتها ومختصر تاريخ شعوبها ونحو ذلك

سوريا هي القسم السادس من املاك تركيا في اسيا وموقعها في الطرف الغربي من تلك القارة على شواطىء بحر الروم اوالبحر المتوسط مساحتها خمسون الف ميل مربع وعدد سكانها نحو مليونين ونصف ٠واما حدودها فهي من الشمال اسيا الصغرى ومن الشرق نهر الفرات والبادية ومن الجنوب جزء من بلادالعرب ويقال له تيه بني اسرائيل ومن الغرب بحر الروم ٠وكانت قديما مقسومة الى قسمين اولهما سوريا وهو القسم الشمالي اوله من جنوبي جبل الشيخ واخره عند بدء بلاد الاناضول والاخر بلاد فلسطين الممتدة من جبل الشيخ الى حدود بلادمصر وبقيت سوريةمعروفة بهذين الاسمين اعني سورية وفلسطين الى ان اضيفت الى المملكة الرومانية قبل التاريخ المسيحي بمدة يسيرة فاطلق الرومان على القسمين معا اسم سورية ٠ وسنة ٦٢٢ مسيحية افتتحها العرب المسلمون واطلقوا على القسمين معا اسم الشام واختلفوا في سبب تلك التسمية فقال ابو الفداء «وانما سمي شاما لان قوما من بني كنعان تشأموا اليه اي تياسروا لانه عن يسار الكعبة وقيل سمي شاما بسام بن نوح لان اسمه بالسريانية والعبرية شام ٠ قيل بل سمي شاما لبقع فيه بيض وحمر وسود تشبيها لها بالشامات وهي تجمع ايضا على شام كما تجمع الهامة على هام اه٠

ولم تزل البلاد تعرف بالاسم الروماني عند الافرنج والاسم العربي عند العرب

اما فينيقية فيراد بها السواحل الواقعة بين مصب نهر العاصي شمالا وجبال النصيرية وجبل لبنان شرقا ونواحي صور وعكا جنوبا والبحر المتوسط غربا

وبلاد فلسطين يراد بها او لا بلاد الفلسطينيين ويقال لها ارض كنعان والارض المقدسة وارض الميعاد وهي الجزء الجنوبي من سوريا طولها من بلدة يقال لها العريش الى يافا نحو عشرة اميال شرقا

اقسامها — وتقسم سوريا اداريا الى خمسة اقسام الاول ولاية حلب وهي القسم الشمالي منها وقاعدتها مدينة حلب والثاني ولاية بيروت وهي السواحل البحرية الممتدة من حيفا جنوبا الى اللاذقية شمالا وما يتبع ذلك من البلاد الداخلية وقاعدتها مدينة بيروت الثالث ولاية الشام وتعرف بولاية سورية وهي تشمل داخلية البلاد وشرقيها وقاعدتها مدينة دمشق والرابع متصرفية القدس وهي تشمل سائر البلدان الواقعة بين حدود ولاية بيروت وحدود القطر المصري ومركزها اورشليم · والخامس متصرفية لبنان ولهذه امتيازات معروفة ونظام خاص واستقلال اداري يعين حاكمها بمصادقة الدول الست العظام لمدة خمس سنوات وموقعها في اواسط بلاد الشام بين ولايتي سورية وبيروت ومركز متصرفية لبنان بيت الدين وجميع الولايات الشامية تابعة في امورها العسكرية الى مشير العرضي الهمايوني الخامس من فرق الجيش العثماني ومركزه مدينة دمشق

ويخترق سوريا من الشمال الى الجنوب سلاسل جبال منها اللكام وهو الممتد من جبل طورس في اسيا الصغرى جنوبا الى بر الشام قيل ويسمى باللكام الى ان يجاوز مدينة اللاذقية ثم يسمى جبل بهراء وتنوخ الى مدينة حمص ثم يسمى جبل لبنان على ان جبل اللكام ينتهي عند مصب نهر العاصي الى جهة الشمال منه بقرب بلدة السويدية (سلوقية) · وعلى جنوبي مصب نهر العاصي جبل شامخ يعرف بالاقرع ومنه تمتد السلسلة الى الجنوب حتى وادي قلعة الحصن ودير مار جرجس الحميراء ويقال لها جبال النصيرية ومن ثم يبتدئ لبنان الذي اعلى رووسه فم الميزاب فوق مدينة طرابلس واخفض منه قيلاراس صنين وتنتهي تلك السلسلة في وادي نهر الليطاني في نواحي

شقيف التي اخذها من الافرنج صلاح الدين الايوبي سنة ١١٩٠ مسيحية
م عادت الى حوزة الافرنج باتفاق بينهم وبين الملك اسمعيل ومن ثم استرجعها الملك
ضاهر بيبرس بالقاء الفتنة بين اهلها سنة ١٢٦٨ ويقال لتلك الاراضي جبل عاملة وتمتد
سلسلةجنوباالى نواحي صفدوالناصرة ثم تنحرف شرقاالى نواحي نابلس ومن جبالها ايضاجبل
طور بقرب طبريةوهو المعروف بجبل التجلي ٠واما الجبل المعروف بالجبل الشرقي
يقال له لبنان الشرقي وانتيلبنان فهو يمتد من جنوبي حمص الى مكان يقال له تل الفرس
على رؤوس تلك السلسلة فوق قصبة حاصبيا يقال له جبل الشيخ وفي الكتب المقدسة
عي جبل حرمون وتمتد من تلك السلسلة شعبة الى الجنوب الصريح وتنتهي في
ل الفرس المذكور ويقال لها جبل جيش وبين هذا وجبل الشيخ وادي التيم الاسفل ٠
الى الجنوب في شرقي الاردن جبل عجلون والى جنوبيه جبل جلعاد ويقال له جبل
صلت والى جنوبي هذا جبل البلقاء والى جنوبيه جبال موآب او جبال قوم لوط

انهارها — اما انهار سوريا فمنها نهر حلب مخرجه في الجبال بقرب عين تاب
يجري الى الجنوب مارا على حلب ويصب في اجمة الى جنوبي المدينة ونهر العاصي
خرجه في موضع الى جهة الشمال من بعلبك نحو ست ساعات ويقال له نبع اللبوة وهو يجري
ى الشمال حتى يمر على مدينة انطاكية ثم ينحرف الى الجنوب الغربي ويصب في
حر الروم بقرب السويدية ٠وعليه زروع وبساتين وارحية ونواعير كثيرة ٠ومنها نهر
ي علي مخرجه تحت قرية بشرة عند فم الميزاب وهو يجري الى الشمال الغربي
يصب في بحر الروم عند مدينة طرابلس وبين مخرج النهر المذكور وراس فم الميزاب
ابة ارز الشهيرة بارز لبنان ٠وهو شهير بقدميته وضخم اشجاره فانه يحتوي على ما
ارب الاربع مئة ارزة محيط بعضها نحو اربعين قدما وبعضها يبلغ ارتفاعه المئة قدم٠
من انهارها ايضا نهر ابراهيم مخرجه من مغارة عظيمة بالقرب من افقا ومجراه الى

الجنوب الغربي ومصبه في بحر الروم جنوبي بلدة جبيل ٠وعلية جسر من قنطرة واحدة
هائلة في طولها وارتفاعها اويظن ان احد امراء مردة لبنان بنى ذلك الجسر فنسب اليه
اما نهر الكلب فاصله عين ماء تخرج من مغارتين في سفح جبل جعيتا جارية الى فم
الوادي وهناك تجتمع اليه مياه نبع اللبن بعد ان تمر تحت قنطرة طبيعية هائلة كأنها
منحوتة بالايادي يجتاز عليها الناس ويسمونها جسر الحجر ٠ ويجتمع اليه ايضا مياه نهر
العسل وهي اعذب مياه جبل لبنان ويجري نهر الكلب الى الجنوب الغربي ويصب
في بحر الروم جنوبي جونة كسروان٠ ثم نهر انطلياس مخرجه بالقرب من القرية المذكورة
جنوبا٠ ونهر بيروت وهو مجتمع من نهرين احدهما مخرجه من جبل لبنان بقرب ترشيش
وكفر ساوان والاخر مخرجه بقرب فالوغا وحمانا وهما يلتقيان في الوادي تحت دير
القلعة ويجري النهر غربا ثم شمالا ويصب في خليج مار جرجس بقرب مدينة بيروت
ومنها نهر الدامور وهو مجتمع من نهيرات احدها نهر الغابون الذي يخرج من مكان
قرب قرية بحمدون والاخر نهر الصفا وهو يخرج من مكان بقرب عين زحلتا ويضاف
اليه ماء خارج من كهف هناك يقال له نبع القاعة ويأتيهما نهر اخر من وادي عين دارة
فتلتقي هذه المياه عند جسر القاضي ويجري من هناك الى الغرب مائلا الى الجنوب
ويصب في بحر الروم بالقرب من معلقة الدامور ٠ ونهر الاولي مخرجه عند الباروك
في جبل لبنان ومجراه الى الجنوب الغربي ثم يرتد الى الغرب ويصب في بحر الروم
بالقرب من مدينة صيدا ٠ونهر الليطاني مخرجه بقرب بعلبك وهو يجري في سهل
البقاع حتى يتجاوزه فينفذ بين شعاب جبل لبنان وجبل الشيخ مارا تحت قلعة الشقيف
المار ذكرها ويصب في بحر الروم بقرب مدينة صور وهناك يسمى نهر القاسمية ٠ ومن
انهار سوريا ايضا نهر المقطع مخرجه في الجبال الى شرقي مرج ابن عامر ومجراه الى
الشمال الغربي ومصبه في بحر الروم بقرب مدينة حيفا ٠والنهر الاعوج مخرجه بقرب

. وهو يجري الى الشمال ثم الى الجنوب الغربي وبعد تعريجات كثيرة يصب في
ر الروم شمالي مدينة يافا ·ومنها نهر بردى يخرج بقرب الزبداني ويجري الى
جنوب الشرقي ثم تضاف اليه مياه فيجة الغزيرة وبعد ان يتشعب في غوطة دمشق
ي دورها وشوارعها يصب في بحيرة المرج ·اما نهر الاردن فهومجتمع من مياه عدة
ر ونهيرات منها الحاصباني الذي مخرجه بقرب قصبة حاصبيا وهو يجري الى الجنوب
صب في بحيرة الحولة ·ومياه بانياس وتل القاضي وشبعةايضا تجري الى بحيرةالحولة
. وكل تلك المياه تخرج من هناك وتصب في بحيرة طبرية ومن تلك البحيرة يخرج
ر الاردن ويجري الى الجنوب بتعاريج كثيرة ويصب في بحيرة لوط وتاتيه نهيرات
يرة من الشرق والغرب اعظمها اليرموك والزرقاء ويصب في بحر لوط ايضا النهر
جب اتيا من الجبال التي تلي شرقيها ·بقيت هناك انهر صغيرة لا تستحق الذكر كنهر
رين ونهر يغرا والنهر الاسود التي تخرج من جبل اللكام وتصب في بحيرة انطاكية
ر الصنوبر ونهر الملك ونهر الحميدونهر عكاروالنهر الباردالتي تخرج من جبال النصيرية
صب في بحر الروم وغيرها مما لا حاجة لاستيفائه

بحيراتها — اما بحيرات بر الشام فمنها بحيرة انطاكية الى الشمال الشرقي منها وهي
ارض مستوية تعرف بالعمق ويخرج منها نهر يتصل بالعاصي بقرب جسر يقال
جسر الحديد · وبحيرة افاميا الى الشمال الغربي من حماه · وبحيرة حمص الى
نوب الغربي من تلك المدينة ويقال لها بحيرةقدس ·وهي على مسافةست ساعات من
ص ويجوزها نهر العاصي وطولها نحو عشرة اميال وعرضها ستة وفيها كثير من السمك
يما الانكليس ويوءخذ منها العلق · وبحيرة المرج الى الجنوب الشرقي من دمشق
طرف الغوطة والى جهة الشمال الشرقي من بانياس بحيرة يقال لها بركة ران يوءخذ
كثير من العلق · وبحيرة الحولة وهي التي يصب فيها النهر الحاصباني وغيره كم

نقدم ويخرج منها نهر الشريعة ويصب في بحيرة طبرية • وبحيرة طبرية اعظم بحيرات سوريا وهي المسماة في الانجيل بحر الجليل ويخرج من جنوبيها نهر الاردن وهي اوطى من سطح بحر الروم ب ٦٥٣ قدما

اما بحيرة لوط ويقال لها البحر الميت والبحيرة المنتنة فهي التي يصب اليها نهر الاردن وتغور المياه فيها ولا يخرج منها شيء من الانهر بل هي مفرغة لتلك المياه العظيمة التي تجري اليها من كل ناحية ومياهها مرة وثقيلة يعوم عليها ما يغرق في غيرها وطولها نحو ٥٠ ميلا وعرضها نحو عشرة اميال ويظن انها تغطي ارض صدوم وعامورة وسطحها اوطى من سطح بحر الروم ١٣١٧ قدما

سهولها — وفي بر الشام عدة سهول واسعة شهيرة في خصبها منها سهل حمص وهو بالقرب منها وسهل انطاكية وهو بقربها ايضا وسهل البقاع وهو بين لبنان والجبل الشرقي ومرجعيون تجاه قلعة الشقيف ومرج ابن عامر بين جبال الناصرة شمالا وجبال نابلس وجبل الكرمل جنوبا • ومنها سهول الشام ووادي الفرات وعكا وحوران

حيواناتها ومحصولاتها ومعادنها — ومن حيوانات سوريا الجمل والجاموس والغزال والثعلب وابن آوى والضبع ونوع من النمورة والدب في بعض جبالها والخنزير البري • وفيها انواع من الطيور الاهلية والبرية واما محاصيلها فهي كثيرة ومتنوعة اشهرها الفاكهة على اشكالها والحبوب على انواعها وينمو فيها من اشكال النبات ما قد لا ينمو في غيرها من البلدان • وفيها معادن الفضة والرصاص والذهب والفحم والحديد والنحاس والحمر ولكن هذه جميعها مرصود عليها بفضل الحكومة فلا هي تستخرج هذه المعادن ولا تسمح لاخرين باستعداتها والاهلون يرددون قول الشاعر

واذا رايت الراس وهو مهشم ايقنت منه تهشم الاعضاء

هواؤها — اما هواء بر الشام فمختلف باختلاف المواقع فان السواحل البحرية حارة

رطبة بخلاف الجبال التي هواؤها جيد مقوو السهول التي في داخل البلاد جيدة الهواء في الربيع ويشتد فيها البرد في الشتاء والحر في الصيف وعلى الاجمال يقال ان هواء البلاد جيد ومناخها حسن

مصنوعاتها — وللاهلين حذاقة في الصناعة غير انهم محرومون الالآت الميكانيكية ولهذا فجل مصنوعاتهم باليد واشهرها انسجة الحرير والقطن والصوف وقصب الفضة والذهب واهم محصولاتها الحرير الذين يعتنون كثيرا بتربية دوده والقطن وزيت الزيتون والدخان والسوس وغير ذلك

وقد تفنن اهل بعض المدن مثل الزوق والشام وغيرهما في عمل المنسوجات الحريرية المقصبة وعليها الرسوم المختلفة نسجا لا طبعا وقد اعجب بتلك الصناعة كبار رجال اوروبا واميركا . واشتهر اهل دمشق في ترصيع الادوات الخشبية بالعاج وعرق اللؤلؤ وفي تركيب الجواهر على الذهب ولهم في ذلك ذوق خاص وشهرة واسعة . وفي نواحي اورشليم وبيت لحم يصنع كثير من المسابح والصور من صدف عرق اللؤلؤ الذي يجلب من البحر الاحمر وكثيرا ما ترصع به الاسرة والموائد ويرسل منه جانب الى بلاد ايطاليا والنمسا ولسكان بيت لحم حذاقة فائقة في حفر الاصداف وعمل ادوات بديعة الصنع منها يعجز عن وصفها اللسان .

مدنها — من امهات مدن سورية حلب الشهباء قيل سميت بذلك لان ابراهيم الخليل كان له بقرة شهباء يحلبها على التل الذي عليه الان قلعة حلب وينادي رجل على الفقراء قائلا ابراهيم حلب الشهباء فيجتمعون اليه فيتصدق عليهم بلبنها . وتجتمع فيها القوافل من بغداد ودمشق والموصل وديار بكر وبعض مدن اسيا الصغرى وقد اتصلت بدمشق بسكة حديدية وهم شارعون بمد خط اخر يصلها بالاسكندرونة ويتفرع منه خطوط الى المدن الاخرى اذا صحت الاحلام . وعلى بعد مرحلة صغيرة

من حلب موقع قنسرين كانت في اوائل الاسلام مدينة اعظم من حلب ولكنها الان خراب • وعلى بعد ثلاثة مراحل من حلب مدينة عين تاب وهي مدينة عامرة ذات مياه وبساتين وفيها كلية معتبرة لمرسلي الاميركان • ومدينة انطاكية التي كانت قديما من اشهر مدن العالم وكانت قصبة مملكة سورية في عصر الدولة السلوقية بناها الملك سلوقس الملقب بالغالب وبلغ عدد سكانها انئذ سبعماية الف نفس وفيها قويت الديانة المسيحية في بدايتها • افتتحها المسلمون في سنة ٦٣٧ ثم استرجعتها الافرنج في سنة ١٠٩٨ وبعد خروجهم من بر الشام اخربها سلطان مصر سنة ١٢٦٨ وقتل كثيرين من اهلها وهدم كنائسهم ثم تواترت عليها الزلازل فاهلكتها ولم يبق من دلائل عظمتها القديمة سوى السور الذي يحيط بها من جوانبها الثلاثة وفي الجانب الرابع (الشمالي) نهر العاصي وسكانها الان يبلغون العشرين الف نسمة وفيها كنيسة عظمى للروم الارثوذكس ومدرسة معتبرة تدرس فيها اللغات ومبادي العلوم العالية • وفيها مرسل ايرلاندي معتوه يلقب نفسه أسقف انطاكية ويمنع اتباعه من مخالطة احد من غير شيعتهم بدعوى انهم ضالون ومنحرفون عن التعاليم الانجيلية • وعلى بعد نحو ساعة من انطاكية موقع مدينة دفنة ويقال لها الان بيت الماءوهي على جنوبي العاصي تحتف بها اكام تخرج منها عيون كثيرة وفي ايام بهجتها كانت انزه المواضع • والى شمال انطاكية اسكلة الاسكندرونه وهي ميناء حلب ومن مدنها حماه على جانبي العاصي وهي قديمة جدا ذكر يوسفيوس المؤرخ اليهودي بان بانيها هو حمث بن كنعان بن حام بن نوح • والى الجنوب الشرقي من حماه مدينة حمص وهي بقرب نهر العاصي ويسمونه هناك المقلوب وقد اشتهر نصاراها بالجد والنشاط والاقدام وفيها مدرسة عالية للروم الارثوذكس واخرى لمرسلي الاميركان

ومن مدن سوريا الشهيرة مدينة دمشق وهي من اقدم مدن العالم افتتحها المسلمون في السنة الرابعة عشرة للهجرة في خلافة عمر بن الخطاب • والخلفاء من بني امية نقلوا

تخت الخلافة اليها ٠وهي في غوطة حسنة جدا تسقى بمياه بردى وتجري تلك المياه في دورها وجوامعها وشوارعها ٠ وليس فيها ما يحق له الذكر من الابنية القديمة واكثر بيوتها مبنية من اللبن ولامنظر لها من الخارج واما داخلها فمزخرف بالرصايف والنقوش وفيها اقمشة الحرير وادوات الخيل ولصاغتها شهرة في صياغة الذهب ٠ومدينة بيروت عروس سوريا ودرة تاج مملكة آل عثمان وهي على شاطي بحر الروم على الجانب الشمال الغربي من لسان طويل داخل في البحر وهي فرضة دمشق وهي اعظم مدن بر الشام تجارة وربما كانت اكثرها خطارة وفيها اشهر مدارس الشرق من كلية ومتوسطة وابتدائية ولكن معظم تلك المدارس بادارة المرسلين الاجانب ٠وتصل بينها وبين دمشق وغيرها سكة حديدية لشركة افرنسية ومدينة صيدا على مسافة يوم الى الجنوب من بيروت كانت لها شهرة عظيمة في القديم وفيها مدرسة الفنون للمرسلين الامير كان ٠ ومدينة صور على راس لسان داخل في البحر وهي الى جنوبي صيدا مسافة بضع ساعات وهي مدينة اشتهرت في ايام الفينيقيين بالغنى والعظمة وسعة التجارة ومعرفة الاهالي بسلك الابحر ومهارتهم في الصنائع ولم تزل فيها كما في مدينة صيدا اثار قديمة تدل على عظمتها السالفة ٠وعلى مسافة نحو ساعة من صور مكان يقال له راس العين فيه مياه غزيرة تفور من تنور قد بني حولها فانحصرت فيه وهناك بساتين تروى منها وارحية تدار بها فلا يعتريها نقص البتة والظاهر ان تلك المياه كانت مأخوذة الى مدينة صور باقنية باق منها شيء الى الآن وهي متأخرة في تجارتها وليس فيها ماهو جدير بالذكر ٠ والى الجنوب من صور على مسافة تسع او عشرة ساعات مدينة عكاء التي لها شهرة تاريخية لا يسعنا تفصيها وهي مركز تجارة مهمة وحولها سهول مخصبة ٠ وعلى الجانب الجنوبي من جون عكا مدينة حيفا التي اخذت بالتقدم بفضل الالمان الذين احتلوها حتى صارت كانها مستعمرة المانية ومدينة يافا مينا اورشليم ويصل بين المدينتين سكة حديدية وهي

مشهورة ببرتقالها وبتجارتها الواسعة في محاصيل البلاد كلها ٠واما مدينة اورشليم ويقال لها القدس الشريف فهي اشهر مدن العالم باسرها لاسباب لاحاجة لتفصيلها ولكنها الآن قد انحطت عن عظمتها القديمة ولم يبق لها اعتبار الا بسبب الاماكن المقدسة المشهورة فيها وفي ضواحيها تزورها النصارى من جميع اقطار المسكونة وفيها قبر السيد المسيح وكنيسة عظمى من اشهر واجمل كنائس العالم وفيها اثار تاريخية كثيرة وقل من لا يعرف عن هذه المدينة الشهيرة فنقتصر على ما تقدم من وصفها

بقيت هنالك مدن اخرى اضربنا عن ذكرها كزحلة عروس لبنان وام رجال الاقدام والباس وبعلبك المشهورة بقلعتها العظيمة ٠ والرملة والناصرة وغزة ونابلس وحبرون وطبرية وحاصبيا وراشيا وجديدة مرجعيون وغيرها مما لا نرى الحاجة ماسة الى ذكره

العلوم والمعارف — اذا اردنا القول الحق والحق اولى ان يقال ان الفضل كل الفضل في بزوغ شموس العلوم والمعارف العصرية في الديار السورية عائد الى المرسلين الاجانب من طوائف وبلدان مختلفة واخصهم مرسلي الاميركان فحيث كثر الاجانب والمرسلون كثرت المدارس والكتب ووسائط التهذيب وبالعكس واما الحكومة فليس لها يد على الاطلاق في امور التعليم والتهذيب وان كان عندها بعض الكتاتيب فهي قاصرة على اولاد المسلمين ٠وقد حدثت نهضة ادبية في الديار السورية يحق ان تدون بمداد الافتخار فدخل الشبان والشابات مدارس الاوروبيين والاميركيين واغترفوا من مناهل العلم والاداب ما كان به الخير لهم ولوطنهم وبنيه فكانوا انوارا تنبعث منها اشعة العرفان مبددة جيوش الجهل والغباوة وطاردة جحافل التقليدات السخيفة والعوائد المستهجنة ولو اجتمعت لدينا اسماء الذين لهم اليد الطولى في هذه النهضة الادبية لدوناها خدمة للتاريخ واقرارا بفضلهم على ان الادباء في المهاجر والوطن يعرفون اولئك الجهابذة ولو لم تدون اسماؤهم ٠ واذ كانت المدارس كلها اوجلها بيد الاجانب نتج عن ذلك انقسام خريجي تلك المدارس

الى احزاب سياسية متضاربة فالذين تخرجوا في مدارس فرنسا مثلا غرضهم افرنسي وعكسهم الذين تخرجوا في مدارس انكليزية او اميركية وهلم جرا واما الوطنية فقل ان سلام عليها وكل ذلك بفضل الحكومة التي وكلت الى الاجانب تنشئة احداثها واغفلت هي ذلك لاهية عنه بما فيه دمار البلاد وخرابها وتفريق ابنائها في سائر اطراف المعمور فتم فيها قول الشاعر

ومن رعى غنما في ارض مسبعة   ونام عنها تولى رعيها الذيب

سكانها — اما اهل سوريا فمن اصول مختلفة ويعسر الحاق طائفة منهم بالسكان الاصليين · والقول الفصل في معرفة اصل السوريين لم يتأت لاحد من علماء التاريخ الى هذا اليوم لكثرة ما تردد على البلاد من طوائف البشر · واذا اعدنا على الحقائق التاريخية نظرة اجمالية نر ان هذه البلاد في القدم هي ديار الكنعانيين من نسل حام بن نوح وقد سكن نسل سام في نواحيها ايضا · وقبل المسيح بنحو الف وخمساية سنة اتى سسوسترس ملك مصر وافتتح فينيقية ونقش تاريخ افتتاحها على بعض الصخور بجانب نهر الكلب · وبعد ذلك بنحو خمسين سنة تغلب بنو اسرائيل على الجزء الجنوبي من سورية المسمى ارض كنعان بقيادة يشوع بن نون الذي قسمها بين اسباط اسرائيل الاثني عشر · وفي سنة ٧٢٦ ق· م افتتح سنحاريب ملك اشور فينيقية ونقش صورته وكتب اعماله على صخور عند نهر الكلب · وفي نحو سنة ٦٠٠ ق · م خضعت كل سورية لبختنصر الثاني ملك بابل · وبعد ذلك حكمها ملوك مادي وفارس · ثم ان المصريين كلما استفحل منهم ملك على اريكة كان يجهز الكتائب ويغزو بلاد الشام فظلت لذلك فلسطين تارة لهم واخرى لغيرهم · ثم استقلت مدة الى ان استظهر عليها اسكندر المكدوني فاضيفت الى مملكة مكدونية وصيرها خلفاؤه الذين اقتسموا ملكه يونانية صرفة وما زالت العناصر اليونانية سائدة حتى بعد ان دانت البلاد للدولة الرومانية

فخضعت للرومانيين في سنة ٦٥ ق م ٠وظلت تحت حكم القيـاصرة الى حين افتتحها العرب سنة ٦٣٤ م تحت لواء الخليفة عبدالله ابي بكر الصديق ٠وفي سنة ١٠٩٤ ب م افتتح الصليبيون القسم الاكبر منها وبقيت تحت حكمهم حتى طردهم منها صلاح الدين الايوبي سنة ١١٨٧ وبعد ذلك تولى عليها التتار والاتراك ولم تزل تحت سلطة الاتراك حتى الان ٠ فمن تواتر نقلبات الدول امتزج السكان من اجناس كثيرة فلم يبق للباحث التاريخي وثوق في القول بجرثومة السوريين لهذا العهد

غير ان القلاقل والاضطرابات كانت ولا تزال سائدة في تلك الربوع والحرب بين سكانها سجال فكأن ملائكة بيت لحم لما ترنمت فوق روابي اليهودية يوم ميلاد المخلص بتلك الترنيمة الشجية «المجد لله في الاعالي وعلى الارض السلام وفي الناس المسرة» قد استثنت البلاد التركية عموما وسوريا خصوصا من «وعلى الارض السلام» فلم يحل السلام في ربوع وطننا المحبوب ولا استتب الامن فيه قط ٠ ولعله يبقى كذلك الى مجيء ملك السلام ثانية لكي يوجد «ارضا جديدة» وما سبب تلك الشحناء بين اولاد الوطن الواحد سوى التعصب الذميم وعمال الحكومة التركية الذين تمشوا على سياسة «فرق تملك» فكانوا ولا يزالون يقوون فئة على اخرى ويشدون ازر طائفة ويناهضون غيرها خوفا من اجتماع كلمة القوم ونهوضهم للمطالبة بحقوقهم المهضومة فيقلبون لظالميهم ظهر المجن وبفضل تلك السياسة الخرقاء جرت مذابح دموية هائلة ومجازر بشرية حفظها التاريخ شاهدا على التعصب الوخيم والجهل الفاضح والحكم الفاسد كمذبحة سنة ١٨٤٠ و١٨٦٠ و١٨٩٥ وغيرها مما يطول شرحه ٠وبذلك فتحت الدولة بيدها بابا لتداخل الدول الاجنبية في شؤونها الخاصة بحجة حماية نصارى الشرق وقد خسرت افضل املاكها في اوروبا وغيرها بسبب ذلك ولم ترعو عن غيها او تستفيق من غفلتها ٠ بل لم تزل دائبة في زرع بزور الشقاق بين العناصر والطوائف المختلفة ليبقى الترك اصحاب

السيادة والحول والطول ٠وقد قلبنا في صفحات التاريخ لنجد حسنة لدولة الاتراك منذ نشأتها حتى اليوم لندونها شاهداً على سياستها الخرقاء واماثتها الى المدنية والانسانية فلم نجد واري ان ذكر هذه الامور من باب تحصيل الحاصل لان الصبيان يدركون هذه الحقائق وينحون باللائمة على تلك الدولة الغافلة وسياستها القاصرة ونومها العميق الذي قد لا تستفيق منه الا في ظلمات الفناء

الفصل الرابع والثمانون

—مسببات المهاجرة—

قد قيل « حب الوطن من الايمان »ومحبة الوطن فطرية في قلب كل حي على وجه هذه الغبراء ماخلا نصارى الشرق المساكين الذين لا وطن لهم ولا وطنية تجمعهم فهم في وطنهم في زمن دولة الاتراك كفرةوخنازير وخونةونحو ذلك من الالقاب التي يجود بها عليهم «السادة المسلمون »وفي بلاد اوروبا واميركا هم «ارب» «عرب» وتركو «اتراك »و ديكو ودينكو ونحو ذلك من الالقاب التي لامسحة للوطنية عليها ٠ ففي محل ولادته «ولا نقول وطنه » لما يفتح النصراني عينيه يرى حواجز حصينة تحول دونه ودون الوطنية التي لا يفقه لها معنى فينتمي الى مذهبه لا الى وطنه فالانكليزي مثلا مهما كان مذهبه فهو انكليزي ومثله الافرنسي والروسي وسائر الشعوب الراقية

واما ساكن تركيا فينعتونه بالعثماني فلما هو اما مسلم او نصراني او يهودي او درزي او غير ذلك اما النصراني فاول ما يجعله يشعر بكونه غريبا وليس وطنيا تذكرة النفوس التي تعطيه اياها حكومة الاتراك فتذكرة المسلم تنطق بان جنسيته عثماني واما تذكرة المسيحي فتصرح بان تابعيته عثماني فهو ليس عثماني الجنس بل عثماني التبعة · ثم ان الدولة العلية الابدية القرار تحظر على المسيحي الجندية واستلام وظائف عالية (بعد اعلان مايسمونه دستورا في المملكة التركية اباحوا للمسيحيين التجنيد والحقيقة ان تلك ليست الا خدعة سياسية فانهم ابقوا للجندي المسلم ميزة على الجندي المسيحي الذي امتهنوه حتى جعلوا الجندية وقرا ثقيلا عليه ليفر منها فتكون لهم حجة على المسيحيين وليس ذلك بخافٍ على العقلاء » ولو اردنا الاسهاب في هذه الامور لملاءنا مجلدا ضخما ولكونها واضحة وجلية لدى كل بصير نقتصر على ذكر ما تقدم لكي يقاس عليه مالم يذكر

والاسباب التي حملت المسيحي الشرقي على هجر وطنه متنوعة وعديدة منها نفوره من المعاملة السيئة التي يعامله بها مواطنوه المسلمون بنوع اخص ولكون المسيحي مستنيرا بنور المعرفة وعارفا شيئا عن الحرية التي يتمتع بها امم الارض دونه يأبى ان يسام خسفا او ينام على الاسى فيقوم العراك بين النور والظلام والجهل والمعرفة فيستنكف ابن النور والعرفان ان يدعو بلادا لا يجد فيها سوى الحرمان وبخس الحقوق والاضطهاد لغير مسبب وطنا فيهجرها غير آسف عليها وهو يردد قول القائل

ترحل عن بلاد فيها ضيم   فارض الله متسع فضاها
فانك واجد ارضا بارض   ونفسك لن تجد نفسا سواها

بخلاف ما كان عليه اسلافنا منذ اقل من ماية سنة الذين كانوا يذوقون امر العذابات واشد الاضطهادات صابرين على حكم القدر ومضض البلوى وهم يخالون ان ذلك نصيبهم من الحياة · ولم يكونوا ذوي اطلاع على العالم الخارجي لقلة وسائط العلم بينهم

فكانوا يظنون ان كل بلاد الله هي البقعة التي يقطنونها يدلك على ذلك انه في الجهات الجنوبية من سوريا عندما تتخاصم امرأتان تدعو الواحدة على الاخرى قائلة «يجعل الله حبابك في انطاكية وحلب» او من ذهب الى دمشق مثلاً لحاجة ما يغنين لامرأته قائلات «وزوجك يامليحه راح عالشام وحده» . وفي شمالي سوريا اذا اراد رجل ان يسافر من انطاكية مثلاً الى بيروت لمسواق بضائع او غير ذلك كان يخرج معه الى خارج المدينة اهله واقاربه لكي يشيعوه في «سفره الطويل بقطع البحور» وهنالك نوادر كثيرة من هذا النوع اقتصرنا على ذكر ما تقدم ليرى القارئ كيف ان اسلافنا كانوا يتهيبون الخروج من بلدانهم ولهذا كانوا يستنيمون لمضطهديهم ويتحملون بلاياهم بالصبر الجميل

ومصدر كل تلك التعديات والاضطهادات التعصب الديني الممقوت وتفسير الايات القرانية على غير المقصود منها لاغراض نفسية فكل النصارى يعدونهم كفرة ومشركين بالله ويجوز بل يجب الاعتداء عليهم . ومع انهم كانوا يسكنون في احياء منفردة لم يسلموا من تعدي «المؤمنين» عليهم والتنكيل بهم وتجريعهم كاس العذابات المرة مترعا . واصبح النصارى المساكين عرضة للاهانة والذل والهوان اكثر من كل طائفة اخرى وهاك قطرة من بحر من امثلة ما كان يلاقيه اجدادنا الشهداء عن يد مواطنيهم «السادة المسلمين» مما يبين لماذا غرست روح محبة المهاجرة في صدور المسيحيين عن بلاد رويت ارضها بدم اسلافهم وملئت قبورها بجثث شهدائهم

لا لقب للنصراني عند الاسلام الناطقين بالضاد سوى المشرك والخنزير والكافر والمعلك (المعلم) والذمي وماشا كل . ذلك . وعند الاتراك «الكافر» والهواجا (الخواجا) وغيرهما والطف لغة يخاطبونه بها شتم دينه وصليبه واكثر الاحيان كانوا يقلبون عمته ويصفعونه . واذا ساق سوء الحظ احد النصارى الى المرور في محلة المسلمين تبعه

صبيانهم وشبانهم بترنيم شجي لقنهم اياه سوء التربية وغرسه في عقولهم التعصب الاعمى والجهل الفاضح ومن تلك الاغاني «نصراني · كلب عواني دقولوا بالصرامي قالت امه فينه ضربة تقلعلو عينه » وعندهم عشرات من مثل تلك الاقوال البذيئة اما النصراني المسكين فكان يتابع سيره بكل سكينة لا يفوه ببنت شفة (وبده السترة) والا كان ضرب الحذاء والحجارة نصيبه · واذا حدث ان النصراني مر في الطريق على غير انتباه عن يمين المسلم يجزره هذا بقوله « اشمل يا كافر » اي تحول الى جهة الشمال فيطيع الامر صاغرا والويل له اذا كان المارة كثيرين فيأمرونه ان يطورق اي يسير في الطاروق (والطاروق منخفض بين قناة في وسط الطريق يتراوح في العرض بين الذراع والذراعين وفي الانخفاض بين الشبر واكثر وعلى جانبيه رصيفان للمارة وفي الطاروق تسير البهائم والحيوانات وفي الصيف هو مجتمع الاقذار وفي الشتاء مياه الامطار) وهناك يصادف اشد العناء واكبر البلاء من البهائم واشباهها اي اصحابها فهذا يزحمه وذاك يوكزه واخر يلكمه فلا يخرج من ذلك الطاروق الا مهشما كسير الفواد اما معذبوه فيقهقهون ضحكا كانهم لم ياتوا امرا اذا او كأن هذا المنكود الحظ خلق لتسليتهم وطالما كان اصحاب الحوانيت يسخرونه لقضاء ما يلزمهم من المهام او يستعملون اهانته وتعذيبه واسطة لاذهاب مللهم وتسليتهم فيناديه احد اصحاب الحوانيت تعال يا معلك (يامعلم) فيطيع الامر وياتي فيصفعه (السيد) ويكلفه ان يمضي وياتيه بحاجة ما او ان يلبسه حذاءه او يرفعه له من اما دكانه الى فوق او ان يساعده في ترتيب سلعه واحيانا يمازحه بان يهمس في اذنه شاتما اباه وامه او صليبه ودينه او انه ينزع عمته عن راسه ويرميه بها ثم يرميها الى جاره ويقول له اذهب يا كافر وخذها منه فيذهب فيفعل الثاني ما فعله الاول واذا ملوا من عذابه صفعوه وارجعوا عمته مع كلمات البذاء والسفاهة ·واحيانا يامر المسلم الذمي ان يتناول جمرة نار بيده ويضعها على غليونه «شبق » فيفعل هذا اما المسلم فيشرع يحرك يده الى

هنا وهناك لكي تحترق اصابع المسيحي فاذا تأكد احتراقها سمح له بوضعها على الغليون بعد قوله له قد احترق ابليس · اما المسيحي المضطهد فكان يتكلف البشاشة والرضا وغالب الاحيان يأتي ولد او شاب مسلم من وراء النصراني ويقلب له عمته فيأتي اخر ويدحرجها واخر يبعدها و تماما هم صاحبها بتناولها يصفع ويرفس و كان يجري مثل ذلك للكهنة وغيرهم من رجال الاكليروس · اخبرنا ثقة من مدينة اللاذقية بان جده كان كاهنا وقد ابتلاه الله بالعمى في شيخوخته و كان لا بد له من الذهاب الى الكنيسة كل يوم مرتين صباحا ومساء و كان مخبرنا حفيده صبيا لا يتجاوز عمره الاثني عشرة سنة فكان يقود جده الى الكنيسة قال ان عمته كانت ترمى عن راسه عشرات المرات قبل ان يصل الى الكنيسة ولما كان الصبي يفوه بكلمة تذمر كان جده الشيخ يوبخه قائلا يا ابني ماذا ذقنا نحن من العذاب بالنسبة الى الرسل والشهداء القديسين ما لنا يا ابني سوى الصبر والشكر لله في كل حال · واخبرنا ايضا ان احد كهنة تلك المدينة كان رخيم الصوت فاغراه المسلمون كثيرا على اعتناق الاسلامية فابى وتلك عادة مألوفة عندهم اي اغـــراء المسيحيين بل وارغامهم على اعتناق ديانة محمد فيوما ما كان ذلك الكاهن واقفا امام احد الحوانيت يشتري بعض اغراض فمر به بعض الاسلام ورفعوا عن راسه العمة السوداء والبسوه عمة بيضاء وصرخوا اسلم اسلم ثم استاقوه الى بلدة جبلة التي تبعد ثلاث ساعات عن اللاذقية واجبروه على ان يصير موءذنا لجامعها بصوته الرخيم وبقي هناك حتى قضى نحبه حزينا كئيبا متحسرا على روءية عائلته · و كانوا يحظرون على المسيحي لبس الوان معلومة لاسيما اللون الاخضر فاذا ابتاع احد النصارى حلة فيها اثر لاحد الالوان المحظور عليه لبسها قامت عليه قيامتهم واشبعوه صفعا وضربا واضطروه الى خلع ذلك الرداء الا · الى غير ذلك من القصص والنوادر التي يطول شرحها ومن قطن مدينة بيروت وغيرها من مدن سورية عرف معاملة اولئك الموءمنين لجيرانهم الذميين حتى يومنا

هذا وبعد نشر لواء «الحرية والمساواة والاخاء» فوق ربوع البلاد العثمانية كما يقولون.

اما كيس السخرة وما ادراك ما كيس السخرة هو كيس مفروض على الذمي حمله على كتفه اين مضى وحيثما توجه واسمه ايضا كيس الحاجة . فاذا اراد المسلم مشترى شيء من السوق وارساله الى بيته دعى المسيحي اليه فيأتي هذا وكيسه على كتفه فيضع المسلم في ذلك الكيس ما يريد ويأمر المسيحي بحمله الى بيته ولما يوصله اليه يحني راسه فيصفعه المسلم على رقبته ويسمح له بالذهاب وكثيرا ما حدث ان الرجل النصراني كان يستمر مسخرا النهار بطوله فلا يستطيع عمل شيء يقوم بحاجته وحاجة اولاده فيبيتون كلهم على الطوى

وماذا نقول في الضرائب والسلب والنهب تلك امور يطول شرحها فالمسيحي المسكين كان عليه ان يوءدي الاموال الاميرية وضرائب الحاكم ويرضي خاطر الاباضاي والاغا الذي هو تحت حمايته واذا تمنع عن دفع شيء كان نصيبه الهوان والصفع والسجن وتعدي المسلمين على عرض النصارى من الامور التي نتحاشى ذكرها تأدبا فضلا عن الصادومية التي لم تزل شائعة بينهم حتى اليوم

ولو اقتصرت هذه الامور على رعاع القوم لهان الامر ووجدنا لهم بعض العذر ولكن لسوء الحظ كانت ولا تزال تصدر عن ذوي العمائم الكبيرة ومعلمي الشعب وقادة افكارهم بل ومن حكامهم ايضا وهاك صورة الرخصة التي كان يصدرها فضيلة القاضي لرئيس ملة المسيحيين للسماح له بدفن ميت . وهي تدل دلالة صريحة على صدق ما تقدم .

رخصة نامه لاجل دفن جثة ميت في ديار بكر

من جانب الشرع الشريف الى مطران كفرة السريان

ايها المكروه بالمنظر المفتقد ان يعقوب الكافر اي المايت من طائفتكم اللعينة ومن حيث ان الملعون فطس وهلك ولاجل ادخال جثته ضمن الارض قد صار الاسترحام من

طرف مرشد محته وجرى اخذ الخراج • فانه وان تكن الارض لاتقبل جثته الخبيثة فكي لا تكون سببا لافساد الارض قد اعطيت الرخصة بعنوان الشرع الشريف بان تدفن ضمن مزبلتكم المخصوصة بموجب مذهبكم الباطل الى زمرة جهنم اقتضى اعطاء هذه الرخصة كي لا يصير مانع من طرف احد او خلافه تحريرا في ١٧ جمادى اول سنة ١٢٠٥ من جانب الشرع الشريف

وكذلك منشور درويش باشا والى دمشق الذي ارسله الى مسامي صيدنايا في ١٩ رمضان سنة ١٢٣٦ • وهذا الدرويش يعد من ارحم واعدل الولاة الذين ولوا دمشق في ذلك الحين وها كه بنصه الشائق

«صدر مرسومنا هذا المطاع الى مشايخ واختيارية اهالي قرية صيدنايا المسلمين ليجروا بحسبه ويعتمدوه فالبادي هو ان النصارى عندكم عمال يقلدوا الاسلام في ملابسهم وعماتهم ونعالهم وتعدوا درجاتهم وخالفوها فهذا ضد رضانا ولا يعطى به رخصة فبناء على ذلك ارسلنا لكم مرسومنا هذا لاجل ان تحذروهم وتنذروهم من عواقب ذلك المراد حالا وتنبهوا عليهم ان لا يلبسوا ملبوس ازرق وعمامة سوداء ونعال سود ولا تدعوهم يقلدوا الاسلام بادنى شيء لانساء ولا رجالا وان بلغنا ان واحد تعدى الحدود المذكورة فماله لا يغني عن حاله وخطيته في عنقه ونطلع من حقكم وحقه فبناء على ذلك ارسلنا لكم مرسومنا هذا من ديوان الشام على يد رافعه فخر اقرانه جندي باشي ارقداشي محمداغا فبوصوله تعملوا بموجبه وتتحاشوا مخالفته اعلموه واعتمدوه والحذر من الخلاف في ١٩ رمضان سنة ١٢٣٦ الختم

محمد درويش

اما حالة النصارى المادية والادبية فكانت في غاية الانحطاط فقد كانوا فقراء وليس لهم يد في الامور التجارية او الزراعية بل اقتصر معاشهم على الصناعة تحت حماية

المسلمين او بمشاركتهم ومع ذلك كانت تفرض عليهم ضرائب متعددة ينوء تحتها الاغنياء فضلا عن اولئك الفقراء الاذلاء وكان لا بدلهم من دفعها « عن يدوهم صاغرون » وجلهم كانوا اميين لا يعرفون حتى ولا القراءة البسيطة وكل ذلك بفضل حكومتهم التي ماقتأت تضغط على شعبها بيد من حديد

هذا وكم ارغموا من المسيحيين على اعتناق المذهب الاسلامي بالاضطهاد والاجبار وقد قيل ان السواد الاعظم من سكان القرى المجاورة لمدينة دمشق كانوا قديما مسيحيين ويهودا وقد اسلموا بقوة الصارم البتار ٠ وكم اختطفوا من العذارى الحسان وارغموهن على اعتناق مذهبهم وكذلك الفتيان الاصحاء البنية كانوا يختطفونهم ويحرمون اهلهم روءيتهم ثم يجبرونهم على الاسلامية

وكانوا يوجبون على النصراني الا يخرج من بيته الا معلقا في عنقه صليبا خشبيا يزن نحو اقتين او اكثر ٠ وحظروا عليه لبس ثوب ملون لاسيما اللون الاخضر ٠ولما تولى دمشق الكنج يوسف الكردي سنة ١٢٢٥ هجرية امر ان نساء النصارى تتشح عند خروجهن من البيوت بغطاء اسود وان الرجال النصارى يتعممون بعمائم سوداء واليهود بعمائم صفراء لكي يتميزوا عن المسلمين الذين كانوا يتعممون بعمائم بيضاء واللون الابيض هو رمز الطهارة فهم طاهرون ومطهرون في عرفهم ٠ والقصد في جعل نساء النصارى يتشحن بالاغطية السوداء لكي يختطف الموءمنون من ارادوا منهن عند خروجهن من الحمامات ٠ولم يسمح للنصراني ان يفتح كوة او نافذة تطل على الطريق العمومي ولا ان يشيدوا مكانا للعبادة عى مساواة الطريق بل تحت الارض او في الاقبية الواطئة وويل للذمي الذي يجادل مسلما في دينه او يدخل جامعا او مسجدا يخص الاسلام ومنعوا المسيحيين من تعلم اداب اللغة العربية ٠ولم يكن مسموحا لشاب مسيحي ان يخطب او يتزوج عذراء الا باذن خاص من شيخ البلدة او من المتكيس

بكيسه اي الذي هو تحت حمايته ·ولا يجوز له ان يتكلم بصوت عال عند مخاطبته مسلما ·ولا ان يمتطي جوادا اوبغلا بل حمارا وذلك بمعزل عن روءية المسلمين اياه · واذا دخل الحمام للاغتسال اوجبوا عليه تعليق جرس صغير في عنقه

ومن نراه يجهل الدعاء الذي يقيمه الايمة في صلاة الجمعة بصوت جهير وعلى مسمع من المسيحيين «اللهم ابد الكفرة ·يتم اولادهم ورمل نساءهم واجعلهم غنيمة للموءمنين »

اما ما كان يعانيه المسيحيون في دفن موتاهم وما يقاسونه من المشاق ويلاقونه من الاضطهاد والاحتقار والاوساخ والاقذار التي كان يرمى بها الميت فمما يدمي ذكره الفواءد ويذيب القلوب حزنا · فمن ذلك ما رواه لي شاهد عيان في مدينة انطاكية انهم كانوا يحتملون الميت الى المدفن عند بزوغ الفجر والناس نيام تفاديـا للرجم بالحجارة والشتائم وغير ذلك سيما وان طريقهم الى المقبرة كان فيوسطمحلة المسلمين فحدث يوم احد انهم احتملوا ميتا بعد نهاية القداس الالهي وبينما هم ذاهبون به الى المدفن بادرهم الاسلام وشرعوا يرمون جثة الميت بفرث الكلاب فاستاء النصارى من تلك الحالة فتركوا الميت في قارعة الطريق وذهبوا فقفلوا بيوتهم واخذوا المناتيح الى الحاكم «المتسلم » وطرحوها امامه فلما عرف جلية الامر ارسل معهم خفرا ليدفنوا الميت وبعد ذلك سمح لهم بقطعة ارض مشاع قرب محلةالنصارى ليدفنوا فيها موتاهم فلما سمع بذلك فضيلة القاضي عارض الحاكم بحجة ان تلك القطعة متجهة الى الجنوب « القبلة »ولا يجوز دفن «الكاور » اي الكفرة فيها ·وبعد الاخذ والرد ابدلوها بقطعة اخرى غير متجهة على القبلة وهي مدفن المسيحيين في انطاكية حتى اليوم · ومثل هذه القصص كثيرة تكاد تفوق الاحصاء

قيل ان البطريرك الذي كان يسمح له بتقبيل «بابوج » الحاكم كان يحسب

شريفا والذي كان يسمح له باذن خاص بركب حمار اعرج او بلبس لون محظور عليه لبسه كان يعد عظيما وهاك صورة البراءة الممنوحة من السلطان محمود للمرحوم عبود بحري الدمشقي

ـــ(مكان الطرة)ـــ

قاضي قضاة المسلمين اولى ولاة الموحدين معدن الفضل واليقين رافع اعلام الشريعة والدين وارث علوم الانبياء والمرسلين المختص بمزيد عناية الملك المعين مولانا قاضي الشام الشريف زيدت فضائله ٠ليكن معلوما لديك بوصول توقيعي الرفيع الهمايوني انه بناء على التقرير والاسترحام المقدم من قدوة الاماجد والاعيان ابراهيم شريف احد خوجات المابين الهمايوني زيد مجده الذي هو كهية (كخية) والي الشام حالا الدستور المكرم والمشير المفخم العالم وزيري كنج يوسف باشا ادام الله تعالى اجلاله الذي يطلب فيه اعفاء الذمي المدعو عبود بحري ولد ميخائيل كاتب خزينة والي الشام الشريف من الجزية الشرعية وسائر التكاليف وعدم تعرض اهل طائفته وغيرهم لملابسه وخفه الاصفر وحذائه ليحصل له الفخر بين اقرانه والمباهاة لامثاله بناء على قيامه بخدمته بكل صداقة واستحقاق من كل جهة للمرحمة الشهانية قد صدر فرماني الشريف بالعمل على الوجه المشروح اعلاه ٠فالان ليكن معلوما لديك انت يامولانا المومى اليه بانه يجب اعفاء عبود بحري ولد ميخائيل الذمي المذكور من الجزية الشرعية وسائر التكاليف وعدم التعرض من قبل ابناء طائفته وغيرهم لخفه الاصفر وحذائه تمييزا له عن اقرانه ومباهاة له بينهم وعلى ذلك صدر فرماني الشهاني وبناء على فرماني الشهاني الصادر بما تقدم يجب اجراء الايجاب والحذر من مخالفته ٠ تحريرا في اول شهر رمضان المبارك سنة ١٢٢٣

فتأمل ايها القاريء العزيز بهذا الفرمان العالي الشأن المؤذن بالسماح لعبود

بحري ولد ميخائيل الذمي بان يلبس خفا اصفر وقابل بين سلاطين دولة ال عثمان وملوك اوروبا فبينما الاخيرون يهتمون في كيف يرقون ممالكهم ويوفرون لرعاياهم اسباب النجاح والفلاح والرقي والتقدم في حلبة العمران ترى السلاطين يهتمون في اي لباس ترتدي فئة من رعاياهم وما هو لون الخف الذي يلبسونه فيزول عجبك لماذا تتقدم الممالك الاوربية وتنحط الدولة العلية الابدية القرار التي يشغل سلاطينها الاهتمام بالحذاء واللباس عن النظر في الذرائع التي تصعد بمملكتهم وشعبهم في مراقي الفلاح والسوءدد

وبقي المسيحيون على تلك الحالة السيئة حتى زمن ابراهيم باشا البطل المغوار الذي دوخ بلاد الشام وبر الاناضول الى ان وصل الى باب القسطنطينية مهزما جيوش الترك الذين هربوا من امامه في كل موقعة وكان ذلك في خلال سنة ١٨٣١ · فلما قيض الله له نصرا مبينا نشر لواء العدل ونادى بالمساواة لدى القانون · فتنفس النصارى الصعداء في ايامه وعرفوا انهم ليسوا من العجماوات بل هم بشر مساوون لجيرانهم اذا لم يكونوا اسمى منهم ·وفي عصر هذا الحاكم العادل انبثق فجر الاصلاح ولاح نور النهضة الادبية والعلمية في ديارنا التي لم يسعدها الحظ ببقاء ابراهيم باشا فيها مقيما قسطاس العدل ورافعا ميزان القسط بل ان الاتراك استعانوا بدولة الانكليز عليه فاخرج من ربوع الشام وما يليها من الاقطار التي احتلها وعاد الى مصر فلما عاد الاتراك الى تولي الاحكام عادالظلم والتعدي الى ما كان عليه قبلا غير ان تلك الحالة لم تطل اذ كان من بنود معاهدة باريس التي عقدت سنة ١٨٥٦ بين تركيا وروسيا بعد حرب القرم الشهيرة اصلاح حال المسيحيين وعقبتها معاهدة سان استفانو التي حورت في برلين وفي هذه ايضا اشترط على الاتراك الرفق بالمسيحيين وهكذا اوقف سيف الدولة الروسية الظلم عن المسيحيين وبفضل دوي مدافعها الذي

مادت له اركان دار السعادة صار المسيحي في الشرق قادرا على رفع راسه وتلك حقيقة لا ينكرها الا كل مكابر وكنود

على ان تلك المظالم والمغارم لم تزل بالكلية بل عادت الى نحو ما كانت عليه ان لم نقل انها زادت هولا وجاءت حوادث سنة ١٨٦٠ مصداقا لذلك ولا نزال نرى اثارها بادية في كل مدينة وبلدة من بلادنا السورية · ونقتصر على ذكر بعض تلك الامور تفكهة للقراء وبيانا لكون المدنية بسطت ظلها الوارف على اقطـار المعمور خلا تلك البقعة من الارض المدعوة تركيا

قبل تحول متصرفية بيروت الى ولاية بقليل ابتلى الله مدينة بيروت بقاض قلل الله من امثاله بين القضاة فقد جبل من اديم التعصب الذميم بماء البغضة وصلصال الكره للمسيحيين واسمه رامز بك والاولى ان يلقب برامز الشر وهو من الذين اشتركوا في مكيدة اغتيال عبد العزيز ·فكان ينفث سموم تعصبه بين جهلة المسلمين ويوغر صدورهم على النصارى فينكل الاولون بالاخرين تنكيلا · واذا اصدر مسيحي دعوى على مسلم مهما كان نوعها اتي بالمسلم من باب الى دار الحكومة واخرج من اخر · ولكن اذا اصدر مسلم دعوى على مسيحي مهما كانت طفيفة يسجن المسيحي ويهان ويدفع الغرامة ومازالت الحالة كذلك الى يومنا هذا على رواية اصدق الثقات ·ومن المأثور عن ذلك القاضي قوله مرة لسائل «لماذا تخلعون المسيحيين من الوظائف وهم اهل لها وتوظفون المسلمين حالة كونهم قد لا يكونون اهلا للوظائف فاجاب فضيلة القاضي «اننا نوظف ····(المسيحيين) متى توقفت نساء الاسلام عن الحبل والولادة فتأمل

وغالب الولاة لم يكونوا اقل من ذلك القاضي تعصبا ولوءما فنتج عن ذلك تمرد الزعران في بيروت وغيرها وتعريض مناطقهم ونقل الاسلحة والطواف في الشوارع

للتعدي على السابلة من المسيحيين وسلبهم ما امكن سلبه من حلى وغيرها بعد اشباعهم شتما وضربا احيانا حتى انهم ليلجون المخازن ويأخذون منها ما ارادوا من السلع . بل انهم يتقاضون التاجر المسيحي مبلغا من المال على سبيل «الخوة» والويل لمن يخالف لهم امرا . واذا قام بعض شبان المسيحيين لمقابلة اولئك الزعران بالمثل مدفوعين بعامل الغيرة ودم الشباب يغلي في عروقهم انتصر لزعران الاسلام «العسكر الشاهاني المظفر» وصوبوا بنادقهم الى صدور المسيحيين . وليس عهدنا بحوادث المزرعة بعيدا «١» فقد راينا الجيش الهمايوني زاحفا عليها ولا زحف البلغار على ادرنه ومهاجما الكهنة في الكنائس والنساء في حجرهن بل زاد تطاولهم على الشيوخ والاحداث . وعندما شرعت الحكومة «بالتحقيق» اخذوا يلقون القبض على كل مسيحي صادفوه في طريقهم سواء كان مشتركا في العراك ام لا ويستاقونه مغلول الايدي الى دار الحكومة ويعرجون في طريقهم على محلة المسلمين المعروفة بالبسطة وهناك ينال المقبوض عليه من اللكم والضرب والتعيير والشتائم ما يكل عن وصفه اللسان ولما يصل الى دار الحكومة يتلقاه الموظفون بمثل تلك اللغة التي تلقاه بها اوادم البسطة ويدخلونه السجن بلا سوءال او استنطاق لانه في عرفهم مجرم في كل حال وفي تلك الغرفة الرطبة التي يسمونها سجنا يذيقون سجناء النصارى من التعذيبات ما يطيب الموت بجانبها فضلا عن تلقيبهم اياهم بالخنازير والكفار وغير ذلك ويهددونهم بان الحكم عليهم سيكون اما اعداما او نفيا او سجنا موءبدا او غير ذلك بينما «اباضيات الاسلام» وهم بالحقيقة المجرمون يمرون من امامهم يختالون كالطاووس وهم شاكو السلاح ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون . واذا قتل مسيحي تهتم رجال الضابطة والبوليس للقبض على القاتل فلا تجده اذ يلبس قبع الاخفى ويتوارى عن العيان واما اذا قتل مسلم وقد يكون قاتله مسلما ايضا فانهم

(١) ان ما نفثه رامز بك من التعصب الذميم بين ابناء ملته كان السبب الاكبر في ذلك

يقبضون على عشرة او اكثر من المسيحيين بدون مشقة ولا عناء ويتهمونهم بالاشتراك بالجريمة ويحكمون عليهم بالسجن على رغم كونهم في الغالب ابرياء

وما زال المسلمون يعتبرون المسيحيين دونهم رتبة ومقاما وانهم انما خلقوا لمنفعة «الموءمنين» كسائر المخلوقات الاخرى ·واليك حادثة من مئات مثلها لاثبات ذلك · كان احد شبان المسيحيين مارا في احد احياء مدينة بيروت فاعتدى عليه مسلم وصفعه على وجهه ولا ذنب له سوى كونه « كافرا » وصودف ان احد ذوي العمائم كان مارا من ذلك المكان فاستغاث به النصراني وقال «انظر ياشيخي انه يضربني لغير ذنب اجترمته » فصاح ذلك الشيخ المفتون بملء شدقيه قائلا «تعالوا اسمعوا يا امة محمد قد وصلنا الى زمان يعظم فيه على الموءمن ان يضرب الكافر كفا ما هذا يا جماعة» فتامل بهذا وقل على التمدن والعدل السلام · واذا اراد المسلم ان ينتقم من نصراني فما عليه سوى ان يتهمه بانه «شتم النبي » وهناك الطامة الكبرى والبلية العظمى حيث لا تفيد شفاعة ولا تنجي رشوة فيحل بذلك «الشاتم»المزعوم من العذابات والاضطهادات مالم يصب اخوته المسيحيين مثلها في ايام نيرون الغاشم ·واذا شرع مسلم بضرب نصراني التأم الاسلام من كل حدب وصوب واشتركوا في الضرب بدون ان يسألوا السبب او يعرفوا لماذا يضرب ذلك المنكود الحظ · ثم ان احدهم يلكم النصراني قائلا «ويلك روح من وشو » واخر يوخزه قائلا ولك روح بقا يا صليب ما شايفو طالع خلقو»وغيره يفعل غير ذلك مماتندى لهجبين الانسانية خجلا· بقيت هناك امور اخرى ذكرها يمس حرمة الاداب ويخدش وجه الطهارة ويهتك ستر العفاف اعرضنا عن ذكرها تأدبا مكتفين بالقليل الذي ذكر عن الكثير الذي لم يذكر

ومما يدل صريحا على بغض دولة الاتراك لرعاياها المسيحيين هو انه اذا اراد المسيحيون تشييد كنيسة جديدة ام ترميم كنيسة قديمة متهدمة يشرعون برفع العرائض

والاسترحامات وبذل المال رشوة و«شوفة خاطر» ويتوسلون الى قناصل الدول الاجنبية للمداخلة في الأمر فتمر السنوات الطويلة وتفرغ جعبة الصبر وتنفق النفقات الباهظة قبل ان «تصدر الارادة السنية» بتشييد او ترميم تلك الكنيسة وقد لا تصدر الارادة الشاهانية على الاطلاق وهاك كنيسة عربين التابعة ولاية سوريا من اصدق الشهود على ذلك . فلو جمعت العرائض والاسترحامات وذكرت الوسائل التي استعملت للحصول على امر بتشييد تلك الكنيسة لملأت مجلدا ضخما ومع ذلك لم يصدر الامر الكريم وقس عليها غيرها من الكنائس في سائر انحاء المملكة . اما اذا اراد المسلمون بناء جامع فلا مانع يمنعهم من ذلك ولا شيء يحول دون رغبتهم فهل تلك هي العدالة في عرف دولة الاتراك ام هو التعصب الوخيم عشش وباض في راس حكامها وشعبها من كبيرهم الى صغيرهم

ولا شيء يؤلم اتباع محمد ويخدش اسماعهم اللطيفة نظير اصوات الاجراس في قبب الكنائس ويا طالما قامت قيامتهم على المسيحيين بسبب تعليق الأجراس ودقها وقد كانت ممنوعة بتاتا من بلاد الدولة حتى ارغمت روسيا تركيا على السماح بتعليقها على انه في مدن وقرى عديدة حتى الان لا يسمح «السادة المسلمون» بتعليق الاجراس ولا برفع علامة الصليب امام ميت يحمل الى المدفن . وليس العهد بعيدا بحادثة جرس كنيسة الزبداني والقلاقل التي جرت وبسببها منع مطران زحلة الارثوذكسي من دخول ولاية سورية لتفقد شؤون ابرشيته وهذا جرى بعد صدور الدستور ونشر لواء الحرية والمساواة والاخاء» وتقبيل الشيخ الكاهن . وهناك قصص ونوادر عن مسألة الاجراس تملاء مجلدات وهاك احداها على سبيل التفكهة

عندما زار الغراندوق قسطنطين اخو الامبراطور نقولا الثاني الاراضي المقدسة بعد حادثة سنة ١٨٦٠ مر في طريقه على مدينة بيروت فخف لاستقباله قنصل دولة روسيا الجنرالية والسيد ايروثيوس مطران بيروت ولفيف اكليروسه ورهط من قناصل

الدول الاجنبية وممثلو الحكومة التركية وجاوءا به راسا من الميناء الى كاثدرائيــة القديس جاورجيوس الارثوذكسية فلما دخلهــا تعجب من عــدم وجــود جرس فوقها فسأل عن ذلك فقيل له ان الحكومة العثمانية تحظر على المسيحيين وضع اجراس في كنائسهم · فتأثر لذلك وفي اليوم التالي سعى مع اولياء الامر فصدرت الارادة السنية بالسماح بتعليق جرس في الكنيسة المذكورة فتعلق الجرس والغراندوق بعد في المدينة · فلما بارحها هزت الحمية الشيخ ابا النصر ابا خالد فجمع نفرا من المتهوسين وذهب الى المطرانية الارثوذكسية وامر المطران بان يسرع بانزال الجرس والا فالعاقبة وخيمة عليه وعلى المسيحيين في ابرشيته فاجابه المطران ان الجرس تعلق بامر الحكومة ولا يسعه انزاله فثار ثائر الشيخ وذهب مع زمرته من فورهم الى الكنيسة وانزلوا الجرس فابرق حينئذ قنصل روسيا الى السفير الروسي في القسطنطينية واعلمه بالامر وكان الغراندوق في خلال ذلك قد بلغ القسطنطينية فبعد وقت قصير ورد امر مشدد من الاستانة بان اليد التي انزلت الجرس يجب ان تقرعه حتى تكل ومن ذا يستطيع وصف حالة الشيخ ابي النصر حينما تسلق بعمته وجبته السلم وصعد الى سطح الكنيسة وشرع يقرع الجرس فرن صداه في انحاء المدينة داعيا للروسية ومحطما تعصب الشيخ وزمرته

ولا نرى حاجة لذكر ما يلاقيه المسيحيون من العناء في الشهر المبارك اي شهر رمضان لشيوع ذلك ومعرفة العموم به · فالويل ثم الويل لمن يراه المسلمون يدخن سيكارة او «يفطر» في رمضان فتقوم قيامتهم عليه ويرمونه بكل كلمة شنعاء هذا اذا نجا من اللكم والوخز والصفع ونحو ذلك · فاين فضيلة الصوم المبارك يا ترى اذا كان الصائم تؤلمه رؤية من يدخن او يأكل امامه

ولو اقتصر الامر على الجهلة لراينا لهم عذرا في الامر ولكننا نرى ان الولاة والحكام والقضاة وغيرهم يبثون في القوم روح التعصب والبغض للمسيحية والمسيحيين فكان

رامز قاضي بيروت وغيره من ذوي المقامات العليا يتهمون المسيحيين بانهم منحازون للاجانب وانهم يسهلون لهم الطرق لاحتلال البلاد ٠وانهم مشركون بالله ومنكرون رسوله الى غير ذلك من الافاويل التي تبقي سعير الشحناء مضطرما ونار البغضة متأججة فلا غرو ان مال المسيحيون للاجانب وهم لم يتنفسوا الصعداء او يشعروا بلذة الوجود الا بفضلهم وهل يسكت هياج المسلمين ضد النصارى مثل ظهور بارجة اجنبية في عرض البحر

ومن عهد غير بعيد الف احد المشايخ المدعو يوسف بن اسمعيل النبهاني رئيس محكمة الحقوق في بيروت وهو ممن عشش التعصب الاعمى في طيات عمته وتلافيف دماغه وباض كتيبا سماه ارشاد الحيارى في تحذير المسلمين من مدارس النصارى وقد قيل «المكتوب يقرا من عنوانه» فاسم هذا الكتيب يدل على ما احتواه من ضروب التحامل وايات التفريق ومن اراد معرفة ماهو عليه هذا النبهاني من النباهة والعلم والحصافة بل من اراد ان يفكه نفسه بما يستغني به عن حضور المراسح وبيوت اللهو فليقرا كتاب الانوار البهية في السيرة المحمدية تاليف الشيخ يوسف النبهاني المذكور فان فيه من الترهات والسفاسف والاحاديث الملفقة والاساطير المضحكة ما يضحك الثاكلات ويذهل ذوي النهى واولى الحجى اشخص كهذا يدب على وجه الغبراء في الجيل العشرين ويسلم اليه القضاء في محكمة الحقوق فاين الحق يا ترى من هذا القاضي الظلوم

ومن تصفح عددا واحدا من جريدة البلاغ التي تصدر في بيروت وقرا كتابات محمد الباقر وحملاته العنيفة على المسيحية والمسيحيين بذيء الكلام وماحوته جعبته من ضروب السفاهة والقول الهراء ومثلها جريدة العرب التي تصدر في القسطنطينية ويحررها معروف الرصافي فذلك المعروف عديم المعروف وهو بتطاوله وتحامله وسفاهته موصوف

اما صاحب جريدة العرب فهو عبدالله مبعوث ايدين ومن ذا لم يسمع بخبر هذا العبيد وتهجمه على المسيحية وكرهه لبنيها مما يفوق وصف الواصف وفي بيروت وغيرها عدد من الجرائد الاسلامية ذات الحملات العنيفة على المسيحيين ودياناتهم ومعتقداتهم ورميهم بكل كلمه شنعاء ولا مشاحة فسوء التربية والتعصب الوخيم واخذ الكل بجريرة البعض امور عرفناها والفناها فلا ينتظر ان يجنى من الشوك عنبا ولامن الحنظل عسلا انما الغريب ان نرى ولي عهد السلطنة العثمانية يوسف افندي عز الدين يقرب منه نظير طه المدور صاحب جريدة الراي العام المشهورة بتعصبها الديني ومقاومتها الحركة الاصلاحية ومناهضة المصلحين وكبار المفكرين والطعن الدائم على المسيحية والمسيحيين وتوسيع شقة الخلاف بينهم وبين المسلمين واختلاق اراجيف واكاذيب ما انزل الله بها من سلطان وينعم عليه بساعة ذهبية فعلى ما هذا الانعام ممن سيغدو ولي النعم وخليفة رسول الله على متعصب مفرق مفتن امكافاءة له على تفريقه وتطاوله ام تشجيعا لسواه لكي ينسجوا على منواله فاذا كان ولي عهد السلطنة يكرم المتهوسين والمفتونين وينعم على المتعصبين والمفسدين فماذا ينتظر من غيره من العامة

اذا كان رب البيت بالطبل ضاربا فلا تلم الصبيان فيه على الرقص

والانكى هو انه اذا اختلفت دولة الاتراك مع دولة مسيحية قامت قيامة المسلمين على المسيحيين جيرانهم وهم اجانب عن تلك الدولة المعادية بل هم «عثمانيون» نظيرهم وجهروا بملء اشداقهم بان الحرب ناشبة بين «الصليب والهلال» كما راينا في حروب الدولة مع روسيا وايطاليا واليونان والبلغار والسرب والجبل الاسود وسائر حروبها مع دول مسيحية فما نرى من المسلمين سوى التهديد والوعيد لمواطنيهم المسيحيين بدلا من ان يتحدوا معهم على صد العدو الذي يريد بدولتهم سوء ولكن هو الجهل الفاضح والتعصب الوخيم فمتى استوليا على قوم فبشرهم بخراب عاجل وانقراض سريع . فما هي علاقة

الصليب بالهلال اذا قامت دولة مسيحية تحارب دولة تركيا الاسلامية لمطمع لها فيها وما هو ذنب المسيحي الامن في تركيا اذا كانت الدولة المحاربة مسيحية . فالاسلام بعمى بصائرهم وغلاظة عقولهم وفرط جهلهم يخالون بان الدولة المسيحية هاجمت تركيا لمجرد كونها دولة مسلمة فلو كان الامر كذلك فكم تدوم تركيا يا ترى في عالم الوجود على ان الواقع هو ان الدول يحاربون لمطامع في النفس ولجر مغنم فهي لا تقاتل لاجل الدين بل تستتر باسم الدين احيانا وتتخذه وسيلة لانفاذ ماربها . وحرب تركيا مع غيرها من الدول المتمدنة ليست حربا بين الصليب والهلال كما يزعمون بل هي حرب بين النور والظلام . بين المدنية والهمجية بين العلم والجهل بين القوة والضعف بين التعصب والتساهل بين النافع والضار . فالصليب كان ولا يزال شعار المحبة والرحمة والشفقة والحنان والرفق بالانسان والحيوان . واما الهلال الاحمر فهو رمز الدم المطلول والحق المسلوب والغدر بالامنين والظلم والقسوة والجور والبربرية والهمجية والجهل وهل من حسنة يذكرها له التاريخ لكي ندونها بمداد الافتخار . واولئك المغرورون يندون بالصليب الذي تخر له ساجدة ملايين البشر المتمدنة وهو فخر المسكونة وزينتها وعنوان مجدها وفلاحها . وبابنائه وهم ابناء النور والعلم والعرفان والاختراعات والاكتشافات وسائر الفنون النافعة . ثم انهم يتصاغرون امام احدى الدول الاوروبية فيستعطفونها ويسترضونها لتقيهم بظلها او تحميهم بمالها من الافلاس والتهور فالدولة التي تظهر رفقا بنسل المغول وعطفا على اولاد اسمعيل هي حسنة ولو من ابناء الصليب واما الدولة التي تناقشهم الحساب وترغب في وضع حد لهمجيتهم وفسادهم فهي «قد حركتها يد الصليب للفتك بالموءمنين» فكيف نوفق بين الامرين ام كيف نلعن ونبارك بفم واحد وبوقت واحد ان تلك المتناقضات والمتباينات من مواهب الاتراك ونسل اسمعيل الخاصة

فهل يحتمل الهلال المقابلة مع الصليب امر بماذا ايقابله ابقوة اتباعه واساطيلهم العظيمة وجيوشهم اللجبة ام بمالهم المالىء خزينةدولةالهلال المكتوب عليها «وعش خاليا ام برفع منار العلم والعرفان والاستنباطات والاختراعات والاكتشافات ام بالرسائل التبشرية التي ملأت الكون انوارا ونشرت الوية المدنية في سائر البلدان والاقطار ونقلت المتوحشين من الظلمة الى النور ومن الجهل الى المعرفة · ام بالمدارس والكليات · مصدر العلوم والفنون وينبوع الارتقاء والفلاح · ام بالملاجيء الخيرية التي تضم ضمن جدرانها الوف من الايتام وذوي البوءساء الذين اخنى عليهم الدهر وحلت بهم الرزايا ام بالمستشفيات التي تخفف الام الضعفاء وتعيد اليهم عافيتهم · ام بالتاليف المتنوعة والتصانيف المختلفة في كل علم وفن ام هل تحتمل جمعيةالهلال الاحمر المقابلة بجمعية الصليب الاحمر وهل من ميزة للهلال على الصلب اوحسنة تذكر فتشكر لهلالهم الذي مرت عليه السنون وكرت الاعوام فلم يصر بدرا والافليحنوا للصليب واتباعه الهام وليعلموا ان تطاولهم وشقشقة لسانهم لا تغنيهم فتيلا ولا تروي لهم غليلا · ويدهم اقصر من ان تمد الى الحط من كرامة الصليب واتباعه · فقد كان الصليب ومازال ولن يزال شعار المدنية والعلم والمحبة والرأفة والحنان والاخاء والمساواة والحرية والعدل وعلى رغم اولئك المتطاولين هو مرفوع فوق كل المعاهد العلمية والملاجيء الخيرية وسائر بيوت الرحمة والبر حتى في بلاد الدولة العلية الابدية القرار بل وفي عاصمة سلطنة ال عثمان ولا غنى لهم عن الصليب واتباع الصليب ما داموا في هذا الوجود بل وبعد الوفاة لان «في الاخرة الديان عيسى بن مريم (الاية)

وقد كنا نظن مسلمي مصر اقل من مسلمي سوريا تعصبا بفضل احتلال دولة متمدنة بلادهم واختلاطهم بالاجانب المتمدنين ولكن جاءنا مصطفى كامل باشابا نفي عنا هذا الظن وثبت اعتقادنا بان بغض الامة الاسلامية للامة المسيحية غريزة يصعب ان لم نقل

يستحيل تغييرها . فهذا الكامل الف كتابا سماه «الشمس الشارقة» وهو تاريخ دولة اليابان وقد طرب لنصرة اليابان الوثنية على روسيا المسيحية وذلك الطرب شمل قومه ايضا وها نحن ناقلون من مقدمة الكتاب عباراته بحروفها ونترك للقارئ الحكم قال «وقد ابدى خاصة المصريين وعامتهم قبل اعلان الحرب وبعده ميلهم الشديد لليابانيين ورأى عقلاؤهم هذا الميل دليلا قاطعا على ارتقاء في الشعور وقوة في الادراك والتمييز لانهم انتصروا لعدو الروسيا التي طالما اعتدت على بلاد المسلمين وكانت يدها اول يد حركها الصليب لتجزئة دولة ال عثمان وسلخ اهم بلادها منها . ولا شك ان ارتقاء الشعور الاسلامي الى هذا الحد يفيد ان المسلمين ادركوا انهم متضامنون في كل امر مهما بعدت الديار . وانه لو نطقت عظام اولئك المجاهدين الابطال الذين ذهبوا ضحية الحروب التي اثارتها الروسيا على المسلمين والاسلام لاثنت اطيب ثناء على اليابانيين الذين دوخوا العدوة القديمة للدولة العلية . ولعل الروس انفسهم يجدون هذا الشعور طبيعيا كما ان الذين ينتصرون لهم لجامعة الدين لا يرون فيه شيئاً من الغرابة وقد علمونا كيف تكون العواطف والاميال .....اه.

هذا ماقاله مصطفى كامل باشا بنصه الشائق وهو يحسب من المتنورين المتمدنين فماذا عسانا نقول عن الجهلة الاغرار . فاذا كانت دولة روسيا اول دولة حركتها يد الصليب لتجزئة دولة ال عثمان كما يقول الباشا فيدمن اذا حركت غزاة الاسلام لسلب المسيحيين املاكهم ونهب مقتنياتهم وتيتيم اطفالهم وترميل نسائهم وهل دولة ال عثمان سوى اراض مسيحية مغصوبة فاذا قام الاصيلون وطالبوا بحقوق مسلوبة واملاك مغتصبة يعدون في عرف الباشا طغاة متعصبين . على اننا نبشر سعادة الباشا «وخاصة المصريين وعامتهم» بان دولة اليابان نسيبته على ما يزعم لم تدوخ الروسيا »ولن تدوخها بل ان اليابان كانت الخاسرة بتلك الحرب بدليل ان الميكادو ارسل رقيما للمستر روزفلت

الرئيس السابق للولايات المتحدة به يرجوه ان يتوسط الامر بين روسيا واليابان ويوقف تلك الحرب التي ادارت رحاها اليابان جهرا وانكلترا والولايات المتحدة سرا ٠وقد اذاع المستر روزفلت في مجلة الاوتلوك انه سينشر كتاب الميكادو المذكور في القريب العاجل فقامت قيامة اليابان لذلك وارسل الميكادو سفيره يرجو روزفلت الا يفعل ذلك وخير لتركيا ومريديها ان روسيا لم تدحر في تلك الحرب لانها لو دحرت لاضطرت الى دفع غرامة وبحكم الضرورة كانت تطلب من الدولة العلية الابدية القرار ماهو باق لها بذمتها من الدين من غرامة حرب سنة ١٨٧٧ــ٧٨ وعهدنا بسعادة الباشا انه مسلم موحد فما باله يقول «واعل الروس انفسهم يجدون هذا الشعور طبيعيا كما ان الذين ينتصرون لهم لجامعة الدين لا يرون فيه من الغرابة » العل انتصار المسلمين لليابانيين « لجامعة الدين » ونحن نعلم ان اليابان وثنية ٠اما قوله «وقد علمونا كيف تكون العواطف والاميال » فمردود بما تقدم ذكره من معاملة الاسلام للمسيحيين الذين يحسبونهم خصوما وماذا ينتظر من العدو سوى الكره والمقت ٠او ليس مصرع المرحوم بطرس غالية المسيحي في مصر دليل الهمجية والتعصب الوخيم وقد ذهب ضحية الغدر ولا اثم له ولا حرج وذنبه الوحيد انه نصراني ٠ اما قاتله الاثيم فقد احصاه مع الشهداء ذوو العمائم الكبيرة والاردان العريضة

ليعذرنا القاريء الكريم على ذكر ماتقدم فليس هومن موضوعنا بخل او خمر بل هي كلمة جرنا اليها سياق الحديث ٠ولنعد الان الى تتمة الكلام عن اسباب المهاجرة

ان ذكر ضغط الحكومة التركية على الفلاح في بلادها ومنها سوريا وطننا المحبوب يعد من باب تحصيل الحاصل ٠ فالحكومة قد غلت يده عن الاعتمال بفلاحة الأرض واستغلالها فلم تسهل له واسطة ولا فتحت في وجهه بابا للرزق فصار لا يأمن اذا اجاد فلاحة ارضه واعتنى بانماء مغارسها لان الحكومة تحرمه نتاج اتعابه وثمر كده

فهي تتقاضاه عشر حاصلاته وخراجا على ارضه وتجبي منه الاموال بطرق متنوعة متعددة من اعانة وسكة حديد وطريق شوسه وابتناء اسطول والف ضربة سخنة فيصبح الفلاح المسكين بحالة مادية محزنة ولا يستفيد من اتعابه ما يسد به الرمق مع عائلته • اما طريقة جباية الاموال الاميرية فمن الغرابة بمكان • فيتوجه «الخيال» وهو في الغالب كردي او تركي اعجم طمطم لا يفهم ولا يفهم وبيده «مذكرة» من «الاغا» الى المختار فيبلغ الى مكان قصده بالسلامة وهناك يشرع يطلب الماكل اللذيذه والشراب الفاخر والفراش الوثير والعلف لحصانه «وشوفة خاطر له» والويل لمن من الاهلين ليس لديه دراهم للدفع فانه يضربه بكل قساوة ويشتمه بكل كلمة قذرة وقد يشده الى ذيل فرسه ويمضي به الى مركز القضاء فيودع في السجن ولا يخرج منه حتى يفي الفلس الاخير ولا يسعنا المقام للاسهاب في تعداد ماتي اولئك «الخيالة» الذين يذهبون الى القرى لتحصيل الاموال الاميرية وذكرها يدمي الفواد • وشتان بين فلاحي تركيا وفلاحي غيرها من الشعوب الراقية سيما في الولايات المتحدة حيث الفلاح اشبه بملك صغير يعيش مستقلاومنشرحا

والتجارة بفضل قلة وسائل النقل وعدم تسهيل طرق المعاملة من ارسال تحاويل مالية وتوفير الامنية والمصارف وغير ذلك لاتقاس شيئا بتجارة الامم المتمدنة وهي تكاد تنحصر في محصولات البلاد وواردات اوروبا • اما الصناعة فهي اثر بعد عين حتى ان الطربوش الذي يلبسه جلالة السلطان ودولة المشير وسعادة الباشا وفضيلة القاضي وجناب الافندي وسائر افراد الرعية العثمانية يصنع خارج البلاد وبذلك كفاية • فالفيالج مثلا الحاصلة في سوريا وغيرها تبتاعها فرنسا بسعر ثلاثة او اربعة فرنكات الاقة فتنسجها في بلادها اقمشة جميلة وتبيعها من تركيا باضعاف ما اشترته • وكذلك تفعل انكلترا بالصوف وغيرها بغير ذلك مما يطول شرحه وانما اقتصرنا على ذكر القليل

للدلالة على ان اركان العمران واخصها التجارة والزراعة والصناعة ليست في تركيا عموما وسوريا خصوصا على ماهي عليه في سائر الممالك والبلدان الاخرى وعليه فالشعب يبقى فقيرا والفقر يولد حب المهاجرة والابتعاد عن وطن يسام فيه خسفا ويتكبد اعظم المشقات ولا ينال فيه كفافه او يأمن فيه على حياته

ان الحكومات المتمدنة تكافيء من يخترع او يستنبط او يكتشف شيئاً مفيدا للبلاد اما الحكومة التركية فتجزيهم كما جوزيت سنمار · فاذكر ان رجلا ارمنيا في اسكلة السويدية اخترع دولابا متى دار يدير معه عدة دواليب اخرى لحل الفيالج ونسجها خيوطا فكانت مكافأة الحكومة له ان قبضت عليه وسجنته مدة ستة اشهر «تأديبا له وعبرة لغيره » لئلا يتجاسروا في المستقبل على اختراع «اشياء مضرة » · ومسالة الياس اجيا الحلبي المولد والبيروتي الموطن مشهورة في سوريا · فان هذا الرجل توفق الى اختراع فابور يسير في المياه ويطلق مدفعا من تلقاء ذاته وقد تكبد من المصارفات والمتاعب والسهر الطويل في سبيل ذلك الاختراع ما لا يوصف فلما تم له ما اراد سر جدا بنجاح اختراعه وعن له ان يهديه للسلطان عبد العزيز · فلما مثل بحضرته واراه ذلك الفابور الغريب الشكل والدقيق الصناعة سر السلطان به جدا ونفح المخترع بعدة دزينات من «عفارم » وامر له بجائزة خمسين ليرة ولقب بك · مع ان ذلك التاعس الحظ كان قد انفق اضعاف ذلك المبلغ على اختراعه فضلا عن اتعابه وسهره كذلك الياس الحمصي · اخترع قنديلا متى اشعل ينعكس منه نور فيرقم على الحائط كتابة جميلة من اشعار واقوال حكمية وغير ذلك · وقد انفق على ذلك الاختراع خمسة الاف ليرة فضلا عن تعب ست عشرة سنة · فخطر له ان يذهب بقنديله الغريب الى عاصمة السلطنة ويهديه لجلالة السلطان · فلما وصل الى مرفأ القسطنطينية طلبوا منه مبلغ خمسة الاف ليرة رسم جمرك · وقيل انهم فعلوا ذلك لان في جملة الكتابة التي في

القنديل اية قرانية · وبعد الاسترحامات والرجاء والوسائط العديدة سمح له بارجاعه فعاد به الى بيروت وباعه من متري الطرزي تاجر البضائع الشرقية ولم يزل في حوزة اولاده حتى الان · فلا تتعجب بعد هذا لماذا نسير الى الوراء ولماذا نظل في ادنى دركات التأخر والانحطاط · ومن تراه يجهل ما كان ينفقه السلاطين العظام سيما السلطان عبد الحميد من المبالغ الطائلة على امور تافهة كهدايا لعظماء اوروبا وغيرهم ولاصحاب الجرائد الاجنبية الكبرى وهلم جرا · فكانوا اشبه باب اولاده يتضورون جوعا وهو يولم للغرباء الولائم ويقيم المآدب · او من تراه ماسمع بالعقاب الذي يحل بمن اتهم بانه عثر على عاديات واثار قديمة وكيف ان الحفر ممنوع بتاتا عن الوطنيين ومباح للاجانب الذين يمتصون منافع البلاد كالعلقة فبيدهم الامتيازات ولهم وحدهم فرصة الانتفاع في بلاد الدولة العلية ولو اردنا الاسهاب في ذكر هذه الامور لملأنا كتابا برمته

قلنا ان معظم وسائل التعليم والتهذيب في بلادنا السورية بيد الاجانب وليس للحكومة اقل اهتمام بنشر العلوم والمعارف او تنشيط شعبها وتقويته بما يأول الى نجاحه وسعادته فليس ذلك فقط بل انها تضغط على الافكار وتقتل مبادي الحرية في المهد وتمحق اشعة العرفان · فليس عهدنا بالمكتوبجي ببعيد اوله قصص ونوادر في رقابته على المطبوعات تملأ مجلدات كبيرة وهي على جانب من الفكاهة

وفي العصر الحميدي الانور كان اقل عقاب يحل بمن وجد في حوزته جريده حرة او كتاب ممنوع الزج في ظلمات السجن ودفع الغرامة الباهظة بل ان مجرد التهمة بذلك كافية لايقاع العقاب بالمتهم وليست الحالة اليوم احسن منها بكثير في زمان السلطان المخلوع عبد الحميد فطالما سمعنا بسجن محرر الجريدة الفلانية لانتقاده العادل عمل الحكومة والحكام الملتوين وبتغريم مدير الجريدة الاخرى لنحو ذلك السبب

ومصادرة الكتاب الفلاني ومنع الجرائدالحرة من دخول البلاد وغير ذلك

فينتج مما تقدم ان الضغط الديني والسياسي وفقر البلاد بموت التجارة والصناعة والزراعة وميل الانسان الفطري الى التمتع بالحرية وظلم الحكومة وعدم نزاهة الحكام وسوء الجوار وبخس الحقوق • وتثقيف الناشئة في مدارس الاجانب وغير ذلك كانت الحامل على المهاجرة والداعي اليها

ولربما ان طبيعة البلاد تعد من اهم الاسباب الحاملة على المهاجرة فانها ضيقة عن مطامع اهلها فاذا ارادوا التوسع ما وجدوا اليه سبيلا • يدلنا على ذلك ان السوريين من عهد الفينيقيين ما انفكوا عن الاسفار في سبيل الاتجار وهم اول من عانى التجارة وتفنن في اساليبها فلم يغادروا مدينة معروفة في تلك العصور لم يقيموا فيها ولا بقعة خصيبة لم يستعمروها

ومهما تعددت اسباب المهاجرة وتنوعت فقد قضي الامر وجرف تيارها فانتشر ابناء سوريا في سائر انحاء المسكونة من الاسكا شمالا الى الترنسفال جنوبا ومن الصين واليابان شرقا الى سان فرنسيسكو وشيلي غربا وخسرت سوريا زهرة شبانها وخيرة رجالها ومن الضمين بعودتهم الى وطن «اشبه بالسفرجل كل عضة بغصه»

الفصل الخامس والثمانون

بدء المهاجرة — المهاجرون الاولون — اوصافهم واحوالهم

المهاجرة قديمة كالانسان واقدم اسبابها الارتزاق · وهي من اقدم دعائم العمران واقواها ·لان البشر تسلسلوا من اب واحد و كانوا في بقعة واحدة فلما تكاثروا و ضاقت تلك البقعة عن معائشهم هاجروا الى ما حولها التمــاسا للغرس والمرعى ثم تفرعت هجرتهم للسبب عينه بتوالي الاجيا ل

ومن اقدر الامم على المهاجرة واكثرهم سعيا فيها السوريون ·فقد كانوا من عهد الفينيقيين اهل رحلة ومهاجرة وقد استعمروا كثيرا من شواطىء البحر المتوسط قبل الميلاد بعدة قرون · واشهر مستعمراتهم قرطا جنة في شمالي افريقيا ورحلوا الى بلاد التمدن القديم في اشور وبابل ومصر و كانوا خير واسطة لنقل ذلك التمدن بين تلك الامم و كان ذلك شأنهم في عهد التمدن اليوناني ثم الروماني فكانوا ينزحون الى بلاد الروم والفرس والاسكندرية لهذه الغاية · وهذا هو شأنهم ايضا في عهد التمدن فانهم يطلبون الرزق ويسهل عليهم الانتقال في طلبه (١) اه·

(١) الهلال

واما لجهة المهاجرة الى القارة الاميركية فلربما ان السوريين هم اخر امة هاجرت اليها فان مهاجرتهم لا ترجع الى ابعد من اربعين او خمسين سنة ويعسر جدا الجزم في من كان «كولمبس السوريين» اي من منهم هاجر الى الديار الاميركية اولا · فيقال ان حبيب النشبي من بشراي في لبنان هو اول مهاجر سوري ويقال ان السوريين وصلوا الى البرازيل وما قربها من الاقاليم قبل ان اهتدوا الى الولايات المتحدة ·

وقد روى لنا ضوميط افندي فاعور احد اعضاء محل دانيال فاعور واخوانه الخبر الآتي وهو · ان فهيم نوح باسيل وسمعان كرم باسيل من حدث الجبة كانا «سمساري حرير» اي انهما كانا يشتريان الفيالج من مربي دود الحرير · وحدث مرة انهما اشتريا الفيالج باسعار عالية فابت الشركة دفع ذلك الثمن الباهظ فشق ذلك على فهيم وسمعان فعقدا على الهزيمة فجمعا ما تيسر لهما جمعه من الدراهم وسافرا الى ليفربول في بلاد الانكليز ومنها الى فيلادلفيا ومن ثم حضرا الى بوسطن وهناك تعرفا الى المدعو سلمون بونا طويل الالجيري وهذا كتب لهما شهادة بانهما فقيران وجالا يجمعان احسانا · وما عتما حتى رجعا الى قريتهما يحملان كمية من النقود فشاع خبرهما في كل القرى المجاورة ونفخ ببوق المهاجرة فلبى كثيرون صوت الندي وصار حديث المهاجرة الشغل الشاغل لافكار العموم

ومن المهاجرين الاولين الذين صادفوا نجاحا مذكورا وابقوا لهم ذكرا خالدا مشكورا هو الشيخ الجليل يوسف فاعور شلالا بك والد التجار الافاضل والوجهاء الاكارم دانيال وجورج وضومط فاعور · فانه قد هاجر على اثر عودة فهيم نوح باسيل ونسيبه سمعان الآنف ذكرهما واصطحب معه بضائع قدسية وحصل على شهادة من غبطة بطريرك اللاتين بالقدس بان تلك البضائع قدسية حقيقية وليست تقليدا · ولهذا فقد صادفت بضاعته رواجا فائقا وعادت عليه بالكسب والغنيمة وقد حمل خبر نجاحه كثيرين على المهاجرة



—(يوسف بك شلالا)—

وقد افادنا الدكتور ابراهيم عريبلي نزيل واشنطن العاصمة ان والده المرحوم الدكتور يوسف عوض قالوش المعروف بالعريبلي هو اول من هاجر بعائلته قصد الاستيطان في الولايات المتحدة وقد هاجروا سنة ١٨٧٨ ٠ والعائلة موءلفة من تسعة اشخاص وهم المرحوم يوسف عريبلي (وهو احد تلامذة العالم العامل المثلث الرحمات الخوري يوسف الحداد ٠ وقد تولى ادارة مدارس الشوام في بيروت ثم ادارة مدرسة سوق الغرب الارثوذكسية الداخلية)ومن امراة الدكتور عريبلي واولادهما الستة وهم ابراهيم وفضل الله وامراته وخليل ونجيب وحبيب ونسيم و كلهم نبغوا في فنون مختلفة ٠

وقد ابتدات المهاجرة تدريجا اي ان عدد المهاجرين الاولين كان قليلا فلم يهاجر من البلدة الواحدة سوى نفر قليل وهوءلاء بعد وصولهم كانوا يشجعون ذوي قرباهم واصحابهم على المهاجرة فاخذت دائرتها بالاتساع تدريجا

والسواد الاعظم من المهاجرين الاولين كانوا فقراء ومن الفئة غير المتعلمة فكانوا اما يستدينون نفقة سفرهم او انهم يسافرون مع اخر يدفع عنهم نفقات السفر ويتقاضاهم قسما من ارباحهم لمدة سنين معلومة ٠ ولما كان المهاجرون يرسلون دراهم لاوطانهم كانوا يزيدون تيار المهاجرة انجرافا ويحببونها الى الكثيرين لاسيما اذا كان المهاجرون غير ذوي ثروة في بلادهم فكان يقول من يفوقهم ثروة وفلاحا اذا كان فلان وهو دوني قوة وغنى ومعرفة قد ربح مبلغ كذا فان ارباحي لا شك ستكون باهظة

ولم يكن فكر التوطن يخطر على بال المهاجرين الاولين بل كان كل اهتمامهم منصرفا الى جمع مبلغ من الدراهم في اية حالة كانت وباقصر ما يمكن من الزمن والرجوع الى الوطن ٠ولهذا فلم يكونوا ذوي اهتمام بالتجارة الاصولية او الزراعة او غير ذلك ٠قال لنا احد ارفاقنا في الباخرة التي هاجرنا على متنها وهو شاب في مقتبل



—(المرحوم الدكتور يوسف عربيلي وعائلته وهي اول عائلة هاجرت الى اميركا)—

العمر بان والده اخبره بالا يطمع كثيرا ولا يطيل مدة غيابه بل ان يكتفي بمبلغ ثلاثماية ليرة ويعود الى وطنه بسرعة · وقبل ان نرسو السفينة في المرفأ كان كل المهاجرين السوريين يفكرون في جعل المدة التي سيصرفونها في بلاد الذهب قصيرة ليعودوا الى الوطن · وفي مجتمعاتهم اذا شرب احد القهوة مثلا في بيت احد اصحابه كانت كلمة الشكر التي يقدمها للمضيف «برجوعك الى الوطن انشاءالله فيجيبه هذا بقوله «برفقك ياسيدي»

ولم تنحصر مهاجرة السوريين الى بلاد معينة او قطر خصوصي بل تفرقوا في سائر انحاء المعمور وفي جزائر البحر من مشارق الشمس الى مغاربها حتى انك لا تكاد تجد بلدة او مدينة خالية منهم

اما كيفية سفرهم والمشاق التي تكبدوها من بحارة المواني السورية ومفتشي الحكومة الذين كانت توفدهم لمنع الناس عن المهاجرة ومن سماسرة مرسيليا وغيرها ومن عواصف البحور والاوقيانوسات فلا تغرب معرفته عن احد ولهذا لا نسهب الكلام فيه

ونثبت هنا ما رواه لنا طانيوس افندي تادرس كبير محل تادرس وعكاري الشهير في نيويورك عن كيفية مهاجرته الى هذه الديار لما فيه من اللذة والفكاهة والاعراب عن حالة المهاجرين الاولين قال

هاجرت الى الولايات المتحدة في اواخر سنة ١٨٨٤ وبرفقي حنا العقدة وجرجس المكربل من طرابلس وامين ساوم من كفر صارون اما ما حملني على المهاجرة ورغبتي فيها فهو · انني كنت صاحب حانوت ومن جملة ما كنت ابيع فيه الدخان التركي · فبينما كنت جالسا في مخزني في احد الايام جاءني رجل وقال كم ثمن اوقية احسن جنس دخان عندك فقلت اربعة غروش ونصف · فقال زن لي اوقيتين ففعلت · فمد يده الى جيبه واخرج منها قبضة من الليرات وشرع يفتش بينها على قطعة صغيرة من النقود



—(طانيوس افندي تادرس)—

ليدفع لي ثمن الدخان فاندهشت متعجبا كيف ان رجلا لا تلوح عليه سيماء الكبراء يخرج من جيبه مقدارا من النقود كذلك · فلما راى ذلك الرجل اندهالي قال لي اما عرفتني ياخواجا انطونيوس فاجبته سلبا فقال انا اسحق الاميوني كنت مستخدما عند بيت حبيب وكنت كلما مررت في السوق ترشقونني بالحصى ونحوها تهزأون بي · فقلت له وكيف تبدلت حالتك حتى صرت من ذوي الثراء فاجاب هاجرت الى برصلونه وهناك حصلت على ثروة بمدة لا تتجاوز السنة ونصف فقلت واين برصلونه يا اسحق فاجاب انها في اميركا · فمن تلك اللحظة صممت على السفر الى اميركا · وشرعت

استعدلذلك ولما تم لي ماأردت وضعت في جيبي خمس وثمانين ليرة وركبت مع رفقتي المذكورين الباخرة الافرنسية من طرابلس الى مرسيليا ٠ وكان في تلك الباخرة «قهوجي» يدعى اركيلو يتكلم عدة لغات فسألته رايه في المهاجرة والى اية جهة من الكرة ينصحنا ان نسافر فاجابنا هاجروا الى نيويورك فهناك يصرفون المائة ريال كما تصرفون انتم المتاليك فلما وصلنا الى مرسيليا استقبلنا سمسار يهودي يعرف كلمات قليلة من اللغة العربية فسألنا الى اين تقصد السفر فاجبناه الى نيويورك فقال لنا انهم قد ارجعوا اربعة من اولاد وطنك بسبب رثة ثيابهم وسوء حالهم وبالحقيقة انكم لو رأيتم اولئك الاربعة لجزمتم ان الشيطان يأبى قبولهم في جهنم نظرا لقذارتهم ورثة ثيابهم ولا نذكر اسم البلد التي جاء منها اولئك الاربعة مراعاة لاحساسات البعض ٠ وقال اليهودي ايضا انني اشور عليكم ان تستبدلوا زيكم العربي بزي اوروبي وان تشتروا بعض بضائع وتصطحبوها معكم فتدخلون البلاد بهيئة تجار وليس بهيئة متسولين ٠ وانني انصحكم ان تقطعوا جوازات سفركم الى فيلادلفيا وليس الى نيويورك وهكذا ابتاع لنا جوازات سفر الى فيلادلفيا وسافرنا من مرسيليا نقصد الولايات المتحدة في شهر كانون الاول عام ١٨٨٤ فوصلنا الى مرفأ مدينة نيويورك في اواخر الشهر المذكور ٠ فتلقانا موظفو ادارة المهاجرة واعطونا جواز سفر الى فيلادلفيا فاخذ كل منا تلك «الورقة الصغيرة» ووضعناها في جيوبنا غير عالمين انها جواز سفر وبتنا نأكل ونشرب وننام في ادارة المهاجرة مدة ٢١ يوما ـ ضيوف العام سام ـ وكانت ادارة المهاجرة وقتئذ حيث معرض الاسماك اليوم في حديقة باتري ٠ وكنا اشبه باسرى منا بمهاجرين ٠ وحدث انني خرجت يوما من ادارة المهاجرة فرايت حديقة واناسا يروحون ويجيئون ٠ ثم تقدمت قليلا فعثرت على دكان بائع دخان فاشرت اليه ان يعني دخانا فناولني ورقة من «النايفي توباكو» فاخذتها الى رفقتي مسرورا ولا سرور كولمبس ورفقته عند رؤيتهم اليابسة ابان اكتشفوا

اميركا · فلما راى ارفاقي الدخان سروا سرورا لا مزيد عليه · وبعد مرور ثلاثة اسابيع على مكوثنا في ادارة المهاجرة اخرجت من جيبي «الورقة الصغيرة » واريتها لاحد الموظفين هناك واسمه المستر ادمس وهو لم يزل في ادارة المهاجرة حتى اليوم · فاخذها مني ومن رفقائي وابدلها لنا بغيرها واوفد معنا رجلا اوصلنا وامتعتنا الى محطة سكة حديد بنسلفانيا لكي نسافر الى فيلادلفيا · فسار بنا القطار بعد الساعة الحادية عشرة من مساء ١٧ كانون الثاني سنة ١٨٨٥ · و كان وصولنا الى فيلادلفيا صباح الغد نحو الساعة الثانية ونصف صباحا فخرجنا من المحطة و كان الجليد مغطيا الارض والبرد قارسا جدا فالتقانا احد رجال البوليس وقال لنا بالاشارة سيروا مسافة ميل من هنا فتجدوا بوليسا اعطوه هذه البطاقة ودفع الينا ورقة علمنا بعدئذ انه مكتوب فيها كل من يعرف محل اقامة (الارب)العرب فليدل هؤلاء الغرباء عليهم · فما مشينا بضع خطوات حتى زلقت رجل جرجس مكربل فسقط على الارض وشرع يصرخ ويستغيث فتقدمنا منه وانهضناه وسرنا الهوينا الى ان اجتزنا المسافة التي اخبرنا عنها البوليس المار ذكره فالتقينا بالبوليس الذي قال لنا عنه فقال لنا هذا ان تسير ايضا مسافة نصف ميل فنجد بوليسا اخر يخبرنا ماذا نفعل فلما التقينا به اشار لنا ان اتبعوني فتبعناه فدخل بنا حانوت رجل ايطالي فاجلسنا ذلك الطلياني قرب الوجاق مدة ثم اوما الينا ان نتبعه فتبعناه فادخلنا الى غرفة لا شيء فيها من الاثاث ولا وجاق ولاشيء آخر يقينا قرصات البرد · ففرش كل مناما يحتمل من اغطية وغيرها ونمنا على الارض وبعد قليل شعرنا بقرص البرد وصارت جسومنا تتخدر فقمنا مذعورين لا ندري ماذا نفعل فنهض احدنا امين سلوم ورفس الباب برجله وصار يشتم ويصيح فاستفاق الطلياني وامراته من نومهما مذعورين وظنت الامراة ان لصوصا دخلوا الدكان للسرقة ولكن زوجها اعلمها بانه وضع في الغرفة الفارغة اربعة غرباء اتوه في ساعة متأخرة فتناولت عصا وشرعت تضربه بهاوتوبخه على قسوته بوضع

أولئك الغرباء «الكاثوليك» في ذلك المكان البارد ثم فتحت الدكان واشعلت نارا ونقلتنا مع زوجها الى ذلك المكان الدافىء حيث بقينا الى ان اشرق الصباح فخرجنا نلتجول في المدينة لنتفتيش على من يتكلم لغتنا ٠ فما ابتعدنا قليلا حتى صادفنا يهوديا لا يحضرني اسمه فقال لنا بالعربية «من اين انتم» فلا تسل عن مقدار الفرح الذي استحوذ علينا عندما راينا شخصا يكلمنا بلغتنا فامسكنا به كل من جانب وقلنا له لا نتركك ما لم تدبر لنا مكانا للسكن او تهدنا الى ابناء جلدتنا ٠ ثم سألناه من انت فقال انا يهودي من القدس ٠ وقال لنا هاتوا امتعتكم واتبعوني ففعلنا فسار بنا الى نزل بادارة رجل ايطالي واستأجر لنا فيه غرفة فيها اربعة اسرة بسعر ربع ريال السرير الواحد في الليلة الواحدة وبتنا نأكل خبزا وحليبا في الصباح وخبزا وسردينا عند الظهر والمساء مدة شهرين ولم يمكنا مشترى شيء اخر في كل تلك المدة ٠ وبعد ذلك خرجت من باب النزل فرايت الناس في الشارع يسيرون فتبعتهم اتفرس في وجه كل منهم علّه يكون سوريا ام عربيا ولاحظت ان كثيرين من المارة يدخلون مطعما هناك فمررت من امام ذلك المطعم واستنشقت رائحة الطعام فتحركت بي الشهية وكنت لم اذق طبخا منذ عدة اشهر ٠ فسولت لي النفس الدخول الى المطعم وصرت اتردد في الامر واتذبذب خشية ان اخالف عوائد القوم واخيرا دخلته وجلست الى احدى الطاولات قبالة رجل رايته يأكل «بيف ستو» وهي يخنة لحم وبطاطا فتقدم الي احد خدام المائدة وسألني ماذا تريد ان تأكل فاشرت الى الجالس تجاهي وقلت مثل هذا ٠ فذهب واتاني بصفحة ملآنة من اليخنة وخبزا وفنجان قهوة واخذ مني ثمن الجميع خمسة سنوت ٠ فالتهمت الجميع بكل شهية وما فرغت من الاكل حتى هرولت راكضا الى رفقتي واخبرتهم «باكتشافي هذا الجديد» وكانوا انئذ يتناولون طعام الغذاء المعلوم اي «خبزا وسردينا» فلما سمعوا ما اخبرتهم به تركوا طعامهم وذهبوا معي مسرعين الى المطعم المذكور فاجلستهم على الطاولة وطلبت

لهم اكلا من نفس الذي اكلته انا فاكلوا وسروا جدا وعدنا الى نزلنا عند الايطالي ودمنا على تلك الحالة مدة خمسة اشهر الى ان كادت تنفد دراهمنا وكنا كل ليلة نظير النبي داود «نبل فراشنا بدموعنا» وننظم مع ارميا النبي المراثي الشجية لحالتنا وهجرتنا وفي ذات يوم بينما كنت مارا في احد الشوارع رايت رجلا يبيع سلالا فخطر لي ان اشتري سلة فاشتريت · وفي الغد وضعت في تلك السلة قسما من السلع التي استحضرناها معنا من فرنسا ومشيت في السوق مسافة فما صادفت احدا يبيع بسلة نظيري فظننت انهم ربما في هذه البلاد لا يبيعون في الاسواق · فرايت قطار الشارع (ستريت كار) مارا فركبت به الى اخر مسيره وهناك قال لي السائق ان انزل فنزلت وماسرت خطوات قليلة حتى رايت يهوديا يحمل رزمة على ظهره فخلته بائعا وكان كذلك فتتبعت اثره حتى صرت على مقربة منه · فرايته قد تقدم من احد البيوت وبعد ان رفع قبعته حيا السيدة صاحبة المنزل وقال «دويوونت توبي اني ثن توداي» ففهمت من القرينة انه يسألها اذا كانت تريد مشترى شيء منه فجلست اردد تلك العبارة «بي صم تن توداي» ثم كتبتها باحرف عربية الى ان حفظتها جيدا وشرعت اجول بين البيوت فبعت ذلك النهار بعشرة سنوت · فرجعت الى النزل فوجدت رفقتي الثلاثة بانتظاري ليروا «كيف وجدت اميركا» فاخبرتهم اني بعت بعشرة سنوت فما سمعوا ذلك مني حتى ابتدات المناحة واجهشوا بالبكاء وشتم الساعة التي صادفت فيها الاميوني ولحوا القهوجي الذي اشار علينا بالسفر الى اميركا بلاد الذهب وبتنا ليلنا كاسفي البال مكسوري الخاطر وفي الصباح حملت سلتي وجلت مدة في السوق فصادفت يهوديا يحمل على صدره طبقا عليه بضائع خردة (نوشن) متعددة فتتبعته الى ان دخل احدى الحانات «صالون» فباع فيها باربعة دولارات وربع . فبعد ان خرج اليهودي فتحت انا بضاعتي وهي مصوغات نحاسية «جولري» فبعت منها بريالين ونصف · ثم خرجت من تلك الحانة

جذلا ودخلت الى غيرها فبعت فيها ما تيسر وما زلت انتقل من حانة الى اخرى الى الظهر فبلغ ما بعت به تسعة ريالات وربع وكانوا كلما اعطوني دولارا ورقيا ابدله بدولار فضي خشية ان يكون الورق مغشوشا ثم ركضت الى ارفاقي لابشرهم بان اميركا «عال» فلما اخبرتهم بنجاحي المذكور لم يصدقوا حتى تناولوا الدراهم وعدوها بايديهم على الطريقة التوماوية عند ذلك ايقنوا بصحة الخبر وطلبوا الي ان ابتاع لكل منهم سلة ففعلت وصرفت كل السهرة اعلمهم كيفية المبيع وافيدهم بما استفدت فاولا مطارحة السلام «كود مورنن» ثم «بي صم تن توداي» وما زلت القنهم تلك الامثولة حتى استظهروها جيدا ·وفي الصباح تفرقنا للمبيع ثم عدنا مساء وكل يخبر الاخر بما صادف من النجاح فكان بيع كل من ارفاقي يتراوح بين الريالين والثلاثة يوميا اما انا فما كان ينقص بيعي عن السبعة دولارات في اليوم ولكن ذلك السعد لم يخدم طويلا فان احدنا جرجس مكربل امسكه البوليس في جرمن تون لانه لم تكن معه رخصة للمبيع « ليسن » والقاه في السجن ولا يمكننا التعبير عن المتاعب والمشقات التي عانيناها في سبيل معرفة مقره الى ان عرفنا بعد اسبوع انه في السجن وقد صرف تلك المدة بدون اكل او شرب حتى كاد يموت جوعا فاخذناه من السجن وهو في حالة محزنة وبقينا مدة نعالجه فلم يكن يستطيع ان يبلع حتى الحليب الذي كنا نضعه في زلعومه فيتقيأه ·ولما صار قادرا على السفر حضرنا الى نيويورك وفيها التقينا بعدد من اولاد الوطن وكلهم «تجار» اما البضائع فهي مسابح وكتب صلوات وصلبان وايقونات وما شاكل ذلك · وكان مجموع التجار السوريين في نيويورك عام ١٨٨٥ خمس عشرة «سلة» ومن جملتهم سليم الغز الذي كان يشتغل بنقل الفحم فاشرت عليه ان ينضم الى عدد التجار ففعل

فمن هذا الخبر يعلم اللبيب ما كابده المهاجرون الاولون من المشقات والاتعاب

التي لو دونت كلها او بعضها لشغلت مجلدات كبيرة غير ان النجاح الذي صادفه معظمهم انساهم ذلك العناء والشقاء

وكلما كان يكثر عدد المهاجرين كان يكثر عدد الباعة لان البيع الشغل الوحيد الذي باشره السوريون في اول هجرتهم ٠وصاروا يضعون البضائع في صندوقة صغيرة اطلقوا عليها اسم كشة وضربوا في عرض البلاد وطولها يبيعون سلعهم ومـــازاد من الدراهم عن مصروفهم الضروري كانوا يرسلونها الى بلادهم وغالبهم يبتاعون املاكا بها ٠ولما وفر عدد «الكشيشين » اقتضت الضرورة الى وجود مخازن تجارية فصار بعضهم من نزلاء المدن يفتحون «ستارات » او يضعون البضائع في غرفة حيث يقطنون ويرسلون بضائع للباعة في الداخلية

اما قصص ونوادر الباعة الذين كانوا يجهلون لغة القوم وكيفية مخـــالطتهم للامير كان فمما يطول شرحه وهو في غاية الغرابة وعلى جانب من الفكاهة ٠غير ان بعضهم اساؤا فهم معنى الحرية فتطرفوا فيهـــا حتى جروا عليهم وعلى بني وطنهم نقمة الوطنيين وسخطهم

وقد عمل السوريون بجد واجتهاد وطافوا في سائر الانحاء يتاجرون ويكسبون غير مبالين بما يعتريهم من الصعاب او يعترض سبيلهم من العقبات فلم تمر سنون معدودة حتى وفر المال بايديهم وارتقت مدارك الاكثرين فوجدوا ان الكشة احط من درجة تقدمهم فعدلوا عنها الى مايقاربها وهو «جزدان الحرير» الذي ابتدءوا ان يبيعوا فيه البضـــائع الاسلامبـــوليـــة والمطرزات الشرقيـــة وتدرجـــوا منهـــا الى الخـــرج النحيف والمطرزات الاروبية واليابانية وغيرها ومازال الجزدان والكشة ركن التجارة السورية على رغم انصراف جمهور من المهاجرين الى الاشتغال في المعامل والزراعة وغير ذلك

اما طرق معيشتهم في الدور الاول من مهاجرتهم فكانت بسيطة للغاية فكانوا يسكنون خمسة وعشرة او اكثر في بيت واحد وفي اوطى الشوارع واوسخها نظرا لرخص الاجرة ٠وقد ارسلوا يستجلبون من الوطن ما يلزمهم من المأكولات الشرقية فنتج عن ذلك افتتاح السمانة السورية وبتوالي الايام غدت ركنا مهما من اركان التجارة السورية

وقد اقتصرت تجارة السوريين في بدء عهد هجرتهم على بعضهم فالواحد يستجلب البضائع المختلفة ويبيعها على زبن له من الباعة وعلى هذا كانت قائمة تجارتهم واما في الدور الحاضر من هجرتهم فقد اختلطوا بالوطنيين في المعاملات سيما بعد افتتاحهم مصانع الكيمونا واستجلابهم المطرزات الكتانية من اوروبا وغير ذلك وهنالك عدد من حوانيت باعة الثمار والسمانة والملبوسات وما اشبه ونفر من الموظفين في وظائف مختلفة ٠ومنهم من يستجلب ويبيع السجاد التركي والعجمي والاشياء النحاسيــة والخشبية ٠ومنهم اصحاب معامل مطرزات جميلة تدل على حذق عظيم وفطنة فائقة ومنهم من يعمل غير ذلك فتنوعت اشغالهم وتعددت موارد رزقهم

هذا خص اوصف السوريين واحوالهم في بدء هجرتهم الى الديار الاميركية وفي الفصل التالي نبحث فيه عنهم وقد تقدموا شوطا بعيدا في ميدان التجارة والحضارة والآداب وغير ذلك حتى ضارع عدد كبير منهم الاميركيين بل ان بعضهم فاقوهم بذخا واسرافا

الفصل السادس والثمانون

السوريون باميركا

السوري ذو ذكاء فطري شهد له به القاصي والداني وهو جواد كريم وودود طيب القلب حسن الصفات في الغالب ذو شهامة ومروءة واخلاص ما خلا بعض افراد خلقوا ليكونوا صغارا ذميمين ولا مشاحة فلكل قاعدة شذوذ · والسوري عزيز النفس ابيها لا يصبر على الضيم ولا ينوء للجور والعسف اذا اتيح له التملص منهما صبور على الشدة وغير يئس · ذو اقدام وهمة شماء لا تصده عن ادراك وطره عقبات ولا تفل عزيمته النائبات · وهو اينما حل شامة في جبين الاهلين وعبير صفاته يضوع الارجاء انظر اليه في مصر يقود الراي العام واليه المرجع في الادبيات وغيرها وهو زعيم في التجارة والثراء وفي السودان يشغل المناصب العليا حتى ان الحكومة الانكليزية تفاخر بوجوده في عداد عمالها وموظفيها ويشهد له رجالها بطول الباع والمقدرة العقلية وبانه ليس كفوء له سوى الانكليزي وهاك كتاب اللورد كرومر عن وادي النيل وسكانه اعظم دليل على صحة هذا القول · وانظر اليه في اوروبا واميركا وفي كل بقعة من المعمور هاجر اليها اعزل لا قوة له غير عقله ولا سلاح سوى مضاء عزيمته لا حظه يشق عباب اليم ويدخل اسواق التجارة في سائر البلدان والامصار فترتجف عزائم الاجنبي امام

قوته ويخور عزمه امام حنكته ودربته ٠ وما الضجة العظيمة التي قامت ضد السوري في مهاجر مختلفة الا دليل قوته ورهبة الاجنبي اياه اذ لا يستطيع مباراته في حلبة التجارة وميدان العمل ولا في السياسة او العلوم او الفنون اذا تيسر له الاغتراف من مناهلها وكم سمعنا تصريح الاساتذة في كل صرح علمي ولجه السوي بانه اذكى وانجب الطلبة في ذلك الصرح وكم خرج السوري من ذلك المعترك العلمي مبرزا على اترابه وممتازا عن ارفاقه ولابسا اكليل الظفر الذي ضفرته له يد الاجتهاد وحاملا قصب السبق بفضل جده ومواظبته وفطنته ٠ وهوذا قرارات مديري المدارس العمومية السنوية في سائر الولايات المتحدة شاهدة على صدق هذا القول ٠ سل كل امة تحت الشمس خبرت السوري وعرفته كما هو وليس كما يرجف عنه اخصامه وبعض المرسلين لغايات ومآرب شخصية ترَ الشهادات متفقة على انه انبه واذكى واكرم من يعيش على وجه الغبراء ٠ قال لي احد قسس الاميركان مرة وهو من المعجبين بنشاط السوري واجتهاده «انني لا اتعجب اذا رايت رئيس الولايات المتحدة سوريا بعد مضي خمسين سنة اذا دام السوري على ماهو عليه من الاجتهاد والنشاط والتقدم السريع» وبالحقيقة ان السوري يدرك في ديار الغربة بمدة عشرين سنة ما لا يدركه غيره بخمسين او ثمانين سنة والعيان افضل شاهد ٠ خذ الجوالي الاجنبية مثلا في اميركا وقابلها مع الجالية السورية فيها وقابل الوقت بين مهاجرة الفريقين يتضح لك ان السوري فاق الجميع وادرك بزمن قصير ما لم يدركوه هم بعشرات السنين ٠جل في هذه البلاد العظيمة وادخل المدن التي فيها سوريون وادرس احوالهم التجارية والادبية والسياسية وانظر ما لهم من العقارات والاملاك والابنية الفاخرة والنفوذ لدى كبار الرجال ينجلي لك صدق هذا المقال وقد احسن الشاعر حافظ افندي ابراهيم بوصفهم اذ قال

لم تبدُ بارقةٌ في افقِ منتجعٍ　　　الاّ وكانَ لها بالشامِ مرتقبُ

رادوا المناهل في الدنيا ولو وجدوا ... الى المجرة ركباً صاعداً ركبوا
او قيل في الشمس للراجين منتجعٌ ... مدوا لها سبباً في الجوّ وانتدبوا
بارض كولمب ابطـالٌ غضارفـة ... اسد جياع اذا ما ووثبوا وثبـوا
لم يحمهم علمٌ فيهـا ولا عددٌ ... الا مضاءٌ تحامى ورده النـوب
اسطولهم امل في البحر مرتحـل ... وجيشهم عمـل في البر مغترب
لهم بكـل خضم مسرب نهـج ... وفي ذرى كل طود مسلك عجب

والسوري بالحقيقة نابغة دهره بذكائه واقدامه فلا تردعه المتاعب عن تذليل المصاعب ولا تصده العقبات عن بلوغ الرغبات · وكم انتابته المحن والصروف والنكبات في ديار هجرته فما انثنى عزمه ولا حنى لها ظهرا بل زاد بها قوة على العراك في حلبة السباق الاجتماعي وزادت قدمه ثباتا في ارض يجهل لغة اهلها وعاداتهم وطرق معيشتهم وما انفك يعمل بنشاط عظيم وعزيمة لا تفلها حجافل المعاكسات حتى جعل القوم في كل بقعة احتلها يجلون مقامه ويعتبرون ما به من الصفات الكريمة ويعجبون بثباته ويتمثلون بحزمه واقدامه

وقد امتاز السوري بانفته وعزة نفسه · قرات محاضرة لاحدى السيدات الاميركيات القتها في مدينة بوسطن من ولاية مساتشوستس عن المرأة السورية ومما جاء فيها قولها «المراة السورية ذات انفة وعزة نفس فهي تأبى الخدمة في البيوت وتفضل ان تحصل خمسة دولارات بكد يمينها على عشرة بخدمة البيوت » ·يدلك على انفة السوري وعزة نفسه انك اذا تعهدت بيوت الفقراء والملاجيء الخيرية في هذه البلاد ورايت الوف الالوف يتواردون اليها من كل امة تحت الشمس تعجب من عدم روءيتك سوري واحد بين عشرة الاف تطمح به نفسه الى التسول او طلب الصدقة من البيوتات الخيرية وقل من منهم يدخل المستشفيات المجانية اذا داهمه مرض اوحلت به كارثة · اما عن

الكرم السوري وحسن الضيافة واكرام الضيف وبذل ما عز وهان في سبيل الاحسان والمشاريع الخيرية فحدث عنه ولا حرج وقد اشتهر السوري بها حتى صارت من صفاته الغريزية · والسوري نزوع الى السلام والسكينة اكثر منه الى الشجار والخصام خلا ما يقتضي للذوذ عن حياضه وصيانة شرفه الرفيع من الاذى · واذا زرت السجون لا تجد فيها من السوريين الا نادرا

وفي السوري مزية تساعدة على النجاح وتقدره على الفلاح في ديار الغربة وهي انه مع نشاطه وثباته وذكائه على ما ذكرنا لدن الخلق يسهل انطباع العادات الجديدة في نفسه فتراه اذا اقام في فرنسا مثلا تخلق باخلاق الفرنساويين وتكلم لغتهم وتزيا بزيهم وتعود عاداتهم حتى يخيل لك انه واحد منهم · واذا اقام في اميركا او غيرها تخلق باخلاق سكانها حتى تشك اذا عاشرته او عاملته في انه وطني بحت

غير ان هذه المزية هي ايضا من البواعث المؤدية الى ضياع الجنسية وهي التي يخشى على السوريين في اميركا منها وقد بدت طلائع الاندماج بالاميركيين تبدو فيهم وذلك خير لهم وابقى اذا كانت دولتهم العثمانية ستبقى على ما وصفنا ولا امل باصلاحها

ولقد نزح السوري الى اميركا فارغ الوطاب رث الثياب غير ان النشاط ملء اهابه والاقدام رائده وشعلة الذكاء متقدة في دماغه · وقد هجر وطنه وفارق اهله واخدانه سعياً وراء الرزق او تخلصا من الجور والظلم · جاوءا ديار الغربة واكثرهم لا يعرفون لغة البلاد ولا عادات اهليها ولكنهم اضحوا بعد قليل بفضل كدهم وجدهم يسابقون اهل البلاد في ميادين التجارة والزراعة فانشاوءا المخازن وابتاعوا العقار في ديار هجرتهم ولم يمض عليهم اعوام كثيرة حتى اتسعت تجارتهم ونمت ثروتهم وبعدت شهرتهم كما سيجيء

وليست اميركا وحدها مهجر السوريين فان منهم الوفافي اوستراليا وتسبانياونيو زيلاند وجزائر المحيط وفي شرقي افريقيا وجنوبيها وفي اليابان والصين والهند وبلاد فارس فضلا عن ممالك اوروبا وهم على ما وصفنا من الصفات الحميدة الا شذوذا لان من اضله الله فما له من هاد

وكما ان للسوري حسنات فله ايضا سيئات وتقصيرات نظير غيره من البشر اذ العصمة والكمال لله وحده ذي العزة والجلال · فمواطن الضعف في السوري ادعاؤه الفارغ احيانا كثيرة فقد يدعي القوة وهو ضعيف والثروة وهو فقير والمعرفة وهو جاهل والعظمة وهو ليس عظيما والتدين وقد لا يكون على شيء من الدين او يتلبس به لمأرب ما·وتنقصه فضيلة الاتحاد · فالسوريون اقوياء بافرادهم ضعفاء بمجموعهم ·فلو وجدت فيهم فضيلة الاتحاد لا ضحوا قوة يخشى بأسها وجعلوا العالم باسره يشعر بتلك القوة · ومن معايب السوري محبته التفوق والرئاسة فكم قام بين ظهرانينا زعيم وكم رددت الجرائد الاميركية اسماء «نسل ملوك وامراء سوريين» ولا نخلو من الرياء الذي هو آفة الشرقيين عموما فقد نظهر غير ما نضمر والتحاسد وهو آفة العمران فاذا راينا احدنا معرجا في سلم الارتقاء نحاول غالبا انزاله بدلا من اسناده ليداوم الصعود ·وقد نفوت الحد المعين لتقايد فتقلد السوى في كل الامور والعادات سواء كانت صالحة او قبيحة بدلا من ان ننتقي الصالح ونتجنب الضار · وغالب السوريين في المهجر يمدون ارجلهم على اكثر من قدر بسطهم فقد ينفق احدهم كل مدخوله واكثر وهذا جهل فاضح وشر من التقتير ولا نريد وضع كل اللوم بذلك على السيدات اللواتي قد افرطن في الزينة والملابس الفاخرة والاطعمة الانيقة حتى وضعن على ازواجهن حملا ثقيلا لان الرجال لا يخلون من اللوم لانصياعهم لارادة غير الحكيمات من النساء

ومما يحزن قلب كل سوري محب لبني وطنه روءيته الرجال والنساء من السوريين يسيئون فهم معنى الحرية فتكون لهم كالسلاح بيد الولد لايحسن استعماله فيوءذي به نفسه فهنالك والد غادر امراته واولاده وساكن امراة غريبة وهناك امراة داست العهود الزوجية برجليها وضربت بالشهامة عرض الحائط فتركت زوجها الشرعي والتصقت باخر ولو اردنا الاسهاب في هذا الامر فلربما يشط بنا القلم الى ذكر ما نتحاشى ذكره فنقف عند هذا الحد ٠ولو لم نكن نكتب للتاريخ ونصف السوري وصفا حقيقيا كما هو في ديار هجرته لا غفلنا امورا كان اغفالها خيرا من ذكرها

ومن العوائد القبيحة التي الفها السوريون في المهجر اسراعهم لفك رباط الزواج الناموسي بالتجائهم الى محاكم الطلاق لغير اسباب موجبة احيانا ٠ومع كرهنا الشديد للقسوة على النساء وسوء معاملتهن لا يمكنا الانكار ان كثيرات من النساء السوريات قد تعدين حدودهن بحجة انهن يعشن تحت سماء الحرية ٠على اننا نتعزى عن ذلك بانه توجد بيننا نساء صالحات هن قدوة في الفضل والنبل ومعرفة ما عليهن من الواجبات ومالهن من الحقوق ٠ كما ان عدد رجال الفضل والادب وافر والعائلات العائشة بوئام وانفاق وسيرة حسنة كثيرة والحمد لله ٠وتتلالا الفضائل والاداب في صروحهم ومنازلهم

وقد يكون اكبر باعث على الامور المذكورة السماح للمراة بالتجول للبيع ومعاشرة من لا تصح معاشرتهم فتنطبع في نفسها صور امور تكون نتيجتها شرا ووبالا ٠ فالسورية كانت وراء الحجاب فاطلاق الحرية التامة لها قد يوءذيها كما توءذي عيون من ينتقل من الظلمة الدامسة الى النور الساطع

اما العواطف الدينية بين السوريين اجمالا فهي فاترة ولذلك اسباب جمة لا نريد تفصيلها اهمها ان الدين يريد ايقاف الانسان عند حد معلوم بحيث تكون كل اعماله

وتصرفاته «في النور» ولكن بعضهم يرغبون ان تكون «في الظلام» ولا يرغبون في وجود رادع او وازع اذا هم ارادوا اطلاق العنان لاميالهم ونفسانياتهم على ان كثيرين لا يزالون معتصمين بالدين غيورين على طقوس ابائهم واجدادهم كما تشهد بذلك الكنائس التي شادوها في ديار هجرتهم كما سيجيء

بقيت هنالك بعض معائب في السوري المهاجر ضربنا صفحا عنها حبا بالاختصار ولانها شائعة وعامة • ولكن ليس السوري منفردا في النقص والضعف فكل امة تحت الشمس لها معائب ونقائص تختلف في الامة الواحدة عما هي في الاخرى كاختلاف حسنات شعب عن غيره والكمال ليس من خصوصيات الانسان المحدود

من ذا الذي ترضي سجاياه كلها كفى المرء نبلا ان تعد معائبه

—(عدد السوريين في الولايات المتحدة)—

ذكرنا في الفصل السابق ان المهاجرة ابتدات تدريجا وان المهاجرين الاولين كانوا يسعون باستجلاب ذويهم واصحابهم المتخلفين في الـــوطن ويسيرونهم على نهجهم فيربحون منهم ويكونون واسطة لربحهم ايضا فعلى تمادي الايام كثر عدد المهاجرين حتى انه بلغ خمسة الى ستة الاف في السنة • غير ان للمهاجرين الاولين فضلا على المتأخرين لان اولئك كانوا ممهدين معمرين فاوجدوا من العدم مركزا وذللوا صعابا وتكبدوا مشقات عظيمة فجاء الاخيرون ينتفعون من اتعابهم ويجتنون من غرسهم فلم يعد المهاجر موءخرا يتكبد مشقة او يصادف عناء لانه عند وصوله يحيط به اقاربه واخدانه واولاد بلدته فلا تمر ايام طويلة حتى يجدوا له عملا يرتزق به • ويعسر احصاء عدد السوريين في الولايات المتحدة لعدم وجود ضابط لذلك غير انهم يقدرونهم بمائتي الف نفس متوزعين في جميع انحاء البلاد وضاربين في جبالها وحزونها وسهولها

ووهادها حتى انك لا تكاد ترى مدينة او بلدة خالية منهم ونحو خمسين بالمئة منهم متجنسون بالجنسية الاميركية

—(تجارتهم)—

ذكرنا ان السوريين مذ وطئت اقدامهم هذه البلاد لم تمل نفوسهم للاشتغال بغير التجارة او تنصرف انظارهم الا اليها · ولا غرو فانهم بنو بجدتها وعمادها منذ القدم على ما ابنا سابقا · وقد ابتدات تجارتهم صغيرة واخذت بالنمو والازدهار بفضل حزمهم وكدهم حتى بلغت شأوءا يذكر · غير انهم لم يأخـذوا للامر اهبتـه وذهلوا عن الـ..ر في دفع الاضطرار في التجارة واغفلوا الاهتمام بما يكون ضمانة لمصالحهم وصيانة لتجارتهم التي لم تكن على قواعد تجارية رسمية من مثل الدفع والقبض والاخذ والتسليم في اجال مضروبة واوقات معينة اسوة ببقية التجار الاصوليين فنكبت تجارتهم بعوارض مهلكة · وقد اقدم بعضهم على التجارة عن غير جدارة ودخلوا الميدان التجاري من غير بابه فكانت تجارتهم خاسرة · وجنـوا على انفسهم وعلى غيرهم

وقد اكثر التجار السوريون من «خصم الاوراق» فغدت تجارة كثيرين وهمية وراسمالهم هوائيا · فلما حان وقت الدفع اشهروا افلاسهم · فتضرروا واضروا بغيرهم · ومنهم من كان واسع الذمة متخدر الضمير فجمع ما قدر على جمعه وغادر ديار هجرته غير مأسوف عليه مخلفا الخسارة لعملائه والاسم السيىء لبني وطنه · ومنهم من افلس احتيالا اذ سولت لهم نفوسهم والنفس امارة بالسوء فابتلعوا ما ليس لهم واستحلوا الاموال المحرمة ومنهم من افلس رغم انفه بسبب تراكم الديون له وعليه واضطراره الى دفع هذه وعدم تحصيل تلك

ويمتاز السوريون بحسن معاملتهم للاجانب وسوء معاملتهم مع بني جنسهم · فاذا ابتاعوا

من الاجنبي دفعوا له في الغالب لدن الاستحقاق واذا اشتروا من وطنيهم ماطلوا في الدفع وسوفوا ما استطاعوا الى ذلك سبيلا ومنهم من لايدفع الا «غب التصريف» او «غب التوفيق» ولا يخفى مافي ذلك من تدقير الاشغال وعدم الانتظام فلا تسير الاعمال على طريقة تكفل الربح ٠غير ان كثيرين انتبهوا للاضرار المذكورة فتمشوا على طرق التجارة القانونية فكانوا من الرابحين

والذي كان يضر بالتجارة السورية اقتصار المعاملة على السوريين فقط واما الآن فقد تبدلت الحالة السابقة وصارت محال السوريين بين الاميركيين اكثر من ان تحصى من كل نوع تقريبا فمنهم اصحاب مصارف وتجار بالجملة يستجلبون بضائعهم من اوروبا وغيرها ومنهم اصحاب املاك واسعة ومنهم من يصدرون ويصطنعون بضائع متعددة ومنهم من يحترفون حرفا مختلفة كالطب والمحاماة والصيدلة والصحافة والفنون الجميلة ونحو ذلك كما ستراه مفصلا ومنهم من اشتغلوا بالزراعة فاصبحوا ذوي ثروة تذكر

ولا يخفى ان مدينة نيويورك هي مركز تجارة العالم فهي بلا شك مركز تجارة السوريين ايضا وتجار نيويورك هم المحور الذي تدور عليه تجارة السوريين كافة في سائر انحاء اميركا ٠ فتاجر الداخلية يعتمد على تاجر نيويورك في مسواق بضائعه المختلفة وهذا يبيعها من اولاد وطنه ومن الاميركيين ٠ وفي نيويورك محلات تجارية عديدة من كل الانواع التي ذكرت واخص متاجرهم اصطناع الكمونا واستجلاب المطرزات الاوروبية والشرقية ومبيع البضائع المحلية بالجملة ٠ وتوريد السمانة الشرقية ولهم عدة معامل للتطريز وغير ذلك ٠اما المحلات التي يمكن لتجار الداخلية وغيرهم اعتمادها في نيويورك فترى اعلاناتها ظاهرة على صفحات هذا الكتاب وكل من اصحابها ثقة وذوامانة وصدق معاملة واستقامة وغيرة وطنية وتجب مناصرته

وكل من تجول في الداخلية ورأى تقدم السوريين التجاري ومحلاتهم الجميلة المملوءة باصناف البضائع المختلفة ومخالطتهم الاميركان في المعاملة يسر لرقي بني وطنه وتقدمهم وفلاحهم · وكان يسرنا ان نذكر اشهر محلات الوطنيين في الداخلية لو ان اصحابها لبوا طلبنا وارسلوا الينا باسمائهم ومحلاتهم التجارية وغير ذلك

وعلى الجملة فان تجارة السوريين في الولايات المتحدة تعد ناجحة اذا اعتبرنا الوقت القصير الذي تمشت فيه على قواعد تجارية · وهي مازالت تحتاج الى التهذيب والاصلاح والايام كفيلة ذلك فاذا ارتقت تجارة السوريين الى مباراة السوى من الشعوب الاخرى كان للسوري شان يذكر في هذه البلاد العظيمة وليس ذلك عظيما على مواطنينا وحميتهم واجتهادهم

—(املاكهم)—

عندما قلع السوري من تربة دماغه فكر العودة الى الوطن في القريب العاجل او لما ادرك ان وطنه القديم لا يحتمل المقابلة مع وطنه الجديد وان الاول هو بالحقيقة شبه وطن وليس وطنا ورأى ان مستقبله ومستقبل اولاده في هذه الديار مجيد شرع يشتري املاكا من بيوت ومزارع حتى صارت املاك السوريين تقدر بملايين الدولارات ·ومنهم من انقطع الى التجارة بالاملاك والعقارات ·وغالب تجارنا في نيويورك والداخلية يسكنون في بيوت خاصة بهم ·وفي نيويورك عدد من ذوي الاملاك الذين تقدر املاكهم بعشرات بل بمئات الوف الدولارات كدانيال افندي فاعور واخوانه الذين تقدر الحكومة املاكهم بستماية الف دولار وتاخذ منهم خراجا على نسبة هذا المبلغ وتامر افندي كنعان معلوف وابراهيم افندي سعاده واخوانه تجار السمانة ونعمه افندي تادرس تاجر السجاد المشهور واخيه طانيوس افندي وقد مر ذكره وشريكه جرجي افندي عكاري المعروفين · وامين افندي مرهج صاحب التجارة

الواسعة وخليل افندي سيدة التاجر المعروف وحنا افندي مبارك واولاده تجار سمانة مشهورين أيضاً وغيرهم كثيرين ممن لا يسعنا المقام تعدادهم

—(احوال معيشتهم)—

الكرم في السوري سجية · فهو في الغالب ذو بذخ واسراف · فترى السوريين في المهجر يقطنون في بيوت فخمة مفروشة بالرياش الثمينة والاثاث الفاخر · وهم يأكلون اشهى المأكولات · ويقيمون المآدب ويتبادلون الدعوات وينفقون عن سعة حتى ان الذين نبرا ذهم محنوود تراهم بسعة من العيش وانما كانوا يعيشون بالتقتير قبلاً لانهم كانوا دوما يلهجون بالعودة الى الوطن واحتمال مكاسبهم معهم ليعيشوا فيه بهناء وسلام ولكن لما بدا لهم عدم استطاعتهم السكنى في الوطن القديم على ما شرحنا بسطوا ايديهم وانفقوا في وطنهم الجديد ما كانوا يحلمون بصرفه في اوطانهم الاصلية اما عن تأنقهم بالملابس سيما السيدات فحدث عنه ولا حرج وبعض السوريين قد فاقوا الاميركان بمراحل من هذا القبيل حتى ان بعضهم جاوزوا الحد حتى الى الاسراف · وقد فاق سوريو نيويورك بذلك سوريي الداخلية · اما لجهة العادات والمعيشة البيتية فمنهم من تأمرك بالكلية ومنهم من انتقى من عادات الاميركيين والسوريين ما ظنه الافضل ومنهم من حافظ على القديم في كل شيء فلم تفدهم اقامتهم في اميركا شيئاً حتى انك لتخال اذا مررت ببعض الشوارع التي يقطنها وكانوا يحتفلون بعرس او مأدبة او مأتم انك في سوريا وشر من اولئك الذين تركوا الحسن من العادات السورية وما تعلموا سوى القبيح من العادات الاميركية

—(احوالهم الادبية)—

ذكرنا ان مهاجرة السوريين ابتدأت غالبا بين الطبقة البسيطة · فبعد ان مرت سنون معدودة استتب للمهاجرين الامر وصارت لهم هيئة لها بعض التنظيم شاع ذكرهم

في سائر الانحاء السورية · وسورية على ما لايخفى اشبه ببحر زاخر بالاضطرابات والقلاقل فضلا عن عسر الحال ووقوف الاشغال فرغب في المهاجرة رجال الطبقتين الوسطى والعليا وبعد زمن قصير صار رجال العلم والادب من السوريين في العالم الجديد يعدون بالعشرات وتفرق حملة الاقلام وشبان نهضة الادب في سائر انحاء الولايات فمنهم من دخل الكليات الكبرى لتلقي العلوم والفنون المختلفة كالطب والهندسة والصيدلة والتصوير والموسيقى وغير ذلك فنبغ عدد كبير منهم ونالوا شهرة لدى الاميركان المعجبين بذكائهم ونشاطهم · وعدد منهم تفرغ للتجارة فكان لهم الحظ الوافر من الارباح المادية التي اضافوها الى راسمالهم الادبي فاجتمع لديهم قوتان قوة العلم وقوة المال فجمعوا بين ضدين قط ما اجتمعا اي انهم جمعوا بين العلم والمال ولهؤلاء الادباء اثار تذكر في عالم الادب من صحافة راقية وتصانيف مفيدة ومقالات نفيسة يرن صداها في المعمور واليهم مرجع اكثر الفضل في النهضة السورية الاخيرة الناهضة لمطالبة حكومة الاتراك بالحقوق المهضومة والعمل بمنطوق الدستور وسنأتي على ذكر بعض هؤلاء الادباء واثارهم في ما يأتي

ـ(جرائدهم ومجلاتهم)ـ

لا مشاحة في ان الصحافة هي مرآة اداب الامم المتمدنة ومشكاة اخلاقها وافكارها ومقدار ارتقائها حتى انك لتعلم عن ارتقاء اية امة بنوع الصحافة التي فيها · فالسوريون في ديار هجرتهم انشأوا الصحف السياسية وغيرها والمجلات المفيدة فكانت خير مساعد على تقدمهم ورواج اعمالهم وهي خير واسطة لتعارفهم وترقية شؤونهم الادبية حتى انها كانت كمدرسة جامعة علمت الالوف ما كانوا يجهلونه قبلا ورقت مدارك العامة فصاروا يعرفون عن احوال البلدان والممالك والامور الجارية في الكون وما انتجته العقول الناضجة من الاختراعات والاكتشافات · وهي الصلة بين المهاجرين

والمتخلفين التي تنشر اخبار هؤلاء لاولئك وتنقل للشرق مدنية الغرب وليس من ينكر فضل الصحافة النزيهة الحرة الا كل من طمس الله على عينيه واعمى بصيرته غير ان صحافتنا السورية نظير تجارتنا وسائر احوالنا الاخرى يوجد فيها مجال للاصلاح والرقي ولو لم نكن نكتب للتاريخ لكنا نتحاشى ذكر الامور المحزنة التي حدثت بين السوريين عام ١٩٠٤ وقد اضرت باحوالهم واشغالهم وكبدتهم من النفقات التي لو صرفت في سبيل معهد علمي او اي مشروع اخر مفيد لكانت ابقت لهم ذكرا حسنا خالدا وتلك الاختلافات والاضطرابات جعلتهم عرضة لانتقاد الاميركيين وحكومتهم وجعلت الاسم السوري مضغة في الافواه ومعظم اللوم في ذلك على بعض اصحاب الجرائد وارباب الاقلام لانهم هم اول من اوقد جذوة تلك الخصومات والقلاقل بما نشروه بين ظهراني الجالية من المناظرات العنيفة والمطاعن الشخصية الخارجة عن حدود اللياقة لما تضمنته من الالفاظ البذيئة والعبارات المحشوة بالتعصب وما جرى مجراه مما يثير الضغائن ويهيج الاحقاد ويولد البغضاء بين اولاد الوطن الـواحـد الذين هم باشد الحاجة الى النضام والتكافل في ديار غربتهم . ولو حاكمنا كلا من مسببي تلك الانقسامات لرايناه يلقي التبعة على عاتق زملائه . ومن اقوى الحجج التي يتدرعون بها لدرء التهمة عنهم انهم انما كتبوا مدافعين لامتهجمين . ولو رايت دفاعهم لما الفيته خارجا عن دائرة تعنيف الاخرين عما ارتكبوه من سوء الادب في كتاباتهم وكل يترفع عن انزال نفسه في منزلتهم وقد ترى في خلال عباراته حدة وتسرعا وانانية يستوجب عليها مثل ذلك التعنيف

لا جدال في انه اذا تخاصم اثنان يكون احدهما محقا والاخر محقوقا وتلك اولية لا تحتاج الى اثبات . ولا خلاف في ان بعض تلك الجرائد كانت مهاجمة والاخرى مدافعة واللوم واقع على المتهجم لا محالة . غير ان الراي العام لا يبرىء المدافع كل

التبرئة اذا كان دفاعه عنيفا مثيرا العواطف وحاويا مطاعن شخصية والطعن في اعراض مصونة · فلا يبدأ بنشر تلك المطاعن الا الذين يجهلون اداب الصحافة او يتجاهلونها غير مبالين بحرمتها فالرد الجارح عليهم يزيد سعير حدتهم اضطراما ويوسع لاقلامهم مجال القدح والهجاء فالعاقل من يقابل المطاعن البذيئة بالسكوت فيحفظ كرامته ويخمد نيران النزاع ولا شك ان العقلاء يمتدحون صبره وتعقله واما اذا اجبته بمثل مقاله وكلت له بكيله فانه يزداد حدة وشدة وتطاولا ولا يسوغ الجواب الا في المجادلات العلمية والادبية العارية عن كل صفة شخصية وذلك لتقرير حقيقة او اثبات امر هام مفيد · فجرائد المهجر لو سلمت من التعرض للشخصيات ونهش الاعراض وثلم صيت الاخرين وبخس البعض حقوقهم لكانت تفاخر سائر الصحافة العربية في اقطار المسكونة سيما وان المحيط الذي تعيش به يزيدها قوة واقتدارا على ان تكون راقية مفيدة حرة تصرح بالحق كما يبدو لها وليس من رقابة او ضغط او تسلط ونقول هذا على سبيل التعميم فلا نقصد جريدة معينة او ننتقد واحدة دون اخرى

اما باكورة الجرائد العربية في الولايات المتحدة فهي جريدة كوكب اميركا انشأها المرحوم الدكتور نجيب عربيلي سنة ١٨٩٢ وكانت في بدء عهدها اسبوعية ثم صارت يومية وهي الان محتجبة · ونثبت هنا اسماء الجرائد العربية الحية في الولايات المتحدة واسماء اصحابها واوقات صدورها وذلك بحسب تاريخ انشائها

اسم الجريدة	اسم صاحبها	اوقات صدورها	مكان صدورها
الهدى	نعوم مكرزل	يومية	نيويورك
مرآة الغرب	نجيب دياب	يومية	نيويورك
الدليل	اسعد ملكي ونجيب بدران	نصف اسبوعية	نيويورك
المهاجر	نسيب كرم	نصف اسبوعية	نيويورك

الارتقاء	انطون ززيق	ثلث اسبوعية	نيويورك
البيان	الشيخ سليمان بدور	اسبوعية	نيويورك
الاتحاد	يوسف وفيليب الخوري ابرهيم	نصف اسبوعية	نيويورك
السائح	عبد المسيح حداد	نصف اسبوعية	نيويورك
العالم السوري انكليزية	سليم يونس	شهرية	بوسطن

اما المجلات العربية الحية فهي

مجلة الكلمة للسيد رفائيل هواويني • ومجلة العالم الجديد للسيدة عفيفة كرم ومجلة الصحة ليوسف يرودي ومجلة الفنون لنسيب عريضه

اما الجرائد العربية التي انشئت في الولايات المتحدة في اماكن واوقات مختلفة واحتجبت فهي كوكب اميركا للمرحوم نجيب عربيلي • الايام ليوسف نعمان المعلوف العالم لجورج جبور • الاصلاح لشبل دموس • المشير لسليم سركيس ثم اوقفه وانشأ جريدة الراوي • الاقبال ليوسف صليبا صدرت اولا في لورنس من ولاية مستاشوستس وتولى تحريرها غصن غصن ثم سليم سركيس ثم اشترتها شركة مساهمة في بوسطن ودعوها البستان • الصخرة للمنسنيور جبرائيل قرقماز • الوفا لجمعية الشبان الزحليين المنبر لعيد ذيبه • الكون انشاها عثمان نفعي ادهم وحافظ عبد المالك ونجيب صوايا ثم انسحب الاولون وبقيت بملكيـــة الاخير حتى اضطره المرض الى حجبهـــا • ريد اميركا لسلوم المكرزل • الجامعة لفرح انطون • سوريا الجديدة لنسيم خوري

اماالمجلات المحتجبة فهي

الدا أرة للمرحوم عيسى الخوري • الزهرة للمرحوم سليم عازار • ...اسيجي خوراسقف خيرالله اسطفان • الجامعة لفرح انطون

...ت التي يقطنها لتشييد كنيسة واقتناء

المتبرئة اذا كان دفاعه عنيفا مثيرا العواطف وحاويا مطاعن شخصية والطعن في اعراض مصونة . فلا يبدأ بنشر تلك المطاعن الا الذين يجهلون اداب الصحافة او يتجاهلونها غير مبالين بحرمتها فالرد الجارح عليهم يزيد سعير حدتهم اضطراما ويوسع لاقلامهم مجال القدح والهجاء فالعاقل من يقابل المطاعن البذيئة بالسكوت فيحفظ كرامته ويخمد نيران النزاع ولا شك ان العقلاء يمتدحون صبره وتعقله واما اذا اجبته بمثل مقاله وكنت له بكيله فانه يزداد حدة وشدة وتطاولا ولا يسوغ الجواب الا في المجادلات العلمية والادبية العارية عن كل صفة شخصية وذلك لتقرير حقيقة او اثبات امر هام مفيد . فجرائد المهجر لو سلمت من التعرض لشخصيات ونهش الاعراض وثلم صيت الاخرين وبخس البعض حقوقهم لكانت تفاخر سائر الصحافة العربية في اقطار المسكونة سيما وان المحيط الذي تعيش به يزيدها قوة واقتدارا على ان تكون راقية مفيدة حرة تصرح بالحق كما يبدو لها وليس من رقابة او ضغط او تسلط ونقول هذا على سبيل التعميم فلا نقصد جريدة معينة او ننتقد واحدة دون اخرى

اما باكورة الجرائد العربية في الولايات المتحدة فهي جريدة كوكب اميركا انشأها المرحوم الدكتور نجيب عربيلي سنة ١٨٩٢ وكانت في بدء عهدها اسبوعية ثم صارت يومية وهي الان محتجبة . ونثبت هنا اسماء الجرائد العربية الحية في الولايات المتحدة واسماء اصحابها واوقات صدورها وذلك بحسب تاريخ انشائها

اسم الجريدة	اسم صاحبها	اوقات صدورها	مكان صدورها
الهدى	نعوم مكرزل	يومية	نيويورك
مرآة الغرب	نجيب دياب	يومية	نيويورك
الدليل	اسعد ملكي ونجيب بدران	نصف اسبوعية	نيويورك
المهاجر	نسيب كرم	نصف اسبوعية	نيويورك

الارتقاء	انطون زريق	ثلث اسبوعية	نيويورك
البيان	الشيخ سليمان بدور	اسبوعية	نيويورك
الاتحاد	يوسف وفيليب الخوري ابرهيم	نصف اسبوعية	نيويورك
السائح	عبد المسيح حداد	نصف اسبوعية	نيويورك
العالم السوري انكليزية	سليم يونس	شهرية	بوسطن

اما المجلات العربية الحية فهي

مجلة الكلمة للسيد رفائيل هواويني · ومجلة العالم الجديد للسيدة عفيفة كرم ومجلة الصحة ليوسف يبرودي ومجلة الفنون لنسيب عريضه

اما الجرائد العربية التي انشئت في الولايات المتحدة في اماكن واوقات مختلفة واحتجبت فهي كوكب اميركا للمرحوم نجيب عربيلي · الايام ليوسف نعمان المعلوف العالم لجورج جبور · الاصلاح لشبل دموس · المشير لسليم سركيس ثم اوقفه وانشأ جريدة الراوي · الاقبال ليوسف صليبا صدرت اولا في لورنس من ولاية مستاشوستس تولى تحريرها غصن غصن ثم سليم سركيس ثم اشترتها شركة مساهمة في بوسطن دعوها البستان · الصخرة للمنسنيور جبرائيل قرقماز · الوفا لجمعية الشبان الزحليين · النبر لعيد ذيبه · الكون انشاها عثمان نفعي ادهم وحافظ عبد المالك ونجيب صوايا ثم انسحب الاولون وبقيت بملكيـــة الاخير حتى اضطره المرض الى حجبهـــا · يد اميركا لسلوم المكرزل · الجامعة لفرح انطون · سوريا الجديدة لنسيم خوري

اما المجلات المحتجبة فهي

الدا ئرة للمرحوم عيسى الخوري · الزهرة للمرحوم سليم عازار · خوراسقف خيرالله اسطفان · الجامعة لفرح انطون

ــ(الرسالات الدينية والكنائس)ــ

على رغم الفتور الديني كما ذكرنا لم ينس السوريون واجباتهم نحو مبدعهم وخالقهم عز وجل سيما وان الدين من الامور التي لاغنى للانسان عنها فالانسان مفطور على طلب اله يعبده كما نرى في تاريخ سائر الامم التي عاشت على وجه الغبراء فمع ان الالهة متعددة والمذاهب مختلفة متباينة قد كان الانسان ولا يزال يطلب الها يعبده واذا عدم الانسان الدين عدم كل سلوى ورجاء وتعزية وصار اشبه بالجماوات منه بالمخلوقات العاقلة · والسوريون في المهجر من طوائف مسيحية متعددة ولكل طائفة رسالة دينية خاصة وكنائس ورعاة ونحو ذلك وتلك الطوائف اربع وهي الروم الارثوذكس والموارنه والروم الكاثوليك والابروتستانت · وقد طلبنا الى رئيس كل رسالة ان يتكرم بالافادة عن تاريخ رسالته في العالم الجديد فلبوا طلبنا وحق علينا شكرهم · اما البروتستانت فلكونهم لم تكن لهم رسالة سورية رسمية ثابتة يرجع اليها تعذر علينا الحصول على تاريخها فاغفلنا ذكرها اضطرارا

ــ(الرسالة الارثوذكسية)ــ

مقتطفة من مجلة الكلمة للسيد رفائيل هواويني

من سنة ١٨٨٠ ــ ٩٠ زاد توارد السوريين الى الولايات المتحدة بمناسبة قرب افتتاح معرض شيكاغو وكان في مدينة نيويورك عدد من ابناء الطائفة الارثوذكسية

وحدث انه في سنة ١٨٩٢ اتى القس قسطنطين طرزي الدمشقي من تلقاء نفسه نيويورك فاغتنم متقدمو الطائفة الارثوذكسية فرصة قدومه ليتخذوا محلا خاصا بتتميم ... الدينية · ولما كان الشعب وقتئذ غير قادر على القيام بكل حاجات كاهن ... القس قسطنطين اقامته بين ظهرانيه حتى استخلص لنفسه معين ... طاف قليلا في الاماكن الدانية من نيويورك منتجعا مركزا

يستقر فيه فراى ذلك متعذرا لقلة عدد السوريين الارثوذكسيين وقتئذ فعاد الى سورية

ثم في اواخر سنة ١٨٩٢ قدم الى نيويورك كاهن سوري اخر وفد كسابقه اي من تلقاء نفسه ايضا وهو الارشمندريت خريسطو فورس جباره الدمشقي فاحتفل به ابناء طائفته المستقرون في نيويورك واتخذوا لهم محلا جميلا للعبادة في ملتقى الشارعين سيدر وواشنطن • وما لبث طويلا حتى اضطر ان يغادر هذه البلاد لاسباب لا يهم ذكرها

ثم بعد ان اقفل معرض شيكاغو ابوابه عاد معظم السوريين الى نيويورك وانشأ الارثوذكسيون فيها الجمعية الخيرية السورية الارثوذكسية سنة ١٨٩٥ واول ما فكرت فيه فتح ابواب كنيسة ارثوذكسية يخدم فيها الاسرار الالهية كاهن ذو لياقة تنقده راتبا معينا يكفي بحاجات معيشته وبعد المباحثات بذلك فوضت الجمعية رئيسها آنئذ الدكتور ابراهيم عربيلي بمخابرة الارشمندريت رفائيل هواويني الدمشقي مدرس اللغة العربية في الاكاديمية الروحية في مدينية كازان من اعمال روسيا

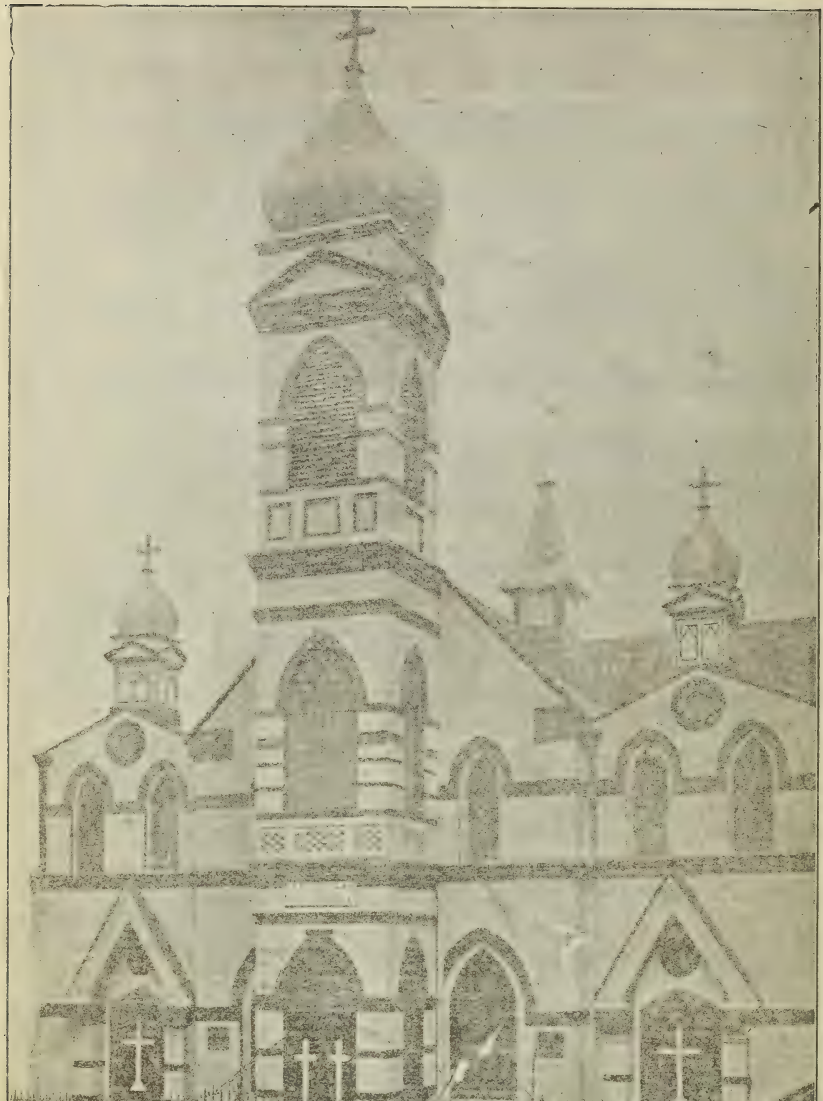
وانتهى كتاب الدعوة الى يد الارشمندريت رفائيل فراى واجبا ان يلبي دعوة الرعية التي كانت لاراعي لها • فبرح قدسه روسيا بمعية السيد نقولاوس الروسي اسقف الاسكا فوصل الى نيويورك في اوائل تشرين الثاني سنة ١٨٩٥ • وبعد قدومه بشهر واحدتحول الطابق الاول من البناية رقم ٧٧ شارع واشنطن الى كنيسة وقد تنازل الارشمندريت رفائيل عن المرتب الذي عينته له الجمعية وقدره خمسون دولارا في الشهر • وتحت رئاسة الاشمندريت رفائيل الذيهو رئيس الرسالة الروحيةالسورية الارثوذكسية فيامير كا الشمالية زهت الطائفة و كثر عدد الكنائس والرعاة كماسيجيء

وقد طاف قدس الارشمندريت رفائل ثلاث مرات في الولايات التي يقطنها سوريون ارثوذكسيون يفتقد شؤونهم الروحية ويستدر احساناتهم لتشييد كنيسة واقتناء

مقبرة ٠وقد بذل في ذلك السبيل من الاتعاب والمشاق فضلا عما دفعه من ماله الخاص ما يحفظه له التاريخ بالشكر الوافر

وفي يوم الاحد الواقع في ٢٩ شباط سنة ١٩٠٤ رقي قدس الارشمندريت رفائيل الى رتبة اسقف عن جدارة واستحقاق باسم اسقف بروكلن ومازال يدير ابرشيته الواسعة بحكمة فائقة وغيرة مذكورة ٠ وعام ١٩٠٠ انشاء مجلة الكلمة فكانت مبعث انوار روحية وادبية ومازالت تبث كلمة الحق بكل امانة وغيرة ونشاط تحت عنايته نظمت ابرشية بروكلن واخذت بالنمو حتى اصبحت على شكلها الحالي الاتي

ان الكنائس التي قد تم تدشينها تدشينا كاملا في دائرة هذه الابرشية الارثوذكسية منذ نشأتها حتى نهاية عام ١٩١١ هي «١» كنيسة القديس نقولاوس الكاتذرائية في بروكلن (٢) كنيسة سيدة الرقاد في ولكسبري بنسلفانيا ٠اما الكنائس المشيدة ولكنها لم تدشن تدشينا كاملا فهي «٣» كنيسة القديس جاورجيوس في وستر ماس «٤» كنيسة القديس جاورجيوس في بوسطن ماس «٥» كنيسة القديس جاورجيوس في كارني نبراسكا «٦» كنيسة القديس جاورجيوس في لورنس ماس «٧» كنيسة القديس جاورجيوس في كراند رابدس مشغن «٨» كنيسة رئيس الملائكة ميخائيل في بومنت تكساس «٩» كنيسة القديس نقولاوس الكندية في مونتريال «١٠» كنيسة القديس نقولاوس المونتريالية في مونتريال كندا «١١» كنيسة رقاد السيدة في جونستون بنسلفانيا «١٢» كنيسة القديس سمعان العامودي في ايرن ودمشغن «١٣» كنيسة السيدة في سوث كلنس فولس نيويورك «١٤» كنيسة القديس جاورجيوس في مشغن ستي انديانا «١٥» كنيسة القديس يوحنا الدمشقي في بوسطن ماس «١٦» كنيسة القديس جاورجيوس في تشارلستون وست فرجينيا ٠ اما الكنائس المقامة في محلات بالاجرة فهي «١٧» كنيسة القديس جاورجيوس في بتسبرغ بنسلفانيا «١٨» كنيسة



—« كاثدرائية القديس نقولاوس السورية الارثوذكسية في بروكلن نيويورك »—

القديس جاورجيوس في شيكاغو النيوز «١٩» كنيسة القديس جاورجيـوس في واشنطن العاصمة «٢٠» كنيسة القديس جاورجيوس في مكسكو ستي المكسيك «٢١» كنيسة القديس جاورجيوس في فكسبرغ مسسبي «٢٢» كنيسة القديس نقولاوس في كليفلاند اوهايو · كذلك يوجد جمعيتان قائمتان بالسعي لاقتناء كنيستين حيث هما وهما جمعية القديس ايلياس النبي في لاكروس وسكنسن والجمعية الخيرية السورية الارثوذكسية في بوتاكت وسنترل فولز رود ايلند · ويتبع بعض هـذه الكنائس جمعيات ومدارس طائفية يقوم فيها الكهنة او بعض العوام بمهمة تثقيف صغار الطائفة على اصول الديانة الارثوذكسية والادب المسيحي · كما ان بعض ابناء الطائفة قد اجتهدوا في بعض الجهات احتراما لاجساد موتاهم وذكر المنتقلين عنهم فاقتنوا مقابر عمومية خاصة بالطائفة ويتبع لابرشية بروكلن السورية الارثوذكسية ٢٧ كاهنا قانونيا وشماس واحد وسيأتي ذكر بعضهم عند ذكر الجوالي السورية في الولايات المتحدة وكندا

—(الرسالة المارونية)—

نثبت هنا فذلكة في تاريخ الرسالة المارونية في الولايات المتحدة كما ارسلها الينا سيادة العلامة المفضال الخور اسقف خيرالله استفان النائب البطريركي الماروني في الولايات المتحدة اجابة لطلب المؤلف

فذلكة ١

في مبتداء الكنائس المارونية واصل بنائها في ولايات اميركا الشمالية المتحدة

مقدمة

ان الكنيسة اسم معرب اما عن السريانية من مادة «كش جمع» واما عن

اليونانية (اكليسيا جماعة) ويحتمل ان يكون مصغر كناس (بيت الظبي)وموءنثه كنيسة والكل مأخوذ من معنى الاجتماع · والاباء دعوا الكنيسة مجمعا وبيتا للصلوة وبيت الله وبيعة وهيكلا وحظيرة وماشاكل ذلك وفقا لقوله تعالى حيثما اجتمع اثنان او ثلاثة باسمي اكون الثالث بينهم (متى ١٨ ٢٠) ذلك الاجتماع ضروري لاجل حفظ وحدة الروح برباط السلام كما قال الرسول فلا يتاتى لنا هذا الحفظ مالم نجتمع في مكان واحد متمسكين بايمان واحد ورجاء واحد ومحبة واحدة وعبادة واحده لله الذي يغذينا ثم بكلمته ويقوينا باسراره الموزعة علينا بايدي خدمته ·· ولهذا عرفت الكنيسة منذ القديم بكونها مجتمع الموءمنين المرتبطين بعقائد وشعائر واحدة وسلطة مركزية ·

واضف الى ذلك ان الانسان الفي بالطبع قد كونته الحكمة الالهية هكذا لحفظ ذاته ونمو حياته ولا يدرك هذه الغاية من خلقه او يتم ارادة مبدعه في نوعه الا مجتمعا فكما ان الاجتماع ضروري في الحياة المدنية المادية هكذا هي الالفة الدينية في الحياة الروحية وفي الهيأة البشرية الكنسية لصيانة الوحدة الحية وحفظالجسم الادبي صحيحا سالما من الانفكاك وتبعثر الاعضاء

ولما كانت هذه الحقائق راسخة في ادمغة خدام الكلمة الالهية من كل امة لم تغرب عن اذهان المرسلين من الطايفة المارونية الغيورين فتعين عليهم في هذا المهجر كما راى سواهم ان يبنوا لابنائهم الروحيين كنائس يقيمون فيها شعائرهم الدينية بحسب طقوسهم للم شعثهم وتوحيد كلمتهم وتقوية رابطتهم ولاجل تهذيبهم وتعليمهم وتوزيع الاسرار عليهم الخ · فقاموا بهذه المهمة حق قيام على قدر المكنة وموافقة الظروف وسخاء الامة وها نحن موردون هنا ما كان من هذا القبيل على نظام الاعوام باوجز تعبير يحتمله المقام

(الكنائس المتلكة)

١ كنيسة سيدة ارز لبنان في بوسطن

مشتراها كان سنة ١٨٩٦ بواسطة الخوري الاسقفي لقبا يوسف يزبك من قرية غباله فتوح كسروان وتدشينها سنة ١٨٩٧ موقعها في شارع تيلر عدد ٠٦٦ مجموع ابنائها زهاء الفين

٢ كنيسة القديس مارون في فيلادلفيا

قد ابتاع ارضها وبناها حضرة الاب اسطفان قرقماز من غبالة الفتوح سنة ١٨٩٨ وفتح ابوابها للعبادة سنة ١٩٠١ مركزها السكة العاشرة عدد ١١٣٦ • مقدار موارنتها ٦٥٠ نسمة تقريبا

٣ كنيسة القديس انطونيوس ابي الرهبان في سنت لويس ميزوري

امتلكت هذه الكنيسة بمساعي لجنة موءلفة من الخواجات يوسف جرجس عضيمي من جونيه (كسروان) ولطف الله بشاره شهوان من غوسطا وحنا جرجس صافي من حلتا وبطرس نعمه عازار من حدشيت وكان رئيس هذه النخبة حضرة الاب عمانوئيل من جعيتا الراهب الانطوني وذلك سنة ١٨٩٨ وقد تحولت وتنقلت الى ثلاثة امكنة حتى استقرت الان في جنوبي شارع برودواي تحت عدد ٦١٧ وخوريها الحالي الاب انطون سليمان من قيطو • وعدد الرعية ١٢٠٠ •وفي هذه السنة(١٩١٣) ابتاعت الجالية الحدشيتية بناية اقامت فيها كنيسة على اسم القديس رومانوس وجعلت طبقاً منها مدرسة فاصبح للموارنة في هذه المدينة معبدان • ومركز هذه الكنيسة الجديدة في شارع لاسال عدد ٩٢٥ • وراعيها حضرة الخوري يوسف كرم من حدشيت

٤ كنيسة ماريوسف البتول في نيويرك

كانت هذه الكنيسة ولم تزل في بيت مستأجر ومحول للعبادة في سوق واشنطون

ففي سنة ١٨٩٠ استوأجر لها طبق في البناية الواقعة تحت نمرو ١٢٧ واشنطون ثم انتقلت بعد ٤ سنين الى عدد ٨١ من نفس السوق ولبثت هناك الى سنة ١٩٠٧ وبعدها اخذ موارنة نيويورك يتمون واجباتهم ويقومون بفروضهم الدينية في كنيسة مار بطرس في بركلي ستريت الطبق الوطىء الى سنة ١٩٠٨ حيث استأجرت الرعية البناية الواقعة تحت عدد ٤٦ من شارع واشنطون طبقتين جعلوا اعلاهما مصلى واسفلهما مقاما للكاهن

الكاهن الاول البادىء كان الخوري برديوط بطرس قرقماز منذ سنة ١٨٨٩ الى سنة ١٩٠٠ حيث خلفه خوراسقف الكنيسة الانطاكية سيامة خيرالله اسطفان المعتمد البطريركي وبقي ثم الى سنة ١٩٠٨ حين تنازل عن رعاية رعية نيويورك لمعاونه حضرة الخوري فرنسيس خادم نفوسها الحالي تسهيلا للخدمة الروحية وقام على رعاية كنيسة «سيدة لبنان» التي كان اشتري لها البيت الساكن فيه الان والارض التي بجانبه الى الجنوب سنة ١٩٠٣ حيث الكنيسة اليوم

كنيسة سيدة لبنان في بروكلن نيويورك

في ٢٨ ك٢ سنة ١٩٠٣ عقد بيع المحل المعروف الان باسم (سيدة لبنان) الواقع تحت عدد ٢٩٥ ــ ٢٩٧ من شارع هيكس في بروكلن نيويورك بسعي وقسم من مال الخوراسقف خيرالله اسطفان المعتمد البطريركي الماروني ٠وفي الاحد ٢٥ اب سنة ١٩٠٧ احتفل سيادة كارلوس مكدونال مطران الابرشية بوضع حجر الزاوية ٠ونهار الاحد ١١ك ١ سنة ١٩١٠ خصصها السيد جرجس مندلين الاسقف المعاون اي كرسها للعبادة ٠بحفلة باهرة ولم يزل بانيها الخوراسقف المذكور راعيها ٠وعدد انفس رعيتها الان زهاء ال ٥٠٠

(٥ كنيسة القديس يوحنا مارون في بفاو نيويورك)

بوشر بانشاء هذه الكنيسة بتحريض الاب انطون الزغبي العجتوني الراهب الانطوني وسعي حضرة الخوري جرجس عزيز الجزيني سنة ١٩٠٣ وراعيها الحالي حضرة الخوري فرنسيس الشمالي من سهيلة كسروان وموقعها في شارع سينيكا عدد ٤٥٤ وعدد بنيها يناهز الالف

٦ كنيسة مار انطونيوس الكبير في لورنس ماس «خشبية»

شريت ارضها في ٢٩ اذار سنة ١٩٠٣ وانجز بناوءها ٨ نيسان سنة ١٩٠٦ وعنوانها ٢٥٦ من شارع الم وراعيها الخوري جبرائيل البستاني الحلبي

٧ كنيسة مار بطرس وبولس · سبرنفيلد

امتلك البيت وجعل طبقه الاول معبدا سنة ١٩٠٧ ·وخادم نفوس هذا المصلى هو حضرة الاب لويس صعب من الكفور وموقعها قرب فري ستريت · وعدد نفوس ابناء الرعية يقارب ال ٧٠٠

٨ كنيسة مار الياس في برمنهام الاباما

امتلكت سنة ١٩٠٩ بسعي خادمها الحالي مبارك باللمع الراهب الانطوني عدد الرعية نحو ال٤٠٠

كنيسة القديس لويس غونزاغا في يوتيكا نيويورك

اسست هذه الكنيسة في تموز سنة ١٩١٠ ودشنت في ١٨ك ١ من السنة المذكورة بسعي حضرة الاب لويس لطيف من فتوح كسروان خادمها الحالي وعدد الرعية نحو الف نسمة وموقعها على ملتقى شارعي البني واليزايات وهي من خشب

١٠ كنيسة تروي نيويورك على اسم القديسة حنه (خشبية)

قد فتحت ابوابها لعبادة الله سنة ١٩١٢ في ١٩ حزيران وتاريخ مشترى البيت

القائمةفيه١٢ اب سنة١٩٠٩ بعنايةومسعى راعيها الحالي حضرة الاب اسطفان قرقماز من غبالة فتوح كسروان مركزها في الشارع الرابع عدد ١٩٠ ومجموع ابنائها يقارب ٣٠٠

١١ كنيسة القديس مارون في يونغستون اوهيو «خشبية »

كانت هذه الكنيسة مجمعا للمحتجين فابتاعتها من العمدة جالية المدينة المذكورة المارونية بسعي راعيها الحالي الخوري البرديوط نعمةالله سيلي البجاني من بيت شباب وكرست للعبادة سنة ١٩١٢ موقعها في ٨١٨ شارع ولسن وعدد الرعية يداني ال ٨٠٠

١٢ كنيسة القديسة حنة في فول ريفر

وموقعها في جنكس ستريت عدد ٢٨٦ ومشتراها تم سنة ١٩١٢ وهي خشبية وراعيها الخوري اغناطيوس الصائغ وعدد نفوس رعيتها نحو ال ٥٥٠

١٣ كنيسة القديس جرجس في بروفدنس

مشتراها كان سنة ١٩١٣ وتدشينها في ايار من السنة المسطورة وهي خشبية او هي عبارة عن بيت لله قسم وللكاهن اخر وخادم النفوس فيها هو الاب يوسف غانم ومجموع الجالية المارونية يناهز ال ٤٨٠ ومركزها في اميركا ستيريت عدد ٨٥

١٤ القديسة حنة في سكرنتن بنسلفانيا

كانت هذه الكنيسة الخشبية مصلى للابروتستنط فابتاعه الاب ارسانيوس الحايك الزاهب الانطوني سنة ١٩١٢ ولما استدعاه رئيسه لبى الدعوة فاخذ مركزه الاب جرجس عزيز الجزيني وسعى حالا بتدشين هذا المصلى هذه السنة سنة ١٩١٣ وعدد الموارنة يقرب من ال ٥٠٠ وموقعها ..

١٥ مارمارون هويلن وست فرجينيا موقعه في عدد ٢٢٦٩ شارع ماركت امتلكت سنة ١٩١٣ عدد الموارنة قريب من ٤٥٠ الخادم الخوري بولس ابرهيم مسرح

تنبيه

ويوجد كنائس غير هذه للموارنة لكنها مستأجرة كالتي في بتسبرج بنسلفانيا وسان بول مينسيوتا وسدني كندا ٠الخ

ـــ(الرسالة الكاثوليكية)ـــ

نثبت هذه اللمحة من تاريخ الرسالة الكاثوليكية في الولايات المتحدة كما ارسلها الينا قدس الاب الفاضل الخوري بولس السنكي النائب البطريركي الكاثوليكي في الولايات المتحدة اجابة لطلب المؤلف

ـــ كلمة وجيزة ـــ

في كنائس الروم الكاثوليك في الولايات المتحدة

ابتدا الروم الكاثوليك بالدخول الى الولايات المتحدة سنة ١٨٨٦ ويتراوح الان عددهم ما بين ١٠٠٠٠ و ١٥٠٠٠ نسمة ٠ ولهم كنائس كثيرة في جهات مختلفة وهذه لائحة اسماء كنائسهم وخوارنتهم

نيويورك ـــاول كاهن كاثوليكي ارسل رسميا من قبل المثلث الرحمات البطريرك غريغوريوس يوسف كان الايكونوموس ابرهيم بشواتي الراهب المخلصي دخل قدسه نيويورك سنة ١٨٩١ والى الان لم يزل فيها وهو يقيم الخدم الروحية في كنيسة القديس بطرس الاميركانية في شارع باركلي ورعيته تعد من ستماية الى سبعماية نسمة بروكلن ـــفي ٩ ايار سنة ١٩٠٨ الفت طايفة بروكلن قومسيون مليا لبناء كنيسة لاجل اقامة الصلوات الالهية حسب طقوس ملتنا الكاثوليكية٠فثابر اعضاء القومسيون السعي بغيرة وجد واجتهاد وجمعوا من ذوي الفضل مبلغ ٥٨٧٦ ريالا واشتروا بيتين في شارع باسيفيك واقعين تحت نمرة ٨٣ و٨٥ قياسهما ٤٤ قدما عرضا و٩٠ قدما طولا بثمن ثمانية الاف وخمسماية ريال ورهنوهما تحت المبلغ الباقي ومن ثم طلبوا بواسطة

السيد كارل مكدونال اسقف بروكلن الجزيل الاحترام والمجمع المقدس في رومية ومن غبطة البطريرك الحالي كاهنا جديد لخدمة الرعية الجديدة وقد كان قبلا خوري نيويورك الاب ابرهيم بشواتي يعتني بشؤونهم الروحية فارسل اليهم غبطة السيد البطريرك الخوري بولس سنكي احد اكليروسه البطريركي والمتخرج من مدرسة القديسة حنة الاكليريكية الشهيرة في القدس الشريف فاستلم الخوري سنكي شؤون الرعية في ٢٧ تشرين ثاني سنة ١٩١٠ وهو يقيم الخدم الروحية موقتا في كنيسة القديس بولس . ولم يفتأ من حين وصوله يداب ويثابر السعي جهد المستطاع ليجمع مايلزم من المال للمباشرة ببناء الكنيسة ومدرسة وفي شهر نيسان الماضي اشترت ايضا الطايفة بسعي الغيورين الفاضلين وكيلي الكنيسة الياس افندي مقصود وابراهيم افندي بوبطرس بيتين اخرين ملاصقين للبيتين الاولين وبقياسهما بثمن تسعة الاف وخمسماية ريال وقد دفع من ثمنهما نحو الفي ريال

وعدد رعية بروكلن يتراوح بين ٧٠٠ و١٠٠٠ نسمة

شيكاغو— يوجد في شيكاغو وملحقاتها نحو ثلاثة الاف سوري روم كاثوليك واول كاهن استلم شؤون رعية شيكاغو هو المرحوم الارشمندريت باسيليوس الحناوي خدم المرحوم رعيته مدة خمسة عشر سنة ثم عاد الى الوطن السوري حيث انتخب رئيس عام على الرهبنة الحناوية وتوفي بعد سنة من رئاسته وكان خلفه في شيكاغو الراهب الحناوي الاكسرخوس يوحنا حداد وبقي ست سنوات في خدمته ثم استبدله رئيس اساقفة الابرشية بالخوري ساروفيم رومية الراهب الباسيلي الحلبي فاستقل الاكسرخوس حداد بنفسه ولم يزل الى اليوم مقيما في شيكاغو وسبب استبدال الاكسرخوس حداد بكاهن اخر هو وقوع سوء تفاهم بينه وبين الرعية وصارت الجلبة وعلت الصيحة ورفعت مسألة الخلاف الى رئيس الاساقفة فارتأى بعد التروي

ودرس المسألة مليا وقلبها بطنا لظهر ان احسن طريقة لفض الخلاف هـو استبدال الاكسرخوس حداد بكاهن اخر

استلم الخوري ساروفيم رومية شؤون الرعية سنة ١٩٠٨ وسعى سعيا نشيطا فانشأ معبدا خاصا بالطايفة على اسم القديس يوحنا الصابغ وقد جرى تكريسه باحتفال عظيم باهر سنة ١٩١٠ واضاف الى الكنيسة مدرسة وبيتا لسكناه ٠

وقد افتتحت كنيسة لورنس ماس سنة ١٩٠١ وكاهنها الاول كان الخوري فيلبس البطل

وشيدت كنيسة خاصة في خلال عام ١٩٠٤ باهتمام الخوري المذكور على اسم القدس يوسف

وسنة ١٩٠٧ تولى رعاية الكاثوليك في لورنس قدس الخوري باسيليوس نحاس وهو ذو علم وفضل وعددهم ٥٥٠ نفسا

دبويز بانيسلفانيا ـ فيها بنيت ثاني كنيسة للروم الكاثوليك في الولايات المتحدة بهمة وسعي الايكونوموس توما فياض الراهب الباسيلي الحناوي راعي كنيسة سكرنتن حالا

جاء الخوري توما فياض هذه البلاد اول مرة سنة ١٨٩٦ لجمع الاحسانات من ذوي الفضل لابرشية بانياس الفقيرة والمفتتحة جديدا وكان اذ ذاك اسقفا عليها المثلث الرحمات البطريرك بطرس الرابع ومكث متجولا مدة ثمانية اشهر ثم عاد الى سورية وفي سنة ١٩٠٣ استدعاه مواطنوه في دبويز بنسلفانيا ليرعى نفوسهم فلبى دعوتهم وشيد لهم كنيسة ومدرسة وبيتا وكنيسة دبويز تعد في مقدمة كنائس السوريين في هذه البلاد فخامة وجمالا وقد بلغت اكلاف بنائها ستة عشر الف ريال٠ وبعدان خدم رعية دبويز مدة ست سنوات استدعاه السيد هوبن اسقف سكرنتن وسلمه شؤون الروم الكاثوليك في ابرشيته

بدلاً من الخوري يوسف سمعان الذي انتقل الى دبويز سنة ١٩٠٩ وبعد ان خدم فيها مدة سنتين مات بالسل الرئوي وخلفه الخوري بشارة خياطه الراهب المخلصي وراعي الكنيسة الحالي

سكرنتن بنسلفانيا — الخوري يوسف سمعان الراهب المخلصي هو اول من افتتح الرسالة في ابرشية سكرنتن وظل ١٢ سنة يقوم بكل الخدم الروحية نحو الروم الكاثوليك والموارنة ولم يكن اذ ذاك لهولاء كاهن ولا معبد مختص بهم ولما استبدله السيد هوبن سنة ١٩٠٩ بالايكونومس توما فياض شعر هذا بعاطفة الغيرة المسيحية بوجوب انشاء معبد وبيت خاصين بطائفته فشرع بالعمل وجمع الاحسان من السوريين والامير كان وابتاع ارضا موافقة في اجمل نقطة في المدينة الى ان جاء العمل متمما بكل اجزائه وبلغت النفقة ما ينيف عن العشرين الف ريال والذي باقي من الدين على الكنيسة لحد الان هو خمسة الاف ريال لاغير

كليفلند اوهايو — اول من افتتح الرسالة في كليفلند هو الخوري باسيليوس مرشا المخلصي وقد بنى فيها كنيسة فخمة بلغت اكلافها خمسة عشر الف ريال. ورعيته في كليفلند وما جاورها تعد نحو الفي نسمة

سنترال فولس — دخل الخوري حنانيا بوري الراهب الحناوي الولايات المتحدة سنة ١٩٠٥ وبعد ان اقام سنتين في ابرشية بوسطن صار تعيينه خادما للروم الكاثوليك المقيمين في ابرشية بروفيندس والبالغ عددهم خمسماية نسمة

فاختار الخوري حنانيا سنترال فولس مركزا له وبنى فيها كنيسة جميلة قام بتكريسها سيادة مطران بروفيدنس بحفلة باهرة في ٢٥ حزيران سنة ١٩١١ وقد بلغت اكلاف الكنيسة وبيت الكاهن ٢٣ الف ريال

لاكروس وسكنسن — سنة ١٩٠٦ اندمج الخوري فيلبس سلموني الراهب

الحناوي في سلك خدمة النفوس في ابرشية لاكروس وسكنسن وبنى هناك بيتا ومدرسة وكنيسة كبيرة جميلة

والسوريون في لاكروس يبلغ عددهم ستماية نسمة مابين روم كاثولك وموارنة وروم ارثوذكس والخوري سامُوني يقوم نحوهم جميعا بكل الخدم الروحية

بوسطن ماس ـ سنة ١٩٠٨ ارسل غبطة السيد البطريرك الى بوسطن ليتولى شؤون الروم الكاثوليك قدس الارشمندريت نقولا غنام الراهب المخلصي ففي سنة ١٩١٠ اشترى قدسه بيتا وحوله الى كنيسة فكرسها رئيس الاساقفة بذاته باحتفال شائق

وفي ١٥ حزيران سنة ١٩١١ قدم من الوطن اخو قدسه الخوري اثناسيوس وهو ايضا من الرهبنة المخلصية وقام بمساعدة شقيقه وبتثقيف الاحداث

شناندوه بنسلفانيا ـ في السنة الماضية ارسل غبطة السيد البطريرك الخوري بولس صهيون المخلصي الى شناندوه لخدمة السوريين البالغ عددهم ٣٥٠ نسمة مابين روم كاثوليك وموارنة وهو ساعٍ الان ليبني لهم كنيسة

لوس انجلوس كاليفورنيا ـ سنة ١٩٠٨ توجه الى لوس انجلوس الخوري جراسيموس صوايا الراهب الحناوي وكرس ذاته لخدمة الروم الكاثوليك البالغ عددهم ٩٠٠ نسمة وقد شرع الان ببناء كنيسة ومدرسة وبيت للطايفة .

نيواورلينز لوزيانا ـ ذهب الى نيواورلينز لوزيانا لعمل الرسالة الخوري نقولا مدور الراهب الحناوي

لاس فاكيس نيومكسيكو ـ توجه الى نيوفاكيس ليقوم بخدمة السوريين الروحية الارشمندريت ملاتيوس حجار الراهب المخلصي الذي ناب عن سيادة المطران باسيليوس حجار في المجمع القرباني المنعقد في مدينة منتريال كندا

ركبي نورث دكوتا — في اوائل الجيل العشرين دخل السوريون ركبي نورث دكوتا وهم اول من فتحوا تلك البقعة للفلاحة والزراعة ولم يسبقهم احد قبلهم في استعمال تلك الاراضي واول عائلة ذهبت الى هناك وتملكت هي عائلة ابي سعد من زحلة جبل لبنان . وصار بعد قليل عدد السوريين في ركبي ما ينيف عن خمسين عيلة كلها روم كاثوليك واكثرهم من الفرزل التابعة ابرشية زحلة ففي سنة ١٩٠٢ ارسل اليهم غبطة السيد البطريرك الخوري الياس عاقل احد الاكليروس البطريركي والنائب بطريركي حالا في القدس الشريف فباشر حالا ببناء كنيسة ولكنه لم يمضي على اقامته بينهم اكثر من شهرين حتى قفل راجعا الى سورية ثم خلفه الخوري ساروفيم روميه الذي انتقل بعد ذلك الى شيكاغو وسنة ١٩١١ توجه الى ركبي الخوري تيموثاوس جق احد المتخرجين من مدرسة القديسة حنة في القدس الشريف ولم تطل اقامته هناك حتى انتقل الى ماواكي حيث هو موجود الان واكثر السوريين قد نزحوا عن ركبي الى جهات مختلفة لانه حصل هناك سنة ١٩١١ محل وضيق واحترقت ايضا الكنيسة في السنة ذاتها فبادمعها كل اثر للرسالة الكاثوليكية هناك

ملحق

ليس للروم الكاثوليك في كندا سوى كنيستين الواحدة في منتريال وراعيها الخوري سمعان نصر المخلصي والثانية في تورونتو وخادم النفوس هناك الخوري بولس لطيني المعروف المتخرج من مدرسة القديسة حنة في القدس الشريف

اما في المكسيك والجهات الشرقية فيوجد بعض كهنة ولكن ليس لهم مراكز رسمية

——

— (الجمعيات السورية)—

الجمعيات السورية في الولايات المتحدة كثيرة جدا حتى انك لتجد واحدة او

اكثر في كل مدينة وبلدة فيها سوريون وحيث كثر عدد المواطنين كثر عدد الجمعيات ايضا وهي لغايات مختلفة بين دينية وخيرية وسياسية وغير ذلك ٠اما امهات الجمعيات فهي في مدينة نيويورك حيث الجالية اكثر عددا من سائر الجوالي في الولايات المتحدة وقد طلبنا الى كل منها ان ترسل الينا بلمحة تاريخية وها نحن نثبت تلك اللمحات بحسب تاريخ ورودها الينا ٠ولا نرسل كلمة في احداها دفعا لشبهة التحيز فكلها جمعيات راقية وحسنة في بابها

ـ(المنتدى السوري الاميركي)ـ

انشىء المنتدى السوري الاميركي في نيويورك في اوائل شهر شباط سنة ١٩٠٨ لتوثيق عرى الاخاء والوئام بين سائر السوريين ومساعدتهم في المحاكم وادارة المهاجرة وفي الانضمام الى الجنسية الاميركية والمحافظة على حقوقهم وعمل كل ما يعزز شأن الاسم السوري في المهاجر

وقد اشتهر المنتدى بمدافعاته العادلة لدى محاكم الولايات المتحدة العظمى٠ وله كلمة نافذة وقول مسموع في دوائر الحكومة الاميركية٠ كما يتضح ذلك من مفاوضاته مع هذه الحكومة في مسائل السوريين المختلفة ٠

ومن مشاريع المنتدى الخطيرة فتح مكتبة عمومية في قاعته مجانا لسائر الذين يحبون المطالعة من مواطنينا الادباء

وقد اتخذ على عاتقه ايضا احياء فن التمثيل العربي الادبي في المهاجرولهذا الفـ جوقا خاصا من ادباء اعضائه لتمثيل الروايات المفيدة التي ينتقيها في كل عام

ومن يراجع اعمال هذا المنتدى يتبين له بجلاء انه الجمعية السورية الكبرى التي يجب على كل سوري في هذه البلاد الانضواء تحت لوائها

وللمنتدى فروع في الداخلية وجمهور كبير من الاعضاء المتفرقين علاوة على

اعضائه الكثيرين في مدينتي نيويورك وبروكلن

ويتألف المنتدى من اعضاء عاملين متجنسين في الجنسية الاميركية واعضاء اكراميين غير متجنسين ٠وهو يقبل اعضاء اكراميين من سائر شعوب العالم

ـ(جمعية النهضة اللبنانية)ـ

تأسست جمعية النهضة اللبنانية في نيويورك في الثامن عشر من شهر اب سنة ١٩١١ الف وتسعماية واحدى عشر وتسجلت في حكومة الولايات المتحدة في السنة نفسها اما الغاية من تأسيسها فهي المحافظة على استقلال جبل لبنان وفتح مرافيء له وترقية شوءونه الادبية والعمرانية والمطالبة بارجاع املاكه التي كانت له وسلخت عنه وكل حقوقه المنتزعة منه ٠

وهي اول جمعية لبنانية تأسست لمثل هذه الغاية الوطنية وقد نالت بسعيها قسما من المطالب المذكورة وستتابع السعي للحصول على البقية ٠ وينتخب هيئتها المديرة اعضاوءها المشتركون الذين بلغ عددهم حتى ثمانية الاف ولها خمسة عشر فرعا عدد اعضاوءها يقارب الخمسة الاف وتتألف هيئتها المديرة من رئيس ونائب وكاتم اسرار ولجنة مالية موءلفة من ثلاثة اعضاء وتسعة اعضاء مديرين وهولاء ينتخبون من اعضائها العاملين باكثرية الاصوات وليس لها صفة دينية بل هي لبنانية اعضاوءها من جميع الطوائف ويقدران ينخرط في سلكها كل لبناني ومن تحدر من اصل لبناني بقطع النظر عن دينه ولها يمين يجب على كل مشترك فيها ان يوءديه وجلساتها علنية الا التي هي من خصائص المديرين فلا يباح لبقية الاعضاء حضورها

ـ(الجمعية التجارية السورية)ـ

ارسلت الينا بقانونها الاساسي ومنه اقتطفنا ما يأتي فغاية الجمعية «١» البحث والنظر والعمل لايجاد الوسائل الفعالة التي تكفل ترقي التجارة السورية مهما كانت

انواعها «٢» المحافظة على حقوق الاعضاء واحوالهم وتحزيرهم من المحتالين العديمي الثقة «٣» انشاء مكتب يحتوي على اسماء التجار في سائر انحاء اميركا من كافة الطبقات تسجل فيه التعليمات الصحيحة عن كل فرد منهم مع التوضيحات الكافية عن حالته التجارية ومقدرته المالية وكيفية دفعه الاستحقاقات المطلوبة منه لتعطى هذه التعليمات عنه عند الاقتضاء لكل من يطلبها من اعضاء الجمعية «٤» ان تسعى لايجاد العلاقات مع شركات الاستعلامات التجارية مثل دن وبرادستريت وكرديت اوفس وغيرهم لكي تأخذ من هذه الشركات ما يلزمها من التعليمات وتعطيها نظيرها عند الاقتضاء تسهيلا لبلوغها الغاية المطلوبة «٥» ان تعقد اتفاقية مع بعض المحامين المشهورين في الولايات المتحدة وخارجها لكي تسهل لاعضائها الحصول على اموالهم بواسطة الحكومة عند الاقتضاء ٠ اما رسم الدخول في هذه الجمعية فهو ٢٥ ريالا تدفع سلفا والراتب السنوي هو ١٢ ريالا تدفع في اليوم الاول من كانون الاول في كل سنة ولا فرق فيما لو دخل المشترك باول السنة او بآخرها لان سنة الجمعية تبتديء في كانون الاول وفي سنة الجمعية يتحتم على كل مشترك ان يدفع بدل الاشتراك ولا يعتبر عضوا في الجمعية الا من يكون قد دفع الراتب المعين ٠ اما اذا شاء احد الاعضاء الانسحاب من عضوية الجمعية فلا يحق له استرجاع ما يكون قد دفعه ولا بوجه من الوجوه اه ٠

وارسلت الينا جمعية اتحاد العمال بقانونها فاقتطفنا منه ما يأتي

(١) ان الجمعية تعرف وتسمى باسم جمعية اتحاد العمال السورية

(٢» غاية الجمعية نصرة كل عامل ينضم اليها (رجالا ونساء) والمحافظة على حقوقه ٠ متجردة عن كل مبدا سياسي ٠ خاضعة في كل احوالها لقوانين الحكومة وشرايعها

(٣) تعم كلمة عامل كل شخص يتقاضى اجرة يومية او اسبوعية او شهرية او مبلغا

محدودا من المال لقاء عمل يقوم به في المحلات التجارية والمعامل او في بيته

(٤) ان رسم الدخول بهذه الجمعية هو ريال واحد على الرجال ونصف ريال على النساء اما قيمة بدل الاشتراك الشهري فنصف ريال للرجال وربع ريال للنساء

(٥) اذا مرض احد اعضاء الجمعية فالجمعية تدفع لطبيبه اجرة زيارة واحدة في كل اسبوع

(٦) اذا توفي احد اعضاء الجمعية يعقد الاعضاء المديرون جلسة خصوصية ويقررون ما يجب عمله لتشييع جثة المتوفى ويعلن ذلك لعموم الاعضاء من مديرين وعاملين لحضور الجنازة ويرسل كتاب تعزية من الجمعية الى عائلة الفقيد

ـ(جمعية السيدات الخيرية)ـ

لقد اجمع اولو الاختبار وذوو الاطلاع الواسع ان المرأة اقدر من الرجل على الخير والشر فما اجمل المراة اذا جعلت حلاها الاحسان وعمل المعروف واغاثة الملهوف واضافت الى جمال الخلق جمال الخلق وحميد الصفات وتقوى الله · فقد كانت الجالية النيويوركية محرومة فائدة جمعية سيدات يتكاثفن ويتعاضدن على عمل الخير وصنع الجميل حتى سنة ١٩٠٧ فخطر فكر تأليف جمعية سيدات خيرية بداءة بدء للفاضلة الكريمة السيدة ليديا عقيلة المحسن الكريم نعمه افندي تادرس فجمعت في منزلها العامر ثلة من ذوي الايادي البيضاء في شهر تموز من السنة المذكورة فتألفن على السعي لتخفيف ويلات ذوي البوءساء وموءاساة الفقير وغوث الملهوف فنظمن جمعية خيرية وجلن يستدررن البر من محبي الخير وصنع المعروف فازدهت تلك الجمعية وانخرط في سلك اعضائها عدد كبير من فضليات نساء الجالية ومازالت منذ نشأتها تهتم بالفقراء وتحسن الى المعوزين وتعتني بمداواة المرضى وتخفيف ويلات ذوي الاسقام ودفع نفقة سفر من اخنى عليهم الدهر فاقعدهم عن العمل وقد اضطروا الى العـودة الى

اوطانهم انتجاعا للعافية وهي تهتم ايضا بالمهاجرين السوريين الذين يوقفون في ادارة المهاجرة وعلى الاجمال فهي الجمعية الوحيدة في نيويورك المنشأة لاجل مجرد عمل الخير والاحسان مع كل محتاج من ابناء الوطن بقطع النظر عن مذهبه او دينه ويجب على كل غيور مناصرة هذه الجمعية لتداوم عملها الخيري في تخفيف ويلات بني الانسان

موءلفوهم و كتبتهم ومنشوءهم

مع ان السوريين في المهجر جادون بكليتهم وراء المكاسب والارباح فقد قام بينهم عدد يسعى وراء اكتساب العلوم والفنون واقبلوا على تأليف الكتب المفيدة والروايات الأدبية وتبارى كتبتهم في حلبة السباق الادبي حتى صارت الكتب تعد بالعشرات وجيش الادباء وحملة الاقلام منتشرون في كل ناحية والمقالات الرنانة لكتبة المجيدين في كل فن تخترق الاسماع وتدخل الاذان بلا استئذان بل قد كاد المهجر يفاخر الوطن القديم بادبائه وعلمائه وشعرائه المجيدين الذين يطرقون باب سائر المواضيع ويبحثون في كل الامور الاجتماعية والسياسية وغيرها ولهولاء ميزة على اولئك بانهم تحت سماء الحرية يجاهرون بما يعتقدون وينتقدون بدون رهبة الرقيبة او خوف العقاب . ولهذا الجيش الادبي فضل مشكور في انارة العامة وتبليج صبح الحقيقة وتبديد كثير مما علق في اذهان البسطاء من الخرافات العجائزية والتقاليد العتيقة وهو اخذ بالازدياد كلما زاد نطاق المهاجرة اتساعا وهذه الكواكب الساطعة في سماء الآداب هي موضوع افتخار واعجاب كثيرين .

تأثير المهاجرة عليهم وتأثيرهم على الوطن القديم

السوري في المهجر غيره في الوطن فبفضل الوسط الحال فيه ومخالطة القوم المرتقين قد صار السوريون يعتبرون الحرية الشخصية ويطلبون الحقائق معرضين عن

الاوهام وعافوا كثيرا من الخرفات القديمة والعوائد المستهجنة وادركوا مالهم من الحقوق وما عليهم من الواجبات · وصاروا يحفلون بالامور النافعة ويميزون بين الغث والسمين وهذا الوصف ان لم يصح على مجموعهم فهو يصح على السواد الاعظم منهم · ومن قابل بين حالة المهاجرين وحالة المتخلفين في الوطن بدا له الفرق العظيم والبون الشاسع بين الفريقين ·حتى انك تكاد لاتسلم بانهم من دم واحد وطينة واحدة ولو اردنا تعداد الفوائد التي حصل عليها السوريون في دار هجرتهم لضاق بنا المجال دون استيفاء قسم منها· ولا نكون مبالغين اذا قلنا ان النهضة الاصلاحية القائمة في سوريا عموما اليوم وفي بيروت خصوصا مصدرها المهاجرون وصحافتهم فاولئك برسائلهم وزياراتهم وهؤلاء بمقالاتهم الرنانة كسروا قيود التقاعس وهمزوا القوم للنهوض للمطالبة بالحقوق المهضومة ووضع حد لغطرسة الاتراك واستبدادهم ·وما عقد موءتمر باريس العربي المطالب بالاصلاح الا معتمدا على مقدرة ومناصرة المهاجرين الادبية والمادية ·فنفخ المهاجرين بنفير الاصلاح من وراء البحار رن صداه في اقطار سوريا فنشط القوم فيها من عقال الخمول والتقاعس ونهضوا تلك النهضة التي يدونها لهم التاريخ بالفخر وانه ولئن تكن لم تسفر مساعي رجالها عن ادراك الوطر ووجود الضالة المنشودة الا انها كانت خير نابح لجماح المستبدين عن الاسترسال في الظلم والتمادي في الغواية وقد بدوا يشعرون ان في السويداء رجالا وان السوريين اليوم غيرهم بالامس ولكل دولة رجال فقد دالت دولة الظلم والقسر والجور او كادت ومرجع الفضل بذلك للمهاجرين واعمالهم الذين يغترفون من معين الحرية ويرتشفون من ينابيع الارتقاء والفلاح وينقلونها الى وطنهم القديم لاحياء تلك الروح الشريفة بين بني اوطانهم لكي يسعدوا في اوطانهم كما نعم المهاجرون في ارض غربتهم ·

اما الفوائد المادية التي اكتسبتها سوريا من بنيها المهاجرين فهي عظيمة جدا ولا يسع

احد انكارها · فاذا جال احد من شمالي سوريا الى جنوبيها راى من البنايات الضخمة والقصور الشاهقة ما يعجز عن وصفه اليراع وكلها شيدت باموال المهاجرين كذلك الاراضي والمحصولات قد ارتفعت اسعارها اضعاف الاضعاف والنقود وفرت بايدي الناس وكل ذلك من نتائج المهاجرة · فيعدلون مجموع ما يرسل الى سوريا سنويا من النقود من الولايات المتحدة وحدها بمليون ليره اي خمسة ملايين دولار فاذا فرضنا هذا المعدل لمدة خمس وعشرين سنة فتكون سوريا قد دخلها من مهاجري الولايات المتحدة في تلك المدة المذكورة ٢٢٥ مليون دولار فضلا عما يرسل ثمن واردات من سوريا من زيت وزيتون وبرغل وسمن وسائر انواع السمانة فيقدرونه بمبلغ ثلاثماية الف دولار سنويا

وقد ذكرنا الفوائد الادبية ونزيد عليها ان المهاجرين في الولايات المتحدة وحدها يستجلبون من سوريا كتبا كل سنة بما تبلغ قيمته الخمسة الاف دولار وقس على ذلك سائر المهاجر الاخرى·وقد قال لي خبير انهم لا يباشرون في سوريا بطبع كتاب الا اذا كانوا على ثقة انه يصادف رواجا في المهاجر

اما الفوائد الزراعية التي نالتها سوريا من المهاجرين فمما لايستخف به فالالات الزراعية والميكانيكية التي دخلت البلاد بفضل المهاجرين كثيرة ومتنوعة بل ان المهاجرين أوجدوا في البلاد السورية روحا جديدة نقول هذا على رغم الجاحدين الكنودين · فمتى رات سوريا الكهرباء تسطع في بيوتها والقطر الكهربائية تسير في شوارعها او متى بدت فيها دلائل الارتقاء واماثر الفلاح اليس منذ بدأ بنوها يجوبون الاقطار ويضربون في عرض الممالك·وهذه الامور المذكورة وغيرها مما لم يذكر صارت شهيرة فلا تحتاج الى زيادة اسهاب

وماذا نقول في الملمات والاحسانات ففي كل يوم لدينا حديث جديد بشأنها فلا نودع ذا الثوب الاسود حتى يأتينا صاحب الثوب الابيض ولا تفارقنا الراهبة حتى

يا أبينا الطبيب وصانع الاحسان • وما تهدم حائط كنيسة في سوريا او سقط جدار مدرسة او اريد انشاء بناية عمومية او كنيسة او مدرسة او مستشفى او غير ذلك الا واتانا «الجباة» من عابر الاوقيانوس يستندون الاكف ويستدرون الحسنات فيجولون من مخزن الى اخر ومن بيت الى غيره ومن مدينة الى سواها فيجمعون ما يتيسر لهم من المال الذي يذهب معظمه مصارفات وان تبقى شيء منه يذهب الى هوة لاقرار لها في الغالب الا القليل النادر الذي لا يقاس عليه ولولا محافظتنا على كرامة البعض لكنا اتينا على ذكر عدد وافر من هؤلاء «اللمامين» والكميات التي جمعوها ومن ثم لم يعد يسمع عنهم او عن «مشاريعهم» شيئاً فالمتخلفون في الوطن يعتمدون على المهاجرين في غالب اوفي كل امورهم ويستعينون بهم في كل ملمة فيجيرونهم ويكون الجزاء نعتهم «بالمفاقيع» والمتهوسين والمخلوعين وغير ذلك من الالقاب التي طالما سمعناها وقراناها ولو انصفوا لدعوهم بالمصلحين والمجيرين ورجاء الوطن ومصادر سعادته وهنائه • وبينما المتخلفون في الوطن يحسبون انفسهم شيئاً مذكورا بالنسبة للمهاجرين ترى المهاجرين ينظرون اليهم كقوم منحطين عنهم وليسوا كفوا لهم او مساوينهم في سائر الامـور فالمهاجرون قد صعدوا الى قمة طود الارتقاء وراوا من الحضارة والمدنية والفلاح مالم يحلم به المتخلفون النائمون في وادي التقهقر والانحطاط فنحن لا نريد ان نتنقص اخوتنا في الوطن او نترفع عنهم او نحط من كرامتهم انما الجأتنا الضرورة ان نرد الصدى ولو مرة ونذيقهم بلغة مما يجودون به علينا • ونعجب كل العجب كيف ان طالبي الاحسان من بلادنا السورية يتكبدون المشاق ويتجشمون الاخطار لاجل جمع الدينار من المهاجرين في سائر الاقطار وعندهم من الاغنياء وذوي الثروة ماتمكن مقابلتهم مع اغنياء اوروبا واميركا الذين يجودون بسخاء على المشاريع المفيدة والبيوتات الخيرية واغنياء بلادنا قابضون ايديهم حتى عن تأليف شركات مفيدة تقوم باعمال ترقي البلاد

ونسعد العباد · افليس من العار الا تكون كلية علمية في بلادنا او مستشفى او مرفأ او سكة حديد او غير ذلك الا بيد الاجنبي فاين الاغنياء وذوو الثراء ليتهم يريحون المهاجرين ولو شهرا واحدا من اللمات والضرائب

ـمستقبل السوريين المهاجرينـ

قلنا ان قصد السوريين الاول في المهاجرة لم يتعد حد جمع الدراهم والعودة الى الوطن لتلذذ بما جمعوه · ولكن لما ذاقوا لذة الحرية وراوا فرص النجاح سانحة لهم وابواب الارتقاء مفتوحة امامهم عدلوا عن فكرة الرجوع ومالوا الى البقاء وشرعوا يعملون كمن يريد البقاء فاشتروا الاملاك وابتاعوا المزارع واسسوا المحلات التجارية على طريقة ثابتة · وعدد كبير منهم تجنسوا بالجنسية الاميركية واندغموا بالوطنيين وشاركوهم في جميع امورهم حتى السياسية · وقد احلهم الاميركيون محلا رحيبا ومن توسموا فيه علامات الاهلية فسحوا له مجال التقدم حتى اننا صرنا نجد السوريين في بلدان كثيرة ذوي نفوذ سياسي وفي بعضها يديرون الشوون السياسية ويوءثرون في الانتخابات العمومية هذا مع نجاحهم المادي وتمتعهم بالحرية والامن ووجود وسائل النجاح الغير معروفة في الوطن القديم حببت الى الاكثرين البقاء في ديار الهجرة وقضت على الامال بالرجوع الى الوطن الاصلي · وفضلا عن ذلك ان السواد الاعظم من المهاجرين ذوو عائلات واولادهم مالئون المدارس الوطنية وممتازون بذكائهم ونجابتهم فلو رغبوا في العودة هم انفسهم يصدهم عنها محبة مستقبل اولادهم الذين هم اميل الى الاميركان والعادات الاميركية منهم الى السوريين والعادات السورية فهل ينتظر من هوءلاء ان يعودوا الى سوريا في المستقبل ـ كلا · ولو بقيت اللغة العربية تربطهم بذوي قرباهم في الوطن لكان يوجد بارق امل بذلك اما وقد اعدم ذلك الرابط وحلت اللغة الانكليزية محل العربية في غالب البيوت والعائلات السورية حتى والتي معظم افرادها من مولودي سوريا فلاامل

بعودة المهاجرين ولا نسلهم ومن دقق البحث في كيفية معيشة السوريين في الولايات المتحدة ودرس اميالهم وافكارهم لوجد انه لا يوجد عشرة بالمئة يخطر على بالهم فكر العودة الى الوطن القديم ٠ ومن عاد منهم اليه لا يستقر به المقام اشهرا معدودة حتى يعودوبرفقه اقاربه واصدقائه وهو يقسم بالا يعود ثانية الى ذلك الوطن التاعس بحكومته واغبيائه

ولو ان الدولة العلية الابدية القرار عملت شيئا يحبب الى المهاجرين الرجوع لكنا نعلل النفس ان فريقا منهم يعودون الى اوطانهم ولكن من نكد الطالع انها فضلا عن عدم اهتمامها بذلك فهي تضغط على الباقين لكي يهاجروا واذا دامت المهاجرة على معدلها الحالي مدة سنوات قليلة تفرغ سوريا من سكانها المسيحيين الذين يجدون «ارضا بارض» وينسون الوطن القديم غير آسفين عليه وهو على ماسبق ذكره من الانحطاط والشقاء والظلم وضيق الحال وقلة الاعمال.

وقد ذكرنا ان اخص اسباب المهاجرة سوء الجوار واعتلال الاحكام وظلم الحكام وقلة ذات اليد وغير ذلك ولم نر زوال احد تلك الاسباب حتى الان فماذا يحبب الى المهاجر العودة اذن ؟

فالحالة تدل على اندغام المهاجرين بالوطنيين وتأمرك نسلهم فما تمضي ثلاثة او اربعة اجيال حتى يتناسى نسل المهاجرين المذكورين سوريا والسوريين وتغدو اللغة العربية في المهجر نسيا منسيا والله اعلم

الفصل السابع والثمانون

الجوالي السورية وممثلو السوريين في الولايات المتحدة

نيويورك

النزالة السورية في نيويورك العظمى اعظم النزالات السورية في الولايات المتحدة واكثرها عددا واوفرها ثروة واوسعها تجارة . وفيها من اكارم الرجال وفضليات النساء من تتيه بهم فخرا وترنو عجبا فمن رئيس كريم وصحافي مجيد ونطاسي حاذق وتاجر فاضل وعالم اديب ومنشيء بليغ وخطيب مصقع وكاتب نحرير وجيش الادباء فيها وافر كامل المعدات بيد انها لا تخلو من بعض جهلا وهولاء منها بمثابة النوى من الثمر او القشر من اللباب

وغالب المحال التجارية السورية في نيويورك ولكن بيوت السكن هي في بروكلن ويقطن السواد الاعظم من جالية نيويورك في بيوت فخمة مزينة بالاثاث الفاخر ومعيشتهم اجمالا حسنة ولا عبرة باسراف البعض وتقتير غيرهم لانه لا يصح اتخاذه قياسا

والسلام سائد في الجالية الا ما كان من الحوادث اليومية الوقتية التي لا تخلو منها امة او شعب

وجالية نيويورك ليس لها اختلاط بالاميركيين كالجوالي الاخرى في الداخلية ولذلك اسباب اهمها ان كل شعب في مدينة نيويورك يسكن منفردا عن غيره كاليهود مثلا والايرلنديين والايطاليان وهلم جرا ولا اختلاط عادة بين تلك النزالات الافي ما يخص البيع والشراء واما في المدن الصغيرة فالمجال متسع للسوريين ان يختلطوا بالوطنيين وعليه فتراهم فيها اكثر اختلاطا بهم من سوريي نيويورك

وقد اجملنا الكلام عن التجارة السورية في الفصل السابق فلا حاجة الى التكرار

وتمتاز الجالية السورية في نيويورك عن سواها بوفرة القهاوي والمطاعم ومحلات صنع الحلوى وغيرها فيخال السوري ذاته في وطنه اذ يرى خبزه وسائر انواع ماكولاته جاهزة بايدي سوريين وتباع على الطريقة السورية المألوفة في الوطن · ويأوي الى اماكن اللهو مع صحبه واخدانه

اما عدد السوريين في نيويورك العظمى فيتراوح بين الخمسة عشر والعشرين الفا وهم من مدن وبلدان مختلفة من سوريا · ويقسمون بالطبع الى مراتب او طبقات متعددة

وقد اوردنا في الفصل السابق اسماء الرسالات الروحية والجرائد والمجلات والجمعيات ولمحات من تاريخها فلا نرى حاجة للاعادة

ونثبت هنا اسماء بعض افاضل الجالية من طبقات مختلفة تخليدا لذكرهم ومفاخرة باعمالهم المجيدة وما نيهم الكريمة واذا اهمل ذكر احد سهوا او عمدا فلا يقصد بذلك الحط من كرامته او بخسه حقه ولكن لان ضيق المقام يمنعنا عن ذكر الافراد كما لا يخفى على فطنة كل ذي تمييز وحجى

الروءساء الروحيون

اكبر رئيس روحي سوري واول اسقف شرقي في الولايات المتحدة هو نيافة العلامة المفضال السيد رفائيل هواويني الدمشقي اسقف بروكلن ورئيس الرسالة الروحية السورية الارثوذكسية في سائر انحاء اميركا الشمالية · ولد سنة ١٨٦٠ في مدينة بيروت اذ هاجر والداه اليها على اثر حادثة تلك السنة الشهيرة ثم عادا به الى مدينتهما دمشق وهناك تلقى في مدارس الطائفة مباديء العلوم واللغات والموسيقى الكنسية ثم سنة ١٨٧٤ سامه المثلث الرحمة البطريرك ايروثاوس اناغنسطا اي قارئا وتوسم فيه دلائل النجابة والتقى وسنة ١٨٧٩ تتلمذ لمدرسة خالكي اللاهوتية الشهيرة وفي السنة

السابعة او الاخيرة من وجوده في تلك المدرسة سيم شماسا انجيليا وذلك سنة ١٨٨٥ وبعد ان احرز شهادة اللاهوت القانونية من مدرسة خالكي عاد الى وطنه سوريا وتعين شماسا لمثلث الرحمة خريستوس صليبا مطران عكار ٠ وبعد ذلك طلبه من نيافته رسميا غبطته المثلث الرحمات البطريرك جراسيموس لما راى من فصاحته ومقدرته العلمية واللاهوتية وعينه واعظا اثناء سفرته الشهيرة في ابرشيات الكرسي الانطاكي ٠ ولما عاد البطريرك الى مقر كرسيه في دمشق عين صاحب الترجمة رئيسا لعدة جمعيات واناط به ادارة امور كثيرة غير انه كان طموحا الى اكتساب المعارف راغبا في التعمق في سائر العلوم الروحية وغيرها فسعى بالدخول الى احدى الاكاديميات الروسية وتم له ذلك عام ١٨٨٨ فسافر الى روسيا ودخل اكاديمية كياف اللاهوتية الشهيرة ٠ وما صرف في ذلك المعهد العلمي سوى سنة حتى الح عليه غبطة البطريرك جراسيموس بقبول رئاسة الامطوش الانطاكي في مدينة موسكو فاضطر الى قبول ذلك المنصب حبا بخير الكرسي الانطاكي فجرت سيامته ارشمندريتيا في ٤ حزيران سنة ١٨٨٩ عن يد رئيس اساقفة روسي اجابة لطلب البطريرك الانطاكي اليه واستلم رئاسة الامطوش المذكور فسعى في تحسين بناياته واوقافه حتى جعلها تدر بالخير على الكرسي وابقى في ذلك الامطوش اثارا لا تمحوها الايام بل يذكرها له التاريخ بالفخر ٠ وهناك جال جولته الشهيرة ضد اليونان المتعصبين على الارثوذكسيين السوريين ونفى اكاذيبهم التي كانوا يشيعونها ويلفقونها في بلاد الروس وذلك بمقالات رنانة في احدى امهات الجرائد الروسية فكان لمقالاته ضجة عظيمة اهتز لها العنصر اليوناني في كل مكان وفي خلال ذلك الف كتابه الشهير وعنوانه «لمحة تاريخية في اخوية القبر المقدس اليونانية» وطبع منه الوفا من النسخ ووزعها مجانا في سوريا وغيرها فكانت خير منبه للسوريين الارثوذكسيين ضد ما تأتي تلك الاخوية المعروف امرها ٠ واليه مرجع

معظم الفضل في النهضة الوطنية الأخيرة في نزع الكرسي الانطاكي من يد مغتصبيه اليونان ولقد خدم وطنه خدمات جليلة مدة وجوده في روسيا ففضلا عن نضاله في سبيل تحرير الكرسي المذكور كان يسعى سعيا حثيثا في ادخال تلامذة سوريين في اشهر مدارس روسيا فادخل منهم عشرات وقد نبغ منهم عدد من ذوي الفضل والعلم وسهل للجمعية الفلسطينية طريق الدخول الى سوريا وفتح المدارس فيها ولاسباب لا حاجة لتفصيلها ترك خدمة الكرسي الانطاكي ودخل في خدمة الكنيسة الروسية التي رحبت به نظرا لعلمه وفضله وتقواه وتعين استاذا للغة العربية في اكاديمية كازان الروحية وكان يصرف كثيرا من اوقاته في تحبير المقالات العلمية والدينية في اللغات الثلاث الروسية واليونانية والعربية وبتأليف وترجمة بعض كتب وكراريس روحية طبعت على نفقة الجمعية الفلسطينية في كازان وقد سرت الجمعية بخدمات هذا العالم العامل فانتخبته عضوا عاملا فيها مدى الحياة وكافأه جلالة القيصر بوسام القديسة حنه من الدرجة الثالثة

وسنة ١٨٩٠ كتبت اليه الجمعية الخيرية الارثوذكسية في نيويورك ان يتولى رعاية نفوس السوريين نزلاء تلك المدينة فاجاب الدعوة حبا بخدمة بني وطنه في ديار هجرتهم فجاء الولايات المتحدة على ما سبق والحزم رائده وثبات العزيمة قائده وتقوى الله معتمده فانشاء ابرشية زاهية زاهرة وقد مر وصفها وتعب وجد وعمل اعمالا يكل عنها عدة رجال اشداء • فتأسست بعنايته نحو ثلاثين كنيسة يقوم بخدمتها رعاة قانونيون • وانشاء مجلة الكلمة البهية نشر ومازال يذيع فيها من التعاليم المسيحية الحقة والمباديء الادبية الصحيحة والاقوال الحكمية الباهرة ما ينير الاذهان ويميط نقاب الجهل ويعمم العرفان فضلا عن الكتب والكراريس التي طبعت في روسيا وغيرها قد ترجم والف في الولايات المتحدة كتاب التعزية الحقة في الصلوات الالهية وهو كتاب كنسي شامل كتاب خدمة جناز الاطفال وكتاب الدليل الامين في خدم التكريس والتدشين •



نيافة العلامة المفضال روفائيل اسقف بروكلن الوافر الاحترام

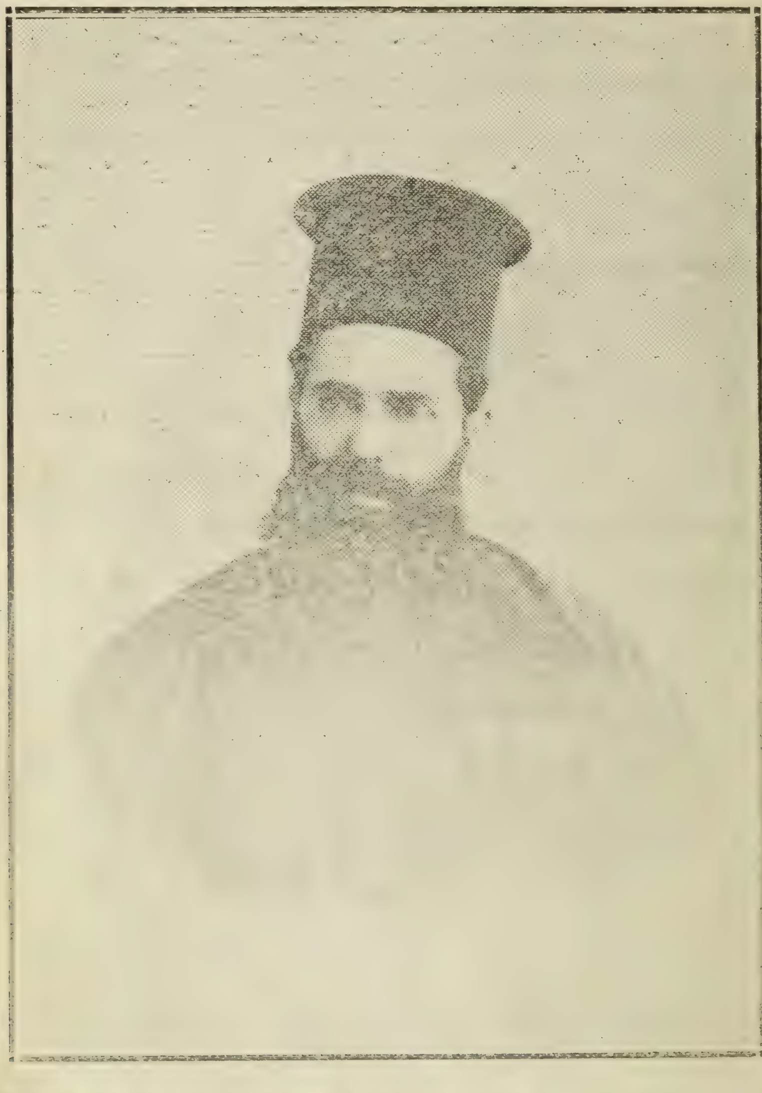
و كتاب الافخولوجي الكبير وهذان الكتابان كانت محرومة منهمالغتنا العربية مع انهما ضروريان جدا لسائر الكنائس العربية الارثوذكسية ٠و كتاب الخدم الكنيسة المعروف بالقنداق وضمنه من الشروحات والتفاسير الضرورية مما لم يسبق له نظير في اللغة العربية و كتاب مختصر الافخولوجي وقد دفع نفقات طبع ونشر هذه الكتب من ماله الخاص ٠ وهذا السيد موصوف بسعة علمه وعلو همته ومضاء عزيمته وعزة نفسه وتواضعه ولطف معشره ودماثة اخلاقه وحميد صفاته وقد قرن الى العلم الوافر والفضل الجزيل تقوى الله القدير وعمل البر والاحسان وهو ضليع باللغات العربية واليونانية والروسية والانكليزية ويحسن الافرنسية والتركية واللاتينية اطال الله سني رئاسته السعيدة للخير العميم والفضل الكثير وسيدون التاريخ لسيادته اعمالا خطيرة وافعالا مجيدة في المستقبل خلا التي دونها بمداد الافتخار اما ما احرز نيافته من النياشين ونحوها فنضرب صفحا عن ذكره لانه ما وعى صدره من العلم الزاخر والفضل الوافر والتقى والبر هو خير حليته له

وقد اسعد الله جالية نيويورك برجل اخر من رجال الدين جمع بين العلم والعمل والفضل والتقى وهو سيادة العلامة المفضال الخوراسقف خيرالله استفان المعتمد البطريركي الماروني في الولايات المتحدة٠فهو عالم كبير و كاتب نحرير وواعظ قدير مشهود له بطول الباع في كل الفنون العلمية والعلوم اللاهوتية وهو ضليع بعدة لغات اجنبية فضلا عن لغته العربية التي يحسب فيها من الايمة٠وقد انشأ مجلة الحكمة الزاهرة ولكن لسوء حظ قراء العربية قد اضطر الى ايقافها لاسباب صحية اكثر الله من امثال هذا المفضال بين ابناء الوطن الاعزاء لرفع منار العلم والعرفان وازدهاء الفضيلة وتوطيد اركان التقى ومخافة الله

ومن رجال الدين الافاضل في جالية نيويورك قدس الاب المفضال الخوري بولس سنكي راعي الطائفة الكاثوليكية الكريمة والمعتمد البطريركي في الولايات المتحدة



سيادة العلامة الخورسقف خيرالله اسطفان نائب البطريرك الماروني



قدس الاب الفاضل الخوري بولس السنكي المعتمد البطريركي الكاثوليكي

وهو على جانب يذكر من العلم والتقى وقد مر ملخص ترجمته والعلوم التي تلقاها وهو شارع بتشييد كنيسة ومدرسة لطائفته حقق الله اماله

ومن خدمة الدين ايضا في نيويورك قدس الايكونومس ابراهيم بشواتي ولعله اقدم الكهنة الشرقيين هجرة والاب فرنسيس يواكيم وهو ذو علم واسع وغيرة مذكورة. ومنهم قدس الشماس عمانوئيل ابو حطب خريج مدرسة البلمند اللاهوتية وهو كاتب بليغ وعالم ضليع ويرجى له مستقبل حسن نظرا لذكائه الفطري وسعة اطلاعه على رغم حداثة سنه . ومنهم حضرة القس يوسف زيدان والمعلم خطار فارس والخوري باسيليوس خرباوي كاهن كاتذرائية القديس نقولاوس الارثوذكسية الاول وموءلف هذا الكتاب.

—الاطباء—

من خيرة اطبائنا في نيويورك واقدمهم عهدا في مهنة الطب الشريفة هو النطاسي البارع الدكتور نجيب افندي بربور خريج الكلية الاميركية في بيروت وناقل شهادات من المكتب الطبي الشاهاني في القسطنطينية ومن عدة مستشفيات شهيرة من باريس واجازة رسمية من ولايتي رود ايلند وكاليفورنيا وعضو عامل في مستشفى سانت لوكس في مدينة نيلس من ولاية مشغن وبيده شهادة شرفية بذلك .وهو طبيب أختصاصي في امراض القلب والرئتين وغيرها من الامراض الداخلية وهو عالم فاضل ضليع في عدة لغات اجنبية فضلا عن اللغة العربية . وقد كان في بيروت معاونا للفيلسوف الشهير المرحوم الدكتور كرنيليوس فانديك اثناء تطبيبه في مستشفى القديس جاورجيوس للروم الارثوذكس وعقيب استقالة الدكتور فانديك من المستشفى المذكور تولى الدكتور بربور الطبابة مكانه وكان في خلال ذلك يدرس الفيسولوجيا في مدرسة زهرة الاحسان الارثوذكسية .وبعد ذلك غادر سوريا الى باريس الزاهرة قصد التبسط في الطب الحديث والاطلاع على محدثات هذا الفن

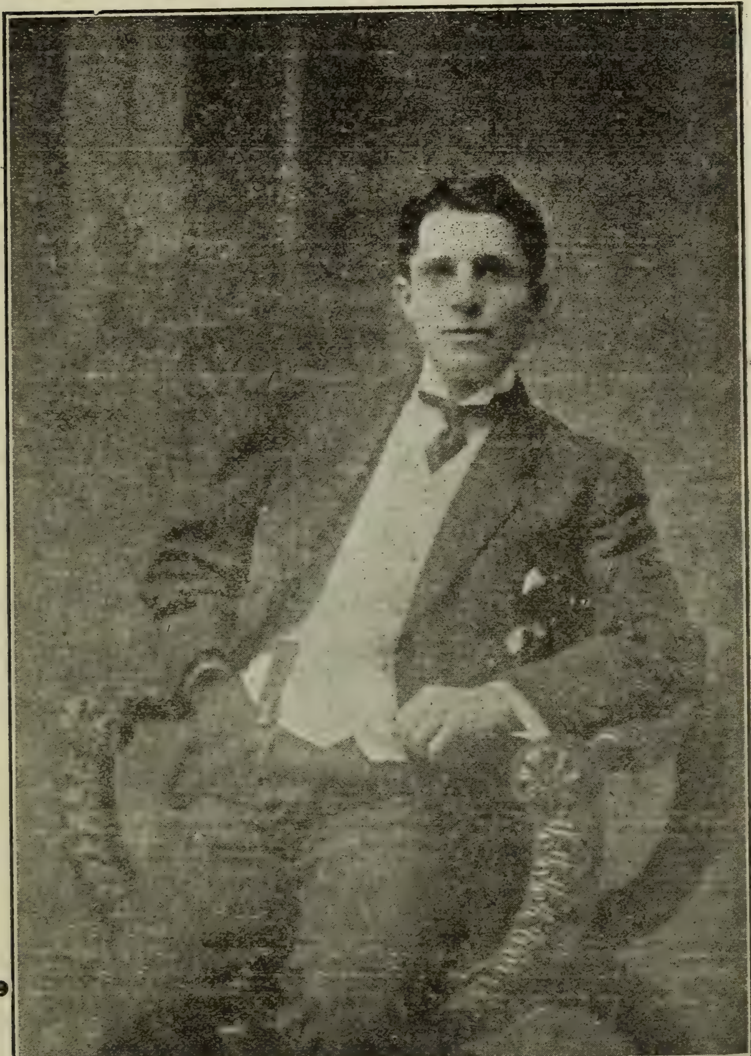
وبينما هو هناك ارسل اليه احد اصدقائه يلح عليه بالحضور الى نيويورك فحضر سنة ١٨٩٩ وفي عزمه مشاهدة بلاد العجائب والعودة الى وطنه غير انه اجابة لالحاح أصدقائه بقي في نيويورك وكان ذلك من حسن حظ الجالية للاستفادة من علمه وادبه

ومن اطبائنا البارعين الدكتور رشيد افندي بدور خريج الكلية الاميركية في بيروت حضر الى الولايات المتحدة عام ١٨٩٥ وهو طبيب حاذق وعالم فاضل وطبيب جراح في مستوصف يخص ادارة الصحة العمومية في نيويورك وذلك من ادلة ثقة الحكومة بمقدرته ومكانته من فن الطب . ومنهم ايضا الدكتور البارع نسيب افندي برباري خريج المدرسة الكلية في بيروت وقد احرز شهادة الامتياز في التشريح جاء اميركا في خلال عام ١٩٠٥ وهو من المتوقدين غيرة والمتفانين في خدمة بني وطنهم وله في ذلك اعمال مجيدة تذكر له بالشكر

وبيننا نطاسي بارع وعالم عامل تفاخر الجالية به وبادابه ويحسدنا عليه المهاجرون والمتخلفون الا وهو الدكتور رزق افندي الحداد بكلوريوس علوم ودكتور في الطب ودكتور في الفلسفة من جامعة كولمبيا وقد وعى في صدره علوم الاولين والاخرين وقلما اجتمعت مواهبه الفائقة في رجل واحد فهو نطاسي حاذق وعالم كبير وشاعر لا يشق له غبار وكاتب لا يبارى وخطيب لسن وواعظ بليغ وقد شهد بمقدرته الطبية كبار الاختصاصيين في نيويورك العظمى وهو مثال الاجتهاد والثبات ومضاء العزيمة وهو اول رئيس لجمعية الاتحاد السوري الكبرى

وقد نبغ بين جاليتنا الكريمة طبيب اسنان ماهر ذو حذاقة لا تبارى وبراعة لا تضاهى حتى انه فاق الاطباء الوطنيين بمعرفته دقائق الامراض التي تعتري الاسنان وبتطبيب الاسنان بموجب العلم الحديث فضلا عن مهارته في حشوها ووضع طقومة كاملة وغيرها على احدث طرز واتقن منوال وهو النطاسي البارع وليم افندي زريق المشهور بمقدرته

الطبية وغيرته الوطنية وادبه الزاهر



الدكتور وليم افندي زريق

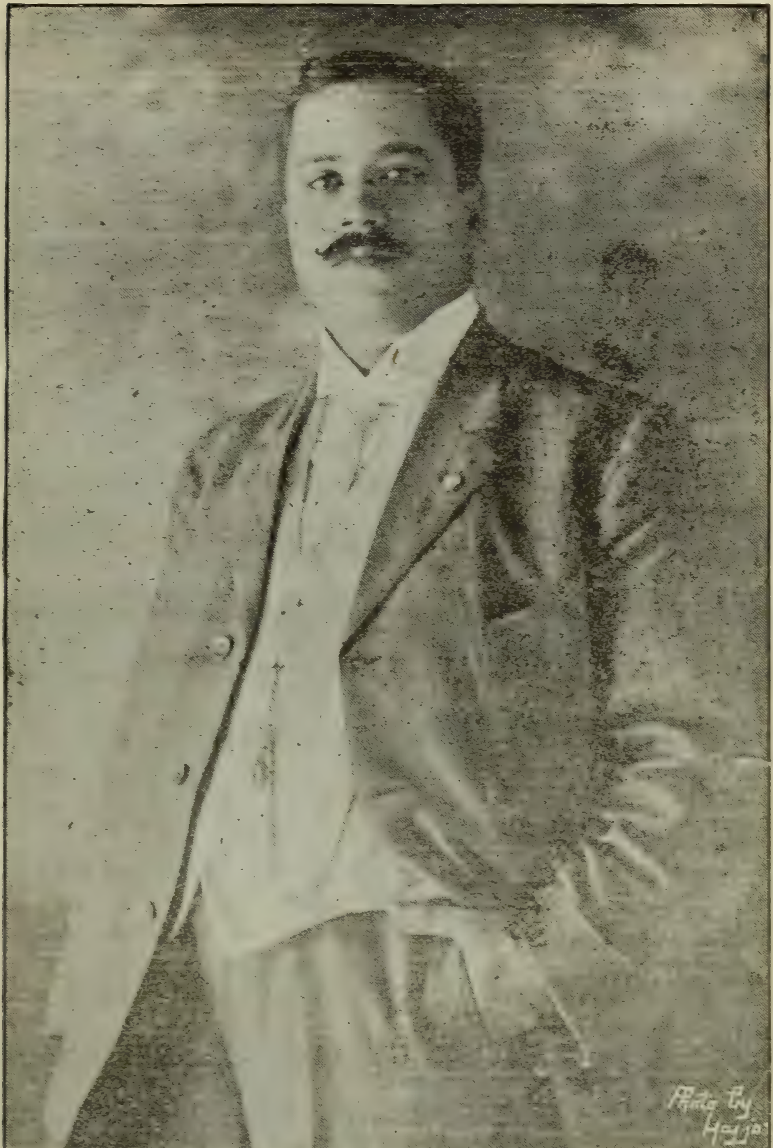
وكذلك الدكتور يوسف افندي اصفر فهو خبير ماهر في معالجة الاسنان وكل ما يتعلق بذلك الفن

وبيننا عدد من الصيدليات السورية اشهرها صيدلية يوسف افندي يبرودي صاحب مجلة الصحة الغراء

الكتبة وجيش الادب

تفتخر الجالية النيويوركية بوفرة عدد الادباء والكتبة المجيدين فيها فانهم يعدون بالعشرات فمنهم نحوا من عشرين بكلوريوس علوم وعدد وافر من حملة الاقلام ودعاة الاصلاح واعلام الهدى ولو اردنا تعداد اسمائهم لضاق بنا المجال ولكننا اقتصرنا على ذكر بعضهم ممن لهم القدح المعلى والقدم الثابتة في ميادين العلم والادب · فارباب الصحف تنم بفضلهم جرائدهم السيارة التي يودعون فيها من عرائس الافكار ومخدرات المعاني وصائب الآراء ما يبقيه لهم التاريخ ذكرا حميدا فهم لذلك في غنى عن اثبات اسمائهم ووصفهم بما يستحقون وانما اثبتنا اسم اثنين من مجموعهم لما نعلمه عنهما شخصيا من المأثورات والخلال الكريمة فاحدهما نجيب افندي دياب صاحب جريدة مراة الغرب اليومية ومطبعتها الكبرى فهو اديب فاضل وكاتب مجيد طيب القلب حسن الصفات كثير الاخلاص جزيل الغيرة الوطنية وقد كرس نفسه ونفيسه في سبيل الحقيقة ومن ذا يجهل وقفة هذا الرجل الحر وبيده قلم امضى من الصارم البتار مدافعا عن الحرية ومطالبا بالاصلاح في زمان السلطان عبد الحميد فكان لكلامه وقع عظيم ارتجت له الاستانة العلية فصدرت الاوامر بمصادرة املاكه في لبنان وحكم عليه بالاعدام والنفي من السلطنة العثمانية وهو مع ذلك لا يزال يجاهر بالحق غير هياب ولا وجل

وقد ابتدا خدماته الادبية في المهجر منذ سنة ١٨٩٣ اذ تولى تحرير جريدة كوكب اميركا مدة عدة سنوات ثم انشأ جريدة مراة الغرب منذ خمس عشرة سنة وكرسها



نجيب افندي دياب منشيء وصاحب جريدة مراة الغرب

لخدمة المهاجرين ومقاتلة الظالمين والضرب على ايدي الخونة والغادرين وهي معرض لافكار الكتبة القديرين والشعراء المجيدين وله بين الادباء منزلة سامية · وقد عرف نجيب دياب بغيرته الادبية ومناصرته الادباء فشرع يطبع على نفقته الكتب المفيدة ونحوها · وقد انتدبته جمعية الاتحاد السوري الكبرى ممثلا لها ومندوبا من قبلها في المؤتمر السوري العربي الاصلاحي الذي عقد في باريس خلال سنة ١٩١٣ فقام بذلك خير قيام ومثل السوريين المهاجرين تمثيلا لائقا واعرب بخطابه في المؤتمر عن مقدار ارتقاء المهاجرين ومكانتهم وهو دائب في خدمته الادبية وسيدون له التاريخ حسنات كثيرة ومآثر كريمة

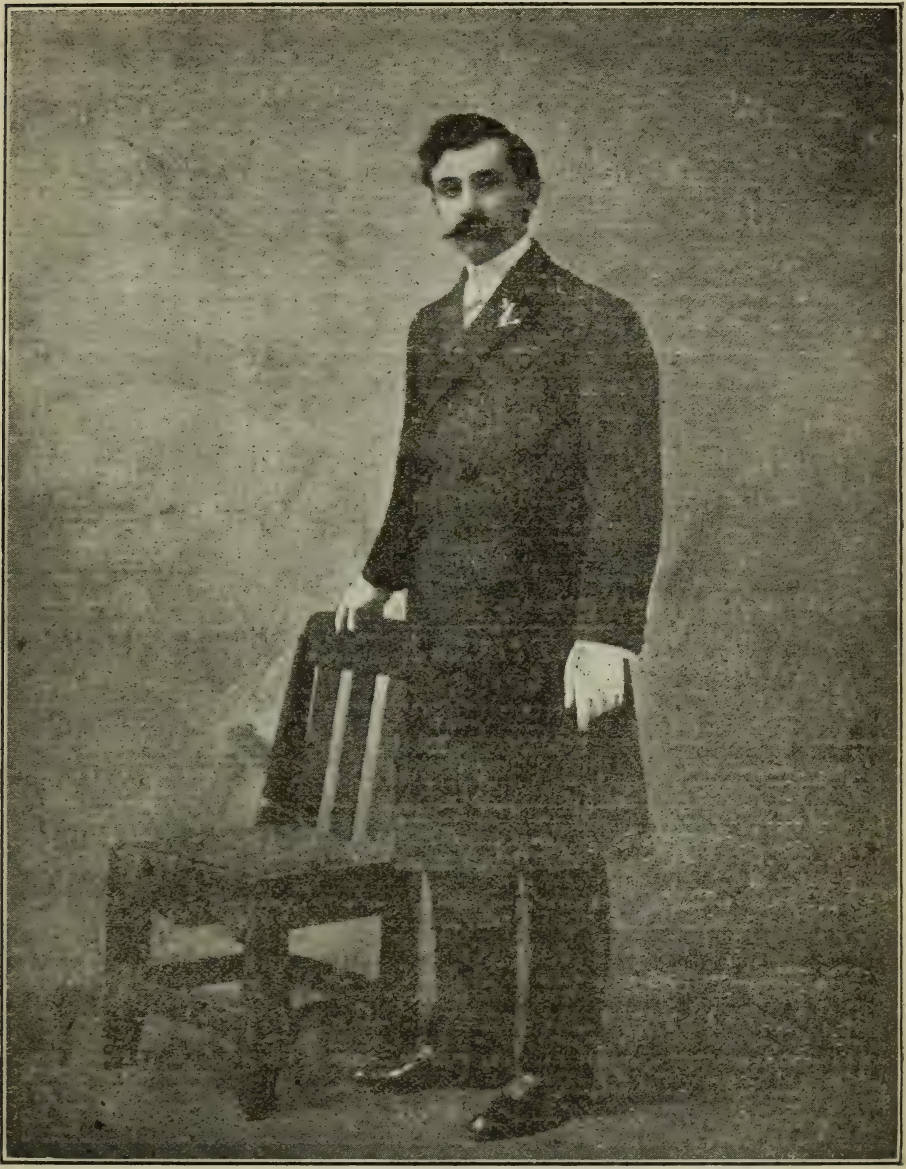
والاديب الاخر الذي نثبت اسمه الكريم على صفحات هذا الكتاب هو الحر الفاضل والشاعر الناثر والكاتب المجيد الممتاز بحسن اسلوبه وذوقه في الانشـــاء هو نجيب افندي جرجي بدران احد صاحبي الدليل الاغر الذي عرف بتجرده لخدمة الحقيقة وترفعه عن الشخصيات وضربه على يد الظالمين وتنديده بمن يحيد عن جادة الصواب وهو رئيس المنتدى السوري الاميركي وله في خدمته واعلاء شأنه اليد البيضاء وقد توالى انتخابه رئيسا له مدة عدة سنوات متوالية مما يدل على ثقة الاعضاء به وتقديرهم اياه حق قدره · ولهذا النجيب الباع الطولى في احياء فن التمثيل العربي في الولايات المتحدة وادارة تمثيل الروايات الادبية العائد ريعها لنفع المنتدى الادبي حتى ان الناس يتوقعون بفروغ صبر حلول اجل التمثيل الذي يقوم به اعضاء المنتدى تحت عناية رئيسهم الفاضل · وعلى الاجمال فان هذا الصحافي ذو همة واقدام وعزم ثابت وشجاعة ادبية نادرة وعلم وحصافة واستقامة مبادىء عز وجودها وبمثله يفتخر اولو النهى وذوو الاداب في كل مصر وقطر وهو صاحب المطبعة الكبرى التي طبع فيها هذا الكتاب ومنضدة حروف عربية هي الثانية من نوعها في العالم العربي وسيأتي ذكرها

ومن ادبائنا الذين جمعوا بين شرف المحتد والادب الزاهر واللطف والظرف وحسن الخلال و كرم السجايا وليم افندي كاستفليس بكلوريوس علوم ومن يجهل هذا الاديب ونفثات اقلامه تزين الصحف والكتب وهو من الكتبة القديرين الذين يراعون المعاني المبتكرة الجميلة اكثر من تنميق الكلام بما لامعنى له وهو من الذين اوجدوا روحا جديدة في جسم التمثيل العربي و كتاباته في اللغتين الافرنسية والانكليزية لاتقل فصاحة وبلاغة عن كتاباته في اللغة العربية وله اثار قلمية كثيرة ومن كتبتنا المجيدين يوسف افندي مراد الخوري والشيخ عباس ابو شقرا وسلوم افندي مكرزل وخليل افندي الخياط وجبران افندي جبران ونقولا افندي الخوري وامين افندي الريحاني وعبد المسيح افندي الحداد ويوسف افندي واكيم ووديع افندي خوري والياس افندي عطاالله وموسى افندي الخوري ونعمه افندي الحاج وصبري افندي اندريا والناثر الشاعر رشيد افندي ايوب وتوفيق افندي فخر ومن الكتبة الخفيفي الروح الذين كتاباتهم تزري بالدرر الغوالي وهي السحر الحلال بل السلسبيل السلسال التاجر المعروف وديع افندي باحوط الذي على رغم وفرة اشغاله التجارية لا يحرم عشاق الادب من نفثات قلمه السيال • وهنالك كاتب اديب وعالم فاضل تمنعه تجارته الواسعة عن معالجة المواضيع المفيدة واتحاف قراء العربية بدرر اقوالهم وهو الاديب سليم افندي كسباني بكلوريوس علوم وبيننا ايضا كاتب من اقدر الكتبة الذي مع انقطاعه الى التجارة لم يحرم قراء العربية من نفثات قلمه السيال ومبتكرات افكاره السامية وهو اسعد افندي المكي احد صاحبي جريدة الدليل الاغر فكتاباته هي الدر المنظوم والسحر الحلال و كذلك الاديب الفاضل المعروف بادابه وطيب اخلاقه نعمه افندي منير صاحب المقالات الاصلاحية الحرة و كذلك الشاعر المجيد والكاتب الاديب نخله افندي زايدان وبيننا عدد وافر من حملة الاقلام ونصراء الادب لا يسعنا تعدادهم •وخارج نيويورك عدد من الكتبة

لافاضل والشعراء المجيدين منهم الشاعر والناثر البارع مراد افندي ابو ضاهر نزيل مدينة سنسناتي والكاتب الاديب اسكندر افندي اليازجي وسليم افندي الخازن ونسيب افندي معلوف في جمعية الصليب الاحمر الاميركية ويوسف افندي زخم نزيل لنكلن براسكا والياس افندي ماريا نزيل بوسطن وسليمان افندي داود وقيصر افندي وحيد والياس افندي الصباغ وفريد افندي غصن وغيرهم كثيرو كل منهم نبراس علم وهدى. ومن ولئك الادباء عدد يكتبون باللغة الانكليزية بفصاحة ومقدرة كما يكتبون في اللغة العربية وهم موضوع اعجاب الكتبة الاميركيين

ـ التجار ـ

تقدم القول بان تجارة السوريين متعددة متنوعة وجل تجارنا ذوو استقامة وامانة ونثبت هنا اسماء البعض منهم تخليدا لذكرهم واعجابا بنشاطهم وجدهم واستقامتهم فمن كبار تجارنا بالبضائع المتنوعة وتصديرها وتوريدها فضلا عن المصرف الشهير الافندية دانيال وجورج وضومط فاعور وقد مر ذكرهم ٠ ومن التجار الجزيلي الاهمية في المطرزات الكتانية والخرج النحيف ونحو ذلك وعمله في مصانعهم الخاصة في اوربا واميركا الافندية ملوك اخوان وجورج كساب وشركاه ٠ وفياض افندي جباره واخوانه الذين يستوردون سائر انواع البدلات المطرزة والسكارفات وطقومة المائدة الكتانية وغير ذلك من البضائع المتعارفة من سائر انحاء اوربا وغيرها ٠ وهؤلاء الاخوان معروفون بشهامتهم وعزة نفوسهم اخصهم كبير محلهم فياض افندي الذي يصح اتخاذه نموذجا في الاستقامة والشهامة والغيرة الوطنية ٠ وكذلك الافندية امين وسليم سمارا اصحاب المصانع الكبيرة في بلاد اليابان وغيرها وهم يستجلبون من البضائع البيضاء ما فيه دقة في الصناعة ويصادف رواجا واقبالا بين الاميركيين ٠ ومن الذين جعلو الامانة رائدهم والاستقامة اساس اعمالهم الافندية كامل ختن وحنا النحاس وعزيز ختن



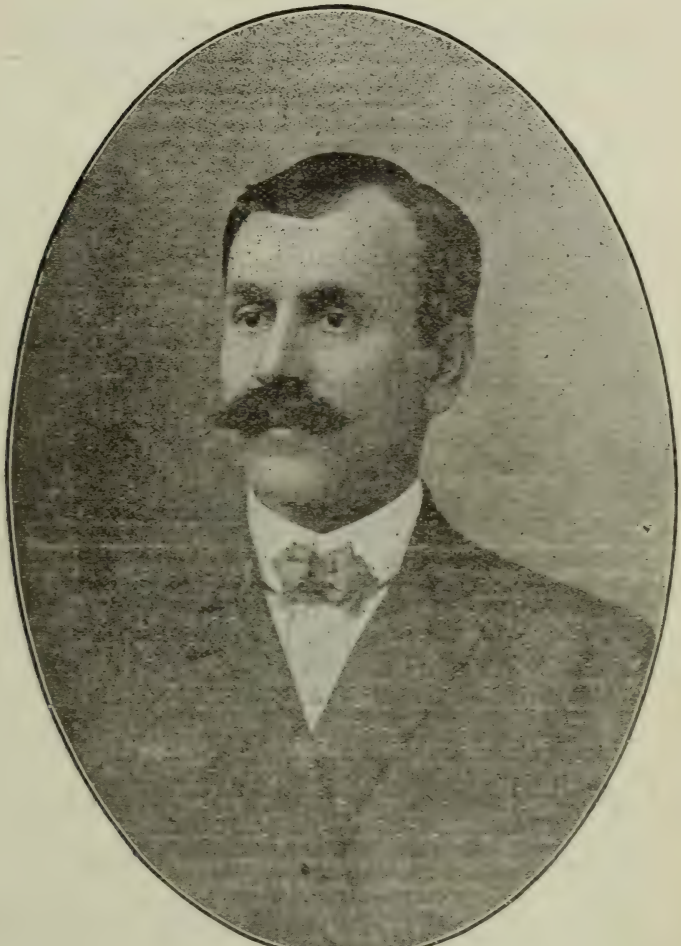
التاجر المستقيم والوطني الفاضل الغيور فياض افندي جباره

اعضاء في المحل الشهير المعروف باسم ناصر وختن ونحاس وهم يتاجزون بسائر البضائع البيضاء المتعارفة وفضلا عن ذلك لهم مصنعان للكمونا وبضائعهم ممتازة بانها منتقاة بذوق سايم وخبرة طويلة و كذلك التجار الافاضل الافندية مراد وامين مرهج وحنا الشحفه المعروفون بشهامتهم وغيرتهم ولهم تجارة واسعة في البضائع البيضاء والخرج النحيف اخصها الخرج المالطي الذي يكاد يكون محصورا في محلهم فضلا عن مصنع كبير للكمونا يعد من اكبر المصانع واهمها ومحلهم يشغل بناية تامة و كبير اعضاء هذا المحل امين افندي مرهج ذو ثروة كبيرة واملاك واسعة وله غيرة وطنية وصيت ممدوح ٠

وقد مر بنا ذكر التاجر المستقيم والمحسن الكريم نعمه افندي تادرس الذي تكاد تجارة السجاد تنحصر في محله ومحل التاجر المعتبر نده افندي جحى ٠ و كذلك مر بنا ذكر طانيوس افندي نادرس كبير محل تادرس وعكاري الشهير باستقامته وغيرته ونثبت هنا اسم شريكه الفاضل جورج افندي عكاري الكريم الصفات والمتقد غيرة على اعلاء الاسم السوري ٠ ومن تجارنا الذين حصلوا مركزا تجاريا مهما بفضل اجتهادهم وثباتهم بادي افندي الخوري وولده غالب افندي ويعرف محلهما باسم بادي بادي الخوري واخوانه وهو في مقدمة المحال التجارية في بضائع الدراي كودس والاصواف والقواطع وغير ذلك وفضلا عن تجارتهم الواسعة لهم محل كبير لاصطناع التنانير النسائية من ازياء مختلفة ٠ و كذلك منصور افندي الحلو واخوانه اصحاب التجارة الواسعة وهم معروفون باستقامتهم وغيرتهم الوطنية وبطرس افندي سعد واخوه من خيرة تجارنا ومن افاضل رجال الجالية ٠

وهناك تاجر مستقيم وملاك كبير ذو همة شماء وايد بيضاء وغيرة وطنية ونخوة عربية وهو تامر افندي كنعان معلوف صاحب اكبر محل سمانة في نيويورك فهذا الكريم على رغم اهتمامه بتجارته الواسعة واملاكه الثمينة يضحي شطرا كبيرا من وقته الثمين لخدمة

بني وطنه وهو الساعد الايمن للمنتدى السوري الاميركي فيخدمه بكل همة ونشاط ويحق له ان يكون نموذجا للكثيرين في الغيرة والشهامة والوفاء وغير ذلك من كريم الصفات



التاجر المستقيم والوطني الغيور المقدام تامر افندي كنعان المعلوف

اما محل الافندية بردويل اخوان فهو في مقدمة المحال التجارية في سائر اصناف البضائع الجميلة والخرج النحيف واصحابه من ذوي الاستقامة الحقة والحمية المشكورة

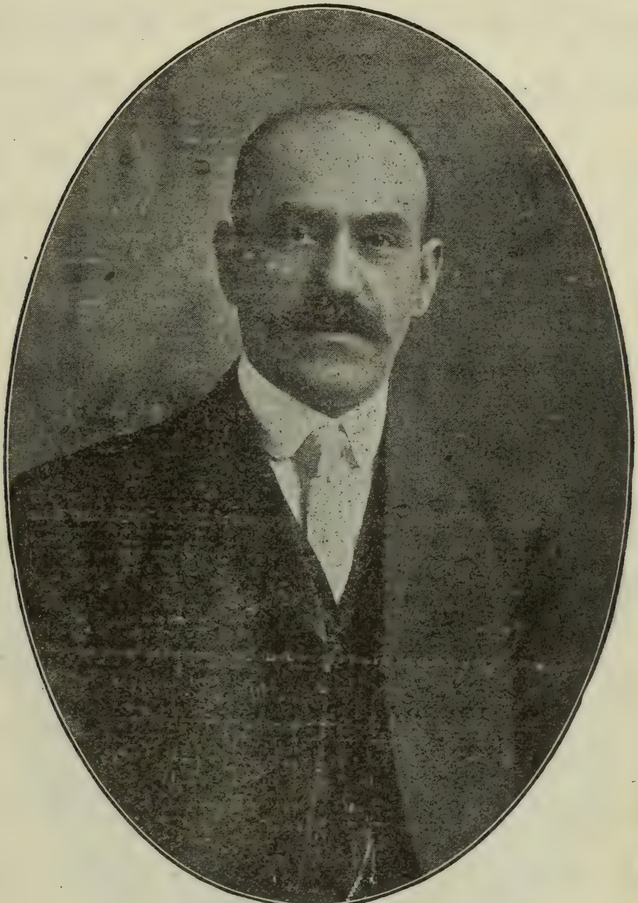
وبيننا وطني غيور وتاجر كريم واديب فاضل وهو حنا افندي حشمه المعروف باستقامته وغيرته. ومن تجارنا الافاضل يوسف افندي بالش وهو ذو تجارة واسعة في السجاد

ومن كرام تجارنا ايضا الافندية موسى وعبدالله ثابت وتوفيق فرهود وعبدالله قطيط تجار بالبضائع البيضاء المتعارفة ويوسف بك معوشي وسليم بك الياس وطانيوس بك عبده تجار ببضائع الدراي كودس وغيرها وكلهم ذوو استقامة وفضل . وابراهيم ونجيب افندي سعاده وسليم افندي الخوري واخوه خليل افندي بكلوريوس علوم وشاهين افندي عيسى والافندية حاتم اخوان واخصهم اسعد افندي المعروف بادبه وغيرته وديب افندي زريق وحنا افندي مبارك واولاده النجباء نخص منهم بالذكر جورج افندي مبارك محرر مقاولات (نوتري ببلك) والافندية نقولا الدبس وجورج وانطونيوس سابا وهؤلا كلهم يتعاطون ببضائع السمانة السورية والاميركية وقد بنوا محلاتهم الكبيرة على اسس الاستقامة فنالوا ثقة العموم

ومن التجار الاكارم الذين ضحوا نتيجة اتعابهم وكدهم على مذبح الامانة والوفاء قسطنطين افندي البسكنتي الذي ابدى في حياته التجارية من الصدق والاخلاص والنفع العام ما يجب ان يدون بتاريخ الجالية النيويوركية بمداد الفخار وهو مازال كما كان من الطيبي السيرة والصافي السريرة وذا فضل وعزة نفس يشهد له بها كل عارفيه ومعاملته بالصدق والامانة يشهد بهما كل من يتعامل معه

ويردد التاريخ بكل افتخار اسم رجل حر نزيه هو ظهير الانسانية وعضد الفضيلة ونصير الاداب اعنى به الوجيه الفاضل سليم افندي شحفه صاحب مصنع كيمونا كبير وتجارة عظيمة واملاك واسعة فلهذا الكريم في تاريخ الجالية ذكر حسن واسم يتضوع

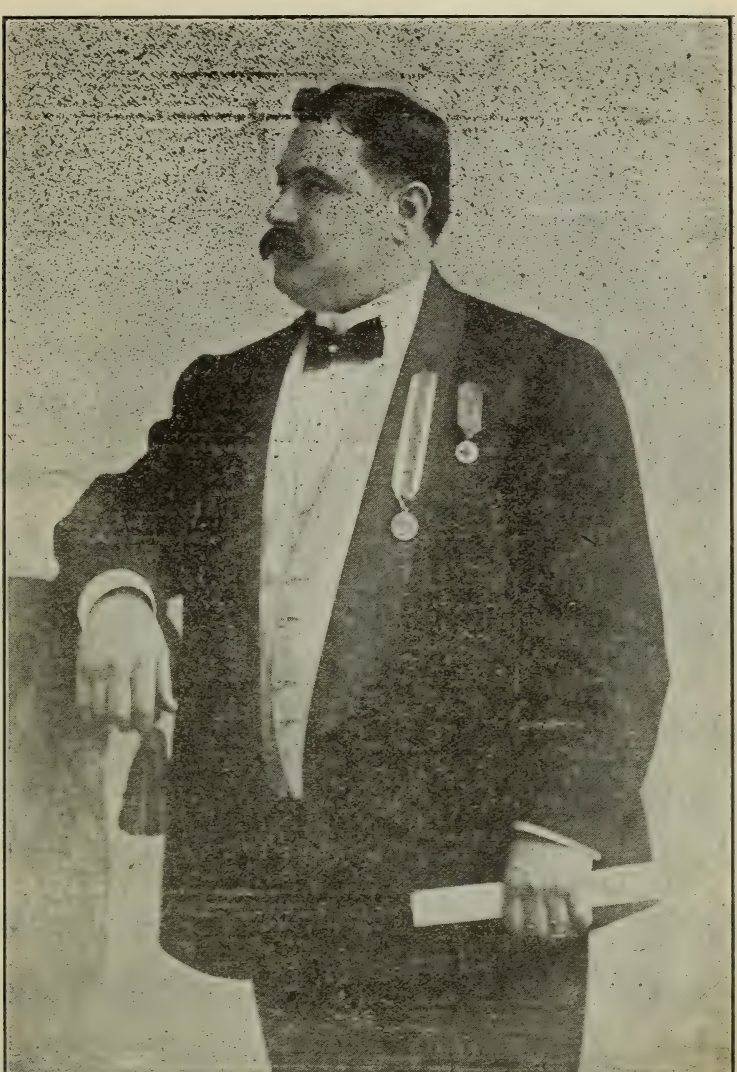
اريجه في العالمين القديم والجديد فكم له من يد بيضاء في المشاريع العمومية والخصوصية وخدمات جليلة تدون بمداد الفخر مدى الدهر



الكريم الغيور والتاجر الكبير الوجيه الفاضل سليم افندي الشحفه

وهناك رجل قل نظيره بين الرجال فقد حباه الله عقلا ثاقبا وقلبا طيبا وخصالا حميدة وسيرة يتضوع اريجها في الافاق وقد احرز بجده واجتهاده واستقامته مركزا تجاريا ساميا وهو الفاضل الغيور نقولا افندي ابو سمرا الذي اتصف بغيرته وفضله حتى ان الاجانب شعروا بتلك الغيرة المتقدة فمنحته الدولة الروسية «نيشان الغيرة» فضلاً عن مداليا جمعية الصليب الاحمر الفضية وله اكبر مصنع مطرزات سوري في اميركا بشراكة نسيبه الفاضل حنا افندي قطيط الذي لا يقل عنه فضلا وغيرة واستقامة وهذان الشهمان ممن تفتخر بهم الجالية معتزة

ولقد شاع الاعتقاد في الشرق بان العلم والمال ضدان لن يجتمعا وخصمان يعسر التوفيق بينهما غير ان احد رجالنا الافاضل بهمة قعساء وعزيمة شماء واجتهاد اكيد وعزم وطيد قد جمع بينهما ووفق بين متضادين فاضاف الى علم باهر وادب زاهر ثروة كبيرة واملاكا واسعة حتى صار في مقدمة اغنيائنا وكبار المثرين بيننا وهو خليل افندي وهبه سيده بكلوريوس علوم وصاحب تجارة واسعة ومشهور باستقامته وغيرته الوطنية ٠وقد ضارعه في الجمع بين النقيضين ايضا كل من البكارسة سليم افندي كسباني وقد مر ذكره بين الكتبة المجيدين ونجيب افندي كسباني وداود افندي فيحان ٠وكذلك بيننا عدد من الاطباء الذين عدلوا من الطب الى التجارة نذكر منهم الافندية نجيب حموي وكامل الخوري وحبيب ملوك ٠وبيننا نخبة من الشبان الادباء هم زهرة الجالية بادابهم ونشاطهم واستقامتهم ٠منهم رشيد افندي راشد المشهور بسرعة خاطره وتوقد فواده وهو تاجر كريم وندره افندي حداد رئيس جمعية الاتحاد السوري الزاهرة واخوته الاكارم والافندية عبدالله سلامه والياس الطويل ونمر سلامه وكامل جباره والياس سمارا واسكندر طراد ويوسف سليمان بولس وفيليب الغريب وملحم الحاوي واسكندر الحاوي ومتري عبدالحق وسعد ناصر ووديع رزق الله وشكري بدور ونجيب



الوطني الغيور والوجيه الفاضل نقولا افندي ابوسمرا

فيعاني وحاتم النحاس وتوفيق الدبس وميخائيل تقلا وخليل شغري وسليم بلوطين وميخائيل مرهج ونقولا صعب وتوفيق بسكنتي وخليل الدبس واسكندر هواويني

ومن تجارنا الافاضل سعد افندي ابو مراد التاجر المستقيم واخوته الافندية نقولا وامين صاحبي معمل مطرزات شهير ونسيبهم سالم افندي الحجار صاحب معمل مطرزات ايضا والافندية نجيب وداود زريق صاحبي معمل مطرزات والافندية ابراهيم ونقولا ابو خلف وهما ايضا صاحبا معمل مطرزات كبير واغناتيف افندي بدران تاجر معروف وصاحب معمل مطرزات يدوية و كل هوءلاء الكرام معروفون بشهامتهم وصدق وطنيتهم

و كذلك التجار المستقمين الافندية ازغون وابو نعمه تجار بالبضائع المتعارفة ومنذر افندي فارس الكعدي تاجر ببضائع الملبوسات النسائية من كافة الاجناس ويشحن سائر اصناف البضائع الى خارج الولايات المتحدة بالعمولة · واخويه الافندية جورج و كنعان فارس الكعدي يتاجران بالسكارفات المشبكة وغيرها من البضائع النحيفة وهما ذوو استقامة وثبات وغيرة مشكورة · وابراهيم افندي قساطلي تاجر في السمانة السورية ومحله في مقدمة المحلات الكبيرة ونعمه افندي الحمصي تاجر الانتيكا والآثار القديمة وهو موصوف بادبه واستقامته وغيرته وابراهيم افندي جبرائيل المعلوف تاجر بالاملاك والعقارات

ومن اكارم تجارنا الذين تفاخر باستقامتهم وغيرتهم الافندية جورج حاماتي واخوه بشاره وسليم ونجيب زريق اصحاب المحل المعروف باسم حاماتي وزريق وهم اصحاب تجارة واسعة في سائر البضائع المتعارفة ويصدرونها الى سائر اطراف المعمور · و كذلك بطرس افندي كرم كبير محل بطرس كرم وشركاه تجرد لخدمة بني وطنه بكل امانة واخلاص فتكاد ترى محله ماوى لسائر ابناء الوطن الذاهبين والايبين و كعبة الاهلين والمسافرين الذين يوفر لهم اسباب الراحة من كل وجه فالذي يتعامل مع بطرس كرم

فهو يتعامل مع الصدق مجسما واللطف مصورا والامانة والغيرة والشهامة مما لامزيد عليه فهذا المحل المبني على اسس الاستقامة والثبات يتعاطى التجارة بجميع اصناف البضاعة الاميركية والاوروبية من قطن وحرير ومجوهرات وخرده والات ميكانيكية وما كولات وغيرها ويشحنون منها الى داخلية الولايات المتحدة وسائر اطراف المعمور بشروط غاية في السهولة واسعار مهاودة ومعاملة مرضية من كل وجه وهم وكلا اعظم شركات البواخر وسكك الحديد فيقطعون اوراق سفر من محلهم راسا برا وبحرا الى كل جهات العالم ذهابا وايابا ويصرفون حوالات مالية على اية المصارف في العالم باسره ويشترون ويبيعون النقود على اختلاف انواعها

ومن تجارنا الكرام الافندية جبران عوض وفريد خوري ونجيب معلوف المعروف بعامه وفضله وسليم دواليبي وبشاره غانم واخوه وابو حمرا اخوان وابو بطرس اخوان ومقصود اخوان وامين عرموني ونقولا وعيسى عوض وجورج مخول وميشال طرابلسي وجورج صعب وعارف وامين مسعد صاحبي معمل كمونا شهير · ومن اصحاب مصانع الكمونا الشهيرة الافندية سبع نصرالله ونقولا واسكندر مينا وعارف الخوري واخوانه ووديع نجار وجبران فضول وولده والياس معقد وندره حداد وجرجس عريضه وسليمان مرهج ودبانه اخوان وغيرهم

وهناك وطني صادق وحر كريم ونزيه فاضل متفان في خدمة بني وطنه بكل امانة واخلاص ومتقد غيرة وطنية شهد له بها كل دان وقاص اعني به رجل المروءة والشرف والنزاهة والحمية والنخوة صموئيل افندي برباري العضو الفاحص في ادارة المهاجرة في مرفاء نيويورك فمن ذا يجهل هذا الكريم او من يردد اسمه بغير الشكر والثناء · ففي السنين الطويلة التي شغل بها مركزه في ادارة المهاجرة اظهر من الغيرة الوطنية والنزاهة وشرف العواطف ما خلد له الذكر الحسن والصيت العاطر ومن المقدرة

العقلية ماجعل اولياء الامور يضعون به كل ثقتهم ويفوضون اليه امورا هامة فبمثل هذا
الشهم الكريم تفتخر النزالة السورية وبمثل ما تيه الغراء واعماله النافعة يرفع الاسم



الوطني والكريم الفاضل صموئيل افندي برباري

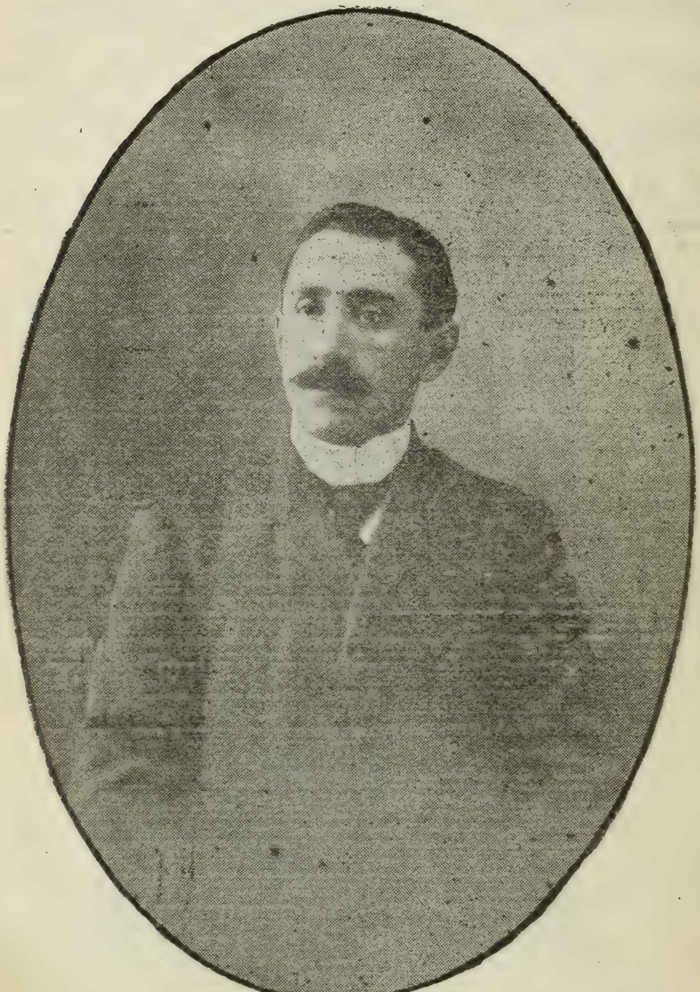
السوري في ديار الهجرة وبمثل علمه وفضله نفاخر في ديار هجرتنا ويبخسه التاريخ حقه اذا لم يدون اسمه على صفحاته بمداد الافتخار على قرطاس الثناء العاطر والشكر الجزيل لان شكر المحسن دين والثناء على ذوي الاستقامة والشهامة والغيرة فرض لازب

ونبغ بيننا في السياسة ميخايل افندي قيدوح وانطون افندي سمعان الذي رشح غير مرة لعضوية مجلس الشيوخ في ولاية نيويورك وفي فن المحاماة المحامي البارع جورج افندي فارس وفي الهندسة اندراوس افندي نقولا وفي الفنون الجميلة الاستاذ اسكندر افندي معلوف نبغ في فن الموسيقى حتى نال شهرة واسعة وجارى اشهر البارعين في هذا الفن وقد الف الحانا كثيرة اخصها النشيد الوطني الذي صادف استحسان معظم الولايات وربما غدا النشيد الوطني الرسمي المصادق عليه من حكومة الولايات المتحدة ولا يخفى كم من الفخر يعود بذلك على السوريين عموما بواسطة هذا الوطني الغيور ٠ونبغ في التصوير اليدوي الدقيق جبران خليل جبران ومن يجهل اسم هذا الاديب واسعد افندي غصن ونقولا افندي مقصود وجبران افندي عطية٠ ونبغ غيرهم بغير ذلك مما لا حاجة لاستيفائه وفي صنع الحلى والمجوهرات وسائر انواع المصوغات وديع افندي سعاده المعروف بفضله وادبه

اما معمل السيكارات البرصونية الذي انشاءه المرحوم عبدالله برصون وهو اليوم بادارة شقيقه الفاضل سليم افندي برصون فاشهر من ان يعرف وصاحبه الغيور من اكارم رجالنا واشدهم لطفا وغيرة وتشجيعا للادب والادباء ٠ولقد كان المرحوم عبدالله برصون شهما كريما وغيورا فاضلا محبا للجميع ومحبوبا من الجميع ومصرعه من اكبر الرزايا التي حلت بالنزالة في نيويورك ونثبت رسمه على صفحات هذا الكتاب احياء لذكره ولانه ولو مات فهو لا يزال حيا باعماله واثاره

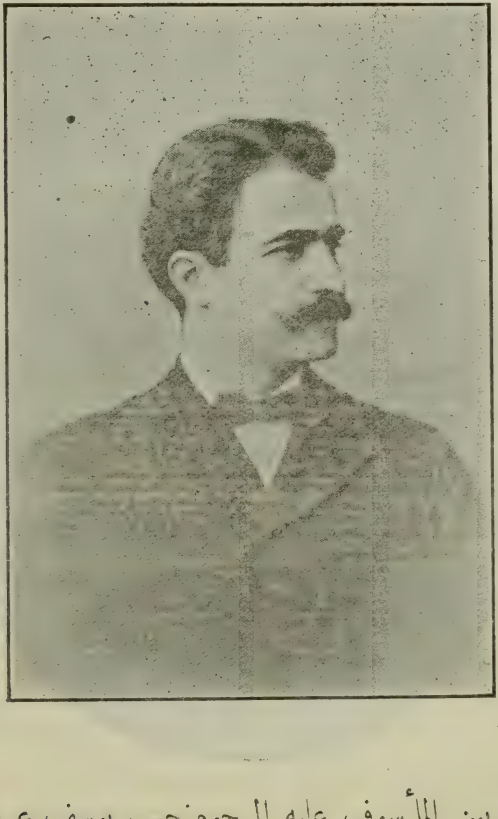
ذكرنا ان اول عائلة سورية هاجرت قصد الاستيطان في الولايات المتحدة هي عائلة

المرحوم يوسف عوض قالوش المعروف بالعربيلي وبان اولاده كلهم قد نبغوا في فنون مختلفة واكثرهم ذكاء وفطنة المرحوم الدكتور نجيب عربيلي الذي خدم السوريين في ادارة المهاجرة خدمة يذكرها له الالوف منهم ويدونها التاريخ بالشكر · فبعد مهاجرة



ميت حي — المرحوم عبدالله برصون موسس معمل السكاير البرصونيـة

والده المرحوم الى هذه الديار مع عائلته كما مر تتلمذ هو لكلية ماريفل فابدى فيها من الذكاء والنجابة ما جعل الاساتذة يعجبون به • ولم تمض عليه مدة طويلة حتى انتخب مدرسا للغة الافرنسية في الكلية المذكورة • وبعد قليل انخرط في سلك جمعيتها العلمية وكان يظهر في المباحثات التي كانت تجري فيها من البراهين الساطعة والحجج الدامغة ما يقرر الحق في جانبه • ونظرا لفصاحته وحسن انشائه اختير خطيب صف المنتهين في السنة التي انهى دروسه فيها • ونال شهادة بكلوريوس علوم مع شهادة الامتياز وقد دوت خطبه في مواضيع مختلفة في انحاء قاصية • وقد اتقن من اللغات العربية



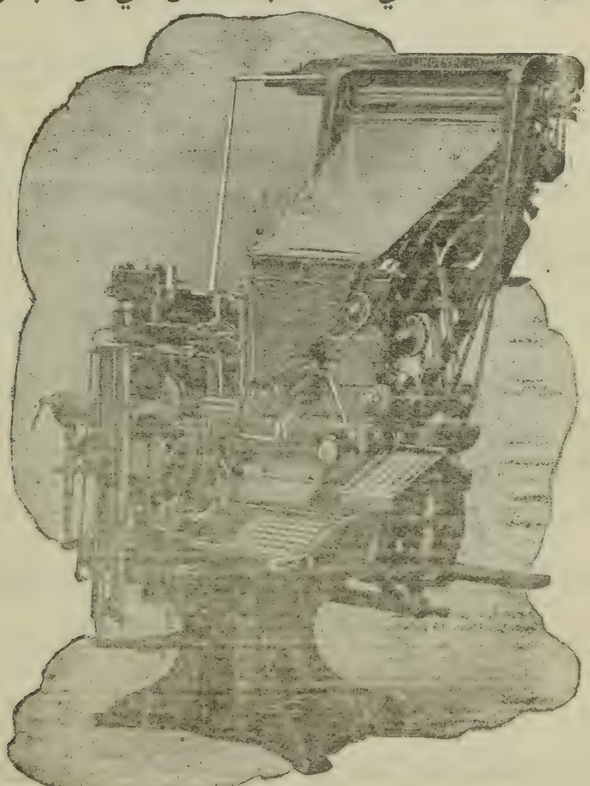
فقيد السوريين المأسوف عليه المرحوم نجيب يوسف عربيلي

والافرنسية والانكليزية والاسبانية والم في الجرمانية واليونانية والايطالية ٠وصار له اصحاب من ذوي المقامات العليا صاروا سببا في حمل رئيس البلاد على تعيينه قنصلا لدولة اميركا في القدس الشريف وهناك اتقن اللغة العبرانية ايضا ٠ وبعد ذلك حظي بمقابلة رئيس الولايات المتحدة وكان في ذلك العهد كروفر كليفلند فمدحه واثنى على حسن تصرفه ومقدرته السياسية في خدمة الحكومة التي كان يمثلها ٠وتعين بعد ذلك عضوا فاحصا في ادارة المهاجرة وهناك ابدى من الامانة والاستقامة والنشاط ما جوزي عليه بترقيته الى رتبة رئيس الفاحصين ولو امهلته المنية لربما كان استلم زمام وظيفة ارقى وقد خدم قومه المهاجرين خدمات جلى ما زال كثيرون يشكرونه عليها حتى اليوم واعتراه مرض آلمه كثير فلما ابل منه استعفى مركزه في ادارة المهاجرة وعكف على درس الشريعة فنبغ بها ونال لقب دكتور في الشريعة وشرع يزاول وكالات الدعاوى ودام على ذلك الى ان قضى نحبه ماسوفا عليه من عموم اصدقائه ومعارفه واقيم له مأتم حافل حضره الوف من وطنيين واجانب تقديرا للفقيد حق قدره وقد كان رحمه الله شهما كريما غيورا على بني وطنه شديد الرغبة في مساعدتهم ٠ وهو اول من انشأ جريدة عربية في المهجر وهي جريدة كوكب اميركا السالف ذكرها

وقلنا ان حروف هذا الكتاب نضدت بالمنضدة العربية لصاحبها نجيب افندي بدران وهي الثانية من نوعها في العالم العربي ٠وهي آلة عجيبة الصنع وتقوم مقام ثمانية منضدين باليد ولا تشغل جزءا من الحيز الذي يشغلونه وفيها مفاتيح تضارع التي في الآلة الكاتبة (الطيبريتر) فعندما يضرب العامل على مفتاح ما تسقط قطعة خصوصية من النحاس وهي ما يدعونها في اصطلاح الطباعين «امهة الحرف» من جنس الحرف الذي يكون رسمه ظاهرا على المفتاح المضروب وتسقط تلك القطعة في مجرى مخصوص الى مكان تقف فيه ووجهها مرتفع ٠واذا ضرب على مفتاح اخر سقط غيرها وغيرها الى ان

تكتمل الكلمة فالسطر والامهات كلها ترصف في المكان المعين بحسب ترتيب نزولها اتباعا للضرب على المفاتيح ومتى اكتمل السطر يقوم العامل بحركة خصوصية فيسقط من الآلة قضيب طويل من الحديد في راسه آلة تشد الامهات الى بعضها شدامحكما وترفعها كانها قطعة واحدة الى مكان اخر من الآلة فيه رصاص مصهور فينسكب الرصاص على الامهات ثم تعرض لمجرى من الهواء البارد فتجمد ويخرج السطر كاملا بالحروف والكلمات كما اراد العامل · وبعد ذلك تتوزع الامهات الى مراكزها الاولى بطريقة غريبة جدا فيعاد استعمالها وهلم جرا · واما السطر المذكور فينزل قطعة واحدة الى مكان معد له ويليه غيره حتى يجتمع منها حقل كبير بدقة فائقة وصناعة مدهشة

اما اليد التي تدير تلك الآلة في ادارة مطبعة الدليل فهي من الجنس اللطيف وهي



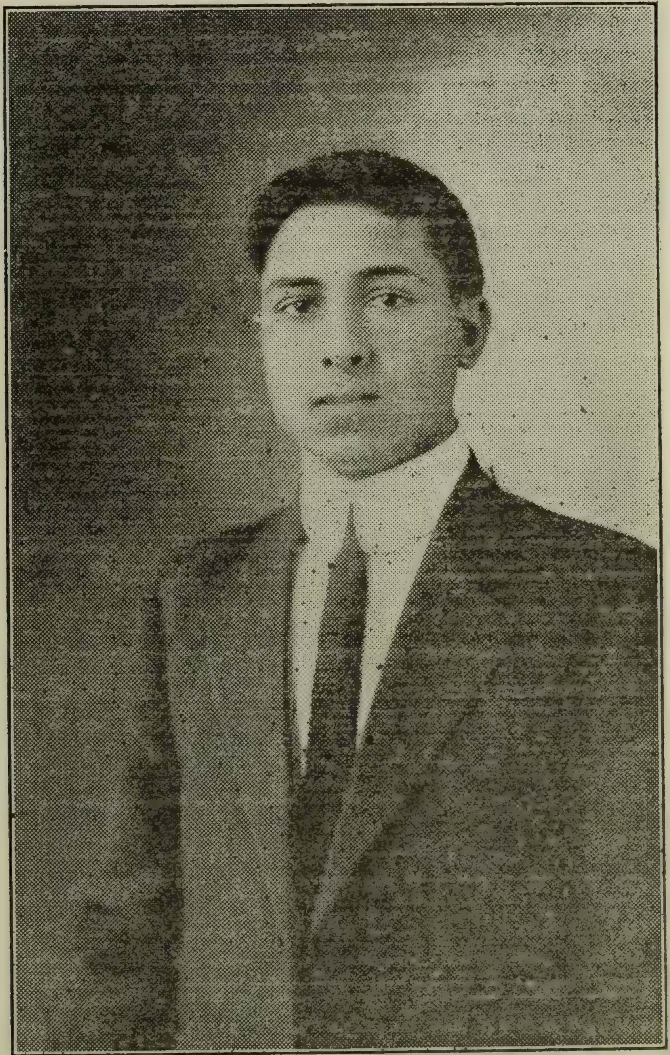
(رسم المنضدة العربية)

يد الآنسة الاديبة متيل جرجي بدران شقيقة نجيب افندي بدران صاحب المطبعة وهاك رسم الآلة المذكورة اي المنضدة العربية والاديبة متيل بدران التي تشتغل عليها



(الاديبة الآنسة متيل جرجي بدران)

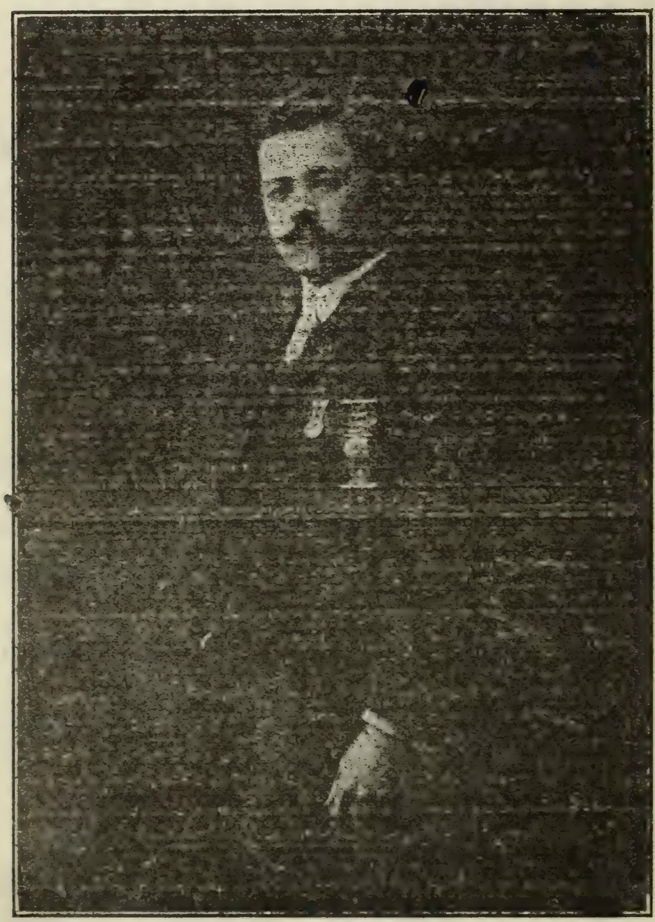
وللسوريين اثار جمة في ديار غربتهم بين تآليف واختراعات واكتشافات وغير ذلك اعرضنا عن ذكرها لتعذر وقوفنا عليها كلها



مثال الذكاء الفطري والنشاط السوري والادب الشرقي كامل افندي نحاس

—واشنطن — العاصمة—

يتراوح عدد السوريين في العاصمة بين ٢٠٠ — ٢٥٠ نسمة وغالبهم يتعاطون بيع الاثمار والبضائع المختلفة · ولهم كنيسة (بالاجرة)على اسم القديس جاورجيوس راعيها قدس الاب الخوري ايوب سلوم · ويتبعها جمعية خيرية · وهناك جمعية زاهرة تدعى جمعية زهرة الاداب اسسها الوطني الغيور الياس افندي يوسف من مرسين



الكريم الفاضل الياس افندي يوسف رئيس جمعية زهرة الاداب في العاصمة

الذي مافتأ منذ دخوله تلك المدينة يسعى لما به خير ابناء وطنه ورفع الاسم السوري بين الاميركيين وله يد بيضاء ايضا في تأسيس الكنيسة السورية في العاصمة · وهذا الاديب ذو ذكاء فطري وله مقالات شائقة وقصائد رنانة وقد اتقن اللغة الانكليزية بوقت قصير · وقد شعر الوطنيون هناك بغيرة هذا الوطني المتقدة فقدموا له في احتفال الجمعية مداليا ذهبية منقوشة عليها عبارة الاقرار بالجميل وتراها في رسمه الظاهر في الصفحة التالية ·ومن نزلاء واشنطن الدكتور ابراهيم العريبلي والافنديان يوسف وايوب رزق صاحبا تجارة واسعة ولهما معرفة واتصال باهم رجال العاصمة · وجورج افندي زرعوني ومن الافاضل فيها الافندية والخواجات جرجس الحلو والياس الصوري وفواد جاويش وجرجس العنداري وجورج كجك وغيرهم

—اولين —نيويورك—

ابتدات مهاجرة السوريين الى اولين منذ سنة ١٨٩٠ واول من مر فيها منهم بتجواله في البيع ابراهيم بدر القاصوف فراقه منظرها فعاد اليها بفئة من ارفاقه واستوطنوها ومن ثم تبعهم اخرون حتى صار عددهم فيها ١٦٥ نسمة ·وكانوا في البداية متفرقي الكلمة متنافرين وتكبدوا بسبب اختلافاتهم مبالغ باهظة من المال المجموع بعرق الجبين الى انهم اخيرا انشاوءا جمعية دعوها زهرة لبنان فضمت شتاتهم وجمعت كلمتهم فاستتب بينهم السلام والمحبة المتبادلة وغاية الجمعية ايجاد الالفة بين افراد الجالية ورفع الاسم السوري في عين الاميركان وقد تم لهم ما ارادوا وصارت لهم منزلة حسنة في عيونهم وقد ثبتت تلك الجمعية في غايتها النبيلة على رغم ما قام في سبيلها من المثبطات والعراقيل ونفر من رجال الجالية هناك يتعاطون التجارة وحالتهم متوسطة وغيرهم يشتغلون في المعامل واشغال مختلفة · وبينهم عدد كبير من رجال الفضل والاستقامة منهم الافندية والخواجات الياس عيد العقليني المشهور بغيرته وداود حريز وخليل فارس الخوري

وراجي بدر القاصوف ونجيب ناصيف الجرماني ووديع منصور رزق الله والياس عبده رشدان والياس ديب صوايا وراشد عبيان ابي راشد وغيرهم

—سر كيوس —نيويورك—

في سر كيوس جالية لا نعلم عددها بالتمام وفيها عدد من رجال الفضل والكرامة منهم الوطني الغيور نجم افندي ابو رجيلي والافندية ايليا خمار وميخائيل فرح وملحم ابي حيدر ونجيب ابو رجيلي وسليم داود وابراهيم حاتم وغيرهم

—جنيفا — نيويورك—

فيها جالية صغيرة في عددها ولكنها كبيرة بهمم رجالها وسخائهم وغيرتهم فعلى رغم قلة عددهم قد فتحوا كنيسة ارثوذكسية على اسم القديس مخائيل يخدمها كاهن ورع غيور هو قدس الاب الفاضل الخوري دانيال طنوس جرجس • ولهم ايضا جمعية خيرية رئيسها قدس الاب المشار اليه واعضاوءها ثلة من اهل الغيرة والتقى والحمية والسواد الاعظم من رجال الجالية في جنيفا يشتغلون في معامل الحديد وبينهم عدد من التجار الكرام واصحاب الاملاك منهم التاجر المستقيم صليبا افندي البارودي وهو تاجر كبير وله املاك وافرة •وحنا افندي الطعمه تاجر وملاك ومثله ابراهيم افندي نعمه ومن التجار ايضا جرجي افندي الحداد ومن اصحاب الاملاك فيها الافندية حنا سعد وابراهيم طنوس ونعمه دعبول وابراهيم وحبيب الجديدة • وهناك وطنيان معروفان بغيرتهما ومروءتهما وهما دانيال افندي القسيس وسليمان افندي الحصني والحق يقال ان رجال الجالية فيها ذوو عزة نفس وغيرة وطنية

—البني —نيويورك—

عدد السوريين في البني نحو ٢٥٠ نسمة يشتغلون باشغال مختلفة وبينهم عدد من ذوي الوطنية الحقة والاستقامة منهم التاجر المعتبر والملاك المعروف نجم افندي

موسى طنوس المشهور بتفانيه في خدمة بني وطنه و كرمه واستقامته وهو مرفوع المقام نافذ الكلمة بين الوطنيين ومنهم الاديب الفاضل والتاجر المستقيم صموئيل افندي يوسف سمعان والافندية امين الاسود واخيه واسكندر فرح وسليم وناصيف رزق وغيرهم

—كلوفرسفل — نيويورك—

جالية كلوفرسفل صغيرة العدد كبيرة الهمة كثيرة الغيرة ومن اشهر رجالها هيكل افندي عبدالله تاجر وصاحب املاك واسعة ومن الافاضل فيها الخواجات جورج ومارتينوس عبدالله وحنا الملوحي وغيرهم

—كلمت بنسلفانيا—

فيها اخوان عرفا بالشهامة والاخلاص وهما عبدالله وحبيب افندي الشماس تاجران بالبضائع المختلفة ولهما منزلة سامية بين الوطنيين ويحق الافتخار بوطنيتهما وغيرتهما

— كرينزبرغ —بنسلفانيا —

السوريون قليلو العدد فيها وقد امتاز منهم بالاستقامة والنشاط يوسف افندي منصور الساحلي التاجر المعروف وهو صاحب املاك ايضا وجرجس افندي النبع وحبيب افندي ديوب

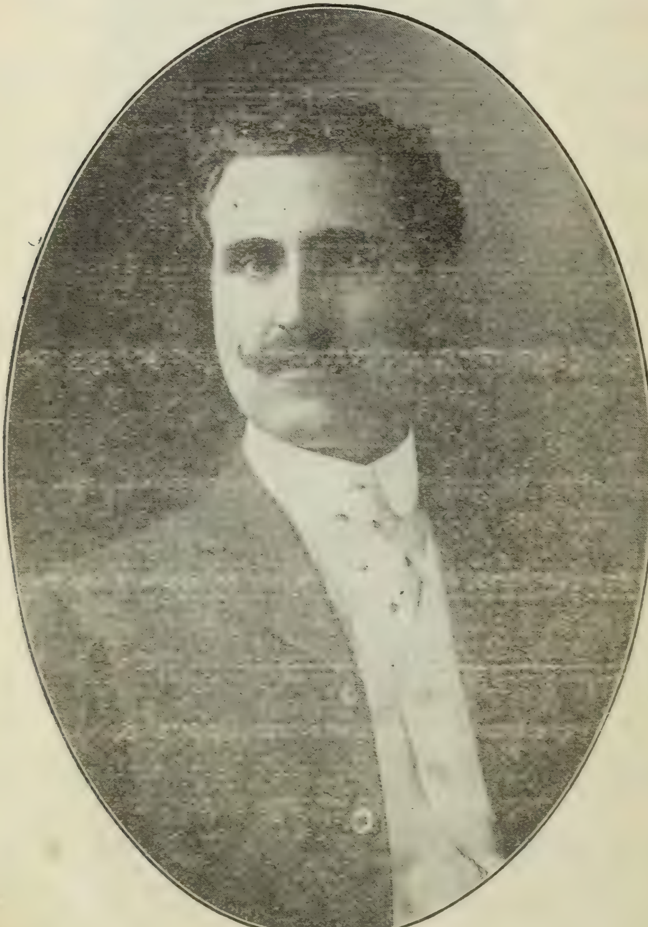
—مونت بلزنت —بنسلفانيا

لا نعلم بالتمام عدد السوريين في هذه المدينة انما نعرف فيها تاجرا كريما ووطنيا غيورا هو الياس افندي سلوم من قصبة اميون ٠هاجر الى الولايات المتحدة سنة ١٨٨٩ وتعاطى البيع حسب مألوف عادة السوريين وبعد ذلك اسس محله التجاري منذ نيف و١٨ سنة فاحرز نجاحا مذكورا واقتنى املاكا وغدا مرفوع المقام نافذ الكلمة ومن مآثره الحميدة سعيه المشكور بمساعدة كثيرين من المواطنين على الدخول الى هذه الديار عن طريق كنداوالمكسيك و كان يدفع كل النفقات من جيبه الخاص زاده

الله نجاحا واكثر من امثاله ٠ومن كرام الوطنيين فيها ايضا الافندية الياس جرجي وحنا ناصيف سعود وابراهيم وجبرائيل عبود وشركاه

—جالية لول مساتشوستس—

يناهز عدد السوريين في لول الاربعماية نسمة غالبهم يشتغلون في المعامل ٠ ولهم



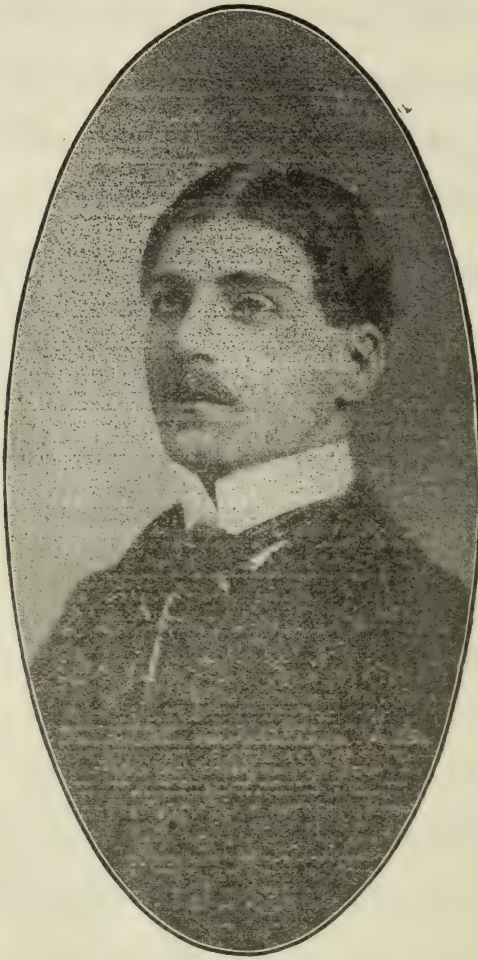
التاجر المستقيم والغني الكبير والوطني الغيور جورج افندي الحصان

جمعية اعضاؤ ها من نخبة ادباء الجالية اسمها جمعية زهرة الاداب السوري وغايتها القيام بالقروض الدينية وعمل البر والاحسان · وللجالية عموما منزلة سامية في عيون الامير كيين واول سوري قطن لول هو ذو المآثر الحميدة والصيت الحسن المرحوم قزما عنصره والد الاديب الفاضل ميخائيل افندي عنصره المعروف بادبه وفضله وهو تاجر مستقيم وكاتب مجيد وصاحب املاك كبيرة · وهناك وطني غيور ووجيه فاضل هو جورج افندي يوسف الحصان ذو المنزلة السامية في عيون الامير كيين وهو يتاجر بالاملاك وله نيف ومائة مسكن وعشرون مخزنا تقدر قيمتها بالوف الريالات وله ملعب (تياترو) في اجمل واهم نقطة من المدينة وهو فضلا عن نجاحه المادي كريم الصفات دمث الاخلاق عزيز النفس اكثر الله من امثاله· ومن اكارم النزالة هناك الافندية طعمه كواش وجرجس نعمه ونقولا عياش وبطرس الخوري ومرقص عنصره

ـــجالية لوزفل كنتكي ـــ

في مدينة لوزفل جالية كريمة عرفت بوئامها وائتلافها وكرمها وذلك بفضل الوطني الغيور البعيد الشهرة والذائع الصيت الشيخ لحود كرم السيـاسي الشهير والتاجر الكبير ومن ذا لم يسمع بخبر هذا الفاضل وماله من الايدي البيضاء والافعال الغراء وبين تلك النزالة الكريمة شاب اديب كريم المحتد شريف النبعتين قد ضم الى كرم العنصر وشرف الحسب والنسب ادبا زاهرا ومعارف واسعة ومكارم جزيلة اعني به الاديب الفاضل الشيخ يوسف طنوس نصر كيروز المشهور بين حملة الاقلام بطلاوة كتاباته وسامي مباحثه وهو ضليع في عدة لغات اجنبية فضلا عن لغته العربية وله تاليف مفيدة·وياحبذا لو كانت رقة شعوره وغيرته الوطنية وسهره الدائم على تعزيز الاسم السوري في قلوب كثيرين من شباننا في المهجر · فيوسف نصر كيروز يجب ان يتخذ قدوة ونموذجا في كل ما هو جليل وممدوح ويحق للسوريين عموما الاعتزاز

به وبادابه ومعارفه وفضله



الاديب الفاضل والكاتب البارع الشيخ يوسف طنوس نصر كيروز

—جالية كليفلند اوهايو—

يبلغ عدد الجالية السورية في كليفلند نيف وستماية يتعاطون باشغال مختلفة ولهم جمعيات طائفية وادبية وهي جمعية القديس جاورجيوس لطائفة الروم الكاثوليك وجمعية القديس نقولاوس للروم الارثوذكس وجمعية القديس ايليا وجمعية القديس يوحنا مارون للموارنة · ويوجد فيها كنيسة للروم الكاثوليك كاهنها قدس الخوري باسيليوس مرشه وكنيسة للروم الارثوذكس (بالاجرة) كاهنها قدس الاب الجليل الخوري سليمان مرهج ومن كرام الجالية فيها الافندية مخول اخوان الواسعي الشهرة باستقامتهم وادابهم وغيرتهم ورشيد افندي عيدة وابراهيم قره بولاد وسليم زلاقط ويوسف حنا وابراهيم الساحلي ورشيد الخوري وحسيب الخوري وكامل وعارف اورفلي وملحم الهيبه فكل منهم فاضل وغيور

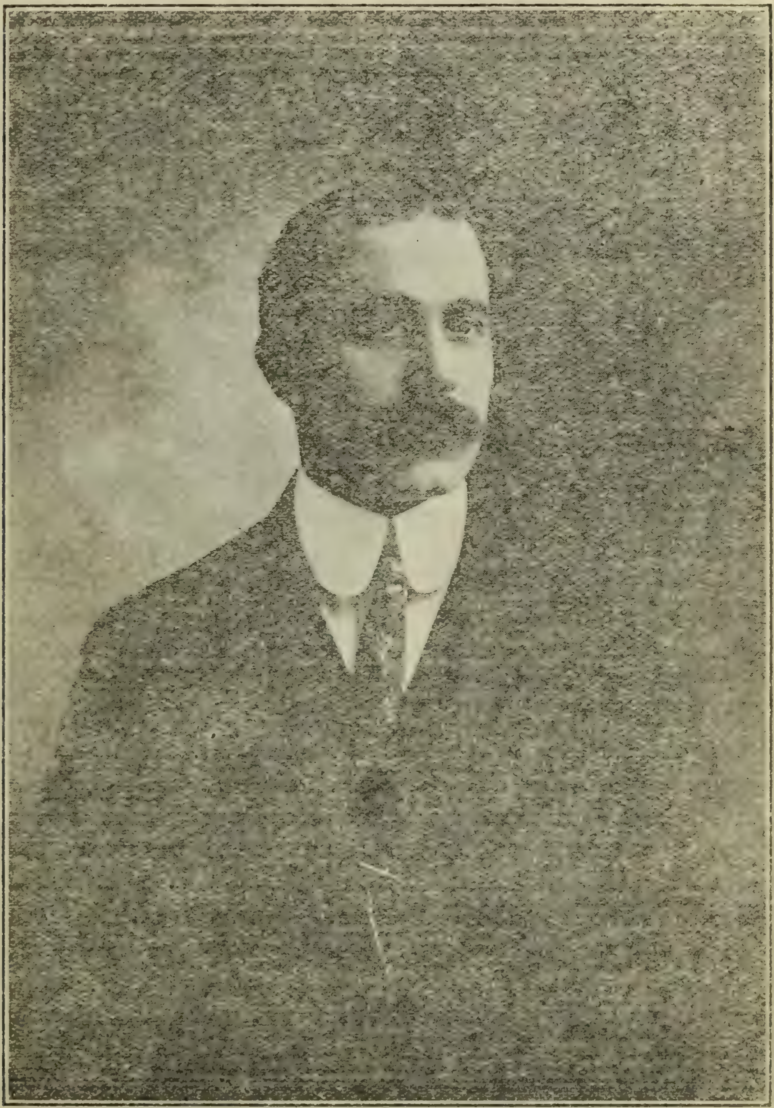
—جالية توليدو اوهايو—

يناهز عدد السوريين في توليدو الاربعماية نسمة بينهم وجيه فاضل وكريم غيور هو الشيخ ميخائيل نصر كيروز التاجر الكبير والملاك القدير وقل من لا يسمع في المهجر باسم هذا الجواد الندي اليد الذي انفق في سبيل مساعدة بني وطنه والمحاماة عنهم مبالغ باهظة فهو غوث المستغيث وامن الخائف وعون البائس ويحق ان تكتب اثاره على صفحات تاريخ المهاجرة السورية بمداد الافتخار وفيها عالم كبير وشاعر قدير ونطاسي حاذق وطبيب ماهر هو الاديب الفاضل الدكتور نجيب افندي سلوم وكفى بهذا الاسم تعريفا للرجل النابغة · ومن اكارم تجارها وافاضل رجالها ميخائيل افندي البسيط تاجر وملاك وجرجس افندي مرعب الوطني الغيور وجورج افندي دياب المعروف بغيرته وصدق وطنيته والشهم الفاضل جرجس افندي جحى الندي اليد والكريم المحتد وانسباؤه الافاضل اسعد وميخايل وابراهيم جحى والاديب النشيط

الياس افندي دارا والفاضل المستقيم امين افندي فاضل واولاده النجباء والشيخ منصور سعد واخوه الشيخ بدر سعد كيروز وهما معروفان بغيرتهما الوطنية ونمر افندي جنيد تاجر وملاك وكل من الافندية والخواجات اسعد الحداد وسليم الحلاوي وجرجس المرجي ووديع الريس واخيه وعبدالله ابو جمره وميخائيل نادر وشهدان المرجي والادباء الاكارم راجي افندي الحداد ونسيباه جورج والياس الحداد من افاضل الجالية وكرام التجار ٠وكذلك الوطني الغيور والنابغة الكريم الشيخ رشيد نصر كيروز والادباء سليم الطرشا وحناالقرداحي واندراوس نسطاوجورج دارا والياس القرداحي وانطونيوس صوايا وسليم طناسي واخوته وغيرهم وكلهم ذوو فضل وشهامة

—جالية سانت بول —ميناسوتا —

دخل السوريون هذه المدينة بتجوالهم للبيع ومن ثم اخذوا يتكاثرون فيها حتى زاد عددهم عن الخمسماية وابتاعوا املاكا فيها من مساكن كبيرة وبنايات تجارية واهم اصحاب الاملاك فيها التاجر المعروف جرجس افندي الطباع والتاجر الكبير رحال افندي ابو شهلا وجميع السوريين في سانت بول في سعة من العيش ولهم سمعة حسنة وعلاقاتهم التجارية مع الوطنيين مشكورة ٠والسلام سائد بينهم وليس للتعصبات المذهبية من اثر عندهم واذا حدث شجار عادي فيسوى بالحسنى فلا تصل دعاويهم الى المحاكم واشغالهم متنوعة بين تجارية وصناعية ولهم جمعية خيرية وهي جمعية القديس جاورجيوس وهذه الجمعية تسعى سعيا حثيثا لانشاء كنيسة يقيم فيها المواطنون شعائرهم الدينية ٠وفي مذاهبهم السياسية ثلاثة اقسام وقد فازوا بتعيين بوليس منهم وهو الوطني يوسف افندي مخول



التاجر المستقيم والوطني الغيور الفاضل جورج افندي عكاري

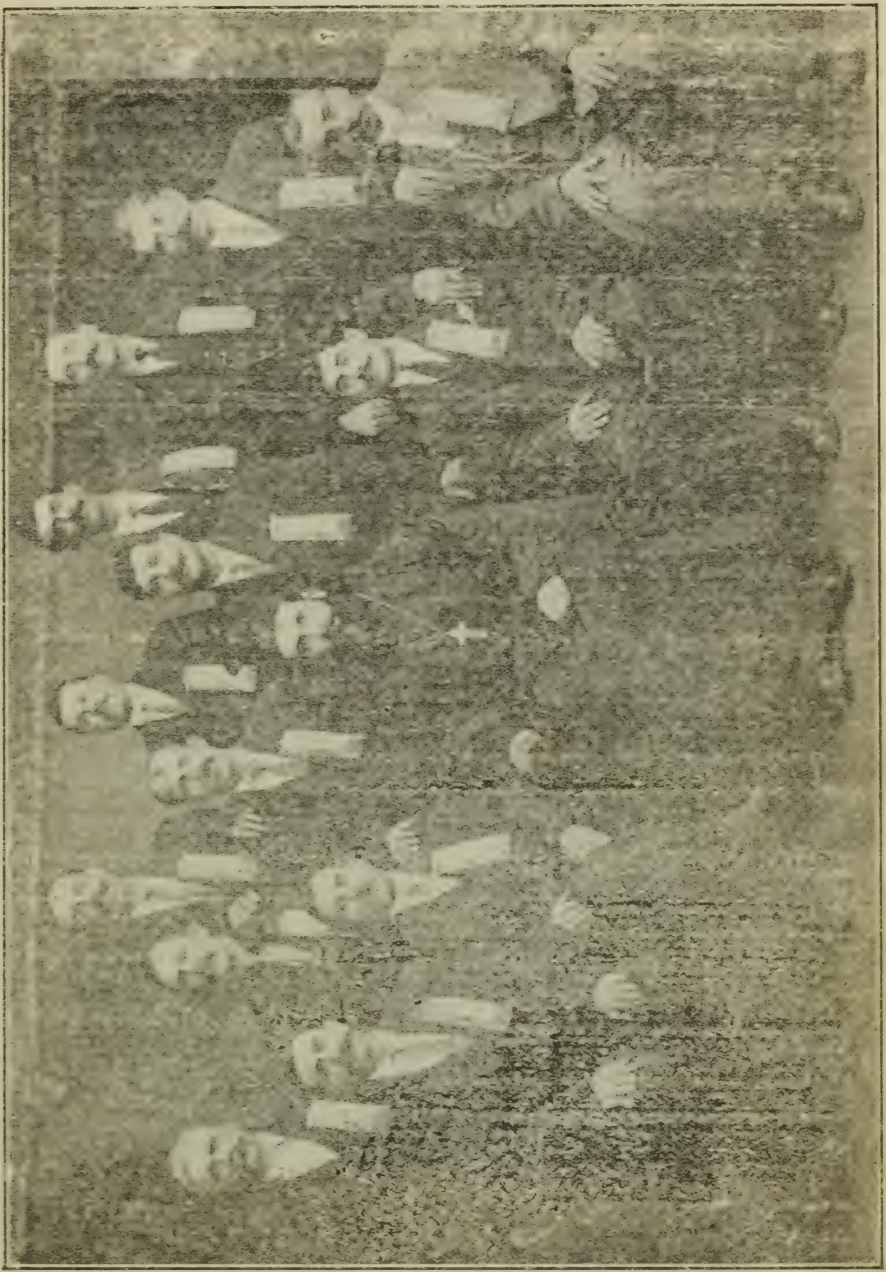
جالية ولكسبري — بنسلفانيا

يربو عدد الجالية في ولكسبري عن الثلاثماية نفسا يتعاطون اشغالا مختلفة • وعدد منهم يعملون في مناجم الفحم ونفر يشتغلون بالتجارة • ولهم كنيسة على اسم رقاد السيد شيدت بهمة قدس الخوري جرجس قطوف وسخاء ابناء الطائفة ولهم جمعية خيرية تابعة للكنيسة رئيسها كاهن الكنيسة الحالي وهو قدس الاب المفضال الخوري يوسف اينيا تلميذ مدرسة البلمند اللاهوتية وهو كاهن ذو فضل وتقى وسعة اطلاع ويحسن اللغات العربية واليونانية والافرنسية ويقوم بخدمة السوريين في ولكسبري والمـدن المجاورة بكل همة ونشاط وامانة ويعلم في مدرسة خاصة مبادي اللغة العربية والتعليم المسيحي والترتيل الكنسي لعدد كبير من صبيان وبنات الطائفة •وقد اقتنى موءخرا مقبرة خاصة بطائفته وابدى في مدة رعايته القصيرة من مجيد الاعمال مايستوجب عليه الشكر الجزيل

ومن كرام رجال تلك الجالية الافندية والخواجات الياس نعمه البوشي صاحب معمل سجاد كبير ويوسف البارودي صاحب النزل السوري الشهير وابراهيم حنا البيطار التاجر المعتبر والمستقيم وهو صاحب املاك ثمينة واخوه الياس حنا البيطار • وحناسابا ومتري المقدسي واسبر سليط • وسامي سمعان • واسعد اسحق ويوسف الشدياق وجرجس يعقوب بارودي • وجرجي المالطي • وسليمان عوض • وجرجي قاظان واخوه حنا قاظان •وكذلك التجار المعتبرون الافندية حنا عوده في مورسفيل • وفي دبو سمعان طنوس سابا •وجرجي موسى بينو •

جالية تشارلستون — وست فرجينيا

يتراوح عدد السوريين في تشارلستون بين الثلاثماية والاربعماية نسمة وهم يتعاطون اشغالا مختلفة • ولهم كنيسة ارثوذكسية على اسم القديس جاورجيوس كاهنها قدس



قدس الفاضل الخوري يوسف ايليا واعضاء الجمعية الخيرية في ولكسبري

الاب الغيور والتقي العامل النشيط الخوري جرجس قطوف وتلك الكنيسة هي الثانية التي شيدت بهمته وحسن مساعيه • فهو دائب على خدمة الله ورفع منار رعيته وفضلا عن قيامه بواجباته الرعائية خير قيام يقوم ايضا بادارة مدرسة خاصة بالطائفة يدرس بها بذاته مبادى اللغة العربية والتعليم المسيحي والموسيقى الكنسية وعدد تلامذتها من صبيان وبنات يناهز الستين عدداً. ولهذا الاب الفاضل غيرة حقيقية وهمة ونشاط واستقامة مبادي تصح ان تكون نموذجا ومثالا وهو خير قدوة للرعاة الحقيقيين

ويوجد في تشارلستون عدد من كرام تجارنا منهم الافندية والخواجات ملحم وجرجس هيكل الخوري وعبدالله الساحلي وخليل عرادي وعبدالله ميخائيل وطنوس ويوسف العمار والاكارم ساوم عبدالله السكاف وموسى سليمان نعمه واندراوس رضوان بشاره وشاهين الحصان ونعمةالله رزق وابراهيم القسيس وغيرهم

ولتلك الجالية جمعية خيرية تهتم بالكنيسة ويرأسها الاب المشار اليه. ولسوريي تشارلستون منزلة حسنة بين الاميركيين وبعضهم يمثلون السوري الراقي احسن تمثيل

—السوريون في ولاية نورث داكوتا—

نزح بعض السوريين من ولاية ميناسوتا وغيرها الى ولاية نورث داكوتا منذ مضي عشرين سنة ونزلوا في مدينة فاركوا كبرى مدن الولاية فمنهم من جال لبيع البضائع المتعارفة ونفر افتتحوا محلات تجارية • ومنذ ١٣ سنة غادر نفر منهم المدينة مع اخرين حضروا من سانت بول ميناسوتا واخذوا اراضي زراعية وانشاوا المزارع متجاورين بعضهم بعضا وقد اطلق على تلك المزارع المستعمرة السورية

—جالية دلوث — ميناسوتا —

يبلغ عدد السوريين في دلوث خمساية السواد الاعظم منهم يتعاطون البيع وبعضهم اصحاب محال تجارية وتجارتهم في نجاح مستمر وقد ابتاع بعضهم منازل



قدس الاب الغيور الخوري جرجس الخوري قطان

للسكن وغيرها من الابنية والسلام سائد في تلك الجالية ونأسف انه لم تصلنا اسماء الغيورين بينهم لننشرها عند ذكر هذه الجالية الكريمة

وقد باشر معظمهم الزراعة براس مال صغير فدبروا شوءونهم الاقتصادية واستثمروا اراضيهم بعزم ونشاط عرف بهما السوري فلم يمض عليهم زمن طويل حتى اصبحوا من المزارعين ذوي الشهرة واكتسبوا ثقة المصارف والتجار الوطنيين وعدد السوريين في الولاية كلها يربو على السبعماية نسمة واشغالهم على المعدل الاتي ٦٥ بالمئة يشتغلون بالزراعة و١٥ بالمئة يتعاطون التجارة ومنهم البياعون المتجولون و٥ بالمئة عملة واكثر المحلات التجارية في مدينتي ركبي وولستون الاتي ذكرهما والسواد الاعظم من سوريي ولاية نورث داكوتا يتداخلون في سياسة الحكومة ولهم في الانتخابات العمومية شان يذكر وهم في مذاهبهم السياسية متباينون

جالية ركبي نورث داكوتا

اول من قطن ركبي من السوريين عائلتان لم يتصل بنا اسمهما وذلك سنة ١٨٩٧ ومن ثم اخذوا بالازدياد لاسيما عندما شرعت الحكومة تقطع اراضي مجانية للراغبين في الزراعة اذ كانت تعطي كل شخص بالغ الحادية والعشرين من عمره مساحة ١٦٠ فدان ارض مجانا تحت شروط معينة وبلغ عدد العائلات السورية المزارعة الاربعين وقد كابدوا في اول الامر متاعب وصعوبات جمة نظرا لجهلهم الطرق الزراعية الحديثة ولكن بعد تعودهم الزراعة ومعرفتهم طرقها درت عليهم بالخيرات وصارت احوالهم المادية حسنة للغاية. الا الذين منهم تردد بين الزراعة والبيع فخسروا هذه وما ربحوا بتلك . وكانت لهم في ركبي جمعية اسمها زهرة الاتحاد السوري . وكانت لهم كنيسة ايضا ولكن لاسباب خصوصية الغيت الجمعية واقفلت ابواب الكنيسة ومن الذين صادفوا نجاحا في مزارعهم الخواجات يوسف اسبر السكاف والياس الوزير ويوسف

جرجس سابا وغيرهم

—جالية ولستون نورث داكوتا وضواحيها —

يقطن في ولستون وضواحيها نحو خمسين عائلة سورية وبدء مهاجرتهم الى تلك الجهة كان سنة ١٩٠٠ والسواد الاعظم منهم يتعاطون الزراعة ونفر اصحاب محلات تجارية · وكلهم اصحاب املاك وعقارات والمزارعون السوريون فاقوا جيرانهم الاميركيين بالفنون الزراعية واحوالهم المادية والادبية بحالة حسنة جدا ولهم اختلاط كلي بالاميركيين فهم يشاركونهم في سائر امورهم ولبعضهم نفوذ سياسي خطير · واشتهرت تلك الجالية بمحبة بعضهم بعضا واشتراكهم معا في السراء والضراء حتى انه لم يسمع بخبر شجار بينهم بمدة الثلاث عشرة سنة التي مرت على استيطانهم في تلك الناحية ونخص بالذكر من افاضل تلك الجالية الافندية والخواجات يوسف ابو سليمان وحنا الشيخاني واسعد ابو سليمان وطانيوس جرمانوس وابراهيم القسيس وداود مساعد زادهم الله تقدما وفلاحا

—جالية كارني نبراسكا —

نزل السوريون في كارني منذ اربع عشرة سنة وعددهم فيها نحو ١٥٠ نسمة ولهم كنيسة خاصة ومقبرة ويتولى رعاية نفوسهم قدس الاب الغيور الخوري نقولا يني ·وفي الجالية عدد من الذين افترلهم ثغر النجاح فاصبحوا ذوي ثروة كبيرة واملاك واسعة منهم الافندية والخواجات خليل وسمعان جرجس شبل وميخايل جبرا الحايك وهم نجار معروفون ومن المزارعين اصحاب الاملاك الواسعة الخواجات جبور شهدا وحنا شهدا وجرجس يني وموسى سعدى وغيرهم · وللنزالة في كارني اعتبار سام ومقام رفيع بين الاميركيين

السوريون في ولاية ميناسوتا

يبلغ مجموع السوريين في هذه الولاية زهاء الالفين نسمة معظمهم من جبل لبنان ٠ وتاريخ مهاجرتهم الى ميناسوتا يرجع الى ما حوالي سنة ١٨٨٠ اما عددهم الاكبر فضارب في امهات مدن الولاية شان السوريين في كل ولاية واخص تلك المدن مينابوليس وسانت بول ودولوث ومنكيثو وكركستون وغيرها

—جالية مينا بوليس—

يبلغ عدد السوريين في مينابوليس زهاء الاربعماية قسم منهم يتعاطى التجارة وقسم شغل الفاعل وقسم اخر مهنته صنائع مختلفة كالنجارة والتصوير والطباخة ٠ ومحالهم التجارية ستة عشر منها ثمانية «دراي كودس» واربعة سمانة وثلاثة بلياردو واثنان قهاوي تركية وشؤونهم الداخلية مع بعضهم عائلية لا اثر للخلاف وللتضاغن بدليل ان المشاكل بينهم لا تؤدي الى المحاكم ٠ ويذهبون في سياستهم ثلاثة مذاهب ديموقراطي ٠وجمهوري واشتراكي ٠ اما موقفهم امام الصالح السوري العام فواحد والمتجنسون منهم بالجنسية الاميركية يربون على ٩٥ بالمئة ٠ وعندهم كنيسة على اسم القديس مارون كاهنها قدس الفاضل الخوري بولس رزق٠ولهم جمعيات الواحدة دينية وهي «جمعية اخوية الانفس المطهرية » واخرى ادبية اجتماعية وهي جمعية الثورة الادبية انشاها شبان من ادباء الجالية وفي جالية مينابوليس اديبان شهيران بمعارفهما وغيرتهما الوطنية وقد احببنا نشر ترجمتهما كانموذج لادبائنا في المهجر ومثالا يسير عليه من يحب الرقي والفلاح وهما النطاسي البارع الدكتور طنوس حبيب داود وسليمان افندي داود الكاتب الاجتماعي المشهور وطالب طب في جامعة ميناسوتا

—الدكتور طنوس حبيب داود —

ولد هذا الفاضل في راشيا وهناك درس مبادىء العلم ولما بلغ سن الرشد ارسل الى

المدرسة الانكليزية في دمشق فدرس اربع سنوات. وعلم سنتين في ذات المدرسة

ومن ثم رغب في الحضور الى الولايات المتحدة حبا بزيارة اخوته وبغية في دراسة الطب والوقوف على المعارف والعلوم الزاهرة في هذه البلاد

قدم الى هذه البلاد في سنة ١٩٠٠ فام الوجهة الشمالية الغربية حيث يقيم اخوته الخواجات اسكندر وغطاس داود • واذ ذاك قدم الاهالي لائحة بطلب انشاء فرع لادارة البوسطة في مزرعة اخيه غطاس وقام هو على تدبير اشغالها واشغال المحل التجاري الذي فتحه اخوته آنئذ • واطلقوا على ادارة البوسطة اسم بيروت • وفي سنة ١٩٠٣ انتخبته جمعية المزارعين في نورث داكوتا (هذه الجمعية فرع لجمعية المزارعين الكبرى في اميركا) رئيسا • وفي اثناء هاتيك الايام التي قضاها كان يطالع كتب طبية وعلمية ولما تسنى له الدخول الى المدرسة انخرط في كلية منسوتا الطبية فنال الفوز مع اقرانه في تحصيل الطب الطبيعي وخرج الى العالم طبيبا ماهرا وحكيما وقد وجه اهتمامه بالبحث عن شفاء الامراض المزمنة • وبعد ان مارس التطبيب مدة في سانت بول مينسوتا عاد الى ركبي نورث داكوتا حيث يقيم اشقاؤه وهناك اشتهر في الاجهاز على الامراض العضالة فامه المرضى من كل البلدان المجاورة

في السنة الماضية تألف حزب اشتراكي في ركبي فانتخب دكتورنا كاتبا له • وبحكمته وسعيه مع بعض افراد الحزب الغير نجح هذا الحزب السياسي نجاحا رائعا في مدة قصيرة حتى باتت الاعضاء يربون على الـ ٥٠٠ عضوا • واخذت الاحزاب الاخرى تنظر اليه رهبة وفي العام الماضي انتخب دكتورنا الغيور نائبا يمثل اشتراكيي بقية النواب بمقدرته على دخول الابواب في المباحث وباقتراحاته الصائبة وافكاره الشائقة • ومن اخلاقه الكريمة انه يكره الافجاس والتمدح ومرارا نسب الاعمال المثمرة التي قام بها في سبيل الصالح السوري الى الغير • فانه بعد نجاحه في انتخاب قضاة

ومحافظ وشيوخ في مدينة ركبي من الحزب الاشتراكي وبعد مغامرته القاهرة ضد كان للسوريين وليس لفرد

ومما يليق ذكره هو ان لحضرة الدكتور البارع مقدرة على معالجة المواضيع باللغة ركبي وما حواليها في تنظيم بروغرام الحزب لسنة ١٩١٣ فقام بمهمته نشيطاً وقد اذهل احد خصوم السوريين وهو قاض عنيد وعدو لدود السوريين وفوزه عليه نسب ان ذلك الانكليزية معالجته اياها باللغة العربية وابان الحركة (الكامبلية) ضد السوريين رقش مقالة رنانة في الدفاع عن سورية والسوريين وقد ذكرت عنا في مقالة في نشرتها جريدة انذليل الاغر • وعدا عن ذلك فانه اخذ يخاطب بعض القضاة ويسالهم اراءهم في الحركة

اما سمعة هذا الشاب الاديب فكالعرف المنشور على الربى واسمه يفوح من شذا ناردين وهو عدا عن انه معتبر من كثيرين من الاجانب محبوب من الوطنيين والسوريين معا

—لمحة في تاريخ سليمان افندي داود —

ولد في راشيا الوادي حيث تلقى مبادي العلوم البسيطة وفي سنة ١٩٠٠ بعث به ابواه الى مدرسة دمشق الانكليزية حيث صرف اربع سنوات منكبا على موائد العلم والادب

وبعد انتهاء دروسه علم ثلاث سنوات في ذات المدرسة وقد اشتهر في المدة المتأخرة بين ادباء دمشق اذ مال الى قرض الشعر وحرفة القلم

وفي سنة ١٩٠٧ عاد الى مسقط راسه حيث علم في ذات المدرسة التي تعلم فيها مدة سنة بث في ابنائها روح الحرية وتنشق المعرفة والعلم ونفخ في التلامذة تفساعد عليه بالضيق السياسي بفضل اضداد الحرية الفكرية وخصوم الارتقاء والنور في كل بلد وجيل

وفي سنة ١٩٠٨ هاجر الى هذه البلاد حيث انخرط في سلك طلبة العلوم العالية فنال من احدى كليات هذه الوجهة لقب ب · ع · وهو الآن يتابع دروسه الطبية في جامعة ميناسونا الشهيرة

وفي اثناء اقامته في المدرسة اخذ يحرر في احدى جرائد مينابوليس وله الى حرفة مزاولة الصحافة ميل فطري بان فيه منذ الصغر وهو عدا عن انه كاتب قدير بلغة القوم شاعر مجيد وناثر بليغ بلغته واكثر ابحاثه اجتماعية اشتراكية يرمي فيها الى غاية المساواة في الحقوق والانسانية وقد نفع السوريين في ولاية ميناسوتا منافع تذكر له بالثناء الطيب منها ان يمثلهم امام المحاكم وممثلي الجرائد احسن تمثيل ومنها انه كان الواسطة الوحيدة لاستبضاع كتب عربية من الشام ومصر واميركا على نفقة المكتبة الاميركية العمومية في مينابوليس وسانت بول حبا بتنوير السوريين الذين لايفهمون لغة البلاد حسنا وقد كان سببا في الافراج عن سجين سوريٍّ هنا

والسوريون في هذه الضواحي يعترفون له بفضله وادبه وغيرته اكثر الله من امثاله بين جاليتنا المحبوبة

—جالية شيكاغو النيوز —

بدات مهاجرة السوريين الى شيكاغو منذ معرضها الشهير سنة ١٨٩٣ وعددهم فيها الآن يبلغ نحو الالفي نسمة يتعاطون اشغالا مختلفة ·ومن المحلات التجارية السورية فيها الشركة المتحدة وقوامها الافندية الدكتور الياس مسلم المعروف بادبه ومعارفه وفضله وميخائيل سيده وهو من نوابغ الرجال وميخايل بخاش المعروف باستقامته وغيرته · وفروع محلات للتجار المستقمين ملوك اخوان وجباره اخوان وجرجي كساب وشركاه اصحاب المحلات للتجارية الكبرى في نيويورك· ويدير محل جباره اخوان الشاب الاديب بنيامين افندي جباره المشهور باطفه واستقامته وكرم

اخلاقه ولا عجب فهو غصن دوحة الفضل وابن بجدة الادب . ومن كرام التجار فيها ملحم افندي ضاهر وقيصر افندي ثابت والوجهاء الاكارم الافندية عيسى صلاح واخوه قسطنطين ويوسف جرجس وداود عبدالله اصحاب محل شركة رام الله وعيسى سلامه واخوه وخليل الزرو واخوه من كرام التجار . وفي شيكاغو كنيسة على اسم القديس يوحنا للروم الكاثوليك كاهنها قدس الاب الفاضل الخوري سيرافيم رومية وكنيسة على اسم القديس جاورجيوس للروم الارثوذكس (بالاجرة) كاهنها قدس الاب الفاضل الخوري سيرافيم نصار . وفيها جمعية طليعة الادب وجمعية التعاضد السوري والجمعية الفلسطينية واعضاء هذه الجمعيات من ذوي الغيرة والنشاط

وفي شيكاغو عالم كبير وكاتب نحرير وشاعر خنذيذ هو سيادة الفضالي الاكسرخوس يوحنا حداد الذي خدم السوريين في تلك المدينة وفي عدة ولايات على اختلاف مذاهبهم ونحلهم خدمات دونت له بمداد الشكر . وهو من ارباب الاقلام الذين يشار اليهم بالبنان تشهد له بذلك موءلفاته العديدة في المعاني والبيان والبديع والعروض والانشاء والمعجمات واللاهوت النظري والادبي والحق القانوني وعلم الفلك وهو يحسن لغات عديدة ورسم بيراعه الكون على طريقة مبتكرة فنال ذلك استحسان عام وقرظ بست وعشرين لغة من الملوك والروءساء والادباء ويحق الافتخار بعلمه وفضله ليس لجالية شيكاغو فقط بل للسوريين عموماً في كل مكان نظراً لعلمه وفضله وغيرته وعزة نفسه

—جالية سبرنفالي النيوز—

ليس بين سائر الجوالي السورية في الولايات المتحدة من يفتخر بها ويعتز بغيرتها ووئامها واستقامة افرادها اكثر من جالية سبرنفالي الكريمة فقد ضمت نخبة من اهل الفضل والادب والغيرة الوطنية وفي مقدمتهم الوطني الفاضل نعمه افندي فراز التاجر

المعروف فيها وصاحب الكلمة النافذة والمقام الرفيع ومن الاكارم هناك حضرة الافندية الافندية والخواجات سليم الغريب المعروف بادبه وفضله وميخائيل حبيب صاحب الذوق اللطيف والمقدرة التجارية ونقولا ابوعسله وشاكر الخوري ونقولا مطولي وفرحات فارس الحداد وفضل الله فواز ونقولا ونمر خليل وكل من هؤلاء الافاضل مستقيم في اعماله محبوب من معارفيه ومشهور بغيرته الوطنية

ونخص بالذكر من افاضل تلك الجالية التاجر الكبير اسكندر افندي معيقل هاجر الى اميركا سنة ١٨٩٠ وقد بنى اشغاله على اسس الاستقامة ففاز فوزا باهرا وهو يتاجر ببضائع الدراي كودس وغيرها ويصرفها بالجملة والكميات الكبيرة ويلبي طلب كل من يريد معاملته ٠وهو صاحب املاك واسعة منها ستماية فدان تزرع ارزا في ولاية اركنساس وثلاثماية وعشرون فدان في ولاية ايوا زاده الله تقدما وفلاحا لانه اهل لكل ذلك

—جالية فكسبرغ مسسبي—

جالية فكسبرغ ممتازة بغيرة افرادها وسلامة طويتهم وغيرتهم على المشاريع الخيرية والادبية وعندهم جمعية ادبية اعضاؤها نخبة من ادبائهم وهي سائرة على قدم النجاح ٠وعندهم ايضا جمعية اخرى طائفية وقد اشترت ارضا وهي شارعة ببناء كنيسة بهمة وسعي قدس الاب الوقور الخوري مكاريوس الصيفي ٠ومن كرام الجالية هناك الافندية والخواجات ميخائيل وجبرائيل الحايك وحنا يعقوب جحى والياس بدران والياس وخليل وفرح جرجوره ومالك غصن وجرجس ساسين وغيرهم

—جالية فول رفر ماس—

يناهز عدد السوريين في فول رفرز ١٣٠٠ نسمة يشتغل معظمهم في مصانع المنسوجات وتمتاز تلك النزالة بسيادة السلام بين افرادها واجتماع كلمتهم وفيها كنيسة للموارنة

وقد مر ذكرها. ولهم جمعية زاهرة اسمها جمعية جبل لبنان السورية ولها موسيقى خاصة .وهناك مطعم جميل اشتهر بنظافته واتقانه وهو خاصة الوطني الغيور نسيب افندي عامر وهبه . وفي فول رفر عدد من ذوي الاملاك منهم الافندية يوسف بشاره وطنوس فارس رحمه وبولس جبور ونقولا عواد وعبدالله صبرا وجرجس خلف وسليم غنطوس وفارس مسعدويوسف باخوس وميخائيل سمعان وشكري المغبغب كذلك يوجد عدد من التجار باصناف مختلفة ومطاعم وغير ذلك وكان يسرنا ان نعرف اكثر عن هذه الجالية الكريمة وآثارها الادبية لندونها بمداد الافتخار

—جالية بتسبرغ بنسلفانيا —

يربو عدد الجالية السورية في مدينة بتسبرغ عن الالفين نسمة يشتغل عدد كبير منهم في المصانع والبقية يتعاطون اشغالا مختلفة .وقد سعى ارثوذكسيوها موءخرا بهمة راعيهم قدس الاب الفاضل والتقي الغيور الخوري جرجس ميخائيل النكت بمشترى بيت يحول الى كنيسة في القريب العاجل ولقدس الخوري جرجس آثار حسنة وغيرة مسيحية حقة وهو موصوف بالوداعة وسلامة الطوية والهمة الناهضة في خدمته الروحية ومن اكارم تجارنا ورجال الفضل في تلك الجالية الكريمة المشايخ عفيف ناصيف ودياب موسى وموسى حنا كنجو وهيكل المرشد واسكندر يوسف وميخائيل ابراهيم شهاب وزخور يوسف شهاب والافندية والخواجات مخيبر بركات وحبيب نعمه وتوفيق خوري واخوه واسحق الصراف ووديع الصراف وجرجس نصار واسحق ورد ورحال اخوان وميخائيل قسطنطين ويعقوب وخوري وحنا عبده وغيرهم ممن لم تصلنا اسماؤهم وكلهم ذوو استقامة وغيرة وطنية وقد امتاز الشاب الاديب الياس افندي رحال بتفننه في التجارة وهو على جانب عظيم من النشاط والذكاء الفطري والغيرة الوطنية

اكارم وافاضل في جهات مختلفة

كان في العزم متابعة ذكر كل نزالة او جالية سورية على حدة كما تقدم ولكن لاسباب حاملة عدلنا عن ذلك مكتفين بذكر الافاضل والاكارم من وطنيينا المقيمين في بلدان ومدن مختلفة فمن اولئك الاكارم الوجيه الفاضل والكريم الغيور جبران افندي بيضا صاحب التجارة الكبيرة والاملاك الواسعة فهذا العصامي هاجر من مدينة بيروت شابا في مقتبل العمر ممتلئا نشاطا وهمة وباشر التجارة آن وصوله الى هذه الديار جاعلا الصدق معتمده والامانة رائده والنشاط مطيته وما فتأ يعمل بكل جد وثبات حتى وصل الى مركز تجاري سام وصار يعد في مقدمة التجار السوريين في الولايات المتحدة ٠وقد باركه الله بعائلة كبيرة وحذا البنون حذو الوالد بالصفات الكريمة والسجايا الحميدة وهو يقطن في بيت فخيم يضارع قصور اغنياء الاميركان ومركز تجارة هذا الوطني الغيور مدينة لوس انجلوس من ولاية كاليفورنيا وله فيها مقام سام وصيت ممدوح اما غيرته الوطنية وحميته العربية وكرمه الحاتمي وطلاقة محياه وتفانيه في المشاريع العمومية وخدمة بني وطنه فمما ينبغي ان يتخذ نموذجا ينسج على منواله وهو عضو في غالب الجمعيات الراقية ورئيس الجمعية الخيرية الروسية في تلك الحاضرة وطالما قرانا في الجرائد الروسية مديحا مستطابا وثناء عاطرا على اريحية وكرم وتقوى وشهامة هذا الوطني الغيور اكثر الله من امثاله لرفع منار الوطنية واعلاء الاسم السوري

وفي بورتلند اورغن اخوان جمعا بين طيب العنصر وكرم المحتد وشرف السجايا والاسم العبقري والفوز الباهر في حلبة السباق التجاري ما جعل العيون ان تشخص اليهما والنفوس تعجب بهما وهما عزيز افندي عطيه واخوه جورج افندي المشهود لهما بالاستقامة والامانة والموصوفان بالعزيمة الناهضة والهمة القعساء ولقد احرزا من ثقة الوطنيين واعتبارهم ما يجعل السوري يفاخر بكونه سوريا حيث يذكر اسم عطيه اخوان

فالثناء على هذين الفاضلين والشهمين المعتبرين والتاجرين المستقيمين يعد من باب الواجب اللازب نظرا لمالهما من الايدي البيضاء والمآثر الغراء والصيت الحسن

وفي كراند رابدس مشغن شاعر مطبوع وكاتب متفنن وتاجر كريم هو سليم افندي ابراهيم الحاو· تاجر في السجاد العجمي والبضايع الشرقية ·وفي ليك شارلس لوزيانا وطني غيور وتاجر كريم هو جرجس افندي شهدا

ومن ذوي الغيرة والاستقامة والاسم الممدوح الافندية والخواجات طنوس وسالم روفايل في يونيونتون بنسلفانيا وميخائيل نقولا ساعاتي في اوكلاند كاليفورنيا وابرهيم لانيدو في سولت ليك ستي يوطا واسعد الياس الحداد في وليمنتك كنكتكيت وسليم ابو علبه في هرن النيوز وميخائيل الياس السباك في ماريون اوهايو وجورج غصن في فيلادلفيا

وفي مدينة كانتن اوهايو وطني غيور وتاجر كبير ذو سمعة حسنة ومقام رفيع وهو سليم افندي عبده التاجر المعروف · وبشراكته اخوه اسكندر افندي وهو نظير اخيه في الغيرة الوطنية والمعاملة الحسنة المبنية على الصدق والامانة وهما ابنا سليمان عبده ابي عسله من عيثا الفخار وبنو عيثا اين كانوا مشهورون بغيرتهم وسلامة طويتهم وحسن تقواهم وتفانيهم في عمل المبرات والاحسان

وفي اوزارك الاباما شهم كريم ووطني غيور هو بركات افندي نعمان صليبا صاحب اكبر واجمل محل سمانة اميركية في تلك المدينةواملاك واسعة وله بين الوطنيين مقام سام جدا وهو نافذ الكلمة ممدوح الصفات كثير المبرات

وفي ولاية الاباما وغيرها عدد من آل صليبا الاكارم منهم امين افندي في سفانا جيورجيا صاحب التجارة الكبيرة والاملاك الواسعة وهو مساهم في احد المصارف المهمة في تلك المدينة ومقامه على غاية الاجلال بين الاميركان ·ومنهم الياس افندي

طانيوس صليبا في دوثن الاباما · وميخائيل افندي طنوس صليبا في امير كيوس جيورجيا وميخايل افندي انطون صليبا في دوسن جيورجيا وغيرهم عدد وافر من تلك العائلة الكريمة

وفي انلنتا جيورجيا جالية كبيرة من السوريين وفي مقدمة تجارها الاكارم الافندية ميخايل وناصيف عازار اصحاب تجارة واسعة واملاك ثمينة وتجارتهم بالبضائع العمومية



التاجر الكبير والوطني الغيور سليم افندي عبده نزيل كانتن اوهايو

واكثر بيعهم بطريق الجملة · وفي برمنهام الاباما نزالة كبيرة ايضا وهناك النطاسي البارع

والخطيب المفوه الدكتور هيكل افندي الخوري وهو من مديري دفة السياسة في تلك المدينة وقداجمعوا مرة على ترشيحه لمحافظة المدينة وهو موضوع اعجاب الاميركيين بفصاحته وحذقه ·ومن كرام التجار في موبيل الاباما فارس افندي البردويل واولاده وفي مريديان مسببي التجار الكرام الافندية ميخائيل وجرجي حنا سلامه والياس الحداد وعساف جرجس نصر ويوسف ميخائيل نقولا وغيرهم وفي نيواورلنيس لوزيانا جالية كريمة ومن تجارها الافاضل الافندية طانيوس خليل وتوفيق ميخائيل ابوحيدر وشديد نعمه واخوه ونعوم الصايغ ·وفي بومانت تكساس جالية كبيرة يناهز عددها الاربعماية ولهم كنيسة على اسم ميخائيل رئيس الملايكة كاهنها قدس الاب الفاضل الخوري قسطنطين دوماني وعندهم جمعية خيرية ايضا ومدرسة عربية ومقبرة خاصة ومن كرام تجارنا وادبائنا فيها الافندية والخواجات ميخائيل سالم واخوه عيسى ونقولا الدبس وسامي وتوفيق الكعك والياس عيمو ونجيب حوا وعبدالله التاجر ويعقوب منصور وفي ويكوتكساس جورج افندي عطيه التاجر المعروف وفارس افندي بشاره صاحب الغيرة والشهامة وصاحب الاملاك الواسعة والافندية والخواجات ابراهيم ابراهيم المقدسي وعبود بطرس ومعوض فاضل

وفي رتشمند فرجينيا عدد من مواطنينا الكرام نخص بالذكر منهم الافندية يوسف واسعد ونسيب بارودي المعروفين بادابهم واستقامتهم وسلوم ابراهيم سليمان واسعد خليل دياب ·وفي سبارتنبرغ سوث كارولينا الافندية ابراهيم وميشال خليل الحاج والياس جبرائيل وانطونيوس نقولا بخعاز والياس عيسى وقيصر طعمه واسكندر عقل وفي كولمبيا سوث كارولينا الافندية ايوب غصن وولده اسكندر صاحبي التجارةالواسعة وجرجي اسكندر الشماس تاجر معروف واسعد نقولا وجرجي نمر وجرجي الصباغه وشجاده برغوث

وفي جاكسن مسسبي كريمان تعتز بهما الوطنية وتفخر الانسانية وبرنو الاستقامة ويزدهي الفضل وهما الشهمان الغيوران صوايا ونعيم افندي صوايا اللذان تشغل تجارتهما الكبيرة اكبر بناية في المدينة وتجارتهما ممتدة في غالب الولايات الجنوبية ولهما منزلة سامية ومقام رفيع وهما مشهوران بتفانيهما بخدمة ومساعدة ابناء سوريا بكل ما في استطاعتهما وبمثلهما يحق الافتخار وعلى شهامتهما وطيب عنصرهما يليق المديح والثناء

وفي بلومنتن النيوز ممن يحق الافتخار بوطنيتهم وغيرتهم الياس افندي حنا الطيار وناصيف افندي شاهين واخوانه في كانتن اوهايو · وجرجس افندي خرباوي واخوانه في بلسفيلد مشغن وهم اصحاب نجارة كبيرة ·وفي روشستر بنسلفانيا الافندية والخواجات نايف الاسعد وجرجس الخليل وتامر المسلم ودياب الموسى وسليمان العبدالله وليون السلوم وفارس الابراهيم وسليم اليان وشاهين بطرس وجرجس بركات وجرجس الخوري وميخائيل الاسعد ومسعد وخليل ودعيبس جرجس وكلهم ذوو غيرة واستقامة

ومن كرام تجارنا الافنديان عبدالمجيد وخليل حداد صاحبا محلين تجاريين في تكوما وسياتل ولاية واشنطن ·هاجرا الى هذه الديار كما هاجر غيرهما غيرانهما بمدة قصيرة تمكنا بجدهما من احراز منزلة رفيعة ومركز سام ونالا ثقة الاهلين واعتبارهم

وفي مكوم مسسبي جالية كريمة وهم مهتمون بانشاء كنيسة خاصة ومتول رعاية النفوس هناك قدس الاب الفاضل الخوري موسى ابو حيدر ومن كرام تلك الجالية الافندية والخواجات يوسف حنا خاف ونجيب سليمان واخوه وفارس ابي حيدر وضاهر سليمان وفرج خليل وضاهر شاهين ابي حيدر واخوه · وفي مدينة فورت فيلد من ولاية ماين اديب فاضل ووطني غيور يحق الافتخار بعلمه وفضله ونزاهته وهو صالح افندي جرجس الخوري ذو الاستقامة والصيت الحسن · كذلك في نيوكاسل عدد

من ابناء الوطن الغيورين في مقدمتهم الافندية والخواجات اسبر سليمان المقدسي ومرعي حنا ديب وحبيب مخول حنا وموسى ابراهيم سليمان وخليل اسبر ندور ومحمود حميد وجالية فالدوستا جيورجيا تعتز بالاكارم الافندية والخواجات الاتية اسماؤهم يوسف القاصوف وحنا نصر شلهوب وطانيوس ذوو الغيرة والشهامة·ويسرنا ان نقول ان في كل بلدة ومدينة يقطنها سوريون يوجد بينهم افاضل واكارم ذوو حمية وغيرة كما انه يسوءنا ان نقول ان جالية يازوستي من ولاية مسسبي جاءت شذوذا لهذه القاعدة

وفي مدينة كنغستون من اعمال جاميكا شاب على جانب عظيم من التهذيب والغيرة الوطنية والصدق والاستقامة في الاعمال وهو الاديب الفاضل فريد افندي حنا التاجر



الاديب الفاضل فريد افندي حنا نزيل كنغستون جاميكا

المستقيم والفاضل الكريم وهو قدوة في الخلال الكريمة والتهذيب الصحيح وقد حباه الله نجاحا ماديا مذكورا فاضاف الى قوة الادب قوة المال واحسن استعمال كليهما اكثر الله من امثاله

ـالسوريون في كنداـ

تاريخ هجرتهم • شؤونهم الاجتماعية • حال تجارتهم شتى •

بقلم ميخائيل افندي ناصيف زربطاني

صاحب جريدة الشهاب المحتجبة في مونتريال كندا

كندا جزء رحيب جدا من اميركا الشمالية واقع الى شمال الولايات المتحدة • مساحتها ٣٬٧٤٥٬٥٧٤ ميلا مربعا ويناهز عدد سكانها الستة ملايين يقطنون في ولاياتها التسع وهي انتاريو وكبك ونوفاسكوشيا ونيوبرنزوك ومانيطوبا وبرتش كولمبيا وبرنس ادورد ايلاند وساسكتشوان • والبرتا •وفي اقضيتها الخمسة وهي كيواتن ويوكن وماكنزي وانكافا وفرنكلن ومن مساحة كندا الانفة الذكر نحو نصف مليون ميل مربع يتصل بالمنطقة القطبية المتجمدة الشمالية و١٢٥٧٥٥ تغمرها المياه

في كندا نحو مئة الف نسمة من بقايا الهنود الاصليين سكانها الاقدمين وفيها عدد كبير من العناصر الغريبة المهاجرة اليها اهمها عنصر الشرق الاقصى • ومن الامم المهاجرة اليها الامة السورية المنتشر افرادها في كل جهات كندا من الاوقيانوس الاتلانتيكي الى الباسيفيكي ومن اقاصيها الشمالية الى تخوم الولايات المتحدة في الجنوب •

يمتد عهد الهجرة السورية في كندا الى ٢٥ سنة واول من بلغها على ترجيحهم ابراهيم بوناضر او سليم الياس الاشقر الذي جاء مدينة مونتريال من مدينة نيويورك في تجواله بائعا في القرى المنتشرة بتلك المساحة الرحيبة • وكانت نيويورك المرفأ

الوحيد الذي يبلغه السوريون المهاجرون الى كندا

ففي السنين الخمس الاولى كان يقاسي السوريون عناء جسيما في معيشتهم ومخالطة الاجانب لجهلهم لسانهم. وكانت مدينة مونتريال مباءتهم الوحيدة التي يقطنونها ويعودون اليها بعدان يتغيبوا عنهاالى المدن الاخرى لبيع السلع المختلفةالاجناس. فسكنوا كلهم في اوائل هجرتهم الكندية في منزل رحيب واحد. ثم كثر عددهم فقطنوا منزلين كبيرين عديدي الغرف فاذا دخله احد ظنه قرية لكثرة العائلات التي اتخذت كل منها غرفة واحدة للرقود واعداد الطعام والجلوس واقتبال الزائرين فكل غرفة بيت وكل طبق شارع فكأن البناية قرية

لا يزال يذكر بعضهم تلك الايام بارتياح وسرور ويدعوها عهد الصفاء والحبور لتحاب القوم وشعورهم بواجب التضام والتآخي اذ كانوا يرون فائدة بارتباطهم الاجتماعي والقومي لدى الاغراب الذين كانوا يجهلون عوائدهم ولغتهم. وقد كانوا يجتمعون معا في ارحب قاعة للسهر وصرف الوقت في حين عطلتهم يوم الاحد الذي كانوا يقدسونه بابداء مظاهر السرور وصفاء النيات وحسن الاتحاد.

وفي السنين الخمس الثانية زادت منازلهم وكثر عديدهم فتعددت وسائل اجتماع بعضهم ببعض في كل ليلة ليروي كل منهم ما حدث له في نهاره وما رآه في سفرته من الامور المضحكة المحزنة وما عاناه من المشاق لجهله لغة البلاد وما كانوا يلامون لان وطنهم لم يحلم بهجرة بنيه الى اميركا ولم يعد لهم وسائل تعليم اللغات الاجنبية ليسهل لهم الامر الاغتراب الى ارض كولمبس. فاضطر هؤلاء الى التقاط الكلمات الافرنجية حسبما كانت ترن في اذانهم فتصرفوا كثيرا في لفظها على غير تعمد حتى اخطأوه واصبحوا في حاجة الى من يترجم بينهم وبين ذاك الذي ادعى احسان لغته جهلا

ومما روي لي عن كثيرين انهم لتعذر معرفة اسماء اشياء عليهم اذ يحتاجون الى اقتنائها كانوا يضطرون الى الاشارة الى تلك الاشياء بمدلولاتها او تمثيلها تمثيلا مضحكا يكاد يفهم الشخص المخاطب المراد من ذلك كتمثيل الدجاجة في قن تبيض فيما اذا احتاج احد الى ابتياع بيضة وغير هذا كثيرا مما شاكله من النوادر ٠

وقد كانت لهم حوانيت تجارية قليلة واول من بدا بالمتاجرة امين لطفي وتلاه اسبر قطيني معلوف وحذا حذوهما كثيرون فصاروا تجارا يعاملون الاجانب ٠ وكانت العادة المألوفة في ذلك العهد ان يسافر المهاجر السوري الى اميركا بمال يستلفه من التاجر السوري المقيم في كندا شرط ان يفيه هذا المهاجر الجديد مبلغ ناولون السفر وان يستبضع كلما يحتاج اليه من محله وان ينقده ربع ما يربحه من المال الى اجل محدود مما ينم على فاقة ومسذاجة وطنيينا في هاتيك الايام ولم يكن مثل هذا الشرط الا ليزيد في همتهم وينشطهم للعمل ويستزيدهم في الجد تطلابا للربح الكبير بالرغم عما كان يعتور سبلهم من المصاعب الجمة

كانوا يسيرون جماعات في ظاهر المدينة يتنقلون في القرى المتجاورة لخيرتهم المتساوية في المنطقة الصغيرة المحدقة بهذه المدينة (مونتريال) واذا ماجن الظلام كانوا يلتقون معا في منزل واحد في طريقهم فيسهرون منفردين من ال ذلك المنزل لانهم لا يحسنون لغتهم واذا تبادلوا واياهم الحديث مزجوا الالقاء بالايماء ليتفاهم الفريقان على قدر الاستطاعة ٠

ثم اخذ السوريون يمعنون في البلاد توسعا في طلب الرزق لانهم كثروا وكادوا يتزاحمون في تجارتهم فام بعضهم الولايات الشرقية البحرية واخر الاطراف الغربية وتخمها حينئذ مدينة وينبك فصادفوا نجاحا في الغرب لبداءة وصولهم الى ولاية مانيطوبا التي عرفت حدينا في ذلك العهد وقد فاقهم في النجاح المرحوم ميخائيل

موسى شاتيلا الذي تسنت له مصاحبة معتمد الحكومة المحلية مكدونالد في تجواله بين الهنود الاصليين في مجاهل البلاد لابتياع الاراضي وتعريفها الى متمدني كندا وتاهيلها بالناس وتحضير اولئك الرحالة من الهنود فمع ما انسه المرحوم ميخائيل شاتيلا من المصاعب جمع ثروة تكاد تكون كبيرة

وقد كثرت البيوتات التجارية وسارت في مجرى قانوني على نظام التجارة الكندية فبلغ محل رامح وبوحنا وخوري شأوا بعيدا في ميدان التجارة وافتتح معملا لنسسبندرس (الحمالات) واخر للملاعق المعدنية فكان المعمل الوحيد من نوعه في كل كندا واخر للتبغ واللفافات

ثم اخذ محل عبود وبوسمره قصب السباق في التجارة والثروة المالية وامتلاك العقار وتلاه في الشهرة محل طباع ابناء عم فاخذ مأخذا حسنا باسباب التجارة ٠وقد تفوق في التجارة محل يوسف وعساف عزيز في تورنتو الذين احرزوا ثروة وامتلكوا عقارا ٠وفي مونتريال محل معلوف وجرجور ٠وله فرع معمل لاصطناع الملابس الجرخية للرجال وهو من الاهمية بمكان وله املاك وللسوريين في منتريال بيوتات تجارية كبيرة و كثيرة اهمها محل عبد النور وبوزيان ومتى وشركاه ٠ وانطون هوشر وله املاك وشامي اخوان وينيتد ستايتس جولري كمبني لصاحبها نقولا الصغير ومحل سابا وبركات٠ وسابا وشاتيلا اخوان ٠وبوزيان اخوان ٠ وفرعان لمحلين شهيرين في نيويورك في البضائع الحريرية هما لجرجي وسليم كساب وشركاهما وملوك اخوان الاول بادارة احدهما سليم كساب والثاني بادارة المير يوسف بللمع٠ وفي الحرير محل كحيل اخوان٠وفي السمانة محل بوسمره الخوري٠وزغيب وصيفي٠وسليم التونون ٠ اما المحال التي تبيع بالمفرق فعديدة في هذه المدينة ومنها ما تبيع بالجمل ايضا كمحل طنوس ديب ٠ ونسيب مطر وشركاه ٠وبوشدید اخوان وزربطاني

اخوان ولهؤلاء فرع في شمالي المدينة وغير هذه المحال فنحو مئة لا يسعني سرد اسماء اربابها ٠ وفي تورنتو محل شاهين سابا وشركاه وله فرع في بلدة بيارفل كبك ٠

اما في داخلية البلاد مثل ونيباك وبراندن في مانيطوبا وستراثكونا وارمنتن في البرتا وفرني وفانكوفر وهوسمر وبرنس روبرت في برتش كولومبيا وهاليفاكس وسان جان وادمنستن في نيوبرنزويك وكبك وتري ريفرز في كبك فقد اسس فيها وفي سواها مواطنونا الكرام بيوتات تجارية ذات اهمية كبرى ولهم معاملات حسنة مع ابناء جنسهم على الاجمال حتى قدر ما يتبضعونه في خلال السنة من المعامل الاجنبية والتجار الكبار مايربو على الخمسة عشر مليونا من الريالات

وقد صار العدد الكبير من السوريين ذوي املاك كثيرة وعقار كبيرة وحقول رحبة وقد انتهزوا هاتيك الفرصة السانحة التي عرضتها الحكومة على المرتحلين الى غربي كندا لاستثمار الاراضي فيها حتى كادت تقطع تلك المقاطعات الشاسعة تحت اسم (هومستد) فلم يبق سوري في كل تلك النواحي الغربية بلا ارض كبيرة وحقل واسع وصار اكثرهم غنيا ملاكا الان ٠

للسوريين الان بمونتريال معامل صناعية مثل اميركا سسبندرس كمبني لصاحبيها منصور شاتيلا والياس صالحاني ٠ وينيون سسبندرس اند كيمونا كمبني لصاحبها نايف بوحنا وباريسان سكرت اند كلاك كمبني لصاحبها ملحم بوشميس سعد ٠ ومعمل يوسف بوصيبعه سعد وبوجعده ويواكيم والياس صابر ٠ وطباع شرت اند افرال كمبني لصاحبها يوسف طباع ٠ وكيل شرت منفكتشرن كمبني ٠لصاحبيها موسى وسليم الخوري خلا الاسماء التي وردت مع اسماء البيوتات التجارية

اما حال السوريين الاجتماعية فحسنة وهادئة ولم تخل من بعض الاضطراب من بضع سنين على اثر عزم ابناء الطائفة الارثوذكسية على ابتناء كنيسة فاسفر ذلك

الاضطراب عن بناء كنيستين بدل الواحدة وكلتاهما متجاورتان وعلى اسم القديس نيقولاوس العجائبي • قامت ببناء الاولى لجنة كنيسة القديس نيقولاوس العجائبي وقامت ببناء الثانية الجمعية الخيرية السورية الارثوذكسية فبلغت اكلاف الكنيستين خمسين الف ريال ولا تزالا مديونتين بمبلغ ستة عشر الف ريالا بعد وفاء اربع سنين • وتلك غيرة لعمري يستحق ابناء الطائفة الارثوذكسية الشكر عليها

نشأت في مونتريال جمعية الاتحاد السوري الخيري ولم تعد الى عقد اجتماعاتها الان ولم يبق لها ظل • والجمعية الخيرية السورية الارثوذكسية وجمعية زهرة الاحسان للسيدات وكلتا الجمعيتين قامتا ببناء كنيسة القديس نيقولاوس العجائبي في شارع نوتردام • ولجنة القديس نيقولاوس العجائبي وجمعية حديقة الاحسان للسيدات كلتاهما توفرتا على بناء كنيسة القديس نيقولاوس العجائبي في شارع فيتره • وجمعية الشبان الموسيقيين السورية وغايتها التوفر على اتقان فن الموسيقى فبرع اعضاؤها جدا وصاروا قادرين الان على الظهور بمظهر رسمي كجوق نظامي • والقومسيون الملي الكاثوليكي وغرضه بناء كنيسة لابناء الطائفة الكاثوليكية السورية في هذه المدينة والامل بنجاحه وطيد • وجمعية سوريا الفتاة ولم يداوم اعضاؤها نصرها فلم يبق لها ظل • والمنتدى السوري الكندي وغايته تعزيز الاسم السوري وتاييد الجامعة القومية وصون المصلحة الوطنية • وهو حديث العهد آخذ ماخذا حسنا يجمع بين كل المذاهب تحت صيغة الوطنية • شعاره التساهل وشأنه حسن التفاهم بين الافراد وله جوق خاص من اعضائه لتمثيل روايات ادبية يحبس ريعها على صندوق المنتدى لنفع العام

وتوجد جمعيات عديدة للسوريين في كل مدن كندا منها طائفية ومنها وطنية • وقل ما تهتم هذه الجمعيات بالامور السياسية ولكن قانون المهاجرة الكندية الجديد الذي سنته الحكومة قاضيا وجود مبلغ ۲۰۰ ريالا مع كل مهاجر سوري قادم الى

كندا من بلاده) قد حمل بعض تلك الجمعيات على التداخل في هذا الامر السياسي احتجاجا على عمل الحكومة توصلا الى النجاة من ظلامة ذلك القانون

يبلغ عدد السوريين في كندا سبعة الاف نسمة مستذرين في كل انحائها حتى انهم انهم حلوا في كل مدينة و كل قرية استقدموا عوائلهم من الوطن و كثر نسلهم وصار يتكلم اولادهم بلغة الوطنيين فلا يميزون عنهم في اللفظ واللباس والعادات ٠وقد دفعت الهمة بعض الكرام في مونتريال فالفوا لجنة تتوفر على الاهتمام بتعليم الناشئة السورية اللغة العربية فصار للكاثوليك شبه مدرسة عربية وللارثوذكس شبه مدرسة عربية وهذا ما يحيي الامل بعدم موات لغتنا الشريفة في هذا الجيل المهاجر الجديد

وكان للسوريين جريدة عربية تصدر في مونتريال مرتين في الاسبوع تسمى الشهاب لصاحبها ميخائيل ناصيف زربطاني فاحتجبت بعدصدور عامين كاملين وخسارة جسيمة وبعدها صدرت جريدة العالمين الاسبوعية لصاحبها الخوري افثيميوس عفيش فاحتجبت بعد ستة شهور لنفس السبب لان الجالية السورية لم تستعد بعد الى جريدة عربية في كندا تخدمها خدمة ادبية كتينك الجريدتين المذكورتين

اما احوال السوريين الاجتماعية فتنم على ادابهم الجمة وهم يفتخرون بانهم قليلو الظهور في المحاكم الشرعية لقلة الدعاوى المقامة منهم او عليهم وسجلات دوائر البوليس خالية من اسمائهم لندور علاقاتهم بها ٠ وهم شعب محبوب لايثير فتنة ولا يسبب قلاقل ولا يزعج الامة التي يعيش بينها وقد اشتهر امر السوريين في الحذق والفطنة والتفنين في المعيشة وكسب المال

وقد اهتمت الجالية السورية باقتناء معاهد لتمثيل الرسوم المتحركة ففاز بعضهم فوزا مبينا في مونتريال واشتهر امر السوريين في عالم الرسوم المتحركة وقد اشتهر على الخصوص في هذه المتاجرة طنوس اخوان ولاوند اخوان ٠

يوجد في مدينة مونتريال وحدها نحو الالفين من السوريين ارثوذكس و كاثوليك وموارنة وسريان قديم وجديد وبروتستانت ومسلمين على تباين فرقهم ودروز وهم من مدن وقرى مختلفة من كل انحاء سوريا وفلسطين والارثوذكس هم السواد الاعظم فالجالية السورية في مونتريال تمثل كل آل سوريا على الاطلاق . وافرادها يمتهنون كل المهن ويتاجرون بكل المتاجر واكثرهم موفقون ورابحون .

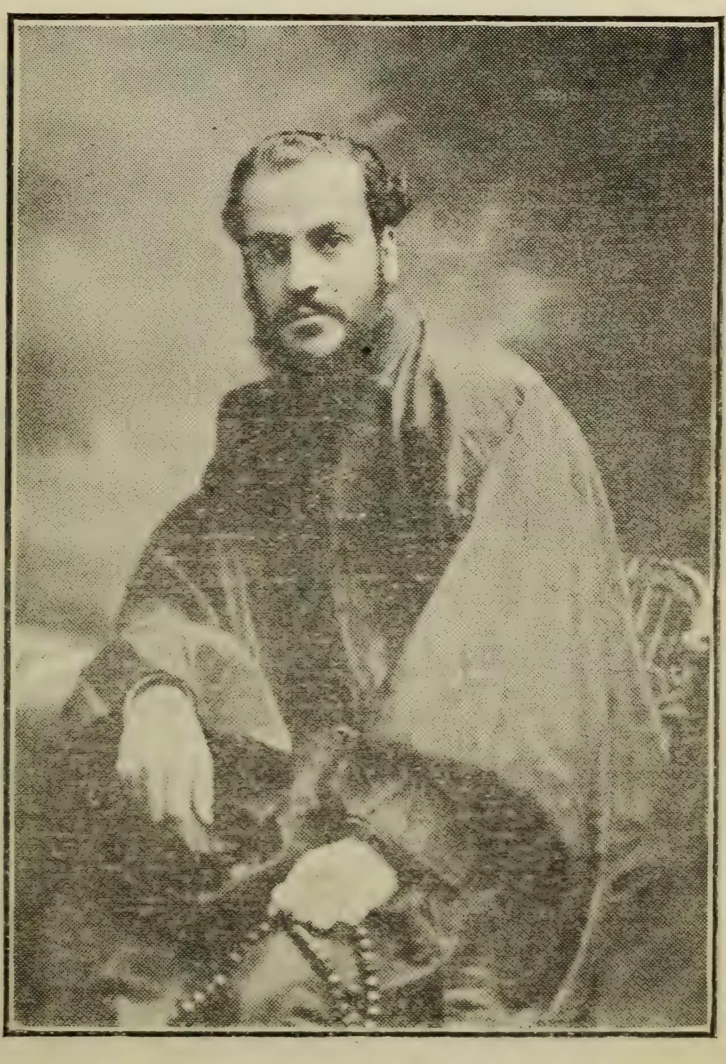
ففي بداءة امر المهاجرة السورية كان الرجل السوري وامراته يتجولان معا في داخلية البلاد لبيع البضائع والاسترزاق ثم انقطعت الكثيرات عن البيع ولزمن بيوتهن بعد ان صار رجالهن تجارا فعسى ان تدعو الغيرة سائر النساء الاخرى الى التشبه باخواتهن ربات البيوت المحصنات ضنا بسمعة السوري الذي يأذن لامراته ان تجول من منزل الى اخر ومن قرية الى مثلها مع أنه يعرف ماهو واجبه وما هو واجبها

وقد كثر اختلاط السوريين بالكنديين بانضمامهم الى جمعياتهم السرية والعلنية ومخادنتهم افرادها الاعضاء وازدادت ايضا العلائق التجارية وثوقا باختلاطهم بالتجار الوطنيين ومعاشرتهم

وعلى الاجمال فالسوريون اخذون ماخذا حسنا في التجارة والاداب والامور الاجتماعية وكسب المال وفي امتلاك العقار واستثمار الارض وتعزيز موقفهم في بان الانتخابات المحلية العامة والتجنيس بالجنسية الكندية على رجاء ان يستنتجوا من هجرتهم هذه التي طال عهدها نتيجة حسنة تعود عليهم وعلى وطنهم بالنفع الحقيقي دينيا وماديا ان شاء الله . اه.

وفي مونتريال كاهن فاضل وعالم عامل ذو نفس كبيرة وغيرة شهيرة وهو قدس الخوري افثيميوس عفيش وهو من خيرة الكهنة السوريين الارثوذكسيين في اميركا كاهن متهذب متثقف له خبرة في العلم والسياسة قريب من كل القلوب حبيب لكل

من يعرفه وهو عامل نشيط انشأ في مدينة مونتريال اول كنيسة سورية ارثوذكسية تشهد له انه الحازم النشيط الذي لا تهوله المصاعب ولا توقفه المتاعب عن اتمام مساعيه الحسنة . وهو جميل الصوت لطيف المعشر يؤمل له مركز سام في العالم الاكليريكي



قدس الاب الفاضل الغيور الخوري انثيموس ععيش

يقوم بخدمها نفوس الارثوذكسيين اعضاء كنيسة القديس القديس نقولاوس السورية الكندية وهي اكبر واجمل كنيسة ارثوذكسية في المهجر قدس الاب الورع الخوري اغابيوس غلام خريج مدرسة البلمند اللاهوتية وحائز شهادة الموسيقى من



قدس الاب الفاضل الخوري اغابيوس غلام

مدرسة الموسيقى الكنسية البنزنطية في القسطنطينية وهو اول سوري نال مثل تلك الشهادة وهو يحسن عدة لغات اجنبية وذو اطلاع واسع وعلم وافر وصوت رخيم

وهنالك كريم فاضل ووجيه غيور ابي النفس كريم الخلال حميد السجايا ندي



الكريم الفاضل والتاجر المعتبر سليم افندي كساب

اليد وهو سليم افندي طنوس كساب التاجر المعروف وله اليد البيضاء في تشييد الكنيسة الجميلة المذكورة وهو متقد غيرة وطنية ومتفان في خدمة الانسانية وعمل البر والاحسان وسيبقى ذكره خالدا مادام في الوجود من يعرف للفضيلة قدرا ومازالت جدران تلك الكنيسة قائمة تنم بفضل المحسنين الكرام

وكل من اعضاء الجمعية الخيرية الارثوذكسية كريم وغيور وقد بذل بسخاء في سبيل تشييد الكنيسة ايضا ولهذا اثبتنا على صفحات هذا الكتاب رسم هيئة الجمعية الموقرة التي شادت بهمتها اجمل كنيسة سورية في المهجر وصورة الكنيسة ايضا التي شادها اعضاؤها بجدهم واجتهادهم لتبقى ناطقة بفضلهم وكرمهم وحسن تقواهم

ـجالية فرني ـ برتش كولمبيا ـ

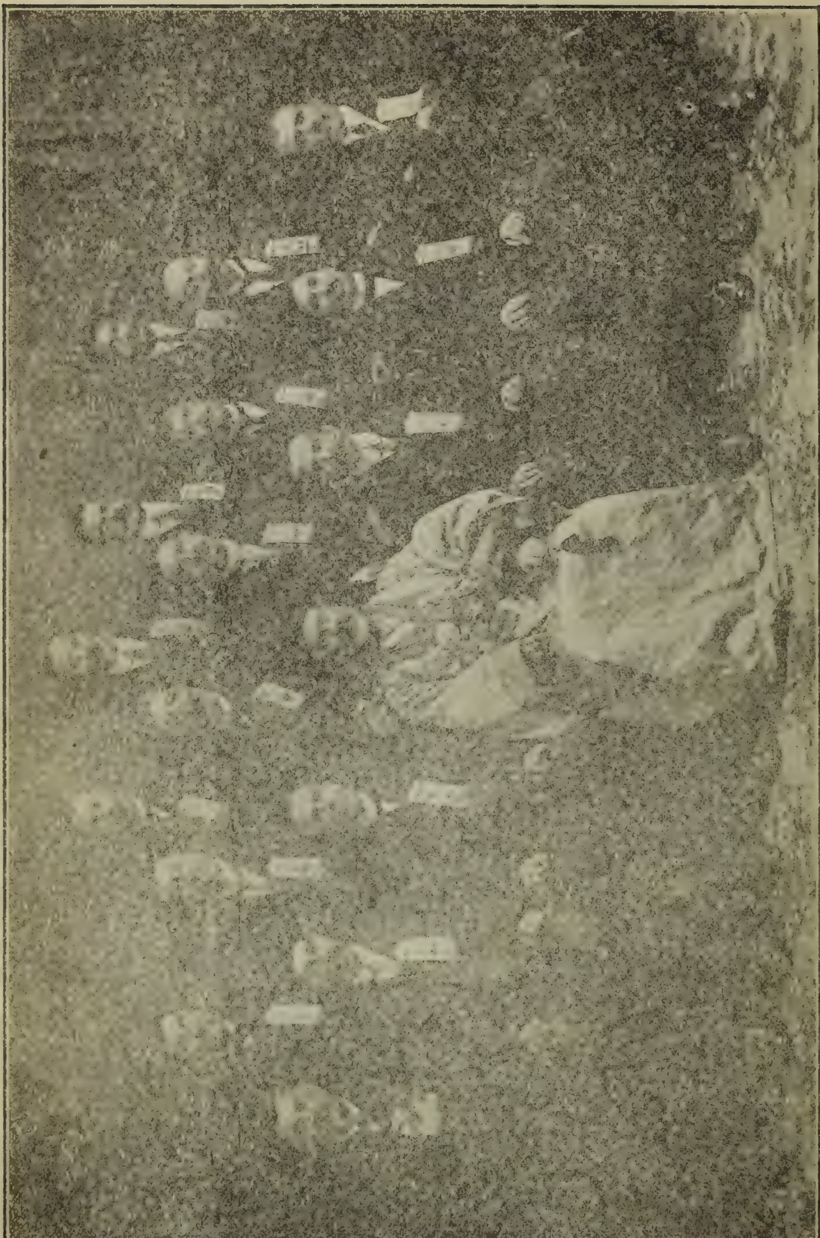
يناهز عدد السوريين في فرني الخمسين نسمة غالبهم يتجولون للبيع . وبينهم نفر يتعاطون التجارة الرسمية بالبضائع المتعارفة منهم الوطنيان الغيوران الافنديان ايوب وناصيف كفوري لهما تجارة واسعة واملاك ثمينة وهما متقدان غيرة ومملوءان شهامة وكرما . وكذلك خليل افندي سعد تاجر معتبر وغيور كريم . وفي بليمور البرتا تاجر مستقيم ووطني غيور وهو فارس افندي كفوري كما انه في فانكوفر برتش كولمبيا يوجد اخوة معروفون باستقامتهم وجدهم وحسن سمعتهم وهم الافندية غلاء اخوان ذوو الشهامة والحمية الوطنية . ويا حبذا لو تيسر لنا ذكر كل الجوالي السورية الكندية لكنا نثبتها بكل ارتياح

ـجالية كوبالت ـ اونتاريو ـ

في كوبالت جالية كريمة مشهورة بمناصرة الادب والادباء ومعاضدة المشاريع الخيرية والاعمال المفيدة . ومن كرام تلك الجالية وافاضل رجالها الياس افندي زغيب ذو الذوق اللطيف والغيرة المتقدة وهو تاجر معتبر وغيور كريم ومن الافاضل الغيورين

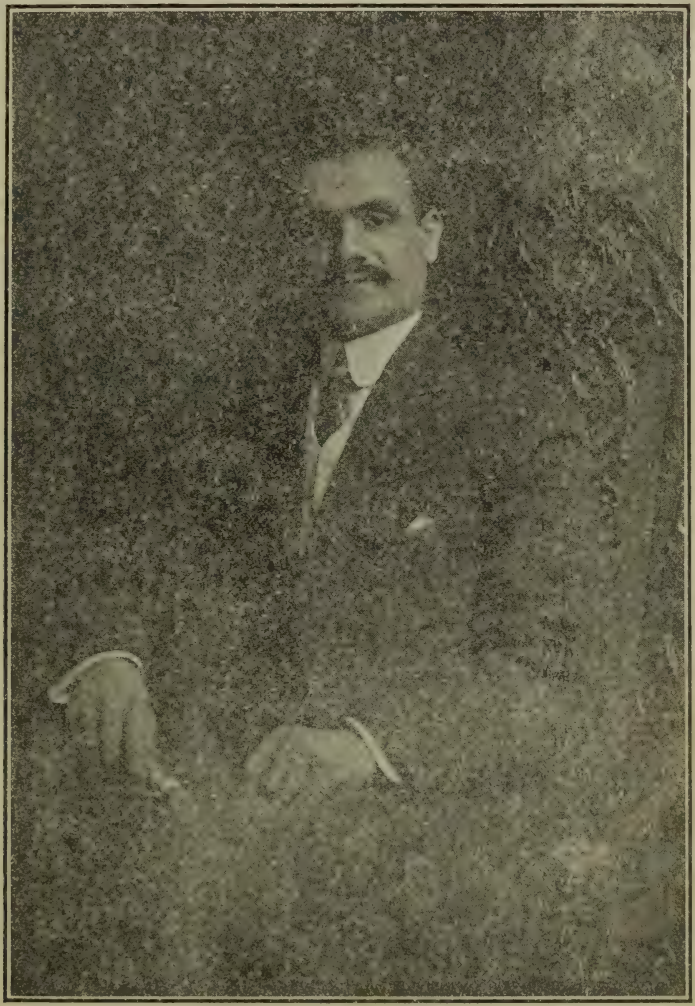


كنيسة القديس نقولاوس الارثوذكسية في مونتريال



رئيس واعضاء الجمعية الخيرية الارثوذكسية في مونتريال

هناك الافندية ابراهيم شمندي وعبده الحجة و كايد عيسى وذيب ابو كلام ومنصور الراسي. ولو كانت لكل الجوالي غيرة ونشاط جالية كوبالت لاضحت النزالات السورية في كل مكان عنوان الكمال وآية الفخر



الاديب الفاضل ملحم افندي الحاوي

بين ظهرانينا نخبة من اولاد «الذكا» ذوو الحذق النظري والفصاحة الغريزية الذين اقوالهم ومنظوماتهم تزري بعقود الجمان · وفي مقدمتهم الياس افندي الفران الذائع الصيت وموءلف كتاب سلوى الهموم وشكري افندي بدور

وهناك شاب متوقد ذكاء ومملوء حذقا وهو ملحم افندي الحاوي ذو الباع الطويل في فن النظم العامي وعما قليل سيرى كبار الشعراء بينهم شاعرا مطبوعا ينظم القريض بلا تكلف ولا تصنع ويبتكر من المعاني ما ترخص بجانبه الدرر الغوالي وقد طلبنا اليه ان ينظم لنا قصيدة من الشعر العامي موافقة لموضوع المهاجرة السورية فلبى طلبنا بكل ارتياح فحق علينا الثناء على ادبه ونشاطه وها نحن نثبت القصيدة كما جادت به قريحته السيالةوخطها يراعه العسجدي

سكان سوريا وجبل لبنانها   اهل التجارة من قديم ازمانها
ورثـوا الذكا والفهم جيلا بعد جيـل   من عهد نوح وسام وسليمانها
ورثو الذكا والفهم جيلا بعد جيل   من عهد نوح وسام وابرام الخليل
بالصنايع الهم الباع الطويل   والتجـارة بيـدهم ميزانـها
والتجارة بيـدهم دولابهـا   يتفننو فيها بجميع ابوابها
شقو ميـاه اليم خـاضـو عبـابهـا   ومن صدفهـا استخرجـو مرجانهـا
ومن صدفها استخرجو الدر الثمين   ودامو بهذا الحال اجيال وسنين
وكانت بلاد الشرق ارض الغانمين   سوق المعارف والحجى وعرفانها
سوق المعارف والحجى لاهل الحضر   ومطمح الانظار الى كل البشر
حتى المسيح من السماء ليها انحدر   وفيها انكتب انجلها وقرآنها

وفيها كتاب الله والوحي انكتب وفيها المثل . وبعدل حكامها ضوب
منها رجال الحلم والفضل العرب بالعدل سادوا وشيدوا بنيانها
وبالعدل والانصاف زادت ازدها والعلم والعرفان فيها قد زها
ودامت على أوج المعالي وعزها حتى حكمها نسل جنكيز خانها
حتى حكم اتوا لها بين العباد عم الشقا في كل اقطار البلاد
من جدهم عثمان لمحمد رشاد دولة مظالم قد علا طغيانها
دولة رجالها بالمظالم يسلكو ما همهم امر العباد لو يهلكو
فرقو بين الرعايا تملكو هذه قواعد حكم ابن عثمانها
هذه قواعد سطروها بالوراق ظلم وتعدي وافتراو كذب ونفاق
وبين الرعايا يزرعوا بذور الشقاق حيث الرعايا تفرقت اديانها
حيث الرعايا دوم شيطانهم يصيح اتباع احمد ضد اتباع المسيح
والمسيحي بينهم غير مستريح من دون سبب يعطوه لقب كفرانها
من دون سبب بالكفر يعطوه اللقب اشمل ولك خنزير امشي عاجنب
طورق اياكا فر ولا تبدي عتب بعدين شتم ديانته وايمانها
بعدين شتم ديانته عاكل حال وهو صابر على الذل لا يبدي مقال
عرضه ودمه وكل امواله حلال في ظل دولتنا المعظم شانها
في ظل ابن عثمان سلطان الملا عم الشقا بالشرق، واشتد البلا
ولما اتى الدستور فمنا للصلا وقلنا العدالة توطدت اركانها
قلنا شموس العدل صارت مشرقة والناس قالوا الشعب بالشرق ارتقى
مثل الحميد قام الدعا بالشهقا لعبد الحميد المنتصر خاقانها

بد الحميد سلطانهم قامو دعوا　　وقالوا النصارى بالمساواة تمتعوا
لاسلام في روح التساهل يدعوا　　وقامو المشايخ صافحو رهبانها
اموا المشايخ لقسوس مقبلين　　لكن مثل قبلات يوداس اللعين
يها الافاعي في ملامسها تلين　　عند التقاب سم بين اسنانها
عند انتقاب تنكشف اسرارها　　ونيــرانهم تحت الرمــاد شرارهــا
وبلادنا لما التعصب زارهــا　　عشش وباض . ونقس بحيطانها
عشش وباض في سهلها وفي تلها　　وكل المحاكم في البلاد احتلها
ن الصدارة للــدوائر كلهــا　　لاعيانهــا لاعضــا مبعوثــانهــا
لاعيانها وحكامهــا وكتــابهــا　　واهل الديانة الحاملين كتابها
مثــال عبيــدالله من نوابهــا　　ومبعوث عكا مـــن رسل شيطـــانهــا
بعوث عكا شقير مرسال النفاق　　يساعد زميلو على الفتن والانشقاق
كن عبيدالله بالتفريق فاق　　هل يرتضى بمثله عبيد رحمانها
ل يرتضي بمثل عبيد ياهل ترى　　استغفر الله العلي رب الورى

قصيد

بيد وزميله شقير منهم قد صدر　　خسه ودناءة مع نفاق وزعبرة
ير القلاقل والفتن مالهم ثمر　　يضــرب الاثنين مــلا مسطــرا
المدعي بالحق يعلو قد كفر　　في حكم تركيا الحقوق مبعثرا
مصور الافكار في تلك الصور　　فيه السفاهة مجسمة ومصــورا
المنسمى الباقر اشتق من البقر　　ما التعصب من يراعه قد جرى

وقام الرصافي مع رصيفو المحتقر ينظم قصايد عيب انهـا تنقرا
خاب الامل معروف ما كان منتظر ان المعارف بالمعالف تشترى
خنت العرب معروف ساعدت التتر حتى يزيدو الاعتدا والافترا
وقمتم طعنتم بالصليب اقدس اثر عند النصارى وما اختشيتم معيرا
مثل الكلاب بالليل تنج عالقمر والبدر في جو الفضائل قد سرى
بين الصليب وهلالكم فرق ظهر كالفرق مابين الثريا والثرى
تحت الصليب الحق والعدل انتشر تحت الهلال الظلم عاقدا قنطرا
شعب الصليب شعب التمدن والحضر شعب الهلال بالجهل يمشي للورا
عصر التمدن بالصليب تاه وافتخر حيث الصليب ازهر سلام واثمرا
واهــل الهــلال الشــر فيهم محتكر في عاصمتهم والمدائن والقرى،
والحق ولى واندفن تحت الحفر مثله العدالة تحت طي المقبرا

رجوع

والخزينــة فــارغــة ومسكرا (وعش خاليا) مكتوب على جدرانها
(وعش خاليا) مكتوب على الواحها وبلادنا مافي رجا باصلاحها
زادوا الضرايب وانظلم فلاحها وضاقت ابواب الرزق عاسكانها
وضاقت ابوابها والتجارة في كساد وبجسم دولتنا نخر سوس الفساد
والظلم فيها قد فشا والجور ساد وحكامها بالفعل هم زعرانها
وحكامها قد شــابهو سربــة حمير وجيوبنا معالف وكــان فيهــا شعير
بعنا اثاث بيوتنا حتى الحصير حيث الاراضي تساقطت اثمانها
حيث الاراضي تساقطت صارت بلاش خاب الامل في بلادنا والهم طاش

ولا عاد في النا رجا بكسب المعاش — وجيوبنا التهبت زعق دخانها
وجيوبنا الافلاس صار دلا لها — وقد ضيعت ارباحها ورسمالها
الناس بالمليون تحسب مالها — وبلادنا المتليك صار سلطانها
وبلادنا المتليك صار فيها امير — والنصف بشلك صار له قيمة كتير
وكل من معه برغوث صار تاجر كبير — برغوثها بيفلح مثل فدانها
برغوثها يفلح ويرمي بذارها — لكن الغله ما بتوفي اعشارها
ماعاد في غير شوكها ودردارها — وبلوطها وفاقوعها وزوانها
بلوظها وفاقوع وقت حصادها — هذا جناهم من ارض ميعادها
كانت كما الام الحنون لاولادها — جنة تدر الهم عسل ولبانها
جنة ولكن قد ضربها الانقلاب — صارت جحيم لاهلها ونار وعذاب
ومن جور حكاما لها امست خراب — ينعب عليها بومها وغربانها
ينعب عليها في جبلها وسهلها — ويندب معارف قد طمرها جهلها
والدهر قد خان وغدر في اهلها — كانوا مطارق اصبحوا سدانها
كانوا على الايام قبلا مطرقه — صارت بلاد العز فيها ضيقه

قصيد

ولفو بالحال شدو عالسفر — عافو بلادا خيم عليها الشقا
والعدل فيها ضاع ماعادلو اثر — ولحكمها اصلاح يرجى مابقا
والجور حول ا..ابا واقف غفر — وبالمظالم والفجور مطوقا
سمعو بارض الغرب شيء فيها درر — حث العدالة والبنا والارتقا
ودعو الخلان والدمع انحدر — وبقيت قلوبهم بالوطن متعلقا

فارقوه بقصدتيانالو الوطر ويرجعو مثل الحمامة المطقا
عابنظ بيروت قد ذاقو العبر دونياك ارزل خلق ربك تتقى
زمرة من الزعران اجلاف ونور بتشوف سفاك ولئيم واحمقا
وبالسلب والنهب امرهم مشتهر ومعهم حكومتنا السنية مطابقا
وسماسرة مرسيليا اردا البشر عايشين بالزعبرة والهيبقا
يخطفو للكحل من جوا البصر سربة حرامية وزمرة زندقا
حيث الدناءة راضعينها عن صغر والحرام تشربوه بالمعلقة
امرهم عرفناه بالمفيد المختصر رسمالهم مكر ودها ومنافقة

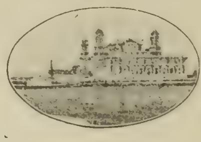
رجوع

كلهم خرجهم حبال المشنقا من فلانها لفلانها لفلانها
من فلانها لفلان ما عندهم خجل تاريخهم اسود ولم عاد ينغسل

قصيد

من بعد ما السوري قطع جملة بحور الحمدلله للجزيرة قد وصل
هذا الحج وكل من هاجر يزور ركاب من كل المذاهب والملل
يدخلوهم للقفص مثل الطيور وسكرو الحراس والباب انقفل
والحكيم بالدور يومية يدور يفحص الركاب ويداوي العلل
خصوصا العينين كان فيها بزور وكل من بعينيه الحرارة ما دخل
وقتها من الركاب تنحل الظهور وترتخي الاعصاب يحكمها شلل
بيقو كانهم ساكنين تحت القبور ومن كان ناصح بينهم جسمه هزل
بيدو يصلوا المسبحة بدق الصدور وكل من يفحص ضميره شو عمل

اداره المهاجرة



ولسان حال بعضهم يقول

والنومة بالجزيرة مابطول عمري ناسيها
ما بعرف ليش تدقيري عيوني حرارة ما فيها
ما بعرف ليش تدقيري انا ورفاقي جملة
ما غلطت بتقريري وجاي مبجبح بالعملة
يا اري شوها لسيري ليش تخربط لي رملي
وشو السبب في تعتيري اي خطيه خاطيها
هذا يقول ما بظن في النا مرور في ثقب ابرة كيف بيمر الجمل
وهذا يقدم مسئلة وهذا يثور وهذا يقول يا قوم ما بدها زعل
ولى ظلام الليل قد اشرق النور لا تخافو جاصموئيل البطل
هذا الابي النفس والحر الغيور في همته الشما معقود الامل
حاز التواضع والدعة حازم صبور اكرم رجال الجالفينا والعمل
وبحسن رايه تسهلت كل الامور وطلعت الركاب كلها بالعجل

رجوع

تشكر لمن باللطف قد اصبح مثل وبين الافاضل للمحاضر زانها
بين الافاضل قول برباري وكفى صار اسم صاموئيل اشهر من قفا
بحر المكارم والمروة والوفا ورب الشهامة وتاجها وعنوانها

وورب الشهامة وتاجها فاضل كريم   بلطف و كرم اخلاق مع قلب سليم
بحكمة وذ كا شابه سليمان الحليم   حيث كل امة قد نطق بلسانها
حيث كل امه حاز فيها منزلي   ايات فهم من السما عليه منزلي

قصيد

نرجع الى الركاب في بحر المقال   من بعد ما ذاقو مرار الحنظلي
وقاسوا المتاعب والمصاعب والاهوال   مع كل انواع الشقـا والبهـدلي
في بلاد الغرب قد حطوا الرحال   وردو يغنو هويدلك ياهويدلي
في الابتدا كان قصدهم تحصيل مال   ورجوع للاوطان والجيب ممتلي
لكن املهم بالرجوع بعدين زال   واحبو البلاد وعيشهم فيها حلي
وذاقوا الراحة والهنا وكسب الريال   وقدامهم درب المعالي مسهلي
امتدت تجارتهم جنوبا مع شمال   لاقصى الشرق والغرب صارت واصلي
ورجوعهم لبلادنا اصبح محال   مـادام ظلـم الترك فيهـا معتلي
شافو بلاد الغرب كلها اعتدال   والبلاد فيهم غدت متـاهلي
قلدوا السكان في كل الخصـال   وكل موضه وكل حاجة ومسئلي
تركوا الطربوش مع لبس العقال   واستبدلوا الدبكي برقص الحنجلي
تركو الشروال واذيال الطـوال   ولبسو الفرنجي مثل قرس المحدلي
اما وصف ازيا ربات الجمال   بده مجلد الف صفحة مطولي
زادو تفننهم وفازو بالمجال   وخاو الاسامي مغيرة ومبدلي
اسما تقلا وفاطمه صارو ثقال   صارو يسمو هنريتـا او للي
ومن بعدهم مشيو على الموضه الرجال   وبطلو احمـد وطنـوس وعلي

صاروا ادي شارلي فرنك ومكسوال   وجنصن وجاكسون وجايمس وكلي
حتى الداعي ما اختشى قيلا وقال   استبدل اسم ملحم بوليم او (دلي)
البعض قالو هالاسم ياحج عال   والبعض عدوها بلاده نعجة
لكن بارض الغرب فضينا البال   مابقا يهمنا قال وقلي
فيها الحضارة شمسها مالها زوال   وفيها الحرية مقامها قد علي
وفيها التمدن قد بلغ حد الكمال   حتى قطعنا فيه اعظم مرحلي

رجوع

وبتنا نوءدي الشكر لله العلي   زالوا النوائب واستراح تعبانها
زالوا النوايب عيشنا حلو يطيب   وبالرجوع للشرق ماعاد في تصيب
هيهات نحو بلادنا يعود الغريب   هيهات عادو يلتقوا خلانها
هيهات عادوا يلتقوا اهل الوفا   هيهات سوريا ترى ساعة صفا
هيهات بعد جراحها تنال الشفا   ما في امل ما في رجا ضيعانها
مافي امل ما في رجا مافي كلام   من بعيد الدار اهدوها السلام
ومني تحية معطره بمسك الختام   لربوع سوريا وجبل لبنانها



— (الخاتمة) —

هذه خدمة وطنية قدمناها لبني الوطن الكرام راجين ان تحوز لديهم قبولا وان يغضوا الطرف عن ما وقع من السهو والغلط

ولا يتبادر لذهن قاري تاريخ المهاجرة السورية اننا بذكرنا معاملة المسلمين السيئة للمسيحيين نتعرض لمس كرامة الدين الاسلامي بوجه ما — حاشا — بل ان تلك حقائق تاريخية اوردناها لاجل بيان سبب مهم لغرس فكر المهاجرة في عقول المسيحيين فالدين الاسلامي يجل عن ان يامر بمثل تلك المظالم والمغارم بل بالعكس انه يأمر بالحسنى وعمل المعروف مع المسيحيين وغيرهم وانما جهل البعض ومآرب غيرهم البست تلك الامور صبغة دينية فاجروا ما اجروا باسم الدين والدين براء منهم ومن فعلهم

ولا ننكر انه يوجد بين المسلمين رهط من الكرام الذين لا تعميهم المآرب الذاتية عن النظر الى الحقيقة وهم ذوو فضل ونبل وقد احسنوا ويحسنون معاملة جيرانهم المسيحين ويعلمون انه «لو شاء ربك لخلق الجميع امة واحدة» فلا يضعون انفسهم في مقام الديان ويقضون على من خالف معتقدهم بالحرمان والاضطهاد والتعذيب

ونصيحتنا لمن يريد المهاجرة من اخوتنا السوريين الى الولايات المتحدة ان يتحرى قول الحق في قراره في ادارة المهاجرة ولا يفوه الا بالصدق لانه اذا تكلم صدقا ووجد ما يمنع دخوله البلاد فقد يتسنى له الدخول بطريقة ما او بازالة المانع واما اذا تكلم كذبا «وحبل الكذب قصير» فغالبا يحكم عليه بالرجوع ولا توجد واسطة لادخاله البلاد فليحذر الكذب كل مهاجر الى الولايات المتحدة وليراع النظافة والترتيب في لبسه اذ ان ذلك من خير المساعدات على دخوله بخلاف ذي الثياب القذرة والملابس الرثة

وكل من يريد ابدا ملاحظة او اعتراض على ما في هذا الكتاب فيتكرم بارسالها الى المؤلف في برو كان فهو يقبلها بالشكر وربما اعيد طبع هذا الكتاب فيصلح ما يراه

صواباوينوه بفضل المنتقد او مقدم الملاحظة

وكان الفراغ من تبييض هذا الكتاب في اليوم الخامس والثامن عشر من شهر تشرين الثاني سنة الالف وتسعماية وثلاث عشرة مسيحية في بروكلن نيويورك بيد

الخوري

باسيليوس خرباوي



الخوري باسيليوس خرباوي

اسماء الاكارم

المشتركين في هذا الكتاب وعدد النسخ المشتركين فيها مع حفظ الالقاب

نيويورك العظمى

تامر كنعان معلوف ١٠ نعمة تادرس ١٠ نقولا ابو سمرا ١٠ حنا قطيط ٥ فياض جباره واخوانه ٥ جورج مخول ٥ حاماتي وزريق ٥ قسطنطين بسكنتي ٢ الانسة نظلة خليل فاري ٢ سعيد عبده ٢ متري عبد الحق اسالم الحجار ١ ابراهيم قساطلي ١ حنا النحاس ١ كامل ختن ١ خليل فريجي ١ نجيب عازار ١ نمر سلامه ١ خليل شغري ١ يعقوب الشقطي ١ خليل سيده ١ حاتم النحاس ١ الشيخ نعمه ساروفيم ١ اليان قطيني ١ اسعد حاتم ١ امين صهيون الخوري ١ اسكندر الحاوي ١ ملحم الحاوي ١ نعمه المنير ١ سليم برصون ١ نقولا خرشوم ١ اسكندر ضعب ١ سعد ابو مراد ١ الياس الطويل ١ نقاش اخوان ١ سليمان مرهج ١ وديع مجدلاني ١ مراد مرهج ١ امين مرهج ١ حنا الشحفه ١ ميخائيل مرهج ١ ديب زريق ١ يوسف حلبي ١ حبيب الفرزلي ١ نجيب بجاني ١ منذر الكعدي ١ خليل عطيه ١ الانسة وديعة شريقية ١ قسطه كاحلي ١ بشاره الروادي ١ نجيب يازجي ١ ميخائيل تقلا ١ نقولا الخوري بركه ١ مرثا خيرالله ١ امين ابو مراد ١ نعمه حمصي ١ طوبيا الخوري ١ ميخايل الخوري ١ نعمان الدباس ١ انطون الكعدي ١ عبدالله سعدى واخوانه ١ ميشال حنا سيقلي عبدالله ويردي ١ اسكندر زحكا ١ خليل شاهين الصباغ ١ عبدالله تليسه ١ نجيب كسباني ٢

واشنطن العاصمة

الياس يوسف ١ (وبواسطته) انطونيوس ابراهيم شاهين ١ طنوس يوسف ١ سابا نقولا

خياط ١ ميخائيل طنوس مشعل ١ بولس طنوس مشعل ١ جمعية ثمرة الاداب ١ ١ فواد جاويش ١ جرجس العنداري ١ الخوري ايوب سلوم ١ (وبواسطته) جرجس الحلو ١ الياس نقولا الصوري ١ جورج كجك ١ جورج زرعوني ١

الياس نقولا الصوري جورج كجك ١ جورج زرعوني ١

ستارلن نيوجرزي • حبيب سكنتاوي ١

لاتروب — بنسلفانيا

(بواسطة داود حنا داود) ميخائيل طعمه عيسى ١

دنبري — كنكتكيت • حنا قسيس ١ يوسف بشير ١ شكري جرجس مسعود ١ ندره نادر ١ نعمان الياس معوض ١ ميلاد الياس بشاره ١ شاول الياس الاسمر ١ توفيق ايوب الاسمر ١

نيوارك نيوجرزي • نعمة الله حقر ١

هرين النيوز • سليم ابوعليه ١

فورت فيلد ماين • صالح جرجس الخوري ١

بوسطن ماس • متري الخوري ١

نيولندن وسكنسن • سلوم يزبك يمراد ١ كريم جهجى ١٥

ماريديان — مسسبي

جرجس الحداد (وبواسطته) جرجس ضومط صدقه ١ حنا ضومط صدقا ١ الياس ابراهيم فتوح ١

نيواورلينس لوزيانا • خليل ميخائيل ابي حيدر ٢

ارون بنسلفانيا • الياس ميخايل عبيد ١

كولمبيا سوث كارولينا

جرجي اندراوس الصباغه ١ الياس المجدلاني ١ اسكندر ايوب غصن ١ (وبواسطته) شحاده نعمه البرغوث ١ بشاره يوسف النسناس ١ سليم صهيون ١ جرجي اسكندر الشماس ١ ٠

لول ماس

ميخائيل قزما عنصره ١ (وبواسطته)جرجس يوسف الحصان ١ طعمه كواش ١ جرجس نعمه ١ نقولا عياش ١ بطرس الخوري ١ مرقص عنصره ١

شارلستون وست فرجينيا —

سلوم عبدالله السكاف ١ موسى سليمان نعمه ١ اندراوس رضوان بشاره ١ شاهين الحصان ١ ابراهيم القسيس ١

كليرتون بنسلفانيا

يعقوب شاهين واولاده ١ ابراهيم الياس مينا ١

كلوفرسفل — نيويورك

هيكل عبدالله ١ (وبواسطته) حنا الملوحي مرتينوس عبدالله ١ موسى طنوس ١

جنات — بنسلفانيا

الياس ابراهيم اللويسه ١ (وبواسطته) ابراهيم الحبل ١ مطانيوس الياس ١

فيلادلفيا — بنسلفانيا

(بواسطة الخوري ايوب سلوم) حليم جرجس صادق ١ بولس مخول واخوه ١ جورج غصن ١ (وبواسطته) الياس يوسف ١ الياس عساف ١ سليم انطونيوس لطوف ١ بشاره جرجس قسطنطين ١

بلسفيلد مشغن — جرجس خرباوي ٣

اولين — نيويورك

الياس عيد البعقليني ١ (وبواسطته)داود حريز ١ خليل فارس الحوزي ١ راجي بدر القاصوف ١ نجيب ناصيف الجرماني ١ وديع منصور رزق الله ١ الياس عبده رشدان الياس ديب صوايا ١ راشد عبيان ابي راشد ١

كمبرج • اوهايو • ابراهيم اندراوس ١

مكوم — مسسبي

يوسف حنا خاف ١ (وبواسطته) نجيب سليمان واخوه ١ فارس ملحم ابي حيدر ١ ضاهر سليمان ١ فرج خليل ١ضاهر شاهين ابي حيدر واخوه ١

رسلن • واشنطن • برصا ووا كيم ١

كانتن — اوهايو • سليم عبده ١

بفلو • نيويورك• ديب غطاس ١

يونيونتون — بنسلفانيا

طنوس سالم روفائيل ١ «وبواسطته » فارس ريشا الخوري ١ خليل نخله ١ حنا نجم فارس ١

ففلورسفل — تكساس • اسعد انسطاس الديك ١

— كانتن — اوهايو • —

سليم ناصيف شاهين واخوانه ١ (وبواسطتهم) ضاهر جرجي شاهين ١ الياس الديراني ١ ميخائيل عبدالله المعلولي ١

—غرينزبرغ — بنسلفانيا

يوسف منصور الساحلي وولده ١ (وبواسطتهما) جرجس خليل النبع ١ حبيب ايوب ١

—سنسناتي — اوهايو —

بيروتي اخوان ١ «بواسطة خليل شغري» عجلوني ١ دغمان وزعرور ١

ــولستن ــنورث داكوتا ــ

يوسف موسى ابو سليمان ١ (وبواسطته) طانيوس جرمانوس ١ ابراهيم المخول ١
داود مساعد ١ خليل السيقلي ١ نجيب حافظ ١ عساف نكد ١ ابراهيم القسيس ١

ــووترتون ٠ نيويورك ٠ صوان وعتقي ١ــ

وندبر ــ بنسلفانيا

حبيب ميخائيل حبيب ١ (وبواسطته)سويد سليمان ١ نعمان الياس سركيس ١
حنا الياس سركيس ١ جرجس ميخائيل حبيب ١ يعقوب ميخائيل الخوري ١

لوس انجلوس ــ كاليفورنيا نقولا جبران بيضا ١٠

اوزراك ــ الاباما

بركات نعمان صليبا ٣ ميخائيل طنوس صليبا ٣

نيو كاسل ــ بنسلفانيا

اسبر سليمان المقدسي ١ (وبواسطته) مرعي حنا ديب ١ حبيب حنا ١ موسى
ابراهيم سليمان ١ خليل اسبر ندور ١ محمود حميد ١ علي عبد ١

مينابوليس ــ مينا سوتا

الدكتور طنوس داود ١ (وبواسطته) سليمان داود ١ نقولا سيخاني وباسيل ١
جرجس الطباع ١ نجيب جرجي بشاره ١ فارس وفرنسيس قزاح ١(بواسطة جبور
سلوم) الخوري بولس رزق ١ حنا سابا ١ فرنسيس ابراهيم ١

كلمت بنسلفانيا ٠ عبدالله وحبيب الشماس ٢

اشتبيولا ــ اوهايو ــ نخول نقولا نصر ١ (بواسطة خليل شغري)

جنيفا ــ نيويورك

الخوري دانيال طنوس جرجس ٥(وبواسطته)دانيال ميخائيل القسيس ٢جرجس حنا١ ابراهيم البيطار ١ صليبا البارودي ١ الياس الحصني ١ ميخائيل حنا البارودي ١ جرجس مخول ١ جرجس موسى الحداد ١ حنا وسوف ١ سليمان جرجس الحصني ١ سليمان الياس البارودي ١

مشواكي — انديانا

يونس الجوجو.١ (وبواسطته) ايوب نقولا ١ جرجس مطانيس عجافه ١

برجبورت — كنكتكيت • حبيب مدني ١

تالاهاسي — فلوردا • يوسف ديمتري ١

بونتريل نورث داكوتا • فارس حبيب عبود ١

كارني نبراسكا • الخوري نقولا يني ٢

سانورا — اريزونا • خليل رايا ١

مناشستر — نيوهمشير — مسعود نقولا فرحات ١

مونت كلمنس — مشغن • الياس الروادي ١

منشستر — كنتكي — اسكندر الياس الروادي ١

ولمنتك — كنكتكيت •

اسعد الياس الحداد ١ جرجس داود ثلج ١ يوسف الحداد ١

جزيرة كوبا — بطرس بشاره جبور ١

روتشستر — نيويورك

نايف الاسعد ١ (وبواسطته) جرجس الخليل ١ تامر ١ دياب الموسى ١ سليمان العبدالله ١ليون السلوم ١ فارس ابراهيم ١ سليم اليان ١ شاهين بطرس ١ جرجس بركات ١ جرجس الخوري ١ ميخائيل الاسعد ١ مسعد جرجس ١ خليل جرجس ١

دعيبس جرجس ١

مونت بلزنت بنسلفانيا

الياس سلوم عبود ١ الياس جرجس ١ حنا ناصيف سعود ١ ابراهيم وجبرائيل عبود وشركاهم ١

ترنتون نيوجرزي — داود الياس ١

مشغن ستي — انديانا

الخوري انطونيوس بو علام فرح ٦ مسعود استفان الخوري ١ (وبواسطته) شكري امين الحلو ١ الياس الحداد ١ ميخائيل ابي فرح ١ شكري امين ١

مونشستر — نيوهمشير

شعيا عبود شعيا ١ اسكندر سمعان ١

بتسبرغ بنسلفانيا

الخوري جرجس ميخائيل النكت ١ (وبواسطته) يوسف وانطونيوس وكاسر شهاب ١ لشركة الشرقية ١ شهاب زخور شهاب واخوه ١ اسحق الورد ١ توفيق خوري ١

فكسبرغ — مسسبي

ميخائيل وجبور الحائك ١ (وبواسطتهما) اسعد ميخائيل منصور ١ مالك يوسف غصن ١ يوسف بولس ١ الخوري مكاريوس الصيفي ١

بلومنتن — النيوز

الياس حنا الطيار ١ (وبواسطته) محمد عبدالحسين ١ حسيب سعد الطيار ١

ولكسبري — بنسلفانيا

الخوري يوسف ايليا ١ (وبواسطته) سليمان ابراهيم رزق ١ مرشو ابراهيم ١

جرجس نعمه ١ سامي سمعان ١ خليل حبيب يعقوب ١ حنا ابراهيم يوسف الخوري ١ ١ نقولا عبدالله نصر ١ يوسف بروك ١ ميخائل حنا الوز ١ موسى بروك ١ سليم يوسف الجردي ١ اسعد اسحق ١ الياس حنا العشي ١ مخول الياس بروك ١ اليان ابراهيم طنوس ليون ١ نايف مخول بطرس ١ متري سلوم مقدسي ١ جرجس يعقوب البارودي ١ اسبر طنوس مرشه ١ سليم الياس الضليبي ١ حبيب نعمان الصليبي ١ سابا طنوس سابا ١ يوسف البارودي ١ حنا جرجي معماري ١٠جرجس سمعان ايوب ١حنا قاظان ١ جرجس عيد ١ الياس رياشي ١ الياس حنا يزبك ١ بديع حنا يزبك١ سمعان طنوس سمعان ١

البني — نيويورك

صموئيل سمعان ١ (وبواسطته) امين تامر الاسود ١ الياس موسى البيطار ١

سر كيوس —نيويورك

نجم ابو رجيلي ١ (وبواسطته) خليل شما ١ ايليا خمار ١ ميخائيل فرح ١ ملحم عبدالله ابي حيدر ١ الياس ويونان الدبياني ١ فوزي سيقلي ١ نايف اسكندر خوري ١

اثكا — نيويورك · حنا عبود ١

فول رفر · ماس ·

نسيب وهبه ١ (وبواسطته) نقولا الحداد ونعيم جبور ١ فارس مسعود١ اسكندر الياس ١ جمعية جبل لبنان السورية ١ امين الفتى ١ سليم المغربي ١ يوسف جبرائيل١

سبرن فالي — النيوز

نعمه فواز ١ (وبواسطته) فرحات الحداد ١ اسكندر معيقل كرموماريني ١ سليم غريب ١ ميخائيل حبيب ١ شاكر الخوري ١ نقولا المعلولي ١ نقولا ونمر خليل١ نقولا جرجس ابي عسله ١ فضل الله فواز

بورت ارثر تكساس • يعقوب وقسطنطين سابا ١

تروكر • بنسلفانيا •جرجس حنا ١

رفنا ـــ اوهايو • الدكتور جرجي فارس ١ جبران فارس ١

فالدوستا ـــ جيورجيا

يوسف ميخائيل البادري ١ (وبواسطته) حبيب اسعد الشويري ١ الياس موسى ١

يوسف ايوب القاصوف ١ حنا نصور شلهوب ١ جرجس عبود ١ طانيوس ١

كونماغ ـــ بنسلفانيا • ميخائيل حنا البيروتي ١

لوغن وست فرجينيا ـــ سليمان الغز ١

بورتلاند ـــ اورغن • عطيه اخوان ٥

جاكسنفل ـــ فلوردا

يوسف خليل داود ١ (وبواسطته) المنتدى السوري الاميركي ١ مبدا راشد ١

وبواسطته) كمال زهرة ١ نجيب فارس ١ داود صافي ١ جورج استفان عبود ١

زيز نصرالله ١ عبده داود ١

دترويت ـــ مشغن • (بواسطة خليل شغري) يعقوب زايد ١

انديانا بوليس ـــ انديانا ـــ

حبيب خوري كركر ١ (بواسطة خليل شغري) سليم فرح ١

توليدو اوهايو • نمر جنيد الغز ١ • جورج مرجي ١ ميخائيل نادر ١

ليك شارلس ـــ لوزيانا • جرجس شهدا ١

نيور وشال ـــ نيويورك ايوب طراد ٣

صمت ـــ نيوجرزي ـــ الياس الضيفي

وست هويكن نيوجرزي • اليان مواقديه ١

كرون بوينت — نيويورك «بواسطة الخوري دانيال طنوس »باردوي اخوان ٢
وبواسطته عبود اخوان في اثكا نيويورك ١ والياس يوسف في المبرا نيويورك ١
فلورسفل —نكساس • اسعد انسطاس ١
سانت لويس — كلورادو • انطونيوس زغيب ١
لورنس —ماس• جرجي المر ١ يوسف عقل ١

مونتريال كندا

الخوري اغابيوس غلام ١ (وبواسطته » سليم صالحاني ١ فارس سعد بوشديد ١
زغيب وصيفي ١خليل ابراهيم البسيط ١ سليم كساب ٥ «وبواسطته » ابوسمرا
الخوري ٥ اسكندر ابو شميس ١ يوسف الطباع ١ ميخائيل صالحاني ١ جاد الله زغيب
٣ سليم الشامي ١ جرجي جرجور ١

كوبا بالت اونتاريو كندا

الياس زغيب١ «وبواسطته » ابراهيم الشمندي ١ عبده الحاجة ١ كايد ابراهيم
عيسى ١ ذيب ابو كُلام ١ منصور الراسي ١

فارني برتش كولمبيا كندا

ايوب كفوري ١ «وبواسطته » خليل سعد ١ عقل خليل الحداد ١

هوسمر برتش كولمبيا كندا

ميخائيل ابو عسله ١ «وبواسطته » مطانيوس دخيل ١ عبدالله خليل قزي ١
الياس رحال ١ توفيق جبران ١

كندا

عزيز ستاخوه ١ «وبواسطته » سعيد يعقوب صليبا ١ يعقوب انطو ١ ب •جاقي ١
فلورسفل —تكساس • اسعد انسطاس الديك ١

فهرس

فهرس الرسوم

أصلاح غلط

على رغم الاعتناء الشديد بعدم وقوع اغلاط مطبعية في هذا الكتاب قد وقعت فيـه اغلاط لاتخفى على القاريء اللبيب من مثل وقوع تاء بدلا من ثاء او فاء بدلا من قاف او نون بدلا من تاء وبالعكس والسبب الاهم في ذلك تنضيد حروفه على المنضدة السابق ذكرها وهي تختلف عن التنضيد اليدوي فاذا وقعت غلطة ولو بحرف واحد اقتضى اتلاف السطر برمته ٠وقدلا ينجو كتاب من هفوات مطبعية على رغم مبالغة صاحبه بالاعتناء والحرص ٠ ففي اسفل صفحة ٢٥ قد اهمل سطر برمته وهو ٠ بالطبيعة وغرائبها وجنح الى مهنتة الملاحة وشرع٠ وصفحة ١٦١ يجب اهمال السطر الاول منها وصفحة ٢٥٣ يجب وضع السطر ١١ بعد السطر ٨

غلط	صواب	صفحة	سطر
بالذهاب	للذهاب	٢٩	٨
قسمين	قسمي	٣٧	١٠
الخاص	الخامس	٤٦	٧
يتحاربون	يتحاربون مع	٤٨	٣
متفتشا	مفتشا	٥٤	١٠
سفينة	سفينته	٥٥	١٠
ابنه	ابنة	٥٥	٢٠
الجديد	الجديدة	٥٦	٥
يجروا	يجحوا	٥٨	١٠
اكتشفا	اكتشفها	٦٨	١٥
الانكليزي	انكليز	٦٨	١٥
[illegible]	بلاد	٧٨	١٧
الدين	الذين	٨٧	٣
تعيين الحصول	تحصين الحصون	٩٠	٤
واحد	واحدا	٩٢	٦
ماتوكا	يوكاهاتس	٩٣	٢٠
حق	حق زرع	١٠١	٦
نازلت بان	نازلة لان	١٠٣	١٨

غلط	صواب	صفحة	سطر
ذيل	يين	١٠٤	١٩
كأن	فان	١٠٦	١٤
نملوه	نالوه	١٠٨	٣
وتقدم	والتقدم	١١١	٢٠
فاذداد	فازداد	١١٩	١١
ذكلية	اي كلية	١٢٧	١٠
تمس	شمس	١٣٢	١٦
وتلك	ونك	١٣٥	١
وكاوا	وكانوا	١٣٨	٣
تشرد ـ باقوا	متشرد ـ باتوا	١٣٩	٣
وحذر	وحظر	١٤٥	٨
الى	اليه	١٤٨	١
الذين	والذين	١٥١	١٦
فرفضوا	فرضوا	١٥٨	١٤
بوثام	بوئام	١٧١	٢
المدينة	المدنية	١٧٥	٥
لارتاحهم	لارتياحهم	١٧٦	١٦
مصحوب	مصحوبا	١٧٩	٨

فدخها	فدخلها	٢٥٩	٥
١٥٠	١٥٠ طنا	٢٦٤	٢٠
المورثة	الموروثة	٢٦٧	١٢
مليكة	ملكية	٢٦٧	٢٠
القوة	القوم	٢٦٨	٦
يمنع	يمنح	٢٧١	١٣
شايات	شايا	٢٧٥	٩
والحيوائيت	والحوانيت	٢٧٦	٩
العبور	للعبور	٢٧٨	١٠
الانكليز	الانكليزي	٢٧٨	١٣
غلط	صواب	صفحة	سطر
دخلت	ودخلت	٢٠٤	٢٠
مستعمرة	ومستعمرة في	٢٠٨	٢١
ذلك	—	٢٢٤	٦
بدة	بلـدة	٢٤٠	٦
ساعين	ساعتين	٢٤٨	١٥
فمحتلوا	فاحتلوا	٢٤٩	٢٠
علـوا	علو	٢٥٣	٧
ثمنة	ثمنه	٢٥٣	١٨
قتل	قتيـل	٢٥٨	٩

غلط	صواب	صفحة	سطر
البسرى	اسرى	—	—
العين	لعين	٢٧٩	١١
النزل	النزال	٢٨٠	١٦
ولكنه	ولكنه انتقم	٢٨٣	١٥
قرقته	فرقته	٢٨٤	١٦
موكل	موكلا	٢٨٩	١٨
بن	بمن	٣١٨	٢١
صنوفهم	صفوفهم	٣٣٢	٧
متعدة	متعددة	٣٥٤	٧
باللائحة	باللائمة	٣٥٥	٥
يعديهم	تعديهم	٣٦٢	١٧
الاثهالي	الاتهامي	٣٦٥	١٢
اخذ	اخذا	٣٧٠	١١
بل	بل لم	٥٧٥	١٠
متوالين	متواليين	٥٧٦	٨
مجال	مجالي	٥٧٦	٢١
المعموره	المعمور	٥٩٧	١٤
الكرى	الكبرى	٦٤٣	١١
البحرية	البحرية من	٦٤٤	١٠

غلط	صواب	صفحة	سطر
الفخم	المفخم نظام	٧٥٢	١٠
امر	ام	٧٦٢	١
التبشرية	التبشيرية	٧٦٢	٤
ذوي	ذوات	٨١٧	١٥

غلط	صواب	صفحة	سطر
وديدة	جديدة	٦٤٥	٢١
دولات	دولارات	٦٤٨	٨
برية	بريد	٦٥٠	٥
خطوا	خطوط	٧٣٧	٢١
كثيين	كثيرين	٧٤٦	٧

بقيت هنالك اغلاط طفيفة اهملنا امر اصلاحها لانها لاتخفى على فطنة القارىء

ملحق

قد عرفت ايها القارى الكريم تاريخ المهاجرة السورية الى الولايات المتحدة ولكن هل عرفت المحل التجاري الذي جعل السوريين المهاجرين كانهم في سوريا او بالحري المحل الذي شفى امراضهم بزيته النقي الفاخر والذي فرح قلوبهم بعرقه المثلث المتخرج في سوريا من العنب فقط بواسطة معمل خصوصي والذي زاد انشراح صدورهم بتنبكه الذي يعطر الهواء برائحته الزكية واكثر من ذلك الذي اوجد لهم كل ما تطلبه شفاههم وتشتهيه نفوسهم من الماكل السورية كالعدس والبرغل الشامي والسمن التركماني والدبس والحمص والنول وبالاختصار جميع انواع السمانة السورية من سوائل وحبوب ومقددات ومكابيس بوجه التعميم وكل ذلك مع انه من اجود وانظف مايوجد تراه باسعار رخيصة وهل عرفت من خدم ويخدم المواطنين الكرام في المهاجرة خدمة صادقة ومن يعاملهم بامانة ويلبي طلبهم ٠ اذ الكرام



الوطني الغيور والاديب الفاضل اسكندر افندي الحاوي صاحب معمل المطرزات الكبير

مرهج اخوان وشحفه

عطهم مصدر خرج الكاوني وراشن وفيله وفينيس وايرش شغل الابرة وخرج الروشه مع طقومه • ومديرا • فلورنتين اما الخرج المالطي فهم اول من ادخله الى الولايات المتحدة وهو عندهم بكميات كبيرة • امـا عن حسن المعاملة وتلبية الطلب والسهر على منفعة العميل فلا يدلك عليها شيء مثل التجربة

وفضلا عن ذلك لهم مصنع كبير لصنع الكمونا على اختلاف انواعهـا وعندهم تفصيلات ممتازة بالاتقـان ومشهورة بالرواج جرب طلبية واحدة من هذا المحل تغدوَّ عميلا دائما وهذا العنوان

MERHIGE BROS, & SHOHFI

46 WEST STREET NEW YORK





تدخن او لا تدخن

هذا هو السوءال الذي يسأله كل واحد عندما يدور بين الحضور حديث التدخين

وجوابنا عليه هو هذا

دخن اذا وجدت السيكارات المصنوعة من التبغ التركي لا من غيره والتي لا تضر بالحلق ولا توءثر في الصدر ولا تسبب السعال ·

ولا تدخن اذا عرضت عليك لفائف لها منظر السيكارات ولكنها محشوة بارخص اجناس الدخان ولا تستحي ان ترفضها لانك بتدخينها تبيع صحتك بثمن رخيص مع انك لو تأملت قليلا لحصلت على افضل السكاير بنفس ذلك الثمن من جميع المحلات او من — الاوساني

YA'. OUSSANI & CO.

(A NAME THAT INSURES QUALETY)

59 Broad St. NEW YORK

Telephone Broad 6328,



الخاتمة

نظرا لتكاثر زبائننا العديدين في داخلية البلاد قد اسسنا محالا متعددة فروعا لمحلنا الرئيسي في نيويورك ٠وذلك تسهيلا للعلائق وتقريبا للمسافة فاين كنت جرب اقرب محلاتنا تجد الالتفات التام والعناية الزايدة ٠ وهي تبيع بنفس اسعارنا في نيويورك بدون استثناء ودائما تجد بها بضائع المديرا على اختلاف انواعها٠من اغطية متعددة القياسات وسكارفات وطقومة طاولة ونبكن ومحارم ومخدات ومناشف وغيرها ٠ كذلك السكارفات الاسبانولية البديعة الرسمات تجد منهاما ينيف عن خمسة وعشرين رسمة مختلفة الاسعار ولا تنسى ٠بانهم يستجلبون راسا كامل اصناف الليس من فيله ديوين دفينس وفلورنتين دفسيتسن و كلوني وغيره ٠ كذلك يستجلبون البضايع الحريرية الصينية فاذا كنت للان لم تجرب معاملتهم فلا تنسى بان اول طلبية تجعلك احسن عميل لهم٠ اذ لجودة البضاعة واعتدال الاسعار فرق عظيم